

* فهرسة الجزء السادس من فتح البيان *

صفحة

٠٠٢ سورة صريم

٠٤٨ سورة طه

١٠٦ سورة الانبياء

١٥٧ سورة الحج

٢١٨ سورة المؤمنین

٢٦٦ سورة النور

٣٥٣ سورة الفرقان

(عت)

* فهرسة الجزء السادس من تفسير الحافظ

ابن كثير *

صفحة

٠٠٢ تفسير سورة سجنان

١١٧ تفسير سورة الكهف

١٨١ تفسير سورة صريم

٢٢٥ تفسير سورة طه

٢٦٩ سورة الانبياء

٣١٣ سورة الحج

(عت)

(الجزء السادس)

من التفسير المسمى فتح البيان
في مقاصد القرآن للسيد الامام المحمّد المحقق
الهمام المؤيد من مولاة القدير الباري أبي الطيب
صديق بن الحسن القنوجي البخاري ملك
مدينة قم وبالإحاطة بالآثار الهندية
لا زالت كواكب فضله

في الآفاق زاهرة

مضيه

آمين

وبها مشتهر تفسير الامام الجليل الكبير الحافظ عماد الدين أبي القداء اسمعيل بن عمر بن
كثير القرشي الدمشقي المولود سنة سبع مائة وعشرة المتوفى سنة سبع مائة وأربعة وسبعين
وهذا التفسير جليل فسر بالاحاديث والآثار مستمدة من أحكامهم مع
الكلام على ما يحتاج اليه جرحا وتعديلا ٥٨ من كشف الظنون

(الطبعة الاولى)

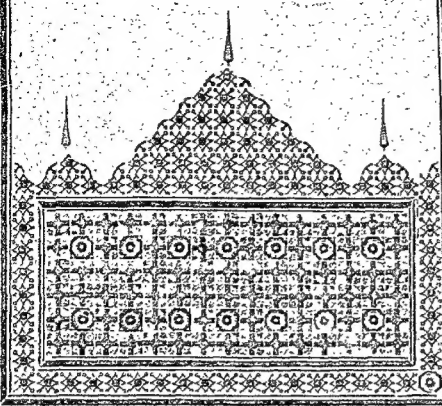
(بالمطبعة الكبرى المصرية ببولاق بمصر المعزوية)

سنة ١٣٠١ هجرية

له تفسير سورة سبحان وهي مكية
قال الامام البخاري حدثنا آدم بن
أبي أباس حدثنا شعبة عن أبي
اسحق قال سمعت عبد الرحمن بن
يزيد سمعت ابن مسعود رضي
الله عنه قال في بني اسرائيل
والكهف ومريم الذين من العتاق
الاول وهن من تلاميذ وقال
الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن
حدثنا جاد بن زيد عن مروان عن
أبي لبابة سمعت عائشة تقول كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم
حتى نقول ما يريد أن يفطروا يفطر
حتى نقول ما يريد أن يصوم وكان
يقرا كل ليلة بني اسرائيل والزمر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد
الاقصى الذي باركأوله لثريه من
آيات الله هو السميع العليم) محمد
تعالى نفسه ويعظم شأنه لقدرته
على ما لا يقدر عليه أحد سواه فلا
الله غيره ولا رب سواه الذي أسرى
بعبده نبي محمد صلى الله عليه
وسلم ليلا أي في خجج الليل من
المسجد الحرام وهو مسجد مكة
إلى المسجد الاقصى وهو بيت
المقدس الذي يابليه معبدن
الانبياء من ابن ابراهيم الخليل
عليه السلام ولهذا جعوه هناك
كلهم فأمهم في محلمهم ودارهم فدل
على أنه هو الامام الأعظم والرئيس
المقدم صلوات الله وسلامه عليه
(١) اخضل الشيء اخضالا



بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة مريم هي مكية وآياتها ثمان أو تسع وتسعون آية)

قال ابن عباس أنزلت بمكة وعن ابن الزبير وعائشة مثله وفي البيضاوي الآية السبعة
وفي الجلالين الأسجدتها مخدشة أو والاختلف من بعدهم خلف الايمان وأخرج أحمد
والبيهقي وابن أبي حاتم عن أم سلمة أن النجاشي قال لعن ابن أبي طالب هل معك مما جاء به
يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله شيء قال نعم فقرأ عليه صدر من كهيص
فبكى النجاشي (١) حتى اخضلت لحية وبكت أساقفته حتى اخضلوا مناضحتهم حين
سمعوها مائلي عليهم ثم قال النجاشي أن هذا والذي جاء به عيسى يخرج من مثكاة واحدة
وقد ذكر ابن اسحق القصة بطولها وقد تقدم في الجزء الاول من هذا التفسير أن اسماء
السور وترتيبها وترتيب الآيات توقيفي ولم تذكر أمه باسمها صريحا في القرآن الا مريم
فذكرت فيه في ثلاثين موضعا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيعص) قال ابن عباس كبير هاد أمين عزيز صادق وعن ابن مسعود وناس من
الصحابه هو المهاج المقطع الكاف من الملائك والها من الله والياء والعن من العزيز والصاد
من المصور وعن أم هانئ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كاف هاد عالم صادق
وعن علي كان يقول يا كهيعص اغفر لي وعن السدي قال كان ابن عباس يقول

واخضوض أي ابتل اخضاح والاسقف رئيس من رؤساء النصارى في الدين والجمع أساقفته اه

وعليهم أجمعين وقوله تعالى الذي باركنا حوله أي في الروح والمال لربه أي محمد أسأى العظام كما قال تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى وسند كمن ذلك ما ورد به السنة من الأحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى أنه هو السميع البصير أي السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم مصدقهم ومكذبهم البصير بهم فعبطى كلامهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة * (ذكر الأحاديث الواردة في الأسراء) رواية أنس بن مالك رضي الله عنه قال الإمام أبو عبد الله البخاري حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان هو ابن بلال عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن

في كهيعص وحم ويس وأشبه هذا هو اسم الله الاعظم وعن ابن عباس هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل هو اسم السورة وعن الكلبي هو ثناء أنشأ الله به على نفسه وكما وقع الخلاف في هذا وأما مثاله بين الصحابة وقع بين من بعدهم ولم يصح مرفوعاً في ذلك شيء ومن روى عنه من الصحابة في ذلك شيء فقد روى عن غيره ما يحلله وقد روى عن الصحابي نفسه التماساً للمخالفة المتناقضة في هذه الفواقي فلا يقوم شيء من ذلك حجة بل الحق الوقوف ورد العلم في مثلها إلى الله سبحانه وإذا قال في الجلالين الله أعلم بمراده بذلك وفي الخطيب أنه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وقد قدمنا تحقيق هذا في فاتحة سورة البقرة (ذكر) أي هذا ذكر أو المتلوذ ذكر قيل أنه خبر الحروف المقطعة وهو قول يحيى بن زياد قال أبو البقاء وفيه بعد وقيل هو مبتدأ لمحمدوف انظر أي فيما يلي عليك ذكر قال الزجاج المعنى هذا الذي تلوه عليك ذكر (رحمته ربك) مضاف لفعله ومفعوله (عبده زكريا) يعني اجابته إياه حين دعاه وسأله الولد قيل عبده مفعول الذكر ومعنى ذكر الرحمة بالوجه وأصابها كما يقال ذكرني معروف فلان أي بلغني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كان زكريا نجاراً أخرجه أجدواً وأبو يعلى والحاكم وصححه وعن ابن مسعود قال كان آخر أنبياء بني إسرائيل زكريا بن آزر بن مسلم من ذرية يعقوب (اذنادى ربه) ظرف زمان للرحمة أي رحمة الله إياه وقت ان ناداه (نداء) مشتملاً على دعاء (خفياً) سر اجوف الليل لأنه أسرع إلى الاجابة واختلف في وجه كون نداءه هذا خفياً قيل لأنه أبعده عن الرأيا وأقرب إلى الصفاء وقيل أخفاه لئلا يلام على طلبه للولد في غير وقته ولكونه من أمور الدنيا وقيل أخفاه مخافة من قومه وقيل كان ذلك منه لكونه قد صار ضعيفاً مهالماً لا يقدر على الجهر لأنه كان ابن خمس وسبعين أو ثمانين سنة وكان النداء في الحرب (قال رب أنى وهن العظم منى) هذه الجملة مفسرة لقوله نادى ربه فالنداء أوله قوله هذا وآخره قوله الاتى واجعله رب ضياء فجعله النداء ثمانين جمل والدعاء منه هو قوله فهب لى من لدنك وألما كسأفى والوهن الضعف يقال وهن بين وهنا من باب وعد إذا ضعف فهو واهن في الأمر والعمل والبدن وهنته أضعفته يتعدى ولا يتعدى في لغة قومه وهو من البدن والعظم والاجود أنه يتعدى بالهمزة فقال أو هنته والوهن يفهم من لغة في المصدر وهن بين بالكسر فيها لغة وقري بالحرركات الثلاث أراد

هذا أول آدم فسلم عليه عليه ورد عليه آدم فقال مرحباً وأهلاً يا بني نعم الابن أنت فاذا هو في السماء الدنيا بنهر من بطردان فقال ما هذا النهر يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من أولووز برجله فضر به يده فاذا هو مسك أذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكور الذي خبالك ربك ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت الأولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وقد بعث إليه قال نعم قالوا مرحباً به وأهلاً ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل

دعى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أنهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الدلالة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عنه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تمام أعينهم ولا تمام قلوبهم فلم يكملوه حتى احتلوا فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين شحريه إلى قلبه حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم يده حتى أتى جوفه ثم أتى بطنه من ذهب فيه نور من ذهب محشواً إيماناً وحكمة فحشاه صدره ولغاد يده بعنق عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضر به باباً من أبوابها فناداه أهل السماء من هذا أفتل جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قال وقد بعث إليه قال نعم قالوا فخر حجابيه وأهلاً يستدبر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل

ذلك ثم عرج به الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سما منها أنبأهم قد سمعهم فوعيت منهم ادر يس في الثانية وهو روي في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم أظن ان ترفع علي أحد انم عليه فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله عز وجل حتى جاء سورة المنتهى وذا الجبار رب العزة تندى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله اليه فمنا يوحى خسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ثم خطبه (٤) حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد

الى خسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فأرجع فليخفف عنك ربك وعندهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه يارب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على أدنى من هذا فاضعفوا فتركوه فامتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وابصارا واسماعا فأرجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل بل رفعه عند الخامسة فقال يارب ان أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابصارهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار تبارك وتعالى يا محمد قال ليسك وسعديك قال انه لا يبدل

ان عظامه قوت ورقت وضعفت قوته من الكبير وذكر العظم لانه محمود البدن وبه قوامه وهو أصل بانه فاذا وهن تداعى وتماقت قوته ولانه أشد ما في الانسان واصلبه فاذا وهن كان ماوراهم أو هن ووحيد العظم قصد الى الخنس المقيد لشمول الوهن لكل فرد من أفراد العظام وقيل انشكى سقوط الاضراس (واشعل الرأس شيبا) الاشتعال في الاصل انتشار شعاع النار فشمسه به انتشار ساض شعر الرأس في سواده بنجام البياض والانارة ثم أخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به وأداة التشبيه وهذه الاستعارة من أبداع الاستعارات وأحسنها قال الزجاج يقال للشيب اذا كثر جدا قد اشتعل رأس فلان (ولم أكن بدعاث) أي بدعاني اياك (رب شقيا) يقال شقي بكذا أي تعب فيه ولم يحصل مقصوده منه فالعني لم أكن خائبا في وقت من الاوقات بل لكاد دعوتك استجبت لي وهذا توسل بمساغله من الاستجابة وتنبية على ان المطلوب وان لم يكن معتادا فاجابته ادعائه معتادة وقد عوده سبحانه بالاجابة واطمعه ومن حق الكريم ان لا يخيب من أطمعه قال العلماء يستحب للمرء أن يجمع في دعائه بين الخضوع وذكر نعم الله عليه كما فعل ذكرنا به هنا فان في قوله الماضي غاية الخضوع والتذلل واطهار الضعف والقصور عن مل مطالبه وبلغ ما ربه وفي هذا ذكر ما عوده الله من الانعام عليه باجابة أديته والتعرض في الموضعين لوصف الرؤية لتحرريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التضرع (واني خفت) بكسر الخاء (الموالي من ورائي) وقرئ خفت بكسر التاء وفاعله الموالى أي قلوا وعجزوا عن القيام بامر الدين بعدلى أو انقطعوا بالموت مأخوذ من خفت القوم اذا ارتحلوا وهذه قراءة شاذة وبعدة عن الصواب والموالى هنا هم الاقارب الذين يرون وسائر العصابات من بني العم ويحومهم والعرب تسمى هؤلاء موالى وقيل هم الناصرون له وقيل الكلاله وقيل جميع الورثة واختلقوا في وجه الخفاقة من ذكرنا الموالى به من بعده فقيل خاف أن يروا ماله وأراد أن يريه واده فطلب من الله سبحانه أن يرزقه ولذا وقال آخرون انهم كانوا مهملين لامر الدين خاف ان يضيع الدين بموته فطلب وليا يقوم به بعده ووهذا القول أرجح من الاول لان الانبياء لا يورثون وهم أجل من أن يعتنوا بامور الدنيا فليس المراد هنا ورثته المال بل المراد وراثته العلم والنبوة والقيام بامر الدين وقد ثبت عن عينا صلى الله عليه وآله وسلم انه قال نحن معاشرة الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة (وكانت امرأتى عاقرا) هي التي لا تلد لكبير

الى خسين صلاة كل يوم وليلة قال ان أمتك لا تستطيع ذلك فأرجع فليخفف عنك ربك وعندهم فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل كأنه يستشيره في ذلك فأشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه يارب خفف عنا فان أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على أدنى من هذا فاضعفوا فتركوه فامتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وابصارا واسماعا فأرجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل بل رفعه عند الخامسة فقال يارب ان أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابصارهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار تبارك وتعالى يا محمد قال ليسك وسعديك قال انه لا يبدل

القول لذي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال بكل حسنة بعشر امثالها فهي حسنة في أم الكتاب وهي خمس سنها عليه فرجع الى موسى فقال كيف فعلت فقال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر امثالها قال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع الى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استجبت من ربي عز وجل بما أختلف اليه قال فاهبط باسم الله قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم عن اسمعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبيد الحميد عن سليمان بن بلال

ورواه مسلم عن هرون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد ونقص وقدم وأخر وهو كما قال مسلم فان شريك بن عبد الله بن
أبي غراض طرب في هذا الحديث. وسام حفظه ولم يضطه كاسياقي بيانه ان شاء الله في الاحاديث الاخر ومنهم من يجعل هذا منامنا
نوطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي في خديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى
الله عليه وسلم رأى الله عز وجل يعني قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قال وقول عائشة وابن مسعود
وأبي هريرة في جعلهم هذه الآيات على رؤسهم فجعلوا هذا الذي قاله (٥) البيهقي رحمه الله في هذه المسئلة هو الحق فان

سما والتي لا تليد أيضا الغزير كبروهي المرادية هنا ويقال للرجل الذي لا يلد عاقر أيضا قال ابن
جرير وكان اسم امرأته اشاع بنت قافو بن مسيل وهي أخت حسنة وهي أم مريم فولد
لاشع يحيى وخلفه مريم. وقال القتيبي هي اشاع بنت عمران فعلى القول الاول يكون
يحيى بن زكريا بن أم عيسى وعلى الثاني يكونان ابني خالة كما ورد في الحديث الصحيح
(فهب لي من ذلك) أي أعطني من فضلك (وليا) مريضان لا يبرسي الامن فضلك
وكال قدرتك ولم يصرح بطلب الولد لما علم من نفسه انه قد صار هو وامرأته في حالة لا يجوز
فيهما حدوث الولد بينهما وحصوله منهما. وقد قيل انه كان ابن بضع وتسعين سنة وقيل
بل اذ نادى الولد طلبه هو الولد لا مانع من سؤال من كان مثله لما هو خارق للعادة فان
الله سبحانه قد يكرم رسوله بما يكون كذلك فيكون من جملة المعجزات الدالة على صدقهم
(برئى و برئى من آل يعقوب) قرئ بالرفع في الفعلين جميعا على انهما صفتان للولي وليسا
بحواب الدعاء وقرئ بالجرزم فمما على انهما جواب للدعاء ورجع الاول أبو عبيد وقال هي
أصوب في المعنى لانه طلب ولما هذه صفة فقال هلبي الذي يكون وارثي ورجع ذلك
الخاص والوراثه هنا هي وراثه العلم والنبوة على ما هو الراجح كما تلف وقد ذهب أكثر
المفسرين الى ان يعقوب المذكور هنا هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وزعم بعضهم
انه يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وبه قال الكشي ومقاتل والبعقوب هم
خاصة الذين يؤل أمرهم اليه للقرابة والصحة أو الموافقة في الدين وقد كان فيهم أنبياء
وما ولد وقرئ برئى وارث آل يعقوب وقرئ وارث آل يعقوب أي أنا وقرئ أو برئى آل
يعقوب على ان هذا المصغر فاعل برئى وهذه القراءة في غاية الشذوذ لنظا ومعنى
(واجعله رب رضيا) أي مرضيا في أخلاقه وأفعاله وقيل راضيا بقضائك وقدرتك وقيل
رحلا صاخر ترضى عنه وقيل نبيا كما جعلت آباءه أنبياء (يا زكريا) بالهمز وحذفه
سبعين قال جمهور المفسرين ان هذا النداء من الله سبحانه وقيل من جهة الملائكة
لقوله في آل عمران فتاده الملائكة ويمكن أن يكون وقوع الخطاب مرتين مرة بواسطة
الملائكة وأخرى من غير واسطة وفي الكلام حذف أي فاستجاب له دعاء فقال يا زكريا
(انا نبشرك بغلام) وبين هذه البشارة وجود الغلام في الخراج بالفعول ثلاث عشرة
سنة لان طلب زكريا بالولاد البشارة كان في صغر مريم وهي في كفالته وان الحمل يحيى

لنا فاذا آنا دم فرحب ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من أنت قال جبريل قتل ومن معك قال محمد
قتل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا آنا باني الخالة يحيى وعيسى فرجلاني ودعوا لي بخير ثم عرج بي الى السماء الثالثة
فاستفتح جبريل فقيل له من أنت قال جبريل قتل ومن معك قال محمد قتل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا آنا يوسف
واذا هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعالي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت قال جبريل قتل ومن
معك قال محمد فقيل وقد أرسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا آنا بادر يس فرحب ودعالي بخير ثم يقول الله تعالى ورفعهنا مكانا

عليه السلام عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل فقبل ومن معك قال محمد فقبل وقد أرسل اليه قال
قد بعث اليه ففتح لنا فإذا أنا بهم رونا فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل
قبل ومن معك قال محمد فقبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فإذا أنا بهم رونا فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
السابعة فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل فقبل ومن معك قال محمد فقبل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فإذا أنا
بإبراهيم وإدريس وسند إلى البيت المعمور (٦) وإذا هو يدخل كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي إلى

سدة المنتهى فإذا ورقتها كانت ذات
القبلة وإذا تمرنا كالسلاسل فلما
غشينا من أمر الله ما غشينا تغيرت
فما أحد من خلق الله تعالى
يستطيع ان يصفها من حسناتها
قال فأتيت الله إلى ما أوصى وقد
فرض علي في كل يوم وليلة خمسين
صلاة فترأت حتى انتهت إلى موسى
قال ما فرض ربك علي أم لك قلت
خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال
ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف
لا أم لك فان أم لك لا تطيق
ذلك وإلى قد بلوت بنى إسرائيل
وخبرتهم قال فرجعت إلى ربى
فقلت أى رب خفف عن أمى
خفف عني خفف فزلت حتى
انتهت إلى موسى فقال ما فعلت
فقلت قد خفف عني خفف فقال ان
أم لك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك
فاسأله التخفيف لا أم لك قال فلم ازل
أرجع بين ربى وبين موسى ويحط
عني خفف أخفف حتى قال يا محمد
خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل
صلاة تشر فلكل خمسون صلاة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة فان عملها كتبت عشرة

كان مقدار العمل بعيسى وكانت مريم اذ ذاك بنت ثلاث عشرة سنة وان اشاع جانب به
قبل حل مريم بعيسى بستة أشهر (اسم يحيى) قد تقدم في آل عمران وجدة التسمية يحيى
وزكر يا قال الزجاج سمي يحيى لانه حي بالعلم والحكمة التي أوتها وهو ممنوع من الصرف
للعبية والجملة وتقول في تفسيره يحيى ان رقا ويحيى نصبا وجر او في جمع سلامة يحيون
رقا ويحيون نصبا وجر (لم يجعل له من قبل سميا) فعمل يعنى مفعول أى مسمى يحيى قال
أكثر المفسرين معناه لم نسم احدا قبله يحيى وقال مجاهد وابن عباس وجماعة معناه انه
لم يجعل له مثلا ولا نظيرا فيكون على هذا ما أخذ من المساماة أو السهو وورد هذا انه يقتضى
تفضيله على إبراهيم وموسى وقيل معناه لم تلد عاقر مثله والاول اولى وفي اخباره سبحانه انه
لم يسم بهذا الاسم قبله احدا ففضله له من جهتين الاولى ان الله سبحانه هو الذى تولى
تسميته به ولم يكلفه الى الابوين وسماه بخصوص يحيى لانه به يحيى رحم أمه بعد موته بالعقم
والجهة الثانية ان تسميته باسم لم يوضع لغيره تفيد تشريفة وتفضيله (قال رب أنى) أى
كيف ومن أين (يكون لى غلام) وليس معنى هذا الاستفهام الاستبعاد والانسكار بل
التعجب والاستكشاف من قدرة الله وبديع صنعه حيث يخرج ولدا من امرأة عاقر
وشخ كبير (وكانت امرأتى عاقرا) أى لا تلد والجله حال من الباقى لى وقد تقدم الكلام
على مثل هذا في آل عمران (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى بأسا يزيد بذلك شغل الجسم
والجلد ودقة العظم أو بيسا وجداوة (١) فى الفاصل والعظام من أجل الكبر والطعن
فى السن العالية يقال عتيا الشيخ يعتمو عتيا اذا انتهت سنه وكبر وشيخ عات اذا صار لى حال
اليس والخفاف والاصل عتوا لانه من ذوات الواو فادلوها ما يكونها أخف قال السمين
فيه أربعة أوجه أظهرها انه مفعول به أو مصدر مؤن كدلى الفعل أو مصدر وقع موقع
الحال أى عتيا أو ذاعتوا الرابع انه تمييز زوعلى هذه الواجهة الثلاثة من مزيدة ذكره أبو
البقاء والاول هو الواجهة انتهى وقرى عتيا بكسر العين وبضمها وهما الغتان وكلتا الجملتين
لما كبد الاستبعاد والتعجب المستفاد من قوله أنى يكون لى غلام قال ابن عباس لا ادري
كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ هذا الحرف عتيا أو عتيا وعن عطاء
فى قوله عتيا قال لى زمانا فى الكبر وقال السدى هرا والمعنى كيف يحصل بيننا ولدا لأن
وقد كانت امرأتى عاقرا لم تلد فى شبابها وشبابى وهى الآن عجوز وأنا شيخ هرم ثم اجاب

ومن هم بسبعة فلم يعملها كتبت فان عملها كتبت سبعة واحدة فترأت حتى انتهت إلى موسى فأخبرته فقال الله
ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لا أم لك فان أم لك لا تطيق ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رجعت إلى ربى حتى
استحييت ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق وهو أصح من سياق شريك قال البيهقى وفى هذا السياق
دليل على ان المعراج كان ليلة أسرى به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس وهذا الذى قاله هو الحق الذى لا شك فيه
(١) حسنا لطف ونجست البدن وغيره اجسا وجسا لىست وجسا الشيخ جسا بلغ غاية السن والماء جدا ها جباح

ولا هريه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به
مسرعا ليحمله لركبه فاستصعب عليه فقال له جبريل ما يحملك على هذا فوالله ما تركك قط أكرم على الله منه قال فارتضى عرفا
ورود الترمذي عن اسحق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لا تعرفه الا من حديثه وقال أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا
صفوان حدثني راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى الربى عز وجل
مرت بقوم لهم أنفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت (٧) من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين

ما يكون لحوم الناس ويقعون في
أعراضهم وآخر جسده اوداود من
حديث صفوان بن عمرو ومن
وجه آخر ليس فيه انس قاله أعلم
وقال أيضا حدثنا وكيع حدثنا
سفيان عن سماك التيمي عن أنس
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم مرت ليلة أسرى بي على
موسى عليه السلام فأتانيصلى في
قبره ورواه مسلم من حديث حماد
ابن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي
وثابت البناني كلاهما عن أنس قال
النسائي هذا أصح من رواية من قال
سليمان عن ثابت عن أنس وقال أبو
يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب
ابن زبيدة حدثنا خالد عن التيمي عن
أنس قال أخبرني بعض أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به مر
على موسى وهو يصلي في قبره وقال
أبو يعلى حدثنا إبراهيم بن محمد بن
عروة حدثنا معمر عن أبيه قال
سمعت أنسا ان النبي صلى الله عليه

الله سبحانه عن هذا السؤال المشهر بالتعجب والاستعجاب بقوله (قال) اي الملك المبلغ
للبشارة وهو كما قال الكواشي جبريل عليه السلام والاكثر على انه الله تعالى لسلامته
عن فك النظم (كذلك) اي الامر كذلك فصدق له والاشارة الى ما سبق من قول
ذكر يا أيها مبتدأ بقوله (قال ربك) أو قال قولنا مثل ذلك والاشارة الى مذهب بفسره قوله
(يعلى هين) وعلى الاول هذه الجملة مستأنفة مسوقة لازالة استعداد زكريا بعد تقريره
وانما اعيد قال ربك اهتماما أي قال هو مع بعده عندك على هين وهو في عمل من هان الشيء
يهون اذا لم يصعب ولم يتعسر من المراد قال الفراء أي خلقه على هين بان ارادة عليه قوة
الجامع وأنت رحم امرأك للعالم (وقد خلقك من قبل) أي من قبل يحيى والجملة حال
وقرأ سائر الكوفيين وقد خلقك (ولم نك شيئا) لان المعلوم ليس بشئ هذه الجملة مفعولة
لما قبلها قال الزجاج أي خلقك الولد لك كخلقك والمعنى ان الله سبحانه خلقه ابتداء
وأوجده من العدم المحض فاجباد الولد بطريق التوالد المعتاد أهون من ذلك وأسهل
منه وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام لانه المخلوق من العدم حقيقة بان يقول وقد
خلقت أباك آدم من قبل ولم يك شيئا للدلالة على ان كل فرد من أفراد البشر له حظ من
انشاء آدم من العدم (قال رب اجعل لي آية) أي علامة تدلني على وقوع المسؤل
وتحققه وحصول الحيل والمقصود من هذا السؤال تعريفه وقت العلوق حيث كانت
البشارة مطلقة عن تعيينه قال ابن الانباري وجه ذلك ان نفسه ناقت الى مرة الامر
فسأل الله آية يستدل بها على قرب ما من به عليه وقبل طلب آية تدله على ان البشري
من الله سبحانه لان الشياطين لان ابليس أوهمه بذلك كذا قال الضحاك والسدي
وهو بعيد جدا (قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) نصب على الحال أي
آيتك ان لا تقدر على الكلام والحال انك سوى الخلق صحيح سليم من غير بأس ليس بك
آفة فتعزل منه والمراد ثلاث ليال باليامها كافي آل عمران ثلاثة أيام وانما عبر هنا باليال
وهناك بالايام لان هذه السورة مكتبة والمكي سابق على المدني والليل سابق على النهار
فاعطى السابق للسابق وأعطى المؤخر للمؤخر وقبل ثلاث ليال متتابعات والاول
أولى قال ابن عباس اعتقل لسانه من غير مرض وفي لفظ من غير خرس (نخرج على
قومه من المحراب) أي من مصلاه متغير اللون عاجز الكلام فأنكره واذلك عليه في

الله صلى الله عليه وسلم ذكر كلمة فقال أشهد انك رسول الله وكان أبو بكر رضي الله عنه قد راها وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن
عز والبخاري في مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأنا نائم إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كفي فقامت الى شجرة
فيها كوكري الطير فقعني في أحدهما وقعدت في الآخر فسمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا ألقب طرفي ولوشئت ان أس
السماء لمست فالتفت الى جبريل كأنه جلس لا طفعرفت فضل علمه بالله على وقع في باب من أبواب السماء فرأيت النور

الاضلهم واذادون الخراب رفرق الدر والياقوت واوحى الى ماشاء الله ان يوحى ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث الأأنس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني الا الحرث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاضي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحيم عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين عن سعد بن منصور قد ذكره بسند مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولطادوني أو قال دون الخراب رفرق الدر والياقوت ثم قال هكذا رواه الحرث بن عبيد ورواه سجاد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمار بن (٨) عطار دان النبي صلى الله عليه وسلم كان في ملان أم أحماسه فهاه خيريل

فكتكت في ظهره فذهب به الى الشجرة وفيها مثل وكري الطير فقعده في أحدهما وقعد جبريل في الآخر ففسأت جناحتي بلغت الاق فلو بسطت يدي الى السماء لنهاضني بسبب وهبط الى النور فوقع جبريل مغشيا عليه كانه حلس ففرت فضل خشيتي على خشيتي فأوحى الى نبياس ملكا أو نبياس عبدا والى الجنة ما أنت فأوحى الى جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لآل نبياس عبدا قلت وهذا ان صح يقتضى انها واقعة غير ليل الاسراء فانه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود الى السماء فبقي كائنة غير ما نحن فيه والله أعلم وقال البراء أيضا حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو جحر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل وهذا غريب وقال أبو جعفر بن جريح حدثنا لويس حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا يعقوب ابن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن

القماموس الخراب العرفة وصدر البيت وأكرم مواضعه ومقام الامام من المسجد والموضع الذي يتفرده الملك قريبا بعد عن الناس ومحارب بن اسرايل مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها في الشهاب وأما الخراب المعروف الآن وهو طابق محجوف في حائط المسجد يصلي فيه الامام فهو محدث لا تعرفه العرب فتسميته محرابا اصطلاح للفقهاء انتهى وهو ممنوع على جومع لغوى اذهبون افراد المعنى اللغوي الذي ذكره في القماموس بقوله ومقام الامام بالمسجد واشتقاقه من الحرب كأن ملازمة بحارب الشيطان وقيل من الحرب محركا كأن ملازمة ليحاربوا وتعبا ونصبا (فأوحى اليهم) أى وأما وأشار بدليل قوله في آل عمران الارض وقيل كتب لهم على الارض وبالأول قال الكلبي والقرطبي وتقدموا بنسبه وبالنسبة قال مجاهد وقد يطلق الوحي على الكتابة قال ابن عباس كتب لهم كتابا (أن سحوا) مصدر براء ومفسره والمعنى فأوحى اليهم بان صلوا أو أى صلوا (بكرة وعشيا) أى ترهوا ربكم طرفي النهار فهم ما ظروا زمان للتسبيح وانصرفت بكرة لانهم بقصدتها العلية فأوحى اليهم العلية امتنع من الصلوة قال الفراء العشي يؤث ويجوز تذكرة اذا بهم قال وقد يقال العشي جمع عشة قيل والمراد صلاة الصبح والعصر وقيل المراد بالتسبيح هو قولهم سبحان الله (يا يحيى) أى قال الله للمولود يا يحيى أو ولده مولود فبلغ المبلغ الذي يجوز أن يخاطب فيه فقلنا له يا يحيى وقال الزجاج المعنى فوهبنا له وقلنا له يا يحيى أى بعد ولادته ثلاث سنين على ما قاله قتادة وقيل بسنتين يعنى على لسان الملك كما قاله أبو حيان (خذ الكتاب) المراد به التوراة لانه المعهود حينئذ ويحتمل أن يكون كتابا مختصا به وان كان لا تعرفه الآن والمراد بالاختصاص اما الاخذ الحسى أو الاخذ من حيث المعنى وهو القيام بما فيه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة تقتضى سهولة الاقدام على الأمور بهو الاجتهاد عن المتعسر عنه ثم كده بقوله (بقوة) أى متلبسا بجهد وعزيمة واجتهاد فانه لم يجاهد (وأقنناه الحكم صيبا) المراد بالحكم الحكمة وهى الفهم للكتاب الذى امر باخذه وفهم الاحكام الدينية وقيل هى العلم وحفظه والعمل به وقيل النبوة وقيل العقل قال مجاهد الفهم وقال مالك بن دينار اللب ولا مانع من جل الحكم على جميع ما ذكره والجملة مستأنفة قال ابن عباس اعطى الفهم والعبادة وهو ابن سبع سنين وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الغلمان ليحيى بن زكريا اذهب بنا لنعب

مالك قال لما جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكانها حركت ذنبا فقتل لها جبريل مهيا براق فقال فوالله ما ركبت مثله وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو يجوز على جانب الطريق فقال ما هذا جبريل قال قال سرياح محمد قال فسار ماشاء الله ان يسير فاذا شئ يدعو متخبا عن الطريق فقال لهم يا محمد فسار ماشاء الله ان يسير قال فلقبه خلق من خلق الله فقلوا السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاضر فقال له جبريل ان اردد السلام يا محمد فرد السلام ثم لقبه الثانية فقال له مثل مقالته الاولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى الى بيت المقدس فعرض عليه الماء والخمر والابن فتناول رسول الله

صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء الغرقت وغرقت أمك ولو شربت الخمر لغويت ولغويت أمك
ثم بعثه آدم من دونه من الانبياء عليهم السلام فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ثم قال له جبريل اما العجوز التي رايت
على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا كالبقي من عرثك العجوز واما الذي أراد أن تميل انفسه فذل العدو والله ابليس أراد ان قيل
اليه واما الذين ساروا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن
حبيب وفي بعض النسخة ونكارة وغريبة طريق أخرى عن أنس بن مالك (٩) وفيها غربة ونكارة جدا وهي في سنن

النسائي المجتبى ولم أرها في الكبير
قال حدثنا عمرو بن هشام حدثنا
محمد هو ابن الحسين عن سعيد
ابن عبد العزيز عن حدثنا بن
أي مالك حدثنا أنس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أنت بداية قوف الحمار ودون البغل
خطوها عند منتهى طرفها فركبت
ومع جبريل عليه السلام فسرت
فقال انزل فصل فصليت فقال
أندري أين صليت صليت بطيبة
واليها المهاجرة ثم قال انزل فصل
فصليت فقال أندري أين صليت
صليت بطور سيناء حيث كلم الله

فقال يحيى ما للعب خلقتا اذهبوا نصلي فهو قول الله وآتيانا الحكم صيا أخرجه الحاكم
في تاريخه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن قبل ان يحتمل فهو من
أولى الحكم صيا أخرجه البيهقي وأخرجه ابن أبي حاتم موقوفا عليه (وحنا) معطوف
على الحكم قال جهور والمفسرين الحنان الرحمة والورقة والثقة والعطف والمحبة وأصله
وقان النفس مأخوذة من حنين الناقة على ولدها قال أبو عبيد يقول حنانك يارب وحنايك
يارب بمعنى واحد يدرجتك قال ابن الأعرابي الحنان تشددا من صفات الله عز وجل
والحنان تخففا للعطف والرحمة والحنان الرزق والبركة قال ابن عطية والحنان في كلام
العرب أيضا ما عظم من الامور في ذات الله ومنه قول يزيد بن عمرو بن تغلب والله لن قتلتم
هذا البذل لتحذن قبره حنانا يعني بالالمام به وهو يعذب وقيل ان القائل ذلك هو ورقة
ابن نوفل قال الازهرى معنى ذلك لا ترجى عليه ولا عطفن عليه لانه من أهل الجنة ومعنى
(من لدنا) من عندنا ومن حناينا وقيل المعنى أعطينا رحمة من لدنا كأنه في قلبه ونحن بها
على الناس ومنهم أبواه وقرباه حتى يخلصهم من الكفر قال ابن عباس في حناي لا أدري
ما هو الا اني أظنه يعطف الله على عبده بالرحمة وقد فسرها جماعة من السلف بالرحمة كما
مر ومنه قول الشاعر

وعسير بلا محاق به * ويسير حنانك بدفعه

(وزكاة) معطوف على ما قبله والوزكاة التطهير والبركة والتبعية والبر أي جعلناه مباركا
للناس يهديهم الى الخير وقيل زكينا به حسن الشئ عليه كتر كية الشهود وقيل صدقة
تصدقنا بها على أيويه قاله ابن قتيبة وقيل تصدقنا على الناس أي أعطيناها نوقيل للتصدق
عليهم وقيل يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقيل هي العمل الصالح فيهم بعد مذنب
(وكان تقيا) قال ابن عباس طهر فلم يأت بذب أي متجنبا لمعاصي الله سبحانه مطيعا له
بطبعه وقد روى انه لم يعمل معصية ولم يهجم بها قط ومن جلة تقواه انه كان يتقوت بالعب
وكان كثير البكاء فكان له معه مجارى على خده (وبرا) فعل بمعنى فاعل أي بارا (بوالديه)
والعنى لطيف فاجب محسنة اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله أعظم من برهما بديل عليه قوله
تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا (ولم يكن جبارا عصيا) أي لم يكن
متكبرا يقتل ويضرب على الغضب ولا عاصيا والديه أو لربه وهذا وصفه عليه السلام

(٢ - فتح البيان سادس) الى السماء الرابعة فاذا فيها هرون عليه السلام ثم صعدني الى السماء الخامسة فاذا فيها ادريس عليه
السلام ثم صعدني الى السماء السادسة فاذا فيها موسى عليه السلام ثم صعدني الى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليه السلام
ثم صعدني فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى فغشيتني ضيابة تحررت له ساجدا انقيل الى اني يوم خلقت السموات والارض
فرضت عليك وعلى أمك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك (١)
قلت خمسين صلاة قال فانك لا تستطيع ان تقوم بها
لا أنت ولا أمك فأرجع الى ربك فاسأله التخفيف فرجعت الى ربي فخفف عني عشرا ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت
(١) هكذا بياض بالأصل

نخفف عنى عشرين رديت الى خمس ملاوات قال فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فانه فرض على بنى اسرائيل صلاتين فاقاموا بهما
فرجعت الى ربى عز وجل فسالته التخفيف فقال انى يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمس صلوات نخفف
بمخسرين فقم بها أنت وأمتك قال فعرفت انهم امن بالله عز وجل فصرى فرجعت الى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت انها
من الله صرى يقول أى حتم فلم أرجع طريق أخرى وقال ابن أبى حاتم حدثنا فى حديثنا هشام بن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن
رضي الله عنه قال لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم

(١٠)

بلين الجانب وخفض الجناح والمراد أصل الفعل فالمثنى أصل الجبر والعصان لا المبالغة
فيهما (وسلام) منا (عليه) قال ابن جرير وغيره معناه أمان عليه من الله قال ابن عطية
والأظهر عندى انها التحية المتعارفة ففى أشرف وأنبه من الأمان لان الأمان متحصل له
بقى العصان عنه وهو أقل درجانه وانما الشرف فى ان يسلم الله عليه وقال سلام هنا
منكر او فى قصة عيسى والسلام معرف لان الاول من الله والاقيل منه كثير والثانى من
عيسى ومعنى (يوم ولد) انه آمن من الشيطان وغيره فى ذلك اليوم وسلم من ان ياله
الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وان الله حياه فى ذلك اليوم (ويوم عوث ويوم يعث حيا)
قيل أو حين ما يكون الانسان فى ثلاثة مواطن يوم ولد لانه خرج مما كان فيه ويوم عوث
لانه يرى قوما لم يكن قد عرفهم وأحكام ليس لديها عهد ويوم يعث لانه يرى هول يوم
القيامة فخص الله سبحانه يحى بالكرامة والسلامة فى المواطن الثلاثة (واذ كرى
الكتاب مريم) هذا شروع فى ابتدء خلق عيسى والمراد بالكتاب هذه السورة أى اذ كر
بالحمد للناس فى هذه السورة قصة مريم وخبرها ونبأها والمراد به جنس القرآن وهذه
السورة منه (اذا تبذرت) البذاطرح والرمى قال تعالى فتبذوه وراهم وهم والمعنى
انها اتحت وتباعدت وقال ابن قتيبة اعترلت وقيل انفردت (مس أهلها) أى مس قومها
والمعنى متقاربة واختلقت فى سبب ابتذالها فقبل لاجل أن تعبد الله سبحانه وقيل
للتطهر من حبسها (مكناشرقيا) أى من جانب الشرق والى الجنوب على الطريقة أو متغول
به على ان معنى اتبذت أنت مكنا كفى السمن وفى المصباح حما يؤيده والشرق يسكون
الزاد المكان الذى تشرق فيه الشمس واتماخص المكان بالشرق لاهم كانوا يعظمون
جهة الشرق لانها مطلع الانوار حكي معناه ابن جرير قال ابن عباس سكانا أظلمها الشمس
ان راها أحد منهم وقال انما اتخذت النصارى المشرق قبله لان مريم اتخذت من أهلها
مكناشرقيا فاتخذوا مبلاده قبله وانما عجدت اليهود على حرف حين تنق فوقهم الجبل
فجعلوا ينحرفون وهم ينظرون اليه يخوفون ان يقع عليه سم فيجبدوا وسجدوا رضىها الله
فاتخذوها سنة وقيل كان ذلك اليوم شاتيا شديدا البرد فجلست فى مشرقه فغلى رأسها
فاتخذت (أى ضربت) (من دونهم) أى من دون أهلها (حجابا) أى حاجر أو ستر أو سترها
عنهم كلابروها حال العبادة أو حال التطهر من الحبض والحجاب السترو والحاجر (فأرسلنا

الى بيت المقدس أناد جبريل بدابة
فوق الجارودون البغل حله جبريل
عليها ينتهى خفها حيث ينتهى
ظرفها فلما بلغ بيت المقدس فبلغ
المسكن الذى يقال له باب محمد صلى
الله عليه وسلم أتى الى الحجر الذى غة
فقسمه فزجبريل باصبعه فقبه ثم
ربطها ثم صعد فلما استويا فى صرحة
المسجد قال جبريل يا محمد هذل
سألت ربك ان يريك الخور العين
فقال نعم فقال فاطلق الى أولئك
النسوة فلم عليهن وجن جالس عن
يسار الخضره قال فانيتهن فسلمت
عليهن فرددن على السلام فقلت
من أنتن فقلن نحن خيرات حسان
لساء قوم أبرار نقوا فلم يدروا
وأقاموا فلم يظعنوا وخذلوا فلم
يعوقوا قال ثم انصرفت فلم ألت
الا بمرأى حتى اجتمع ناس كثير ثم اذن
موذن وأقيت الصلاة قال فقمنا
صفوفا ننظر من يؤمننا فأخذ بيدي
جبريل عليه السلام فقدمنى
فصليت بهم فلما انصرفت قال
جبريل يا محمد أتدرى من صلى
خلقك قال قلت لا قال صلى خلفك
كل نبى بعثه الله عز وجل قال ثم
أخذ بيدي جبريل فصعدنى

الى السماء فلما انتهوا الى الباب استفتح فقالوا من أنت قال اناجبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه اليها
قال نعم قال فتخوالة وقالوا امر حبابك وعين معك قال فلما استوى على ظهرها اذا فيها آدم فقال لى جبريل يا محمد لا تأسلم على أهلك
آدم قال قلت لى فانيته فسلمت عليه فرددى وقال امر حبابا ببنى والنبي الصالح قال ثم عرج بى الى السماء الثانية فاستفتح فقالوا من
أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم فتخوالة وقالوا امر حبابك وعين معك فاذا فيها عيسى وابن
خاتمه يحيى عليهما السلام قال ثم عرج بى الى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من أنت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد

بعث اليه قال نعم فتخو الله وقالوا امر حيا بك وعين معك فاذا فيها يوسف عليه السلام ثم عرج بي الى السماء الرابعة فاستفتح قالوا من انت قال جبريل قالوا من معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قال (١١) فتخو الله وقالوا امر حيا بك وعين معك فاذا فيها

موسى عليه السلام ثم عرج بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقالوا من انت قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم فتخو الله وقالوا امر حيا بك وعين معك فاذا فيها ابراهيم عليه السلام فقال جبريل يا محمد اذ اتسلم على ابيك ابراهيم قلت بلى فانيته فسلمت عليه فرد علي السلام قال مرحبا باني والني الصالح ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهيت الى النهر عليه جبار اللؤلؤ والياقوت والنزير جرد وعليه طير خضر اثم طير اريث فقلت يا جبريل ان هذا الطير لنا نعم قال يا محمد آكله اثم منه ثم قال يا محمد ائذرى اى نهر هذا قال قلت لا قال هذا الكوثر الذي اعطاك الله اياه فاذا فيه آنية الذهب والفضة تجري على رضاء من الساقوت والزمرد ماؤه اشد بياضا من اللبن قال فاخذت من آنيته آنية من الذهب فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو احلى من العسل واشد رائحة من المسك ثم انطلق بي حتى انتهيت الى الشجرة فغشيتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبريل

الهارو حنا) هو جبريل عليه السلام لبشرها بالانجيل ولم يفتح فيها فتحة له وقد اختلف الناس في نبوة مريم فقيل انها نبوة لجرده هذا الارسل اليها ومخاطبتها للملك وقيل لم تكن نبوة لانه انما كلمها الملك وهو على مثال البشر والمتفق عليه ان المتنى وحى الرسالة لا مطلق الوحي والوحى هنا انما هو بشارة الولد لا بالرسالة وقد تقدم الكلام على هذا في آل عمران وقيل هو روح عيسى لان الله سبحانه خلق الارواح قبيل الاجساد والاول اولى لقوله (فقتل) اى جبريل عليه السلام (لها) بعد لبسها ثيابها (بشر اسويا) تاما مستويا الخلق لم يبق من نعوت بني آدم شيئا قال اليساوي ولعله اى القتل ليهيج شهوتها فتعذر لظنفتها الى رحمتها انتهى قال في الخيس في احوال انفس نفيس فنه نظر انتهى ولم يبين احد هذا النظر الصحيح لاهو ولا غيره من المفسرين فيما تصفحت الابا السعد حيث قال هو مع محالته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذب قوله تعالى قالت انى اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر بالبال شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر من الحالة المريبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لا يلائها وسر عظمها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية لانه بالغة في اليه اذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة بمادهمها انتهى وقد تكلموا في كيفية تمثله فقال امام الحرمين يفتنى الله الزائد من خلقه او يرينه لانه ثم يعيده اليه يعنى انه اجزاء اصلية كافي الانسان واجزاء زائدة وجزم ابن عبد السلام بالازالة دون القناء وقال ابن حجر ان القدر الزائد لا يزول ولا يبقى بل يحفظه الله تعالى عن الرائي فقط قاله الكرخي وقيل انما ظهر لها في صورة البشر لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه فتبهتهم كلامه ولو بد الهاف في صورة الملائكة لتفرت ولم تقدر على استماع كلامه وانما لا تطيق ان تنظر الى الملك وهو على صورته فلما رآته في صورة انسان حسن كامل الخلق قد خرق عليها الحجاب ظنت انه يريد بها سوفاستمعاعاذت بالله منه (وقالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) اى عن يتي الله ويخافه ويعامل بمقتضى القوى والايمان ونخصت الرحمن بالذكرك ليرحم ضعفها ويجزها عن دفعه وقيل ان تقيا اسم رجل صالح فتعوذت منه تعجبا وقيل انه اسم رجل فاجر معروف في ذلك الوقت والاول اولى وقع وذهاب من تلك الصورة الحسنة تدل على كمال عظمها وغاية ورعها وجواب الشرط

وخرت ساجدا لله عز وجل فقال الله لي يا محمد اذاني يوم خلقت السموات والارض افترضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فقمها انت وامتك قال ثم انجلت عني السحابة فاخذ بيدي جبريل فانصرفت سر يعا فأتيت على ابراهيم فلم يقل لي شيئا ثم أتيت على موسى فقال ما صنعت يا محمد فقلت فرض علي وعلى امتي خمسين صلاة قال فلن تستطيعها انت ولا امتك فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك فرجعت سر يعا حتى انتهيت الى الشجرة فغشيتني السحابة فرفضني جبريل وخرت ساجدا وقلت رب انك فرضت علي وعلى امتي خمسين صلاة ولن أستطيعها بالاولا متي تخفف عنا قال قد وضعت عنكم عشرين قال ثم انجلت عني السحابة واخذ بيدي

جبريل قال فانصرفت سر يعا حتى أتيت على ابراهيم فلم يقبل لي شيئا ثم أتت على موسى فقال لي ما صنعت يا محمد فقلت وضع عني ربي عشر اقال فاربعون صلاتين تستطعنها أنت ولا أمك فارجع الى ربك فاسأله أن يخفف عنكم فذكر الحديث كذلك الى خمس صلاوات وخمس بحسين ثم أمر موسى أن يرجع فبأسأله الخفيف فقلت اني قد استجيت منه تعالى قال ثم اخذني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل مالي أت أهل سماء الأرجواني وضحكوا لي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك لي قال يا محمد المالك حازن (١٢)

محمدا فأي فلا تعرض لي واتركني واتعني أو تقتني عني لتعوذني وهذه الجملة كقول القائل ان كنت مؤثما فلا تظلمني (قال) جبريل (انما أنا رسول ربك) الذي استعدت به ولست بمن يتوقع منه ما خطر على بالك من ارادة سوء وانما جئت (لا اله لك) جعل الهية من قبله لكونه سيافيا من جهة كون الاعلام لها من جهته أو من جهة كون النفع الذي قام به في الظاهر ويقيم ما في بعض المصاحف أمر في ان أهبط لك وقرئ ليهب على معنى أرسلني الله ليهب لك (غلاما زكيا) هو الطاهر من الذنوب الذي يتوق على الراحة والعفة وقيل المراد بالزكيا النبي (قالت اني يكون لي غلام) الحنان اني (لم يمسني) أي لم يقر بي (بشر) زوجي كسحاح (ولم أن بغيا) أي فاجرة فعلت المس عبارة عن السحاح الحلال لانه كآية عنه والزنا ليس كذلك وانما يقال فيه فجر بها وحدث بها وما أشبه ذلك والبنو هي الزانية التي تبغي الرجال قال المبرد أصله بغوى على فعل وقال ابن جني انه قيل قال ابن الانباري ان بغيا غالب في النساء اجماله مجرى حائض وعافر وقيل تقول العرب رجل بني وزيا دة ذكر ذلك يتناول الحلال والحرام لقصد التاكيد تنزيها لجانها من الفحشاء يعني ان الولد لا يكون الا من نكاح أو سفاح ولم يكن هنا واحدا منهم ما قيل وما استعدت من قدرة الله شيئا ولكن أرادت كيف يكون هذا الولد هل من قبل زوج تنزوجه في المستقبل أم يخلفه الله سبحانه ابتداء (قال) جبريل (كذلك) أي الامر هكذا من خلق غلام منك من غير أب (قال ربك هو) أي خلق ولدت بلا أب (علي هين) بان ينسخ بأمرى جبريل فيك فتخلى به وبالجملة مستأنفة والكلام فيها كالكلام فيما تقدم من قول زكريا (وخلقناه) (لنجعله) أي هذا الغلام أو خلقه بلا أب (آية للناس) يستدلون به على كمال القدرة على أنواع الخلق فانه خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى قاله الكرخي (و) (لنجعله) (رحمة عظيمة) كآية (مننا) للناس لن آمن به لما يئولونه منه من الهداية والخير والبر لان كل نبي رحمة لأمته (وكان) خلقه (أمر امقضا) به في علي مقدر المحكوم فروغامة لا يرد ولا يبدل ولا يتغير مسطورا في اللوح المحفوظ قد قدره الله سبحانه وحف به القلم (تخلفته) أي الموهوب ههنا كلام مطوي والتقدير فاطمأنت الى قوله قد نأمنها فنفخ في جيب درعها وهو بعيد عنها فوصلت النخلة الي بطنها فحمله وأخبرت في بطنها مصورا وكان سنها

منه صر فافيناهو في بعض الطريق من بعد لقرش تحمل طعاما منها جبل عليه غرار تان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعبر نفرت منه واستدارت وصرخ ذلك البعير وانكسر ثم انه مضى فاصبح فاجبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أو آبا بكر فقالوا يا أبا بكر هل لك في صاحبك يخبر أنه أت في بيته هذه مسيرة شهر ورجع في بيته فقال أبو بكر رضي الله عنه ان كان قاله فقد صدقوا بالنصدقه فيما هو بعد من هذا النصدقه على خبر السماء فقال المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم ما علامة ما تقول قال صررت بعير لقرش وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الابل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرار تان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر فلما قدمت العبر سألوه فاجبروهم الطبر على مثل ما حدثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك سمى أبو بكر الصديق وسألوه وقالوا هل كان فين حضر معك موسى وعيسى قال نعم قالوا فصفهم لنا قال نعم اما موسى فزجل آدم كآية من رجال ارض عمان وأما عيسى فزجل ربعة

سبط تغلوه حرة كآية يتحدرو من شعره الحنان هذا اسياق فيه غرائب عجيبه رواية أنس بن مالك عن مالك بن نلاث صعبة قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام قال سمعت قتادة يتحدث عن أنس بن مالك ان مالك بن صعبة حدثه ان بني الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال بينما أنا في الحطيم ورعيا لقتادة في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الأوسط بين السلاية قال فأتاني فقد سمعت قتادة يقول فشق ما بين هذه الى ههنا قال قتادة فقلت الجارود وهو الى جني ما يعني قال من تغرة شجرة الى شجرته وقد سمعته يقول من قصته الى شجرته قال فاستخرج من قلبي قال فأعيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا

وحكمة فغسل قلبي ثم حشيت ثم أعمدت ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الجارأيض قال فقال الحار ودفعوا البراق بأباجزة قال نعم
يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه فاطلقني جبريل عليه السلام حتى أتاني إلى السماء الدنيا فاستفتح فقبل من هذا
قبل جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل أو قد أرسل إليه قال نعم فقبل من رحبائه ونعم الجي جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذنبا آدم
عليه السلام قال هذا أولك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال من حببنا لابن الصالح والتي الصالح ثم صعد حتى أتى
السماء الثانية فاستفتح فقبل من هذا فقال جبريل قبل ومن معك قال محمد (١٢) قيل أو قد أرسل إليه قال نعم قبل من رحبائه
ونعم الجي جاء قال ففتح لنا فلما

خلصت فاذنبا عيسى وبجي وهما
ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى
فسلم عليهم ما قال فسلمت فرد السلام
ثم قال من حببنا لابن الصالح والتي
الصالح ثم صعد حتى أتى السماء
الثالثة فاستفتح فقبل من هذا قال
جبريل قبل ومن معك قال محمد
قبل أو قد أرسل إليه قال نعم قبل
من رحبائه ونعم الجي جاء قال ففتح لنا
فلما خلصت اذ يوسف عليه السلام
قال هذا يوسف قال فسلمت عليه فرد
السلام ثم قال من حببنا لابن الصالح
والتي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء
الرابعة فاستفتح فقبل من هذا قال
جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل
أو قد أرسل إليه قال نعم قبل من رحبائه
ونعم الجي جاء قال ففتح لنا فلما خلصت
فاذ ادريس عليه السلام قال هذا
ادريس قال فسلمت عليه فرد السلام
ثم قال من حببنا لابن الصالح والتي
الصالح قال ثم صعد حتى أتى السماء
الخامسة فاستفتح فقبل من هذا
قال جبريل قبل ومن معك قال
محمد قبل أو قد أرسل إليه قال نعم
قبل من رحبائه ونعم الجي جاء ففتح لنا
فلما خلصت فاذ اهرؤن عليه السلام

ثلاث عشرة سنة أو عشرين أو عشرين أو ثمانين سنة وقيل كانت النسخة في ذيلها أو كلها
وقيل في فيها وليس المراد انه نفع في فرجها نبشأ من آتي بن كعب قال فحمل روح عيسى
في صورة بشر فحملته قال حملت الذي خاطبها ادخل في فيما قيل ان وضعها كان متصلا بهذا
الجل من غير مضى مدة للعمل ويدل على ذلك قوله (فاستندت به مكانا قصيا) أي تحت بالجل
مصاحبة له واعتزلت إلى مكان بعيد من أهلها مخافة اللائمة فقبل كان هذا المكان وراء
الجل وقيل أبعد مكان في تلك الدار وقيل أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم وقيل انها
خلت به سبعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وذلك آية أخرى لانه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر
وقيل سبعة أشهر وقيل تسعة أشهر كحمل النساء وقيل كان الحمل والولادة في ساعة واحدة
وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومه وكانت
قد حاضت حين تن قبل أن تحمل بعيسى قلت وهذا التفصيل لا دليل عليه ولا مستدله
الأخبار الاخبار أو آراء الرجال ولو صرح من نص صحيح لوجب المصير اليه وكان آية أخرى
(فأجاءها) يقال أجاء وأجاء لغتان بمعنى واحد أي ألقاها واضطرها وجاءها وقرأ أسبل
فأجاءها من المفاجأة وفي مصحف أبي فلما أجاءها قال في الكشاف ان أجاءها منقول من جاء
الان استعمله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلقاء وفيه بعد والظاهر ان كل واحد من
القولين موضوع موضع مستعمل (الخصاض) أي وجع الولادة وهو مصدر شخص المرأة
تغض تخضا وتخاضا اذا ناولا ولذا قرأ الجمهور يرفع الميم وقرئ بكسرهما (الجدع
الخلج) الجدع ساق الخلج اليابسة التي لا رأس لها كأنها طلبت شيئا تستند اليه وتعتمد
عليه وتعلق به كما تعلق الخامل لشدة وجع الطلق بشيء مما يتجده عندها والعريف اما
الجنس أو للعهد والمستفيض المشهور ان ولادة عيسى كانت سبت لحم وانها لما هربت
وخافت عليه أسرعته وجاءته به إلى بيت المقدس فوضعت على صخرة فالتختضت
الصخرة له وصارت كلها سدهى الا ان موجوده تزار بهرم بيت المقدس ثم بعد أيام
توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه وهو اليوم الذي تتخذه النصارى عيدا ويسمونه
يوم الغطاس وهم يظنون ان المياه في ذلك اليوم مقدسة فلذلك يغطسون في كل ماء ومن
زعم انها ولدت بمصر قال بكوراة اناس ولم يثبت انتهى من البحر إلى حيان وانها س
بحباب الهندنا (قالت) جزعنا عما أصابها (يا ليتني لان المنادي غير عاقل ليتني مت قبل

قال هذا اهرؤن فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال من حببنا لابن الصالح والتي الصالح قال ثم صعد حتى أتى السماء
السادسة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل أو قد أرسل إليه قال نعم قبل من رحبائه ونعم الجي جاء ففتح لنا
فلما خلصت فاذ أناب عيسى عليه السلام قال هذا موسى عليه السلام فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال من حببنا لابن الصالح
والتي الصالح قال فلما تجاوزته بكى قبل له ما يتكبر قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمته
قال ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قبل أو قد بعث إليه قال نعم قبل من رحبائه

ونعم انجي مجاهد قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا ابراهيم عليه السلام فقال هذا ابراهيم فلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال
مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال ثم رقت الى سدة المتي قال فاذا تبقيها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان القبلة فقال
خذ هذه المتي قال واذا ربة انما ربحان باطنان وريحان ظاهران فقلت ما هذا يجبريل قال اما الباطن فتمنراني في الجنة واما
الظاهران فالنبل والفرايت قال ثم رفع الى البيت المعمور قال قتادة وحدهما الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً (١٤) ثم لا يعودون فيه ثم رجع الى حديث أنس قال ثم أتيت باناً من خبر وانما من

لبن وانما من غسل قال فاخذت المتي
قال هذه الفطرة انت عليها وأمتك
قال ثم فرضت على الصلاة خمسين
صلاة كل يوم قال فزنت حتى أتيت
موسى فقال ما فرض ربك علي
أمتك قال فقلت خمسين صلاة كل
يوم قال ان أمتك لا تستطيع
لخمسين صلاة واني قد خبرت الناس
قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد
المعالجة فارجع الى ربك فاسأله
التخفيف لا أمتك قال فرجعت
فوضع عني عشر قال فرجعت
الى موسى فقال بما أمرت قلت
بأربعين صلاة كل يوم قال ان أمتك
لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم
واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت
بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع
الى ربك فاسأله التخفيف لا أمتك
قال فرجعت فوضع عني عشر آخر
فرجعت الى موسى فقال بما أمرت
فقلت بأمرت بثلاثين صلاة قال
ان أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة
كل يوم واني قد خبرت الناس قبلك
وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة
فارجع الى ربك فاسأله التخفيف
لا أمتك قال فرجعت فوضع عني

(هذا) الوقت أو الامر تمت الموت استعفاء من الناس أو خوفاً من الفضيحة لانهم خافوا ان
يظن بهم السوء في دينها أو لا يقع قوم بسببها في البهتان (وكتبت نسيانسيا) أي شياً
حقير امتر وكوا والنسي في كلام العرب النسي الحقيق الذي من شأنه ان ينسى ولا يدرك ولا
يعرف ولا يتألم لفقد كالتودد والحبل وقال الفراء النسي ما تلقى المرأة من خرق اعتلاها
فقتول حر من نسيانسيا أي حصة مقلقة وقد قرئ بفتح النون وكسر هاو هما لغتان مثل
الحجر والحجر والوزر والوزر وقرأ انقرطى نساء بالهزم مع كسر النون ونوف البكالي بالهزم مع
فتح النون والنسي المتروك الذي لا يذكر ولا يعرف ولا يخطر ببال أحد من الناس قال ابن
عباس نسيانسيا أي لم أخلق ولم أشأ (فبادها) أي خاطبها المسمع قولها (من) قرئ
بكسر الميم وفخها وما سبعين (تحتها) الضمير اما ليم واما للخلعة والاول أولى لتوافق
الضميرين وكانت على أكمة وكان جبريل أسفل منها تحت الأكمة قال قتادة الذي ناداها
جبريل وبه قال ابن عباس وزاد ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها وقد اختلفت الروايات
عن السلف هل هذا المنادي هو جبريل أو عيسى فمن قرأ من بالفتح فهو عيسى ومن قرأ
بالكسر فهو جبريل (أن لا تحتزني) تفسير للتداعى والمعنى بان لا تحتزني على انهما مصدرية
ولا ناهية أو نافية (قد جعل ربك تحتك) أي قربك (سرياً) قال جمهور المفسرين السري
السر الصغير لان الماء سري وفيه والسري الجدول والجمع سر بان والسري الرئيس والجمع
سرة وهو عنز لا يكاد يوجد له نظير لانه لا يجمع فميسل على فعله وجمع السرة سرورات
وسرى مفعول وجعل بمعنى صبر واخلف وقيل السرى من سربت الثوب أي نزعت
وسررت الحبل عن الفرس والاول أولى والمعنى قد جعل تحت قدمك نهر اقليل كان هذا
قد انقطع عنه الماء فارسل الله فيه الماء ليم و أحى به ذلك الخزع البابس الذي اعتمدت
عليه حتى أوزق وأخر وقيل معنى تحتك تحت أمرك أي أن أمرته ان يجري جرى وان
أمره بالامساك أمتك والاول أولى وعن جماعة من التابعين ان المراد بالسرى هنا عيسى
والسرى العظيم من الرجال ومنه قولهم فلان سري أي عظيم ومن قوم سرة أي عظام
أخرج الطبراني وابن الجبار وابن مردويه عن ابن عمر انه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان السرى الذي في الآية نهر أخرجه الله للتشرب منه وفي سنده أئوب
ابن نعيم الجبلي قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال أبو

عشر آخر فرجعت الى موسى فقال بما أمرت قلت بعشرين من صلاة كل يوم فقال ان أمتك لا تستطيع
لعشرين من صلاة كل يوم واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لا أمتك
قال فرجعت فوضع عني عشر آخر فرجعت الى موسى فقال بما أمرت فقلت بعشرين صلوات كل يوم فقال ان أمتك
لا تستطيع لعشرين صلوات كل يوم واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف
لا أمتك قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما أمرت فقلت بأمرت بخمس صلوات كل يوم قال
ان أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم واني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك

فأسأله التخفيف لامتنع قال قلت قد سألت ربّي حتى استجبت ولكن ارضني وأسلم فنفذت فناداني مناد قد ارضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأخر جأه في الصبحين من حديث قتادة بنحوه رواية أنس عن أبي ذر قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي وأبجكت فترجل جبريل ففرج صدرى ثم فصله عازم ثم جاء بطست من ذهب مملئي حكمة وأياماً فأقرعته في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرجني إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء قال جبريل (١٥) لحازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل قال هل

معك أحد قال نعم معي محمد صلى الله عليه وسلم فقال أرسل الله قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على عتبة أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظرت قبل عينيه ضحك وإذا نظرت خلف شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم ينمه فأهل اليمن منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظرت عن يمينه ضحك وإذا نظرت خلف شماله بكى حتى عرجني إلى السماء الثانية فقال لحازن السماء افتح فقال له حازن ما مثل ما قال الأول ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وأبراهيم صلوات الله عليهم ولم ينبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وأبراهيم في السماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بالنبى قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت من هذا قال هذا ادريس ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت من هذا قال موسى

الفتح الأزدي متروك الحديث وقال الطبراني بعد أحراجه أنه غريب جدا (وهو زي اليك بمجمع النخلة) الهز التحريك يقال هزه فاهتز والباء مزيدة للتأكيد وقال الفراء العرب تقول هزه رهزه وبالحذع هو أسنل الشجرة قال قطرب كل خشبة في أصل شجرة تفهي جذع (تساقط عليك) أصله تساقط وقرى تسقط ويسقط فن قرأ بالقافية جعل الضمير للنخلة ومن قرأ بالتحسية جعله للجدع (رطباً جنياً) الجنى المأخوذ طرباً وقيل هو مطاب وصلح للجن وهو فعول أي رطباً طرباً طيباً قاله ابن عباس أي اتحق ان يحقني (فكسلي) من ذلك الرطب (واشربني) من ذلك الماء أو من عصير الرطب وقدم الاكل مع ان ذكر الثمر مقدم على الرطب لان احتياج النساء الى أكل الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء ثم قال (وقرى عيننا) قرأ الجهور بفتح القاف وقرى بكسر ها قال ابن جرير هي لغة نجد والمعنى طيبى نفساً وارضى عنك الحزن وهو مأخوذ من القرو والقررة وهما البرد والمسرور بارد القلب ساكن الجوارح وذلك ان العين اذا فرح صاحبها كان دمعها قاراً أي بارداً واذا حزنت كان دمعها حاراً ولذلك قالوا في الدعاء عليه أسخن الله عينه وقيل المعنى وقرى غنينا برؤية الولد الموهوب لك وقال الشيباني معناه نأى قال أبو عمر وأقرأ الله عينه أي أنام عينه واذهب سهره وقيل مأخوذ من الاستقرار أي أعطاها الله ما يسكن عينها فلا تطمح الى غيره (فاماترين) أصله تراءين مثل تسمعين (من البشر أحد افقولى) أي ان طلب منك الكلام أحد من الناس فقولى وبهذا المقدّر يخلص من اشكال وهو ان قولها فلن أكلم اليوم انسياً كلام فيكون ذلك تناقضاً لانها قد كتبت انسياً بهذا الكلام وقيل قوله فقولى أي بالاشارة وليس بشئ بل المعنى فلن أكلم اليوم انسياً بعد هذا الكلام قاله السمين (انى نذرت للرحمن صوماً) قيل المراد به الصوم الشرعى وهو الامساك عن المقطرات (١) والاولا ولى وفي قراءة أخرى صوماً حمة بالجمع بين اللفظين وكذا روى عن أنس وروى عنه الواو بينهما والذي عليه جهور المفسرين ان الصوم هنا الصمت ويدل عليه فلن أكلم اليوم انسياً كما سيأتى ومعنى الصوم في اللغة أوسع من المعنيين قال أبو عبيدة كل ممسك من طعام أو كلام أو سهر فهو صائم وقراءة أخرى تدل على ان المراد بالصوم هنا الصمت لانه تنسیر للصوم وقراءة أنس تدل على ان الصوم هنا غير الصمت كما يفيد الواو ومعنى (فلن أكلم اليوم انسياً) انما الاتكلم أحد من الانس بعد اخبارهم بهذا الخبر بل انما

ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح فقلت من هذا قال عيسى ثم مررت بأبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت من هذا قال هذا ابراهيم قال الزهري فأخبرني ابن حزم ان ابن عباس واباحبة الانصاري كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرج حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقدام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمّتي خمسين صلاة تزجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على امتك قلت فرض خمسين صلاة قال موسى فأرجع الى ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت فوضع شطره فارجعت الى موسى قلت وضع شطره فقال (١) قولوا والاول اولى لم يذكر الاول وأصل التركيب بعد قوله صوماً اي اسما كوا سكو تا وقيل المراد الخ فتأمل انه معجبه

ارجع الى ربك فان استك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها فرجعت اليه فقال ارجع الى ربك فان استك لا تطيق ذلك فراجعته
فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت الى موسى فقال ارجع الى ربك قالت قد استحييت من ربى ثم انطلق لي حتى
انتهى بي الى سدرة المنتهى وعندها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنان اللؤلؤ والزفير الماسك هذا النظم البخارى
في كتاب الصلاة وروا في ذكر بي اسرائيل وفي الحج وفي احاديث الانبياء من طرق آخر عن يونس بن وروا مسلم في صحيحه في كتاب
الايمان منه عن حمزة بن عمار عن ابن وهب عن يونس بن بشير (١٦) وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا شعاع عن قتادة عن عبد الله

ابن شقيق قال قلت لابي ذر لو رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لسأله
قال وما كنت تسأله قال كنت اسأله
هل رايت يه فقال اني قد سأله فقال
قد رايت يه نوراني اراه هكذا قد وقع
في رواية الامام احمد وغيره مسلم
في صحيحه عن ابي بكر بن ابي شيبة
عن وكيع عن يزيد بن ابراهيم عن
قتادة عن عبد الله بن شقيق عن ابي
ذر قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل رايت ربك قال نور
اني اراه وعن محمد بن يسار عن
معاذ بن هشام حدثنا عن قتادة
عن عبد الله بن شقيق قال قلت لابي
ذر لو رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسأله فقال عن أي شيء كنت
تسأله قال كنت اسأله هل رايت
ربك قال ابو ذر قد سألت فقال
رايت نوراً رواية أنس عن ابي بن
كعب الانصاري رضي الله عنه
قال عبد الله بن الامام احمد حدثنا
محمد بن اسحق بن محمد المسيبي
حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس
ابن يزيد قال قال ابن شهاب قال أنس
ابن مالك كان ابي بن كعب يحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل

تكلم الملايكة وتناجي ربهم ولما اطمأنت مرهم عليها السلام بما رايت من الآيات (فأنت
به) أي بعيسى (قومها حملة) أي أنت مصاحبه وكان اتيناها اليهم من المكان القصي
الذي اتيت فيه للوضع قيل في يوم الرضع وقيل بعد ان طهرت قال ابن عباس بعد أربعين
يوماً بعد ما تعالت من نفاسها فلما راوا الولاد معها حزوا وكانوا أهل بيت صالحين (قَالُوا)
منكر بذلك (يا هرير لقد جئت) أي فعلت وارتكبت (شيئاً فرباً) عيسى نادى اياه ابو
عبيدة وقال بحاجه القري العظيم أي من الامرية لفي الخير والشر وقال قطرب القري
الجليل من الاسقية أي جئت يا هرير بديع جديد لم تسبق اليه وقيل القري القطع أي شيئاً
قاطعا وخارفا للعادة التي هي الولادة بواسطة الاب وقال سعيد بن مسعدة القري المختلق
المشتعل والاسم الثرية ويقال قربت الجلود وأقربت جعنى واحد قطعتة والولد من الزنا
كاشئ المشتري قال تعالى ولا ياتين بهتان بغيره بين ايديهم وأرجلهم (يا أخت هرون)
هذا من كلامهم أيضاً وقد وقع الخلاف في معنى هذه الاخوة وفي هرون المذكور من هو
فقيل هو هرون أخو موسى والمعنى ان من كانت نظما مثل هرون في العبادة كيف تأتى
بمثل هذا وقيل كانت مرهم من ولده هرون أخي موسى فقيل لها يا أخت هرون كما يقال لمن
كان من العرب يا أخا العرب وقيل كان لها أخ من أبيها اسمه هرون وقيل هرون هذا رجل
صالح في ذلك الوقت شتهت به في عفتها وصلاحتها وقيل بل كان في ذلك الوقت رجلاً فاسق
اسمه هرون ففسدها اليه على جهة التمييز والتوبيخ حكاه ابن جرير ولم يسم قائلاً وهو
ضعيف وأخرج احمد ومسلم والترمذي والنسائي وعبد بن جرد وابن أبي شيبة وغيرهم عن
المغيرة بن شعبة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أهل نجران فقالوا رايت
ما تقول يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم
وهذا التنبيه النبوي يعني عن سائر ما روى عن السلف في ذلك (ما كان أبوك) أي عمران
(أمر أسوموما) أنت امك أي حنة (بقياً) هذا فيه تقرير لما تقدم من التمييز والتوبيخ
وتبديع على ان الفاحشة من ذرية الصالحين بما لا ينبغي ان تكون (فأشارت) أي مرهم
(اليه) أي الى عيسى أن كلموه وانما اكنفت بالاشارة ولم تأمر بها لانطق لانها نذرت للرجن
صوما عن الكلام كما تقدم هذا على تقدير انها كانت اذذاك في أيام نذرهما وعلى تقدير انها

جبريل ففرج صدرى ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملئى حكمة وايماناً فأفرغها في صدرى ثم أطبقه ثم أخذ
بيدي فخرج بي الى السماء فلما جاء السماء الدنيا أدار جل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فاذا انظر قبل يمينه تبسم واذا انظر قبل يساره
بكي فقال مرحباً بالتي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا حال هذا آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وعن شماله نسمة فيه
فاذا يمينه هم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله هم أهل النار فاذا انظر قبل يمينه ضحك واذا انظر قبل يساره بكى قال ثم خرج بي جبريل
حتى اتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها امثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال قال أنس قد كره انه وجد في السموات آدم

وادريس وموسى وابراهيم وعيسى ولم يثبت في كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم يادريس قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا ادريس قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال ابراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قلت من هذا قال ابراهيم فقال ابن شهاب واخبرني ابن حزم ان ابن عباس وآباءه الانصارى كانوا يقولون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عن جبري حتى ظهرت لمستوى أمهم صريف الاقدام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض الله على أمي تحسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى أمرت على موسى فقال موسى ماذا فرض ربك على أمك قلت فرض علي تحسين صلاة فقال لي موسى راجع ربك فان أمك لا تطيق ذلك قال فرجعت ربي فوضع شرطها فرجعت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فان أمك لا تطيق ذلك فرجعت فقال هي تحس وهي تحسون لا يبدل القول لدى قال فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي ثم قال انطلق بي حتى أتى سدره المنتهى قال فغشيها الوان ما أدرى ما هي قال ثم دخلت الجنة فاذ فيها جنابا للؤلؤ واذا ترابها المسك هكذا رواه عبد الله بن أحمد في مسنده أنه ليس هو في شيء من الكتب الستة وقد تقدم في

(١٧)

قد خرجت منها فيكون ان يقال ان اقتصارها على الاشارة للمبالغة في اظهار الآية العظيمة وان هذا المولود يقهم الاشارة وبقدر على العبارة (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) هذا الاستهزاء بالنكار والتعجب من اشارته الى ذلك المولود بان يكلمهم قال أبو عبيدة في الكلام حشو زائد والمعنى كيف نكلم صبيا في المهد وقال الزجاج الاجود ان يكون من في معنى الشرط والجزاء والمعنى من يكون في المهد صبيا فكيف نكلمه ووجه ابن الأثيري وقيل ان كان هنا التامة التي هي معنى الحدوث والوجود ويرد بانها لو كانت تامة لاستغنت عن الخبر وقيل انها معنى صار وقيل انها التاقصة على بابها من دلالتها على اقتران مضمون الجملة بالزمان الماضي من غير تعرض للانقطاع ولذلك يعبر عنها بانها تارادف لم يزل والمهد هو شيء معروف يتخذ لتسميم الصبي ولنظ القاموس المهد الموضع بهما للصبي وبوطأ والارض كالمهاد والجمع مهود انتهى وقيل هو هنا جحر الام وقيل سرير كالمهد والمعنى كيف نكلم من سبيله أن نؤم في المهد الصغرة فلما مع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم (قال الى عبد الله) فكان أول ما فطق به الاعتراض بالعبودية لله لا يتخذوه الها وفيه ازالة التهمة عن الام لان الله لم يخص بهذا المرتبة العظيمة من ولد في زنا ووصف نفسه بصنات ثمانية أولها العبودية وآخرها تأمين الله في أخوف المقامات (آتاني الكتاب) أي الانجيل (وجعلني نبيا) أي حكمي بآيات الكتاب والتسوية في الازل وان لم يكن قد نزل عليه في تلك الحال ولا قد صار نبيا وقيل انه آناه الكتاب وجعله نبيا في تلك الحال وهو بعيد جدا وعن أنس قال كان عيسى قد درس الانجيل وأحكامها في بطن أمه فذلك قوله آتاني الكتاب وهو أبعد وقال عكرمة قضي أنا كون كذلك ومثله قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وأدم بين الروح والجسد (وجعلني مباركا) البركة أصلها من بركت البعير والمعنى جعلني نبيا في دين الله (أيضا كنت) وقيل البركة الزيادة والعلو فكانه قال جعلني في جميع الاشياء زائدا عاليا متجها وقيل معنى المبارك النفع للعباد لانه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكاه والابرص ويرشد ويهدي وقيل المعلم للغير وقيل الامر بالمعروف الناهي عن المنكر وعن ابى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم قال جعلني نفاعا للناس أيضا التجته أخرجه الاسماعيلي في مجمعه وأبو نعيم في الحلية وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال معلم وموذي أخرجه ابن عدى وابن عساكر وأيضاً شريطة

(٣ - فتح البيان سادس) الصحيحين من طريق يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء فانه أعلم رتبة بريدة بن الحبيب الاسلمي قال الحافظ أبو بكر البرزنجي ثنا عبد الرحمن بن أبي المتوكل ويعقوب بن ابراهيم واللفظة قال حدثنا أبو عبيدة حدثنا الزبير بن جندب عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة أسرى بي قال فأتني جبريل الصخرة التي بيت المقدس قال فوضع أصبعه فيها فخرقه فأنشدهم البراق ثم قال البرزنجي رواه عن الزبير بن جندب إلا أبو عبيدة ولا نعلم هذا الحديث الا عن بريدة وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن ابراهيم الدورقي به

وقال غريب رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال الامام اجد حديثا يعقوب حدثنا أي عن صالح عن ابن شهاب قال قال
أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث الله سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبتني قريش حين أسرى بي إلى بيت
المقدس قلت في الخبر في بيت المقدس فطفقت أخبرهم وأنا أنظر إليه أخرجاه في الصبحين من طرق عن حديث الزهري
به وقال البيهقي حديثنا جابر بن الحسن القاضي حديثنا أبو العباس الأصم بن محمد الدوري حديثنا يعقوب بن ابراهيم حديثنا أي عن
صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال (١٨) سمعت سعيد بن المسيب يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهى

إلى بيت المقدس أتى فيه ابراهيم
وموسى وعيسى وأنه أتى بقدرتين
قدح من لبن وقدح من خمر فنظر
إليهما ثم أخذ قدح اللبن فقال
جبريل أصبت هـ دبت الفطرة لو
أخذت الخمر لغوت أمتك ثم رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
مكة فأخبر أنه أسرى به فافتن ناس
كثير كانوا قد صلو معه قال ابن
شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن
فتجوز أو كلمة نحوها ناس من قريش
إلى أبي بكر فقالوا هل لك في
صاحبك يزعم انه جاء إلى بيت
المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة
واحدة فقال أبو بكر أو قال ذلك
قالوا نعم قال فأنما أشهدت كان
قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدقه
في ان يأتي الشام في ليلة واحدة
ثم رجع إلى مكة قبل أن يصبح قال
نعم أنا أنصده بأبعد من ذلك أنصده
بغير السماء قال أبو سلمة فها سمى
أبو بكر الصديق قال أبو سلمة سمعت
جابر بن عبد الله يحدث انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لما كذبتني قريش حين
أسرى بي إلى بيت المقدس قلت

لا استفهامية وجوابها اما محذوف واما هو المتقدم عند من يرى ذلك (وأوصاني) أي
أمرني (بالصلاة والزكاة) أي بركة المال اذا ملكته أو تطهير النفس عن الرذائل في
الوقت المعين لهما وهو البلوغ والآن قولنا للمفسر بن والاول ولوى (مادمت حيا) أي
مدة دوام حياتي وهذه الافعال الماضية هي من باب تنزيل ما يقع منزلة الواقع تنبيها على
تحقق وقوعه ليكون قد سبق في القضاء المبرم وقيل المراد ان الله صبره حين انفصل عن
أمه بالغاء قال قال الخازن وهذا القول أظهر قلت بل أبعدو ويحتاج إلى مستدحج
ثابت (وبرأوا الدين) اقتصر على البرأوا منه لانه قد علم في تلك الحال انه لم يكن له أب وقرئ
برأبكر الباء اما على حذف مضى واما على انه مصدر ووصف به مبالغه (ولم يجعلني
جبارا شقيا) الجبار المتعظم الذي لا يرى لاحد عليه حقا والشيء العاصي له به وقيل
الغائب وقيل العاق وقال ابن عباس شقيا عصى أي بل أنا خاضع متواضع ومن تواضع
انه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكورا وروى انه قال قلبي لين وأنا
صغير في نفسي (والسلام) قال المفسرون هو هنا بمعنى السلامة أي الامان من الله (على)
والآلف واللام فيه العهد لانه قد تقدم لفظه في قوله و سلام عليه أي ذلك السلام الموجه
إلى يحيى موجه انه وقال الزمخشري والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضا باللعنة
على من همى مريم وأعدا لها من اليهود وتحقيقه ان اللام الجنس أي جنس السلام على
خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره والسلام على من أتبع الهدى (يوم ولدت) فلم
يضرني الشيطان في ذلك الوقت بالظعن ولا أغواني (ويوم أموت) أي ولا عند الموت
(ويوم أبث حيا) أي ولا عند البعث وانما خص هذه المواضع لكونها أخوف من غيرها
وهذا آخر كلامه فعلموا به ابراهمة لم يتكلم بعد هذا الكلام حتى بلغ المدة التي يتكلم
فيها الصبيان في العادة (ذلك) أي المتصف بالاوصاف الثمانية السابقة وقال الزجاج ذلك
الذي قال اني عبد الله (عيسى بن مريم) لامة قوله النصاري من أنه ابن الله وأنه اله
(قول الحق) قرئ بالنصب عن المدح أو على انه مصدر مؤكد لقال اني عبد الله قاله الزجاج
وقرئ بالرفع على انه نعت لعيسى قاله الكسائي وسمى قول الحق بكلمة الله والحق هو
الله عز وجل قاله قتادة وقال أبو حاتم المعنى هو قول الحق وقيل التقدير هذا الكلام قول
الحق وهو من باب اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق القين وقيل الاضافة للبيان

في الخبر في بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه رواية حذيفة بن اليمان قال
الامام اجد حديثنا أبو النضر حديثنا سليمان عن شيبان عن عاصم عن زر بن حبيش قال أتيت على حذيفة بن اليمان وهو يحدث
عن ليلة أسرى بعجمه صلى الله عليه وسلم وهو يقول فانطلقنا حتى أتينا على بيت المقدس فلم يدخله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلته وصلى فيه قال ما سمعنا يا صلح فأتى أعرف وجهك ولما أدري ما اسمك قال قلت أنا نازر بن حبيش قال فما
علمك بان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فيه ليلته قلت القرآن يخبرني بذلك قال فن تكلموا بالقرآن فليقرأ فقلت سبحان الذي

والاسترا بن فشربت اللبن وأبى الخمر فقال جبريل أصبت الفطرة فنقلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل ما رأيت في وجهك هذا قال فقلت فيمنا أنا أسير أذعناني داع عن عيني يا محمد انظري أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذاك داعي اليهود ما نك لأرجبته أو وقتت عليه ولم ودت أمتك قال فيمنا أنا أسير أذعناني داع عن يساري قال يا محمد انظري أسألك فلم أقم عليه قال ذاك داعي النصارى ما نك لأرجبته لتصرت أمتك قال فيمنا أنا أسير إذا أنا مراهمة حاسرة عن ذراعها عايل من كل زينة خلقتها الله تقول يا محمد انظري أسألك فلم أجبه ولم أقم (٢٠)

الدنيا على الآخرة قال ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منار كعتين ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تخرج عليه أرواح في آدم فلم تر الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا إلى السماء فأما يشق بصره طامحا إلى السماء عجب بالمعراج قال فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنوده مائة ألف ملك قال قال الله عز وجل وما يعلم جنود ربك إلا هو قال فاستفتح جبريل باب السماء فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد فقبل أو قد بعث إليه قال نعم فإذا أنا بآدم كهيته يوم خلقه الله عز وجل على صورته تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة أجمعوها في عابدين ثم تعرض عليه أرواح ذريته النجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة أجمعوها في سبعين فضيت هنية فإذا أنا باباخونة عليها السلام مشرح ليس بقرها أحد وإذا أنا

أوصاني بالصلاة وبآداب الله واليه ذهب القراء لم يذكركم غيره وقيل على الثاني عطف على قوله اني عبد الله وهو من البعد يمكن (رى وركبكم فاعبدوه) هذا من تمام كلام عيسى بدليل ما قلت لهم الامأمر تنى الآية (هنا صراط مستقيم) أى الذى ذكرته لكم من أنه ربي وربكم هو الطريق القيم الذى لا عوج فيه ولا بطل سالكه (فاختلف الأحزاب) أى اليهود والنصارى (من بينهم) أى فاختلفت الفرق من أهل الكتاب فى أمر عيسى فأفرطت النصارى وغلت وفرطت اليهود وقصرت ومن زائدة وقيل للتبعيض اذني منهم فرقة أخرى مؤمنة يقولون انه عبد الله كما تقدم (فو يلى للذين كفروا) وهم المختلفون فى أمره عبر عنهم بالموصول ايداناً بكفرهم جميعا وأشعارا بعلاله الحكم (من مشهد يوم عظيم) أى من شهود يوم القيامة وما يجري فيه من الحساب والحزاء والعقاب أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم وقيل المعنى فويل لهم من حضورهم المشهد العظيم الذى اجتمعوا فيه للتشاور (أسمع بهم وأبصر) قال أبو العباس العرب تقول هذا فى موضع النجب فيقولون أسمع بزيدا وأبصر به أى ما سمعته وأبصره فحجب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم منهم وقال السمين هذا لفظ أمر ومعناه النجب وقيل بل هو أمر حقيقة والمأمور هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أسمع الناس وأبصرهم بهم وبما هم وماذا تصنع بهم من العذاب وهو متقول عن أبى العالسة وقال ابن عباس يقول الكفار يومئذ أسمع شئ وأبصره وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون (يوم يا توتنا) الحساب والحزاء (لكن الظالمون) الاصل لكنهم وهو من اقامة الظاهر مقام الضمير للايدان بانهم فى ذلك الظالمون لانفسهم (اليوم) أى فى الدنيا (فى ضلال) أى خطأ (مبين) أى واضح ظاهر ولكنهم أغفلوا التفكر والاعتبار والنظر فى الآثار (وأندرهم) أى خوف يا محمد كفار مكة (يوم الحسرة) أى يوم تحسرون جميعا فالسعى يتعسر على اسائه والمحسن على عدم استكثاره من الخير وعن ابن عباس قال يوم الحسرة هو من أسماء يوم القيامة وقرأ ان تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وفى سند على بن أبى طغعة وهو ضعيف والآية التى استدلل بها ابن عباس لاتدل على المطلوب لا يعطابق ولا تضيق ولا التزام (اذقضى الامر) من الحساب وطويت الصحف وصار أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (وهى عقلة) أى غافلين عما يعمل بهم

والاسترا بن فشربت اللبن وأبى الخمر فقال جبريل أصبت الفطرة فنقلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل ما رأيت في وجهك هذا قال فقلت فيمنا أنا أسير أذعناني داع عن عيني يا محمد انظري أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذاك داعي اليهود ما نك لأرجبته أو وقتت عليه ولم ودت أمتك قال فيمنا أنا أسير أذعناني داع عن يساري قال يا محمد انظري أسألك فلم أقم عليه قال ذاك داعي النصارى ما نك لأرجبته لتصرت أمتك قال فيمنا أنا أسير إذا أنا مراهمة حاسرة عن ذراعها عايل من كل زينة خلقتها الله تقول يا محمد انظري أسألك فلم أجبه ولم أقم (٢٠)

بأخونة أخرى عليها السلام قد أروح وأنت عندها ناس يا كلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك يا توتنا الحرام وتبركون الحلال قال ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام مشاقرهم كشافز الابل قال فيفتح على أفواههم فيلقمهم من ذلك اللحم ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضحون الى الله عز وجل فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء من أمتك الذين يا كلون أموال النباى ظلمائا كانوا فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً قال ثم مضيت هنية فإذا أنا بنساء يعاقبن شديهن فسمعتهم يضحجن الى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من أمتك قال ثم مضيت

ونك

هنية فاذا انا باقوام بطونهم ائمال السيوت كلانض احدثهم تحرق قول اللهم لاتقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فجبى السابلة فقتلهم قال فسمعتم يضجون الى الله قال قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من ائتمسك الذين يا كلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنية فاذا انا باقوام يقطع من جنوبهم السم لهم فيلقمون فقال لكل كما كنت تأكل من لحم ائتيك قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من ائتمسك الهمازون قال ثم صعدنا الى السماء الثانية فاذا انا بربل احسن ما خلق الله عز وجل قد فضل الناس في الحسن (٢١) كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت

يا جبريل من هذا قال هذا اخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد على ثم صعدت الى السماء الثالثة فاستفتح فاذا انا بجي وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومه فسلمت عليهما وسلم عليا ثم صعدت الى السماء الرابعة فاذا انا بادريس قدر رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه وسلم علي قال ثم صعدت الى السماء الخامسة فاذا انا بهرون ونصف لحية بيضاء ونصفه قهاسودا تكاد لحية تصيب سرته من طولها قلت يا جبريل من هذا قال هذا المحب في قومه هذا هرون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ثم صعدت الى السماء السادسة فاذا انا بنوح بن نوح بن آدم كثير الشعر ولو كان عليه قبصان لنفذ شعره دون القبيص فاذا هو يقول يزعم الناس اني اكرم على الله من هذا بل هذا اكرم على الله مني قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا اخوك موسي بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا انا بينا ابراهيم خليل الرحمن سائدا ظهرو

وتلك الحال متضمنة للتعليل أي انذرهم لانهم في حالة يحتاجون فيها الى الانذار وهي الغفلة والكفر (وهم لا يؤمنون) به آخر ج البخاري وسلم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاملون كما أنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرّبون وينظرون اليه فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرّبون وينظرون اليه فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيؤمن به فيذبح ويقال يا أهل الجنة خلاد فلاموت ويا أهل النار خلاد فلاموت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأندرههم يوم الحسرة الآية وأشار بيده فقال أهل الدنيا غفلة وآخر ج النسائي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه (الناخن) تأكيد للضمير في انا لا بمعناه (ثرت الارض) أي غبت سكانها فلا يبقى بها احد برث الاموات فكانت سبعا ثورث الارض (ومن عليا) حيث امامتهم جميعا (والسبا يرجعون) أي يردون اليها يوم القيامة فينجازي كل ابعده وقد تقدم مثل هذا في سورة الحجر (واذكر) لكفار مكة (في الكتاب ابراهيم) أي خبره المار ايد كذا الرسول اما في الكتاب ان يلو ذلك على التام كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم قالر ادم اذكر كروا فالذا كرهه الله في كايه وعاش ابراهيم من العمر مائة وخمسة وسبعين سنة وبينه وبين آدم ألفا سنة وبينه وبين نوح ألف سنة ذكره السموطي في التخيير (انه كان صديقا نبيا) نعليل لما تقدم من الامر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يذكره وهي معترضة ما بين البذل والمجدل منه والصدق كثير الصدق بليغة أي اذكر ابراهيم الجامع لهذين الوصفين ولما ثبت ان كل نبي يجب ان يكون صديقا ولا يجب في كل صدق ان يكون نبيا ظهر بهذا قرب مرتبة الصديق من مرتبة النبي فلهذا الانتقال من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا (اذ قال لايه) بدل اشتمال من ابراهيم وتعليق الذكري بالوقت مع ان المقصود ذكر كبير ما وقع فيه من الحوادث للمبالغة وايوا ابراهيم هو آخر جعي لما تقدم تقريره (بابت) التاء عوض عن الياء ولهذا لا يجتمعان (لم تعبد) الاستهزاء لا لتكوار والتوبيخ لاي شيء ولا يسيب تعبد (مالا يسمع) ما تقول من التمساع عليه والتمساع (ولا يصير) ما تفعله من عبادة ومن الافعال التي تفعلها من بداهة الثواب ويجوز ان يحول في السمع والابصار على ما هو اعم

الى البيت المعمور كما حسن رجل قلت يا جبريل من هذا قال هذا ابلوك ابراهيم خليل الرحمن ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي واذا انا بامتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كانوا القراطيس وشطر عليهم ثياب سود قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدمهم على خيبر فصليت انا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت انا ومن معي قال والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف مرة لا يعودون اليه الى اليوم القيامة قال ثم رفعت الى سدة المنهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الامة واذا فيها عين تجري يقال لها اسبيل فينتقي منها نهران احدهما الكوثر

والأشهر يقال به الرحمة فاعتزلت فيه فقهر لي ما تقدم من ذي ومائتا ثم اني رفعت الى الجنة فاستقبلني جارية فقلت لمن انت يا جارية قالت لربك جارية واذا ما نزل من مناعبر آس من وائم ارض من لمن يتغير طعمه وائم ارض من خزانة للشاربين وائم ارض من عسل مضى واذا زارها كلاله اعظم واذا انا بطركا ثم اجتكم هذه فقال عند حاصلي الله عليه وسلم ان الله تعالى قد اعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أدن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال عرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لا كثر اثم أغلقت (٢٢) دولتي ثم اني رفعت الى سدرة المنتهى فتشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين

وأدنى قال ونزل على كل ورفقتها ملك من الملائكة قال وفرضت على جنود صلاة وقال للرب كل حسنة عشر فاذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتب لك حسنة فاذا علمتها كتبت لك عشر او اذا هممت بالسئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فان علمتها كتبت عليك سئة واحدة ثم رجعت الى موسى فقال فبأمر ربك ربك قلت بخمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فان امكنك ان تطيق ذلك ومضى لا تكفر (٣) فرجعت الى ربى فقلت يا رب خفف عن أمي فانها أضعف الامم فوضع عني عشر وجعلها أربعين فارتأت أختلف بين موسى وربي تكلمت أنت عليه قال لي مثل مقاتل حتى رجعت اليه فقال لي بما أمرت فقلت أمرت بعشر صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت الى ربى فقلت اي رب خفف عن أمي فانها أضعف الامم فوضع عني تسعا وجعلها خمسا فناداني ملك عندها فتمت فريضتي وخففت عن عبادي وأعطيتم بكل حسنة

عشر أمنا لما رجعت الى موسى فقال بما أمرت فقلت بخمسين صلوات قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فانه انحر لا يؤده شيء فاسأله التخفيف لامتك فقلت رجعت الى ربى حتى استجيت ثم أصبح عكة يخبرهم بالأعاجيب اني أتيت البارحة بيت المقدس وعرجت الى السماء ورأيت كذا وكذا فقال اوجعل يعني ابن هشام الاتعمون بما قال محمد بن عيسى انه قال البارحة بيت المقدس ثم أصبح فينا واحدنا يضرب مطسة مصعدة شهر او مقبله شهر افهذه مسرة شهر بن في ليلة واحدة قال فأخبرهم بغير لقريش لما كانت في مدي رأيت في مكان كذا وكذا وانما انقروا فلما رجعت وجدت عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبعده كذا وكذا ومناعه كذا وكذا فقال اوجعل يخبرنا بأشياء فقال لرجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيئته وكيف

قربه من الجبل قال فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقدده فنظر اليه كمنظر أحدنا الى بيته قال سأوه كذا وكذا
 وهيئته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الاخر صدقت فرفع اليهم فقال صدق محمد فيما قال وأنحو من هذا الكلام
 وكذا رواه الامام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الاعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي هريرة العبدى وعن الحسن
 ابن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة العبدى به ورواه أيضا عن حديث ابن اسحق حدثني روح بن القاسم عن أبي
 هريرة به نحو سياقه المتقدم ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحد بن (٢٣) عبد الله عن أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن

عبد الله عن أبي هريرة العبدى
 عن أبي سعيد الخدري فذكره
 بسياق طويل حسن أتيت أجود
 مما ساقه غيره على غرابه وما فيه من
 النكارة ثم ذكره البيهقي أيضا من
 رواية روح بن قيس الخداني وهشيم
 ومعمر عن أبي هريرة العبدى
 واسمه عمار بن جوين وهو مضعف
 عند الأئمة وإنما ساقنا حديثه ههنا
 لما فيه من الشواهد لغيره ولما رواه
 البيهقي أخبرنا الامام أبو عثمان
 اسمعيل بن عبد الرحمن أن أبا
 نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار
 حدثنا أبو حامد بن بلال حدثنا أبو
 الأزهر بن يمين بن أبي حكيم قال رأيت
 في النور رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قلت يا رسول الله رحل من
 أمسك يقال له سفيان الثوري
 لأبأس به فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لأبأس حدثنا عن أبي
 هريرة العبدى عن أبي سعيد
 الخدري عنك ليلة أسري بك قلت
 رأيت في السماء نخله بالخديث
 فقال لي نعم فقلت له يا رسول الله إن
 ناسا من أممك يحدون عنك في
 السرى بهما تب فقال لي ذاك

الخبر على المبتدأ وصدوره بمهزة الاستقهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب ولا تكرر نفس
 الرغبة كأنهما لا يرغب عنها عاقل والمعنى أم عرض أنت عن ذلك ومنصرف الى غيره ثم
 توعدوه وهدده فقال (لئن لم تنته) عن مقال تلك فيها أو الرغبة عنها واللام للقسم (لا رجلك)
 بأجارة حتى تقوت وقيل باللسان فيكون معناه لا شتمتك قاله ابن عباس وقيل معناه
 لأضربك وقيل لا بعدنك عني بالقول القبيح وقيل لا تظهرن أمرك فأحذرنى (واهجرتي
 ميا) أي زمانا طويلا وقال ابن عباس حينما قال الكسافي يقال هجرة مليا وملاوة وملاوة
 بمعنى الملاوة من الزمان وهو الطويل وقيل معناه اعتزلي سالم العرض سويلا تصيبك منى
 معرفة واختار هذا ابن جرير وعن ابن عباس قال اجتنبني سويلا واجتنبني سألما قبل أن
 تصيبك منى عقوبة وعن عكرمة لم يداهروا عن قتادة سالموا عن الحسن منسلة فلما رأى
 إبراهيم اصرا أبيه على العناد (قال سلام عليك) أي تحية توديع ودقا طاعة ومشاركة
 كقوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقيل معناه أمنة مني لك قاله ابن جرير وإنما
 أمنه مع كرهه لأنه لم يؤمر بقتاله والاول وأولى وبه قال الجهم وروى قيل معناه الدعاء بالسلامة
 استمالة له ورقابه وهذا في مقابلة قوله لئن لم تنته وهذا مقابلة للشيء بالحسن ثم وعدوه
 بأن يطالبه بالمغفرة من الله سبحانه قاله وطمعاني لئنه وذهاب قسوته
 والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه

فقال (سأستغفر لك ربي) وكان منه هذا الوعد قبل أن يعلم أنه عوف على كفه ومتحقق عليه
 الكلمة ولهذا قال الله سبحانه في موضع آخر فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه بعد قوله
 وما كان استغفارا إبراهيم لبيه الا عن موعدة وعدها اياه وقيل المراد بالاستغفاره له طلب
 توفيقه للايمان الموجب للمغفرة أي سأسال لك ربي توبة تنال بها المغفرة يعنى الاسلام
 والاستغفارا للكافر بهذا الوجه جائز كأنه يقول اللهم وفقه للاسلام وتب عليه واهده
 قاله الكرخي والصحيح هو الاول (أنه كان في حفا) لتعليل لما قبلها والمعنى سأطلب لك
 المغفرة من الله فإنه كان في كثير البر والالطاف يقال حتى به ويحتمل إذا بره قال الكسافي
 يقال حتى في حفاوة وحفاوة أي اعتنى بي وبالغ في اكرامى والطافى وقال القرطبي اى
 عالمنا لظننا يجيبني اذا دعوته وبه قال ابن عباس والحفي ايضا المستقصى في السؤال ومنه
 كأنك حتى عنها ثم صرح الخليل بما تضمنه سلامه من التوديع والمشاركة فقال

حديث القصاص رواية شداد بن اوس قال الامام ابو اسمعيل محمد بن اسمعيل الترمذي حدثنا اسحق بن ابراهيم بن العلام بن
 الضحالة الزبيدي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سلام الاشعري عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي حدثنا الوليد بن عبد
 الرحمن بن جبير بن نفير حدثنا شداد بن اوس قال قلنا يا رسول الله كيف أسرى بك قال صليت لاصحابي صلاة العدة بحكم معققاتا ناني
 جبريل عليه السلام بداهة أبيض أو قال بياض فوق الجار ودون البغل فقال اركب فاستعصب علي فزارها بانها ثم جلني عليها
 فانطلقت تهوى بينا يقع سافر حاجب انتهى طرفها حتى بلغنا أرضا ذات نخيل فانزلني فقال صل فصليت ثم ركبت فقال أنت ترى أين

صليت قلت الله أعلم قال صليت شرب صليت بطيخة فانطلقت ثم وى سافق حافر ها عند منتهى طرفه اثم بلغنا أرضا قال انزل ثم قال حل فصليت ثم ركنا فقال ان ادري أين صليت قلت الله أعلم قال صليت بعد من صليت عند شجرة موسى ثم انطلقت ثم وى سافق حافر ها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضا بيت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركنا فقال ان ادري أين صليت قلت الله أعلم قال صليت سبط لحم حيث ولد عيسى المسيح بن مريم ثم اطلقني حتى دخلنا المدينة من بابها العياشي فأتى قسيلة المسجد فبطيخة دأته ودخلنا المسجد (٢٤) من باب عيل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله

(وأعزلكم وما تدعون من دون الله) أي اهلجروني عنكم وعن معبوداتكم حيث لم تقبلوا نصي ولا تلتفت فيكم دعوتي وهذا في مقابلة قوله واخبرني مليا (وأدعوري) وحده (عسى أن لا أكون بدعا مني شقيا) أي خائبا كما تشقيع عبادة الاوثان وقيل عاصيا قيل ارا هذا الدعاء وان شرب الله ولدا واهلا يستأنس بهم في اعتزاله ويطمئن اليهم عند وحشته وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والا نابة تنفصل منه تعالى غير واجبين وان فلاك الامر خاتمة وهو غيب وقيل اراد دعاءه لا يسه بالهداية وعسى للسلب لانه كان لا يدري أي سيجاب له فيه ام لا ر الاول اولى لقوله (فلما أعزلكم وما يعبدون من دون الله) أي بان ذهب مهاجرا من بابل او كوفي الى الارض المقدسة (وهيئنا له اسحق ويعقوب) أي جعلنا هذين الموهوبين له اهلا وولدا بديل الاهل الذين فارقه من بابل ما هو هذا يقتضي انه عاش حتى رأى يعقوب وهو كذلك كما مررت الاشارة اليه في قوله فيشرنا هاهنا اسحق ومن وراء اسحق يعقوب وخصه ههنا لانه سيدكم اسمعيل بقضائه مفردا قال ابن عباس وهيئنا له اسحق وابنا يعقوب ابن ابنة (وكلا) مفعول لجعلنا قدم عليه للتخصيص لكن بالنسبة اليهم أنفسهم لا بالنسبة الى من عبداهم أي كل واحد منهم (جعلنا نبيا) لا بعضهم دون بعض (وهيئنا لهم من رجنا) أي الثلاثة بأن جعلناهم أنبياء موزكر هذا بعد التصريح بجعلناهم أنبياء لبيان ان النبوة هي من باب الرحمة وقيل المراد بالرحمة هنا المال وسعة الرزق وقيل كرامة الاولاد وقيل الكتاب ولا يبعد ان يندرج تحتها جميع هذه الامور ومن التبعه من (فجعلنا لهم لسان صدق عنا) أي الشاه الحسن قاله ابن عباس عبر عنه باللسان ليكون له جدي كعابر باليد عن العظة واضافه الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على انهم اخفاه عما يقال فيهم من الشائعات على اللسان العباد في اللسان مجاز مرسل من اطلاق اسم الالة واراد ما ينشأ منها والمعنى وجعلنا لهم ثناء صادقا فيهم الامم كلها الى يوم القيامة بما لهم من الخصال المرضية ويصلون على ابراهيم وعلى آله الى قيام الساعة وهذا نوع لكفاركم اذ كان مقتضى ترضيهم وثناهم على المذكورين ان يتبعوهم في الدين مع انهم لم يفعلوا ثم في الله سبحانه قصصا براهم بقصة موسى لانه تالوف في الشرف وقدمه على اسمعيل لثلاثه يفضل بهه وبين ذكره يعقوب فقال (واذ كرفي الكتاب) أي واقرأ عليهم من القرآن قصة (موسى انه كان مخلصا) بفتح اللام أي

وأخذني من العرش أشد ما أخذني فأتيت بآبائني في أحد ههنا وفي الآخر غسل أرسل الى ههنا جميعا فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرق به جيني وبين يدي شيخ مسكين على منواله فقلل أخذ صاحبك الفطره انه لم يدي ثم اطلقني حتى أتينا الوادي فاذا جهنم (٣) عن مثل الزباني قلت يا رسول الله كيف وجدتها قال وجدتها مثل الجنة المسخنة ثم انصرف في فرجنا عبر لقرين عكان كذا وكذا فادأضوا بعبراهم قد جعفلان فليت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أحماني قبل الصبح عكة فاناني أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمسك في مظانك فقال علمت اني أتيت بيت المقدس من الليلة فقال يا رسول الله انه مسير شهر فصغله قال ففتح لي ضراط كافي النظر اليه لا يسألني عن شيء الا سألته به فقال أبو بكر أشهد انك رسول الله وقال المشركون انظروا الى ابن أبي كبشة يزعم انه أتى بيت المقدس الليلة قال فقال

جعلناه

ان من آية ما أقول لكم اني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراهم فجمعنا لهم فلان وان مسيرهم يتزلون بكذا ثم تكذا وياؤكم يوم كذا وكذا فقد هم جعل آدم عليه مسح اسود وعرازان اسودا وان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس يتطرون حين كان قريبا من نصف النهار حتى اقبلت العير يقدهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا رواه البيهقي من طريقين عن ابي اسمعيل الترمذي ثم قال بعد دعائه هذا استناد صحيح وروى ذلك يعقوبان احاديث غيره ونحن نذكر من ذلك ان شاء الله ما حضرنا من اساق احاديث كثيرة في الاسراء كالشاهد لهذا (٢) عن مثل الزباني كذا بالاصل وسر الرواية اه

الحديث وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الامام أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن ابي حنيفة
 ابراهيم بن العلاء الزبيدي به ولا شك ان هذا الحديث أعنى الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح
 كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منككر كالصلاة في بيت لحم وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم رواية عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهما قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جابر بن عريضة قال حدثنا ابن عباس قال ليلة
 أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الجنة فسمع في جانبها وخشفا قال (٢٥) يا جبريل ما هذا قال هذا بلابل المؤمن فقال

النبي صلى الله عليه وسلم حين جاء
 الى الناس قد أفلح بلابل رأيت له
 كذا وكذا قال فلقبه موسى عليه
 السلام فرحب به وقال مر جبابني
 الامي قال وهو رجل آدم طويل
 سبط شعره مع أذنيه أوفوقهما
 فقال من هذا يا جبريل قال هذا
 موسى قال فغضب فلقبه شيخ حليل
 متعيب فرحب به وسلم عليه وكلمهم
 بسلام عليه قال من هذا يا جبريل
 قال هذا أبو بكر ابراهيم قال ونظر
 في النار فاذا قوم يأكلون الخبث
 قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء
 الذين يأكلون لحوم الناس ورأى
 رجلاً جراً زرقاً قال من هذا
 يا جبريل قال هذا عاقراً الناقة قال
 فلما أتى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم المسجد الأقصى قام يصلي
 فاذا النبيون أجمعون يصلون معه
 فلما انصرف جىء بقدر حنظل أحدهما
 عن اليمن والاخر عن الشمال
 في أحدهما لبن وفي الاخر عسل
 فأخذ اللبن فشرب منه فقال
 الذي كان معه القسوح أصعبت
 القطرة اسناداً صحيح ولم يخرجه
 طريق آخر قال الامام أحمد حدثنا
 حسن حدثنا ثابت ابو زيد حدثنا

جعلناه مختاراً أو أخلصناه وقري بكسر عا أي أخلص العباد والتوحيد لله غير مرء الله عباد
 (و) انه (كان رسولاً نبياً) أي أرسله الله الى عباده فأبأنهم عن الله بشراثة التي شرعها لهم
 فهذا وجه ذكر النبي بعد الرسول مع استلزام الرسالة للنسوة كانه أرا داراً رسول معناه
 اللغوي لا الشرعي والله أعلم وقال النسب ابو روي الرسول النبي الذي معه كتاب النبي
 الذي نبى عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم قبل الاخص الا
 ان رعاية الفواصل اقتضت عكس ذلك كقوله في طه رب هرون وموسى قال مجاهد النبي
 هو الذي يكلمهم وينزل عليه ولا يرسل وفي انظر الانبياء الذين ليسوا برسل يوحى الى أحدهم
 ولا يرسل الى أحد والرسول الانبياء الذين يوحى اليهم ويرسلون (وفادياته) أي كلفناه كما في
 سورة القصص في قوله فلما أتاهم نادى من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة من
 الشجرة أن يا موسى أنى أتاك الرب العالمين (من جانب الطور الايمن) أي من ناحيته اليمنى
 وهو جبل بين مصر ومدين اسمه زير ومعنى الايمن انه كان ذلك الجانب عن يمين موسى
 حين أقبل من مدين متوجهاً الى مصر فان الشجرة كانت في ذلك الجانب والنداء وقع منها
 وليس المراد ان الجبل نفسه فان الجبال الايمن لها ولا شمال وقيل معنى الايمن الميئون
 ومعنى النداء انه تم له الكلام من ذلك الجانب قال قتادة جانب الجبل الايمن وهذا
 صريح في ان المراد بالطور هو الذي عند بيت المقدس لا الطور الذي عند السويس لانه
 يكون على يسار المتوجه من مدين الى مصر كما هو محسوس (وقرناهم نجياً) أي أدنيتاه
 بتقريب المترلة حتى كلفناه والنجى بمعنى المنجى كالجليس والنديم فالتقريب هنا هو
 تقرب التشريف والاكرام مثلت حاله بحال من قربه الملك لما جاته قال الزجاج قربه
 منه في المترلة حتى سمع مناجاته وقيل ان الله سبحانه رفعه حتى سمع صريه القلم روى هذا
 عن بعض السلف به قال أبو العلاء القوروى فحوم عن جماعة من التابعين قال ابن عباس
 حتى سمع صريه القلم يكتب في اللوح المحفوظ وأخرجه الديلمي عنه مرفوعاً قال قتادة
 في النجاشي بضدقه (ووهبنا لمن رجتم) أي من نعمتنا وفي من هذه وجهان أحدهما
 انه تعليمية أي من أجل رجتمنا والثاني انها تبعيضية أي بعض رجتمنا (أخاه هرون نبيا)
 وذلك حين سأل ربه وقال واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أتى قال ابن عباس كان هرون
 أكبر من موسى بأربع سنين ولكن اغناوه بنبوته (واذكر في الكتاب اسمعيل انه

(٤ - فتح البيان سادس) هلال حدثني عكرمة عن ابن عباس قال أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس ثم جاء
 من ليلته فحدثهم بمسرد وبعلامه بيت المقدس وبعبرهم فقال ناس نحن لانصدق محمد ابنا يقول فارتدوا وكفار فاضرب الله رقابهم
 مع أبي جهل وقال أبو جهل نحن فوجنا محمد بشجرة الزقوم هاؤا اترؤبدا اترؤوا رأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس رؤيا منام
 وعيسى وموسى وابراهيم وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدجال فقال رأيت في المنام أقره جناناً احدى عينيه قائمة كأنها
 كوكب دري كأن شعر رأسه أعصان شجرة ورأيت عيسى عليه السلام أبيض جعد الرأس حديد البصر مبطن الخلق ورأيت

موسى عليه السلام أمحم آدم كثير الشعر شديد الخلق ونظرت الى ابراهيم عليه السلام فلم انظر الى ارب منه الا نظرت اليه منى حتى
كانت انصاحكم قال جبريل سلم على أهلك فقلت عليه ورواه النسائي من حديث ابى زيد ثابت ابن ربيعة عن هلال وهو ابن حبان به
وهو اسناد صحيح طريق أخرى وقال البيهقي انبأنا أبو عبد الله الحافظ انبأنا أبو بكر الشافعي انبأنا اسحق بن الحسن حدثنا الحسين
ابن محمد حدثنا شيبان عن قتادة عن أبي العالفة حدثنا ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأيت ليلة أسرى في موسى بن عمران رجلا (٢٦) طوا الأبعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم مربوع الخلق

الى الحجر والبياض سبط الرأس
ومال الكاخران النار والدجال في آيات
أراهن الله اياه قال فلا تكن
في مربة من لقائه فكان قتادة
يفسر ها هنا نبي الله قد ادق موسى
صلى الله عليه وسلم وجعلناه
هدى لبني اسرائيل قال جعل الله
موسى هدى لبني اسرائيل رواه
مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد
عن ابن ريس بن محمد عن شيبان
وأخرجه من حديث شعبة عن
قتادة مختصرا طريق أخرى قال
جاء بن سلمة عن عطاء بن السائب
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما أسرى بي مرت بي ربيعة
طيبة فقلت ما هذه الربيعة قال
ما شطة بنت فرعون وأولادها
سقط المشط من يدها فقالت بسم
الله نقالت بنت فرعون أنى قالت
رى وربك ورب أهلك قالت
أولئك رب غير أبى قالت نعم رى
وربك ورب أهلك الله قال فدعاها
فقال ألك رب غيرى قالت نعم رى
وربك الله عز وجل قال فأمر بشرة
من نخاس فأجيت ثم أمرهم باللقى
فها قالت ان لى أهلك حاجة قال

كان صادق الوعد ووصف الله سبحانه اسمعيل بصدق الوعد مع كون جميع الانبياء كذلك
لانه كان مشهورا بذلك مبالغة فيه وانه وعد الصبر من نفسه على الذبح فوفى بذلك
وكان ينتظر ان وعد الله بالام والى الى حتى قيل انه انتظر لبعض من وعده حولا
والمراد باسمعيل هاهنا هو اسمعيل بن ابراهيم ولم يخاف في ذلك الامن لا بعصده بقال هو
اسمعيل بن حرقيل بعنه الله الى قومه فسنخو اجلده رأسه فخره الله فيما شاء من عذابهم
ونوابه فاستعفاه ورضى بشوابه (وكان رسول انبيا) قد استدل به هذا على ان الرسول لا يجب
ان يكون صاحب شربة فان أولاد ابراهيم كانوا على شريعتهم وقيل انه وصفه بالرسالة
لكون ابراهيم أرسله الى جرهم وهم قبيلة من عرب الجن نزولوا على هاجر أم اسمعيل بوادى
مكة (وكان يأمر أهله) المراد بها أمته وقيل جرهم وقيل عشيرته كما في قوله وأند
عشيرتك الاقربين والمراد (بالصلاة والركعة) هناهما العبادتان الشرعيتان ويجوز أن
يراد معناهما اللغوي (وكان عنده مريضيا) أى رضيا كما صالحو والمعنى فأعانه الله
بطاعته وقيل رضيه لبشورته ورسالته وهذا نهاية في المدح لان المرضى عند الله هو الفائز
فى كل طاعة بأعلى الدرجات قال القراء والكسائي من قال مرضى بنى على رضى قال
وأهل الخبايا يقولون مرضوا (واذكر في الكتاب ادريس) هو ابن شيث بن آدم لصلبه أفاذه
السيموطى فى التفسير واسمه اخنوخ فقبل هو خنوخ فان نوحا هو ابن ملك من متوشلح بن
خنوخ وعلى هذا فيكون جد أبى نوح ذكره التعليل وغيره وقد قيل ان هذا خطأ وامتناع
ادريس للجملة والعلمية وقولهم سمي به لكثرة دراسته الكتب لا يصح لانه لو كان افعيلا من
الدرس لم يكن فيه الاسباب واحده هو العلمية وكان منصرفا وهو أول مرسل بعد آدم عليه
السلام وأول من أعطى النبوة من بنى آدم وأول من خط بالقلم ونظر فى النجوم والحساب
وأول من خاط الثياب وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار (الله كان صدق انبيا)
وذلك ان الله شرفه بالنبوة وأرسل عليه ثلاثين صحيفة وقد اختلف فى معنى قوله (ورفعناه
مكنا عاليا) فقيل ان الله رفعه الى السماء الاربعة وقيل الى السادسة وقيل الى السابعة وقد
روى البخارى فى صحيحه من حديث الاسرا وفيه ومنهم ادريس فى المائة وهو غلط من
رواية شريك بن عبد الله بن أبى غرر الصحيح انه فى السماء الاربعة كما رواه مسلم فى صحيحه
من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ان المراد برفعه ما أعظمه

ماهى قالت تجمع عظامى وعظام ولدى فى موضع قال ذلك لما لك علينا من الحق قال أمرهم بهم فالتقوا واحدا
واحدا حتى بلغ رضيعا فيهم فقال يا أمهاتى ولا تقاعسى فانك على الحق قال وتكلم أربعة فى المهد وهم صغار هذا وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام اسنادا لا بأس به ولم يخرجوه طريق أخرى قال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر
وروح بن المعنى فالاحد ثنا عوف عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة أسرى بي
فأصعبت بكمة فظنعت زعفران الناس مكنتني فتقدمت لآخرين يتأفرونه عدو الله أبو جهل فجأحتني فجلس اليه فقال له كالمسيهزى

وفيه غرابة وذلك فيارواد الحسن ابن عرفة في برزخه اللهم ورحمته شاعر وان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التميمي حدثنا ابو طليان الجني قال كان جاسوسا عند أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسا فقال محمد بن سعد لابن عبيدة حدثنا عن أبيك لئن أمرني بمحمد صلى الله عليه وسلم لقلل فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا عن أبيك فقال محمد لجاسوس اتني قبل ان أسألك لانه قلت قال فانشأ أبو عبيدة يحدث يعني عن أبيه كما سئل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني جبريل ابداة فوق الحمار ودون البعل فحدثني عليه ثم انطلق يهوى بنا (٢٨) فكان صدقة استوت رجلاه كذلك مع يديه واذهاط استوت يدها مع رجليه

وبقوله اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى قال السدي هذه تسمية الانبياء الذين ذكرهم آدم ذرية آدم قادر يس ونوح وأما من ذرية من حمل مع نوح قابراهيم وأما ذرية ابراهيم فاسماعيل واسحق ويعقوب وأما ذرية اسرائيل فموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى لانهم من ذريته (وعن هدينا) أي من جلالته هدينا الى الاسلام (واجبتينا) بالايان وقيل على الانام وهذا آخر الصفات والتقدير والكايتين من هدينا الخ واعلم انه تعالى أنشئ على كل واحد من تقدم ذكره من الانبياء بما يخص من التثنية ثم جمعهم آخر افعال أولئك الخ فرب تعالى أحوال الانبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على انهم كقضاوا باعناهم فلهم منزلة في الفضل بولايتهم من هؤلاء الانبياء ثم بين انهم من هدينا واجبتينا منها بذلك على انهم خصوصا بهذه المنازل لهذا به الله لهم ولانه اختارهم للرسالة (اذا سئل عليهم آيات الرحمن خروا وسجدوا وبكبا) وهذا خبر لا أولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الذين انعم الله عليهم وهذا استئناف لبیان خشوعهم لله وخشيتهم منه والسجدوا البكي جمع ساجدا قياسا وبالك على غير قياس وقباسة بكاة كقاض وقضاة وقد تقدم في سبحان بيان معنى خروا وسجدوا يقال بكى بكى بكاء وبكيا قال الخليل اذا قصرت البكاء فهو مثل الحزن أي ليس معه صوت ومنه قول الشاعر
بكت عيني وحق لها بكاء * وما يغني البكاء ولا الهويل

قال الزجاج قد بين الله ان الانبياء كانوا اذا سمعوا آيات الله بكوا وسجدوا وخضعوا وخشعوا وخوفوا وحذروا والمراد من الآيات ما حثهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد بها ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد وفيه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن قال صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فابن البكاء وفي الحديث اتوا القرآن وابكوا فان لم تسكوا فاقبوا كوا وعن ابن عباس اذا قرأتهم سجدة سجدوا وان فلا تعجلوا بالسجود حتى تسكوا فان لم تسكوا عين أحدكم فليسك قلبه وقد استدلل بهذه على مشروعية سجود التلاوة وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند تلاوة هذه الآية وقال بعضهم انها الصلاة وقال الرازي يحتمل انهم عند الخوف كانوا قد تعبدوا بالسجود فيفعلوا ذلك لاجل ذكر السجود في الآية ولما مدح الله سبحانه هؤلاء الانبياء بهذه الصفات ترغيبا

حتى مر زكريا برجل طوال السبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة وهو يقول فرفع صوته يقول أأسم الله فاستلم عليه فرد السلام فقال من هذا معك يا جبريل قال هذا أحمد قال مرحبا بالنبي الاي العربي الذي بلغ رسالته ربه ونصح لامته قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل قال هذا موسى بن عمران قال قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك قلت ويرفع صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حذته قال ثم اندفعنا حتى مرنا بشجرة كأن ثمرها السرج فتحنا شيعي وعياله قال فقال لي جبريل اعد لي أيك ابراهيم فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال ابراهيم من هذا معك يا جبريل قال هذا ابنك أحمد قال فقال مرحبا بالنبي الاي الذي بلغ رسالته ربه ونصح لامته يا نبي انك لا تدرك الالية وان آمن آخر الام وأضعفها فان استطعت أن تكون حاجتك أو جلبها في أمستك فافعل قال ثم اندفعنا حتى انتم بنا الى المسجد الاقصى فنزلت فربطت الدابة

في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الانبياء بطمها دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائمورا كح وساجد لغيرهم قال ثم أتيت بكاسين من عسل ولبن فاخذت المني ففتر بث فضر ب جبريل عليه السلام منكبي وقال أصبت القطرة ورب محمد قال ثم أتيت الصلاة فامتهم ثم انصرفنا فاقبلنا استاد غريب لم نخرج جوده من الغرائب سؤال الانبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرفوا والمشور في الصباح كما تقدم ان جبريل كان يعلمهم اوله ليس عليهم سلام معرفه وفيه انه اجتمع بالانبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد الاقصى والصحيح انه اجتمع بهم في السموات ثم نزل الى البيت المقدس نايا وشم معه وصلى بهم

فيه ثم انه ركب البراق وكثر ارجاعه الى مكة والله أعلم طريق اخرى قال الامام احمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جده بن هب عن
عن مرثد بن غفارة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة اسرى بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
فتذا كروا أمر الساعة قال فردوا امرهم الى ابراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا امرهم الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا
امرهم الى عيسى فقال ما أوحىتم فلا يعلم بها احد الا الله عز وجل وفيما عهد الى ربي ان الدجال خارج قال ومعى قضبان فاذا رآني
ذاب كاذب الرصاص قال فيه لمكة الله اذا رآني حتى ان الجبر والشجر (٢٩) يقول يا مسلم ان تحي كافر اقتل فاقوله

قال قتلهم الله ثم يرجع الناس
الى بلادهم وأوطانهم قال فعند
ذلك يخرج باجوح وباجوح وباجوح
من كل حشد ينسلون فيطون
بلادهم فلا يأتون على شيء
الا اهلكوه ولا يسمعون على ماء
الشر به قال ثم يرجع الناس الى
فيشكونهم فادعوا الله عليهم
فيهلكهم ويميتهم حتى تحوى
الارض من تنزريهم اى تنين
قال فينزل الله المطر فيجترق
اجسادهم حتى يقذفهم في البحر
ففيما عهد الى ربي ان ذلك اذا كان
كذلك ان الساعة كالخامس الممت
لا يدري أهلها متى تنجوهم ولا دها
ليسلا ونهارا أو أخرجه ابن ماجه
عن ابن عمر عن يزيد بن هرون عن
العوالم بن حوشب رواية عبد الرحمن
ابن قرقظ اعنى عبد الرحمن بن قرقظ
الثمالى قال سعيد بن منصور حدثنا
مسكين بن ميمون مؤذن مسجد
الرملة حدثني عروة بن رويم عن
عبد الرحمن بن قرقظ ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به
من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى من بين زمرم والمقام

لغيرهم في الاقنابهم وسلك طريقهم كراضداهم تنفر للناس عن طريقهم فقال
(خلف) أى وجدوا حدث (من بعدهم) أى من بعد النبين المذكورين (خلف) أى عقب
سوء قال أهل اللغة يقال لعقب اخير والصدق خلف يفتح اللام ولعقب الشر والسوء خلف
يسكون اللام وقد قدمنا الكلام على هذا في آخر الاعراف (أضاعوا الصلاة) أى أخروها
عن وقتها قاله الاكثر وهو ان لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ولا العصر حتى يأتى المغرب
وقبل أضاء الوقت وقيل كفرها وبها وجدوا وجوبها وقيل لم يأتوا بها على الوجه
المشروع وقيل تركوها كاليهود والنصارى والظاهر ان من أخر الصلاة عن وقتها أو ترك
فرضا من فروضها أو شرط من شروطها أو ركأس أن كانها فاقصد أضاعها ويدخل تحت
الاضاعة من تركها بالمرأه أو بجدها دخولا وليا أو اختلقوا فيمن نزلت هذه الآية ففعل
في اليهود وقيل في النصارى وقيل في قوم من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يأتون في آخر
الزمان وقال بالاولين السدى وقال بالثالث مجاهد ولفظه هم من هذه الامة يترأكبون
في الطرق كترأكب الانعام يستحيون من الناس ولا يخافون من الله في السماء وعن
ابن مسعود قال ليس اضاعتها تركها قد يضيع الانسان الشيء ولا يتركه ولكن اضاعتها اذا
لم يصلها لوقتها (واتبعوا الشهوات) أى فعلوا ما تشتهيه أنفسهم وترغب اليه من المحرمات
كشرب الخمر والزنا (فسوف يلقون غيا) هو الشرع عند أهل اللغة كان الخير هو الرشد
والمعنى انهم سيلقون شر الاخير او قيل الغي الضلال وقيل الخيبة وقيل الخسران وقيل
الهلاك وقيل العذاب وقيل هو اسم وادى جهنم تستعبد من حراء ودينها أعد للزنا
وشربة الخمر وشهاد الزور وأكله الربا والعاقين والديههم وقيل في الكلام حذف والتقدير
سيفلون جزاء الغي قاله الزجاج ومثله قوله سبحانه يلقى أمما جزاء نام أخرج أحمد
وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية قال يكون خلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا بعد وترافهم
ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومناقق وفاجر وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن عقبه بن
عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلك من أمى أهل الكتاب وأهل اللب
قلت يا رسول الله ما أهل الكتاب قال قوم يتعلمون الكتاب يجادلون به الذين آمنوا قلت

جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطاراه حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحها في السموات العلى مع تسبيح
كثير سمعت السموات العلى من ذى المهابة شفقات من ذى العلو عا على سبحان العلى الاعلى سبحانه وتعالى وبذلك هذا الحديث عنه
قوله تعالى من هذه السورة تسبح له السموات السبع الآية رواية عمر بن الخطاب قال الامام احمد حدثنا أسود بن عاصم حدثنا جاد
ابن سلمة عن أنس بن مالك عن عبيد بن آدم وأبي هريرة وأبي شعيب ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان بالجابة فذكر كرفع بيت المقدس قال
قال ابو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب أين ترى أن أصلى فقال ان أخذت عنى صليت

خلف الصخرة فكانت القدس كلها بين يديك فقال عمر ضايت اليهودية ولكن أصلي حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتقدم إلى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه وكس الكساء في رداءه وكس الناس فلم يعظم الصخرة تعظيمها يصلي وراءها وهي
بين يديه كما أشار به كعب الأخبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوا قبائلهم ولكن من الله عليه بالسلام فهذه إلى الحق ولهذا
لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر ضايت اليهودية ولا الهاتها إهانة للتصاري الذين كانوا قد جعلوا هاهنا بلة من أجل أنها
قبلة اليهود ولكن اماط عنها الآن (٣٠) وكس عنها الكساء بردائه وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم عن أبي

ما أهل الدين قال قوم يتبعون الشهوات ويضعون الصلوات وعن عائشة أنها كانت ترسل
بالصدقة لأهل الصدقة وتقول لا تعطوا منها برب ولا بربة فاني سمعت رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يقول هم الخلف الذين قال الله تخلف من بعدهم خاف آخر جهن أبى
حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال النبي نهر وأدفي جهن من قبح
بعد القعر خبيث الطعم يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات وقد قال بأنه وأدفي جهن
البراءين عازب واخرج بن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي عن أبي أمامة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو أن صخرة قرة عشرة عشر أواق قذف بها من شفير
جهن ما بلغت قعرها سبعين خريفا ثم ينهي إلى نعي وأمام قلت وما نعي وأمام قال نهران
في أسفل جهن يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللذان ذكر الله في كتابه فسوف يلقون
غياض من يغفلون ذلك يلقى أنا ما وأخرج بن مردويه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال النبي وأدفي جهن (الاسناب) مما فرط منه من تضيق الصلاة وتباع
الشهوات فرجع إلى طاعة الله (وآمن) به (وعمل) عملا (صالحا) الاستئناس منقطع فآله
الزجاج وجرى أبو حيان وغيره على أنه متصل وهو ظاهر الآية لما روي عن قتادة أنها في
حق هذه الأمة ويجوز أن يحمل على التغليب كما قال تعالى من استطاع إليه سبيلا وهذا
التأويل يحسن قول قتادة أن هذا الكلام نازل في شأن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وقيل في هذا الاستثناء دليل على أن الآية في الكفرة لأن المسلمين (فأولئك يدخلون الجنة)
بقبح الماء وضخم الخاء وقرئ بنهم الباء وفتح الخاء (ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقص من أجورهم
شي وإن كان قلبه سلا فان الله سبحانه يوفي أجورهم اليهم (جنات عدن) قرئ بالرفع على
الاستدعاء وقرئ بالنصب على البدل من الجنة بدل البعض لكون جنات عدن بعضا من
الجنة وعلى المدح أيضا قال أبو حاتم ولولا الخط لكان جنسة عدن يعني بالأفراد مكان الجمع
وليس هذا بشيء فان الجنة اسم مجموع الجنات التي هي منزلة الأنواع للجنس وقرئ بصرف
عدن ومعناها عن الصرف على أنها علم بمعنى العدن وهو الإقامة أي بساكنة أقالمة وصفها
بالدوام بـ (الجنات) الدنيا قائمها لا تدوم وأعلم لارض الجنة لكونها مقام إقامة (التي
وعدها) (الرحن عباده) مبتلية أو متلبسين (بالغيث) والمعنى أنهم لا يرونها فهي غائبة
عنهم أو وهم غائبون عنها (أله) أي الرحمن وقيل الله صغير الشأن والامر لأنه مقام تعظيم

مرئد الغنوى قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تجلسوا
على القبور ولا تصلوا إليها
رواية أبي هريرة وهي مطولة
جدا وفيها غرابة قال الإمام أبو
جعفر بن جرير في تفسير سورة
سبحان حدثنا علي بن سهل حدثنا
سجاج حدثنا أبو جعفر الرأزي عن
الربيع بن أنس عن أبي العالمة
الرياحي عن أبي هريرة وغيره شك
أبو جعفر في قول الله عز وجل
سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
الآية قال جاء جبريل إلى النبي
صلى الله عليه وسلم ومعه ميكائيل
فقال جبرائيل لميكائيل ائتني
بطست من ماء زمزم كما اطهر
قلبه وأشرح له صدره قال فشق
عنه بطنه فغسله ثلاث مرات
واختلف السبع ميكائيل بثلاث
طاس من ماء زمزم فشرح صدره
فنزعه ما كان فيه من غل وملاء
علموا وحلوا ما يابوا ببقية أو اسلما
وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم
أنا بفرس فحمل عليه كل خطوة
منه منتهى بصره أو أقصى بصره
قال قيسار وشارحه جبريل

عليهما السلام قال فأتى على قوم زرعون في يوم يحصدون في يوم كل حصدا وعاذ كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات بسبع مائة ضعف وما أنفقوا
من شيء فهو بحلقه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كمارضحت عادت كما كانت ولا يفرغ عنهم من ذلك شيء
فقال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين تتناقل رؤسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رفاع وعلى أقبالهم رفاع
يسرحون كما تسرح الإبل والنعم ويأكلون الضريع والرقوم ورضف جهنم وجرأتها قال ما هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين

لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم فتبعهم سائر ولحم آخرى فقد خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم التي ما خبيث ويدعون النضيج الطيب فقال ما حولنا ما يجبريل فقال هذا الرجل من أمته فكفون عنه المرأة الحلال الطيبة فبأى امرأة خبيثة فقيمت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا لطيبا فتأتى رجل خبيثا فقيمت معه حتى تسبح قال ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها نوب الا شتمته ولا شيء الا شتمته قال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل اقوام من أمته يتعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلاقوا ولا يتقعدوا بكل (٣١)

على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يربذ عليها فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمته يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ثم أتى على قوم تقررض أسننهم وشفاهم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل فقال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على جرس صغير يخرج منه نور عظيم فجعل الثور يربذ أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها ثم أتى على واد فوجد رجلا يحاطية باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وما هذا المسك وما هذا الصوت قال هذا صوت الجنة تقول يا رب أنتني بما وعدتني فقد كثرت غرقي واستغرقى وحرى وسندسى وعبرى ولؤلؤى ومرجانى وفضتى وذهى وأكوابى وخماني وأباريتى وأكؤسى وعسلى ومائى ولبنى

وتنخيم (كان وعده) أى دعو عوده على العموم فيدخل فيه الجنات دخولاً أولياً وقيل الوعد مصدر على باب (مأثيا) أى هم بأثمتها قال القراء لم يقل آثمالا كل ما أثناك فقد أثبتة وكذا قال الزجاج وقال الزمخشري كان وعده مفعولا بمنجزا (لا يسمعون فيها الغوا) هو الهذرو الفضول من الكلام الذى يلقى ولا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور الغر منهم وقيل للغول ما لم يكن فيه ذكر الله (الاسلاما) هو استثناء منقطع أى سلام بعضهم على بعض وأسلام الله أو سلام الملائكة عليهم وقال الزجاج السلام اسم جامع للخبر لانه يتضمن السلامة والمعنى ان أهل الجنة لا يسمعون ما يؤلمهم وانما يسمعون ما يسلمهم وأبدى الزمخشري فيه ثلاثة أو بعدد كرهاسليمان الجبل (ولهم رزقهم فيها بكره وعشيا) قال المفسرون ليس في الجنة ذكره ولا عسمة ولا نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبدا ولكنهم يؤتون رزقهم على مقدار ما يعرفون من الغدا والعشاء في الدنيا وفيه قال ابن عباس وانما يعرفون اللب بل بارخاء الحب وغلقت الابواب والنهار يقتحها ورفع الحب كجاري والرزق في البكرة والعشى أفضل العيش عند العرب وقيل أراد دوام الرزق اخرج الحكيم الترمذى في نوادر الاصول عن الحسن وأبي قلابه قال قال رجل يارسول الله هل في الجنة من ليل قال وما هيحك على هذا قال سمعت الله يذكر في الكتاب ولهم رزقهم فيها بكره وعشيا فقلت الليل من البكرة والعشى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس هناك ليل وانما هو ضوء ونور يرد الغدو على الروح والروح على الغدو وتأنيهم طرف الهدايا من الله بما قبل الصلاة التي كانوا يصلون فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة (قال الجنة التي تورت من عبادنا من كان تقيا) أى هذه الجنة التي وصفنا أحوالها ونورها ونعطيها وتنزل بها من كان من أهل التقوى كما يتقى على الوارث مال مورثه ولا يرث كالإراث الذي يأخذ الوارث فلا يرجع فيه المورث أى يقيمها عليهم من غرة تقواهم قرئ نورث بفتح الواو وتشديد الراء من ورث مضه فقاو بالتحفيف وقرأ الأعمش نورثها بآراء عائد الموصول وقيل في الكلام تقدم وتأخر أى نورث من كان تقيا من عبادنا والوارثه أقوى لفظ يستعمل في التليد والاستحقاق من حيث انما لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد ولا اسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكين التي كانت لاهل النار لأطاعوا ريادة في كرامتهم والآية تدل على ان المتق لا يدخلها وليس فيها دلالة على ان غير المتق لا يدخلها وأيضا

وخبري فأنتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك في شيء لم يتخذ من دوني اندادا ومن خشيتني فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن أقرضني جزئته ومن توكل على كفيته اني آنا الله لا اله الا أنا لا خلف المعاد وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت قد رضيت قال ثم أتى على واد فسمع صوتا منكر او وجد رجلا يحاطية فقال ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت فقال هذا صوت جهنم تقول يا رب أنتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسل وأغلالى وسعيرى وحيمى وضربى وغساقى وعذابى وقد بعد قهرى واشتد حرجى فأنتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة

وكي خيث وخيئة وكل جبار لا يؤمن يوم الحساب قالت قدر ضيقت قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى الصخرة
ثم دخل فعلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قالوا أوقد أرسل اليه قال
نعم نالوا احياء الله من أخ ومن خدمته فدعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال ثم أتى ارواح الانبياء فأنشأوا على ربهم فقال ابراهيم
عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا واعطاني ملكا عظيما وجعلني أمة قاتلة وتوتني وانقذني من النار وجعلها على بردا
وسلاما ثم ان موسى عليه السلام أتى على ربه (٣٢)

صاحب الكبرية متق عن الكفر (وماتنزل الابرار ربك) أي قال الله سبحانه قبل
يا جبريل ومانتزل وقتا غيب وقت الابرار الله على ما تقتضيه حكمته وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم استبطأ نزول جبريل عليه حين سأله في أمر الروح وأحباب
الكهف وذو القرنين فأمر جبريل ان يخبره بان الملائكة مانتزل الابرار الله قبل
احتبس جبريل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعين يوما وقبل خمسة عشر
وقيل اثنى عشر وقبل ثلاثة أيام وقبل ان هذا احكاية عن أهل الجنة وانهم يقولون عند
دخولها ومانتزل هذه الجنان الابرار ربك والاول وأولى بدلالة ما قبله ومعناه يحتمل
وجهين الاول ومانتزل عليك الابرار ربك لنا بان التزل والثاني ومانتزل عليك الابرار
ربك الذي يأمرك به بما شرعك ولا منك وانتزل التزل على مهل فانه مطاوع نزل
بالتشديد وقد يطلق على مطلق التزل كما يطلق نزل المشدد بمعنى أنزل وقد اخرج البخاري
وغیره عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل ما يمنعك ان تزورنا
أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية الى آخرها وكان ذلك الجواب لحمد صلى الله عليه وآله
وسلم وفي الباب روايات تدل على انه السبب في النزول ثم أكد جبريل ما أخبر به النبي صلى
الله عليه وآله وسلم فقال (له ما بين أيدينا وما خلفنا ما بين ذلك) أي من الجهات والاماكن
أومن الأزمنة الماضية والمستقبله وما بينهما من الزمان والامكان الذي نحن فيه فلا تندر
ان تنتقل من جهة الى جهة ومن مكان الى مكان أومن زمان الى زمان الابرار ربك
ومشيئته وقيل المعنى له ما ساف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة قاله سعد بن
جبير وقيل ما ما مامن من أمور الآخرة وما خلفنا من أمور الدنيا وما بين ذلك أي ما يكون
من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل هو ما بين النفتين قاله قتادة وقيل الأرض التي بين
أيدينا وانزلنا السماء التي وراءنا وما بين السماء والأرض وقيل ما مضى من أعمالنا وما
غير منها والحالة التي نحن فيها وعلى هذه الأقوال كلها يكون المعنى ان الله سبحانه هو المحيط
بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فلا تقدم على أمر الا بآذنه وقال
ما بين ذلك ولم يقل ما بين ذلك لان المراد ما بين ما ذكرنا كافي قوله سبحانه عوان بين ذلك
(وما كان ربك نسيا) ناسيا أي لم ينسك ولم يتركك وان تأخر عنك الوحي وقيل المعنى انه عالم
بجميع الأشياء لا ينسى منها شيئا وقيل المعنى وما كان ربك ينسى الارسل اليك عند الوقت

اسرائيل على يدي وجعل من أمي
قوما يهدون بالحق وبه يعدلون ثم
ان داود عليه السلام أتى على
ربه فقال الحمد لله الذي جعل لي
ملكا عظيما وعلى الزبور والأنبياء
الهادين وسخر لي الجبال يسبحن
والطير واعطاني الحكمة وفصل
الخطاب ثم ان سليمان عليه السلام
أتى على ربه فقال الحمد لله الذي
سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين
يعملون لي ما شئت من محاريب
وتماثيل وجفان كالجواب وقدور
راسيات وعلى منطق الطير وأتاني
من كل شيء فضلا وسخر لي جنود
الشياطين والانس والطير وفضلني
على كثير من عباد المؤمنين
وأتاني ملكا عظيما لا ينبغي لاحد
من بعدي وجعل ملكي ملكا
طيبا ليس فيه حساب ثم ان عيسى
عليه السلام أتى على ربه عز وجل
فقال الحمد لله الذي جعلني لكلمة
وجعل مني كمثل آدم خلقه من
تراب ثم قال له كن فيكون وعاني
الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل وجعلني اخلق من الطين
كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون

طيرا بإذن الله وجعلني أرى الأكم والأرض وأحيى الموتي بإذن الله ورفعني وطهرني وأعادني وحيى من الشيطان الذي
الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال ثم ان محمد صلى الله عليه وسلم أتى على ربه عز وجل فقال كلهم أتى على ربه والى من على
ربه فقال الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأُنزل علي القرآن فيه بيان لكل شيء وجعل أمي خزامة
اخرجت للناس وجعل أمي أمة وسطا وجعل أمي هم الأولين وهم الآخرين وشرحت لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم عليه السلام هم هذا فكلهم محمد صلى الله عليه وسلم قال أبو جعفر الرازي خاتما بالنسبة فاتح

بالشفاعة يوم القيامة ثم أتى بآية ثلاثة مغطاة أو أهيا فأتى بأية منها ففعل له اشرب فشرب منه يسرا ثم دفع اليه إياه آخر
فدله فقبل له اشرب فشرب منه حتى روى ثم دفع اليه إياه آخر فخر فقبل له اشرب فقال لا أريد قد رويت فقال له جبريل أما
أنتم استخرجوا علي أمثلكم ولو شربت منهم لم يتبعكم من أمثلكم الا القليل قال ثم صعد به الى السماء فاستفتح فقبل من هذا جبريل فقال
محمد فقالوا أو قد أرسل اليه قال نعم قالوا حمدا لله من أخ ومن خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم الجيء جاء ففتح له ما ندخل فإذا هو
برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما ينقص من خلق الناس (٢٣) عن عيسى باب يخرج منه ربيع طيبة وعن شمالة

باب يخرج منه ربيع خبيثة فإذا نظر
الى الباب الذي عن يمينه ضحك
واستبشر وإذا نظر الى الباب الذي
عن شماله بكى وحنن فقلت يا جبريل
من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم
ينقص من خلقه شيء وما هذان
البايان فقال هذا أبو آدم وهذا
الباب الذي عن يمينه باب الجنة فإذا
نظر الى من يدخل الجنة من ذريته
ضحك واستبشر والباب الذي عن
شماله باب جهنم إذا نظر الى من
يدخلها من ذريته بكى وحنن ثم صعد
به جبريل الى السماء الثالثة فاستفتح
فقبل من هذا معك فقال محمد
رسول الله قالوا أو قد أرسل اليه قال
نعم قالوا حمدا لله من أخ ومن خليفة
فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم الجيء
جاء قال فدخل فإذا هو بشابين
فقال جبريل من هذان الشابين
قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن
زكريا ابنا الخالة عليهما السلام قال
فصعد به الى السماء الثالثة فاستفتح
فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن
معك قال محمد قالوا أو قد أرسل اليه
قال نعم قالوا حمدا لله من أخ ومن
خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم

الذي يرسل فيسره رسلا أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني
والبيهقي وانما كرم وصححه عن أبي الدرداء رفع الحديث قال ما أحل الله في كتابه فهو حلال
وما حرم فهو حرام وما سكنت عنه فهو عاقبة فاقبلوا من الله عاقبته فان الله لم يكن لينسى
شيئا مما تلاوما كان ربك نسيانا ومن حديث جابر عن ابن مردويه مثله (رب السموات
والارض) أي خلقتهما (و) خالق (ما بينهما) ومالكهما ومالك ما بينهما ومن
كان هكذا فالنسيان محال عليه وكيف يتصور أن يحوم حول ساحته الغفلة وفيه
دليل على أن فعل العبد خلق الله لانه حاصل بين السموات والارض ثم أمر الله نبيه صلى
الله عليه وآله وسلم بعبادته والصبر عليها فقال (فاعبدوا ما صطبر لعبادته) الفاء للسببية
لان كونه لا ينسأله وكونه رب العالمين سببه وجب لان يعبد وعدى فعل الصبر باللام
دون على التي يتعدى بها التفضي بمعنى الثبات (هل تعلم له سميما) الاستفهام للانكار
والمعنى انه ليس له مثل ولا نظير حتى يشارك في العبادة فيلزم من ذلك أن تكون غير خاصة
له سبحانه فلما اتى المشارك استحق الله سبحانه أن يقر بالعبادة ويخلص له هذا مبني على
أن المراد بالسمي هو الشريك في المسمى وقيل المراد به الشريك في الاسم كما هو الظاهر
من لغة العرب فقبل المعنى انه لم يسم شي من الاصنام ولا غيرها الله قط يعني بعد دخول
الاف والالام التي عوضت عن الهمة وتولمت أو رب السموات والارض واليه نجا
أبو السعدي والجله تأكيدهم لأفادته القام من عليه ربوبية العامة لوجوب تخصيص
العبادة به تعالى قال الزجاج تأويله والله أعلم هل تعلم له سميما يستحق أن يقال له خالق
وقادر وعالم بما كان وما يكون وعلى هذا الاسم لله في جميع أسمائه لان غيره وإن سمى
بشي من أسمائه فله سبحانه حقيقة ذلك الوصف والمراد بنفي العلم المستفاد من الانكار
هنا نفي المعهوم على أبلغ وجه وأكمله وقال ابن عباس هل تعلم أي تعرف الرب شيها
أو مثلا ليس أحد يسمى الرحمن غيره وعنه قال يا محمد هل تعلم لالهك من ولد (ويقول
الانسان) المراد به هذا الكافر لان الاستفهام هنا للانكار والاستزام والتكذيب
بالعنت قال ابن جرير الانشتان هو العاص بن وائل وقيل أي بن خلف والوليد بن
المغيرة التنازل فيه الآية وهذا من قبيل العام الذي اراد به الخاص وقيل اللام في
الانسان للجنس بأسره وان لم يقل هذه المقالة إلا بعضهم وهم الكفرة فقد يسند الى الجماعة

(٥ - فتح البيان سادس) الجيء جاء فقال فدخل فإذا هو برجل قد فضل على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على
سائر الكواكب قال من هذا يا جبريل الذي قد فضل على الناس في الحسن قال هذا أخوك يوسف عليه السلام قال ثم صعد به الى
السماء الرابعة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أو قد أرسل اليه قال نعم قالوا حمدا لله من أخ ومن
خليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم الجيء جاء فقال فدخل فإذا هو برجل قال من هذا يا جبريل قال هذا ادريس عليه السلام رفعه الله
مكنا عليا ثم صعد به الى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أو قد أرسل اليه قال نعم

فألواحياء الله من أخ ومن خليفة فقم الأخ ونعم الخليفة ونعم الجني جاء قال فدخل فآذاهو رجل جالس وخوله قوم يقص عليهم قال من هذا يا جبريل ومن هؤلاء حوله قال هذا هو نوح المحبب وهؤلاء بنو إسرائيل ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا أو قد أرسل اليه قال نعم قالوا أحياء الله من أخ ومن خليفة فقم الأخ ونعم الخليفة ونعم الجني جاء قال فدخل فآذاهو رجل جالس فخاوزه فبكي الرجل فقال يا جبريل من هذا قال موسى قال فباله يبكي قال زعم بنو إسرائيل اني أكرم بني آدم على الله عز وجل (٢٤) وهذا رجل من بني آدم قد خلقني في دنيا وأباني الأخرى فلأولاه نفسه

لم يأبال ولكن مع كل نبي أمته قال ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فقبل من هذا قال جبريل قبل ومن معك قال محمد قالوا أو قد أرسل اليه قال نعم قالوا أحياء الله من أخ ومن خليفة فقم الأخ ونعم الخليفة ونعم الجني جاء قال فدخل فآذاهو رجل آثم ط جالس عند باب الجنة على كرسي وعندة قوم جلدوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شئ فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شئ فدخلوا نورا فاعتلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شئ فدخلوا نورا آخر فاعتلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم شئ فدخلوا نورا آخر فاعتلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصار مثل ألوان أصحابهم فخاؤا فجلسوا إلى أصحابهم فقال يا جبريل من هذا الاشمط فمن هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شئ وما هذه الأنهار التي دخلوا فيها وقد صفت ألوانهم قال هذا أول إبراهيم أول من شط على وجه الأرض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شئ فقوم خطوا عملا صالحا

ما قاموا واحد منهم وعلى كل لفظ الإنسان لا يشعل المؤمنين (انذامات) قرئ على الاستفهام وعلى الخبر (لوف اخرج حيا) من القبر كما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم والاستفهام بمعنى التقى أي لا حيي بعد الموت وحيأ حال مؤ كدة لان من لازم خروجه من القبر ان يكون حيا وهو كقوله ويوم ابعث حيا (أولاد كرا الإنسان انا خلقناه) الهمة لانكار التوبيخ والواو لعطف الجمله على أخرى مقدره أي يقول ذلك ولأيد كرو قري يذ كرا التخييف والتشديد وأصله يذ كرو في قراءة أبي وألا يذ كرو والمراد بالذ كرها أعمال الفكرة أي ألا تفكر هذا الجاحد في أول خلقه فيسندل بالابتداء على الاعادة والابتداء أعجب وأغرب من الاعادة لان النشأة الأولى هي اخراج لهذه المخلوقات من العدم إلى الوجود ابتداء واختراع لم يتقدم عليه ما يكون كالمثال له وأما النشأة الآخرة فقد تقدم عليها النشأة الأولى فكانت كالمثال لها ومعنى (من قبل) من قبل بعثه وقدره الزمخشرى من قبل الحالة التي هو عليها الآن وهي حالة بقائه (وليك شيا) أي والحال انه لم يكن حينئذ شيأ من الأشياء أصلا فالاعادة بعد أن كان شيأ موجودا أسهل وأيسر وأهون ثم لما جاء سبحانه وتعالى بهذه الحجة التي اجمع العقلاء على أنه لم تكن في حجب البعث حجة أقوى منها أكدها بالقسم باسمه سبحانه مضافا إلى رسوله تشرى فباله وتعتظما ولأن العادة جارية بتأكيد الخبر باليمين فقال (فوربك لنحشرنهم) أي لنسوقهم إلى المحشر بعد ان اخرجهم من قبورهم أحياء كما كانوا (والشياطين) والواو لعطف أو بمعنى مع والمعنى ان هؤلاء الجاحدين للبعث يحشرهم الله مع شياطينهم الذين اغوهم وأضلواهم في سلسلة وهذا ظاهر على جعل اللام في الإنسان للعهد وهو الإنسان الكافر وأما على جعلها للجنس فلكونه قد وجد في الجنس من يحشره شيطانه (ثم لنحشرنهم حول جهنم) من خارجها قبل دخولها وقيل من داخلها (جنيا) جمع جاث من قولهم جثا على ركبته يجثو جثوا أي جاثين على ركبهم لا يصيبهم من هول الموقف وروعة الحساب أو يكون الجني على الركب شأن أهل الموقف كما في قوله سبحانه وتري كل أمة جاثية وقيل المراد بقوله جنيا جماعات وأصله جمع جنوة والجنوة هي الجوع عن التراب والنجارة قال ابن عباس جنيا فعودا (ثم انزع من كل شيعه) أي من كل أمة وفرقة وأهل دين وملة من الكفار والشيعه الفرقة التي تبعد ديانا من الأديان وخصص ذلك الزمخشرى فقال هي الطائفة التي

وأخر شيئا فابوا قتاب الله عليهم وأما الأنهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقايتهم ربهم شرابا طهورا شاعت قال ثم انتهى إلى السدرة فقبله هذه السدرة ينتهى إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك فإذا هي شجرة تخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لآل شاربين وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ولا يقطعها والورقة منها تغطي الأمة كلها قال فغشيها نورا فخرق عز وجل وغشيها الملائكة أمثال الغربان حين وقع على الشجرة من حب الرب تبارك وتعالى قالوا فكلهم الله عند ذلك فقال له سئل فقال انك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيتهم ملكا

عظيما وكلمت موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد واعطيت سليمان ملكا فسخرت له
والشياطين وسخرت له الريح واعطيت له ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته نبيا
والابرض ويحيى المولى باذنك وأعدته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليه ماسيل فقال له الرب عز وجل وقد اتخذتك
خليلا وهو مكتوب في التوراة حبيب الرجن وأرسلتك الى الناس كافة ببشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك
ورفعت لك ذرك فلا ذكرا الا ذكرت معي وجعلت أمتك خيرة أمة (٣٥) أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا

وجعلت أمتك هم الاولين وهم
الاخرين وجعلت أمتك لا تحوز
لهم خطبة حتى يشهدوا لك
عبدى ورسولى وجعلت من أمتك
أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلت
أول النبيين خلقا وأخرهم بعثا
وأولهم بقضى له واعطيتك
سبعامن الثاني لم يعطها نبي قبلك
واعطيتك خواتيم سورة البقرة من
كنز تحت العرش لم أعطها نبيا
قبلك واعطيتك الكورث واعطيتك
ثمانية أسهم الاسلام والهجرة
والجهاد والصلوة والصدقة وصوم
رمضان والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وجعلت لك فاتحا خاتما
فقال النبي صلى الله عليه وسلم
فضلتى ربى بست أعطانى فواتح
الكلام وخواتيمه وجوامع الحديث
وأرسلنى الى الناس كافة ببشيرا
ونذيرا وقذف فى قلوب أعدائى
الرب من مسيرة شهر وأحلت لى
القنائم ولم تحل لاحد قبلى وجعلت
لى الارض كلها طهورا ومسجدا
قال وفرض الله خسين صلاة فلما
رجع الى موسى قال لم أمرت يا محمد
قال بخمسين صلاة قال ارجع

ساعتى تبع غاويامن الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا (أيهم اشد
على الرجن عتيا) اى اعصى الله واعمى وقال ابن عباس عتيا معصية وعصيانا فانه ينزع
من كل طوائف النقي والفساد اعصاهم وعتاهم فاذا اجتمعوا طرحهم فى جهنم والعتى هنا
مصدر كالتعوى وهو التردى العصيان اى عصيانا وبخرأة وقيل المعنى لئنزع من اهل كل
دين فادتهم ورؤساءهم فى الشر قاله قتادة وفى ذكرا لشد تنبيه على انه تعالى يعفون عن
كثير من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يعزطوا عنهم اعصاهم فاعتاهم
ويطرحهم فى النار على الترتيب أو يدخل كلا طبقته التى تليق به وللخوين فى اعراب
أيهم كلام طويل وأقوال كثيرة أظهرها عند الجمهور من المعربين وهو مذهب سيبويه
ان أيهم موصولة بمعنى الذى وان حركتها حركة بناء أو أشد خبر مبتدأ مضمرة والجللة صلة
لاى وأيهم وصلتها فى محل نصب مفعول بالئنزع وعتيا تعبير يحول عن المبتدأ المحذوف
الذى هو أشد اى عتوه أشد من عتوه غيره وعن ابن مسعود قال يحشر الاول على الآخر
حتى اذا تكاملت العدا نارهم جميعا ثم بدأ بالأكبر فالأكبر حرق ثم قرأ فوربك لحشرنهم
الى قوله عتيا (ثم لكن اعلم بالذين هم أولى بهاصليا) يكسر الصاد وخمها سبعين قال ابن
جرير يعنى أيهم أحق وأولى بالنار وفى جهنم يقال صلى صلى صليما مثل مضى الشئ يضي
مضيا قال الجوهري يقال صليت الرجل نارا اذا دخلته النار وجعلته يصلاها فان
القيته القاء كأنك تريد الاحراق قلت أصليته بالنار بالالف وصليته قسمية ومنه ويصلى
سعيروا ومن خفف فهو من قولهم صلى فلان النار بالكسر يصلى صليا احتسرق قال الله
تعالى بالذين هم أولى بهاصليا ومعنى الآية ان هؤلاء الذين هم أشد على الرجن عتيا هم
أولى بصليهم أو صليهم أولى بالنار (وان منكم الاوردها) الخطاب للناس من غير التفات
أول للانسان المذكور فىكون التفاتا وقيل للكفار وقرئ وان منهم لمناسبة الآيات التى
قبل هذه فانها فى الكفار وهى قوله فوربك لحشرنهم الآيات وكذلك قرأ عكرمة وجماعة
لكن الاكثرون على ان الخطاب العالم كله والمعنى ما منكم من أحد مسلم كان أو كافرا
الاوردها أى واصلها وادخلها والضمير يرجع الى النار وقيل الى يوم القيامة والاول
أولى وقد اختلف الناس فى هذا الورود فقيل الورود الدخول لقوله لو كان هؤلاء آلهة
ماوردوها لكنه يختص بالكفار لقراءة وان منهم وتحمل القراءة المشهورة على الالتفات

الى ربك فأسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم فقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال فرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه
عز وجل فسأله التخفيف فوضع عنه عشرين رجوع الى موسى فقال بكم أمرت قال باربعين قال ارجع الى ربك فأسأله
التخفيف فان أمتك أضعف الامم ولقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال فرجع النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه فسأله التخفيف
فوضع عنه عشرين رجوع الى موسى فقال بكم أمرت قال ثلاثين فقال له موسى ارجع الى ربك فأسأله التخفيف فان أمتك
أضعف الامم ولقد لقيت من بنى اسرائيل شدة قال فرجع الى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشرين رجوع الى موسى فقال بكم

أمرت قال أمرت بعشرين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فوضع عنه عشرين افرجع الى موسى فقال بكم أمرت قال أمرت بعشرين قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل موسى فقال بكم أمرت قال أمرت بخمس قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك أضعف الامم وقد لقيت من بني اسرائيل شدة قال قدر جئت الى ربى حتى استجيب (٣٦) فلما ابراجع اليه قيل أمانك كما صبرت نفسك على خمس صلوات

ويستقي الانبياء والمرسلون وتكون على المؤمنين برداوسلاما كما كانت على ابراهيم
وقالت فرقة الزوردهو المروري على الصراط لان الصراط مدود عليه اقيس لم اهل الجنة
ويتقاذف اهل النار على هذا لا يستقي الانبياء والمرسلون بل ير عليه جميع الخلق روى
ذلك عن ابن عباس وكعب الاحبار والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم والحسن وعن مجاهد ورود المؤمنين النار هو من الحى جسده في الدنيا
لقوله صلى الله عليه وآله وسلم الحى حظ كل مؤمن من النار وفيه بعد وقيل ليس الزورده
الدخول انما هو كما تقول وردت البصرة ولم ادخلها وقد توقف كثير من العجلة عن تحقيق
هذا الزورده وجهه على ظاهره لقوله تعالى ان الذين سبق لهم من الجنة اولئك عنها
مبعدون قالوا فلا يدخل النار من الله ان يعذب عنها او اجابوا عنه بان معناه انهم
مبعدون عن العذاب فيها والاحتراق بها من دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا
ولا المأهوه مبعدها وقالت فرقة الزوردهو الاشرف والاطلاع والقرب وذلك انهم
يحضرون موضع الحساب وهو قرب جهنم فيرون اليها في حالة الخائب ثم ينجي
الله الذين اتقوا مما نظرو اليه ويصار بهم الى الجنة كما سألني وما يدل على ان الزورده
لا يستلزم الدخول قوله تعالى فلما ورد ما عدين فان المراد ان اشرف عليه لانه دخل فيه
ولا يخفى ان القول بان الزوردهو المروري على الصراط او الزوردهو على جهنم وهي خادمة نبيه
جمع بين الادلة من الكتاب والسنة فينبغي حل هذه الالة على ذلك لانه قد حصل الجمع بجملة
الزوردهو على دخول النار مع كون الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها او بمجملة على
المضي فوق الجسر المنسوب عليها وهو الصراط واتخرج أحد وعبد بن جيد وابن المنذر
وابن أبي حاتم والبيهقي والحاكم وصححه عن أبي سمينة قال اختلفنا في الزورده فقال بعضهم
لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم لا يدخلها الا الذين اتقوا فقلت جابر بن عبد الله
ذكرت له فقال واهوى باصبعه الى اذنيه صمما ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لا يبق برولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن برداوسلاما كما كانت
على ابراهيم حتى ان النار ضجيجان بردها ثم تنجي الذين اتقوا الالة واسند ابو عمرو
في كتاب التهذيب وعلى هذا القول الدخول وهو قول ابن عباس وخالد بن معدان وابن
جرير وغيرهم وفي الحديث فتقول النار لامؤمنين جزيا مؤمن فقد اطلقوا لعلهم

حدثنا محمد بن عبد الله بن غير حدثنا يوسف بن بكر حدثنا عيسى بن عبد الله التيمي عن أبي جعفر وعن
الرازي عن الربيع بن أنس الشكري عن أبي العالية وغيره شك عيسى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قول
الله سبحانه الذي أسرى بعبد ليلامن المسجد الحرام فذكر الجذب بطوله كجهماسقائد قلت وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ
أبو زرعة الرازي هم في الحديث كثيرا وقد ضعفه غيره أيضا وثقه بعضهم والظاهر أنه سئ الحفظ فغياقت رده نظر وهذا الحديث
في بعض ألفاظه غرابه ونكاره شديد وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري وبشبهه

أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى وأمنام وقصة أخرى غير الاسراء والله أعلم وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرزاق أن أبا نعيم عن الزهري أن خنيفة سعيدين المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسرى بي لقيت موسى ففتنته فأذا رجل حسبته قال مضطرب رجل الراس كأنه من رجال شنوءة قال ولقيت عيسى ففتنته النبي صلى الله عليه وسلم قال ربعة أحر كأنه من بني عدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت يا بني في أحد هاتين وفي الآخر خير قيل لي خذها ما شئت فأخذت اللبن فشربت فقيل لي هديت القطرة (٣٧) أو أصبت القطرة أما انك لو أخذت الحجر

وعن مجاهد قال خاصم نافع بن الأزرق ابن عباس فقال الورود الدخول وقال نافع لا فقرأ ابن عباس أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وقال أو ردد أم لا وقرأ يقدم قومه يوم القيامة فأوردتهم النار أو ردد أم لا أم أنأت فستدخلها فانظر هل تخرج منها أم لا وقرأ ابن مسعود وان منكم الا اذا خلها مكان واردها وعنه قال ووردها الصراط وقال رجل من الصحابة لا تقرأ يقب بالورود قال نعم قال وايقنت بالصدور قال لا قال فقيم الضحك وفيه التناقل وأخرج أحمد والترمذي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم عن ابن مسعود في الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرد الناس كلهم النار ثم يصدرون منها بأعمالهم كلهم البرق ثم كالريح ثم تحضر القوس ثم كالراكب المجدف في رجله ثم كشد الرجل في مشيه وقد روى نحوه عنه من طريق وهو في مسند الداريمى أيضاً وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان منكم الا واردها يقول مجتازها وأخرج مسلم وغيره عن ام مبشر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل النار أحد شهيداً او الحديبية قالت حفصة أليس الله يقول وان منكم الا واردها قال ألم تسمعيه يقول ثم نبى الذين اتقوا وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يموت مسلم ثلاثاً من الولد فيل النار الا تحله القسم ثم قرأ سفيان وان منكم الا واردها وأخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو يعلى والطبراني عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من جهس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعاً لا يأخذه سلطان لم ير النار بعينه الا تحله القسم فان الله يقول وان منكم الا واردها والا حاديت في تفسير هذه الآية كثيرة جداً واما فائدة دخول المؤمنين النار اذ لم يكن عذاب فوجوه أحد هاتين فذلك مما يزيدهم سروراً اذ علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد لهم على اهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم ياقون فيها وثالثها انهم اذا شاهدوا ذلك العذاب على الكفار صار ذلك سبباً لمزيد التذادهم بنعيم الجنة ولا تقول صريحاً ان الانبياء يدخلون النار اذ باعهم ولكن تقول ان الخلق جميعاً يردونها كما دلت عليه أحاديث الباب فالعصاة يدخلونها بجرائمهم والاولياء والسعداء يدخلونها الشفاعات ثم فيمن الداخلين بون (كان على ربك حتماً مقضياً) اي كان ورودهم المذكوراً محتمولاً لا مأكداً فحضى سبحانه انه لا بد من

انتهيت الى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا عذرو برق وصواعق قال وأنت على قوم يطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج يطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء كلوا الربا فلما نزلت الى الدنيا نظرت اسفل حتى قال فإذا أنا برهيج ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لراوا العجايب ورواه الامام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة ورواه ابن ماجه من حديث حماد بن عمار روى عنه جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم قال الحافظ البيهقي حديثاً ابو عبد الله يعني الحاكم حديثاً عن عبد الله بن يزيد بن يعقوب الدقاني

أيمداني حدثنا إبراهيم بن الحسين أيمداني حدثنا أبو محمد هو أسفيل بن موسى القزاري حدثنا عمر بن سعد النصرى من بني نصر
ابن معين حدثني عبد العزيز بن وليث بن أبي سليم وسليمان الأعشى وعطاء بن السائب بعضهم ينفق الحديث على بعض عن علي
ابن أبي طالب وعن عبد الله بن عباس ومحمد بن إسحاق بن يسار عن حماد بن عيسى عن سليمان بن سلم العقيلي عن عامر الشعبي
عن عبد الله بن مسعود وجوير عن أنس بن مالك بن مراحم قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم هانئ راقدا وقد صلى
قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فكتب المتن من نسخة مسدوعة عنه
العشاء الآخرة قال أبو عبد الله الحاكم (٢٨)

وقوعه لا محالة بمقتضى حكمته لا بإيجاب غيره عليه قال مجاهد مقصدا من الله وقال
عكرمة قسما واجبا قالت الأشاعر أن هذا مشبه بالواجب من جهة استحالة نظرق
الخلف اليه وقد استدل المعترلة بهذه الآية على أن العقاب واجب على الله وإن
صاحب الكبيرة لمحمد والقاسم بخلفي النار بدليل أن الله بين أن الكل يردونها بين صفة
من يجزئهم للمؤمن والقاسم لا يكون متقيا في النار إذا واجب عن ذلك بأن المتق
هو الذي يتقى الشرك فصاحب الكبيرة متق فوجب أن يخرج من النار بعموم قوله ثم
نجي الذين اتقوا فالآية التي توهموها دليل اللهم هي من أقوى الدلائل على فساد قولهم
وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث تدل على إخراج المؤمن
الموحد من النار وهي معروفة (ثم تنجي) أي يخرج (الذين اتقوا) ما يوجب النار
وهو الكفر بالله ومعاصيه وترك ما شرعه وأوجب العمل به من النار فلا يتحدون بعد أن
ادخلوها قرئ تنجي بالتحقيق من تنجي وقرئ بالتشديد وهما سبعيتان (وتذر) أي
ترك (الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بفعل ما يوجب النار أو ظلموا غيرهم بمظلمة في
النفس أو المال أو العرض (فيها) أي في النار (جنبا) على الركب جمع جاث وقد
تقدم قريبا قال ابن عباس جنبا يقين فيها (وإذا نزل عليهم آتنا نيات) واضحات
لا يلبس معانيها وقيل ظاهرات لا يخار وقيل أنها حجب وبراهين والاول أولى وهي حال
مؤكدة لأن آيات الله لا تكون الا واضحة والضمير في عليهم راجع الى الكفار الذين سبق
ذكرهم في قوله أنذامات لسوف أخرج حيا أي هؤلاء إذا قرئ عليهم القرآن تعذبوا
بالبياض والالوان كتم على الحق وكما على الباطل لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا ثم
يكن بالعكس لأن الحكم لا يليق به ان يمين أو لياؤه ويعز أعداءه وقيل عليهم أي على
المؤمنين والاول أظهر ووضع الظاهر موضع الضمير في قوله (قال الذين كفروا) للاشعار
بأن كفروهم هو السبب لصدور هذا القول عنهم وقيل المراد بهم هنا هم المتمردون المصرون
منهم والاعنياء المتجهلون بالثياب وغيرها ومعنى (الذين آمنوا) قالوا لاجلهم وقيل
هي لام التبليغ كما في قوله وقال لهم نبيهم أي خاطبهم وهم وشافهم بذلك وبلغوا القول
اليهم يعني فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت فيهم قسافة وفي عيشهم
خشونة وفي ثيابهم رثالة وفي منزلهم ضيق وكان المشركون يربحون شعورهم ويدهنون

فذكر حديثا طويلا يلائم كرفسه
عدد الدرج والملائكة وغير ذلك
مما لا ينكر شي منها في قدرة الله أن
صحت الرواية قال البيهقي في هذا
قبل في حديث أبي هريرة العدي
في اثبات الاسراء والمعراج كفاية
وبالله التوفيق قلت وقد أرسل هذا
الحديث غير واحد من التابعين
وأئمة المفسرين رجمة الله عليهم
أجمعين برواية عائشة أم المؤمنين
رضي الله عنها قال البيهقي أخبرنا
أبو عبد الله الحافظ أخبرني مكرم
ابن جندب القاضي حدثني إبراهيم بن
الهيثم البكري حدثني محمد بن كثير
الصنعاني حدثنا عمر بن راشد
عن الزهري عن عروة عن عائشة
قالت لما أسرى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المسجد الأقصى أصبح
يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن
كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك
الى أبي بكر فقالوا لثي صاحب
يرغم أنه أسرى به الله الى بيت
المقدس فقال أوقال ذلك قالوا
نعم قال ثي كان قال ذلك لقد صدق
قالوا قد صدقه انه ذهب الليلة الى
بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح
قال نعم اني لاصدقه فيها وأبعد من

ذلك أصدق خبر السماء في غوثة أو روعة فلذلك سمي أبو بكر الصديق برواية أم هانئ بنت أبي طالب قال محمد بن إسحاق رؤسهم
حدثني محمد بن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح بإذن عن أم هانئ بنت أبي طالب في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها
كانت تقول ما أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصرى العشاء الآخرة ثم نام وغنفا فلما قيل
الغدير أهينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلىنا معه قال أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا
الروائي ثم بحث بيت المقدس فصرى فيه ثم صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين الكلبي متروك بحجة ساقطة لكن رواه أبو يعلى

في مسنده عن محمد بن اسمعيل الانصاري عن ثمر بن ربيعة عن يحيى بن عمار عن ابي بصير عن ابي صالح عن ابي هانيء باسط من هذا
 الساق فليكتب ههنا وروى الحافظ ابو القاسم الطبراني من حديث عبد الاعلى بن ابي السباور عن عكرمة عن ام هانيء قالت
 يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله اسرى به في بيتي ففقدته من الليل فامتنعت حتى النور مخافة ان يكون عرض لبعض قرش فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام اتاني فاخذ يدي فاخرجني فاذا على الباب دابة دون البغل وفوق الجمار
 خلعتي عليها ثم انطلق حتى انتهى بي الى بيت المقدس فاراني ابراهيم بن مشبه (٣٩) خلقه خلقي وشبه خلقي وخلقه وأراني

موسى آدم طويلا سبط الشعر
 شبهته برجال اذ دشنوه وأراني
 عيسى بن مريم ربعة أبيض يضرب
 الى الحجر شبهته بعروة بن مسعود
 الثقي وأراني الدجال مسح العين
 البني شبهته بقطن بن عبد العزيز
 قال وانما يريد ان يخرج الى قرش
 فاخبرهم بما رأيت فاخذت بثوبه
 فقلت اني اذكرك الله انك تأتي
 قومك يكذبونك وينكثون
 مقاتل فآخاف أن يسطوا بك
 قالت فضرب ثوبه من يدي ثم
 خرج اليهم فأتاهم وهم جلوس
 فاخبرهم ما أخبرني فقام جبير بن
 مطعم فقال يا محمد ان لو كنت لك
 شأن كما كنت ما تكلمت بما
 تكلمت به وأنت بين ظهراني
 فقال رجل من القوم يا محمد هل
 مررت لنسابل في مكان كذا وكذا
 قال نعم والله قد وجدتهم قد أضلوا
 بعير الهم فهم في طلبه قال هل مررت
 بابل لبني فلان قال نعم وجدتهم في
 مكان كذا وكذا وقد انكسرت لهم
 ناقة جراء وعندهم قصعة من ماء
 فشربت ما فيها قالوا فاخبرنا عدها
 وما فيها من الرعاة قال قد كنت عن
 عدها مشغولا فقام فألقى بالابل

رؤسهم ويلبسون اخر ثيابهم (أي الفريقين) المراد بهما المؤمنون والكافرون
 كأنهم قالوا فريقتنا (خير مقام) أم فريقتكم وقرئ بضم الميم وهو موضع القامة
 أو مصدر بمعناها والفتح منزل لا موضع غير الناذي اذ هو متحد القوم وقيل هو
 الموضع الذي يقام فيه بالامور الجليله والمعنى أي الفريقتين أكبر جاهوا أكثر أعوانا
 وأنصارا وعن مجاهد في الآية قال قرش تقوله لها ولاصحاب محمد صلى الله عليه وآله
 وسلم وقال ابن عباس مقاما المنازل (وأحسن نيا) قال ابن عباس نيا المجالس والندى
 والنادي مجلس القوم ومحدثهم ومجتمعهم ومنه قوله تعالى وتأتون في ناديك المنكر
 وقوله فليدع ناديه أي أهل ناديه وناداه جالس في النادي ومنه دار الندوة لان المشركين
 كانوا يتشاورون فيها في امورهم وقيل هو مشتق من الندى وهو الكرم لان الكرماء
 يجتمعون فيه (وكم) أي كثيرا (اهل كتاب لهم قرن) هي الجماعة والامة الماضية
 وهو مفرد لفظا متعدد معنى (هم أحسن أناسا) هو المال أجمع الابل والغنم والبقر
 والعبيد والمتاع وقيل هو متاع البيت خاصة وقيل هو الجديد من القرش وقيل
 اللباس خاصة (ورثيا) بمعنى الميراث وهو كالزيج والطعن بمعنى المذبوح والمطعون قرئ
 بالهمزة وقرئ بالياء المشددة من رأيت أي هم أحسن منظرا وبه قال جمهور المفسرين
 وحسن المنظر يكون من جهة حسن اللباس وحسن الابدان وتنعمها او مجموع الامرين
 ومعنى القراءة الاولى معنى الثانية قال الجوهري من همز جعله من المنظر من رأيت وهو
 ما رآته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم همز اما ان يكون من تخفيف الهمزة
 او يكون من رويت أو انهم وجدواهم راي اى امتلات وحسنت وقد ذكر الزجاج معنى
 هذا وقرئ زبا وهو الهيئة والجسنة والصورة ويجوز أن يكون من زويت أي جمعت
 والزى محاسن مجموعة (قل) امر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يجيب
 على هؤلاء المفخرين بخطو ظهم الديونية والكفار القائلين لا مؤمنين أي الفريقتين خير
 مقاما وأحسن نديا بقوله (من كان) مستقرا (في الضلالة) أي الكفر والجهل
 والغفلة عن عواقب الامور وهذا شرط وجوابه (فليدله الرجن مدًا) في الدنيا
 يستدرجه وهذا وان كان على صيغة الامر فالمراد به الخبر وانما خرج مخرج الامر لبيان
 الهمال منه سبحانه للعصاة وأن ذلك كائن لاحالة ليقطع معاذير أهل الضلال ويقال لهم

فعدوها وعلم ما فيها من الرعاة ثم قرئ فقال لهم سألتوني عن ابل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسألتوني
 عن ابل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة بن أبي خفاة وفلان وفلان وهي تصحبكم بالعدة على الثنية قال فقعدوا على الثنية
 ينظرون أضدبهم ما قال فاستبقوا الابل فسألواهم هل ضل لكم بعير فقالوا نعم فسألوا الآخر هل انكسرت لكم ناقة جراء قالوا نعم
 قالوا فهل كانت عندكم قصعة قال ابو بكر ناوا الله وضعتا فاشربها أحدولا أهرقوه في الارض فصدقهم أبو بكر وآمن به فسمى
 يومئذ الصديق * (فصل) وإذا حصل الوقوف على مجموع هذه الايجابت صحبها وحسنها ووضعها تحصل مضمون ما اتفقت عليه

من مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى بيت المقدس وانه مرة واحدة وان اختلفت عبارات الرواة في آدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فان الخطأ جاز على من عدل الانبياء عليهم السلام ومن جعل من الناس كل رواية مخالفت الأخرى مرة على حدة قانت أسراراً متعددة فقد أعتد وأعرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل على مطلب وقد صرح بعضهم من المتأخرين بانه عليه السلام أسرى به مرة من مكة الى بيت القدس فقط ومرة من مكة الى السماء فقط ومرة الى بيت المقدس ومنه الى السماء وفرح بهذا المسلك وانه قد ظهر شيء يخص به (٤٠) من الاشكالات وهذا بعد رجاء ولم ينقل هذا عن أحد من

السلف ولم تعدد هذا التعدد
لاخير النبي صلى الله عليه وسلم به
أتمته ولنقله الناس على التعدد
والتكرار قال موسى بن عبيدة
عن الزهري كان الاسراء قبل
الهجرة بسنة وكذا قال عروة
وقال السدي بسنة عشر شهرا
والحق انه عليه السلام أسرى به
بقطة لامنا من مكة الى بيت
القدس راكبا البراق فلما انتهى الى
باب المسجد ربط الدابة عند الباب
ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد
ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم
يؤدرج برقي فيها فصعد فيه الى
السماء الدنيا ثم الى بقية السموات
السبع فلقاه من كل سماء
مقربوها وسلم على الانبياء الذين في
السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم
حتى مر بعيسى الكليم في السادسة
وابراهيم الخليل في السابعة ثم
جاوز بمنزلة جبال الى الله عليه وسلم
وعلى سائر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام حتى انتهى الى مستوى
يسمع فيه صريف الاقلام أي أقلام
القدر عباها وكان ورأى سدة
المنتهى وغشيها من احمر الله تعالى
عظمة عظيمة من فراس من ذهب

يوم القيامة أول نعمكم بما تبذلوا من نذركم أو للاستدراج كقوله سبحانه أعما على لهم
ليزدادوا أعما والتعرض لعنوان الرجانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية وذكر
لفظ الرحمن في هذه السورة في ستة عشر موضعا وقيل المراد بالاية الدعاء بالمد والتفليس
قال الزجاج تأويله ان الله جعل جزاء ضلالتهم ان يتركوه ويحذو فيها لان لفظ الامر يؤكده
معنى الخبر كان التكليم يقول أفعل ذلك وأمر به نفسى وقال جاهد مدعته فليدعه الله
في طغيانه وفي حرف أي من كان في الضلالة فانه يريد الله ضلاله وطغيانا واستدراجا بأن
يضل عروده بكتامه ويمكنه من التصرف فيه (حتى) حرف ابتداء وليست جارة
ولا عاطفة قاله الكانزوني والشهاب وفي زكرانها اجابة أي فيستمر في الطغيان الى ان
يشاهد الموعد (أقاروا) يعنى الذين مد لهم في الضلالة (ما يوعدون) جاء بصير
الجماعة اعتبار المعنى من كان قوله من كان في الضلالة فليمد له اعتبارا بلفظها وقيل
هذه غاية المد لا لقول المقتدرين اذ ليس فيه امتداد والغاية في الحقيقة هي قوله فسيعلون
الا (اما العذاب واما الساعة) هذا تفصيل لقوله ما يوعدون أي هذا الذي يوعدون
هو أحد الأمرين اما العذاب في الدنيا بالقتل والاسر كواقع لهم يوم بدر واما يوم القيامة
وما يحل بهم حيثئذ من العذاب الاخرى فاما حرف تفصيل وهي مائة خلوة جوار الجحيم
والعذاب والساعة مدلان من ما (فسيعلون) جواب اذا أي هؤلاء القاتلون أي
الفرقيين خير مقام اذا ما يؤعدون بمن العذاب الدنيوي يابى المؤمنين
أو الاخرى (من هو شر مكانا) من الفرقيين (وأضعف جندا) قابله بأحسن نداء
من حيث ان حسن النادى يكون باجتماع وجوه القوم وأعماهم وظهور رشوكهم
واستظهارهم والمعنى فسيعلون أعم خير وهم وخذلهم الشياطين في النار أم المؤمنون
وهم في الجنة وعندهم ملائكة الرحمن ومن على هذا استقامت وهو أحد وجهين
ويجوز أن تكون موصولة بمعنى الذي وليس المراد ان المقتدرين هنالك خذلوا ضعفاء بل
لا جند لهم أصلا كما في قوله سبحانه ولم تكن له فتية يصبرونه من دون الله وما كان مستصرا
ثم لما أخبر سبحانه عن حال أهل الضلالة أراد أن يبين حال أهل الهداية فقال (ويذ الله
الذين اهتدوا) بالايان (هذي) بما ينزل عليهم من الآيات وذلك ان بعض الهدى يجر الى
البعض الآخر والخير يدعو الى الخير وقيل المراد بالزيادة العبادة من المؤمنين والجملة

والوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هنالك جبريل على صورته وله سمائة جناح ورأى رفرفا أخضر قد سد مسافة
الافق ورأى البيت المعمور الذي ابراهيم الخليل بالكعبة الارضية مسند ظهره اليه لانه الكعبة السماوية يدخله كل يوم
سبعون الف الملائكة تعبدون فيه ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة ورأى الجنة والنار وفرض الله عليه هنالك الصلوات
خمسين ثم خففها الى خمس رجة منه ولطفها لعباده وفي هذا اعتبار عظيم بشرف الصلاة وعظم ما تمهيط الى البيت المقدس وخط
معه الانبياء صلى بهم فيه لما حانت الصلاة ويحتمل انه الصبح من يومئذ ومن الناس من يزعم انه أهمهم في السماء الذي تطا هرت

به الروايات انه سبب المقدس ولكن في بعضها ان كان أول دخوله اليه والظاهر انه بعد رجوعه اليه لانه لما ستر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحد واحد وهو يجبرهم وهذا هو اللائق لانه كان أولاً مطاوب الى الجناح العلوي ليفرض عليه وعلى امته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذي اراد به اجتمع به وهو اخواته من النبيين ثم اظهر شرفه وفضله عليهم بتقدمه في الامامة وذلك عن اشارة جبريل عليه السلام في ذلك ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد الى مكة بغلس والله سبحانه وتعالى أعلم وأما معرض الائمة عليه من اللبن والعسل وأول اللبن والجرأ وأول اللبن والماء وألجميع (٤١) فقد ورد انه في بيت المقدس وجاءه انه في

السماء ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لانه كالضيافة للقادم والله أعلم ثم اختلف الناس هل كان الاسراء يسدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قولين قالوا كثيرون من العلماء على انه أسرى بيده وروحه بقطعة لاسناما ولا يشكر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى قبل ذلك مناما ورابعده بقطعة لانه كان عليه السلام لا يرى رؤيا الا جاءت مشتمل فلق الصبح والدليل على هذا قوله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله فالتسبيح انما يكون عند الامور العظام فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش الى تكذيبه ولما ارتدت جماعة عن قداً سلموا أيضاً فان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال أسرى بعبده ليلاً وقد قال تعالى وما جعلنا الرؤية التي ابرئناك الا فتنة للناس قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم رواء البخاري وقال

مستأنفه لبيان حال المهتدين وقيل الواو للعطف على جملة الشرط المحكية بالقول قال الزجاج المعنى ان الله يجعل جزاء المؤمنين ان يزيدهم يقيناً كما جعل جزاء الكافرين ان يذهب في ضلالهم (والباقيات الصالحات) أي الطاعات المؤدية الى السجادة الابدية التي تبنى لصاحبها (خير عند ربك ثواباً) بما يتبع به الكفار من النعم الدنيوية التي اقتضوا بها (وخير مراداً) هو هناك مصدر كالرد والمعنى وخير رد الثواب على فاعله ليست كاعمال الكفار التي خسروا فيها والمراد المرجع والعاقبة أي ما يراد به ويرجع وهو الجنة وأفعال الفضيل التي تكلم بهم على سبيل المشاكاة لقطع بان أعمال الكفار لا خير فيها أصلاً ثم أورد سبحانه مقالة هؤلاء المنقذين باخرى مثلها على سبيل التعجب فقال (أفأريت الذي كفر بأبائنا) استفهام تعجب أي أخبرني بقصة هذا الكافر يعني عاص بن وائل واذا كر حديثه عقب حديث أولئك وانما استعملوا أريأت بمعنى أخبر لان رؤية الشيء من أسباب صحة الخبر عنه والآيات تم كل آية ومن جملتها آية البعث والعطف على مقدس رأى أنظرت فأريت واللام في (وقال لا وتين) هي الموطنة للقسم كانه قال والله لا وتين في الآخرة (مألا وولدا) وهذا من شدة تعنته بكفره أي انظر الى حال هذا الكافر وتجب من كلامه وتأليه على الله مع كفره وتكذيبه بأياته أخرج البخاري ومسلم وغيرهما في الآية من حديث خباب بن الارت قال كنت رجلاً قيسياً وكان لي على العاص بن وائل (١) دين فأتته انتفاضه فقال لا والله لا اقضيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم بعثت فأتني اذ امت ثم بعثت حتى ولي ثم مال وولدا فاعطيت فانزل الله فيه هذه الآية وقرئ ولدا بضم الواو وبفتحها قيل هما الفتان معناه واحد يقال ولد وولد كيقال عدم وعدم وقيل بالضم الجمع وبالفتح الواحد وقد ذهب الجمهور الى ان هذا الكافر أراد بقوله لا وتين مألا وولداً انه يؤتى ذلك في الدنيا وقال جماعة في الجنة قيل والمعنى ان أتت على دين أبائي لا وتين وقيل المعنى لو كنت على باطل لما أتيت ما لا وولداً ثم أجاب الله سبحانه عن قول هذا الكافر بما دفعه وبطله فقال (أطلع الغيب) بفتح الهمزة الاسمية فهامة واطلع متعد بنفسه كقوله اطلع الجبل قال المغرب وليس متعد بفاعلي كما لوهمه بعضهم حتى يكون من الحذف والابصال لكن في القاموس اطلع عليه فمكانه يتعدى ولا يتعدى يقال اطلع الجبل اذا ارتقى الى أعلاه

(٦ - فتح البيان سادس) تعالى ما زاع البصر وما طغى البصر من آلات الذات لا الروح وأيضاً فانه جل على البراق وهو دوابه يضاء براقه لها المعان وانما يكون هذا البسدن لا الروح لانها لا تحتاج الى حركتها الى مركب تركب عليه والله أعلم وقال آخرون بل أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم بروحه لا بجسده قال محمد بن اسحق بن ساري السيرة حنثي بعتوب بن عتبة بن المغيرة ابن الاخنس ان معاوية بن أبي سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت رؤيا من الله صادقة وحديثي بعض آل أبي بكر ان عائشة كانت تقول ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أسرى بروحه قال ابن اسحق (١) هو أبو سيدنا عمر وهو جسد عبد الله بن عمر أحد العبادلة اه منه

فلم تذكر ذلك من قولها القول الحسن ان هذه الآية ترتب وما جعلنا الرؤيا التي أرى نكال الا فتنة للناس ولقول الله في الخبر عن ابراهيم اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال فهمض على ذلك فعرقت ان الوحي باقى للانبياء من الله ايقاظا ونياما فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تمام عيناى وقلبي يقظان والله أعلم أى ذلك كان قد جاء وعاب من الله فيه ما عاب على أى حال انه كان نائما أو يقظا ناكل ذلك حتى وصدق انتهى كلام ابن ابي حنيفة وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والانكار والتشيع بان هذا خلاف ظاهر سياق القرآن (٤٢) وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم والله أعلم (فائدة حسنة جليلة)

روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني في كتاب دلائل النبوة من طريق محمد بن عمر الواقدي حدثني مالك بن أبي الرجال عن عمرو بن عبد الله بن محمد بن كعب القرظي قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم دحية ابن خليفة الى قيصرة فذكر وروده عليه هو وقدومه اليه وفي السياق دلالة عظيمة على وفور عقل هرقل ثم استدعاه من الشام من التجار فجيء بأبي سفيان فخر بن حرب وأصحابه فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتى بيانه وجعل أبو سفيان يجهل أن يحقر أمره ويصغره عنده قال في هذا السياق عن أبي سفيان والله ما منعتني من أن أقول عليه قولا أسقطه من عينه الا اني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها علي ولا يصديق بشي قال حتى ذكرت قوله ليلة اسرى به قال فقلت أيها الملك ألا أخبرك خبر اتعرف انه قد كذب قال وما هو قال قلت انه يزعم لنا انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فداء مسجدكم هذا مسجد ايليا ورجع اليها تلك

والمعنى أعلم ما غاب عنه حتى يعلم انه في الجنة (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) بذلك أي بان يؤتى ما قاله فإنه لا يتوصل الى هذا العلم الا بأحدى حاتين الطريقتين وقيل المعنى أنظر في اللوح المحفوظ أم اتخذ عند الله عهدا وقيل المعنى أم قال لا اله الا الله فارحمه بها ويرجوها قاله ابن عباس وقيل المعنى أم قدم عيلا لها فهو يرجوها (كلا) حرف رد وزجر أي ليس الامر على ما قال هذا الكافر من انه يؤتى المال والولد ولفظه كلا فيهما للتحقة ستة مذاهب أحدها وهو مذهب جمهور البصريين كالتخليل وسيبويه وأبي الحسن الأخفش وأبي العباس المبرد انها حرف رد وزجر وهذا معنى لا تقيها حيث وقعت في القرآن وما أحسن ما جاءت في هذه الآية زجرت وردعت ذلك القائل والثاني وهو مذهب النضر بن شميل انه حرف تصديق بمعنى نعم فتكون جوابا ولا بد منه ثم من ان يتقدمها شيء لفظا وتقديرا وقد تستعمل في القسم والثالث وهو مذهب الكسائي وأبي بكر بن الانباري ونصر بن يوسف وابن واصل انها بمعنى حقا والرابع وهو مذهب أبي عبد الله البايلي انها رد لما قبلها وهذا قريب من معنى الردع الخامس انها صلة في الكلام بمعنى أي كذا قيل وفيه نظرفان أي حرف جواب ولكنه مختص بالقسم السادس انها حرف استفتاح وهو قول أبي حاتم قال السمعاني وتقرر هذه المذاهب موضع هو ألق بها قد حققتم المجمع الله فيه انتهى وذكر كذا في القرآن في النصف الثاني فقط وذكر في خمس عشرة سورة منه كلها مكسبة ووجه ما ذكر كرت ثلاثة وثلاثون مرة ترجع الى أقسام ثلاثة قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فيبتدأ بها وهذا باتفاق وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يعين على ما قبلها وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق فالقسم الاول خمسة مواضع اللذان في هذه السورة والثاني في سورة الشعراء واحدة في سورة سبأ والقسم الثاني تسعة واحدة في سورة المؤمنین واثنان في سورة سأل سائل وثنان في سورة المذثر الاولى والثانية والاوى في سورة القامئة والثانية في سورة ق ولله طنفين والاوى في سورة الفجر والتي في سورة ويل لكل والقسم الثالث هو التسع عشرة الباقية ذكره عز بن جماعة (سكتب) أي سحفظ عليه (ما يقول) فيجازه به في الآخرة أو سظهر له ما يقول ونعلمه أو نستقيم منه انتقام من كذب معصيته (وتعلمه من العذاب سدا) أي زايده عذابا فوق عذابه مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد أو يطول له من العذاب

الليلة قبل الصباح قال وبطريق ايليا عند رأس قيصرة فقال بطريق ايليا فقلت تلك الليلة قال فظهر قصص وقال ما علمك بهذا قال اني كنت لأنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد فلما كان تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبي فاستعنت عليه عيالي ومن بحضورتي كلهم فعالجته فغلقت فلم نستطع أن نخرجه كائنات اول به جلا قد دعوت اليه النجاجة تنظروا اليه فقالوا ان هذا الباب سقط عليه النجاف والبيان ولا نستطيع ان نخرجه حتى نصبح فنظف من أين اني قال فرجعت وتركت البابين مفتوحين فلما أصبحت غدوت عليه ما قاذ الحرج الذي في زاوية المسجد مثنوقب وانافيه أثر من بط لداية قال فقلت لاصحابي

ما حبس هذا الباب الليلة الأعلى نبي وقد صلى الليلة في مسجدناؤذ كتمام الحديث * (قائده) قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه التنوير في مولد السراج المنير وقد ذكر حديث الاسراء من طويق أنس وتكلم عليه فأجأوا فادغم قال وقد نزلت الرزايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلى وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشذاد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرق وأبي حبة وأبي لبي الانصارين وعبد الله بن عمر وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي امامة ومهرة بن جندب وأبي الجرام وصهيب الرومي (٤٣)

الصديق رضى الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد وان لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والمحدثون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله سمع نورهم ولو كره الكافرون قوله تعالى (وَأَنبِئَا مُوسَى الْكَاتِبَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَن لَّا تَعْبُدُوا مِن دُونِي وَكَيْلَازِيَّةٍ مِّن جَلْنَائِعِ نُّوحٍ أَنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) لماذا كرمنا على أنه أسرى بعده محمد صلى الله عليه وسلم عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكلمه أيضا فانه تعالى كثير ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليه ما من الله الصلاة والسلام ويذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الاسراء وأنبئنا موسى الكتاب يعني التوراة وجعلناه أي الكتاب هدى أي هاديا لبني اسرائيل أن لا تتخذوا أي لثلاثا تتخذوا من دوني وكيلأي وليا ولا نصيرا ولا معبودا دوني لأن الله تعالى أنزل على كل نبي آرساله أن يعبدوه وحده لا شريك له

ما يتحقق وهو عذاب من جمع بين الكفر والاستهزاء (وزنه ما يقول) أي غيسته فتره المال والولد الذي يقول أنه يؤناه والمعنى مسمى ما يقول ومصدقه قاله أبو السعد وقيل المعنى فخره ما تنزهه في الآخرة ونعطيته غيره من المسلمين قاله القرطبي (وَأَنبِئَا) يوم القيامة (فردا) لآماله ولأولاد لا عشرة بل نسليه ذلك فكيف يطمع أن ان نعطيته وقيل المراد بما يقول نفس القول لا اسمها والمعنى انما يقول هذا القول مادام حيا فإذا أمتهاء حلنا بينه وبين ان يقوله وأنبئنا رفضاله منقر دأعنه والاول أولى (واتخذوا من دون الله الهة لعل يكونوا لهم عززا) حكى سبحانه ما كان عليه هؤلاء الكفار الذين تتنوا ملايا تحقونه وتأنوا على الله سبحانه من اتخذهم الآلهة من دون الله لاجل ان يعززوا بذلك وقال أبو السعد حكاية لجنابة عامة لكل مستبعدة لضمائر جون ترته علم اثر حكاية مدالة الكافر المعهود واستباعتها القبيض مضمونها وقال الهروي معناه ليكونوا لهم أعوانا وقال الفراء ليكونوا لهم شفعاء عند الله في الآخرة وقيل معناه ليعززوا بهم من عذاب الله ويتنوعوا بها (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) أي ليس الامر كما ظنوا وتوهوا والضمير في الفعل اما لآلهة أي يستجده هذه الاصنام عبادة الكفار لها يوم ينطقها الله سبحانه لانهم عند أن عبدهوها جادات لا تعقل ذلك واما المشركين أي سيجد المشركون انهم عبدهوا الاصنام وبدل على الوجه الاول قوله تعالى ما كانوا يا ناعبدون وقوله فالفقوا اليهم القول انكم لا كاذبون وبدل على الوجه الثاني قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين قرئ كلا بضم الكاف والتنوين وهي بمعنى جنعا وبالفتح مصدر أي كل هذا الرأي كلا والاصوب انها حرف ردع وزجر والمعنى تكون هذه الآلهة التي ظنوها عزاهم ضدا عليهم أي ضدا للعرض ضد العز الذي هو على الوجه الاول وأما على الوجه الثاني فيكون المشركون للآلهة ضدا وأعداء يكفرون بها بعد أن كانوا يعبدونها ويحبونها ويؤمنون بها قال ابن عباس عليهم ضدا أعوانا وحسرة وانما وحد الضد وان كان خيرا عن جمع لاحد وجهين اما لانه مصدر في الاصل والصادر جوحدة مذكرة واما لانه مفرد في معنى الجمع (ألم ترانا أرسلنا الشياطين على الكافرين) ذكر الزجاج في معنى هذا وجهين أحدهما ان معناه خليين بين الكافرين وبين الشياطين فلم ينعهم منهم ولم نعدهم بخلاف المؤمنين الذين قيل فيهم ان عبادي ليس

ثم قال ذرية من جعلنا مع نوح تقديره اذرية من جعلنا مع نوح فيه تهج وتبعية على المنسة أي اسالة من نجينا من جعلنا مع نوح في التسمية تشبها بآبائهم كان عبدا شكورا فذكر وانتم تعني عليكم بارسالي اليكم محمد صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الحديث وفي الأثر عن السلف ان نوحا عليه السلام كان يحمده الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهذا سمي عبدا شكورا قال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم حماد شافعيان عن أبي حصين عن عبد الله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال انما سمي نوح عبدا شكورا لانه كان اذا أكل أو شرب حمد الله وقال الانام أجد حدثنا أبو اسامة حدثنا زكريان أبي زائدة عن

تبعدين أي بردة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يرضي عن العبدان يأكل الأكلة
أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أبي أسامة أنه قال مالك عن زيد بن أسلم كان
يحمد الله على كل حال وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتأسيد ولد آدم يوم
القضامة بطوله وفيه فأتون فيحافقون نوحاً أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبداً شكوراً شفع لنا
إلى ربك وذكر الحديث بكلمة (وقضينا إلى (٤٤) بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبرياً فإذا

لأن عليهم سلطان الوجه الثاني أنهم أرسلوا عليهم وقضوا إليهم بكفرهم كما قال ومن يعش
عن ذكر الرحمن فيضيع له شيطاناً فعني الإرسال هنا التسليط ومن ذلك قوله سبحانه لا تبليس
واستقر زمن استطعت منهم بصوتك ويؤيد الوجه الثاني علم الآية وهو قوله (تؤزهم أزا)
فان الأزو والأزين والهز والهز والواستقرار أزا أخوات معناها التحريك والتهيج وشدة
الازعاج فآخبر الله سبحانه أن الشياطين تحرك الكافرين وتهيجهم وتغويهم وتقرهم
على المعاصي بالتسويات وتحبيب السموات وذلك هو التسلط لها عليهم وقيل معنى
الازال الاستحجال وهو مقارب لما ذكرنا لأن الاستحجال تحريك وتهيج واستقرار
وازعاج وسيأتي هذه الآية لتعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حالهم ولتنبيه
على أن جميع ذلك باضلال الشياطين وأغوائهم والجله حالية من الشياطين أو من
الكافرين أو منهما أو مستأنفة كانه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم قال ابن عباس تؤزهم
أزا تغويهم أغوا وغررهم المشركين على محمد وأصحابه وقال ترجمهم أزعاجاً إلى معاصي
الله وفي الآية دليل على أن الله مدبر لجميع الكائنات (فلاتجمل عليهم) بأن تطلب من
الله أهلاً لهم بسبب تعصيمهم على الكفر وعنادهم الحق وعقدهم عن داعي الله سبحانه
حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم ونظير الأرض من فسادهم ثم علل سبحانه هذا
التهنى بقوله (أما نعلمهم عدا) يعني تعد الأيام والليالي والشهور والسنين من أعمارهم
إلى انتهاء آجالهم فلا نعلم ما يقع منهم بل نضبطه عليهم حتى نؤاخذهم به وقيل تعد
أنفاسهم وقيل خطواتهم وقيل لحظاتهم وقيل الساعات وقال قطرب نعدنا أعمالهم
وقيل المعنى لا تتجمل عليهم أعمارهم ليزدادوا أعماراً قال النهاب إن العد كناية عن القلة
ولا ينافي هذا ما مر من أنه يعلم أن في الضلالة لأنه بالنسبة لظواهر الحال عندهم وهو
قليل باعتبار عاقبته وعند العد ثم لما قرر سبحانه أمر الحشر وأجاب عن شبهة منكريه
أراد أن يشرح حال المكلفين حينئذ فقال (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) أي
أذكر ما محمد صلى الله عليه وآله وسلم يوم الحزب ومعنى الحشر إلى الرحمن حشرهم إلى جنته
ودار كرامته كقوله (إني ذاهب إلى ربي والوفد جمع وفد كالركب جمع ركب والحبس
جمع صاحب يقال وفد ينفد وفداً إذا خرج إلى ملك أو أمر خطير كذا قال الجوهري وعن
ابن عباس قال وفد لما ركبنا وعن أبي هريرة قال على الأبل وعن علي قال علي فوق وفي

جاء وعداً ولا هما به مثلاً عليكم عباداً
لنا أولى بأس شديد فأسأوا خلال
الديار وكان وعداً مفعولاً ثم ردنا
لكم الكثرة عليهم وأمددناكم
بأموال وبنيين وجعلناكم أكثر نفيراً
إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن
أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة
لسوا وأوجوهكم ولیدخلوا المسجد
كأدخلوه أول مرة ولشربوا ما علوا
تنبه أعسى ربكم أن يرحمكم وإن
عدتم نادوا وجعلنا جهنم للكافرين
حصراً) يخبر تعالى أنه قضى إلى بني
إسرائيل في الكتاب أي تقدم إليهم
وأخبرهم في الكتاب الذي أنزل به
عليهم أنهم سيقدسون في الأرض
مرتين ويعلمون علواً كبيراً أي
يتعجبون ويطغون ويفجرون على
الناس كقوله تعالى وقضينا إليه
ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع
مصعبين أي تقدمنا إليه وأخبرناه
بذلك وأعلمناه به وقوله فإذا جاء
وعداً ولا هما أي أولى الأفسادتين
بعننا عليكم عباداً لنا أولى بأس
شديد أي سلطاناً عليكم جنداً
من خلقنا أولى بأس شديد أي قوة
وعدة وعدة وسلطة شديدة فأسأوا

خلال الديار أي غلبوا بلادكم وسلطوا عليكم أي بيناهو وسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون الصبيحين
أحد أو كان وعداً مفعولاً وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء السلاطين عليهم من هم فعن ابن عباس وقتاده أنه
جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم أولاً ثم أدبوا عليه بعد ذلك وقتل داود جالوت ولهذا قال ثم ردنا لكم الكثرة عليهم الآية وعن
سعيد بن جبير أنه ملك الموصل سخراب وجنوده وعنه أيضاً وعن غيره أنه تحتصر ملكاً بل وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة عجبية
في كيفية ترفيقه من حال إلى حال إلى أن ملك البلاد وأنه كان فقيراً مقعداً ضعيفاً يستعطي الناس ويستطعمهم ثم آل به الحال إلى

والنكال وليله اذ اكل وجعلنا جنيحهم للكافر من حصرا أي مستقرا وحصرا وسجنا لا يحيد لهم عنه قال ابن عباس حصرا أي محبسا
 وقال محمد بن بصيرون فيه اوكذ قال غيره وقال الحسن قرأش وساد وقال قتادة تعدد شواشي اسرا دل فسلط الله عليهم هذا
 محمد اصلي الله عليه وسلم واصحابه يأخذون منهم اجزءه عن يدوم صاغرون (ان هذا القرآن مهيدي لى لى قوم وبشير الخوسين
 الذين يعملون اصاغات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة عند ربهم عذابا عظيما) يدوح تعالى كما انعز من انسى اثره
 على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم (٤٦) وهو القرآن انه مهيدي لقوم امطروا وضع السبل وبشير المؤمنين به

من اذ دخل على مؤمن من سرورا فقد سرفى ومن سرفى فقد اخطأ عند الرحمن عينة افلا تسمه
 الثمان ان الله لا يفتن الميعاد واخرج الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من جاء بالصالحات انفس يوم اقيامة قد حافظ على وضوءها واوراثها
 وركوعها وسجودها من نقص منها شيئا جازله عند الله عيده ان لا يعذبه ومن جاء قد انتقص
 منها شيئا فليس له عند الله عيده ان شارجع وان شاعذبه (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) قرئ
 فتح الراوي وخميا كما تقدم والجله مسأفة لبيان قول اليهود والنصارى ومن زعم من
 العرب ان الملائكة بنات الله (لقد جثم شيئا اذا) فيه التفات من التنية الى الخطاب
 وفي رد ليهذا المقالة الشنعاء والاذ كما قال الجوهري الداهية والامر القطيع وكذلك الادة
 ورجع الاختلاف فقال أدت فلا تالاه امة تؤدها بنهم وتسه الكسر وتاده الفتح اذ اذعته
 وقرئ بالفتح وقرأ الجمهور بالكسر وقرئ آداسل سادا وقرئ مأخوذ من الثقل يقال آد
 الحمل يؤد اذا آتته قالوا واحد اذا أى عظمى فى قول الجميع وبه قال ابن عباس
 والمعنى قلتم قولنا مسكر اعظما وقيل الاداء العجب والادة الشدة والمعنى متقارب واتركيب
 يدور على الشدة والشل (كم كذا الجوات يتفرون منه) قرئ بالتحية وبالفتوية وقرئ
 ينظرون من الانقطار واختاره أبو عبيد لقوله اذا السماء انشظرت وقوله السماء منظر به
 وقرأ ابن مسعود يتصدعن والانقطار وانقسطر استحق (وتنشق الارض) كرر الفعل
 لتأ كيد لان يتظرون وتنشق معاها واحدا أى تحتهم (وتنشق) أى تسقط وتهلهم
 (الجمال جدا) قال ابن عباس هذا جدا لان الشرك فزع منه السموات والارض
 والجمال وجع الخلائق الا لتقليد وكذا ترون منه لعنة الله سبحانه وكذا لا ينفع مع
 الشرك احسان المشرك كذلك ترجوا ان يغفر الله ذنوب الموحدين وانتصاب هذا على انه
 مصدر مؤكدا لان انظر ورى معناه وهو مصدر لتفعل مقدرا أى وتهل هذا أو على الحال أى
 مهلودة أو على انه مفعول له أى لانهم اتهم قال الزمخشري هذا امر وهدر كنى أى كسرى
 وبلغ منى قال الجوهري هذا البناء مهله الكره يضعفه وهذا المصيبة أوغت
 ركه وانهد الجبل أى انكسر وانهد بصوت وقع الحائط كما قال ابن الاعرابى (أن) أى
 لان (دعوا) أو من أجل ان جعلوا (الرحمن ولدا) وقال الكسائى ذو بتقدير
 الخافض وقيل فى محل رفع على انه فاعل هذا أى هذا دعاء الاولاد للنساء بمعنى اسمية أى

الذين يعملون الصالحات على
 مقتضاه ان لهم اجرا كبيرا أى يوم
 القسامة وان الذين لا يؤمنون
 بالآخرة أى وبشير الخوسين
 بالآخرة ان لهم عذابا عظيما أى يوم
 القسامة كما قال تعالى فسرهم
 عذاب أليم (ويدع الانان البشر
 دعاه بالخبر وكان الانسان عجولا)
 يختر تعالى عن مجله الانسان دعائه
 فى بعض الاحيان على نفسه أو ولده
 أو ماله بالشراى بالموت أو الهلاك
 والدمار واللعنة وهو ذلك فلو
 استجاب له ربه لهلك بدعائه كما قال
 تعالى ولو يجعل الله للناس الشر
 الآفة وكذلك افسره ابن عباس
 ومجاهد وقتادة وقد تقدم فى
 الحديث لاتدعوا على انفسكم ولا
 على أموالكم أن توافقوا من الله
 ما يعتيخيب فيها وانما يحمل ان
 آدم على ذلك قلقه وعجله وليذا
 قال تعالى وكان الانسان عجولا وقد
 ذكر سلمان الفارسي وابن عباس
 ههنا فقه آدم عليه السلام حين دم
 بالنهوض فاشاقبل أن تصل الروح
 الى رجليه وذلك انه جاء به النفخة
 من قبل رأسه فلما وصلت الى

دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله برك ادم فلما وصلت الى عنقه فتمسكها فملا سرت الى اعضائه
 وجسده جعل ينظر اليه ويحبه فبهى بالنهوض قبل أن تصل الى رجليه فرب طمع وقال ابن عجل قبل الليل (وجعلنا الليل والنهار
 بين فجونا ليلة اليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتتغوا فضلا من ربكم وتعلموا اعداد السبى والحساب وكل شى فصلناه تفصيلا)
 بين تعالى على خلقه بآياته العظام فتممها خلقه بين الليل والنهار ليسكنوا فى الليل ويشتروا فى النهار للعائش والساكن والاعمال
 والامساك ولعلموا اعداد الايام والجمع والشهور والاعوام ويعرفوا مضى الاجال المضروبة للدين والعبادات والمعاملات والاخبارات

وغير ذلك ولان هذا حال الدنيا وان خلا من ربكم أي في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك ولتعلموا عدد السنين والحساب فأنظر كن
 الزمان كله نسقا واحدا واسألوا عما في الدنيا من علم أي من ذلك كما قال تعالى قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم
 القيامة من غير الله بآتيكم بضياء أفلا تسمعون قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من غير الله بآتيكم
 بليل لم تكون فيه أفلا تبصرون ومن رجعته جعل لكم الليل والنهار لتكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وقال تعالى
 تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل في المساريا وقرا سميرا (٤٧) وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن
 أراد ان يذكر أو أراد شكورا وقال

تعالى وله اختلاف الليل والنهار
 وقال يكور الليل على النهار ويكور
 النهار على الليل وسخر الشمس
 والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا
 هو العزيز الغفار وقال تعالى فأنق
 الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس
 والقمر حسبنا ذلك تقدير العزيز
 العليم وقال تعالى وآية لهم الليل
 نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون
 والشمس تجري لمستقرا بذلك تقدير
 العزيز العليم ثم الله تعالى جعل ليل
 آية أي علامة يعرف بها وهي
 الظلام وظهور القمر فيه وللنهار
 علامة وهي النور وطلع الشمس
 السيرة فيه وفاوت بين نور
 القمر وضياء الشمس ليعرف هذا
 من هذا كما قال تعالى هو الذي جعل
 الشمس ضياء والقمر نورا وقدره
 منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
 ما خلق الله ذلك إلا بالحق إلى قوله
 لايات لقوم يتقون وقال تعالى
 يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت
 للناس والحج الآية قال ابن جرير
 عن عبد الله بن كثير في قوله فخونا آية
 الليل وجعلنا آية النهار مبصرة قال
 ظلمة الليل وسدف النهار وقال ابن

سواء الرحمن ولدا وبمعنى النسبة أي نسبه له ولدا (و) الحال انه (ما ينبغي) أي
 لا يصلح (للرحن) ولا يليق به (ان يتخذ ولدا) لاستحالة ذلك عليه لان الولد يقتضى
 الجنسية والحدوث (ان كل من في السموات والارض) أي ما كل من فيهما (الا)
 وهو (أبى الرحمن) وحده أي وآتية لا في جلا على لفظ كل وهو اسم فاعل من أتى وهو
 مستقبل أي بآتيه يوم القيامة (عبدا) مقربا بالعبودية خاضعا لذليلهم عزير وعيسى
 كما قال وكل أنه دأخر من أي صاغر من والمعنى ان الخلق كلهم عبيده فكيف يكون واحد
 منهم ووالده وقرى آت على الاصل (لقد أحصاهم) أي حصرهم بعلمه وعلم عددهم وأحاط
 بهم (وعدهم عدا) أي عدا شخصاهم وانفاسهم وأفعالهم وأيامهم وآثارهم بعد أن
 حصرهم فلا يخفى عليه أحد منهم ولا شيء من أمورهم (وكلهم) أي كل واحد منهم تحت
 قهره وقدرته وتدبره (آتيه يوم القيامة فردا) أي وحيدا لناصره ولا مال معه كما قال
 سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون ثم ذكر الله سبحانه من أحوال المؤمنين بعض ما خصهم به
 بعد ذكره للقبائح الكافرين فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
 ودا) الجاهور من السمعة وغيرهم على ضم الواو وقرى بكسر هاو فتحها أي حبا في قلوب
 عبادهم يجعل لهم من دون ان يطلبوا بالاسباب التي توجب ذلك كما يقذف في قلوب أعدائهم
 الرعب وهذا الجعل في الدنيا والسنة للدلالة على ان ذلك لم يكن من قبل وانه مجعول من بعد
 نزول الآية لان المؤمنين كانوا بمكة حال نزول هذه الآية وكانوا همقوتين حيثئذ في الكفرة
 فوعدهم الله تعالى بذلك اذا اظهر الاسلام فألف الله تعالى بين قلوب المؤمنين ووضع فيها
 المحبة أو في القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزعه ما في صدورهم من
 الغل وعن ابن عباس قال نزلت في علي بن أبي طالب والمعنى محبة في قلوب المؤمنين وعن
 البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا
 واجعل لي عندك ودا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فانزل الله الآية على علي أخرجه
 ابن مردويه والبيهقي وعن ابن عباس قال محبة في الناس في الدنيا وعن علي قال سألت
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية ما هو قال المحبة الصادقة في صدور
 المؤمنين وثبت في الصيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم قال اذا أحب الله عبدا نادى جبريل انى قد أحب فلان فأحبه فينادى في

بحر عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل قال السواد الذي في القمر وكذلك خلقه الله تعالى وقال ابن جرير قال ابن عباس
 كان القمر بضئ كما تضي الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فخونا آية الليل السواد الذي في القمر وقدرى أبو جعفر من جرير
 من طرق متعددة جيدة ان ابن الكواكبي قال قال ابن جرير قال قال ابن جرير قال قال ابن جرير قال قال ابن جرير قال قال ابن جرير
 ويحك ما نقرأ القرآن فخونا آية الليل فهذه نحوه وقال قتادة في قوله فخونا آية الليل كأنه تحدث ان محو آية الليل سواد القمر الذي
 فيه وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم وقال ابن أبي شيبة عن ابن عباس وجعلنا الليل والنهار

آتين قال لئلا نهارا كذلك خلقهما الله عز وجل (وكل انسان أكرم طائرته في عنقه وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذكر ما يقع فيه من أعمال بني آدم وكل انسان أكرم طائرته في عنقه وطائرته هو ما طار عنه من عمله كإفان عباس ومجاهد وغيرهما من خبر وشرويلزم به ويجازي عليه من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى عن النبي وعن النبي قعيد ما يلفظ من قول الا انه رقيب عند وقال وان عليكم لحافين كما كاتين يلعون ما تفعلون (٤٨) الآية وقال انما تجزون ما كنتم تعملون وقال من يعمل سوا يحجزه

والقصود ان عمل ابن آدم محفوظ عليه قلبه وكثيره ويكتب عليه لئلا ونهارا صبا وحامسا وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما ترك الانسان في عنقه قال ابن لهيعة حتى الطيرة وهذا القول من ابن لهيعة في تفسير هذا الحديث غريب جدا والله أعلم وقوله وتخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا أي شجعه له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة اما يبينه ان كان سعدا أو بشما ان كان شقيا منشورا أي مفتوحا يقرؤه وهو وغيره فيه جميع عمله من اول عمره الى آخره ينبا الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ولهذا قال تعالى اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي انك تعلم انك لم تعلم ولم يكتب عليك الا ما عملت لانك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه وكل احديقرأ كتابه من كاتب وأنى وقوله أكرم طائرته في عنقه اتخاذ العنق لانه عضو من الاعضاء لا تنسى له في

الحسد من أكرم بشيء فله حبه له عنه كما قال الشاعر اذهب اذهب اذهبها * طوقها طوق الحمامة الا قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا عدوى ولا طيرة و لكل انسان الزمناه طائرته في عنقه كذا رواه ابن جبري وقد رواه عبد بن حماد في مسنده متصلا فقال حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طير كل عبد في عنقه وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق حدثنا عبد الله حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن ابي الخير حدثنا سمع عتبة بن عامر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس

* (سورة طه آياتها مائة وخمس وثلاثون آية أو أربعون واثنان) *

قال القرطبي مكينة في قول الجميع وبه قال ابن عباس وابن الزبير وقال السيموطي في الاثقان استثنى منها فاصبر على ما يقولون وأخرج ابن مردويه عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كل القرآن يوضع عن أهل الجنة فلا يقرؤون من شيئا فليمن عليك أمرهم والله أعلم بالصواب

الحسد من أكرم بشيء فله حبه له عنه كما قال الشاعر اذهب اذهب اذهبها * طوقها طوق الحمامة الا قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا عدوى ولا طيرة و لكل انسان الزمناه طائرته في عنقه كذا رواه ابن جبري وقد رواه عبد بن حماد في مسنده متصلا فقال حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طير كل عبد في عنقه وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحق حدثنا عبد الله حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن ابي الخير حدثنا سمع عتبة بن عامر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس

من عمل يوم الا وهو يختم عليه فاذا مرض المؤمن قالت الملائكة يا ربنا عبدك فلا
 مثل عمله حتى يبرأ او يموت اسناده جيد قوى ولم يخرجوه وقال معمر عن قتادة ان زمانه طار في عنقه قال عمر ويخرج له يوم القيامة
 قال يخرج ذلك العمل كتابا يلقاه منشورا قال معمر وتلا الحسن البصري عن الهيثم وعن الشمال قعيدا ابن آدم بسطت لك صحيفة
 ووكل بك ملكان كرمات أحدهما عن عيذك والاخر عن شمالك فاما الذي عن عيذك فيحفظ حسنا لك وأما الذي عن شمالك
 فيحفظ سيئا لك فاعمل ما شئت أقل أو أكثر حتى اذا مت طويت (٤٩) صحيفتك فخلعت في عنقك معك في قبرك حتى

تخرج يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك الا به فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك هذا من حسن كلام الحسن رحمه الله (من اهتدى فانما ينجى بنفسه)

ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزرا أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يا خبيث تعالى ان من اهتدى واتبع الحق واطبق أثر النبوة فانما يحصل عاقبة ذلك الحيدة لنفسه ومن ضل أى عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فانما ينجى على نفسه وانما يعود وبال ذلك عليه ثم قال ولا تزر وازرة وزرا أخرى أى لا يحمل أحد ذنب أحد ولا ينجى جان الاعلى نفسه كما قال تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولا منافاة بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وانقلالا مع اثم ضلالتهم في انفسهم واثم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غيران ينقص من اوزار أولئك ولا يعمل عنهم شيأ وهذا من عدل الله ورجته بهاد وكذا قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اخبار

الاسورة طه ويس فانهم يقرؤن بها في الجنة وعن أنس بن مالك فذكر قصة عرين الخطاب مع أخته وخباب وقرأتهم طه وكان ذلك سبب اسلام عمرو والقصة مشهورة في كتب السير

(بسم الله الرحمن الرحيم)*

(طه) قد اختلف أهل العلم في معنى هذه الكلمة على أقوال الاول انها من المتشابه الذي لا يفهم المراد به والثاني انها بمعنى يارجل في لغة عكل وفي لغة (١) عك قال الكلبي لو قلت لرجل من عك يارجل لم يجيب حتى تقول طه وقل انها في لغة عك بمعنى يا حبيبي وقال قطرب هي كذلك في لغة طى أى بمعنى يارجل وكذا قال الحسن وعكرمة وقيل هي كذلك في اللغة السريانية يحكاها المهدوي وحكي ابن جرير انها كذلك في اللغة النبطية وبه قال السدي وسعيد بن جبير وحكي عن عكرمة انها كذلك في لغة الحبشة ولا مانع من أن تكون هذه الكلمة موضوعة لذلك المعنى في تلك اللغات كلها اذا صح النقل الثالث انها اسم من أسماء الله سبحانه الرابع انها اسم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الخامس انها اسم للسورة السادس انها حرف مقطوعة يدل كل واحد منها على معنى ثم اختلفوا في هذه المعاني التي تدل عليها هذه الحروف على أقوال كلها متكفة متسفة السابع ان معناها طويلى ان اهتدى الثامن ان معناها طار الارض يا محمد قال ابن الانباري وذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماء تتورم ويحتاج الى التروح فقبل له طأ الارض أى لا تعب حتى تحتاج الى التروح وحكى القاضي عياض في الشفاء عن الربيع ابن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه بمعنى طأ الارض يا محمد وعن الحسن البصري انه قرأ طه على وزن دع أمر بالوطء والاصل طأ فقلت الهمزة هاء التاسع انه قسم أقسم الله بطوله وهدايته وعن أكثر المفسرين ان معناها يارجل يريد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو قول الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة ومجاهد وابن عباس غير ان بعضهم يقول انها بلسان الحبشة والنبطية والسريانية ويقول الكلبي هي بلغة عك كما مر قال ابن الانباري ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى لان الله سبحانه لم يخاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بلسان غير قريش انتهى واذا قررنا هذا المعنى في لغة من لغات العرب كانت ظاهرة

(٧ - فتح البيان سادس) عن عدله تعالى والله لا يعذب أحدا الا بعد قيام الساعة قيام الله عليه بارسال الرسول الله كقوله تعالى كلما اتى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا في ضلال كبير وكذا قوله وسبق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤا فافتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقال تعالى وهم يصطرخون فيها ربنا اعل قبيلة من قبائل العرب اه خازن (١)

اتخرجنا لعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو نغيركم ما نريد كرمه من تذكروا انكم التذير فذوقوا لفظنا من نصير الى غير ذلك من الآيات الله تعالى ان الله تعالى لا يدخل أحدا النار الا بعد ارسال الرسول اليه ومن ثم طعن جماعة من العلماء في النقطة التي جاءتم بها في صحيح البخاري عند قوله تعالى ان رحمة الله أوسع من سعة سدس ما يعقوب حدثنا أبي عن صالح ابن كيسان عن الأعرابي سائدا الى أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخصمت الجنة والنار فذكر الحديث الى ان قال وأما الجنة فلا يقلل الله من خلقه أحد أو ثمة (٥٠) ينشئ لنا رحمة فليقول فيها فتقول هل من مزيد لا تروا كرمكم

الحق وأما الجنة فلا يقلل الله من خلقه أحد أو ثمة (٥٠) ينشئ لنا رحمة فليقول فيها فتقول هل من مزيد لا تروا كرمكم
 المعنى وأما الجنة فلا يقلل الله من خلقه أحد أو ثمة (٥٠) ينشئ لنا رحمة فليقول فيها فتقول هل من مزيد لا تروا كرمكم
 سورة البقرة وعصا إذا كانت في لغة المعنى في لغة من لغات النجوم واستعملها العرب في كلامها في ذلك المعنى كسائر الكلمات العجيبة التي استعملها العرب للوجود في الكتاب العزيز فأنه صارت بهذا الاستعمال من لغة العرب قال النسفي وما روى ان معناه ما رجل فان صح فظاهر والا فالحق ما هو ان ذكر في سورة البقرة انتهى ولما اقول اني اسمع علم بترادف ذلك (ما أنزلنا عليك القرآن لتشني) من أنفة مسوقة لتسلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان يعتريه من جوة انفس كثيرين من التعب والشقاء في معنى التعب وشأنه في قال ابن كيسان وأصل الشقاء في اللغة التعب والعناء فلهذا عدل الله للاشعار بأنه أنزل عليه ليعد وللمعنى ما أنزلنا عليك يا محمد القرآن لتعب فربط تأنيده عليهم وعلى كفرهم وتقصيرهم على ان يؤمنوا انما علمك الا ان بلغ فهو كقول سبانه فلهذا جاءه نفس قال النحاس بعض النحاة يقول هذا السلام لتشني لام التني ويضعهم يقول لام الجود وقال ابن كيسان هي لام الخفض وهذا التني لا بعلى قول من قال ان طه كاسم فوقع السور التي ذكرت تعديدا للاسماء الخروف وان جعلت اسم السورة كان قوله ما أنزلنا الخ خبرا عما أو ما على ان معناها ما رجل أو بمعنى الأمر بوطء الارض فتكون الجلة مستأنفة أيضا مسوقة لصره صلى الله عليه وآله وسلم عما كان عليه من الباطنة في العبادة وعن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ازل ما أنزل عليه الوحي كان يقرم على صدره هذه الاية فيقول الله طه الاية وعنه قال قولا لقد شني هذا الرجل رب به فأنزل الله هذه الاية وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من الليل يربط نفسه بحبل ثلاثين مرة فأنزل الله هذه الاية وعن علي كان يراوح بين قدس به يقوم على كل رجل حتى نزلت هذه الاية وحسن السير في اسناده وانتصاب (المتذكرة) على انه مفعول لا نزلنا كقولنا ما شربنا للتأديب الا ان شافنا عليك وقال ترجع هو يدل من تشني أي ما أنزلنا المتذكرة وانكروا أو على القاري من جهة ان التذكرة ليست الشقاء قال وانما هو منصوب على المصدرية أي أنزلنا المتذكرة به تذكرا أو على المفعول من أجره أي ما أنزلنا عليك القرآن لتشني به ما أنزلنا الا لا تذكروا قبل الاستثناء منقطع لان التذكرة ليست من جنس الشقاء تشني أي لكن أنزلنا وعظمت (لمن يحسن)

أخبرني في هذا التمام في الجنة
 لانها دار افضل وأما النار فأنما دار
 عدل لا يدخلها أحد الا بعد
 الاعذار اليه وقيام الحجة عليه وقد
 تكلم جماعة من الحفاظ في هذه
 المظنة وقالوا العلماء انقلب على الراوي
 بدليل ما أخرجه في الصحيحين واللفظ
 للبخاري وعبد الرزاق عن معمر عن
 همام عن أبي هريرة قال قال النبي
 صلى الله عليه وسلم فتحات الجنة
 والنار فذكر الحديث الى ان قال
 فاما النار فلا تشلي حتى يضع فيها
 قدمه فتقول قط قط فهذا لا تشلي
 ويرى بعضهم الى بعض ولا ينظم الله
 من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله
 ينشئ لها خلقا بقي حينئذ قد
 اختلف الاثر رجيم الله تعالى فيها
 دنيا وحديثا روى الولاء ان الذين
 ماتوا وهم صفار وآلهم كفار ماذا
 حكمهم وكذا الجنون والاصم
 والشح الخرف ومن مات في الفترة
 ولم يبلغ دعوة وقد ورد في شأنهم
 أحاديث أنا ذكرها لك بعون الله
 وتوفيقه ثم ذكر فصلا لمخلصان
 كلام الأئمة في ذلك وانه المستعان
 فالحديث الاول عن الاسود بن
 سريع قال الامام أحمد حدثنا علي

ابن عبد الله حدثنا عاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الاحنف بن قيس عن الاسود بن سريع أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئا ورجل أعمى ورجل هرم ورجل مات في فترة وأما الاسود فيقول رب قد جاء الاسلام وأنا مع شيئا وأما الاحنف فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذقونك بالبر وأما الهمرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وأنا عقل شيئا وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني من رسول فياخذ موأيتهم لطيفة فيرسل اليهم ان دخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوا لكانت عليهم بردا وسلاما وبالاسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة

مثله غير انه قال في آخره فن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها وكذا رواه اسحق بن زراويه عن معاذ بن هشام ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث خبيل بن اسحق عن علي بن عبد الله المدني به وقال هذا اسناد صحيح وكذا رواه جاد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم يدعى على الله بجمعة فذكر شوه ورواه ابن جرير من حديث معمر بن همام عن أبي هريرة فذكره مرة فقرأوا ان شئتم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وكذا رواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن (٥١) أبيه عن أبي هريرة موقوفا الحديث الثاني عن أنس بن مالك قال

أبو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد هو ابن أبان قال قلنا لانس يا أبا جزمة ما تقول في أطفال المشركين فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ولم يكن لهم حسنات فيجوزوا بهما فيكونوا من أهل الجنة الحديث الثالث عن أنس أيضا قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى باربعين يوم القيامة بالمولود والعتوه ومن مات في الفترة والشيخ القاني كلهم يتكلم بجمعة فيقول الرب تبارك وتعالى لعنك من النار بارز و يقول لهم اني كنت أبعث الى عمادى رسلا من انفسهم واني رسول نفسي اليكم ادخلوا هذه قال فيقول من كتب عليه الشقاء يارب اني ندخلها ومنها كذا فقال ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقبح فيها مسرعا قال فيقول الله تعالى أنتم لرسلي أشد تكديبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار

أى لمن خاف الله وأولان يؤل أمره الى الخشية أولان في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانزال أولان علم الله انه يخشى بالتخويف منه فانه المستمع وكان به يشير الى ان الامم في فن للعاقبة (تزيلا عن خلق الارض والسماوات العلى) أى أن زمانه تزيلا أو يدل من تذكرة أو منصوب على المدح أو يخشى تزيلا من الله أو على الحال وبالرفع على معنى هذا أتزيل وتخصيص خلق الارض والسماوات لكونهما أعظم ما يشهد العباد من مخلوقاته عز وجل والعلی جمع العلى أى المرتفعة بجمع كبرى وصغرى على كبر وصغرى فى الآية اخبار اعباده عن كمال عظمتهم سبحانه وعظيم حاله (الرجن على العرش) هو فى اللغة السرور وقيل هو ماعلا فأظلم وهو مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه (استوى) استواء يليق به قال نعلب الاستواء الاقبال على الشئ وكذا قال الزجاج والقراء وقيل هو كناية عن الملك والعز والسلطان واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتاب الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف ووضعت فيها كلها وعن مالك الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايان به واجب والسؤال عنه بدعة قال البغوى أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم به الى الله عز وجل وعن الثورى والاوزاعى واللبث وابن عيينة وابن المبارك وغيرهم فى أمثال هذه الآيات التى جاءت فى الصفات أقروها كما جاءت بلا كيف وفيه مذهبان الاول القطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة وعدم الخوض فى تأويلها وبه قال الخازن واخاره الثانى الخوض فيه على التفصيل وفيه قولان الاول العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملك فاذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه قاله النفل قال الخازن والذى قاله حق وصواب والمراحمه نفاذ القدرة وجرى ان المشيئة ويدل على صحة هذا قوله فى سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر فقوله يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش الثانى أن يكون استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على عراق * من غير سيف ودم مهران
وردهذا بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وإنما يقال استوى فلان على كذا اذا

وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البرزاعي عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بن اسناده مثله رضى الله عنه قال الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده أيضا حدثنا قاسم بن أئى شيبه حدثنا عبد الله يعنى ابن داود عن عمر بن ذر عن يزيد بن أبي أمية عن البراء قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المسلمين قال هم مع آبائهم وسئل عن أولاد المشركين فقال هم مع آبائهم فقيل يا رسول الله ما يعملون قال الله أعلم بهم ورواه عمر بن ذر عن يزيد بن أبي أمية عن رجل عن البراء عن عائشة فذكره الحديث الخامس عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحالى البرزاني فى مسنده حدثنا ابراهيم بن سعيد

الجوهري حدثنا ربحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أسماء عن ثوبان ابن النبي صلى الله عليه وسلم
عظم شأن المسئلة قال إذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا
لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا نالنا أمر ولأرسلت إلينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أيا بيتنا أمرتكم بأمر تطيعون
فيقولون نعم فأمروهم أن يعبدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى إذا ذنوبها وأجسادها وحدها لها تغنيها ويزفر أفرجعو إلى ربهم
فيقولون ربنا آخر جنا وأجرنا منكم فيقول لهم ألم ترعوا إلى أن أمرتكم بأمر تطيعون فيأخذ

(٥٢)

على ذلك مواثيقهم فيقول اعدوا
لها فادخلوها فينطلقون حتى
إذا رأوها فرغوا منها ورجعوا فافتقروا
ربنا فرغنا منها ولا نستطيع أن
ندخلها فيقول ادخلوها آخر
فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
لودخلوها أول مرة كانت عليهم بردا
وسلاما ثم قال البزار ومن هذا
الحديث غير معروف الأمن هذا
الوجه لم يروه عن أيوب الأعباد
ولعن عباد الأريحان بن سعيد
قلت وقد ذكره ابن حبان في ثقافته
وقال يحيى بن معين والنسائي
لابأس به ولم يروه أبو داود وقال
أبو حاتم شيخ لابأس به يكتب
حديثه ولا يخرج به الحديث
السادس عن أبي سعيد سعد بن
مالك بن سنان الخدري قال الإمام
محمد بن يحيى الذهلي حدثنا
سعيد بن سليمان عن فضيل بن
مرزوق عن عطية عن أبي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الهالك في الفترة والمعتوه
والمولود يقول الهالك في الفترة
لم يأتني كتاب ويقول المعتوه رب

لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لمزل ما لا كاللشيء كما هو مستولى
عليها فأقوى تخصيص العرش هنادون غيره من الخواقات وقال أبو الحسن الأشعري المعنى
أن الله مستولى على عرشه وأنه فوق الأشياء ما بين منها لا تحمله ولا يحميها ولا يمسها ولا يشبهها
وعن ابن الأعرابي جاء رجل فقال ما معنى هذه الآية قال أنه مستولى على عرشه كما أخبر
فقال الرجل انما معنى قوله استوى استولى فقال له ابن الأعرابي ما يدريك العرب لا تقول
استوى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأجاب ما غلب قيل لمن غلب قد استولى عليه
والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما ينظرون البشر وقد قدم الكلام على هذه
الآية في سورة الأعراف وفيه رسائل مستقلة وكتب مفردة للعفاظ والمحدثين ونزاع قديم
بين المتقدمين والمتأخرين والحق ما ذهب إليه السلف الأمة وأعظمها من أمرها الصفات على
ظاهرها من غير تكيف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تأويل والذي ذهب
إليه أبو الحسن الأشعري أنه سبحانه مستولى على عرشه بغير حد ولا كيف وإلى هذا القول
سبقه الجاهل من السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتبعهم والمجاهدين من الأربعة وأهل
الحديث والأثر الذين يترجون الصفات كما وردت من دون تحريف ولا تعطيل ولا تأويل
والبحث في تحقيق هذا بطول جدا وليس هذا موضع بسط ذلك ردا وتعبا وقد أوضحنا
ذلك أيضا حاشيا في رسالتنا الانتقاد الرجح وهذا السائل وبغية الرائد وغيره فليرجع
إليها قاله الشوكاني (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما) من الموجودات وقيل معنى
الهواء (وما تحت الثرى) هو في اللغة التراب الندي فإن لم يكن نديا فهو تراب ولا يقال له
حينئذ ترى أي ماتحت التراب الندي من شيء والمراد الأرض السميع لأنها تحتها قال
الواحدى والمفسرون يقولون أنه سبحانه أراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها النور
الذي تحت الأرض ولا يعلم ماتحت الثرى إلا الله سبحانه. قال قتادة الثرى كل شيء مبتدل
وأخرج أبو يعلى عن جابر ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل ماتحت هذه الأرض قال
الماء قيل فماتحت الماء قال ظلمة قيل فماتحت الظلمة قال الهوام قيل فماتحت الهواء قال
الثرى قيل فماتحت الثرى قال انقطع علم الخلق عن عند علم الخلق وأخرج ابن مردويه عنه
نحوه باطون منه (وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) الجهر بالقول هو رفع الصوت به
والسر ما حدث به الإنسان غيره وأسر إليه وأخفى من السر هو ما حدث به الإنسان

لم تجعل لي عقلا أعقل به خيرا ولا شرأ يقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار
فيقال لهم ردوها قال فرددوها من كان في علم الله سعيد الوادرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا الوادرك العمل فيقول
أيأى عصيت فكيف لو أن رسلأ أتتكم وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن
مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث أبي سعيد الأمن طريقه عن عطية عنه وقال في آخره فيقول الله أيأى عصيت فكيف برسلي
بالغيب الحديث السابع عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصوري حدثنا عمر بن واقد عن

نفسه

يونس بن جليس عن أبي إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى يوم القيامة بالمسوخ عقلا وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيرا فيقول المسوخ يا رب لو أتيتني ما كان من آتيتني عقلا يا بعدى وذكري الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب عز وجل اني امركم بامر فطيعوني فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولودخلوها ما نثرتم فخرج عليهم قوابص فيظنون انهم اقداهلكت ما خلق الله من شيء فيخرجون سراعا ثم يامرهم الثانية فيخرجون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل ان اخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى على خلقكمكم (٥٣) والى على تصيرون ضميمهم فتأخذهم النار

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضى الله عنه وأرضاه قد تقدم روايته متدرجة مع رواية الاسود بن سريح رضى الله عنه وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فإواهده أو يمجسه أو يمجسانه أو يمجسه بجمعة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وفي رواية قالوا يا رسول الله أفرايت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطاب بن قرة عن عبد الله بن عمر عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما عرفت موسى قال ذارني المسلمين في الجنة يكلمهم ابراهيم عليه السلام وفي صحيح مسلم عن عياض بن جاد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انه قال اني خلقت عبادة حنفاء وفي رواية لغيره مسلمين الحديث التاسع عن حمزة رضى الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على

نفسه وأخطره بياله والمعنى ان يتجهز به كراهته ودعائه فاعلم أنه غنى عن ذلك فانه يعلم السر وما هو أخفى من السر فلا حاجة لك الى الجهر يا بقول وفي هذا معنى النبي عن الجهر كقوله سبحانه واذا كررتك في نفسك تضرعوا وخيفة وقيل السر ما أسر الانسان في نفسه والاخفى منه هو ما خفى على ابن آدم مما هو فاعله وهو لا يعلمه وبه قال ابن عباس وزاد فانه يعلم ذلك كله فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة وهو كقوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة وقيل السر ما أخفى الانسان في نفسه والاخفى منه ما لم يكن ولا أخفاه أحد وقيل السر السر الخلائق والاخفى من سر الله عز وجل وأنكر ذلك ابن جرير وقال ان الاخفى ما ليس في سر الانسان وسيكون في نفسه وعن ابن عباس أيضا قال السر ما علمته آت وأخفى ما كذب الله في قلبك مما لم تعلمه وفي النظم يعلم ما سر في نفسك ويعلم ما تعمل غدا وفي الآية تنبيه على ان سرع الذكروا الدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله تعالى واسماعه بل لغرض آخر كصوير النفس بالذكور وسوخه فيها ودفع الشواغل والوساوس ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجوار ثم ذكر ان الموصوف بالعبادة على الوجه المذكور هو الله سبحانه المستزهد عن التزيين المستحق لتسميته بالاسماء الحسنى فقال (الله) أى الموصوف به ذما الصفات الكلية لله وجله (لا اله الا هو) مستأنفة لبيان اختصاص الالهية به سبحانه لا اله الا الله في الوجود الا هو وهكذا جله (له الاسماء الحسنى) مبنية لاستحقاقه تعالى لها وهي التسعة والتسعون التي هم اوراد الحديث الصحيح وقد تقدم بيانها في سورة الاعراف والحسنى تأتت الاحسن فهي اسم تفضل يوصف به الواحد من الموث والجمع من المذ كرتم قرر سبحانه أمر التوحيد الذي اياه انتهى مساق الحديث بذكر قصة موسى المشقة على القدرة الباهرة والخبر الغريب فقال (وهل أنالك حديث موسى) الاستفهام للتقرير ومعناه أليس قد أنالك وقيل معناه قد أنالك وقال الكلبي لم يكن قد أناه حديث موسى اذ ذلك وفي سياق هذه القصة تسليمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما يلاقيه من مشاق أحكام النسوة وتحمّل أثقالها ومقاساة خطوبها وان ذلك شأن الانبياء قبله والله أمر مستقر فيما بينهم كابر اعن كابر والمراد بالحديث القصة الواقعة لموسى (اذ رأى ناراً) أى اذ كروا وقت رؤيته ناراً وقيل اى حين رأى ناراً كان كيت كيت وكانت رؤيته للنار فى ليلة

البحارى من حديث عوف الاعرابى عن ابي رجا العطارى عن حمزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فإواهده أو يمجسه أو يمجسه بجمعة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وفي رواية لغيره مسلمين الحديث التاسع عن حمزة رضى الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على فناداه الناس يا رسول الله وأولاد المشركين قال وأولاد المشركين قال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عتبة بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن منصور عن أبي رجا عن حمزة قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أطفال المشركين فقال هم خدام أهل الجنة الحديث العاشر عن عم خنساء قال أحمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية بن منى صريم قالت حدثني عمي قال قلت يا رسول الله من في الجنة قال النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة واليؤيد في الجنة من ذهب الى الوقوف فيهم

اهذه الحديث ومنهم من جزم لهم الجنة لخديث حمزة بن جندب في صحيح البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المنام حين مر على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله وادان فقال له جبريل هذا اراهم عليه السلام وهو لا أولاد المسلمين وأولاد المشركين فالأخبار رسول الله وأولاد المشركين قال نعم وأولاد المشركين ومنهم من جزم لهم النار لقوله عليه السلام هم مع آباؤهم ومنهم من ذهب الى انهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فنأطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم سابق السعادة ومن عصى دخل النار دائرا وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة (٥٤) وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها وقد صرح به الاحاديث

المتقدمة المتعاضدة الشاذ بعضها لبعض وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الاعتقاد وكذلك غيره من محقق العلماء والحفاظ النقاد وقد ذكر الشيخ أبو عمر بن عبد البر النجدي بعض ما تقدم من أحاديث الامتحان ثم قال وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا يقوم لها حجة وأهل العلم ينكرونها لان الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكاف نفسا الاوسمها والجناب عما قال ان أحاديث هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن ومنها ما هو ضعيف يقوى بالصحيح والحسن وإذا كانت أحاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط أفادت حجة عند الناظر فيها وأما قوله ان الدار الآخرة دار جزاء فلا شك أنها دار جزاء ولا ينافي التكلف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو

مظلة شجرة شامية شديدة البرد لما خرج مسافرا الى أمه بعد استئذانه لشعب وكانت ليلة الجمعة (فقال لاهله امكنوا) المراد بالاهل هنا امرأته وهي بنت شعب واسمها صفورا وقيل صفورا وقيل صفورة واسم أختها ليا وقيل ثرقا وقيل عبدا واختلف في التي تزوجها موسى هل هي الصغرى أو الكبرى والجمع لظاهر لفظ الاهل أو للتقديم وقيل المراد بهم المرأة والوارد الخادم والمعنى أقيموا مكانكم وذلك في منبره من مدن طالما ناصر لما قضى الاجل الذي جعله عليه لشعب وبينها وبين مصر ثمان مراحل وعبر بالملك دون الإقامة لانها تنقض الدوام والملك ليس كذلك (انني أنت ناراً) أي أبصرت يقال أنت الصوت سمعته وأنت الرجل أبصرته وقيل الايناس الابصار البين ومنه انسان العين لانه يصير به الاشياء وقيل هو الوجدان وقيل الاحساس فهو أعم من الابصار وقيل الايناس شخص باصبار ما يونس والجملة تعليل للامر بالملك ولما كان الايمان بالقبس ووجود الهدي متوقفين على الامر على الرجاء فقال (العلي) لعدم الجزم بوفاء الوعد (أتبكم) أجبتكم (منها) أي من النار (بقبس) هو الجدوة والسجدة من النار في رأس عوداً وقصبه أو قصبلة ونحوها وهو فعل بمعنى مقبول كالقبض والقبض بمعنى المقبوض والمنقوض وكذا المقياس يقال قبست منه نارا أقبس قبسا فأقبسني أي أعطاني وكذا اقتبست قال البرزدي أقبست الرجل علما وقبسته نارا ففقرقوا بينهم اهذ أقول المبرد فان كنت طلبتها له قلت أقبسته وقال الكسائي أقبسته نارا وعلمنا سواء قال وقبسته أيضا فيما (أو) لمنع الخلو وهو الظاهر دون الجمع (أجد على النار) وحرف الاستعلاء للدلالة على ان أهل النار مستعملون على أقرب مكان اليها كما قال سيبويه (هدي) أي خديا بـ سديني الى الطريق ويبدئي عليها قاله ابن عباس وكان أخطأها نظمة الليل قال الفراء أرادها ناديا فذكره بلفظ المصدر وأعبر بالصدر لقصده المبالغة على حذف المضاف أي زاهدني ولعلهم يقل قوما هذوني كافي الكشف اذ لا دليل على ما فوق الواحد (فلما أتاهما) أي النار التي أنسها (نودي) من الشجرة كما هو مصرح بذلك في سورة القصص أي من جهنم وانحيا فاقبل كانت الشجرة حمرة خضراء وقيل كانت من عوسج وقيل كانت من العليق وقيل شجرة من العناب والله أعلم بما كان وقيل لم يكن الذي رآه ناراً بل كان نورا وذكر بلفظ النار لان موسى حسبه نارا وقيل هي النار بعينها وهي

النار كما حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعري عن مذهب أهل السنة والجماعة من امتحان الاطفال وقد قال تعالى احذروم يكشف عن سابق ويدعون الى السجود الآية وقد ثبت في الصحاح وغيره ان المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وان المنافق لا يستطيع ذلك ويعود ظهره كالصفحة الواحدة طباقا واحدا كلما أراد السجود خر لقلقه وفي الصحيحين في الرجل الذي يكون آخر أهل النار وجامعتهما ان الله يأخذنهم ومواتيقه ان لا بأسا غير ما هو فيه ويتكرر ذلك مرارا ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما أغدرتك بما أدرك في دخول الجنة وأما قوله فكيف يكلفهم الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم فليس هذا بما نزع من حجة

الحديث فان الله يأمر العباد يوم القيامة بالجو اذ على الصراط وهو جسر جهنم اُحْدَمَن السيف وأدق من الشعرة وغير المؤمنون عليه بسبب أعمالهم كالبرق وكالريح وكأجود الخيل والركاب ومنهم الساعي ومنهم المشي ومنهم من يحب وجبوا ومنهم المكذوبون على وجهه في النار وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا بل هذا أظم وأعظم وأيضاً قد ثبت السنة بان الدجال يكون معه جنة ونار وقد أمر الشارع المؤمنين الذين يدركونه ان يشرب أحدهم من الذي يرى انه ناره فانه يكون عليه برداً وسلاماً فهذا نظير ذلك وأيضاً فان الله تعالى أمر بني اسرائيل ان يقتلوا انفسهم فقتل (٥٥) بعضهم بعضاً حتى قتلوا فمما قيل في غداة

واحدة سبعين ألفاً فقتل الرجل أباه وأخاه وهم في غمامة نغمة أرسلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا أيضاً شاق على النفوس جداً لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم

* (فصل) * اذا تقرر هذا فافقده
اختلف الناس في ولدان المشركين على أقوال أحدها انهم في الجنة واختبروا بحديث سمعته عليه السلام رأى مع ابراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشركين وبحثا تقدم في رواية أخر جدد عن خنساء عن عمار بن زرار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والمولود في الجنة وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخص منه فمن علم الله منه انه يطيع جعل روحه في البرزخ مع ابراهيم وأولاد المسلمين الذين ما نوا على الفطرة ومن علم الله منه انه لا يجب فأمره الى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كادلت عليه أحاديث الامتحان ونقله الاشعري عن أهل السنة ثم ان هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم من يجعلهم مستقيمين فيها ومنهم من يجعلهم خداماً لهم

أحدى بحسب الرب سبحانه ويدلله ما روي عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال سبحانه النار لو كشفها لأهلكنا وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه أخرجه مسلم (يا موسى) أي نودي من الشجرة فقيل يا موسى وهذا أول الكلمات بينه وبين الله تعالى وسأني آخرها وهو قوله ان العذاب على من كذب وتولى وهذا بالنسبة لهذه الواقعة وهذه الحالة والأفله مكالمات أخر قاله سليمان الجبل ولما نودي موسى قال من المتكلم فقال الله تعالى (إني أنا ربك) فعرّف انه كلام الله تعالى وليس هذا النداء والخطاب هو الذي وقع فيه الصعقة وذلك الجبل كما تقدم ذكره في سورة الاعراف بل هذا غيره اذ هذا أول بدو رسالته وذلك انما كان بعد غرق فرعون حين أعطاه الله التوراة (فأخضع لعليكم) أمره الله سبحانه بخلع تعذيبه تعذيباً لان الحقوة بلغ في التواضع وأقرب الى التشريف والتكريم وحسن التأديب وقيل معناه انزعها ما تصيب قدميك بركة الوادي المقدس والاولى أولى قسطنطين من ثم طاف السلف بالكعبة حافين قال التستبي والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها فخلعها وألقاهما من وراء الوادي انتهى وقيل لانهما كانا من جلد حار ميت أو من جلد غير مدبوغ قاله علي وابن مسعود وروي عن السدي وقتادة وقيل معنى الخلع لهما تفرغ القلب من الهم والهمال وهو من بدع التفسير ثم علل سبحانه الهم بالخلع فقال (انك بالواد المقدس) أي المطهر والمبارك والقدس الطاهرة والارض المقدسة المطهرة سميت بذلك لان الله تعالى أخرج منها الكافرين وعمرها بالمؤمنين (طوى) اسم للوادي قال الجوهري هو اسم موضع بالشام يكسر طاءه ويضم ولا يصرف ولا يصرف فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله تكرة ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة وقيل طوى كثنى من الطي مصدر لنودي أو له مقدس أي نودي نداء من أو قدس مرة بعد أخرى قال ابن عباس يعني الارض المقدسة وذلك انه من بلادهم السلاطون يقال طويت وادي كذا وكذا وقيل طوى واد مستدير عميق مثل المطوى في استدارته (وأنا اخترت) بالافراد قرئ أنا اخترت بالجمع قال النحاس والاولى أولى لانها أشبه بالخط وأولى بنسب الكلام لقوله يا موسى اني أنا ربك والمعنى اصطفيك بالنسبة والسالة فتبأ وأرسل في ذلك الوقت وفي ذلك المكان وكان عمره حينئذ أربعين سنة (فاستمع لما يوحي) اليك مني وألوحى وفيه نهاية الهيبة والجلال له

كما جاء في حديث علي بن زيد عن انس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف والله أعلم واستدل عليه بما رواه الامام أحمد بن حنبل عن أبي المغيرة حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطفان انه أتى عائشة فسألها عن ذراري الكفار فقالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم تبع لأبائهم فقلت يا رسول الله بلأعمال فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وأخرجه أبو داود ومن حديث محمد بن حرب عن محمد بن زياد الا انه سمعت عبد الله بن أبي قيس سمعت عائشة تقول سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المؤمنين قال هم مع آبائهم قلت فذراري المشركين قال هم مع آبائهم

فقلت بلا عمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين ورواه أحمد أيضا عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك عن مولاه نبيه
عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان شئت اسمعتك تصاغهم في النار وروى عبد الله بن
الامام أحمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضال بن غزوان عن محمد بن عثمان عن راذان عن علي بن رضى الله عنه قال سألت
خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ولدين لها ماتا في الجاهلية فقال هما في النار قال فلما رأي الكراهية في وجهها فقال ليا
لورايت مكانهما لانعهما قالت قولدى (٥٦)

كأنه قال لقد جاءك أمر عظيم فتأمله (اننى أنا الله لا اله الا أنا) ثم أمره بالعبادة
فقال (فاعبدنى) لان اختصاص الالهية به سبحانه موجب لخصه بالعبادة (واقم
الصلاة) خصها بالاذكر مع كونها داخل تحت الامر بالعبادة لتكونها أشرف طاعة
وأفضل عبادة وعلى الامر بإقامة الصلاة بقوله (الذكرى) أى لذكرى فان الذكر
الكامل لا ينفق الا في حق العبادة والصلاة والمعنى لذكرى فيهما الاشتغال بما على
الاذكار وأول ذكرى اياك أول ذكرى خاصة لا تشوبه ذكرى أخرى وأول امرى بها في الكتاب
وذكرى اياها أول تكون ذا كراى غير ناس وقيل لا وفات ذكرى وهى موافاة الصلاة أو
المعنى أقم الصلاة متى ذكرت أن عليك صلاة وقيل لذكرى صلاتى وفى الصحيحين وغيرهما
من حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذ اردت أن أحدكم عن الصلاة أو
عقل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله قال أقم الصلاة لذكرى وأخرج الترمذى وابن ماجه
وابن حبان وغيرهم من حديث أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها فان الله قال أقم الصلاة لذكرى وكان ابن شهاب يقرؤها
لذكرى وقيل المعنى لاذكر كذا بالمدح فى عشرين فالصديق هذا يحتمل الاضافة الى
الفعل أو الى المفعول وقيل لاختصاص ذكرى وطلب وجهى ولا ترائى فيها ولا تقصد بها
غرضا آخر (ان الساعة) أى التى هى وقت الحساب والعقاب (آية) أى كأنه وحاصلة
للمحالة فاعل الخير من عبادة الله والصلاة وهذا تعليل لما قبله من الامر (اكاد) أى
أريد قاله الاخفش وقيل صله (أخفيا) قال الواحدى قال أكثر المفسرين أخفيا
من نفسى وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وقال المبرد وقطرب هذا على عادة
مخاطبة العرب يقولون اذا بالغا فى كتمان الشئ كتمته حتى من نفسى أى لم أطلع عليه
أحد أو معنى الآية ان الله تعالى بالغ فى اخفاء الساعة فذكره بالغ ما تعرفه العرب والمعنى
فى اخفائها التحويل والتخوف وكذلك المعنى فى اخفاء وقت الموت على الانسان ليكون
على حذر وقدم الرجل فى كل وقت وقد روى عن سعيد بن جبير انه قرأ أخفيا بفتح الهمزة
ومعناه اظهرها قال الحاس وأبو جود من هذا ما روى عنه أنه قرأها بضم الهمزة قال الثراء
معناه على الفتح كذا أظهرها من خفيت الشئ اذا أظهرته أخفيا قال القرطبي قال بعض
الغريين يجوز أن يكون أخفيا بضم الالف معناه أظهرها لانه يقال خفيت الشئ

في النار ثم قرأ الذين آمنوا واتبعتهم
ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم
وهذا حديث غريب فان في اسناده
محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه
راذان لم يدرك عليا والله أعلم
وروى أبو داود من حديث ابن أبي
زائدة عن أبيه عن الشعبي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الواحدة والموودة في النار ثم قال الشعبي
حدثني به عاتمة عن أبي واثل عن
ابن مسعود وقدره واجماعه من
رواية ابن أبي هند عن الشعبي عن
عاتمة عن سلة بن قيس الاشجعي
قال اتيت انا وأخي النبي صلى الله
عليه وسلم فقلنا ان أمنامات
في الجاهلية وكانت تقرى
الضيف وتصل الرحم وانها
وأدت أختنا في الجاهلية تبلغ
الحث فقال الواحدة والموودة في
النار الآن يدرك الواحدة الاسلام
فتسلم وهذا اسناد حسن والقول
الثالث التوقف فيهم واعتمدوا على
قوله صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما
كانوا عاملين وهو فى الصحيحين
من حديث جعفر بن ابى ياس عن
سعيد بن جبيرة عن ابن عباس سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

اولاد المشركين قال الله أعلم بما كانوا عاملين وكذلك هو فى الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد عن ابى
سامة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن أطفال المشركين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين ومنهم من جعلهم من
اهل الاعراف وهذا القول يرجع الى قول من ذهب الى انهم من اهل الجنة لان الاعراف ليس دار قرار وما آل أهلها الى الجنة كما تقدم
تقرر ذلك في سورة الاعراف والله أعلم (فصل) * وليعلم ان هذا الخلاف مخصوص باطفال المشركين فاما ولدان المؤمنين فلا خلاف
بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن القراء الحسن بن الامام أحمد انه قال لا يختلف فيهم اهم من اهل الجنة وهذا هو المشهور بين

الناس وهو الذي فقطع به ان شاء الله عز وجل فاما ما ذكره الشيخ أبو عمر عن عبد البر عن بعض العلماء انهم توقعوا في ذلك وان الولدان كلهم تحت المنية قال أبو عمر ذهب الى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم جاد بن زيد وجاد بن سلة وابن المبارك واسحق بن راويه وغيرهم قال وهو يشبه ما رسم مالك في موطنه في أبواب القدر وما أورده من الاحاديث في ذلك وعلى ذلك أكتفه الحصابة وليس عن مالك في شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أعمامه ذهبوا الى ان أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة انتهى كلامه وهو غريب جدا وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في (٥٧) كتاب التذكرة نحو ذلك أيضا والله أعلم وقد

ذكروا في ذلك أيضا حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت دعى النبي صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوي لي له عصافير من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا واهلها في أصلاب آباءهم وخلق النار وخلق لها اهلا واهلها في أصلاب آباءهم رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ولما كان الكلام في هذه المسئلة يحتاج الى دلائل صحيحة جيدة وقد تكلم فيها من لاعلم عنده عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها روى ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجا العطاردي سمعت ابن عباس وهو على المنبر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الأمر بهذه الامة مواتيا أو مقاربا لم يتكلموا في الولدان والقدير قال ابن حبان يعني أطفال المشركين وهكذا رواه

(٨ - فتح البيان سادس) أبو بكر اليزيدي طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبي رجا عن ابن عباس موقوفا (واذا أردنا أن نعلم قرية أمرنا متفرقا فنبسقوا فيها الحق عليها القول قدمنا نأخذ مديرا) اختلف القراء في قراءة قوله أمرنا فالمشهور قراءة التخصيف واختلف المفسرون في معناها فقبل معناها أمرنا متفرقا فنبسقوا فيها أمرنا فقدرنا كقولنا بئالي أناها أمرنا أيلاء أو غيرا فإن الله لا يأمر بالفتنة قالوا معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب وقبل معناه أمرنا بذهاب الطاعات فعبادوا الفواحش فاستحقوا العقوبة رواه ابن جرير عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبيرة أيضا وقال ابن جرير يحتمل أن يكون معناه

وأخفيتها من حروف الاضداد يقع على السهر والالظهار قال ابو عبيدة خفيت واخفيت
عنه على واحد قال النحاس وهذا حسن وليس المعنى على اظهرها ولا سيما وأخفيا قراءة
شاذة فكيف ترد القراءة الصحيحة الشائعة وقال ابن الانباري في الآية تفسير آخر وهو
ان الكلام ينقطع على اكادوبعد منه مجهى أى أكاد أى فيها ووقع الابتداء بأخفيا الخ
واختار هذا النحاس وقال أبو علي الفارسي هو من باب السلب وليس من الاضداد ومعنى
أخفيا أنزل عن اخفاءها وهو سترها ومن هذا قولهم أشكيتها أى أنزلت شكواها وعن
الخنس ان كادرا نداء للثأ كيد قال ومثله اذا أخرج يده لم يكذرها قال والمعنى أقارب
ذلك لانك اذا قلت كادز يد يقوم جاز أن يكون قام وان يكون لم يقوم دل على انه قد أخفياها
بدلالة غير هذه الآية على هذا (التجزي كل نفس بما تسعى) أى بسعيها والسعي وان كان
ظاهرا في الأفعال فهو ههنا ميم الأفعال والتروك للقطع بأن تارك ما يجب عليه معاقب
بتركه مأخوذة (فلا يصيئك منها) أى لا يضر فركك عن الإيمان بالساعة والتصديق بها
أوعن ذكرها وما راقبها وهذا أولى وأليق بشأن موسى عليه السلام وان كان النهي
بطريق التهجيم والإلهاب وقبل الضمير لالة بعد وهو (من لا يؤمن بها) من الكفرة
وهذا النهي وان كان للكافر بحسب الظاهر فهو في الحقيقة نهى له صلى الله عليه وآله
وسلم عن الانصداد أو عن اظهار الدين للكافرين فهو من باب لأمر بتركها كما هو معروف
(وأتبع هوام) أى هوى نفسه بالأهمال في الذلالت الخسية الفانية وفي انكار الساعة
(فتردى) أى فتهلك لان انصدادك عنها يصد الكافرين لك مستلزم للالهة ومستتبع
له (والتائب يمينك يا موسى) قال الزجاج والقرءان تذكرك اسم ناقص وصلت يمينك أى
ما التى يمينك وروى عن القرءانه قال تلتك بمعنى هذيه ولو قال ما ذك لجاز أى ما ذك
التي وبالأول قال الكوفيون قال الزجاج ومعنى السؤال من العصا التتبع له عليها
لتقع المعجزات بعد التثبيت فيها والتأمل لها قال القرءان ومقصود السؤال تقرير الامر
حتى يقول موسى هى عصاى لتثبيت الخيبة عليه بعد ما اعترف بالافتقار الى الله ما هى فى
الازل وقبل السؤال بالتوطين لتلاجهول انقلابها حية أوللائناس ورفع الهيبة للمكاملة
(قال هى عصاى) وقرئ عصى على لغية هذيل قال ابن عباس أعطاه ملائكة
اذ توجه الى مدين فكانت تضى عليه بالليل ويضرب بها الارض فيخرج له النبات ويهش

جعلناهم أمراء على أقاليمهم فقرأ أمرنا متروفاً قال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله أمرنا متروفاً فافسحوا فيها يقول سلطنا أشرارها ففسحوا فيها فإذا فعلوا ذلك أهلكهم الله العذاب وهو قوله وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرمين الآية وكذا قال أبو العباس ومجاهد والربيع بن أنس وقال العوفي عن ابن عباس وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا متروفاً فافسحوا فيها يقول أكثرنا عدوهم وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقطادة وعن مالك عن الزهري أمرنا متروفاً أكثرنا فافسحوا فيها فافسحوا فيهم بالخديت الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا (٥٨) روح بن عبادة حدثنا أبو نعيم العديوي عن مسلم بن بديل عن أبياس بن زهير

بها على غنم ورق الشجر وعن قتادة كانت تضيء بالليل وكانت عصا آدم عليه السلام ورثها شبيب وأعطاه موسى بعد أن زوجه ابنته قيل وكان لها شعبان وفي أسفلها ستان ولها حجين واسمها سبعة (أو كأم) أي أتجامل (عليها) في المشي وأعمدها عند الأعياء والوقوف على قطع الغنم وعند الوئيب والنهوض للقيام ومنه الانتكاه (وأشس بها على غنمي) هس بالعصا يش هشا إذا خطب بها الشجر ليقط منه الورق أي أضرب بها الشجر فتساقط منه الورق على غنمي قاله عكرمة وقدرى فهو هذا عن جماعة من السلف وقرأ ألتغني أهس بالسيف المسملة وهو زجر الغنم وكذا قرأ عكرمة وقيل هما لغتان بمعنى واحد ولما ذكر تفصيل منافع العصا عقبه بالاجبال فقال (ولي فيها مآرب) أي حوائج (أخرى) قاله مجاهد وقطادة واحدها مآرب مثلث الراء كذا قال ابن الأعرابي وقطرب والقياس آخر وانما قال أخرى زيادة إلى الجماعة ولتنسيق الأخرى ولما ذكر بعضها شكر أجل الباقي حياء من التطويل وأليسأل عنها الملك العلام فيزني في الأكرام ويتلذذ بالخطاب وقد تعرض قوم لتعداد منافع العصافذ كروا من ذلك أشياء منها قول بعض العرب عصاى أركزها للصلاى وأعدها للعداى وأسوق بها دابى وأقوى بها على سفرى وأعمدها فى مشيق ليتسع خطوى وأتب بها النهر وتؤمنى العبر وألنى عليها كسناى ففقى الحرو وتدفى من القرو وتدفى الى ما بعد معنى وهي تحمل سنقرقى وعلاقة داووق اعصى (١) بها عند الضراب وأقرع بها الابواب وأقى بها عقورا الكلاب وتوب عن الرمح فى الطعان وعن السيف عند منازلة الأقران ورثها عن أى وأورثها بعدى بنى انتهى وقال الشوكلى قد وقف على مصنف فى مجلد طيف فى منافع العصا بعض المتأخرين ذكر فيه أخبارا وأشعارا وفوائد لطيفة ونكارات شيقة وقد جمع الله سبحانه لموسى فى عصاه من البراهين العظام والآيات الحسام ما من يفهم كبس الشجرة ومعزة العائدين واتخذها سليمان خطبته وفوقه وطول صلاته وكان ابن مسعود صاحب عصاة النى صلى الله عليه وآله وسلم وعزته وكان بخطب بالقضب وكذلك الخلفاء من بعده وكان عادة العرب العرباء أخذ العصا والاعتماد عليها عند الكلام وفى المحافل والخطب وقال بعضهم أسالك العصا سنة الأنبياء وزينة الصالحاء وسلاح على الأعداء وعون الضعفاء وغم المتأقين وزيادة فى الطاعات ويقال إذا كان مع المؤمن العصا لم يرب

عن سويد بن هيرة عن النى صلى الله عليه وسلم قال خير مال امرئ له مهرة ماء ورة أو مسكة مأبورة قال الإمام أبو عبيد القاسم ابن سلام رجه الله فى كتابه الغرب المأمورة كثيرة النسل والسكة الطريفة المصطفة من النخل والمأبورة من التآبير وقال بعضهم ان ما جاء هذا امتنا سبأ كقوله ماز ورات غير مأجورات (وكم أغلكتكم من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا) يقول تعالى منذرا كفار قريش فى تكذيبهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه قد أهلك الأمم من المكذبين للرب من بعد نوح ودل هذا على ان القرون التى كانت بين آدم ونوح على الاسلام كما قاله ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ومعناه انكم أيها المكذبون اسمكم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلق فحققتكم أولى وأخرى وقوله وكفى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا أى هو عالم بجميع أعمالهم خيرها وشرها

لا تخفى عليه منها خافية من كان يريد العاجلة لم يخلها فيه ما ينشأ لمن يريد ثم جعلنا الله جهنم يصلها همومها مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من التعميم يحصل له ما يحصل لمن أراد الله ما يشاء وهذه مفيدة لاطلاق ما سواها من الآيات فانه قال جعلنا فى ما ينشأ لمن يريد ثم جعلنا الله جهنم أى فى الدار الآخرة يصلها أى يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبها من مؤمن أى فى حال كونه من مؤمن ما على سوء تصرفه وصنيعه وإذا اختار القيان على الباقي مدحورا بمعناه صاحرا ذليلا لها نارا روى الإمام أحمد حدثنا حسين بن خالد عن زهير بن عبد الله بن عمار بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (١) يقال عصى بالسيف يعصى إذا ضرب به اه صحاح

أبي اسحق عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا دار من لادار له وما من لاملاله ولها
يجتمع من لاعقل له وقوله من أراد الآخرة أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور وسعي لها سعي أي طلب ذلك من
طريقه وهو متابعة الرسول وهو مؤمن أي قلبه مؤمن أي مصدق موقن بمصدق بالآيات والجزأ فأكولك كان سعيهم مشكورا
(كلا غده ولا هو ولا من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات
وأكبر فضلا) يقول تعالى كلا أي كل واحد من الفريقين (٥٩) الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة عندهم فيها هم

منه الشيطان ويخضع منه المنافق والقابض وتكون قبلته اذا صلى وقوته اذا أعيا (قال
ألقها يا موسى) هذه جملة مستأنفة أمر سبحانه بالقاء ثم البريه ما جعل له فيها من المعجزة
الظاهرة (فألقاها) أى طرحها موسى على الأرض (فأذا هي حية تسعى) ولم تكن قبل
ذلك حية فمرت بشجرة فأكلتها ومرت بصخرة فابتلعها فجعل موسى يسرع وقع الصخرة
في جوفها قاله ابن عباس وذلك بقلب الله سبحانه له واصفائها وأعراضها حتى صارت حية
تسعى أى تعشى بسرعة وخفة على بطنها قبل كانت عصا ذات شعبتين فصار الشعبتان فها
وباقيا جسم حية تتقل من مكان الى مكان وتلتقم الحجارة مع عظم جرمها وفضاعة
منظرها وقال في موضع آخر كأنها جان وهي الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع
آخر كأنها نعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع ان الحية اسم جامع للكبير
والصغير والذكر والانثى وقيل كانت في عظم النعبان وسرعة الجان وقيل سماها جانا
تارة نظرا للفساد وتارة نعبان تارة بآعيار المنتهى وحية تارة أخرى باعتبار الاسم الذي يسم
الحالي فلما رآها كذلك خاف وفرغ وولى مدبرا ولم يعقب فنودي أن يا موسى و(قال)
سبحانه عند ذلك (خذها ولا تخف) منها (سبعدها سيرتها) أى حالتها (الاولى) قال ابن
عباس فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف فلم يأخذها ف قيل له فى الثالثة انك
من الآمنين فأخذها قال الاخفش والزجاج التقدير الى سيرتها مثل واختار موسى
قومه قال ويجوز أن يكون مصدر الان معنى سبغها سبغها أو سائرة أو مسيرة
والعنى سبغها بعد أخذك لها الى حالتها الاولى التى هى العصوره والاولى تأنيث
الاول والسيرة الحالة التى يكون عليها الانسان غير ربه أو مكتسبة وهى فى الاصل فلة
من السير كالركبة من الركوب ثم استعملت بمعنى الحالة والظريقة والهبة قبل انهما
قيل له لا تخف طابت نفسه حتى بلغ من عدم الخوف الى ان كان يدخل يده فىها ويأخذ
بالحية اقال المحلى وأرى ذلك موسى لتلايجمع اذا انقلب حية لدى فرعون (واضهم
بذلك) العنى معنى الكف لا بمعنى حقيقتها وهى الاصابع الى المنكب (الى جناحك)
قال الفراء والزجاج جناح الانسان عضده به قال مجاهد وقال التبعنى تحت وقال
قنبر حبسه وعبر به الجناح عن الجنب لانه فى محل الجناح وقال مقاتل الى يعنى مع أى
مع جناحك الايسر تحت العضد الى الابط وجواب الامر (تخرج) بذلك خلافي

والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وفي الطبراني من رواية زاذان عن سلمان مرفوعاً عن عبد الله بن مسعود قال في الدنيا درجة فارتفع الأوصياء إلى الله في الآخرة أكبر منها ثم قرأ والآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً لا تجعل مع الله الهاء الحرف فقد قدموا تخذلوا يقول تعالى والمراد المكافئون من الأمة لا تجعل أيها المكافئ عبادتك ربك لشر يكاتنقد مذموم أي على إشراكك به مخذلون لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يكلك إلى الذي عبدت معه وهو لا يعلم للضر ولا تنفع إلا مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا بشير بن سلمان عن سيار أبي الحكيم عن طارق بن شهاب عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابته أفة نارا النارا النارا

قال النبي ما أجلا وما غني عاجلا ورواه أبو داود والترمذي من حديث بشير بن سلمان به وقال الترمذي حسن صحيح غريب (وقضى
 ربك أن لا تعبدوا الاياه وبالوالدين احسانا ما يبلغن عندك الكبر أحدهما ولا كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا
 كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحهما ما كبرياي صغيرا) يقول تعالى أمر ابائهم وحده لا شريك له فان القضاء
 ههنا معنى الامر قال مجاهد وقضى يعني وصى وكذا قرأ آي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم وروى ربك أن لا تعبدوا
 الاياه ولهذا قرن بعبادته برؤس الوالدين (٦٠) فقال وبالوالدين احسانا وأمر بالوالدين احسانا كقوله في الآية الاخرى

ما كانت عليه من الامة حال كونها (بعضاء) نيرة مشرقة كانت (من غير سوء) أي عيب
 كني بعن البرص ويسمى هذا عند أهل البيان الاحتراس ويروى أن يؤتى بشي يرفع فوهم
 غير المراد وذلك ان البياض قدر ادبه البرص والبهق فأني بقوله من غير سوء نقبنا ذلك
 والمعنى يخرج بعضاء ساطعا نورها تضي بالليل والنهار كضوء الشمس تغشى البصر من غير
 برص وبه قال ابن عباس (آية) أي معجزة (أخرى) غير العصا وقال الاخفش انها بدل من
 بعضاء قال الحسام وهو قول حسن وقال الزجاج المعنى آياتنا لك أو نوتيك آية أخرى لانه
 لما قال يخرج بضاء دل على انه قد آتاه آية أخرى ثم علل سبحانه ذلك بقوله (تربك من
 آياتنا الكبرى) قبل والتقدير فعلمنا ذلك لترك والكبرى معناها العظمة أي تترك
 بهاتين الآيتين يعني السبل والعصا بعض آياتنا الكبرى على رسالتك فلا يلزم ان تكون
 السبل هي الآية الكبرى وخدوها حتى تكون أعظم من العصا فبردى ذلك انه يمكن في
 اليد لا تغير اللون فقط بخلاف العصا فان فيها مع تغير اللون الزيادة في الحجم وخلق الحصاد
 والقدرة في الاسوار خارقة ومن قال هي السبل قال لانها لم تعارض أصلا وأما العصا فقد
 عارضها السحر وهو الاول وأولى ثم صرح سبحانه بالقرص المقصود من هذه المعجزات فقال
 (أذهب) رسولا (الى فرعون) ومن معه بهاتين الآيتين العضا والسند وانظر رسالته لبني
 اسرائيل من أين تؤخذ قال بعضهم تؤخذ من قوله وأنا اخترتك أي الشجرة والرسالة
 وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم علل ذلك بقوله (انه طفي) أي عصي وتقر وتكبر وكفر
 وتجبر وتجاوز الحد في كفره في ادعاء الالهية (قال رب اشرح لي صدري) مسانقة كانه
 قبل لما قال موسى ومعنى شرح الصدور توسيعه فتضرع عليه السلام الى ربه وأظهر
 عجزه بقوله وبضيق صدري ولا تطلق لساني (ويسر لي أمري) أي سهل على ما أمرتني
 به من تبليغ الرسالة الى فرعون والتيسير معناه التسهيل قال الزمخشري فان قلت لي
 من قوله اشرح لي صدري ويسر لي أمري ما جددواوه الكلام مستظم بدونه قلت
 قدأ بهم الكلام أولا فقال اشرح لي ويسر لي فعلان ثم مشروحا ونيسرا ثم بين ورفع
 الاجرام ذكرهما فكان آكد لطلب الترحيح لصدوره والتيسير لآمره ويقال يسر له
 كذا ومنه هذا الآية وتيسره لك دأونه فتفسيره ليسرى (واحل عقدة من لساني)
 يعني العجة التي كانت فيه من أثر الهجرة التي ألقاها في فيه وهو طفل أي أطلق عن لساني

أن اشكر لولو الدين الى المصير
 وقوله ما يبلغن عندك الكبر
 أحدهما ولا كلاهما فلا تقل لهما
 أف أي لا تسبهما قولا لسيئا حتى
 ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب
 القول السيئ ولا تنهرهما أي ولا
 يصدركم الهما فقل قبيح كما قال
 عطاء بن أبي رباح في قوله ولا تنهرهما
 أي لا تغضض بذلك عليهما ولانها
 غن القول القبيح والفعل القبيح
 أمر به القول الحسن والفعل
 الحسن فقال وقل لهما قولا كريما
 أي لينا طيبا احسنا بآداب ووقور
 وتعظيم واخفض لهما جناح الذل
 من الرحمة أي تواضع لهما بفعلات
 وقل رب ارحهما ما كبرياي صغيرا
 أي في كبرهما وعنده وفاتهما قال
 ابن عباس ثم أرسل الله ما كان للنبي
 والذين آمنوا أن يستغفروا
 للمشركين الآية وقد جاء في
 الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث
 المروي من طرق عن أنس وغيره
 ان النبي صلى الله عليه وسلم
 لما صعد المنبر قال آمين آمين آمين
 قبل يارسول الله على ما أنت قال

أثنى جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكر عنه فلم يصل عليك قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل
 دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له قل آمين فقلت آمين قال رغم أنف رجل أدركه والده أو
 قل آمين فقلت آمين حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا علي بن زيد عن زرار بن أي
 رجل منهم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من ضم تيمانا في يومين مسلمين الى طعامه وشربه حتى يستغنى عنه وجبت له
 الجنة البتة ومن أعق امرأ مسلما كان فكما كمن النار ويجزى بكل عضوة من عضواته ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه
 سمعت علي بن زيد يذكر معناه الا انه قال من رجل عن قومه يقال له مالك أو ابن مالك وزاد من أدركه والده أو أحدهما فدخل النار

فابعد الله حديث آخر وقال الامام أحمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن زرار بن أبي أوفى عن مالك بن عمرو القشيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من الذرقان كل عظم من أظلامه محرر بعظم من ظلامه ومن أدرك أحد الوالديه ثم لم يغفر له فابعد الله عز وجل ومن ضم يتيما بين أبي بن مسعود إلى طعامه وشربه حتى يغنيه الله وحبته الجنة حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قال حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرار بن أبي أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من أدرك والديه (٦١) وأحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك

العقدة التي فيه قيل أذهب الله سبحانه تلك العقدة جميعها بدليل قوله قد أوتيت سؤالك
يا موسى وقيل لم تذهب كلها لأنه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلمة بل سأل حل عقدة قنق
الأفهام بدليل قوله من أسأني أي كائن من عقدة لساني وبذلك قوله هو أقصم مني
إسأنا وقوله حكاية عن فرعون ولا يكاد يبين وجواب الأمر قوله (يقفه هو أقول) أي لكي
يقفه ولا كلامي عند تبليغ الرسالة والتفقه في كلام العرب الفهم ثم خص به علم الشريعة
والعالم به فقهه قاله الجوهري (واجعل لي وزيراً من أهلي) أي معنا وظهراً والوزير
الموازر كالناخب المواصل لأنه يحمل عن السلطان وزراً أي ثقلاً قال الزجاج واشتقاقه
في اللغة من الوز وهو الحيا الذي يعتصم به لينجي من الهلكة ومنه قوله تعالى كلا لا وزر
والوزير الذي يعقد الملك على رأيه في الأمور ويلتجئ إليه وقال الاصمعي هو مشتق من
الموازرة وهي المعاونة نقله الرمحشري عن الاصمعي (هارون أخي) وكان أكبر من موسى
وأقصم إسأنا وأجل وأوسم وكان موسى آدم أفنى جعداً (أشد دبه أزرى وأشرك في
أمرى) على صيغة الدعاء أي يارب أحكم به فوقي واجعله شريكاً في أمر الرسالة والأزر
القوة يقال أزره أي قواه وقيل الظاهر أي أشد دبه ظهري وقرأ أشد دبه فزعة قطع
وأشرك بعضهم اليوم أي أشد أنا به أزرى وأشركه أنا في أمرى قال ابن عباس نبي هرون
ساعتئذ حين نبي موسى (كني نسجك كثيراً ونكرك كثيراً) هذا الذكر والتسبيح هما
الغاية من الدعاء المتقدم والمراد التسبيح هنا باللسان وقيل المراد به الصلاة (أنك كنت بنا
بصيراً) هو المبصر والعالم بخصفيات الأمور وهو المراد هنا أي أنك كنت بنا عالماً في صغرتنا
فأحدثت لنا فاحشاً من أيضاً كذلك الآن ثم أخبره الله سبحانه بأنه قد أجاب ذلك الدعاء
(قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) أي أعطيت ما سألتك من عليك والسؤل المسؤول أي
المطالوب كقولك خبز يعني مجبور ونسئله هو قوله رب اشرح لي وزيادة قوله يا موسى
لتسريفة بالخطاب مع رعاية القواصل (ولقد مننا عليك مرة أخرى) كلام مستأنف
لتنويع قالب موسى تذكرة من الله عليه والمن الاحسان والافضال والمعنى ولقد أحسننا
إليك قبل هذه المرة وهي حفظ الله سبحانه له من شر الأعداء كما بينه سبحانه ههنا وأخرى
تأنيب آخر بمعنى غير حاصل ما ذكره من المتن عليه من غير سؤال غائبة الأولى قوله
(إذا وحينا إلى آمن ما يوحى) إلى قوله وعدوله أي منذ ذلك الوقت وهو وقت الإيحاء

رابعي بن ابراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه حديث آخر قال الامام أحمد حدثنا يونس حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن الغسيل حدثنا أسيد بن عبيد عن أبي أسيد وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال بينما أنا جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل من الانصار فقال يا رسول الله هل بقي علي من برأوي شي بعد موتها أبرهما به قال نعم خصال أربع الصلاة عليهم ما والاسعة غفار لهما وانفاذ غدهما وكرام صديقهم ما وصله الرحم التي لا رحم لك الا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهم ما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الغسيل حديث آخر قال الامام

أحمد حدثنا روح بن حجاج أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن عن أبيه عن معاوية بن جهممة السلمي أن
جهممة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أردت الغزو ووجنتك أستشيرك فقال فهل لك أم قال نعم قال فالزمها
فإن الجنة عند رجليها ثم الثانية ثم الثالثة في قاعدتي ومثل هذا القول ورواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جرير
حديث آخر قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عباس عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدام بن معدي كرب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله

وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي اذا ذكر في قوله
 حدثنا محمد بن مسلمة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله انه
 اغفر لي ما اصبحت في مجلسي هذا قال ابن جرير والاولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاء من العصية الى الطاعة عما
 يكره الله الى ما يحب ويرضاه وهذا الذي قاله هو الصواب لان الاواب يستحق من الاواب وهو الرجوع يقال آب فلان اذا رجع قال
 تعالى انا الينا اياهم وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٦٣) كان اذا رجع قال آيوني نايوني عابدين لينا

حامدون (وات ذا القربي حقه
 والمسكين وابن السبيل ولا تبذر
 تمسيرا ان المذرين كانوا اخوان
 الشياطين وكان الشيطان لربه
 كفورا واما تعرض عنهم ابتغاء
 رحمة من ربك ترجوها فقل لهم
 قولا ميسورا) لماذا كرتعاني بر
 الوالدين عطف بذكر الاحسان
 الى القرابة وصلته الارحام وفي
 الحديث أمك وأباك ثم اذناك
 اذناك وفي رواية ثم الاقرب فالاقرب
 وفي الحديث من أحب أن يبسط له
 في رزقه وينسأ له في آجاله فليصل
 رحمه وقال الحافظ أبو بكر البزار
 حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو
 يحيى التميمي حدثنا فضيل بن مرزوق
 عن عطية عن أبي سعيد قال لما
 نزلت وآت ذا القربي حقه دعا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فاطمة
 فأعطاهما فذكر ثم قال لا أعلم حدث
 به عن فضيل بن مرزوق الا أبو يحيى
 التميمي وجيد بن جاد بن أبي الجزار
 وهذا الحديث مشكل لوضح اسناده
 لان الآية نكية وقد لئما فاحت
 مع خبر سنة سبع من الهجرة
 فكيف يلتم هذا مع هذا وقد

جرأ من الله وقال أبو عبيدة وابن الانباري ان المعنى لتغذي على محبتي وارادني تقول
 أأخذ الاشياء على عيني أي على محبتي قال ابن الانباري العين في هذه الآية يقصد بها
 قصد الارادة والاختيار من قول العرب عدا فلان على عيني أي على المحبة مني قيل أي
 فعلت ذلك لتصنع وقيل أي ولتصنع على عيني قدرنا مني أختك والعين أيضا من ألتصاف
 الصفات فلا تؤول وتجرى على ظاهرها وهو الاولي وقرئ ولتصنع باسكان اللام على الامر
 وقرئ بفتح الشاء والمعنى ولتكون خركتك وتصرفك بمنشئتي وعلى عيني مني وقال
 الزمخشري قرياسمه (أذنتي أختك) وكانت شقيقته واسمها هميم وصيغة المضارع
 لحكاية الحال الماضية (فتقول هل أدلكم على من يكفله) وذلك انها خرجت متعرفة
 لخبره فوجدت فرعون وامرأته آسية يطلبان له مرضعة فقالت لهما هذا القول أي هل
 أدلكم على من ينضه الى نفسه ويريه ويكمل له رضاعه وكانت أمه قد أرضعته ثلاثة
 أشهر وقيل أربعة قبل القائه في اليم فقالا لها ومن هو قالت أحمى فقالا له لاهل الهان قالت
 نعم ابن أخي هرون أكبر من موسى بسنة وقيل بالكثر بجات الام فقبل ثديها وكان لا يقبل
 ثدي مرضعة غيره ها وهذا هو معنى (فربعناك الى أمك) وفي مصنف أبي فرزدك وهذه
 هي المنة الرابعة (تقرعينا) بلقائك قال الجوهري قررت به عينا قررة وقرورا ورجل
 قرر العين وقد قرئت عنه تقرة وتقرع يضرب سحت والمراد بقررة العين السرور برجوع
 ولدها اليه بعد ان طرحته في البحر وعظم فراقه عليها (ولا تحزن) حيث نأى لا يحصل لها
 ما يكدر ذلك السرور ومن الحزن بسبب من الاسباب ولو اراد الحزن بالسبب الذي قوت
 عنها بن والده لقدم في الحزن على قررة العين فيجمل هذا التقي على ما يحصل بسبب بطرأ بعد
 ذلك ويمكن أن يقال ان الواو كانت لطلق الجمع كان هذا الحزن غير متعين قال
 البضاوي ولا تحزن أنت يا موسى على فراقها وفقد اشفاقها وهو تعسف والمنة الخامسة
 قوله (وقلت نفسا) المراد بالنفس هنا نفس القبطي الذي ذكره موسى قضى عليه واسمه
 قاب قان وكان طباخا لفرعون وكان قتله خطأ وكان عمره اذ ذاك اثني عشرة سنة وقيل
 ثلاثين سنة (فتجيبناك من التم) أي التم الحاصل معك من قتله خوفا من العقوبة
 الاخرى أو والدنيوية أو منهما جميعا وقيل من جهة فرعون لان جهة قتله لانه كان
 كافرا وأيضا قتله كان خطأ وقيل التم هو القتل بلغة قريش وما أبعد هذا والمنة

تقديم الكلام على المساكين وانباء النبيل في سورة براءة بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله ولا تبذر بذير الماء أمر بالانفاق نهي
 عن الاسراف فيه بل يكون وسطا كما قال في الآية الاخرى والذين اذا اتفقوا على امر فوا ولم يقرروا الآية ثم قال منكر راعن التبذير
 والسرف ان المذرين كانوا اخوان الشياطين أي أشباههم في ذلك قال ابن مسعود التبذير الانفاق في غير حق وكذا قال ابن
 عباس وقال مجاهد لو اتفق انسان ماله كافي الحق لم يكن مبذرا ولو اتفق ماله في غير حقه كان مبذرا وقال قتادة التبذير النفقة
 في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد وقال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن
 أبي هلال عن أنس بن مالك أنه قال أتى رجل من بني تميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني ذو مال كثير وذو أهل

وربه وحسنه فافترى كيف اتفق وكيف أصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الزكاة من ماله ان كان فأنها طهرة
تغنيك وتصل أقرابك وتعرف حتى السائل والخار والمسكين فقال يا رسول الله أقل لي قال قالت ذا الفقير حقه والمسكين وابن
السبيل ولا تبذر بذر الله اذ أدبت الزكاة الى رسولك فقد برئت منها الى الله ورسوله فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لم اذ أدبها الى رسولك فقد برئت منها واثب على من يذله او قوله ان المذرمين كانوا اخوان الشياطين أي
في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب (٦٤) معصيته ولهذا أقل وكان الشيطان (به كنورا أي جودا) انه أنكر نعمته

السادسة قوله (وقسنا قوتنا) الفسنة تكون بمعنى المحنة ومعنى الامر الشاق وكل ما يتولى
بها الانسان والقوتون مصدر كل لبور والسكون والكفور أي اختبرناك اختبارا واسطناك
استملاء وقوتنا من الاستسلام على أي جمع قتنا وقتنه على ترك الاعتدال بنا والتأنيث تجوز
في حجة ودور في دور أي خلصناك مرة بعد مرة وما وقعت فيه من الخن التي سبق ذكرها
قبل أن نسطفك (رسالتنا أوليا أن أمه جليلة في السنة التي كان فرعون يذبح فيها
الأطفال ثم القاه في البحر في التابوت ثم منع من الرضاع الا من ندى أمه ثم أخذ بالحيلة
فرعون حتى هم يقتله ثم تناوله الجوريل الجور ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خثا
وقد أخرج عدي بن جيد والناقي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه
عن ابن عباس أن أراطولا في تفسير هذه الآية فبن أحب استيفاء ذلك فليست في كتاب
التفسير من سنن النساقي ولعل المقصود به ترك تحيته من الغم الحاصل به بذلك السبب
وتحيته من الخن هو الانسان عليه يصنع الله سبحانه وتقوية قلبه عند ملا فامة ما يقع
له من ذلك مع فرعون وبني اسرائيل والملة السابعة قوله (فلبث سنين في أهل مدين)
قال القراء تقدير الكلام وقتنا قوتنا فخرجت الى أهل مدين فلبث سنين ومثل هذا
الحذف كثير في التنزيل وكذا في كلام العرب فانهم يحذفون كثيرا من الكلام اذا كان
المعنى معروفا ومدين هي بلدة شعبة وكانت على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى
فاقام بها عشرين سنة وهي أم الاجلين وقبل اقام عند شعب ثمانية وعشرين سنة منها
عشر منها امرأته ثمانية شعبة ومنها ثمانية عشر سنة في فاعا عنده حتى ولد له (ثم جئت
على قدر يا موسى) أي في وقت سبق في قضائي وعلى وقد رى أن كل وأجعلك نبيا أو على
ميقات ومقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء قاله ابن عباس وهو رأس أربعين سنة
أو على موعده عرفه باخبار شعبة لك به قاله مجاهد وقادة قال الشاعر
نال الخلافة اذ كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر
وكلمة ثم المفيدة للتراخي للدلالة على ان مجيئه عليه السلام كان بعد مدة وذلك بسبب ما وقع
له من ضلال الطريق وتشرق عظمه ونحو ذلك وعلى معنى مع (واصطغنتك لنسبي) بالرسالة
والاصطناع اتخاذ الصنعة ونحوها لغير تسديده الى انسان والمعنى اصطغنتك لرحبي ورسالتى
لتصرف على اربادى قال الزجاج تأويل اخترتك لاقامة حجتي وجعلتك بيتي وبين حلفتي

الله عليه ولم يعمل بطاعته بل
أقبل على معصيته ومخالفته وقوله
واما تعرض عنهم ابتداء رحمة من
ربك الآية أي اذا سألتهم فابرك
ومن أمرناك باعظائهم وليس
عندك شيء وأعرضت عنهم لتقصد
النقطة فقل لهم قولا مديورا أي
عدهم وعدابهم وله ولين اذا جازق
الله فسنصلحكم ان شاء الله هكذا
فسر قوله فقل لهم قولا مديورا
بالوعد مجاهد وعكرمة وسعيد بن
جبير والحسن وقادة وغير واحد
(ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا ان ربك يسهل الرزق لمن
يساهو يصعد رزقه ان يعاده حيرا
بصيرا) يقول تعالى أمرنا بالاعتقاد
في العيش ذاما للجل ناهيا عن
السرف ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك أي لا تكن بخيلا متوعا
لا تعطى أحدا شيئا كما قالت اليهود
عليهم لعائن الله بالله مغلولة أي
نسبوه الى الجمل تعالى وتقدس
الكرم الوهاب وقوله ولا تبسطها
كل البسط أي ولا تسرف في الإنفاق
فتعطي غير طائفة وتخرج أكثر

من دخلك فتقعد ملوما محسورا وهذا من باب الف والشر أي تقعد ان يجلت ملوما لما لمك الناس
ويذمونك ويستغنون عنك كما قال زهير بن أبي زهير في المعلقة * ومن كان ذامال ويصلح بهاله * على قوم يستغنى عنهم ويذم
ومنى بسطت يده فوق طائفتك فعدت بلاشي تنفق وقتك تكون كالخيسير وهو كلمة بالية التي تجرت عن السير فوقفت ضعيفا وبخر فأنها
نسخت الخسير وهو ما خوذ من الكلال كما قال فارح البصر هل ترى من ظهور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر طشا وهو
جسدي أي كليل عن أن يرى عيابه كذا افسرت هذه الآية بان المراد هنا الجمل والسرف وقال ابن عباس والحسن وقادة وابن جرير

وايزيد وغيرهم وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
مثل الجنين والمفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من نديهما إلى تراقيهما فاما المتفق فلا ينفق ولا يبغى أو زورت على
جلده حتى يمضي بانه أو يعرف أو ترد واما الجنين فلا يريد أن ينفق شيئا إلا ارتقت كل حلقة منها سكانها فهو يوسوس بما فلا تسع هذا النمط
الجناري في الزكوة في الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدهم أن أسماء بنت أبي بكر قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتي هكذا وهكذا ولا توقي فوقي (٦٥) الله عليكم ولا توقي فيوكن الله عليكم وفي

لفظ ولا تخصي فيخصي الله عليك
وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق
عن معمر عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم إن الله قال لي أنفق أنفق
عليك وفي الصحيحين من طريق معاوية
ابن أبي هريرة عن سعيد بن يسار عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
يوم يصبح العباد فيه إلا وملائكة
يتزلون من السماء يقول أحدها
اللهم أعط مسفقا خلفا ويقول
الآخر اللهم أعط مسكنا لقاروري
مسلم عن قتبية عن اسمعيل بن جعفر
عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة
مرفوعا ما نقص مال من صدقة وما
زاد الله عبدا أنفق إلا عزه ومن تواضع
لله رفعه وفي حديث أبي كثير عن
عبد الله بن عمر مرفوعا يا أيها
فانه أهل من كان قبلكم أمرهم
بالجمل فجاءوا وأمرهم بالقطيعة
فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا
وروي البيهقي من طريق سعدان
ابن نصر عن أبي معاوية عن الأعمش
عن أبيه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما يخرج رجل صدقة

وسرت بالبيع عن بالمرزلة التي أكون أيام الوخاطبةم وأحببت عليهم قيل وهو تشيل
لما خوله الله سبحانه من الكرامة العظمى بتقريب الملك لبعض خواصه وعده في الممة
الثامنة قال أبو السعد ودوني قوله يا موسى تسرى فله عليه السلام وتنبه على انتهاء
الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية أولا وقوله اصطنعتك
لنسي تذكرة قوله وأنا اخترتك وتهيد لارساله إلى فرعون مؤيدا بأخيه انتهى
(أذهب أنت وأخوك) أي وليذهب أخوك حسما طمئت وهو كلام مستأنف مسوق
ليبين ما هو المقصود من الاصطناع وفيه اختصار لما ذكر المذهب إليه في قوله أذهب إلى
فرعون وحذفه هنا (يا أي) يحذف في التي جعلت لك آية وهي اليد والعصا فقط وعليه
أكثر المفسرين وقيل هي التسع الآيات وفيه نظر والباء المصاحبة أي معصومين بها
مكة يمكنهم في اجراء احكام الرسلالة أو كمال أمر الدعوة وليست المتعدية إذ ليس المراد
بمجرد ذهابهم ما واصلها إلى فرعون (ولانتيا) أي لا تصعقا ولا تنفرا يقال ولني بني وناذا
ضعف وتواني في الامر يؤايلما إلى الرسلالة ولم يهتم به فهو متوان أي غير مهم ولا يحتفل
(في ذكرى) قال الفراء هذا عن ذكرى سواء والمعنى لا تقصر عن ذكرى لا احسان الكما
والانعام عليكم من ذكر الله سبحانه وشكرها وقيل المعنى لا تنبطي في تبليغ رسالتى وفي قراءة
ابن مسعود لا تنافي ذكرى (أذهب إلى فرعون) هذا أمر لهم جميعا بالذهاب وموسى
حاضر وهو غائب بل كان في ذلك الوقت بعصر تغليب موسى لأنه الأصل في اداء الرسالة
وكذا الحال في صيغة انتهى المذكورة وعلى الامر بالذهاب بقوله (انه طغي) أي جاوز الحد
في الكفر والمردد عائد الربوبية وخص موسى وحده بالامر بالذهاب فيما تقدم وجمعهما
هنا تشرى فاما موسى بفراده وقيل الاول أمر لموسى بالذهاب إلى كل الناس والثاني أمر
لهم بالذهاب إلى فرعون ثم أمرهما سبحانه بالانابة إلى الله تعالى في ذلك من التائبين في الاجابة
فان التائبين يابى بديكون من أعظم أسباب التفرور والتصلب في الكفر فقال (فقلوا
له قولا لينا) أي دارياد وأرفقاه ولا تعنفوا في قولكم في رجوعه عن ذلك والقول اللين هو
الذي لا خشونة فيه يقال لان الشيء ليننا والمراد تركهما التعنيف وكقولهما هل لك إلى
ان تركي وأهديك إلى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض ومساورة وقيل القول اللين
هو الكسبة له أي قولا لينا بالاب والولد وقيل يا أبا العباس وقيل يا أبا برة وقيل أن يعدها بنعيم

(٩ - فتح البان سادس) حتى يهلك لحي سبعين شيطانا وقال الامام أحمد حدثنا عبدة الجزار حدثنا مسكين بن عبد العزيز
حدثنا بر أعيم الهجرى عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد وقوله
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اخباره تعالى هو الرزاق القابض الباسط المتصرف في خلقه بما يشاء فيغنى من يشاء ويقر
من يشاء له في ذلك من الحكمة ولهذا قال انه كان بعاده خير ابصيرا أي خبير بصيرين يستحق الغنى ويستحق الفقر كما جاء في
الحديث ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو أغنيته لا أقصدت عليه دينه وان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته

لأفسدت عليه دينه وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً والفقرة عوبة عياداً بالله من هذا وهذا (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأ كبيراً) هذه الآية الكريمة دالة على ان الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده لأنه نهى عن قتل الأولاد كما وصى الأباء الأولاد في الميراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهن يرث ما سقت لبنته الثلاثة كثر علمته فنهى الله تعالى عن ذلك وقال ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أى خوف ان تفقر واني ثاني الحال ولهذا أقدم الاهتمام برزقهم فقال نحن نرزقهم وإياكم (٦٦) وفي الانعام ولا تقتلوا أولادكم من إملاق أى من فقر نحن نرزقهم وإياهم

وقوله ان قتلهم كان خطا كبيرا اى
 ذنبا عظيما وقرأ بعضهم كان خطا
 كبيرا وهو بعينه وفي الصحيحين
 عن عبيد الله بن مسعود قلت
 لرسول الله اى الذنب أعظم قال
 أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم
 اى قال ان تقتل ولدك خسية ان
 يعلم معك قلت ثم اى قال ان ترائى
 بجاهل جارك (ولا تقربوا الزنا انه
 كان فاحشة وساء سبيلا) يقول
 تعالى ناهيها عباده عن الزنا وعن
 مقارنته وخطاؤه أسبابه ودواعيه
 ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة اى
 ذنبا عظيما وساء سبيلا اى وبئس
 طريقا ومسلكا وقد قال الامام أحمد
 حديثنا يزيد بن هرون حدثنا جرير
 حدثنا اسلم بن عامر عن أبي امامة
 ان فتى شابا اى النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا
 فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا مه
 مه فقال ادنه فدنا منه قربا فقال
 اجلس فجلس فقال أتفحشه لا مث
 قال لا والله جعلني الله فداك قال
 ولا التماس يحبونه لامهاتهم قال
 أتفحشه لا بئسك قال لا والله يا رسول
 الله جعلني الله فداك قال ولا التماس
 يحبونه لبئسهم قال أتفحشه لا حثك

الشيء والآخر أن أجاب وقيل أن يعده بسبب لاهم بعده وملاك لايزول بالاموت قاله
البيضاوي ثم علل الامر بالانة القول له بقوله (لعله يند كأو يخشى) أي بأشرك ذلك
مباشرة من يرجو ويطمع فالراجع اليهما كما قاله جماعة من المتأخرين سيبويه وغيره
وقد تقدم تحقيقه في غير موضع قال الزجاج لعل لفظة طمع وزج خاطبهم بما يعقلون
وقيل لعل هنا بمعنى الاستعظام والمعنى فانظر هل يند كأو يخشى وقيل بمعنى انى والتذكير
النظر فيها بلغاهم من الذكر وامعان الفكر فيه حتى يكون ذلك سببا في الاجابة والخشية
هي خشية عقاب الله الموعود به على لسانهما وكلمة أولع الخلودون الجمع وفائدة ارسالهما
والمبالغة عليهما في الاجتماع مدح علم الله بانه لا يؤمن الزام الخلة وقطع المعبذرة و اظهار
ما حدث في تضعيف ذلك من الآيات (فالأرسلنا الخفاف) أسند القول اليهما مع ان
القائل حقيقة هو موسى تغليبا للايدان باصالة في كل قول وفعل أو قاله هرون بعد
ملاقاتهما فحكى ذلك مع قول موسى عند نزول الآية كما في قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا
من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكى بصيغة الجمع مع ان كل من المخاطبين لم يخاطب الا
بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب
(ان يفرط) فرعون (علينا) بفتح اليا وضم الراء أي بئس وبيادر بعقوبتنا قاله ابن عباس
يقال فرط منه أمر أي بدرو منه الفراط وهو الذي يتقدم القوم الى الماء أي يذهبنا عذاب
الفراط في الذنب وهو المتقدم فيه كذا قال المبرد وقال أيضا فرط منه أمر وأفرط أسرف
وفراط ترك وقرئ يفرط بضم اليا وفتح الراء أي يحمله حامل على التسرع السبا وقرأت
طائفة من الافراط أي يشط في أدبنا أي فلا يصبر الى تمام الدعوة و اظهار المجزة (أوان
يطبق) أي يعتدي قاله ابن عباس و اظهار كلمة مع استقامة المعنى بدوئه الاظهار كمال
الاعتناء بالامر والاشعار بصحة الخوف من كل منهما (قال) تعالى (لأنخاف) ما توهمناه
من الامرين ثم علل ذلك بقوله (انني معكم) بالنصر لكما والمعوذة على فرعون (أسمع
وأرى) أي أدرك ما يجري بينكما وبينه بحيث لا يخفى على منة خافية ولسنت بغافل عنك
فأفعل في كل حال ما يليق بك لمن دفع ضرر وجلب نفع وعن ابن جرير قال أسمع ما يقول
وأرى ما يجاب ويكابه فأوحى اليك ففخا وباه وعن ابن مسعود قال لم يبعث الله موسى الى
فرعون قال رب أي شيء أقول قال قل هياشرا هيا قال الاعشى تفسير ذلك الحى قبل كل

قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لآخواتهم قال أفقبحه لعمتك قال لا والله جعلني الله فداك شيء قال ولا الناس يحبونه لعماهم قال أفقبحه لخالاتك قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه قال فلم يكن بعد ذلك الفتى بماتت إلى شيء وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عمار بن حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي هريرة عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذنب بعد الشرك أعظم الله من فظنته وضعها رجل في رحم لا يحل له (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الإلحاق ومن قتل ظلوماً فقد جحد الولية سلطان

يسرف في القتل انه كان منصوراً) يقول تعالى ناهياعن قتل النفس بغير حق شرعي كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله الا احدى ثلاث النفس بالنفس والزاني المحسن والتارك لدينه المفارق للجماعة وفي السنن والوال الفينا عند الله أهون من قتل مسلم وقوله ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً بأى سلطة على القاتل فإنه بالخيار فيه ان شاء قتل قودوا وان شاء عفا عنه على الدية وان شاء عفا عنه مجاناً كما ثبتت السنة بذلك وقد أخذ الامام الخبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة (٦٧) انه سمى لك لانه كان ولي عثمان وقد قتل عثمان

مظلوماً مرضى الله عنه وكان معاوية يطالب علياً مرضى الله عنه انه يسلمه قتلته حتى يقتص منه لانه أموى وكان علي رضي الله عنه يستجبه له في الامر حتى يتكبر ويشعل ذلك ويطالب علي من معاوية أن يسلمه الشام فمأى معاوية ذلك حتى يسلمه القتل وآى أن يبائع علياً هو وأهل الشام ثم مع المطالبة تمكن معاوية وصار الامر اليه كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذا من الامر العجب وقدرى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال حدثنا يحيى بن عبد الباقي حدثنا أبو عمير بن النحاس حدثنا خزيمة بن ربيعة عن ابن شاذب عن مطر الوراق عن زهد الجرمي قال كفى سم ابن عباس فقال انى محمد نكهم بمحدث ليس يسر ولا علانية انه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعنى عثمان فأت علياً اعترل فلو كنت في حجر طلبة حتى تستخرج فقصاني وايم الله لئن أمرت عليكم معاوية وذلك ان الله يقول ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل الآية ولجمل منكم قريش على

شيء والحي بعد كل شيء وجود السيوطي اسناده وسبقه الى تجويد اسناده ابن كثير في تفسيره ثم أمرهما بالتيامة التي هو عبارة عن الوصول اليه بعد أمرهما بالذهاب اليه فلا تكرر فقال (فأثابه فقولا) أمرهما أن يقولوا لا تجل الاولي قوله (انار سولار بن) أرسلنا اليك (فارس) معاوية (امرئيل) أى خل عنهم وأطلقهم من الاسر والقتل (ولا تعذبهم) بالبقاء على ما كانوا عليه وقد كانوا عند فرعون في عذاب شديد يذبح أبنائهم وموتى نسائهم ويكفهم من العمل ما لا يطيقونه من الحفر والبناء وحمل الثقل (قد جئناك بالآية) من ربك قل هي العصا واليد وقيل ان فرعون قال لهما وما هي فادخل موسى يده في جيبه فخرجهما ولها شعاع كشعاع الشمس فمحب فرعون من ذلك ولم يدمسى العصا الا يوم الزينة قال الزخشرى وهذه الجلة جارية من الجلة الاولي مجرى السنان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا بينة التي هي محيى الآية وانما وحداية ولم يثن ومعه آيتان لان المراد مجرد تنبئ الدعوى ببرهانها فكأنه قيل قد جئناك بمجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناك من الرسالة (والسلام) أى السلامة من العذاب (على من اتبع الهدى) قال الزجاج أى من اتبع الهدى سلم من خطئ الله عز وجل ومن عذابه وليس بقية قال والدليل على ذلك انه ليس بائد لقاء ولا خطاب قال الفراء السلام على من اتبع ولمن اتبع سواء الجلة السادسة قوله (انافداً وحى البناء) من جهة الله سبحانه (ان العذاب على من كذب) ما جئنا به (وتولى) أعرض عنه والمراد بالعذاب الهلاك والدمار في الدنيا والآخرة والمراد بالكذب الكذب بايات الله وبرسوله والتولى الاعراض عن قبولها والامعان بها قال قتادة كذب كذب الله وتولى عن طاعته فاتاه وقال اجيب ما ذكر وسار الى الامتنال من غير تلعم (قال) فرعون لهما (فئن ربك يا موسى) فاضاف الرب اليهما المان المرسل لئلا يكون ربا الرسول أو لانهم ما قد صرحا برؤيته تعالى للكل ولم يصفه الى نفسه لعدم تصديقهما وتخذلوا لربوبية وغاية عتوه ونهاية طغيانه وخص موسى بالتداء لكونه الاصل في الرسالة وقيل لمطابقة رؤس الآى والاول اولى (قال) موسى مجياله (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه) الذى هو عليه متميزه عن غيره قرئ بفتح اللام على انه فعل ويسكون اللام والمعنى أعطى كل شيء صورته وشكله الذى يطابق بالمنفعة المنوطة به المطابقة كالبطل المطش والرجل للمشى واللسان للنطق

سنة فارس والروم وليقيم عليكم النصارى والهودو المجوس فن أخدمكم يومئذ عايعرف مجاوس ترك وأنتم تاركون كنتم كقرن من القرون هلك فمن هلك وقوله فلا يسرف في القتل انه قال معناه فلا يسرف الى قتل القاتل بان يثمل به أو يقتص من غير القاتل وقوله انه كان منصوراً أى ان الولي منصور على القاتل شرعاً ولو بالقدرا (ولا تقر بومال التيمم الابائى هي اخمين حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهدان كان مسؤولاً وأوفوا الكيل اذا كنتم وزناً) القسط المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً يقول تعالى ولا تقر بومال التيمم الابائى هي أحب إلي حتى يبلغ أشده أى لا تتجهزوا على مال التيمم الابائى بظنكم ولا تكونوا أموالهم أسرا فاف

وبدار أن يكبر وارمن كان غنياً فليست نف ومن كان فقيراً فليأكل بالمرءوف وقد جاء في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يذنب أبداً رافى أركاً ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وقوله وأوفوا بالعهد أى الذى تعاقدون عليه الناس والعقد الذى تعاهدتم به فان العهد والعقد كل منهما ما يشترط صاحبه عنه وقوله وأوفوا الكيل اذا كتم أى من غير تطفيف ولا تحصر الناس أشياءهم وروى ابنا بطاستس قرئ بضم القاف وكسرها كافر طاس وهو الميزان قال مجاهد هو العدل بالروية وقوله المستقيم (٦٨) أى الذى لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب ذلك خير أى لكم

والعين النظر والاذن السمع كذا قال الضحاك وغيره قال الحسن وقتادة أعطى كل شئ صلاحه وهذا ما يصلحه وقال مجاهد المعنى لم يخلق خلق الانسان فى خلق البهائم ولا خلق البهائم فى خلق الانسان ولكن خلق كل شئ بقدره تقدير او منه قول الشاعر وله فى كل شئ خلقه * وكذلك الله ما شاء فعمل وقال القراء المعنى خلق للرجل المرأة ولكل ذكراً وبواقفه من الاناث أو المعنى أعطى خلقه كل شئ يحتاجون به ليعرفوا بقدرته ومعنى (ثم هدى) أنه سبحانه هداهم الى طريق الاستقامة ما أعطاهم فأتبعوا بكل شئ فيما خلق له أو المعنى أعطى كل شئ خلقه الله سبحانه ولم يخلق من عطائه قال ابن عباس خلق لكل شئ زوجة ثم هدى قال هداهم الى حكمه ومطعمه ومشر به ومسكنه ولماسع فرعون ما احتج به موسى فى ضمن هذا الكلام على اثبات الربوبية وشاهد ما نظم في سلك الاستدلال من البرهان الذى لا يخفى من أن الخلق والهداية ثابتان بلا خلاف ولا بدلهما من خلق وهادى ذلك الخالق والهادى هو الله سبحانه لا رب غيره خاف أن يظهر للناس حقيقة ما قاله موسى وبطلان خرافاته أراد أن يصرف موسى عن سنده الى ما لا يعنيه من الامور التى لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات لأجل أن يرى قومه ان عنده معرفة (قال فى اقبال القرون الاولى) تقوم نوح وهود ولوط وصالح فى عبادتهم الاوثان فانهم اثم قتل بالرب بل عبدت الاوثان ونحوها من الخلق والوقائع ومعنى البال الحال والشان أى ما حالهم وما شأنهم وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجابه موسى (وقال علماء هندى) أى ان هذا الذى سألت عنه ليس مما نحن نصدقه بل هو من علم الغيب الذى استأثر الله به لئلا يعلمه آت ولا نأوان العلم بأحوالهم لا تعلق له بمصعب الرسالة (فى كتاب) أى انها مبنيّة فى اللوح المحفوظ قال الزجاج المعنى ان أعمالهم محفوظة عند الله يجازى به يوم القيامة والتقدير علم أعمالها عند ربى فى كتاب واعلم ان فرعون لماسأل موسى عن الآلهة وكان ذلك محاسيله الاستدلال أجابه موسى بأوجز عبارة وأحسن معنى ولماسأله عن القرون الاولى وكان ذلك محاسيله الاخبار ولم يأت به خبر فى ذلك وكله الى عالم الغيوب قاله الكرخى (لا يضل ربى ولا يئسنى) اختلف فى معناه على أقوال الاول انه ابتداء كلام مستأنف تنزيهه لله سبحانه عن هاتين الصفتين وقد تم الكلام عند قوله فى كتاب قاله الزجاج قال ومعنى لا يضل لا يهلك من قوله تعالى أنذاضاً لنا فى

فى معاشكم ومعادكم ولهذا قال وأحسن تأويل أى ما لا ومنقلباً فى آخر تكلم قال سعيد عن قتادة ذلك خير وأحسن تأويل أى خير ثواباً وأحسن عاقبة وأما ابن عباس كان يقول يامعشر الموالى انكم وليستم أمرين بينهما هلاك الناس قتلهم هذا الميكل وهذا الميزان قال وذكرنا ان نبي الله عليه الصلاة والسلام كان يقول لا يقدر رجل على حرام ثم يذعه ليس به الا محققاً لله الا يئله الله به فى عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك (ولا تفك ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يقول لا تغفل وقال العوفى عنه لا ترم أحد بما ليس لك به علم وقال محمد بن الحنفية يعنى شهادة الزور وقال قتادة لا تغفل رأيت ولم ترو سمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فان الله تعالى سائل عن ذلك كله ومضمون ما ذكره ان الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالنظر الذى هو التوهم والخيال كما قال تعالى اجنبوا كذباً من الظن ان بعض الظن اثم وفى الحديث

ياكم والظن فان الظن أكذب الحديث وفى سنن ابى داود بنس مطية الرجل زعموا فى الحديث الآخر ان آخرى القرى ان يرى الرجل عينيه مالم تروا فى الصحيح من تحلم حلالاً كف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين وليس بفاعل وقوله كل أولئك كان عنه مسؤولاً أى هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد كان عنه مسؤولاً أى يستعمل العبد عنها يوم القيامة وتشتل عنه وعما عمل فيها ويصح استعمال أولئك مكان تلك كما قال الشاعر ذم المنازل بعد منزلة اللوى * والعيش بعد أولئك الأيام (ولا تشفى فى الارض من خالك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) يقول تعالى نهاها

عباده عن التجبر والتجبر في المشية ولا تمس في الارض مر حاي متجبر متما لا تسمى الجبارين ان الذين تحرق الارض أي تقطع الارض بشمسك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول ربيعة بن الحجاج وفاتم الاعاق خاوي المخترق وقوله وان تبلغ الجبال طولاً أي بتمامها ونقرها وانما بك نفسك بل قد يجازي فاعل ذلك بتقيض قصده كانت في الجميع يتما رجل عتق فيمن كان قبله كم وعليه بردان يتجبر فيهما اذا خسف به الارض فهو يتجلبل فيه الى يوم القيامة وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون انه خرج على قوميه زينة وان الله تعالى خسف به وبداره الارض وفي الحديث من تواضع لله رفعه الله (٦٩) فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه

كبير وعند الناس حقير حتى لهو أبغض اليهم من الكلب وأما الخنزير وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الجول والتواضع حدثنا أحمد بن ابراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن أبي بكر الهذلي قال بلغنا عن الحسن اذ مر عليه ابن الاعمير يد المنصور وعليه حجاب خر قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفج عنها قبائره وهو يمشي ويتجبر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال أف أف شاخ بانفه ثاني عطشه مصغر خديه ينظر في عطفه أي جيق أي ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بامر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله أي يمشي أحدهم طبيعته يخلج المجنون في كل عضو منه نعمة وللشيطان به لعنة فبهه ابن الاعمير فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذري واتي وقب الى ربك أما سمعت قول الله تعالى ولا تمس في الارض مر حالك ان تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولاً ورأى التجبر العابد رجلاً من آل علي يمشي وهو يحترق في مشيته فقال له يا هذا ان الذي

الارض ولا ينسب شيأ من الاشياء فقد نزعها عن الهلاك والنسيان الثاني ان معنى لا يضل لا يخطئ قاله ابن عباس الثالث ان معناه لا يغيب قال ابن الاعرابي أصل الضلال الغيبوبة الرابع ان المعنى لا يحتاج الى كتاب ولا يضل عنه علم شيء من الاشياء ولا ينسب ما علمه من احكي هذا عن الزجاج أيضاً قال النحاس وهو أشبهه بالعلمي ولا يخطئ انه كقول ابن الاعرابي الخامس ان المعنى لا يذهب شيء عن علمه ولا ينسب أي بعد ما علم وهذا كالأربع السادس ان اللفظ الاول اشارة الى كونه عالماً بكل المعلومات والثاني دليل على بقاء ذلك العلم ابدالاً وادواراً الى نفي التغير السابع ان هاتين الجملتين صفة للكتاب والمعنى ان الكتاب غير ذاهب عن الله ولا هو ناسله (الذي جعل لكم الارض مهدياً) أي مهدياً مهدياً أو ذات مهدي وهو اسم لما يهتدى كالنراش لما يقرش وقرى مهدياً قال النحاس واجمع أولي من المصدر لان هذا الموضع ليس موضع مصدر الاعلى حذف المضاف وقيل مهدياً مفرد كالنراش أو جمع معناه القرش فالهواجم المهدي جعل كل موضع منها مهدياً لكل واحد منكم وهذا من جملة كلام موسى في جواب فرعون عن سؤاله الاول فهو مرتبط بقوله ثم هدي ليكنه ذكر في خلال كلامه على سبيل الاعتراض سؤال فرعون الثاني وجوابه (وسلأ لكم فيها سبلاً) السلأ ادخل الشيء في الشيء والمعنى ادخل في الارض لاجلهم طرقاً تسلكونها فوسلأ لهم وسبلاً بين الجبال والوديه والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها ما ركبكم وتتقفوا بما فقهوا من آية اخرى الذي جعل لكم الارض مهدياً وجعل لكم فيها سبلاً لعلكم تهتدون ثم قال سبحانه تمشي بها لوصفه به موسى (وأنزله من السماء ماء) هو ماء المطر قيل الى هنا انتهى كلام موسى وما بعده وهو (فاخرجنا به) من كلام الله سبحانه قاله ابن عطية وتبعه المحلى وفيه بعد وقيل هو من الكلام المحكي عن موسى وانما التفت الى التكلم التنبه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وايداناً به طاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته ونوقش بان هذا خلاف الظاهر مع استازامه فوات الالتفات لعدم اتحاد المتكلم ويجيب عنه بان الكلام كله محكي عن واحد وهو موسى والحاكي للجميع هو الله سبحانه والمعنى فاخرجنا بذلك الماء بسبب الحرث والمعالجة (آز واجامن نبات شقي) أي خربوا واشباههم انصاف النبات المختلفة الالوان والطعوم والرائحة والمنافع فها هو

أكرمك ولم تكن هذه مشيئة قال فتركها الرجل بعد ورأى ابن عمر رجلاً يحترق في مشيته فقال ان للشياطين اخواناً وقال خالدين بن معدان اياكم والخطر فان الرجل في البراز حدثنا احمد بن زيد عن يحيى عن سعيد بن محسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشيت أمتي المبطاء وخذ منهم في فارس والروم سلط بعضهم على بعض وقوله كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ما من قرأ شيئاً من آية فاحشة فعنه عنده كل هذا الذي نهينا عنه من قوله ولا تقواوا ولادكم خشية املاق الى هنا فهو سيئة مؤخذ عليها مكروهاً عند الله لا يحبه ولا يرضاه وأما

من قرأه على الاضافة فعند كل هذا الذي ذكرناه من قوله وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه الى هنا فسئله أى فتية مكرها عند الله هكذا وجد ذلك ابن جرير رحمه الله (ذلك مما روى البكر بن بك من الحكمة ولا يتجمل مع الله الها آخر فتلى في جهنم ما ملأ من مدحورا) يقول تعالى هذا الذى أمرناك به من الاخلاق الجميلة ونهيالك عنه من الصفات الذليلة مما وحينا اليك يا محمد لتأمر به الناس ولا تتجمل مع الله الها آخر فتلى في جهنم ما ملأ من مدحور وياؤمك نفسك وياؤمك الله والخلق مدحور رأى مبعدا من كل خير قال ابن عباس وقد قدم مطرودا والمردون (٧٠) هذا الخطاب الامم بواسطة رسول الله عليه وسلم فانه صلوات الله وسلامه

لناس ومنها هو للرب سميت بذلك لازدواجها واقترب بعضا ببعض والنبات مصدر سمي به النبات فاستوى فيه الواحد والجمع وشئ جمع شيت وزنه فطلى وألفه للتأنيث وقال الاخفش التقدير أزواج شئ من نبات يقال أمر شئ أى مشرق وشئ الامر شئ شت شواوشا تأنيثا تفرق واشت مثله والشتيت المتفرق وشتان اسم فعل ماضى بمعنى افرق ولذلك لا يكتبى بواحد فانه السمي قال ابن عباس شئ يختلف (كلوا وارعوا أنعم الله عليكم) أى فائين لهم ذلك والامر للاباحة وتذكير النعمة والجلالة حال يقال رعت المشاة الكلا وربعاها صاحبها رعاية أى أسامها وسرحها يجي لازما ومتعديا والانعام جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم والمعنى معديلا لانتفاعكم بالاكل والعلف اذ نيت فيه (ان في ذلك) الاشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الايات (لايات) أى لعبر (لاولى النهى) جمع غنية وهى العقل وهى بلانه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح وقيل انه اسم مفرد وهو مصدر كالهدي والسرى قاله أبو على وخص ذوى النهى لانهم الذين ينهى الى رأيهم وقال ابن عباس لاولى الخبي والعقل وعنه لاولى التى وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون فى اثبات الصانع جوابا لقوله فى ربك يا موسى (منها) أى من الارض المذكرة سابقا (خلقناكم) قال الزجاج وغيره يعنى ان آدم خلق من الارض وأولاده منه فعلى هذا يكون خلق كل انسان غير آدم من الارض بوساطة عديدة بقدر ما بينه وبين آدم وقيل المعنى ان كل نطفة مخلوقة من ترابى ضمن خلق آدم لكل فرد من أفراد البشر حفظ من خلقه وعلى هذا يدل ظاهر القرآن (وفيها) أى فى الارض (نعيدكم) بعد الموت فتدعون فيها وتتفرق أجزاءكم حتى تصير من جنس الارض وجاء فى دون الى الدلالة على الاستقرار (منها) أى من الارض (نخرجكم) كما أخرجه كما عند ابداء خلقكم (تارة) أى مرة (أخرى) بالبعث والتشوير وتآلف الاجسام ورد الارواح الى العلى ما كتبت عليه قبل الموت عن عطاء الخرافاتى قال ان الملك يطفى قباخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيسدره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وذلك قوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم وأخرج أحسدا واخاكم عن أبي امامة قال لما وضعت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى القبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى بسم الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله وفى حديث فى السنن

عليه معصوم (أفأصناكم ربكم بالنعمة واتخذ من الملائكة اناثا انكم تقولون قولوا عظيما) يقول تعالى راداعلى المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعائن الله ان الملائكة بنات الله فجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدوهم فاطفوا فى كل من المقامات الثلاث خطأ عظيما فقال تعالى منكرا عليهم أفأصفاكم ربكم بالبنين أى خصهكم بالذكور واتخذ من الملائكة اناثا واختر لنفسه على زعمكم البنات ثم شدد الانكار عليهم فقال انكم تقولون قولوا عظيما أى فى زعمكم ان الله ولدا ثم جعلكم ولده الاناث التى تأفون ان يكن لكم ورموا بقولهم بالوآد فذلك اذا قصه صبرى وقال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هرا أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن نتخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعددهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا (ولقد صرنا فى هذا القرآن لذكرهم ما ينذرههم

الانفورا) يقول تعالى ولقد صرنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل أى صرف قديمه من الوعد لعلهم يذكرون انه حافيه من الخبي والبنات والمواظ فينجز وعامهم فيه من الشر والظلم والافك وما يزيدهم أى الظالمين منهم الانفورا رأى عن الحق وبعد الله (قل لو كان مع آله كما يقولون اذا ابتغوا الى ذى العرش سيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين ان الله شر بكماس خلقه العبادين معه غير ما يقرهم اليه لئلا لو كان الاصر كما يقولون وان معه آلهة تعبدون تقرب اليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون جديونه ويقربون اليه ويتغنون اليه الوسيلة والقربة قاعبدوا بآله وحده كما يعبدون تدعونه من دونه ولا حاجة لكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فانه لا يحب ذلك ولا يرزاه بل يكرهه

وبأياه وقد نهي عن ذلك على ألسنة جميع رسله وأنبياؤه ثم نزه نفسه الكريمة وقد سها فقال سبحانه وتعالى عما تولى أن يؤلفه
 المنكرون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى علوا كبيرا أي تعاليا كبيرا إله هو الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
 ولم يكن له كفوا أحد (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
 أنه كان حقيقا عفو را) يقول تعالى قد سد السموات والأرض ومن فيهن الأمن المخلوقات وتزججه وتعظمه وتجده وتكبره عما يقول
 هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته والهيته (٧١) ففي كل شيء آية تعدل على أنه واحد كما قال تعالى

تكاد السموات يقطرن منه وتنشق
 الأرض وتخر الجبال هدا ان دعوا
 الرحمن ولدا وقال أبو القاسم الطبراني
 حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا
 سعيد بن منصور حدثنا مسكين بن
 ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنا
 عروة بن روم عن عبد الرحمن بن
 قوطان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لسلة أسرى به إلى المسجد الأقصى
 فلما رجع كان بين المقام وزم
 جبريل عن عيسى وميكائيل عن يساره
 فطارا به حتى بلغ السموات السبع
 فلما رجع قال سمعت تسبيحا في
 السموات العلى مع تسبيح كثير سجدت
 السموات العلى من ذى المهابة
 مشفقات لذوى العلو بما علا سبحانه
 العلى الأعلى سبحانه وتعالى وقوله وان
 من شيء إلا يسبح بحمده أي وما من
 شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمده الله
 ولكن لا تفقهون تسبيحهم أي
 لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لانها
 بخلاف لغاتكم وهذا عام في
 الحيوانات والجمادات والنباتات
 وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح
 البخاري عن ابن مسعود أنه قال كنا
 نسبح تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي
 حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه

الله أخذ قبضة من التراب فلقها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أتى وقال وفيها نعدكم
 ثم أتى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى (ولقد آتيناك) الرؤية بصرية أي أبصرنا
 فرعون وعرفناه (آياتنا كلها) المراد بها الآيات التسع المذكورة في قوله ولقد آتينا
 موسى تسع آيات على أن الاضائة للعهد وهى العصا واليد والسنين وقصص
 الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وطمس الأموال
 والشدة على القلوب وقال أبو السعود هوى العصا واليد وصيغة الجمع مع كونها اثنتين
 باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الأمور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون انتهى وهذا
 سبى على أن هذا الخبر عما وقع له مع فرعون في أول دعائه له وليس كذلك بل هذا الخبر
 عن جله ما وقع له في مدة دعائه له وهى عشرون سنة وان هذا من جملة الكلام المعترض
 به في أثناء القصة وقيل المراد بجميع الآيات التي جاءهم موسى والتي جاءهم غيره من الانبياء
 وان موسى قد كان عرفه جميع معجزاته ومعجزات سائر الانبياء الأول وأولى وقيل المراد
 بها جميع الله سبحانه الدلالة على توحيد (تسكتب) فرعون بها أي موسى وزعم أنها سحر
 (وأى) عليه أن يجيبه إلى الإيمان وان يوحد الله هذا يدل على أن كفرة فرعون كفر عناد
 لأنه رأى الآيات وكذب بها كافي قوله ويحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا (قال)
 آجئتنا لنخر حنا من أرضنا) مستأنفة من تبت على جواب موسى والهمزة للانكار لما جاء به
 موسى من الآيات أي جئت يا موسى لتوهم الناس بأنك نبي يجب عليهم اتباعك والإيمان
 بما جئت به حتى تتوصل بذلك إلى إيهام الذى هو شعبة من السحر إلى أن تغاب على أرضنا
 يعنى مصر وتخر حنا منها ويكون لك الملك فيها واتخاذك للملعون الأخرى من الأرض
 لتغير قومهم عن إجابة موسى فانه إذا وقع في أذهانهم وتقرر في أفهامهم أن عاقبة أجابتهم
 لموسى الخروج من ديارهم وأوطانهم كانوا غير قائلين لكلامه ولا ناظرين في معجزاته ولا
 ملتفتين إلى ما يدعو اليه من الخير (يسحر ليا موسى) فيه دليل على أنه خاف منه خوفا
 شديدا والافأى ساحر يقدر أن يخرج ملكا من أرضه (فلما نيتك بسحر مثله) أي والله
 لنعارضك بمثله ما جئت به من السحر في الغرابة حتى يتبين للناس أن الذى جئت به سحر
 يقدر على مثله الساحر (فاجعل بيننا وبينك موعدا) هو مصدراى وعدا وقيل اسم مكان
 أي اجعل لياو ما معلوما أو مكانا معلوما أو أجلا وميعقا قال الجوهري الميعاد المواعدة

وسلم أخذ في يده حصيات فسمع لهم تسبيح نحين العز وكذا في أبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وهو حديث مشهور في المسانيد
 وقال الامام احمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم أركبوا هاسا لدعوها هاسا ولا تتخذوها كراسى
 لا حد بشكم في الطرق والأسواق فرب ما ركبوها بغير من راكبا وأكثر ذلك منه وفي سنن الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال نهى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال نقيقتها تسبيح وقال قتادة عن عبد الله بن باني عن عبد الله بن عمرو أن الرجل إذا
 قال لا إله الا الله فهى كلمة الاخلاص التي لا يقبل الله من أحد علاج حتى يقولها وإذا قال الحمد لله فهى كلمة الشكر التي لم يشكر الله

عبد قنط حتى يقول يا ارحم الراحمين فقال الله اكبر فيسمى تلامذته الساجدين والارض واذا قال سبحان الله فيسمى ملائكة الطلائع التي لم يدع الله
أحد من خلقه الا اقره بالهدى والتسبيح واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال ألم عبدى واستسلم وقال الامام أحمد حدثنا ابن وهب
حدثنا جرير عن ابن أبي عمير عن زهير بن محمد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أتى النبي صلى الله عليه
وسلم أعرابي عليه جبة من طيالة مكفوفة يلباغ أو خمر رزق يلباغ فقال ان حاجتكم هذا يريد ان يرفع كل راع من راعه ويضع كل
رأس من رأس فقام اليه النبي صلى الله عليه وسلم غضبا فأخذ يجمع جبهته فأجذبه فقال لا أرى عليك ثياب من لا يعقل

والوقت والموضع وكذلك الموعد قال القشيري وأبو الرقاء والتظهير انه مصدر وليس ذاك
(لا تخلفه) أي لا تخلف ذلك الموعد ولا تجاوز ذوقه في الرفع على انه صفة للموعد أي لا تخلف
ذلك الموعد وقرئ بالجزم على انه جواب الامر والاختلاف ان تعدشاً ولا تتجزه (نحن)
نؤكد معجم اللطيف على الضمير المرفوع المستتر في تخلفه (ولأنت) فوض تعيين
الموعد الى موسى اظهاراً لكمال اقتداره على الاتيان بعمل ما أتى به موسى (مكاناً)
منسوب باجعل عني انه مفعول فيه وأطال الكلام على نصبه السين (سوى) يضم السين
وبكسر هاءه قراءتان سبعيتان وكسر السين هي اللغة العالية القصيدة والمراد مكاناً
مستوياً وقيل مكاناً مضافاً لا يتناو مثل قال سيبويه يقال سوى وسوى أي عدل
يعني عدلين المكائين قال أبو عبيدة والفتحي معناه مكاناً وسطي بين القريتين لأن
المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية وقيل معناه سوى هذا المكان وفيه بعد ثم واعد
موسى لوقت معلوم (قال موعدهم) أي زمان الوعد (يوم الزينة) أو وعدكم وعد يوم
الزينة وقرئ يوم بالنصب أي في يوم الزينة انجازاً وعدنا قال مجاهد وقتادة ومقاتل
والسدي كان ذلك يوم عيديتين نون فيه وقال سعيد بن جبيرة كان ذلك يوم عاشوراء وبه
قال ابن عباس وعن ابن عمر نحوه وقال الضحاك يوم السبت وقيل يوم النحر وزوقيل يوم
كسر الخلق وانما جعل الميعاد زماناً بعد ان طلب منه فرعون أن يكون مكاناً سوى لأن
يوم الزينة يدل على مكان مشهور يجتمع فيه الناس ذلك اليوم واما شخص عليه السلام
ذلك اليوم لكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهور على رؤس الاشهاد
ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباء ولما ان ذلك اليوم وقت ظهور غايه شوكتهم ولاظهار
كمال قوته وكونه على ثقة من أمره وعدم مبالاه بهم (وان يحشر الناس ضحى) يعني
وقت ضحى ذلك اليوم الذي هو عيار من ارتفاع الشمس والمراد بالناس أهل مصر
والعني يحشرون الى العبد وقت الضحى نهراوي ينظرون في أمر موسى وفرعون حينئذ
ليكون أبعد من الزينة وأبين لكشف الحق وليشيع في جميع أهل البر والمدن قال الفراء
اذا رأيت الناس يحشرون من كل ناحية ضحى فذلك الموعد قال وجرت عادتهم يحشر
الناس في ذلك اليوم وقرئ يحشر على البناء للمفعول والفاعل أي وان يحشر الله الناس
وقرئ بالنون وبالفوقية أي وان تحشروا أنت يا فرعون والضحى قال الجوهري ضحوة النهار

(۱) قوله الزبدي هكذا في النسخ وحرر اهـ

في قوله وان من ثي الاسبغ بحسبه قال كل شيء فيه الروح وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حماد عن ابي بن واويه وزيد بن حجاب
قالا حدثنا جابر بن ابي الخطاب قال كان جابر بن زيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقبضوا الخوان فقال زيد الرقاشي يا ابا سعيد يسبح
هذا الخوان فقال كان يسبح مرة قلت الخوان هو الماء من الخشب فكان الحسن رحمه الله ذهب الى انه لما كان حيا فيه خضرة
كان يسبح فلما قطع وضار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد استأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر بقبرين فقال انهما علي بن ابي طالب وما يعذبان في كبيرهما أحدهما فكان (٧٢)

بالنممة ثم أخذ خذرجة بدهر طمعة فتسحقها
نصفين ثم غرزي كل قبر واحدة ثم
قال لعله يخفف عنهما ما لم يبسا
آخر جاء في الصحيحين قال بعض من
تكلم على هذا الحديث من العلماء
انما قال ما لم يبسا لانهم ما يبسا
مادام فيها خضرة فاذا يبسا انقطع
تسبيحها والله أعلم وقوله انه كان
حليما غفورا أي انه لا يعاجل من
عصاه بالعقوبة بل يؤجله وينظره
فان استمر على كفره وعصائه أخذته
أخذ عزيز مقتدر كما جاء في
الصحيحين ان الله ليلي الظالم حتى
اذا أخذته لم يقلته ثم قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ
ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة
الآية وقال وكأين من قرية أهلكناه
لهي ظالمة الآية وقال وكأين
من قرية أهلكناها وهي ظالمة الآية
ومن أفلح عما هو فيه من كفر أو
عصيان ورجع الى الله وناب اليه
تاب عليه كما قال تعالى ومن يعمل
سوا أو ينظر نفسه ثم يستغفر الله
الآية وقال ههنا انه كان حليما
غفورا كما قال في آخر فاطر ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا
ولئن زالتا ان أمسكهما من أخذ
من بعده انه كان حليما غفورا الى

بعد طلوع الشمس ثم بعد الضحى وهو حين تشرق الشمس وخص الضحى لانه أول
النهار فاذا اعتد الاثر بينهما كان في النهار تسع (تقوى فرعون) أي انصرف من ذلك
المقام والمجلس لبي ما يحتاج اليه مما اعد عليه وقيل معنى لولي اعرض عن الحق
والاول أولى (فجع كبده) أي جع ما يكيد به من سحره وحيلته والمراد انه جمع السحرة
فقبل كانوا اثنين من القبط وسبعين من بني اسرائيل وقيل اربعمائة وقيل اثني عشر ألفا
وقيل اربعة عشر ألفا وقال ابن المنذر كانوا ثمانين ألفا وقيل غير ذلك مع كل واحد جبل
وعصا (ثم أتى) فرعون الموعد الذي واعد اليه مع جمعه الذي جعد وأتى موسى أيضا
(قال لهم موسى) مستأنفة جواب سؤال مقدر (وليكمل لانتقوا وعلو الله كذا) دعا
عليهم بالويل ونههم عن افتراء الكذب باشر الكاذب بانه اذا دعا كونه مظهر على يدي
سحرا قال الزجاج التقدير انهم الله وبلا وهو بداء كقوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدا
(فيسحركم بعذاب) عظيم المحت الاستئصال يقال محت وأسحت بعني وأصله
استقصاء الشعر قرى من السحت وهي لغة نجد وبني تميم وقرى من محت وهي لغة الحجاز
قال ابن عباس يسحركم يهلككم وقال قتادة يستأصلكم وقال أبو صالح فيذبكم
(وقد خاب من افترى) أي قد خسر وهلك من كذب على الله أي كذب كان (فتنازعا)
أي السحرة (أمرهم بينهم) لما سمعوا كلام موسى تناظر وانشاوروا في أمر موسى
وأخيه وتجادوا أطراف الكلام في ذلك أي هل هما ساحران أو رسولان (وأسروا
النحوى) أي من موسى وكانت نجاها هي قولهم الآتي ان هذان لساحران وقيل
انهم تناجوا فيما بينهم فقالوا ان كان ما جاء به موسى سحرا فاستغلبه وان كان من عند الله
فسيكون له أمر وقيل الذي أسروه أنه اذا غلبهم اتبعوه فله القراء والراجح وقيل الذي
أسروه انهم لما سمعوا قول موسى وليكم لا تقفوا على الله كذبا قالوا ما هذا يقول ساحر
والنحوي المناجاة يكون اسماء ومصدرا (قالوا) لانفسهم أي قال بعضهم لبعض سرا
وحاصل ما قالوه مستجمل أو لولا قولهم (ان هذان لساحران) وآخر ما قالوه لهم وقد أفلح
اليوم من استعلى وقرئ ان هذين وروى هذا عن عثمان وعائشة وغيرهما من الصحابة
وهما أقرأ الحسن والنخعي وغيرهما من التابعين وهذه موافقة للاعراب الظاهر مخالفة
لرسم المحقق فانه مكتوب بالالف وقرئ ان هذان بخفيف ان على انها نافية وهذه

(١٠ - فتح البيان سادس) أن قال ولو يؤاخذ الله الى آخر السورة واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على آذانهم
تفورا يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم واذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا بينك وبينهم حجابا مستورا قال
قتادة وان زيد دعوا الا كنه على قلوبهم كما قال تعالى وقالوا قلوا سنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقروا من بيننا وبينك حجاب
أي مانع حائل ان يصل اليها يقول شيء وقوله حجابا مستورا أي عسى ساتر يكون وشوم بمعنى يامن وشام لانه من عنهم وشومهم
وقبل مستورا عن الابصار فلا تراهم وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى وما الى ترجيح ابن جرير رحمه الله وقال الحافظ أبو يعلى

الموصلى حديثنا أبو موسى الهروي السجقي بن ابراهيم حديثنا شمسبان عن الوليد بن كثير عن يزيد بن ندرس عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت لما نزلت ببيت يداي لأهب جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فوهي تقول مدعما أتينا وأتينا قال أبو موسى السلمى ودينه قليسا وأمره عصينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وأبو بكر إلى جنبه فقال أبو بكر لقد أقبلت هذه فانا أخاف ان ترأف فقال انه ان ترى وقرأ قرأنا عاصم وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة سجائباً وتورا قال فجاءت حتى قامت على (٧٤) أتى بكر فلم تر النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا أبا بكر بلغني ان صاحبك هوىاني

فقال أبو بكر لا ورب صاحب هذا البيت ما جعله قال فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش اني بنت سيدها وقوله وجعلنا على قلوبهم أكنة وهي جمع كان الذي يغشى القلب ان يفقهه أى لئلا يفهم القرآن وفي آذانهم وقرا وهو النقل الذي ينعهم من سماع القرآن سماعا ينفهم ويهتدون به وقوله تعالى وإذا ذكركم في القرآن وحده أى إذا وحده الله في تلاوته وقلت لا اله الا الله ولوا أي أدبروا راجعين على أدبارهم نفورا ونفورا جمع نافر كقعود جمع قاعد ويجوز أن يكون مصدر من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى وإذا ذكر الله وحده استأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة الآية قال قتادة وإذا ذكركم في القرآن الآية ان المسلمين لما قالوا لا اله الا الله أنكروا ذلك المشركون وكبرت عليهم فضاها ابليس وجنوده فاني الله الا أن يضسها وبعليها ونضرها ويظهرها على من ناواها انها كلمة من خاصم بها فلح ومن قاتل بها نصر انما يعرفها أهل هذه الجزيرة من

موافقة للرسم والاعراب وقرأ أهل المدينة والكوفة ان هذان يشهدان وبالألف فوقا قولوا الرسم وخالفوا الاعراب الظاهر وقد تكلم جماعة من أهل العلم في توجيه هذه القراءة وقد استوفى ذلك ابن التماري والحاس فقيل انه لغة بني الحارث بن كعب ومراد وختم وكثانة يجعلون رفع المني ونصبه وجوه بالألف أي في أحواله الثلاث وبه صرح سيبويه والاختش وأبو زيدوا الكسائي والقراء وقيل ان به معنى نعم ههنا قاله عاصم قال الحاس رأيت الزجاج والاختش يذهبان اليه وقال الزجاج المعنى ان هذان لهما ساحران وأنكره أبو علي الفارسي وأبو الفتح وابن جني وقيل ان الالف في هذا مشبهة بالالف في يعلان فلم تغيره وقيل انه هذان لساحران وبه قال قدماء النحاة وقال ابن كيسان انه لما كان يقال هذا بالالف في الرفع والنصب والجر على حال واحدة وكانت التثنية لاتغير الواحد أجريت مجرى الواحد فثبتت الالف في الرفع والنصب والجر وقيل تقديره ما هذان الاساحران فلهذا أقوال تتضمن توجيه هذه القراءة توجه نصحه وتخرج به عن الخطا وذلك يدفع ما روى عن عثمان وعائشة انه غلط من الكتاب للمصحف وحاصل القرات السبعة التي في هذا التركيب أربعة واحدة لا يجر وهي التي بالياء والباءية الف بعدها نون مشددة ومخففة من أن والاخر بان تحذف النون التي في هذان مع تشديد النون من أن وتخفيفها وثابت كل من الباء والالف في النطق وان كان قراءة سبعة صححة متواترة لكنه مشكل من حيث مخالفتها لخط المصحف الامام فانه ليس في بياء ولا ألف فان رسمه كما في السمين هذان من غير ألف ولا ياء ثم قال وكم جاء في الرسم أشياء خارجة عن القياس وقد نصوا على انه لا يجوز القراءة بها فليكن هذا الموضع مما خرج عن القياس (يريد ان يخرجكم من أرضكم) وهي أرض مصر (بمصرهما) الذي أظهره (ويذهبا بطريقكم المثلى) قال الكسائي أي بسنتكم والمثلى نعت كقولك امرأه كبرى تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم قال القراء العرب تقول هؤلاء طريقة قومهم وطريق قومهم أي أفضلهم وهم في القاموس والمثلى ثابته الامثل وهو الفضل يقال فلان أمثل قومهم أي أفضلهم وهم الامائل وانما أنت باعتبار التعبير بالطريقة لا باعتبار المعنى كان يقال أمائل والمعنى انهما ان يغلبا بمصرهما مال اليهما السادة والاشراف منكم أي يذهبا بدمكم الذي هو

المسلم التي يقطعها الركب في ليل فلائل ويسر الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يقرون بها قول آخر امثل في الآية زوى ابن جرير حديث الحسين بن محمد الزارع حديثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلي حديثنا عمرو بن مالك عن ابن الجوزي عن ابن عباس في قوله وإذا ذكركم في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا وهم الشياطين وهذا غريب جدا في تفسيرها والافالشياطين اذا قرئ القرآن أو نودي بالاذان أو ذكر الله انصرفوا (فمن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم يحكي اذ يقول الظالمون ان تبصرون الارجال مسجورا النظر كيف خبر بوال الامثال فضلا فلا يستطيعون سبيلا) يخبر تعالى نبيه محمدا

صلى الله عليه وسلم بما تتاج به رؤساء كفار قریش حين جاؤا .

ن قومهم بما قالوا

من اندرجل مسجود من السحر على المشهور وأمن السحر وهو الرنة أى .
فان تسألينا فيما نحن فالتسا * عصم فر من هذا الانام السحر * وقال الراجز * يسحر بالطعام وبالشراب * أى بغدى
وقد صوبه ابن جرير وفيه نظر لانهم أرادوا هتانه مسجورة رضى بآتيه بما استمعوه من الكلام الذى سألوه ومنهم من قال شاعر
ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا (٧٥) قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال

أشمل المذاهب قال ابن عباس يقول أشملكم وهم بنو اسرائيل وقال على أى يصرف
وجود الناس اليها (فاجعوا كيدكم) الفاء فصيحة أى اذا كان الامر كاذ كرم كوتوما
ساحرين فاجعوا والابجاع الاحكام والعزم على الشئ قاله انقرا تقول أجمعت على
الخروج مشىل ازمعت وقال الزاجج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيدهم على ما عالجهم بحيث
لا يتخلف عنه واحد منكم (ثم اتوا صفاء) أى مصطفين معين ليكون انظما لامرهم
وأشد لهيبتهم وادخل فى استحلاب الخشية وهذا قول جمهور المفسرين وقال أبو عبيدة
الصف الجمع ويسمى المصلى الصف قال الزاجج وعلى هذا معناه ثم اتوا الموضوع الذى
تجتمعون فيه لم يسدكم وصلاتكم يقال آتيت الصف بمعنى آتيت المصلى فعلى التفسير
الاول نصب صفاء على الحال وعلى الثانى على المقولية قال الزاجج يجوز ان يكون المعنى ثم
اتوا والناس مصطفون فيكون مصدر فى موضع الحال ولذلك لم يجمع (وقد أفلح اليوم من
استعلى) أى فاز من غلب يقال استعلى عليه اذا غلبه وهذا كد من قول السحرة بعضهم
لبعض وقيل من قول فرعون لهم وهذه جله معترضة (قالوا يا موسى) اختر أحد الامرين
كذا قدره الزخشرى وهذا تفسير معنى (اما أن تلقى) ما تلقىه أو التقدير الامر اما
القاؤك أول أو القاؤنا كذا قدره الزخشرى أو القاؤك أول ويدل عليه قوله (واما أن
تسكن) نحن (أول من ألقى) ما يلقىه واختاره المحلى أو أول من يفعل القاؤا والمراد القا
العصا على الارض وكانت السحرة معهم عصى وكان موسى قد ألقى عصاه يوم دخل على
فرعون فلما أراد السحرة معارضته قالوا له هذا القول وهذا منهم استعمال أدب حسن
معه وكأنه تعالى ألههم ذلك وقد وصلت اليهم برحمته وعلم موسى اختيار القاؤهم أو لا حتى
(قال لهم) بل القاؤا أنهم أولا وانما امرهم بذلك لتكون معجزته أظهر اذ القاؤا معهم
فصبرا نيرة لناظرين وعبرة بينة للمعتبرين ثم يلحق هو عصاه فتبلغ ذلك ويظهر سلطانه
وقيل انما أتت عليه السلام لهم القول بمقابله للادب باحسن من أدبهم واظهار العدم
المبالاة بسحرهم فالقوا (فاذا احبالهم) الفاء فصيحة يقال اذا هدهى الفاجئة والتحقيق
انما اذا الكاسية بمعنى الوقت الطالمة ناصبا لها وقد يكون ناصبا فعلا مخصوصا وهو فعل
المفاجأة (وعصيمهم) بكسر العين اقباع الكسرة الصادوقرى بعضهم اوى لغة بنى عيم
(تحيل اليه من سحرهم) بالتحية على البناء للمفعول وقرئ تحيل بالقوية لأن العصى

تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيا بن حرب فى بيته فقال أخبرني يا أباسفيا هل رأيت فيما
سمعت من محمد قال يا أباسفيا والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما رايها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما رايها قال
الاخنس وانا الذى خلقت به قال ثم خرج من عنده حتى أتى أباجهل فدخل عليه بيته فقال يا ابا الحكم ما رايك فيما سمعت من محمد
قال ماذا سمعت قال تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فأحملنا وأعطوا فأعطينا حتى ألتجأنا على
الركب وكنا كقري رهان قالوا انما نبى بآتيه الوحى من السماء فى تدرك هذه والله لا تؤمن به أبدا ولا نصدقك قال فقام عنه الاخنس
وتركة (وقالوا انذا) كاعظاما وورثانا أتالبعوثون خلقا جديدا قل كونا حجارة أو حديد أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من

يعبدنا قل الذي فطركم أول مرة فيسبغون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا يوم يدعوكم فمنهم من يستعجل
بصددهم فظنوا أن لنعم الاقبالا يقول تعالى نخبر عن الكفار المستعجلين وقوع المعاد القائلين استعجلهم انكار منهم للآيات انما
كأنظما وورثا انما آراءه لا يجاهد وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس غبار السما المبعوثون خلقا جديدا أي يوم القيامة بعد
ما يلينا وصرا عدا لانك كذا أخبر عنهم في الموضع الآخر يقولون انما لردود في الآخرة انما كاعظاما مخرجة فالواتك اذا كره
خسرة وقوله تعالى وضرب لنا مثلا ونسي خلقه (٧٦) الايتين فامر الله سبحانه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحجهم

والجبال مؤتة وقرئ تخيل بالذوق على ان الله سبحانه هو الخيل لذلك وقرئ بالتخية مينا
للتفاعل على ان الخيل هو الكيد وقيل الخيل هو (انها تسمى) أي تخيل اليه سعيهم اذ كر
معناه الزجاج وقال ابن قرأ بالذوق جعل ان في موضع نصب أي تخيل اليه بذات سعي
يقال خيل اليه اذا شبهه وادخل عليه التهمة والشبهة وذلك انهم لم يظنوا طولها بالزئبق
قلما أصابها حر الشمس اترعت واهتزت واضطربت خيل اليه انها تتحرك (فأوجس)
أي أحس وقيل وجد وقيل أضمر وقيل خاف (في نفسه خيفة ومي) وذلك لما يعرض
من الطباع للبشرية عند مشاهدة ما يخشى منه وقيل خاف ان يفتن الناس قبل أن يلقى
عهاد ولعله كان مأمورا بان لا يفعل شيئا لا يوجب قلما تأخر نزول الوحي في ذلك الحفل
بقي في الخيل قاله ابن عادل وقيل ان سبب خوفه هو ان حصرهم كان من جنس ما أراه في
العدا خاف أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا فاذهب الله سبحانه ما حصل معهم
الخوف بما بشرهم بقوله (قلما لا تحق انك أنت الاعلى) أي المستعلى عليهم بالظفر والغلبة
والجلاء لتعليل للناس عن الخوف وفيه إشارة الى أن لهم علوا وغلبة بالنسبة الى سائر
الناس ولذلك أوجس منهم خيفة فرد ذلك بانواع من المبالغة أحد خاد كركبة استوكيد
وهي ان وثانها تكرير الضمير وثالثها لام التعريف ورابعها اللفظ العلوي هو الغلبة
الظاهرة وهذا يكتفي فيه ظن العلوي في أمرهم لأن الاعلى مجرد الزيادة لانه لم يكن للحرية
علو حتى يكون هو أعلى منهم كما قيل قاله الكرخي (وألقى ساق يمينه) يعني العصا وانما
أبهمها لفظها وتفيها أي لا تختلف بهذا الاجرام فان في يمينه شيئا أعظم منها كلها وهذه
على كثرتها أقل شيء عندها فالقها ولا تبال بكثرة جبالهم وعصيم وجاز أن يكون الاجرام
للتصغير أي وألقى العويد الفريد الصغير الجرم الذي يدل فانه بقدرته الله تعالى (تلقف)
على وحسنه وكثرتها وصغره وعظمتها قرئ تلقف بسكون اللام من لقفه اذا ابتلعه
بسرعة وقرئ بالرفع على تقدير فانها تلقف وقال الزجاج القرأ بالجرم جواب الامر
ويجوز الرفع على معنى الخيال كانه قال القها لتلقف (ما صعدوا) من الجبال والعصى
(انما صعدوا كيد سحر) أي جنسه أي ان الذي صنعوه كيد سحر أو ان صنعهم كيد
ساحر وقرئ بحروا ضادة الكيد الى البحر على الاتساع من غير تقدير أو بتقدير ذي حصر
وقيل غير ذلك (ولا يفتح) ولا يسعد (الساحر) أي جنس الساحر (حيث أتى) أي

فقال قل كونوا حجارة أو حديد
وعبما أشد امتناعا من العظام
والرفات وأخلفا كما يكفر صدوركم
قال ابن اسحق عن ابن أبي نجيح عن
مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك
فقال هو الموت وروى عطية عن ابن
عمر انه قال في تفسير هذه الآية
لو كنتم موتى لأحييتكم وكذا قال
سعيد بن جبير وأبو صالح والحسن
وقتادة والصحاح وغيرهم ومعنى
ذلك انكم لو فرضتم انكم لو صرتم
موتى الذي هو ضد الحياة لحياكم
الله اذا شاء فانه لا يستعجل عليه شيء
اذا أراده وقد ذكر ابن جرير ههنا
يجاب بالموت يوم القيامة كانه كبش
أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم
يقال يا أهل الجنة اتعرفون هذا
فيقولون نعم ثم يقال يا أهل النار
اتعرفون هذا فيقولون نعم فيذبح
بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة
خالدو بلاموت ويا أهل النار خالدو
بلاموت وقال مجاهد وأخلفا كما يكفر
في صدوركم بمعنى السما والارض
والجبال وفي رواية ما شئتم تكونوا
فسيعدكم الله بعد موتكم وقد وقع
في التفسير المروى عن الامام مالك
عن الزهري في قوله وأخلفا كما يكفر

في صدوركم قال النبي صلى الله عليه وسلم قال مالك ويقولون هو الموت وقوله
تعالى فسيقولون من بعدنا قل الذي فطركم أول مرة أي من بعدنا اذا كذا حجارة أو حديد أو خلفا آخر شديدا قل الذي
فطركم أول مرة أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئا منكم كورا ثم صرتم بشرا فتتسرون فانه قادر على اعادكم ولو صرتم الى
أي حال وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه الآية وقوله تعالى فيسبغون اليك رؤسهم قال ابن عباس
وقتادة يحركونها استهزاء وهذا الذي قاله هو الذي يعرفه العرب بلغتها لان الانقاس هو التحرك من أسفل الى أعلى أو من أعلى
الى أسفل ومنه قيل للظلم وهو ولد النعمة تغضالا لانه اذا مشى على بعشيتة وحرك رأسه ويقال تغضت سسنة اذا تحركت وأرذعت

من منبتها وقال الراجز * وفغضت من هرم اسنانها * وقوله ويقولون متى هو اخبار عنهم بالاستبصار منهم لوقوع ذلك كما قال تعالى ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقال تعالى يستجمل بها الذين لا يؤمنون بها وقوله قل عسى ان يكون قريبا اى احذر واذك فانه قريب اليكم سيايتكم لاجل حاله فكل ما هو آت آت وقوله تعالى يوم يدعوكم اى الرب تبارك وتعالى اذ دعاكم دعوة من الارض اذ انتم تحرجون اى اذا امركم بالخروج منها فانه لا يخالف ولا يمتنع بل كما قال تعالى وما امرنا الا واحدة كلح بالبصر انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون (٧٧)

انما هو امر واحد بانهم اذ قال الناس قد خرجوا من باطن الارض الى ظاهرها كما قال يوم يدعوكم فتستحيون بحجده اى تقولون لكم كما اجابته لامرهم وطاعة لارادته قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس فتستحيون بحجده اى بامره وكذا قال ابن جرير وقال قتادة بمعرفته وطاعته وقال بعضهم يوم يدعوكم فتستحيون بحجده اى وله الحديث كل حال وقد جاء في الحديث ليس على اهل لاله الا الله وحشة في قبورهم كاتى باهل لاله الا الله يقومون من قبورهم ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون لاله الا الله وفي رواية يقولون الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن وسيأتى في سورة فاطر وقوله تعالى وتظنون اى يوم تقومون من قبوركم ان لستم اى فى الدار الدنيا الا قليلا وكقوله تعالى كائنهم يوم رزقهم بل بشوا الاعشية ارضهاها وقال تعالى يوم ينفع فى الصور ونحشر الجحيم يومئذ رفا يخافتون بينهم ان لستم الا عشار نحن اعلم بما تقولون اذ يقول آمنهم طريفة ان لستم الا وما قال تعالى يوم تقوم الساعة

كان واير وجهه وقبل وهذا من تمام التعليل (فالتى السحرة) اى فالتى ذلك الامر الذى شاهدوه من موسى والعصى اياهم (سجدا) لله تعالى وذلك لانهم كانوا فى أعلى طبقات السحر فابار وما فعله موسى خارجا عن صناعتهم عرفوا انه ليس من السحر البتة وقد مر تحقيق هذا فى سورة الاعراف قال صاحب الكشاف سبحان الله ما أعجب أمرهم قد اتقوا جبالهم وعصيمهم لا يكفروا بخود ثم اتقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الاقلام وقيل انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار والثواب والعقاب (قالوا) انما رب هرون وموسى انما قدم هرون على موسى هنا فى حكاية كلامهم واخر فى الشعر اعترافه بقواصل الآتى وعناية بتوافيق رؤسهم والان والوا ولا توجب ترتيبا قال عكرمة بن سحرة فرعون كانوا تسع مائة فقتلوا الفرعون ان يكن هذان ساحر ين فانا نعلم ما فانه لا سحر منا وان كان من رب العالمين فانه لا طاقة لنا برب العالمين فلما كان من أمرهم ان خروا وسجدوا اراهم الله فى سجدتهم منازلهم التى يصرون اليها فى الجنة فعند هذا قالوا هذا القول وقالوا ايضا ان نؤثر على ما جاءنا من بينات الى قوله والله خير وأبقى (قال) فرعون (آمنت له) يقال آمن له وبه فى الاول قوله فآمن له لوط ومن الثانى قوله فى الاعراف آمنت به فبطل ان الفعل هنا متضمن معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخ اى كيف آمنت به قبل ان آذن لكهم اى من غير اذن منى لكم بذلك (انه) اى ان موسى (لكبيركم) اى اسحرركم واعلامكم درجة فى صناعة السحر فلا عبرة بما أظهرته او علمكم واستاذكم كيدل عليه قوله (الذى علمكم السحر) يعنى انكم تلامذته فى السحر فاصطلمتم ووطأتم معه على ان تظهروا العجز عن انفسكم وتروى بحال امره وتفتخ حاله قال الكسائى الصبي باجما اذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند كبيرى وقال محمد بن اسحق انه لعظيم السحر قال الواحدى الكبير فى اللغة الرئيس ولهذا يقال للمعلم الكبير اى اذ فرعون به هذا القول ان يدخل الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا والا فذق علم انهم لم يعلموا من موسى ولا كان رئيسا لهم ولا ينفه وينهم مواصلة (ولا قطعن ايديكم وأرجلكم) اى والله لا فعان بكم ذلك والتقطيع للأيدي والارجل (من خلاف) هو قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين يخالف الاخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا عين وذاك شمال اى لا قطعنها تحتللت ومن لا ببدء الغاية كأن

يقسم الجحيمون بالشوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال تعالى قال لكم لستم فى الارض عدد سنين قالوا البنا يوما أو بعض يوم فاسئلوا الذين قالوا ان لستم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا) يا م تبارك وتعالى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ان يا م عباد الله المؤمنين ان يقولوا فى مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الاحسن والكلمة الطيبة فانهم لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم واخرج الكلام الى الذغال ووقع الشر واخذه وحقه والمقاتلة فانه عدو لا دم وذريته عدو ظاهرة بينة ولهذا نهى ان يشير الرجل الى أخيه السلم بحديدة فان الشيطان

ينزع في يده أفرى بما أصابه بها وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشترن أحدكم إلى أخيه بالسلاح فإنه لا يدرى أحدكم لعل الشيطان أن ينزع في يده فيقع في حفرة من النار أخرجه من حديث عبد الرزاق وقال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن أبي نعيم عن يزيد بن الحسن قال حدثني رجل من بني سبط قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في رفته من الناس فسمعتهم يقول المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله والتقوى ههنا قال حماد وقال بيده إلى صدره (٧٨) وما وادرجلان في الله ففرق بينهما الاحدث بمحدثه احدهما

والحدث شر والحدث شر والحدث شر (ربكم أعلم بكم ان يشأ ربكم) أوان يشأ بعد بكم وما أرسلناك عليهم وكيلا ولا يعلم عن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض واتينا داود (زورا) يقول تعالى ربكم أعلم بكم أما الناس أي أعلم بن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ان يشأ ربكم بان يوفقكم لطاعته والالابة اليه أو ان يشأ بعد بكم وما أرسلناك عليهم وكيلا أي انما أرسلناك نذيرا فغن أطاعتك دخل الجنة ومن عصاك دخل النار وقوله ربك أعلم بن في السموات والارض أي عبراتهم في الطاعة والمعصية ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وكما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كام الله ورفع بعضهم درجات وهذا الإنافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقصصوا بين الانبياء فان المراد من ذلك هو التفصيل بمجرد التشبه والعصية لا يقتضي الدليل فاذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ولا خلاف أن الرسل افضل من بقية

القطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو (ولا صلصكم في جذوع النخل) أي على جذوعها كقوله أم لهم سار يستعون فيه أي عليه وانما ترك كلفه للدلالة على استقرارهم عليها كاستقرار المظروف في الظرف وهذا هو المشهور وخص النخل لطول جذوعها وقيل انه فقر جذوع النخل حتى جوفها ووضعهم فيها فاقوا أجوعا وعطشا وهذا على الحقيقة كان الاول على المجاز وهو الاول (ولتعلن أي أشد عذابا وبقي) أراد لتعلن هل أنا أشد عذابا لكم على ايمانكم به أم موسى ومعنى آتينا آدم وهو ير يد بكم لانه هذا الاستنزاء بموسى لان موسى لم يكن من التعذيب في شيء ويمكن أن ير يد العذاب الذي وعدهم به موسى ان لم يؤمنوا وقيل اشارة الى ان ايمانهم لم يكن ناشئا عن مشاهدة المعجزة بل كان من خوفهم من موسى حيث رأوا ما وقع من عصاه (فقالوا) غير كثيرين وعبدواهم (لن نؤثرك أي لن نختارك على ما جانا) به موسى أو جاءنا من عند الله على يده (من الينيات) أي من المعجزات الواضحات من عند الله سبحانه كاليد والعصا وقيل انهم أرادوا لينيات مارأوه في سجودهم من المنازل المعدة لهم في الجنة وانما نسب الحى اليهم وان كانت الينيات جاءت لهم ولغيرهم لانهم كانوا أعرف بالسحر من غيرهم وقد علموا ان ما جاءهم به موسى ليس من السحر فكانوا على جليلة من العلم بالمعجز وغيره وغيرهم كالقلمد وأيضا كانوا هم المستمعين بها (و) لن نختارك على (الذي فطرنا) أي خلقنا والوالوالعطف وانما آخره والكرام الباري تعالى لانه من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى وقيل انها والوالعطف والموصول مقسم به وجوابه محذوف أي وحق الذي أو الله الذي فطرنا لا نؤثرك على الحق وهذا ان الوجهان في تفسير الآية يذكراهما الفراء والزجاج والسمين (فاقص ما أتت فاض) هذا جواب منهم لفرعون لما قال لهم لا قطع أي يد بكم الخ والمعنى فاصنع ما أتت صانع من القتل والصلب واحكم ما أتت كما به قال المفسرون وليس في القرآن ان فرعون فعل بالسحرة ما هو ردهم ولم يثبت في الاخبار أيضا قاله أبو السعود وفي بعض التفاسير انه فعله بهم كما مر (انما تفضي هذه الحياة الدنيا) تعليل لعدم المبالاة بالاستفادة من قولهم لن نؤثرك ومن الامر بالقضاء أي انما تصنع ما تهواه أو تحكم عاتره في هذه الدنيا وما لنا من رغبة فيها ولا رهبة من عذابها والمعنى انما سلطانك علينا ونفوذ أمرك فينا في هذه الحياة الدنيا ولا سبيل لك علينا فيما بعد فاسير تول عن قريب قال الفراء ما يعنى الذي أي ان الذي

الانبياء وان أولى العزم منهم أفضلهم وهم خمسة المذكورون نصافي آيتين من القرآن في سورة الاحزاب تقضيه واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي الشورى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أو حينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ولا خلاف أن محمد صلى الله عليه وسلم أفضلهم ثم بعد ابراهيم ثم موسى على المشهور وقد بسطناه بدلالة في غير هذا الموضع والله الموفق وقوله تعالى واتينا داود وزورا نبينا على فضله وشرفه قال البخاري حدثنا اسحق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يأمر بدوايه فيفسر فكان يقرأ قبل ان تفرغ يعني القرآن (قل ادعوا

الذين زعمتم من دونه فلا يمكن كون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يتبعون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله ادعوا الذين زعمتم من دونه من الاصنام والانداد فارغبوا اليهم فانهم لا يمكن كون كشف الضر عنكم أي بالكلمة ولا تحويلاً أي يأتي بان يحولوه إلى غيركم والمعنى ان الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شيء له الذي له الخلق والامر قال العوفي عن ابن عباس في قوله قل ادعوا الذين زعمتم الآية قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسبح وعزيراهم (٧٩) الذين يدعون يعني الملائكة والمسبح وعزيراهم

وقوله تعالى أولئك الذين يدعون الآية روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن أبي جعفر عن عبد الله في قوله أولئك الذين يدعون يدعون إلى ربهم الوسيلة قال ناس من الجن كانوا يعبدون فاسلموا وفي رواية كان ناس من الانس يعبدون ناسا من الجن فاسلم الجن وقتل هؤلاء بينهم وقال قتادة عن معبد بن عبد الله الرماني عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله أولئك الذين يدعون الآية قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نقر من الجن فاسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بالاسلامهم فنزلت هذه الآية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفا من الملائكة يقال لهم الجن فذكره وقال السدي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله أولئك الذين يدعون يتبعون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب قال عيسى واهم وعزير وقال مغيرة عن ابراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الآية هم عيسى وعزير والشمس والقمر وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة واختار ابن جرير قول

تقضي به هو هذه الحياة الدنيا فضاؤلك وحكمك منحصر في ذلك (انا انما بربنا بالغفرنا شظيانا) التي سلفت من ان الكفر وغيره (و) يغفر لنا (ما) أي الذي (اكرهنا عليه من) عمل (السحر) في معارضة موسى فإني محل نصب على المعنوية وقيل ما أفاقية قال النحاس والاول اولى ويجوز ان تكون في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف أي وما اكرهنا عليه من السحر محطوط وموضوع عنا أولا يؤخذ بانه ربنا قال ابن عباس أخذ فرعون اربعين غلاما من بني اسرائيل فامر ان يعلوا السحر فتعلموا وقال علوهم تعليل لا ينلهم أحد في الارض فهم من الذين آمنوا بموسى وقالوا هذا القول (والله خير) منك ثوبا (وأبني) منك عذابا قال مجاهد بن كعب القرظي خير منك ان أطيع وأبني منك عذابا ان عصى وهذا رد لقوله ولتعلم اننا الخ حيث كان مراده نفسه (انه) أي الشأن (من يأتي به مجرما) هو التلبس بالكفر والمعاصي المئات عليها (فان له جهنم لا يموت فيها فيسترع ولا يحيي) حياة تنفعه قال المبرد لا يموت سبعة مائة بحول يحيي حياة تمتعه فهو يالم كما يالم الخ ويبلغ به حالة الموت في المكروه الا انه لا يبطل فيها عن احسان الاموال والعرب تقول فلان لحي ولا ميت اذا كان غير منتفع بحياته وهذا تحقيق لكون عذابه أي وهذه الآية من جملة ما حكاه الله سبحانه من قول السحرة وقيل خوا بندا كلام وهذا هو الاظهر قاله النسفي اخرج أحد ومسلم وابن أبي حاتم وغيرهم عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب فأتى على هذه الآية فقال أما أولئك الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين ليسوا بأهلها فان النار تبتغيهم ام تتهتم بقوم الشفعا فيشفعون فيؤفيهم ضباير على غير يقال له الحياة والحيوان فينبئون كما ثبت القضاء في جيل السيل (ومن ياتيه) أي ومن يات ربّه (مؤمنًا) أي مصدقاه (قد عمل) الاعمال (الصالحات) أي الطاعات ومات على الايمان وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استمتاع الثواب لان ما ينطبق من الاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا الثواب مطلقا (فأولئك) الاشارة إلى من باعتبار معناه (لهم الدرجات العلى) أي المنازل الرفيعة التي قصرت دونها الصفات والعلى جمع عليا مؤنث أعلى (جنات عدن تجري من تحتها الانهار) بيان للدرجات وغدت علم للاقامة كما سبق (خالدين فيها) أي ما كثر دائمين فيه مراعاة معنى من (وذلك) أي ما تقدم لهم من الاجر (جزا من تركي)

ابن مسعود لقوله يتبعون إلى ربهم الوسيلة وهذا لا يعبر به عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة وقال الوسيلة هي القرية كما قال قتادة ولهذا قال أيهم أقرب وقوله تعالى ويرجون رحمته ويخافون عذابه لانهم العباداة الانا خوف والرجاء قبا خوف شكك عن المناهي والرجاء بكثر من الطاعات وقوله تعالى ان عذاب ربك كان محذورا أي يتبع ان يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عذاب الله منه (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مبسوطا) هذا الخبر من الله عز وجل بانه قد حكم وقضى بما قد كتب عنده في الارواح المحفوظ انه ما من قرية الا سهلكها

بان يبدأ عليها جيعهم أو يعذبهم عذاباً شديداً ما يقتل أو أوتلا عذاباً أو لما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن
 إلام الماضين وما ظنناهم ولكن ظنوا أنهم قالوا تعالى فذاقت وبال أمرها وكان عاقبته أمرها خسراً وقالوا كما ين من قرية
 عتت عن أمر ربهم ورسله الآيات) وما سمعنا أن رسولاً يأتى إلا أن كذبهم الأولون وافتنوا بمصره فظلموا بها وما نرسل
 بالآيات (التحقيق) قال سديد بن جابر بن زيد عن أيوب بن سعيد بن جابر قال قال المشركون يا محمد انك تزعم انه كان قبلك أنبياء
 فمنهم من خفرت له الريح ومنهم من كان (٨٠) يحيى الموتى فأنسرك أن تؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا

اصفادها فأوحى الله إليه اني قد
 سمعت الذي قالوا فان شئت ان تنزل
 الذي قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب
 فانه ليس بعد نزول الآية تناظرة
 وان شئت ان تستأني بقومك
 استأنيت بهم قال ارب استأني بهم
 وكذا قال قتادة وابن جرير وغيرهما
 وروى الامام أحمد حدثنا عثمان
 ابن محمد حدثنا جابر بن عبد الله
 عن جعفر بن ابى اسحق عن سعد بن
 جبير عن ابن عباس قال سأل أهل
 مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان
 يجعل لهم الصناديق وان يضى
 الحبال عنهم فزعموا فقل له ان
 شئت ان تستأني بهم وان شئت ان
 يأتهم الذى سألوا فان كفر واحد
 كما هلك من كان قبلهم من الامم
 قل لا بل استأني بهم وأمر الله
 تعالى وما سمعنا ان نزل بالآيات
 الا ان كذبهم الأولون الآية ورواه
 النسائي وابن جرير قال حدثنا
 أحمد حدثنا عبد الرحمن بن حنبل
 سنان عن سلمة بن كهيل عن عمران
 ابن حكيم عن ابن عباس قال
 قالت قريش للنبي صلى الله عليه
 وسلم ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا

أى من تطهر من الكفر والذنوب والمعاصي الموجبة للنار أخرج ابوداود وابن مردويه عن
 أى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أهل الذرذات العلى لراهم من
 تحتهم كآزون الكوكب الدرى فى أفق السماء وان أبأكروهم منهم وأنعموا وفى الصحيحين
 بلفظ ان أهل عيسى ليرون من فوقهم كآزون الكوكب الغابر فى أفق السماء (والقد
 أوحى الى موسى) هذا شعر وعى النجاة بنى اسرائيل وادخلك عدوهم وقد تقدم فى البقرة
 والاعراف وفى يونس واللام فى القدرى الموطئة للاسم وفى ذلك من التأكيدهما لا يفتنى (أن
 أسرى عبادى) أى أسرىهم ليلام من مصر الى البحر وقد تقدم هذا مستوفى فى (فأنسرب) أى
 اجعل (لهم طريقاً) وأشرعه وقيل طريقاً مفعول به على سبيل الجازبان يكون المعنى
 أنسرب البحر ليقطع لهم قصير طريقاً لهم فعلى هذا الصنع نسبة الضرب الى الطريق
 والمراد الطريق بجنسه فان الطرق كانت ثلث عشرة بعدد أسباط بنى اسرائيل (فى البحر
 يساً) أى يابساً وصفه الفاعل مبالغة وذلك ان الله تعالى أيد لهم تلك الطريق ومرت
 عليه الصبا بخفته حتى لم يكن فيها مولا طين قاله محمد بن كعب ومجاهد وقرئ بسكون
 الباء مخففاً من يساً المحرك وهو مصدر أوجع يابس كعجب وصاحب وصفه الواحد
 مبالغة (لأنخاف دركا) أى أمتان ان يدرككم العدو من وراءكم والدرك المحاق بهم
 من فرعون وجنوده وبه قال ابن عباس قرأ الجاهل ولا تخاف وهى أربح لعدم الحزم فى قوله
 سبحانه (ولا تخشى) أى من فرعون أو من البحر ان يعرقت (فاتبعهم فرعون مجنونه)
 أتبع هنا مطاوع أتبع يقال اتبعتم اذا تبعتم وذلك اذا سبقوا فلحقهم فالتعنى تبعهم
 فرعون ومعه جنوده وقيل الباء زائدة والاصل أتبعهم جنوده أى أمرهم ان يتبعوا
 موسى وقومه وقرئ فاتبعهم بالتشديد أى لحقهم مجنونه وهو معهم كما يقال ركب
 الأمير بسيفه أى معه سيفه وقيل ساقطاً جنوده معه (فغشيم من الزيم ما غشيم) أى
 علاهم واصابهم منه ما غمرهم من الامر الهائل الذى لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه وقال
 البهمن هذا من باب الاختصار وجوامع الكلام أى ما يقل لفظها ويكثر معناها والتركيب
 للتعظيم والتأويل كفى قوله الحاقه ما الحاقه وقيل غشيم ما سمعت قصته وقال ابن
 الانبارى غشيم البعض الذى غشيم لانه لم يغشهم كل ما البحر بل الذى غشيم بعضه
 فهذه العبارة للدلالة على الذى أغرقهم بعض الماء والاول أولى لما يدل عليه من التأويل

ذهاباً ونؤمن بك قال ونفعلون قالوا نعم قال فدعا فأتاهم جبريل فقال ان ربك يقر عليك السلام ويقول لك ان
 شئت أصبح لهم الصفا ذهاباً عن كفرهم بعد ذلك عذبه عذاباً لا اعذبه أحد من العالمين وان شئت ففتح لهم أبواب التوبة
 والرجة فقال بل باب التوبة والرجة وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا محمد بن اسمعيل بن على الانصارى حدثنا خلف بن نعيم
 النخعي عن عبد الجبار بن عمر الايلي عن عبد الله بن عطاء بن ابراهيم عن جده أم غطاء مولا الزبير بن العوام قالت سمعت الزبير
 يقول لما رأت وأبذر عشرين الاقربين صاح رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى قيس يا آل عبد مناف الى نذير جفا تمقرش

لغديرهم وأندروهم فقالوا تزعم أنك نبى يوحى اليك وإن سليمان خضره الريح والجبال وإن موسى خضره البحر وإن عيسى كان يحيى الموق فادع الله أن يسرعنا هذه الجبال ويغير لنا الأرض أنهم راقتخذ محارث فنزعه ونأكل والافادع الله أن يحيى لنا موتانا لنكلمهم ويكلمونا والافادع الله أن يصير لنا هذه الخضر التى تحتك ذهابا فتحت منها وتغتنمنا عن رحله الشتاء والصيف فأنك تزعم أنك نهيتم قال فيسأخن حوله اذنزل عليه الوحى فلما سرى عنه قال والذى نفسى بيده لقد أعطاني ما سألتهم ولو شئت لكانوا لكنه خيري بين أن تدخلوا باب الرجة فتقوس من يسلم وبين أن يكلمكم الى ما اخترتم (٨١) لانفسكم قضاوا عن باب الرحة فلا يؤمن منكم أحد فاخترت باب الرحة

والعظيم وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم أى غطاهم ما غطاهم من الفرق وستهرم ما لم يعلم كنهه الله سبحانه ففرق فرعون وجنوده وتجاه موسى وقومه (وأصل فرعون قومه وما هدى) هذا الخبر عن حاله قبل الفرق أى أضلهم عن الرشد وما هدىهم الى طريق النجاة لانه قد ران موسى وقومه لا يهتدون له لكونهم بين يديه يشون في طريق يابسة وبين أيديهم البحر وفي قوله وما هدى تأكيده وتقريره لاضلاله لان المضل قد يرشد من يضله في بعض الأمور وفيه تكذيب لفرعون في قوله وما هدىكم الاسييل الرشاد (يا بنى اسرائيل قد أغشيناكم من عدوكم) ذكر سبحانه ما أنعم به على بنى اسرائيل بعد انجائهم وفي هذا الترتيب غاية الحسن حيث قدم ذكر نعمة الانشاء ثم النعمة الدينية ثم النبوية والتقدير قلنا لهم بعد انجائهم يا بنى اسرائيل ويجوز أن يكون خطابا لليهود المعاصرين لئلا ياصلى الله عليه وآله وسلم لان النعمة على الابرار معدودة من النعم على الابرار والمراد بعدوهم خنافرعون وجنوده وذلك باغراقه واغراق قومه في البحر برأى من بنى اسرائيل (وواعدناكم بجانب الطور الايمن) انتصاب جانب على انه مفعول به لا على الظرفية لانه مكان معين غير مبهم وانما انتصب الامكنة على الظرفية اذا كانت مبهمة قال مكي وهذا أصل لا خلاف فيه قال النحاس والمعنى أمرنا موسى أن يأمرهم بالخروج معه لنكلمهم بحضور تكلمهم فتمهوا الكلام وقبل وعد موسى بعد اغراق فرعون ان يأتي جانب الطور فالوعد كان لموسى وانما شرطوا به لان الوعد كان لاجلهم فهو من المجاز العقلي وقرئ وواعدناكم لان الوعد انما هو من الله لموسى خاصة والمواعدة لا تكون الا من اثنين وقد قدمنا في البقرة هذا المعنى والايم صفة الجانب والمراد ايم الشخص لان الجبل ليس له يمين ولا شمال فاذا قيل خذ من عين الجبل فغناه عن يمينك من الجبل (ونزلنا عليكم) أى فى التيه (المن والى) قد تقدم تفسير المن بالتريخين والى السلى بالسماوى وأرضنا ذلك بما لا يرضى عليه وقال أبو السعود المتن هوشى حاله أىض مثل الثلج كان ينزل من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويعت الريح الجنوب عليهم السماوى فيدبح الرجل منهم ما يكفيه (كلوا) أى قلنا لهم كلوا (من طبيات ما رزقناكم) أى النعمة بكم عليكم المراد بالطيبات المستلذات وقيل الحلال على الخلاف المشهور فى ذلك (ولا تطغوا فيه) الطغيان التجاوز أى لا تتجاوزوا ما هو جازئ

والعظيم وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم أى غطاهم ما غطاهم من الفرق وستهرم ما لم يعلم كنهه الله سبحانه ففرق فرعون وجنوده وتجاه موسى وقومه (وأصل فرعون قومه وما هدى) هذا الخبر عن حاله قبل الفرق أى أضلهم عن الرشد وما هدىهم الى طريق النجاة لانه قد ران موسى وقومه لا يهتدون له لكونهم بين يديه يشون في طريق يابسة وبين أيديهم البحر وفي قوله وما هدى تأكيده وتقريره لاضلاله لان المضل قد يرشد من يضله في بعض الأمور وفيه تكذيب لفرعون في قوله وما هدىكم الاسييل الرشاد (يا بنى اسرائيل قد أغشيناكم من عدوكم) ذكر سبحانه ما أنعم به على بنى اسرائيل بعد انجائهم وفي هذا الترتيب غاية الحسن حيث قدم ذكر نعمة الانشاء ثم النعمة الدينية ثم النبوية والتقدير قلنا لهم بعد انجائهم يا بنى اسرائيل ويجوز أن يكون خطابا لليهود المعاصرين لئلا ياصلى الله عليه وآله وسلم لان النعمة على الابرار معدودة من النعم على الابرار والمراد بعدوهم خنافرعون وجنوده وذلك باغراقه واغراق قومه في البحر برأى من بنى اسرائيل (وواعدناكم بجانب الطور الايمن) انتصاب جانب على انه مفعول به لا على الظرفية لانه مكان معين غير مبهم وانما انتصب الامكنة على الظرفية اذا كانت مبهمة قال مكي وهذا أصل لا خلاف فيه قال النحاس والمعنى أمرنا موسى أن يأمرهم بالخروج معه لنكلمهم بحضور تكلمهم فتمهوا الكلام وقبل وعد موسى بعد اغراق فرعون ان يأتي جانب الطور فالوعد كان لموسى وانما شرطوا به لان الوعد كان لاجلهم فهو من المجاز العقلي وقرئ وواعدناكم لان الوعد انما هو من الله لموسى خاصة والمواعدة لا تكون الا من اثنين وقد قدمنا في البقرة هذا المعنى والايم صفة الجانب والمراد ايم الشخص لان الجبل ليس له يمين ولا شمال فاذا قيل خذ من عين الجبل فغناه عن يمينك من الجبل (ونزلنا عليكم) أى فى التيه (المن والى) قد تقدم تفسير المن بالتريخين والى السلى بالسماوى وأرضنا ذلك بما لا يرضى عليه وقال أبو السعود المتن هوشى حاله أىض مثل الثلج كان ينزل من الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويعت الريح الجنوب عليهم السماوى فيدبح الرجل منهم ما يكفيه (كلوا) أى قلنا لهم كلوا (من طبيات ما رزقناكم) أى النعمة بكم عليكم المراد بالطيبات المستلذات وقيل الحلال على الخلاف المشهور فى ذلك (ولا تطغوا فيه) الطغيان التجاوز أى لا تتجاوزوا ما هو جازئ

(١١ - فتح البيان سادس) تعود الماقعة بمصره فظلاواهم أى داللة على وسادته من خلقها وصدق رسول الله الذى أجيب دعاء وفيها فظلاواهم أى كفروا بها ومنعوا هاشم بها وقتلوه فابادهم الله عن آخرهم واتقهم منهم وأخذهم أخذ عذرة ينقدرو قوله تعالى وما نزل بالآيات الاتخوفها قال قتادة ان الله تعالى يخوف الناس عا شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكرون ويرجعون ذكرنا ان الكوفة رحفت على عهد ابن مسعود رضى الله عنه فقال بأبها الناس ان ربكم يستعذبكم فاعتصموا وهكذا روى ان المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرات فقال عمر أحدثتم والله لئن عادت لأقتلن ولأقتلن وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله وانهما لا ينحسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل يخوف بهما

عباده فاذا رأيت ذلك فافزعوا الى ذكره ودعائه واستغفاره ثم قال يا أمة محمد والله ما أحد أعز من الله أن يرى عبداً أو ترى أمة يا أمة محمد والله لو تعاون ما علم لصحتكم قليلاً وليكنتم كثيراً (واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرويا التي أرى نالك الاقنعة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونضوهم فما يندهم الاطغيانا كبيرا) يقول تعالى ارسلوه صلى الله عليه وسلم يحضره على ابلح رسالته ونخبره يا امة قد عصه من الناس فان القادر عليهم وهم في قبضته وتحت قهره وعلبه قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقادة وغيرهم في قوله واذ قلنا لك ان ربك (٨٢) أحاط بالناس أي عصمك منهم وقوله وما جعلنا الرويا التي أرى نالك الاقنعة للناس

الاية قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو بن عكرمة عن ابن عباس وما جعلنا الرويا التي أرى نالك الاقنعة للناس قال هي روى عن أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه أسرى به والشجرة الملعونة في القرآن شجرة الرقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفي عن ابن عباس وهكذا أفسر ذلك بذي الاسراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وإبراهيم وقادة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد وقد تقدمت احاديث الاسراء في اول السورة مستقصاة والله الحمد والمنة وتقدمت اناسا رجعوا عن دينهم بعدما كانوا على الحق لانه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك ثباتا وبقينا لآخرين ولهذا قال الاقنعة أي اختبارا وامتحانا وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الرقوم كما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الرقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل

ما لا يجوز كالسرف والبطر والمنع عن المستحق وقيل المعنى لا تتحدوا نبي الله فتكفروا طاعين وقيل لا تكفروا عنه الله ولا تسوا شكرها وقيل لا تعصوا النعم أي لا تحمليكم السعة والعافية على العصية ولا مانع من حمل الطغمان على جميع هذه المعاني فان كل واحد منها يصدق عليه انه طغيان (فبجمل) بكسر الحاء أي يجب عليكم غضي أي يلزمكم وبضها بمعنى ينزل بكم وهو مأخوذ من خالول الدين أي حضور وقت أدائه (ومن يحمل عليه غضي فقد هوى) قرئ بكسر اللام الاولى وبضها وهما الغنان قال القراء الكسر أحب الى من الضم لان الضم من الخلول بمعنى الوقوع ويحمل بالكسر يجب وجاء التفسير بالوجوب لا بالوقوع وذ كر نحو هذا أبو عبيدة وغيره وهوى بمعنى هلك قال الزجاج فقد هوى أي صار الى الهواية وهي فعلا التار من هوى وهوى هو يا أي سقط من علوا يسفل وهوى فلان أي مات وقال ابن عباس هوى أي شق (واني لغفار لمن تاب) من الذنوب التي أعظمها الشرك بالله أو من الشرك قاله ابن عباس (وآمن) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وقال ابن عباس وحده الله (وعمل) عملا (صالحا) مما تدب اليه الشرع وحسنه وقال ابن عباس ادي القرائض وظاهر اللفظ يشعل القرض والنفل (ثم اهتدى) أي استقام واستمر على ذلك حتى يموت قاله الزجاج وغيره وقال سعيد بن جبير لزم السنة والجماعة وعن ابن عباس قال من تاب من الذنب وآسن من الشرك وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه ثم اهتدى أي علم ان عمله أو تابوا على تركه عقابا يجزي عليه وقيل تعلم العلم لهتدى به وقيل لم يشك في ايمانه والاول أرجح لمابعده ثم ما للتراخي باعتبار انتماء اليعده عن أول الاهتداء أو الدلالة على بعد ما بين المرتبتين فان المداومة أعظم وأعلى من الشروع والابضاح ان المراد الاستقرار على تلك الطريقة اذا المهتدى في الحال لا يكفيه ذلك في الفوز بالجنة حتى يستقر عليه في المستقبل وروى عليه قاله الكرخي (وما أعجلك عن قومك يا موسى) هذا حكاية لما جرى بين الله سبحانه وبين موسى عند موافاته الميعات والوأل وقع من الله لكنه ليس لاستدعاء المعرفة بل لما لتعريف غيره أولئك كسبه أو لتبيينه كما صرح به الراغب وظاهره انه ليس بمجاز كما يقول التلمذ سألني الأستاذ عن كذا العرف فهمي ونحو ذلك قال المفسرون وكانت الواعدة ان يوافي موسى وجماعته من وجوه قومه فسار موسى بهم ثم عمل

لعنه الله يقول هاتوا التانمرا وزيدا وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزفوا فلانعلم الرقوم غير هذا حتى ذلك ابن عباس ومنه وق وأبو مالك والحسن البصري وغير واحد وكل من قال انه اليه الاسراء قسره كذلك شجرة الرقوم وقيل المراد الشجرة الملعونة بنو أمية وهو عرب ضعيف وقال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعيد حدثنا أي عن جدي قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يني فلان يتركون على منبره تر والقرود فساء ذلك فاستجمع ضاحكا حتى مات قال وأرسل الله في ذلك وما جعلنا الرويا التي أرى نالك الاقنعة للناس الاية وهذا السند ضعيف جدا فان محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه ايضا ضعيف بالكيفية ولهذا الاختار ابن جرير ان مر ادب بذلك لينة الاسراء وان الشجرة الملعونة هي شجرة

الزقوم قال لاجماع الجحمن أهل التأويل على ذلك أي في الرؤيا والشجرة وقوله وخوفهم أي الكفار الوعد والعذاب والنكال
 خازنهم الاطغيانا كبير رأي عبادهم فاعلمهم من الكفر والضللال وذلك من خذلان الله لهم (واذ لنا للملائكة اسجدوا
 لا دم سجدوا الا ابليس قال أأسجدان خلقت طينا قال رأيك هذا الذي كرمت على أني آخر تن الى يوم القيامة لا تحسبك ذرية
 الاقليات) ذكر تبارك وتعالى عداوة ابليس لعنه الله لا دم وذريته وانها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى أمر الملائكة بالسجود
 لا دم فسجدوا كلهم الا ابليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخار عليه (٨٢) واحتقار له قال أأسجدان خلقت طينا كما قال في

الآية الاخرى أنا خرمته خلقتني
 من نار وخلقته من طين وقال أيضا
 رأيك تقول الرب جرامة وكفرا
 والرب يحلوه ينظر قال رأيك هذا
 الذي كرمت على الآية قال علي بن
 أبي طلحة عن ابن عباس يقول
 لاسولين على ذريته الاقليات وقال
 مجاهد لاحتوين وقال ابن زيد
 ولا ضلهم وكلها مقاربة والمعنى
 انه يقول رأيك هذا الذي شرفته
 وعظمته على لئلا أنظر تن لاضل
 ذريته الاقليات منهم (قال اذهب

فمن اتبعك منهم فان جهنم جزاؤكم
 جزاء موفورا واسنة فزمن استطعت
 منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك
 ورجلك وشاركهم في الاموال
 والاولاد وعدهم وما يعدهم
 الشيطان الاعور ان عبادي ليس

لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا)
 لمسأل ابليس النظرة قال الله له
 اذهب فقد أنظر ترك كما قال في الآية
 الاخرى قال فانك من المنظرين الى
 يوم الوقت المعلوم ثم أعده ومن
 اتبعه من ذرية آدم جهنم قال
 اذهب فمن اتبعك منهم فان جهنم
 جزاؤكم أي على أعمالكم جزاء
 موفورا قال مجاهد وافرأوا قال

من بينهم شوقا الى ربه فقال الله تعالى ما الذي جئت على العجالة حتى تركت قومك
 وخرجت من بينهم والمراد بهم جلة بني اسرائيل فان موسى كان قد أمرهم وان أسير
 بهم على أثره ولحقونه في مكان المناجاة فاجاب موسى عن ذلك و (قال هم أولا على
 أثرى) أي بالقرب مني نابعون لا تروى واصلون بعدى ليس بيني وبينهم الامسافة يسيرة
 وقيل لم يراد منهم يسير ون خلفه بل أراد انهم بالقرب منه ينتظرون عودهم اليهم بنو تميم
 يقولون أولى مقصورة وأهل الحجاز وألامسدودة قاله عيسى بن عمرو وقرئ اثر بكسر
 الهـمز واسكان الثامو بفتحهما وهما الغتان ثم قال مصر حاسب مأسأله الله عنه فقال
 (وعلمت اليك رب لترضى) عنى عسارعتي الى امثال أمرك أو لترداد رضاعني بذلك
 وفيه دليل على جواز الاجتهاد والمعنى يحجت الى الموضع الذي أمرتني بالمسير اليه لترضى
 عنى يقال رجل يعمل ويعمل ويعجلان بين العجلة والعجلة خلاف البطء وأخرج سعيد بن
 منصور وابن أبي شيبة والبيهقي في الشعب من طريق حمرون ميمون عن رجل من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تجمل موسى الى ربه فقرأى في ظل العرش رجلا فحجب له
 فقال من هذا يا رب قال لاحدث من هولكن سأخبرك بثلاث فيه كان لا يسجد الناس
 على ما أناهم الله من فضله ولا يعق والديه ولا يعشي بالنميمة (قال فانافدقتنا قومك من
 بعدك) مستأنفة كانه قيل فلماذا قال الله أي اسلبناهم واختبرناهم والقناهم في
 قسمة ومحنة قال ابن الانباري صيرناهم بقوتين أشقياء بعبادة العجل من بعد انطلاقت
 من بينهم وهم الذين خلقهم مع هرون وكافوا اسمائة ألف فافتنوا غير اثني عشر ألفا وهذه
 القسمة وقعت لهم بعد خروج موسى من عندهم بعشرين يوما وهذا الاخبار من الله تعالى
 عنها قيل انه كان وقت سؤاله بقوله وما أعجلك الخ فهو أول حضوره الميقات وفي ذلك الوقت
 لم تكن القسمة وقعت لهم كما علمت فيكون هذا الاخبار فيه تجوز من اطلاق الماضي على
 المستقبل على حد آتى امر الله . وقيل انه كان بعد تمام الاربعين أو في العشر الاخرين
 قال الشهاب وعليه الجمهور وعليه فيكون الاخبار حقيقيا لا تجوز فيه (وأصلهم
 السامري) أي دعاهم الى الضلالة وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في دين بني
 اسرائيل في الظاهر وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر وكان من قبيلة تعرف بالسامرة وقيل
 كان من القبط وقيل كان علبا من علوج كرمان رفع الى مصر وكان جارا لموسى وآمن به

قتاده موفرا عليهم لا ينقص لكم منه وقوله تعالى واستقر زمن استطعت منهم بصوتك قيل هو الغناء قال مجاهد بالله هو الغناء أي
 استغنهم بذلك وقال ابن عباس في قوله واستقر زمن استطعت منهم بصوتك قال كل داع دعا الى معصية الله عز وجل وقال قتادة
 واختاره ابن جرير وقوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك يقولوا اجل عليهم بخيلك ورجلكم ورجلكم فان الرجل جمع راجل
 كان الركب جمع راكب وصحب جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا أمر قدرى كقوله تعالى ألم تر أننا أرسلنا
 الشياطين على الكافرين تؤزهم أراى ترجيهم الى المعاصي ازعاجا وتسوقهم اليها سوفا وقال ابن عباس ومجاهد في قوله وأجلب

عليهم بخلك ورجلك قال كل راصب وما شئ في معصية الله . وقال قتادة ان له شيلا ورجلا من الجن والإنس وهم الذين يبيعونه
تقول العرب أجلب فلان على فلان اذا صاح عليه ومنه سمى في المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجملة وهي ارتفاع
الاصوات وقوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد قال ابن عباس ومجاهد هو ما أمرهم به من اتفاق الاموال في معاصي الله تعالى
وقال عطاء بن رباح قال الحسن هو جمعهم من خيب واتفاقها في حرام وكذا قال قتادة وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله
عنهما ما مشاركة اياهم في أموالهم فهو (٨٤) ما حرموه من أنه اياهم بمعنى من البحار والسواكب ونحوها وكذا

قال الضحاك وفتادة وقال ابن
جرير والاولى أن يقال ان الآية تعم
ذلك كله وقوله والاولاد قال العوفي
عن ابن عباس ومجاهد والضحاك
يعني اولاد الزنا وقال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا يتفادونه
من أولادهم سفها بغير علم وقال
قتادة عن الحسن البصري قد والله
شاركهم في الاموال والاولاد نجسوا
وهودوا ونصر واوصغوا غنصغة
الاسلام وجرأ من أموالهم جرأ
للسبطان وكذا قال قتادة سواء
وقال أبو صالح عن ابن عباس هو
تسميتهم أولادهم عبد الحرث وعبد
شمس وعبد فلان قال ابن جرير والولى
الاقوال بالصواب ان يقال كل مولود
ولده أنه أبى عصى الله فيه بتسميته
ما يكرهه الله أو بادخاله في غير الدين
الذى ارتضاه الله أو بالزنا ناه أو بقتله
او واداه أو غير ذلك من الامور التي
يعصى الله بها بفعله أو في نفسه فقد
دخل في مشاركة ابليس فيه من ولد
ذلك الولد له ومنه لان الله لم يخص
بقوله وشاركهم في الاموال والاولاد
معنى الشراكة فيه بمعنى دون معنى
فكل ما عصى الله فيه أو به أو طبع
الشيطان فيه أو به فهو مشاركة

وسمى موسى بن ظفر وكان منافقا قال لمن معه من بني اسرائيل انما يختلف وسمى عن
المعاد الذي بينكم وبينه لما صار معكم من الحلي وهي حرام عليكم وأمرهم بالقاءها في
النار وكان من أمر الجبل ما كان (فرجع موسى الى قومه) قيل وكان الرجوع الى قومه بعد
ما استوفى أربعين يوما ذا القعدة وعشر ذي الحجة وأخذ التوراة روى انه لما رجع موسى
سمع الصباح والضجيج وكانوا يرقصون حول الجبل فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا
صوت الفتنة وفي القرطبي وسئل الامام أبو بكر الطرطوشي عن جماعة يهتجون ويكثرون
من ذكر الله وذ كر سوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم انهم يضربون بالقضيب على شئ من
الطبل ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضر من شيئا ما يكونه
فهو الحضور معهم جائز أم لا فاجاب رجل الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة
وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأما الرقص والتواجد
فاول من أحدثه أصحاب السامري لما اتخذهم مجلا جسد الله خوارق ما يرقصون حوله
ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد الجبل وأما الطبل فاول من اتخذ الزنادقة قلبه غلوا
به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان مجلس النبي مع أصحابه كما تعالى رؤسهم الطير
من الوقار فينبغي السلطان وولاه ان ينعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد
يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم وهذا مذهب مالك وأبي
حنيفة والشافعي وأجدين حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين انتهى (عيسى بن اسفا)
الاسف الشديد الغضب وقيل الحزين وقدم في الاعراف بيان هذا ما استوفى (قال
يا قوم ألم بعدكم ربكم وعد احسن) الاستفهام لانكار التوبيخ والوعد الحسن وعدمه
بالجنة اذا قاموا على طاعته وقيل وعدهم ان يسمعهم كلامه في التوراة على اسنان موسى
ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحتمل
اسفارها سبعون جلا ولا وعد احسن من ذلك قاله النسفي وقيل وعدهم النصر والظفر
وقيل هو ثوبه وانى لغفار لمن تاب الآية (أفطال عليكم العهد) أى وعدكم ذلك فطال
عليكم الزمان فتسبتم (أم أوردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أى يلزمكم أو ينزل
عليكم والغضب العقوبة والنعمة والمعنى أم أوردتم ان تقعوا فعلا يكون سبب خلول
غضب الله عليكم بارادتهم واختياركم (فاخلفتم موعدي) أى موعدكم اياي

وهذا الذى قاله متجه وكل من الساند رجعهم الله ففسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض
ابن جاد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انى خلقت عبداي خفاه بغير ائمتهم الشياطين فاجتأهم عن
دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وفي الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان أحدكم اذا اراد أن يأتي أهله قال
بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقناه فان الله يقدر بينهما والى ذلك لم ينصره الشيطان ابد وقوله تعالى وعدهم
وما بعدهم الشيطان الا غرورا كما أخبر تعالى عن سلف ابليس انه يقول اذ حصص الحق يوم يقضى بالحق ان الله وعدكم وعد

الحق ووعده تكلم فاختلف تكلم الآية وقوله تعالى ان عبادي ليس اليك عليهم سلطان اخبارا يتايبه تعالى عباداه المؤمنين وحفظه
 اياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم ولقد قال تعالى وكفى ربك وكيلآى حافظا ومويدا ونصيرا وقال الامام احمد حدثنا
 قتية حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن ليس
 شياطينه كما ينص احدكم بغيره في السر ينص اى باخذ بناصيته ويقهره (ربكم الذى يرتضى لكم الفلك في البحر لتتغوا من فضله
 انه كان بكم رحيمآ) يخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تخيره لعباده الفلك (٨٥) في البحر وتسهيله لمصالح عباداه لابتغائهم

من فضله في التجارة من اقليم الى اقليم
 ولهذا قال انه كان بكم رحيمآ اى
 انما فعل هذا بكم من فضله عليكم
 ورحمته بكم (واذا مسكم الضر في
 البحر ضل من تدعون الا اياه فلما
 شكاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان
 كفورا) يخبر تبارك وتعالى ان
 الناس اذا مسهم ضر دعوه من يمين
 اليسه مختصين له الذين ولهذا قال
 تعالى واذا مسكم الضر في البحر
 ضل من تدعون الا اياه اى ذهب
 عن قلوبكم كلما تدعون غير الله
 تعالى كما اتفق لعكرمة بن ابي جهل
 لما ذهب قار من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حين فتح مكة فذهب هاربا
 فركب في البحر ليدخل الحبشة
 فجاءتهم ربح عاصف فقال القوم
 بعضهم لبعض انه لا يغنى عنكم
 الا ان تدعوا الله وحده فقال
 عكرمة في نفسه والله ان كان
 لا ينفع في البحر غيره فانه لا ينفع في
 البر غيره اللهم لك على عهدنا
 آخر حتى منه لا ذهاب فلا ضعن يدي
 في يد محمد فلا جدنه رؤفار حيا
 فخرجوا من البحر فرجع الى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن
 اسلامه مرضى الله عنه وارضاه

فالمصدر مضاف الى المفعول لانهم وعدوه ان يقيموا على طاعة الله عز وجل الى ان يرجع
 اليهم من الطور وقيل وعدوه ان ياتوا على اثره الى الميثاق فتوقفتوا ورت كوا المجيء بعده
 وهذا ترتيب على كل واحد من شتى الترتيب على سبيل البدل فاجابوه (قالوا اما خلفنا
 موعداك) الذى وعدناك (بملكنا) بفتح الميم وقرئ بكسرهما واختار هذه القراءة ابو
 عبيد وابو حاتم لانها على اللغة العالية القصيدة وهو مصدر ملكت الشيء املكه ملكا
 والمصدر مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف اى ملكنا امونا وابو عبيد الصواب بل
 اخطا بالاول ثلثا انفسنا وكما مضى من الى الخطا اى سؤل لنا السامري ما يبول وغلب على
 عقولنا قال ابن عباس بملكنا اى بامرنا وقال قتادة بطاقتنا وعن السدى مثله وقيل
 باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه وقرئ بملكنا ضم الميم والمعنى
 بسلاطنتنا قاله الحسن اى لم يكن لنا ملك فاختلف بوعيدك وقيل ان الفتح والكسر
 والضم كلها لغات سمعية في مصدر ملكت الشيء (ولما جئنا اوزارا من زينة القوم)
 قرئ جئنا بضم الجاء وتشديد الميم وقرئ: فتح الجاه والميم مخففة واختارها ابو عبيد وابو
 حاتم لانهم جئوا جليلة القوم معهم باختيارهم وما جئوا كرها فانهم كانوا استعار وهامتهم
 حين ارادوا الخروج مع موسى واوهوهم انهم يتجمعون في عيد لهم او وليمة وقيل هو
 ما اخذوه من آل فرعون لما قد فهم البحر الى الساحل وسبب اوزار اى انما لانه
 لا يحمل لهم اخذها ولتحمل لهم الغنائم في شريعتهم والاوزار في الاصل الانتقال كما صرح به
 أهل اللغة والمراد بالزينة ههنا الخلى (فقدناها) اى طرحناها في النار طلبا للخلاص
 من اثمها وقيل المعنى طرحناها الى السامري لتبقى لديه حتى يرجع موسى فيرى فيها رايه
 (فكذلك اتى السامري) اى قبل ذلك القذف القاها السامري قيل انه قال لهم حين
 استبطا القوم رجوع موسى ايا احبب عنكم لاجل ما عندكم من الخلى فجمعوه
 ودفنوه به في النار وصاغ لهم منه مجالا ثم اتى عليه قصة من اثر الرسول وهو
 جبريل (فاخرج لهم) السامري من الحفرة وهذان كلامه تعالى (بجلا) صاغه
 من الخلى في ثلاثة ايام (جسدا) اى حال كونها جسدا اى صارت جسدا اى دما ولما
 والجسد جمعه اجساد قال في البارع لا يقال الجسد الا للحيوان العاقل وهو الانسان
 والملائكة والجن ولا يقال لغيره جسدا الا للزعران وللم اذا يس ايضا جسدا وجاسدا

وقوله تعالى فلما شكاكم الى البر اعرضتم اى نسيت ما عرفت من وحيده في البحر واعرضتم عن دعائه وحده لاشركاءه وكان الانسان
 كفورا اى محبته هذا ينسى النعم ويجهدها الا من عصم الله (اقامتم ان يخسف بكم جانب البرا ويرسل عليكم حصائبآ
 لاجسادكم وكيلآ) يقول تعالى ان خسفتم بخروجكم الى البر اقمتم من انتقامه وعذابه ان يخسف بكم جانب البرا ويرسل عليكم
 حصابا وهو المطر الذى فيه حجارة قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى انما ارسلنا عليهم حصابا الا لوط نجيناها من البحر نعمة من
 عندنا وقد قال في الآية الاخرى واطمرنا عليهم حجارة من طين وقالوا انتم من في السماء ان يخسف بكم الارض فاذا هم كفورا

بسم من في السماء ان يرسل عليكم ماصفاً فتعلمون كيف تسروا وقوله ثم لا تجدوا لكم وكلاً اي ناصر ابر ذلك عنكم وينفذكم منه (ثم انتم ان بعدكم فيسب تارة اخرى فيرسل عليكم قاصداً من الريح فيغير قبلكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيها) يقول تبارك وتعالى ثم انتم ايها المعروضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في الجبر وخرجوا الى البراءة بعدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصداً من الريح اي يقصد السوازي ويفرق المراكب قال ابن عباس وغيره القاصف ريح الجبار التي تكسر المراكب وتغرقها وقوله فتغير قبلكم بما كفرتم (٨٦) أي بسبب كفركم واعراضكم عن الله تعالى وقوله ثم لا تجدوا لكم علينا

بتيها قال ابن عباس نصيراً وقال مجاهد نصيراً اي يأخذ بشاركم بعدكم وقال قتادة ولا يخاف أحد شعباً شئ من ذلك) ولقد كررنا في آدم وحواء ما هم في البر والبرور ورفقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرين خلقاً تفضيلاً يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتشريفه اياهم في خلقه لهم على احسن الهيئات وأكملها كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم اي شئ قائماً متصباعاً رجليه سوياً كاليديه وغيره من الحيوانات يمشي على أربع سوياً كل يده وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفتنه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الاشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الامور الدينية والدنيوية وجعلناهم في البرأى على الدواب من الانعام والخيول والبغال وفي الجبر اي على السفن النكار والصغار ورفقناهم من الطيبات اي من زروع وعشاد ولحوم وألبان من سائر انواع الطعوم والالوان المشتهة اللذيذة والمتنظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الانواع على اختلاف

والمعنى اخرج لهم عجلاً ذاجتة على الشبيهة بالعاقل (له خوار) صوت يسمع اي يخور كما يخور الخيل من العجل والخوار صوت البقر وقيل خواره كان بالريح لانه كان عمل فيه خروفاً فاذا دخلت الريح في جوفه خار ولم تكن فيه حياة (فقالوا) أي السامري ومن وافقه في بادئ الرأي (هذا الهكم واله موسى) أي فضل موسى ولم يعلم مكان الهه هذا وذهب بطليعة في الطور وهذا يقتضي انهم جعلوا العجل الهام بعددونه لانه لا تقريه لهم من الله تعالى وقيل المعنى فسي موسى ان يذ كر لكم ان هذا الهه والهكم قاله ابن عباس. وقيل الناسي هو السامري أي ترك السامري ما أمر به موسى من الايمان وضل كذا قال ابن الاعرابي (أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولوا) الاستفهام للتوبيخ والتقريع أي أفلا يعتبرون ويتفكرون في ان هذا العجل لا يرده عليهم جواباً ولا يكلمهم اذا كلوه فكيف يتممون انه الهه وهو عاجز عن المكلمة وان مخففة ورجع بالرفع في قراءة العامة وقرئ بالنصب وفيه ضعف والرؤية على الاول علمية وعلى الثاني بصرية (ولاعلم انهم ضاروا لانفعاً) أي لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرراً ولا ان يجلب اليهم نفعاً (ولقد قال لهم هرون) اللام هي الموطئة للقسم وجعله مؤكدة لما تضمنته الجملة التي قبلها من الانكار عليهم والتوبيخ لهم أي والله لقد نصحت لهم هرون (من قبل) أي من قبل ان يأتي موسى ويرجع اليهم (يا قوم انما اقتنيتهم) أي وقعت في الفتنة بسبب العجل وباتليتهم وبضلالتهم عن طريق الحق لاجله قيل ومعنى القصر المستفاد من انما هو ان العجل صار سبباً لفتنتهم لارشادهم وليس معناه انهم فتنوا بالعجل لا بغیره (وان ربكم الرحمن) لا العجل خص هذا الموضع باسم الرحمن تنبيهاً على انهم متى تابوا قبل الله توبتهم لانه هو الرحمن ومن رحمته ان خلصهم من آفات فرعون (فاتبعوني) في أمرى لكم بعبادة الله ولا تتبعوا السامري في أمره لكم بعبادة العجل (وأطيعوا أمرى) لأمره (قالوا ان نبش عليه ما كفي) أجابوا هرون عن قوله المتقدم بهذا الجواب المتضمن اعصاؤه وعدم قبول ما دعاهم اليه من الخير وحذرهم عنه من الشر أي ان نزال مقيمين على عبادة هذا العجل (حتى يرجع الياموسى) فينظر هل يقررن على عبادة أو ينهانا عنها فجعلوا هذا غاية لعكوفهم لكن لا على طريق الوعد بل بطريق التعلل والتسويق ففقد ذلك اعترلهم هرون في اثني عشر آتفاً من المنكرين لمقعلة السامري اخرج الحاكم

أصنافها وألوانها وأشكالها بما صنعونه لانفسهم ويجلبه اليهم غيرهم من أقطار الاقاليم والنواحي وفضلناهم ووجهه على كثير من خلقنا تفضيلاً اي من سائر الحيوانات وأصناف الخلوقات وقد استدلل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة قال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن زيد بن اسلم قال قالت الملائكة يا ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا باكون منا ويتنعمون ولم تعطنا ذلك فاعطنا في الآخرة فقال الله تعالى وعزى وجلالى لا اجعل صالحاً ذرية من خلقك سيدي كن قاله كن فكان وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه وقد روى من وجه آخر متصلاً وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حديثنا أحمد بن محمد بن

صدقة البغدادى حدثنا ابراهيم بن عبد الله بن خارجة المصيصى حدثنا حجاج بن محمد حدثنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن مطرف عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة قالت يا ربنا اعلمت بنى آدم الدنيا باكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدهم ولا ناكل ولا نشرب ولا نلبس فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا اجعل صالح ذرية من خلقت يبدى كنى قلت له كنى فكان وقد روى ابن عساكر من طريق محمد بن ايوب الرازى حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاوى حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن (٨٧) حنن بن عبيدة بن علق سمعت عروة

ابن رويم اللخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقت بنى آدم وجعلتهم يا كاون الطعام ويشربون الشراب ويلبسون الثياب ويتزوجون النساء ويركعون الدواب ينامون ويستريحون ولم تجعل لنا من ذلك شئاً فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل لا اجعل من خلقتهم

يبدى ونفخت فيه من روحي كنى قالت له كنى فكان وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا عمر بن سهل حدثنا عبد الله بن تمام عن خالد الخداع عن بشر بن شفاق عن ابيه عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شئ اكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال ولا

الملائكة الملائكة محبسون بمنزلة الشمس والقمر وهذا حديث غريب جدا (يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوفى كتابه يمينه فاولئك يقولون كما هم ولا يظاؤون قتيلا ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واصل سيدنا) يجرب تبارك وتعالى عن يوم القيامة انه يحاسب كل امة

وصححه عن علي قال لما نزل موسى الى ربه عبد السامري فبيع ما قدر عليه من حلى بنى اسرائيل فضر به عجلا ثم ألقي القمصة في جوفه فاذا هو عجل جسد له خوار فقال لهم السامري هذا الهكم والله موسى فقال لهم هرون يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا فلما ان رجع موسى اخذ برأس أخيه فقال له هرون ما قال فقال موسى للسامري ما خطبك قال قبضت قبضة من اثر الرسول فبذتها وكذا كذا سولت الى نفسي فعمد موسى الى العجل فوضع موسى عليه المبارد فبردها وهو على شط نهر فاشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعد ذلك العجل الا صفر وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما وبتنا قال يقتل بعضكم بعضا فاخذوا والسكاكين فجعل الرجل يقتل أخاه وأباه وابنه ولا يبالي بمن قتل حتى قتل منهم سبعون ألفا فواحي الله الى موسى مرهم فليرفعوا ايديهم فقد غفرت لمن قتل وتبت على من بقى والحكايات لهذه القصة كثيرة جدا (قال ياهرون ما منعك) جله تستأنف والمعنى ان موسى لما واصل اليهم اخذ بشعر راس أخيه هرون وبلعته وقال ما منعك من اتباعي واللعوق بي عدنان وقعودي هذه الضلالة ودخاؤني القصة وقيل المعنى ما منعك من اتباعي الى الانكار عليهم وقيل معناه هلا قاتلتهم اذ قد علمت اني لو كنت بينهم لقاتلتهم وقيل معناه هلا فارقتهم (اذراهم ضلوا لا تتبعن) أى أى شئ منعك حين رؤيتك لضلالهم من اتباعي ومن ان التحقني وتأتيني في الجبل فخيرني بما فعلوا وهذه الباء من يأت الزوائد فحقها ان تحذف في الرسم كما هي كذلك في مصحف الامام ولا زائدة للتوكيد (أفهميت) الهمزة للانكار والتوبيخ والمعنى كيف خالفت (أمرى) لك بالقيام لله ومناذرة من خالف دينه وأتت بين هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها وقيل المراد بقوله أمرى هو قوله الذي حكى الله عنه وقال موسى لآخيه هرون اخلتني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المنسدين فلما أقام معهم ولم يبالغ في الانكار عليهم نسبته الى عصيانه ومخالفة أمره وبه قال ابن جرير والقرطبي (قال) هرون (يا ابن أم) بفتح الميم وبكسر هاو على كل من القراءتين أراد أى لكن على الاولى حذفت الالف المنقلبة عن الباء اكتفاء عنها بالفتحة وعلى الثانية حذفت الباء اكتفاء عنها بالكسرة ونسبه الى الامم كونه أخاه لايه وأمه عند الجمهور استعطاؤه وترقيق القلب فليس ذكرها لكونه أخاه من أمة فقط كما قيل فان الحق انه كان شقيقه (لاناخذ بطيخي) وكان أخذها شباهه (ولا برأسى) وكان

بامامهم وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد وقادة أى نبيهم وهذا كقوله تعالى ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط الآية وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لاصحاب الحديث لان امامهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد بكتبتهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع واختار ما بن جرير وروى عن ابن أبي نجيم عن مجاهد انه قال بكتبتهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وان يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم أى بكتاب أفعالهم وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك وهذا القول هو الأرجح أقوله تعالى وكل شئ احصيناه في امام مبين وقال تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين عما فيه الآية وقال

وظاهره ومظهر رتبته على من عاداه وخالفه وناوذا في مشارق الارض ومغاربهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين (وان
كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجنك منها واذا ابليسون خلافت الاقايلا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا ولا نتجبد لستنا
تحويلا) قيل نزات في اليهود اشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسكني الشام بلاد الانبياء وترك سكني المدينة وهذا القول
ضعيف لان هذه الامة مكنته وتسكني المدينة بعد ذلك وقد قيل انها نزات بتبول وفي صحته نظر قال البيهقي عن الحاكم عن الاصم
عن أحمد بن عبد الجبار المطاردى عن يونس بن بكير عن (٨٩) عبد الحيد بن جبرام عن شهر بن حوشب عن
عبد الرحمن بن غنم ان اليهود ائوا

للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم وللتنبية على وقت أخذ القبضة (فنبذتم) أى
فطرحتم فى الحلى المدابة المسبوكة على صورة العجل نثار (وكذلك) أى ومثل ذلك
التسويل (سوت) أى زينت (لى نفسى) قاله الاخفش وقيل حدثت نفسى ان أفعله
فعله اتباعا لها وائى وهو اعتراف بالخطا واعتذار فلما سمع موسى منه ذلك (قال فاذهب)
من بيننا (فان لك فى الحياة) أى مادمت حيا وما عشت (ان تقول) لمن رأيت (لاساس)
أى لا تقرب بنى وهو مأخوذ من الماسة أى لا تمس أحد ولا تمس أحد لكن لا يحسب
الاختيار منك بل بموجب الاضطرار المحلى الى ذلك لان الله سبحانه أمر موسى أن يتقى
السامرى عن قومه وأمر بنى اسرائيل أن لا يتخاطبوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبته
ولا شئاً وحش منها ولا أعظم فى النبيا يقال ان قومه باقية فيهم تلك الحالة الى اليوم قيل انه
لما قال له موسى ذلك هرب فجعل يهيم فى البرية مع السباع والوحش ولا يجدا أحد من
الناس عساه حتى صار كمن يقول لاساس لبعده عن الناس وبعد الناس عنه قال الجوهري
فى الصحاح وأما قول العرب لاساس لا تمس أى لا تمسك وحاصل ما قيل فى معنى لاساس
المصدور وهو الماس اه ولاساس مصدر ماس كقتال من قاتل فهو يقتضى المشاركة وهو
مبنى مع لا الجنسية والمراد به النهى أى لا تمسك ولا تمسك وحاصل ما قيل فى معنى لاساس
ثلاثة أوجه الاول انه نهر عليه محاسة الناس وكان اذا مسه أحد حرم الماس والممسوس
فلذلك كان يصح اذ رأى أحد لاساس والثانى ان المراد منع الناس من مخالطته
واعترض بان الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لاساس وانما يقال له ذلك وأجيب بان
المراد بالحكاية أى اجعلك يا سامرى بحيث اذا اخبرت عن حالك قلت لاساس الثالث
ان المراد انقطاع نسله وان تجربانه لا يتمكن من محاسة المرأة فانه أبو مسلم وهو ضعيف جدا
ويقال ان موسى هم بقتل السامرى فقال الله تعالى لا تقتله فانه سخطى تقتله القرطبي وهذه
الاية أصل فى نفي أهل البدع والمعاصى وهجرانهم وان لا يتخاطبوا قاله السرخسى ثم ذكر
حاله فى الآخرة فقال (وان لك موعد ان تخلفه) بفتح اللام وبالفوقية مبنيان للفعول أى
لن يخلفك الله ذلك الموعد وهو يوم القيامة والموعد مصدر رأى ان التوعد العذاب وهو
كان لا محالة قال الزجاج أى يكافئك الله على ما فعلت فى القيامة والله لا يخلف الميعاد
وقرى ان تخلفه بكسر اللام وله معنيان أحدهما استأنيته ولن تغيب عنه ولا مذهب لك

(١٢ - فتح البيان سادس) الوليد بن مسلم عن عقير بن معدان عن سلم بن عامر عن أبى امامة رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل القرآن فى ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام قال الوليد يعنى بيت المقدس فتفسير الشام بتبول
احسن مما قال الوليد انه بيت المقدس والله اعلم وقيل نزلت فى كفار قرش وهو باخر اخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين
أظهرهم فوعدهم الله بهذه الآية وانهم لو أخرجوا لمالبوا بعد عكة الايسر وكذلك وقع فانه لم يكن بين عجرة من بين أظهرهم
بعدها شدا ذاهم له الاسنة ونصف حتى جمعهم الله وياه يدرغى غير ميعاد فامكنه منهم وسلطه عليهم وأظفر بهم فقتل أشرفهم وسي

ولهذا قال تعالى سكة من قدراسلنا الآية أي حكمة عادتنا في الذين كفروا برسلنا وأدوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم بأنهم العذاب ولولا أنه صلى الله عليه وسلم رسول الرحمة لكانهم من النعم في الدنيا لما قبل لأحده وللهذا قال تعالى وما كان الله لعذبهم وأنت فيهم الآية أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يقول تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أمر الله بأقامة الصلوات المكتوبة بات في أوقاتها أقم الصلاة (٩٠)

وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس دلوكها زوالها ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله أبو زرعة الأسلمي وهو رواية أيضا عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن والشافعي وأبو جعفر الباقر وقتادة واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه ما رواه عن ابن جبير عن الحكم بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن شام من أصبح به نطعموا أعندى ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس ثم رواه عن سهل بن بكر عن أبي عوانة عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس في قوله لدلوك الشمس إلى غسق الليل وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهور والعصر والمغرب والعشاء وقوله وقرآن الفجر يعني صلاة

عنه ولن تجده مخلقا كما تقول أحدثه أي وجدته محمودا والثاني على التهديد أي لا بد لك أن تصبر إليه ولن يخلف الله موعده الذي وعدك بل نوافيه ويسمى اليك ولن تستطيع الروغان ولا الحيلة عنه وقرئ أن تخلقه بالنون أي أن يخلفه الله (وانظر إلى اليك الذي ظلت عليه عاكفا) أصله ظلت وقرئ بكسر الظاء أي دمت وأقيت على عبادته قاله ابن عباس والعا كف الملازم (الخرقة) بالنار قرئ بضم النون وتشديد الراء من حرقة بحرقة وقرئ بتخفيف الراء من أحرقة بحرقة ومن حرقت الشيء أحرقت حرقا وأذبرته وحككت بعضه ببعض أي لبردته بالمبارد ويقال للمبرد المحرق والقراءة الأولى أولى ومعناها الإحراق بالنار وكذلك معنى الثانية وقد جمع بين هذه الثلاث القرآت بأنه أحرقت ثم بدلت المبرد في قراءة ابن مسعود لتندبته ثم لخرقته واللام هي الموطئة للقسم (ثم لتنسفن في اليوم نسفا) قال ابن عباس أي لتذربه في هواه البحر بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر والمقصود من ذلك زيادة عقوبته وإظهار غياوة المقتنين بدليله أدنى نظروا النفس نقض الشيء لذهب به الرمح وقرئ بضم السين وبكسر هاؤه ما لغتان والمنسف ما ينسف به الطعام وهو شيء منصوب الصدأ علامه مرتفع والنسافة ما يسقط منه والنسف التفرقة والتذرية وقيل قلع الشيء من أصله واليم البحر قاله ابن عباس وقال على النهر (انما الحكم الله الذي لا اله الا هو) لا هذا الجبل الذي فتسكه به السامري استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل (وسع كل شيء علما) أي واسع علمه كل شيء وقرئ واسع مشددة قال قتادة وسع ملا وهذا آخر قصة موسى في هذه السورة المبتدأة بقوله وهل أتاك حديث موسى الخ (كذلك) كلام مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسليمه له وتبصرة بأحوال من تقدم وتكثير المعجزات وتذكير المستصبرين من أمته أي كما قصصنا عليك خبر موسى (نقص عينك من أنباء ما قد سبق) أي من أخبار الخواص الماضية في الأمم الخالية لتكون تسلية لك ودلالة على صدقك ومن التبعية أي بعض أخبار ذلك (وقد أتيناك من لدنا ذكرا) منظوما ومشتاعلا على هذه القصص والأخبار والمراد بالذكر القرآن قاله ابن زيد وسجي ذكر المناقب من الموجبات للتذكروا الاعتبار وقيل المراد بالذكر الشرف كقوله وأنه لا ذكر لك ولقومك ثم تعد سبحانه المعرضين عن هذا الذكرك فقال (من اعرض عنه) فلم يؤمن به ولا عمل بما فيه وقيل عن الله سبحانه (فأنه) أي المعرض عنه (يحمل يوم القيامة)

الفجر وقد بينت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتوا من أفعاله وأقواله تفاصيل هذه الأوقات على ما عليه (وزرا) أهل الاسلام اليوم مما تلقوه خلفا عن سلف وقرآن بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه والله الحمد ان قرآن الفجر كان مشهودا قال الأعشى عن إبراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لم في هذه الآية وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنبا ماعمير عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل

صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر يقول أبو هريرة
 أقرأنا سنتم وقرآن الفجر أن قرآن الفجر كان مشهودا وقال الامام أحمد حدثنا سيباط حدثنا الأعشى عن إبراهيم عن ابن
 مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وحدثنا الأعشى عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وقرآن الفجر
 أن قرآن الفجر كان مشهودا قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ثلاثتهم عن عبيد بن
 اسباط بن محمد عن أبيه وقال الترمذي حسن صحيح وفي لفظ (٩١) في الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن

الأعرج عن أبي هريرة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون
 فيكم ملائكة بالليل وملائكة
 بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح
 وفي صلاة العصر فيعرج الذين بانوا
 فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بكم
 كفرت بكم عبادي فيقولون
 أثيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم
 يصلون وقال عبد الله بن مسعود
 يجتمع الحرسان في صلاة الفجر
 فيصعد هؤلاء ويقبض هؤلاء وكذا
 قال إبراهيم النخعي ومجاهد وقادة
 وغير واحد في تفسير هذه الآية
 وأما الحديث الذي رواه ابن جرير
 ههنا من حديث الليث بن سعد عن
 زيادة عن محمد بن كعب
 القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي
 الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فذكر حديث التزول وأنه تعالى
 يقول من يستغفرني أغفر له من
 يسألني أعطيته من يدعني فاستجب
 له حتى يطلع الفجر فلذلك يقول
 وقرآن الفجر أن قرآن الفجر كان
 مشهودا فيشهد هذه الله وملائكة
 الليل وملائكة النهار فانه تفرد به
 زيادته بهذا حديث في سنن أبي
 داود وقوله تعالى ومن الليل

وزرا أي انما اعطيا وعبودية ثقيلة يسبب اعراضه (خالد بن فيه) أي في عذاب الوزر والمعنى
 انهم مقفون في جزائه فاقم السبب قام المسبب (وساألهم) اللام للبيان كما في هيت لك
 (يوم القيامة جملا) أي بنس الجمل والخصوص بالذم مجذوف أي سألهم جملا ووزرهم (يوم)
 أي اذ كر يوم (ينفخ) قرئ بضم التحتية وبالنون سببا للفاعل وفتح الياء على ان الفاعل هو
 الله أو اسرافيل (في الصور) يسكون الزاوي قرئ بفتحها جمع صورة الاول وأولى وهو قرن
 ينفخ فيه يدعيه الناس للعذير والمراد به النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله (ونحشر
 الجرمين) المراد بهم المشركون والكافرون والعصاة الماخوذون بذنوبهم التي لم يغفرها الله
 لهم والمراد بقوله (يومئذ) يوم النفخ في الصور (زرقا) أي زرق العيون مع سواد الوجوه
 والزرقاة الخضرة في العين كعين السنور والعرب تشاءم بزرقة العين لان الروم كانوا
 أعدى أعدائهم وهم زرق والزرقاة أسوء ألوان العين وأبغضها الى العرب ولذلك قالوا في
 صفه العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين وقال القرأ زرقا أي عيبا وقال
 الأزهري عطاشا وهو قول الزجاج لان سواد العين يغبر بالعطش الى الزرقه وقيل انه
 كتابة عن الطمع الكاذب اذا تعقبته الخيبة وقيل هو كناية عن شحوص البصر من شدة
 الحرص والقول الاول وأولى والجمع بين هذه الآية وبين قوله ونحشرهم يوم القيامة على
 وجوههم عيبا وكلاهما ما قبل من أن ليوم القيامة حالات ومواطن تختلف فيها
 صفاتهم ويتنوع عندنا عذابهم قال ابن عباس فيه حالات يكونون في حال زرقا وفي حال
 عيبا (يتخافون بينهم) أي يتشاورون قاله ابن عباس وقيل يتسارون جملة حاله أو
 مستأنفة لبيان ما هم فيه في ذلك اليوم والخلف في اللغة السكون والخفاضة والتخافت
 وانخفت بوزن السبب اسرار المنطق ثم قيل ان خفض صوته خفقه والمعنى يحفظون
 أسواتهم ويحفظونها ويقول بعضهم لبعض من المالحظهم من هول ذلك اليوم ورعبه
 (ان) أي ما (لبثتم) في الدنيا وفي القبور وأما بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة
 (الاعشرا) من اللآلئ بايامها لان الشهر ورغها بالليالي فتكون الايام داخله فيها
 تبعاقاله في الكشف والمعنى انهم يستقصرون ويستقلون مدة مقامهم ولبنهم في الدنيا
 جدا وقيل المراد بالاعشر عشرين ساعة ثم لما قالوا هذا قال الله سبحانه (نحن أعلم بما يقولون)
 فيما بينهم (اذ يقول أمثلهم طريقة) أي أعلمهم قولوا وأعلمهم رأيا وأعلمهم عند نفسه

فهم جده نافله لآله لانه يقام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل أي
 الصلاة أفضل بعد المكتوبة قال صلاة الليل ولهذا أمر تعالى رسوله بعد المكتوبات بقيام الليل فان التهجدا ما كان بعد نوم قاله
 علقمة والاسود وابراهيم النخعي وغير واحد وهو المعروف في لغة العرب وكذلك ثبت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه كان يتهجد بعد نومه عن ابن عباس وعائشة وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم كما هو مسطور في موضعه ولله الحمد والمنة
 وقال الحسن البصري هو ما كان بعد العشاء يحتمل على ما كان بعد النوم واختلف في معنى قوله تعالى نافله لك فقبل معناه انك

مخصوص به وجوب ذلك وحده بقوله اقسام الليل واجبات حق مدون الامة رواه العوفي عن ابن عباس وهو احدثوا في العلم
واحدثوا في الشافعي رحمه الله واختاره ابن جرير وقيل انما جعل قيام الليل في حق نافلة على الخصوص لانه قد غفر له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر وغيره من ائمة انما يكفر عنه صلواته الوافق الذنوب التي عليه قاله مجاهد وهو في المسند عن أبي امامة الباهلي
رضي الله عنه وقوله عيسى ان يبعثك ربك مقام محمودا أي اقبل هذا الذي تمرك به لتعقب يوم القيامة مقام محمودا يحمدك
فيه الخلائق كلهم وخالفهم تبارك وتعالى قال ابن جرير قال أكرم أهل التأويل ذلك هو المقام الذي
(٩٢)

يقوم به محمد صلى الله عليه وسلم يوم
القيامة للشفاعة للناس ليرحمهم
ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة
ذلك اليوم (ذكر من قال ذلك) حدثنا
ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا
سفيان عن أبي اسحق عن صله بن
زفر عن حذيفة قال يسمع الناس
في صعيد واحد يسمعون الداعي
فينفذهم البصر حفاة عراة كاخلقوا
قيام لا تكلم نفس الا بأذنه ينادي
بالحمد فيقول ليبيك وسعديك والخير
في يديك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك ومنك
واليك لا محاب ولا لمحابك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانه رب البيت
فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز
وجل ثم رواه عن يندار عن غندر
عن سبعة عن أبي اسحق به وكذا رواه
عبد الرزاق عن معمر بن الزور عن
أبي اسحق به وقال ابن عباس
هذا المقام المحمود مقام الشفاعة
وكذا قال ابن أبي نجيم عن مجاهد وقاله
الحسن البصري وقال قتادة هو
أول من تنشق عنه الأرض يوم
القيامة وأول شافع وكان أهل العلم
يروون أنه المقام المحمود الذي قال
الله تعالى عيسى ان يبعثك ربك مقام محمودا قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشرى فيات يوم القيامة لا بشره فكف
فبما أحدثوا تشرى فيات لا بأس به فيها أحدثوا وأول من تنشق عنه الأرض ويعثر بها إلى الحشر وله المواء الذي آدم من دونه تحت
لوائه وله الخوض الذي ليس في الموقف كرواد انه وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد
ما نال الناس آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى في كل يقول لست لها حتى يأتي إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ان الله انالها
كاستند كذلك فمقصدا في هذا الموضوع ان شاء الله تعالى ومن ذلك انه يشفع في اقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول

وقال سعيد بن جبيرة وافهم عقلا (ان لبقم الايوما) واحدا ونسبة هذا القول الى امثالهم
لكونه ادل على شدة الهول لالكونه اقرب الى الصدق (ويستلخونك عن) حال الجبال
قال ابن جرير قالت قريش كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة أي على سبيل
الاستمراء فاعلمه الله سبحانه ان يحجب عنهم فقال (فقل) القاطع جواب شرط محذوف
والنقد يران سألوك فقل وأل المسارعة الى الزام السائلين (يتسهاون في نسفا) قال ابن
الاعرابي وغيره يعلها قلعاسن أصولها ثم يصيرها رملا تسيل سبلا ثم يصيرها كالصوف
المتنوش تطيرها الرباح هكذا وهكذا كالمها المنشور يقال نسفت الرياح التراب نسفا
من باب ضرب اقلعته وفرقه واسم الاكتمسف بكسر الميم (فيسرها) أي يترك
الجبال باعتبار مواضعها أي فيذر مواضعها وأجزاها السافلة الباقية بعد التسف
وهي مقارها وحرا كرها أي فيذر ما أنبسط منها وسوى مسطحه مسطح أجزاء الأرض
بمدنفس ما كان عليها من الجبال الشواقي أو الضعيف للأرض المدلول عليها بقوله الخال
انها الباقية بعد تسف الجبال (قاعا صقفا) قال ابن الاعرابي هو الأرض المساء بلا
نبات ولا بناء وقال الفراء القاع مستنقع الماء والصف الصف القرع المساء التي لا نبات فيها
كان أجزاءها صف واحد من كل جهة فصفها قارب في المعنى من قاعافها كالتأكيده
قال الجوهري القاع المستوى الصلب من الأرض والجمع أقوع واقواع وقيعان والظاهر
من لغة العرب ان القاع الموضع المنكشف والحصف المستوى الاملس (لا ترى فيها)
الضمير راجع الى الجبال بذلك الاعتبار وإلى الأرض على ما مر (عوجا) أي المنحفا وضوا هو
بكسر العين التعوج قاله ابن الاعرابي (ولا متنا) هو التلال الصغار والامت في اللغة
المكان المرتفع وقيل العوج الميل والامت الاثر مثل الشراك وقيل العوج الوادي
والامت الزاوية وقيل الامت التسو البسيط يقال مدحج له حتى مافيه امت وقيل هما
الانخفاض والارتفاع وقيل العوج الصدوع والامت الاكمة وقيل الامت الشقوق
في الأرض وقيل الاكهم وقيل الامت ان تغلق في مكان وتدق في مكان ووصف مواضع
الجبال بالعوج بكسر العين ههنا يدفع ما يقال ان العوج بكسر العين في المعاني وبفتحها
في الاعيان والمحسوسات الا ان يقال عريفه بكسر العين لكونه أشد خفائه كأنه صار
من قبيل المعاني أي لا تذكره فيها ولولا تملكه بالمقاييس الهندسية قاله أبو الورد قد

الله تعالى عيسى ان يبعثك ربك مقام محمودا قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشرى فيات يوم القيامة لا بشره فكف
فبما أحدثوا تشرى فيات لا بأس به فيها أحدثوا وأول من تنشق عنه الأرض ويعثر بها إلى الحشر وله المواء الذي آدم من دونه تحت
لوائه وله الخوض الذي ليس في الموقف كرواد انه وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد
ما نال الناس آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى في كل يقول لست لها حتى يأتي إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيقول ان الله انالها
كاستند كذلك فمقصدا في هذا الموضوع ان شاء الله تعالى ومن ذلك انه يشفع في اقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول

الانبيا بقضى بين أمته وأولهم اجازة على الصراط بامته وهو أول شفيع في الجنة كاثبت في صحيح مسلم وفي حديث الصور ان المؤمنين كاهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته وهو أول داخل اليها وامته قبل الامم كلهم ويتفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أفعالهم وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزله في الجنة لتلقي الاله واذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة شفع الملائكة والنيبون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك وقد بسط ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص والله الحمد والمنة (٩٣) ولند كرالات الاحاديث الواردة في المقام المحمود

وبالله المستعان قال البخاري حدثنا اسمعيل بن ابان حدثنا أبو الاحوص عن آدم بن علي سمعت ابن عمران الناس يصيرون يوم القيامة جناء كل أمة تتبع نبيها فيقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتى تنتهي الشفاعة الى محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله مقاما محمودا ورواه جزء بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم حدثنا شبيب بن الليث حدثنا الليث عن عبيد الله ابن أبي جعفر انه قال سمعت حمزة ابن عبد الله بن عمر يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس لتسدون حتى يبلغ العرق نصف الاذن فينباهم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم موسى فيقول كذلك ثم محمد صلى الله عليه وسلم فيشفع بين الخلق فيمشي حتى يأخذ بشفعة باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى بن بكير وعلقه عن عبد الله ابن صالح كلاهما عن الليث بن سعد

تلك لذلك صاحب الكشاف في هذا الموضع بما عنه غنى وفي غيره سعة رعن ابن عباس قال هي الارض المساء التي ليس فيها راية مرفوعة ولا انخفاض قال البيضاوي هي ثلاثة أحوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج وهو يخص المعاني (يومئذ) أي يوم تنسف الجبال (يتبعون الداعي) أي يتبع الناس داعي الله الى المحشر فيقبلون من كل أبواب الى صوبه قال القراء يعني بالداعي صوت المحشر وقيل هو اسرافيل اذا نفخ في الصور والراجح ان الداعي جبريل والنافخ اسرافيل تأمل (لا عوج له) أي لا معدل لهم عن دعائه فلا يقدررون على أن يزيعوا عنه ويخرفوا منه بل يسرعون اليه كذا قال أكثر المفسرين وقيل لا عوج لدعائه ولا يزيعون عنه عينا ولا شملا بل يتبعونه بآوته سرا عا ولا يعيرون الى الناس دون ناس وقيل لا عوج لذلك الاتباع والاول أظهر وعن محمد بن كعب القرظي قال يحشر الناس يوم القيامة في ظلمة تطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادي مناد فتبع الناس المحموت يومئذ فذلك قول الله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وعن أبي صالح في الآية قيل يضع اسرافيل الصور في فيه وينف على صخرة بيت المقدس وينادي أيتها العظام البالية والجلود المتفرقة والاعمال المتقطعة هلم الى عرض الرحمن فان الله يأمر أن تجتمع لفصل القضاء فيقبلون من كل أبواب الى صوبه لا يعبدون عنه ويسترون اليه من غير انحراف سبعين أصوته (وخشيت الاصوات للرجح) أي خفت لهيئته وجلاله وقيل ضعفت له عظمتة وقيل ذلت من شدة الفزع وقيل سكنت قاله ابن عباس والمراد أصحاب الاصوات (فلا تنزع الاهمسا) هو الصوت الخفي قاله ابن عباس ومجاهد وقال أكثر المفسرين هو صوت نقل الاقدام الى المحشر ووطئها ومنه همت الابل اذا سمع ذلك من وقع اخفافها على الارض وعن الضحالة وعكرمة وسعيد بن جبر والحسن مثله وعن سعيد أيضا قال سر الحديث والظاهر ان المراد هنا كل صوت خفي سواء كان بالقدم أو من انهم يحرك الشفاه وغير ذلك ويؤيده قراءة أبي فلا ينطقون الاهمسا وهو مصدر همت الكلام من باب ضرب اذا خفيت به والاستثناء مفرغ وقال الزمخشري الهمس الذ كر الخفي ومنه الحروف المهموسة (يومئذ) أي يوم يقع ما ذكرنا (لا تنفع الشفاعة) من شافع كائن من كان (الا)

به وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحجده أهل الجمع كلهم قال البخاري وحدثنا علي بن عياش حدثنا شبيب ابن أبي حمزة عن محمد بن المنكر عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يسبح النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة انقرده دون مسلم حديث أبي قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة كنت امام الانبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير خفر وأخرجه الترمذي من حديث أبي عامر عبيد الملك بن عمرو الهندي وقال حسن صحيح وابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به

وقد قدمنا في حديث أبي بن كعب في قراءة القرآن على سبعة أحرف قال صلى الله عليه وسلم في آخره فقلت اللهم اغفر لامتى اللهم اغفر لامتى وأخرت الثالثة يوم رغب إلى قبة النطق حتى إبراهيم عليه السلام حديث أنس بن مالك قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلزمون ذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأبون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقت الله يده واحببتك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء فاشفع لنا إلى ربك حتى (٩٤) يريحنا من مكاننا هذا فيقول لهم آدم لست هنا كم وبذركم الذي

أصاب فيسبحي ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن اتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأبون نوحا فيقول لست هنا كم وبذركم خطيئة سؤا له ربه ما ليس له به علم فيسبحي ربه من ذلك ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن فيأبونه فيقول لست هنا كم ولكن اتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة فيأبون موسى فيقول لست هنا كم وبذركم لهم النفس التي قتل بغير نفس فيسبحي ربه من ذلك ولكن اتوا عيسى عبدا الله ورسوله وكتبه وروحه فيأبون عيسى فيقول لست هنا كم ولكن اتوا محمدا عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأبوني قال الحسن هذا الحرف قاوم فامشى بين حمامين من المؤمنين قال أنس حتى استأذن على ربي فإذا رأيته ربي وقعت له أو خررت ساجدا الربي فمدعني ماشاء الله ان يدعني قال ثم يقال ارفع محمد قل يسمع واشفع تشفع ورسول نعطه فارفع رأسي فأجده بمحمد يعلمني ثم اشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الله الثانية فإذا رأيته ربي وقعت له أو

شفاعة (من أذن له الرحمن) في ان يشفع لغيره وبه بدأ القاضي كالكشف لما فيه من تنظيم الشافع والام للعدل أي لاجله (ورضى له قولا) أي رضى قوله في الشفاعة أو رضى لاجله قول الشافع والمعنى ان تنفع الشفاعة لمن أذن له الرحمن في ان يشفع له وكان له قول رضى ومثل هذه الآية قوله ولا يشفعون الا من ارتضى وقوله لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله غاب عنهم شفاعة الشافعين وقبه دلالة على أنه لا يشفع أحد لحد الا لمن يأذن الله له فيه فلا شفاعة الا بآذن منه سبحانه وهذا يدل على أنه لا يشفع لغير المؤمنين وبه مرسح البغوى وهذه الآية من أقوى الدلائل على ثبوت الشفاعة في حق القساق لان قوله ورضى له قولا يعني في صدقه ان يكون الله تعالى قدرضى له قولا واحدا من أقواله والناس قد رضى الله من أقواله شهادة أن لا اله الا الله فوجب أن تكون الشفاعة نافعة له بعد الاذن لان الاستثناء من النبي انبأت والجملة تفسيران يؤذن في الشفاعة وحاصل هذا التفسير أنه كل من قال في الدنيا لا اله الا الله أي كان مسلما ومات على الاسلام وان عمل السيئات (يعلم ما بين أيديهم) من أمور الساعة والآخرة (وما خفيهم) من أمور الدنيا والاراد جميع الخلق وقيل المراد بهم الذين يسمعون الداعي وقيل الضمير للشافعين وقال ابن جرير يرجع الى الملائكة أعلم الله من بعده انهم الاتعلم ما بين أيديهم وما خفيوا والعموم أولى (ولا يحيطون به علما) أي بالله سبحانه لا تحيط علمهم بذهاب ولا بصفاة ولا بعلمو ماته وقيل الضمير راجع الى ما في الموضوع فانهم لا يعلمون جميع ذلك (وعنت الوجوه للحي القيوم) أي ذلت وخضعت قاله ابن الاعرابي وعن ابن عباس قال وعنت الوجوه الركوع والسجود قال الزجاج معنى عنت في اللغة خضعت يقال عني عنوا اذا خضع وذل وأعناه غيره أي أذله ومنه قيل للاستسعاء والجمع عناة وقيل هو من العناء بمعنى التعب وذكر الوجوه وأراد بها أعصابها وخص الوجوه بالذكور لان الخضوع بها يتبين وأول ما يظاير فيها ثم قسمها الى قسمين بقوله (وقد خاب من حل ظالم) أي خسر من حمل شيئا من الظلم وقيل هو الشرك وبه قال ابن جرير وقتادة وقوله (ومن يعمل من الاعمال الصالحات) الطاعات (وهو) أي والحال انه (مؤمن) بالله لان العمل لا يقبل من غير ايمان بل

خررت ساجدا الربي فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع وسلة طه واشفع تشفع فارفع رأسي هو فأجده بمحمد يعلمني ثم اشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة قال ثم أعود الثالثة فإذا رأيته ربي وقعت أو خررت ساجدا الربي فيدعني ماشاء الله ان يدعني ثم يقال ارفع محمد قل يسمع ورسول نعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فأجده بمحمد يعلمني ثم اشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود الرابعة فأقول يا رب ما بيني والامن حبسه القرآن حدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يرين شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يرين برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يرين ذرة أخرجه من حديث شعبة بن وهب عن ابيه الامام أحمد عن

عفان عن جابر بن سلمة عن ثابت عن أنس بطوله وقال الامام احمد حدثنا ابو نسي بن محمد حدثنا حار بن ميمون ابو الخطاب الانصاري عن النضر بن أنس عن أنس قال حدثني بن الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاقم تنظر أمتي تعب الصراط اذ جاءني عيسى عليه السلام فقال هذه الانبياء قد جاء بك يا محمد أولون أو قال يجمعون اليك ويدعون الله ان يفرق بين جميع الامم الى حيث يشاء الله لنعم ما هم فيه فانطلق للمعمون بالعرق فاما المؤمن فهو عليه كالركبة وأما الكافر فيغشاها الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب بن الله صلى الله عليه وسلم فقام تحت العرش يلقي ما لم يلق ملك (٩٥) مصطفي ولاني مرسل فاقبض الله عز وجل الى

جبريل ان اذهب الى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فشفعت في أمتي ان أخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحدا فاقام زلت اتردد اني ربي عز وجل فلا أقوم منه مة اما الاشعة حتى أعطاني الله عز وجل من ذلك ان قال يا محمد ادخل من خلق الله عز وجل من شهداد لاله الا الله يوما واحدا لمخلصا ومات على ذلك حديث بريرة رضي الله عنه قال الامام احمد بن حنبل حدثنا الاسود ابن عامر اخذنا ابو اسرايل عن الحرث بن حصيرة عن ابن بريرة عن أبيه انه دخل على معاوية فاذا رجل يتكلم فقال بريرة يا معاوية تأذن لي في الكلام فقال نعم وهو يرى انه سيتكلم بمثل ما قال الآخر فقال بريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لارجو ان أشفع يوم القيامة عند ما على الارض من شجرة ومسدة قال فخرجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها على رضي الله عنه حديث ابن مسعود قال الامام احمد حدثنا عمار بن الفضل حدثنا سعيد بن

هوشرط في القبول (فلا يخاف) قرئ برفعه على النقي والاستئناف أي فهو لا يخاف وقرئ يجزئهم على النهي (ظلم) يصاب به من نقص ثواب في الآخرة (ولا هضم) هو النقص والكسر يقال هضمت لك من حق أي حططته وتركته ونقصت منه وهذا يهضم الطعام أي ينقص ثقله وامرأته هضم الكشح أي ضاربه البطن ومنه أيضا طلعها هضم أي دقيق متراكب كأن بعضه يظلم بعضا فينقصه - حقوه ورجل هضم ومهضم أي مظلوم وهضمته واهضمته ونهضته كله بمعنى قيل الظلم والهضم متقاربان وقرئ القاضي الماوردي بينهما فقال الظلم منع جميع الحق والهضم منع بعضه قال قتادة ظلمنا ان يزد في سياته ولا هضمنا ان ينقص من حسناته وقيل هضم أي غصنا وقيل لا يؤاخذ بذنب لم يعمل ولا ينظر عنه حسنة عملها (وكذلك) أي مثل ذلك الانزال (انزالاه) أي القرآن كله حال كونه (قرأنا عرييا) أي بلغة العرب ليفهموه ويقروا على ما فيه من النظم المجزء الدال على كونه خارجا عن طرق البشر نازلا من عند خالق القرى والقدير واضمار القرآن من غير سبق ذكره لا ليدان بنباهة شأنه وكونه مرموزا في العقول حاضرا في الأذهان (ووصرفنا) أي وبقينا (فيه) ضروبا (من الوعيد) تحوينا وتهديدا وكرنا فيه بعضا منه والمراد الجنس ومن مزينة على رأي الاخفش (لعلهم يتقون) أي كي يخافوا الله فيجتنبوا معاصيه ويحذروا عقابه (أو يحدث لهم ذكرا) أي اعتبارا واتعاطيا لانه من تقدمهم من الامم فيعتبرون وقيل ورعا وقيل شرفا وقيل طاعة وعبادة لان الذكر يطلق عليها واضيف الذكرا الى القرآن ونقص التقوى اليه لان التقوى عبارة عن ان لا يفعل القبيح وذلك استمرار على العدم الاصلى فلم يحسن اسناده الى القرآن وأما حدوث الذكرا فيحدث بعد ان لم يكن جازات اضافته اليه قاله الكرخي (فعمالى الله الملك الحق) لما بين سبحانه للعباد عظيم نعمته عليهم بانزال القرآن نزله نفسه عن مماثلة تخلفا فاته شيء من الأسماء أي جعل الله عن الخاد المحمدين وعباقبول المشركون والمعلطون في صفاته فإنه الملك الذي يده الثواب والعقاب نافذا أمره ونهيه وانه الحق أي ذو الحق في ملكوته وهو الوهية أو الحقيقة بان ربي وعده ويخشى وعبداه أو الثابت في ذاته وصفاته وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزل ولا يتغير وليس يستناده من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تجبل بالقرآن) أي بقراءته (من)

التفضل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا علي بن الحكم البسائي عن عثمان عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن ابن مسعود قال جاءنا ملكة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا ان ائمتنا تكرم الروح وتعط على الوالد قال وذكرا الضيف غير انهما كانت وأدت في الجاهلية فقال امك في النار قال فادبروا السور في وجوههم فاحمر بهم ما قد افرجوا السور في وجوههم فارجوا ان يكون قد حدث شيء فقال أي مع أمك فقال رجل من المنافقين وما يغني هذا عن أمه شيئا ونحن نطاع عبيد فقال رجل من الانصار ولم أربح لاقط أكثر من الامنة يا رسول الله هل وعدك ربك قبيحا أو فيها ما قال فظن انه من شيء قد سمعته فقال لما شاء الله ربي وما أطمعني فيه واني لا قوم المقام المحمود يوم القيامة فقال الانصاري يا رسول الله وما ذاك المقام المحمود قال ذلك اذا جئكم بحمزة عرافة غرا فلا يكون أول

من يكسى ابراهيم عليه السلام فيقول اكسو اخلي فيوثى بريطين يضاون نيلسبهم ماتم بقدر مستقبل العرش ثم اوثى بكسوف
والسنة افاثوم عن عيسى بمقامه لا يقوم اء حدي غبطنى فيه الاولون والا آخرون قال ويضع لهم من الكسوف الى اخوض فقال
المنافقون انه ما جرى ما قد اعلى حال اورضراض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاله المسك ورضراضه اللؤلؤ فقال المنافق
لم اسمع كاليرم فلما جرى ما على حال اورضراض الا كان له نبت فقال الانصارى يا رسول الله هل له نبت فقال نعم قضبان الذهب قال
المنافق لم اسمع كاليرم فانه قلما ينبت قضيب (٩٦) ان اوراق والا كان له ثمر قال الانصارى يا رسول الله هل له ثمرة قال

نعم الزمان الجوز وماؤه أشد شيا
من اللبن وأحلى من العسل من شرب
منه شرب بالانظام بعده ومن حرمه
لم يرب بعده وقال ابو داود الطيالسى
حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل
عن ابيه عن ابي الزعراء عن
عبد الله قال ثم ياذن الله
عز وجل فى الساعة فيقوم روح
القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم
خليل الله ثم يقوم عيسى موسى
قال ابو الزعراء لأدري أيهما قال
ثم يقوم نبيكم صلى الله عليه وسلم
رابعاً فيشفع لأشفع أحد بعده
أكثر مما شفّع وهو اتمام المحمود الذى
قال الله عز وجل عسى ان يعيذك
ربك نعمة ما محمودا حديث كعب
ابن مالك رضى الله عنه قال الامام
أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا
محمد بن حرب حدثنا الزبير بن
الزهرى عن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن كعب بن مالك عن كعب بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يعت الناس يوم القيامة فأكون
انا وامتى على تل ويكسوفى ربي
عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لى
فاقول ماشاء الله ان أقول فذلك

قبل ان يقضى أى يتم (اليد وحيه) أى يفرغ جبريل من ابلاغه قال المفسرون كان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم يادرجيل فيقرأ قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصاً
منه على ما ينزل عليه منه فنهى الله عن ذلك ومثله قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به على
ما يأتى ان شاء الله تعالى وقيل المعنى ولا تلقه الى الناس قبل ان تأتاك بيان تأويله
وقرى قضى بالنون قال ابن عباس لا تعجل حتى ينبتك وقال قتادة لا تله على أحد
حتى تنبتك وعن الحسن قال لم يزل يقرأ حتى مات فأتته فأتته الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم
تطلب قصاصاً فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم القصاص فانزل الله وتعجل بالقرآن
الاية فوقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزلت الرجال قوامون على انفسهم الا
أخرجهم القرباى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (وقل رب زدنى علماً)
أى سأل فى نفسه لربك زيادة العلم بكتابيه وبمعانيه فانه الموصل الى مطلبه لو كان دون
الاستكمال فكما أنزل عليه شئ منه زاد به علمه وما أمر الله رسوله صلى الله عليه وآله
وسلم بطلب الزيادة فى شئ الا فى العلم وفيه التواضع والشكر لله والتعنية على عظم موقع
العلم وفضله وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدنى علماً واجتنبوا يقينا ذكره
الخطيب وأقول رب زدنى علماً فاعو عملاً صالحاً واعياناً كاملاً ويقيناً تاماً وعاقبة محمودة
(ولقد عهدنا الى آدم) اللام هو الموطئة للسم والجمله مسأفة مقرر لما قبله من
نصر يفاء الوعد أى لقد أمرناه ووصيانه والمعهود وحذوف وهو ما سألنى من نعمه
عن الاكل من الشجرة (من قبل) أى من قبل هذا الزمان وقبل اكلها (فقتلى)
المراد بالنسيان هتارك العمل بموقع به العهد اليه فيه وبه قال أكثر المفسرين كفى
قوله انا نسينا كم اى تركنا كم فى العذاب فلا يشكل بوصفه بالعصيان غيا وقيل
النسيان على حقيقة وانه نسي ما عهد الله به اليه وسما عنه وكان آدم مأخوذاً بالنسيان فى
ذلك الوقت وان كان النسيان مرفوعاً عن هذه الامة والمراد من الآية تسليته النبي صلى
الله عليه وآله وسلم على القول الاول أى ان طاعة بنى آدم للشيطان أمر قديم وان ذل
المعاصرين له ان نقضوا العهد فقد نقضوا نوحهم آدم كذا قال ابن جرير والقشيري وما
اعترضه ابن عطية قائلاً بكون آدم عاتلاً للكفار الجاحدين بالله فليس بشئ وقرى فقتلى
بضم النون وتشديد السين مكسورة أى قنساء ابليس قال ابن عباس انما سمى الانسان

المقام المحمود حديث ابي الدرداء رضى الله عنه قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا
يزيد بن ابي حبيب عن عبد الرحمن بن جبر عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول من يؤذن له بالسجود يوم
القيامة وانا اول من يؤذن له ان يرفع رأسه فانظر الى ما بين يدي فاعرف أمتى من بين الامم ومن خلق مثل ذلك وعن يحيى مثل ذلك
وعن شمائل مثل ذلك فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف امتك من بين الامم فيما بين نوح الى امتك قال هم غر محجلون من أثر
الوضوء ليس أحد كذالك غيرهم وأعرفهم اكرمهم بايمانهم وأعرفهم تسعي من بين أيديهم ذريتهم حديث ابي هريرة رضى الله

عنه قال الامام جدرجحه الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا أبو جحان حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة في الصحيحين عنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلطم فرقع اليه الذراع وكانت تجسبه فتش منها ثم شق ثم قال أما سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مما ذلك يجتمع الله الناس الاولين والاخرين في صعيد واحد يصعدهم الداعي وينقذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما أنتم فيه ما قد بلغكم ألا تنتظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم يا دم فأتون (٩٧) آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت

أبو البشر خلقك الله يسده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا الى ربك فسجدوا لك ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول آدم ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد نهانى عن الشجرة فعصيت نفسى نفسى ندمى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى نوح فأتون نوحاً فيقولون يا نوح أتتأول الرسل الى أهل الارض

وقد سمعناك الله عبداً شكوراً الشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول نوح ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى ابراهيم فيأتون ابراهيم فيقولون يا ابراهيم أنت نبى الله وخليفه من أهل الارض ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله فذكر كذباته نفسى نفسى اذهبوا الى

لانه عهد اليه نفسى أى لانه عهد الى آدم ان لا يقرب الشجرة فنفسى قتل عدى (ولم تجد) من الوجدان معنى العلم أو من الوجود ضد العدم (له عزم) أى حزم وصبراً عما نهيناه عنه أو حفظاً قاله ابن عباس والعزم فى اللغة قوطين النفس على الفعل والتصميم عليه والمضى على المعتقدي أى شئ كان وقد كان آدم عليه السلام قد وطئ نفسه على ان لا يأكل من الشجرة وصمم على ذلك فلما وسوس اليه ابليس لانت عريكته وفتزعزعه وأدركه ضعف البشر وقيل العزم الصبر كما مر أى لم يجد له صبراً عن أكل الشجرة قال النحاس وهو كذلك فى اللغة يقال لانسلا عزم أو صبر وثبات على التحفظ عن المعاصى حتى يسلم منها ومنه كصبراً ولولا العزم من الرسل وقيل المعنى ولم يجد له عزم على الذنب وبه قال ابن كيسان وقيل ولم يجد له رأياً معزوماً عليه وبه قال ابن قتيبة ثم شرع سبحانه فى كيفية ظهور نسيانه وفقدان عزمه فقال (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أى اذ كروا وتعلّقوا بالذكر بالوقت مع ان المقصود ذكر ما فيه من الحوادث للمبالغة لانه اذا وقع الامر به ذكر الوقت كان ذكر ما فيه من الحوادث لازماً بطريق الاولى كررت هذا القصة فى سبع سور من القرآن لىسر يعلم الله وبعض خلقه (فسجدوا لآبليس) وهو أبو الحن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم فلا استثناء منه قطع وقيل متصل والاول أولى (أبى) أن يسجد لآدم وقال أنا خير منه فقلنا آدم ان هذا ابليس (عدو لك ولزوجك) أى حوالبه محدث لم يسجد لك ولم يرفضك وسبب العداوة ما رأى من أنما نعمة الله على آدم فحده قصار عدو له (فلا يخرجك من الجنة) أسند الخروج الى الحيوان كان الله تعالى هو المخرج لانه لما كان يؤسوسه وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صرح ذلك (فتشقى) الشقاء الشدة والعسر ويمدو يقصر يقال شقى كرضى شقاوة والمعنى فتشقى فى تحصيل ما لا بد منه فى المعاش وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو الحرق والزرع والطعن والخير ولم يقل فتشقى لان الكلام من أول القصة مع آدم وحده وأن فى ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما ان فى سعادته سعادتهم لانه القيم عليهم وأريد بالشقاء التعب فى طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لان الرجل هو الساعى على زوجته ثم علل ما يوجب ذلك النهى بمافيه الراحة الكاملة عن التعب والاهتمام فقال (ان لك ألا تحو عن فيها ولا تعمى) المعنى ان لك فيها تمتعاً بانواع المعاش ونعمها باصناف النعم من المساكل الشهية والملابس البهية

(١٣ - فتح البيان سادس) غيرى اذهبوا الى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله اصطفاه الله برسالاته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وانى قد قلت نفساً لم أمر بقتلها نفسى نفسى اذهبوا الى غيرى اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلته القاها الى مريم وروح منه وكلت الناس فى الهدى اصيبا اشفع لنا الى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى ان ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر

ذُنْبَانِي نَفْسِي أَذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي أَذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا تُونِ مُحَمَّدُ أَصْلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ أَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا خَفِيَ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغْنَا قَافِرُومَ فَأَتَى تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعَ صَاحِدَ الرِّيِّ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْخُ اللَّهُ عَلَى وَبِلَهْمِي مِنْ مُحَمَّدِهِ وَحَسَنَ الشَّاءِ عَلَيْهِ شَيْءٌ مَا لَمْ يَفْخُحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَسَلْ تَطْعُهُ وَاشْفَعُ تَشْفَعُ قَارِعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أَمْتِكَ مِنَ الْإِسْبَابِ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ (٩٨) الْإِيمَنُ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَغَيْرُكُمْ رَأَى النَّاسَ فَيَسْأَلُونَ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ ثُمَّ

قَالَ لَهُ إِنِّي عَنْهُ الْجُوعُ وَالْعَرَى أَقَادِثُوتُ الشَّبِيعَ وَالْأَكْسَاهُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ (وَأَنَّكَ لَا تَطْمَئِنُّ وَلَا تَصْحَى) فَإِنَّ نَفْسَ الظَّامِ لَا تَنَامُ حَتَّى يَحْصُلَ الرِّى وَوُجُودُ الْمَسْكَنِ الَّذِي يَدْفَعُ عَنْهُ مَشَقَّةُ الضُّعْفِ يَقَالُ لِنَفْسِي الضُّعْفُ وَالْأَذْبَرُ لِلنَّفْسِ فَاصْبِرْ حَرَهَا وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَا يَصْبِرُ فِيمَا عَطِشَ وَلَا فِي أَدْلَسِ فِيمَا شَمَسَ وَأَهْلُهُ فِي ظِلٍّ مَدُودٍ فَذَكَرَ سَجَانَهُ هَهُنَا فَذَكَرَ الْإِسْتِغَالَ بِأَمْرِ الْمَعَاشِ وَقَبْلَ الْكَدِّ فِي تَحْصِيلِهِ وَلَا يَرَى أَنَّ أَصُولَ الْمُتَاعِبِ فِي الدُّنْيَا الَّتِي يَدُورُ عَلَيْهَا كِفَايَةُ الْإِنْسَانِ حَتَّى يَحْصِلَ الشَّبِيعَ وَالرِّى وَالْكَسُوفَ وَالْكَفْنَ وَمَا عَادَ هَذَا مِنْ فَضْلَاتِ يَمْكُنُ الْبَقَاءُ بِهِ وَأَمَّا أَعْلَامُ مِنَ اللَّهِ سَجَانَهُ لَا تَدْرِي أَنَّهُ أَنْطَاعُهُ فَلَهُ فِي الْجَنَّةِ هَذَا كَلَامُهُ وَإِنْ ضَيَّعَ وَصِيَّتَهُ فَلَمْ يَحْفَظْ عَهْدَهُ أَخْرَجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى الدُّنْيَا فَيُجْلِبُ بِهِ التَّعَبُ وَالنَّصَبُ بِمَا يَدْفَعُ فِيهِ الْجُوعُ وَالْعَرَى وَالظَّمْأُ وَالضُّعْفُ فَلَمَّا رَدَّ عَلَى هَذَا بِالشَّقَاءِ الْمُتَقَدِّمِ شَفَاءَ الدُّنْيَا كَمَا قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ لَا شَقَاءَ إِلَّا خَرَى قَالَ الْفَرَاءُ هُوَ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ كَدِيدِهِ قَالَ الصَّنَوِيُّ قَابِلُ سَجَانِهِ وَتَعَالَى بَيْنَ الْجُوعِ وَالْعَرَى وَالظَّمْأِ وَالضُّعْفِ وَأَنَّ كَانَ الْجُوعُ يُقَابِلُ الْعَطَشَ وَالْعَرَى يُقَابِلُ الضُّعْفَ وَالْجُوعُ ذَلُّ الْبَاطِنِ وَالْعَرَى ذَلُّ الظَّاهِرِ وَالظَّمْأُ حَرُّ الْبَاطِنِ وَالضُّعْفُ حَرُّ الظَّاهِرِ فَتَنِي عَنْ سَاكِنَةِ ذَلِّ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَحَرِّ هَذَا كَرِهَ ابْنُ لَقِيْمَةَ قَالَ أَبُو السَّعْدِ وَفَصَلَ الظَّمْأُ مِنَ الْجُوعِ مَعَ تَجَانُّسِهِمَا وَتَقَارُبِهِمَا فِي الذِّكْرِ عَادَةً وَكَذَا أَمَلُ الْعَرَى وَالضُّعْفِ وَالتَّجَانُّسُ لِنُفُوسِهِمَا مَقَامُ الْإِمْتِنَانِ حَقَّهُ لِلشَّارَةِ إِلَى أَنَّ نَفْسَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ نَعْمَةٌ عَلَى حَيَالِهَا وَلَوْ جَمَعَ بَيْنَ الْجُوعِ وَالظَّمْأِ لَمْ يَسَاوُوهَا نَفْسُهُمَا نَعْمَةٌ وَاحِدَةٌ وَكَذَا الْحَالُ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْعَرَى وَالضُّعْفِ وَلِإِذَا تَقَرَّرَ بِالتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ نَفْسَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ مَقْصُودٌ بِالْإِذَا مَذْكَورٌ بِالْإِصَالَةِ لِأَنَّ نَفْسَ بَعْضِهَا مَذْكَورٌ بِطَرِيقِ الْإِسْتِطْرَادِ لِلتَّبَعَةِ لِبَعْضِ آخَرٍ كَمَا عَسَى أَنْ يَتَوَهَّمُوا جَمْعُ كُلِّ مِنَ التَّجَانُّسِ أَنْتَهَى (فَوْسُوسُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ) قَدْ تَقَدَّمَ تَفْسِيرُهُ وَمَا بَعْدَهُ فِي الْأَعْرَافِ فِي قَوْلِهِ فَوْسُوسُ لَهَا الشَّيْطَانُ أَيْ أَلْتَنِي إِلَيْهِ وَسُوسَتُهُ وَأَمَّا فَوْسُوسُ لَهَا فَعَنَاهُ وَفَوْسُوسُ لَهَا جَلَّهَ وَقَالَ أَبُو الْبَقَاءِ عَدَى بِالِ لَا يَبْعَثُنِي أَسْرَ وَعَدَى بِاللَّامِ فِي مَرَضٍ آخَرَ لَكُنْهُ مَعْجَى ذَكَرْهُ وَيَكُونُ مَعْجَى لَهَا جَلَّهَ (قَالَ يَا آدَمُ) بَيَانُ لُصُورَةِ الْوَسْوَاسَةِ (هَلْ أَدْلَسْتُ عَلَى شَجَرَةٍ أَنْخَلَدُ) هِيَ الشَّجَرَةُ الَّتِي مِنْ أَسْفَلِهَا لَمْ يَتَّصِلْ بِهَا وَبِقِي مَخْلُودٌ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَعَبْدُ بْنُ جَدِّ وَأَبْنُ حَاتِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنْ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يُسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مَا تَمَاتَ عَامٌ لَا يَقْطَعُهَا

قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي مُحَمَّدِي بِهِ أَنْ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَجَدَّةَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبَصْرَةَ أَوْ خُرَافَةَ فِي الصَّحْبَيْنِ وَقَالَ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ مَوْسَى حَدَّثَنَا هَقِيلُ بْنُ زُبَادٍ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ حَدَّثَنِي أَبُو عَمْرٍَا حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَرُّوخَ حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا سِدٌّ وَلِدَادُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْسُقُ عَنْهُ الْقَبْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشْفَعٍ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا وَكَاسِعٌ عَنْ دَاوُدَ بْنِ زَيْدٍ الرَّعَافِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَسَى أَنْ يَجْعَلَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا سَأَلَ عَنْهَا فَقَالَ هِيَ الشَّفَاعَةُ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ وَكَاسِعٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمِيرَةَ عَنْ دَاوُدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَسَى أَنْ يَجْعَلَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا قَالَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي أَشْفَعُ لَأُمِّي فِيهِ وَقَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرُ بْنُ الزَّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَدَّ اللَّهُ الْأَرْضَ مَدَّ الْأَدِيمِ حَتَّى لَا يَكُونَ لِلْبَشَرِ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ وَهِيَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكُونُ أَوْ لَسَ يَدْعُو وَجِبْرِيلُ عَنْ عَيْنِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاللَّهُ مَا رَأَى قَبْلَهَا فَأَقُولُ أَيْ رَبِّ إِنْ هَذَا أَخْبَرَنِي أَنْكَ أَرْسَلْتَهُ إِلَيَّ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَأَقُولُ يَا رَبِّ عِبَادُكَ عَبْدُكَ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ قَالَ هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ وَهَذَا حَدِيثٌ مِنْ رِوَايَةِ (وَقَالَ رَبُّكَ ادْخُلْ فِي مَدْخَلٍ صَدَّقَ وَأَخْرَجَ مِنْ جَنَّةٍ صَدَّقَ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا) وَقَالَ لَقِيْمَةُ الْخَطِّ وَزَهْرَةُ الْبَاطِلِ أَنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهْرًا قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ أَبِي طَابٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ كَانَ

التي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم بالهجرة فانزل الله وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحسن البصري في تفسيره هذه الآية ان كفارا أهل مكة لما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ويطردوه ويوتقوه فارد الله قتال أهل مكة أمره أن يخرج إلى المدينة فهو الذي قال الله عز وجل وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الآية وقال قتادة وقل رب ادخلني مدخل صدق يعني المدينة واخرجني مخرج صدق يعني مكة وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا (٩٩) القول هو أشهر الاقوال وقال العوفي عن

ابن عباس ادخلني مدخل صدق يعني الموت واخرجني مخرج صدق يعني الحياة بعد الموت وقيل غير ذلك من الاقوال والاول أصح وهو اختيار ابن جرير وقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال الحسن البصري في تفسيره ما وعد به ربك ليس نزع من ملك فارس وعز فارس وليعني له وعز الروم وملك الروم وليعني له وقال قتادة فيها ان نبي الله صلى الله عليه وسلم علم ان لا طاقته بهذا الامر الا سلطانا فقال سلطانا نصيرا لكتاب الله ولحدود الله ولقراؤن الله ولا قامه دين الله فان السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأتار بعضهم على بعض فأكل شديد ضعفتهم قال مجاهد سلطانا نصيرا حجة بينة واختار ابن جرير قول الحسن وقاتدة وهو الأرجح لانه لا بد من الحق من قهر لمن عاداه وناواه ولهذا يقول تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات إلى قومه وأتزلنا الحديد الآية وفي الحديث ان الله عز وجل بالسلطان ما لا ينزع بالقرآن أي ليعجز بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والاعتصام

وهي شجرة الخلد (وما لا يبلى) أي تصرف يدوم ولا يزول ولا يتقضى ولا يبلى ولا يفنى وهو لازم الخلود (فأكل) أي آدم وحواء (منها) أي من الشجرة (فبدت لهما سواترهما) يعني عريانهما التي كانت عليهما بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكل من الشجرة حتى ظهر لكل واحد منهما ما قبله وقبل الآخر ودرهمي كلامهما سواترهما لان انكشافه بسوء صاحبه ويجزئه (وظفقا) طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل وهو كساد في وقوع الخبر فعلا مضارعا لانه للشرع في أول الامر وكاد للتو منه قال القراء معني طنقاني العربية أقبل وأقبل وأخذوا جعلوا (مخصفان) بلصقان (عليهما) وبلزقان لأجل سواترهما أي يستترهما فعلى تعليمية (من ورق الجنة) أي من ورق التين بعضه ببعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (وعصى آدم ربه) أي خالف فيه بالاكل من الشجرة فالحصان هو الخائف لكنه خالف بئنا وبل لانه اعتقد أن أحدا لا يخاف بالله كذبا ولانه اعتقد ان النبي قد نسخ ما قبله ابليس أو اعتقد ان النبي عن شجرة معينة وان غيره مان ببقية افراد الجنس ليس منهم اعنه (فغوى) أي فضل عن الصواب أو عن معالجه وهو الخلود بالاكل من تلك الشجرة أي حاد عنه ولم يظفر به هذا هو الحق في تقرير هذا المقام وقيل فسد عليه عيشه ونزوله الى الدنيا وقيل جهل موضع رشده وقيل بشم (١) من كثرة الاكل قال ابن قتيبة أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها باستئلال ابليس وخدعه اباه والقسم له بالله انه لم يمان الناحيين حتى دلاه بغرور ولم يكن ذنبه عن اعتقاده متقدم منه بحجة فحين نقول عصي آدم ربه فغوى انتهى قال القاضي أبو بكر بن العربي لا يجوز لاحد ان يخبر اليوم بذلك عن آدم قلت لا مانع من هذا بعد ان أخبرنا الله سبحانه في كتابه بانه عصاه وكما يقال حسنة الابراشيئات المقر بين قال في المدارك وفي التصريح بقوله وعصى آدم ربه فغوى والعدول عن قوله وزن آدم من جرة عظيمة وموعظة بليغة للمكافئين كافة كانه قيل له انظر واواعتبروا كيف نعتيت على النبي المعصوم زلت هذه الغلظة فلا تنها وواعبا يفرط منكم من الصغار فضلا عن البكائر ومما قال الشوكاني في هذا المعنى

عصى أبو العالم وهو الذي * من طينة صورته الله
وأسجد الاملاك من أجله * وصير الجنة مأواه
أغواه ابليس فمن ذا أنا * مسكين ان ابليس أغواه

ما لا يتبع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الا كيد والتهديد الشديد وهذا الواقع وقوله وقل جاء الحق وزهق الباطل الا يتنهى ويوعيد لك فارق ريش فانه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مريية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعث الله به من القرآن والايان والعلم النافع وزهق باطلهم أي اضعف وهلك فان الباطل لا ساق له مع الحق ولا بقاء بل تنفذ بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هزاهق وقال البخاري حدثنا الجدي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن

وقال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعن به ودق يده ويقول جاء الخلق وزنتي الباطل ان الباطل كان زهوقا الحق وما يبدي الباطل وما يبعد وكذا رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع وسلم والترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة وكذا رواه عبد الله بن رزاق عن ابن أبي شيبة وقال الحافظ أبو يعلى حديثنا خبر حديثنا شعبة حديثنا المغيرة حديثنا أبو الزبير عن جابر رضي الله عنه قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنعا بعد من دون الله فأمر بها (١٠٠) رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبكت على وجوها وقال يا أبا الخي

وزنه الباطل ان الباطل كان زهوقا (ونزل من القرآن ما خوسنا ووجه للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا) يقول تعالى مخبر اعن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيف وميل فالقرآن يشفى من ذلك كله وهو أيضا رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة وطلب الخير والرجة فيه وليس هذا الا لمن آمن به وصدقوه واتبعوه فانه يكون شفاء في حقه ورحمة وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيد سماعه القرآن الا بعدا وكثرا والاف من الكافر لامن القرآن كقوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد وقال تعالى وإذا ما أترأت سورتهم من يقول أياكم زادته هذيانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم

وحديث بحاجة آدم وموسى في الصحيحين عن ابي هريرة بكسائي وفيه أن تلو منى على امر قد ربه الله على قبل ان يخلقني باربعين سنة وقد اطل الرأى في بيان اختلاف الناس في عصمة الانبياء في هذا المقام بما عني وفي تركه سعة وتبع في ذلك انما كان في تفسيره فلا نطول الكلام به كره (ثم اجتبا به) أي اصطفاه وقربه واختاره بالجل على التوبة والتوفيق لهما من جبي الى كذا فاجتبيته وأصل الكلمة الجمع قال ابن فورق كانت المعصية خذ من آدم قبل النبوة بدليل ما في هذه الآية فانه ذكر الاجتناب والهداية بعد ان ذكر المعصية واذا كانت المعصية قبل النبوة فخا ترك عليهم الذنوب ورحما واحدا (فأبكت عليه) من معصيته وقبل توبته (وهدى) أي هدا الى السبيل والهداية على التوبة فله يقضها أو الى الاعتذار والاستغفار قيل وكانت توبة الله عليه قبل ان يتوب هو ورواه بقوله لهما ما ظلمنا أنفسنا وان لم تقفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد مر وجه تخصيص آدم بالزاد كون حواء في الصحيحين من حديث أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال حاج آدم موسى قال أنت الذي أخرجت الناس من الجنة فبذلك وأستقيم تعصيتك قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالتك وبكلامه أن تلو منى على أمر كسبه الله على قبل ان يخلقني أو قد ربه على قبل ان يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حج آدم موسى (قال احبطا منها جميعا) أي انزل لهما الشيطان من ذنوبكم من الجنة الى الارض والخطاب وان كان مشى في اللفظ لكنه في المعنى الجمع ليحصل التوفيق بين هذه الآية وآية الاعراف وهي قوله قال احبطوا وبالجملة تخضع لهما الله سبحانه بالهبوط لانهما اصل البشر ثم عزم الخطاب لهما ولزمتهما فقال (بعضكم) بعض الذرية (بعض عدو) من اجل ظلم بعضهم بعضا والمعنى تعاديهم في امر المعاش ونحوه فيحدث بسبب ذلك القتال والخصام (فاما يا نبيكم منى هدى) بإرسال الرسل وانزال الكتب (فمن اتبع هداى) أى الكتاب والرسول ووضع الظاهر موضع المصير مع الاضافة الى ضميره تعالى لئلا يشبهه والمبالغة في ايجاب اتباعه (فلا يضل) في الدنيا (ولا يضل) في الآخرة أخرج ابن ابي شيبة والطبراني وأبو نعيم في الحلية وابن مردويه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اتبع كتاب الله هداى الله من الضلالة في الدنيا واه سوء الحساب يوم القيامة وذلك ان الله يقول فمن اتبع الآيات وعن ابن عباس قال أجاز الله تابع القرآن

من يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وما أولوا وهم كافرين والآيات في ذلك من كثيرة قال قتادة في قوله ونزل من القرآن ما خوسنا ووجه للمؤمنين اذا سمعته المؤمن اتفقه به وحفظه ووعا ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعبه فان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين (وإذا أقمنا على الانسان آعرض وناى جيباه وإذا مسه الشر كان دوسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) يخبر تعالى عن نقص الانسان من حيث هو لا الامن عصمه الله تعالى في حالى السراء والضراء فانه اذا أقم الله عليه بحال وعافية وفهم وزق ونصر ونال ما يريد

أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأتى بجانته قال مجاهد بعد عناقلث وهذا كقوله تعالى فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى
ضره منيته وقوله فلما بلغناكم إلى البر أعرضتم وبأنه إذا مسه الشر وهو المصائب والحوادث والثواب كان يؤسأى قنط ان يعود
بجمل له بعد ذلك خير كقوله تعالى ولئن أدركنا الإنسان منا رجة ثم أعاناهمته لئن شئنا لكفورون أن آتينا نعمة بعدهم أمسيته
يقول زهب السيئات عني أنه فرح بخور الالذين صبروا وغلبوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير وقوله تعالى قل كل يعمل
على شانه قلتة قال ابن عباس علي ناحيته وقال مجاهد على حدثه وطبعته (١٠١) وقال قتادة على نيته وقال ابن زيد

دیشه وكل هذه الاقوال المتقاربة
في المعنى وهذه الآية والله أعلم
تهدية للمشركين ووعيد لهم كقوله
تعالى وقل للذين لا يؤمنون اعتزلوا
على مكانتكم الآية وقوله تعالى
فربكم أعلم عن هو اهتدى سبيل أى
منا ومنكم وسيجرى كل عامل
بعمله فانه لا يخفى عليه خافية
(ويستلوك عن الروح قل الروح

من امر ربى وما اوتيتم من العلم

وليسع. حدثنا الاعمش عن ابراهيم
ع. عاقبة ع. ع. داود بن ابي

أَمْشَى مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عسب فبیر بقوم من الیہود فقال

وقال بعضهم لا تسأله قال فبأيه

[illegible]

من أمّ المؤمنين وما وُثِّقَ من العِلّالِ

قَدْ قُلْنَا لَكُمْ لَا تَسْأَلُونَهُ هَكَذَا رَوَاهُ

ماؤه عن الروح فقال ما را بكم اليه

إلا يفوه هذا الشافى بعضى فيما
منه الـ كذا

من أن يضل في الدنيا ويشت في الآخرة ثم قرأ هذه الآية (ومن أعرض عن ذكري) أي الهدى لذا كرر والداعى إلى أو عن ديني وتلاوة كتابي والعمل بما فيه ولم يتبع هدى (فإن له عيشة ضنكا) أي عيشة اضيق في هذه الحياة الدنيا قال منزل ضنك وعيش ضنك أي ضيق في القاموس الضنك الضيق في كل شيء يقال ضنك ضنكا وضنا كقوضوكة ضاق وهو مصدر يستوي فيه الواحد وما فوقه والمذكر والمؤنث وقرئ بضم الصاد على فبني ومعنى الآية أن الله عز وجل جعل لمن اتبع هداى وتمسك بدينه أن يعيش في الدنيا عيشة غنيا غير مهموم ولا مغموم ولا متعب بنفسه كما قال سبحانه فالحسينه حياه طيبة وجعل لمن لم يتبع هداى وأعرض عن دينه أن يعيش عيشة ضيقا وفي تعب ونصب ومع ما يصيبه في هذه الدنيا من المتاعب فهو في الآخرة أشد تعباً وأعظم ضيقاً وأكثر نصيباً وعن أبي سعيد الخدري من فوعامة عيشة ضنكا قال عذاب القبر أخرجه البيهقي والحياصكهم وحججه ومسدد في مسنده ولفظ عبد الرزاق يضيق عليه قبر حتى تحته فإضلاله ولفظ ابن أبي حاتم قال ضمة القبر وفي مسنده ابن لهيعة وفيه مقال معروف وقال ابن كثير الموقوف انتهى وأخرج البرزبان في حاتم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المعيشة الضنكى أن تسلط عليه تسعة وتسعون حية ينشون له حتى تقوم الساعة وعنه من فوعا قال عذاب القبر أخرجه البيهقي والبرزبان والمندرز وغيرهم قال ابن كثير بعد أخرجه بإسناد جيد عن ابن مسعود مثله موقفاً ونجوع ما ذكرنا هنا يرجح تفسير المعيشة الضنكى بعذاب القبر وعنه قال بالسقاء وقيل هو الزقوم والضرب والغسلين في النار وقيل هو الحزام والكتف الخنث والاول أولى وقال ابن جرير يسلبه القناعة حتى لا يشبع وقيل الخفاة في المعصية وان كان في رخاء ونعته قاله الرازي أو المراد به عيشته في جهنم وما تقرر أنه لا مردان يقال نحن نرى المعرضين عن الايمان في خصب معيشة (ومحشرهم) أي المعرض عن القرآن (يوم القيامة أعني) أي أسلوب البصر وهو كقولهم ومحشرهم يوم القيامة على وجوههم عما قال النبي وهو الوجه وقيل المراد العمى عن النجاة وقيل أعني عن جهات الخير لا يمدى إلى شيء منها وقال بكرمة عن عليه كل شيء الا جهنم وفي لفظ لا يصير الا النار (قال) بلم محشر تنى أعني وقد كنت بصيرا في الدنيا وعند البعث (قال كذلك) أي مثل

التي صلى الله عليه وسلم في حزن ودموع كئي علي عسيب اذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض ساءوا من الروح فقال مارا بكم اليه وقال بعضهم لا يستقبلكم شيء تذكرونه فقالوا ساءوا فسالوه عن الزوج فاستل النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير عليهم شيئا فعملت انه يوشى اليه فقامت مقامى فلما نزل الوحي قال ويستمعونك عن الروح قل الروح من امر ربي الآية وهذا السياق يقتضى فيما يظهر من الراى ان هذه الآية قد نسيه وانما انما عزلت حين ساء اليه ودعن ذلك بالمدينة مع ان السورة كلها المكيدة وقد يجاب

عن هذا الباب قد تكون نزلت عليه ما أمدت من ثمانية كما رثت عليه بمكة قبل ذلك وأنه نزل عليه الوحى بأنه يحبهم عسا الله الأتية
المتقدم انزالها عليه وحى هذه الآية ويستلخ من الروح ومعايد على نزول هذه الآية بمكة ما دلل امام أحمد
حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن حكيم عن ابن عباس قال قالت خريش لم يردوا عطاءه أنسأل عنه هذا الرجل
ففسأوا عنه عن الروح فسألوه فقلت ويستلخ من الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيت من العلم الا قليلا قالوا وتبت علما
كثيرا أوتينا السراد من أوى التوراة (١٠٢) فقد أوى خيرا كثيرا قال وأمر الله قل لو كان اليمرداد الكلمات ربي

قَدْ نَعَلْتَ أَتْ أَوَّالَ كَرْدِكَ تَهْمُ قَسْرَهُ جَوَلَهُ (اتَّسَدَ لِيَا تَنَا فَنَسِيْتَهَا) أَيْ أَعْرَضَتْ عَنْهَا وَتَرَكْتَهَا وَلَمْ تَنْظُرْ فِيهَا (وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ) أَيْ مِثْلُ ذَلِكَ الْفَيَاسِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ فِي الدُّنْيَا (نَسَى) أَيْ تَرَكَّ فِي الْعَمَى وَأَنَارَ وَقِيلَ نَسَا عَنْ الْخَيْرِ وَالْبِرَّةِ وَارْتَجَعُوا بِمِنْوَانِ الْعَذَابِ فِي النَّارِ قَانَ الْقَرَاءَ يُقَالُ انْتَبِجَ بَصِيرًا مِنْ قَبْرِهِ يَعْنِي فِي حَشَرِهِ (وَكَذَلِكَ) أَيْ مِثْلُ ذَلِكَ الْخِزَاءِ (يُجْزَى مِنْ أَسْرَفٍ) الْأَسْرَافُ الْأَنْهَاءُ فِي الشَّهَوَاتِ وَقِيلَ الشَّرْكُ بِاللَّهِ فَالْمُسْفِينِ (وَلَمْ يُوَسَّ بِأَيَاتِهِ) بَلْ كَذَبَ بِهَا (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ) أَيْ أَقْطَعُ مِنَ الْمَعِيشَةِ النَّصِي (وَأَبْنَى) أَيْ أَدْوَمُ وَأَثْبَتُ لِأَنَّهُ لَا يَنْقُطُ (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمُ) الْاسْتِغْنَاءَ لِلتَّقَرُّبِ وَالتَّوْبِخِ وَقُرَى بِالْوَنِّ وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا وَاضِعٌ وَالْجَمَلَةُ مُسْتَأْنَفَةٌ لِقَرَرِ بِمَا قَبْلُهَا (كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ) قَالَ الْقِفَالُ جَعَلَ كَثْرَةَ مَا أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِثَالًا لَهُمْ قَالَ النَّحَّاسُ وَهَذَا خَطَأٌ لِأَنَّهُ اسْتِغْنَاءٌ فَلَا يَجْعَلُ فِيهَا مَاقِبِلًا وَقَالَ الرَّجَّاحُ الْمَعْنَى أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمُ الْأَمْرَ بِإِعْلَانِ كَمِ أَهْلَكْنَا وَوَحْشِيَّتِهِ تَدُلُّ عَلَى الْهَدْيِ فَالْفَاعِلُ هُوَ الْهَدْيُ وَقِيلَ الْفَاعِلُ ضَمِيرُ اللَّهِ وَالرَّسُولُ أَوَّلُ الْقُرْآنِ وَالْجَمَلُ تَبَعُهُ تَفْسِيرُهُ وَمَعْنَى الْآيَةِ عَلَى مَا هُوَ الظَّاهِرُ أَفَلَمْ يَتَيْنِ لَأَهْلِ مَكَّةَ خَبْرًا مِنْ أَهْلِ كَقَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ حَالِ كَوْنِ تِلْكَ الْقُرُونِ (يَحْشُونَ فِي مَا كُنْتُمْ) وَيَقْبَلُونَ فِي دِيَارِهِمْ فَيَعْتَبِرُونَ بِهَا هَذَا الْإِعْلَانُ فَيَرْجِعُونَ عَنْ تَكْذِيبِ الرِّسُولِ أَوْ حَالِ كَوْنِ هَؤُلَاءِ يَحْشُونَ فِي مَا كُنْتُمْ الْقُرُونِ الَّذِينَ أَهْلَكْنَا عَنْكُمْ عِنْدَ رُؤُوسِهِمْ التَّجَارَةَ وَطَلَبَ الْمَعِيشَةَ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا فَيُرُونَ بِلَادَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ خَاطِبَةً خَاطِبَةً مِنْ أَصْحَابِ الْحَجَرِ وَهُوَ دَقْرَى قَوْمُ لُوطَ فَإِنَّ ذَلِكَ بِمَا يُوجِبُ اعْتِبَارَهُمْ لَأَيِّحِلَّ بِهِمْ مِثْلَ مَا حَلَّ بِأُولَئِكَ (إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَأْتِ) أَيْ لَعَسَا (لَا تَوَلَّى الْهَيْئَةَ) تَعْلِيلٌ لِلانْكَارِ وَتَقَرُّرٌ لِلْيَدَايَةِ وَالْإِشَارَةِ إِلَى مَضْمُونِ كَمْ أَهْلَكْنَا وَتَوَلَّى الْهَيْئَةَ خِيَمَةُ وَهِيَ الْعَقْلُ أَيْ لَذَى الْعُقُولِ الَّتِي تَنْهَى أَرْبَابَهَا عَنِ الْقَبِيحِ (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) أَيْ الْكَلِمَةُ السَّابِقَةُ وَهِيَ وَعْدُ اللَّهِ سَجَانَهُ بِتَأْخِيرِ عَذَابِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ (لَكَانَ) عِقَابُ ذُنُوبِهِمْ (إِذَا مَا) أَيْ لِأَزْمَانِهِمْ فِي الدُّنْيَا لَا يَنْفَكُ عَنْهُمْ بِحَالٍ وَلَا يَتَأَخَّرُ كِلَا زَمَنِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ وَالْزَّامِ مُصْدَرٌ لِزَمٍّ (وَأَجَلٌ مُسَمًّى) مُعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ كَلِمَةٌ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَوْ يَوْمُ بَدْرِ وَيَجُوزُ عَطْفُ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَرْتَفَى كَانَ الْعَائِدُ إِلَى الْإِخْذِ

لنفس البحر الآية وقد روى ابن جرير
عن محمد بن المنخني عن عبد الله
عن داود عن عكرمة قال سأل أهل
الكتاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن الروح فأمر الله وسئلوا
عن الروح الآية فقالوا نعم آتاهم
نور من العلم الا قليلا وقد أتينا
التوراة وهي الحكمة ومن يؤت
الحكمة فقد أتى خيرا كثيرا قال
فسنزلت ولأن ما في الأرض من
شجرة أقلام والبحر عيده من بعده
سعة أبحر الآية قال ما أوتيتم من
علم فحباكم الله به من النار فهو كثير
طيب وهو في علم الله قليل وقال
محمد بن اسحق عن بعض أصحابه
عن عطاء بن يسار قال نزلت بحكمة
وسأوتهم من العلم الا قليلا فما أجاز
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
المدينة أتاه أجازهمود وقالوا
بالحمد ألم يبلغنا ان تقول وما أوتيتم
من العلم الا قليلا أفنعيننا أم نعيت
قومك فقال كلا قد نعيت فقالوا
انك تسألونا ما أتينا التوراة وفيها
تيان كل شيء فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى في علم الله قليل
وقد آتاكم الله ما ان علمتم به اتفهم

وأُتِلَ اللهُ وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٍ وَالْبَحْرُ عِدَّةٌ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ آفَاجٍ مَا نَفَقْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ
حَكِيمٌ وَقَدْ اخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي الْمَرَادِ بِالْأَرْوَاحِ هَيْتَانِ عَلَى أَقْوَالٍ أَحَدُهَا أَنَّ الْمَرَادَ أَرْوَاحَ بَنِي آدَمَ قَالَ الْعَوْفِيُّ عَنْ أَبِي عُبَيْسٍ فِي قَوْلِهِ
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ الْآيَةَ وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّاسِيَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا عَنْ الرُّوحِ وَكَيْفَ تَعَذِّبُ الرُّوحَ الَّتِي فِي الْجَسَدِ
وَإِنَّمَا الرُّوحُ مِنَ اللَّهِ وَلَمْ يَكُنْ نَزَلَ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٌ فَلَمْ يَجِرْ إِلَيْهِمْ شَيْئاً فَأَنَّا جَبَرِيلُ قَالَ لَهُ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ
إِلَّا قَلِيلاً فَاجْبِرْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَقَالُوا مَنْ جَاءَهُ بِهَذَا قَالَ جِبْرَائِيلُ يَجْبِرُ بِلِمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَقَالُوا وَهَلَّا قَالَهُ لَكَ الْأَعْدُوْنَ

فانزل الله قبل من كان عدوا للجبريل فانه نزل على قلبك يا ذن الله صسد قالمابن يديه وقيل المراد بالروح ههنا جبريل قاله قتادة قال وكان ابن عباس بكتمه وقيل المراد به ههنا ملائكة عظيم بقدر الخلوقات كلها قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله ويسئلونك عن الروح حتى يقول الروح ملك وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري حدثنا وهب الله بن روق بن خبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الاوزاعي حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ملك كل وقل له اتقوا السموات السبع والارضين بالقامة واحدة لفعل تسبيحه (١٠٣) سبحانك حيث كنت وهذا حديث غريب بل منكر وقال ابو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني علي بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال في قوله ويسئلونك عن الروح قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يبعث الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطهر مع الملائكة الى يوم القيامة وهذا أثر غريب عجيب والله اعلم وقال السهيلي روى عن علي بن ابي طالب هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلغات مختلفة قال السهيلي وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة يعلى صور بن آدم وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبي آدم وقوله قل الروح من امر ربي أي من شأنه ومما استأثر بعله دونكم ولهذا قال وما أوتيتم من

المفهوم من السياق أي لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لزمين لعدا وغود وفيه تعسف ظاهر قال ابن عباس هذا من معاديب الكلام يقول لولا كلمة وأجل مسمى لكان لازما أي موتا وعن السدي نحوه وعن مجاهد قال الاجل المسمى الكلمة التي سبقت ثم لما بين الله سبحانه انه لا يهلكهم بعذاب الاستئصال امره بالبرق فقال افاضل على ما يقولون من انك ساحر كذاب شاعر كاهن ونحو ذلك من مطاعنهم الباطلة والمعنى لا تحتفل بهم فان اعدائهم وقتلهم مضروبا لا يتقدم ولا يتأخر وانهم معدون للحالة فتسئل واصبر وقيل هذا منسوخ باية القتال وقيل انها محكمة قال الشهاب الفاء سيية والمراد بالصبر عدم الاضطراب لمصادر عنهم لا ترك القتال حتى تكون الآية منسوخة (وسبح بحمده ربك) أي تسبى تسبيحه قال أكثر المفسرين والمراد الصلوات الخمس كما يفهمه قوله (قبل طلوع الشمس) فانه إشارة الى صلاة الفجر (وقبل غروبها) فانه إشارة الى صلاة العصر وفي صحيح مسلم روى عن ابي داود والنسائي عن عمارة بن زوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان يلم النار احدث لي قبل طلوع الشمس وقبل غروبها (ومن آنا الليل) العفة والمراد بالآنا الساعات وهي جمع انا بالكسر والقصر وهو الساعة ومعنى (فسيح) فصل المغرب والعشاء والثناء اما عطفة على مقدرا وواقعة في جواب شرط مقدرا وازادة قال ابن عباس هي الصلاة المكتوبة وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جرير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا وقرأ هذه الآية (وأطراف النهار) أي في طرفي نصفه أي في الوقت الذي يجمع الطرفين وهو وقت الزوال فهو نهاية للنصف الاول وبداية للنصف الثاني والمراد صلاة الظهر لان الظهر في آخر طرف النهار الاول واول طرف النهار الآخر وقبل ان الاشارة الى صلاة الظهر هي بقوله وقبل غروبها لانها هي وصلاة العصر قبل غروبها وقيل المراد بالآية صلاة التطوع ولوقيل ليس في الآية اشارة الى الصلاة بل المراد التسبيح في هذه الاوقات أي قول القائل سبحان الله لم يكن ذلك بعيدا من الصواب والتسبيح وان كان يطان على الصلاة لكنه مجاز والحقيقة أولى الاقرنة تصرف ذلك الى المعنى المجازي وجمع الاطراف وهما طرفان لا من الالتباس (لعلك ترضى) أي سبيح في

العلم الا قليلا أي وما أطلعكم من علم الاعلى القليل فانه لا يحيط بأحد بشئ من علم الاجشاء تبارك وتعالى وسماي أن شاء الله في قصة موسى والخضر ان الخضر نظر الى عصفور وقع على حافة السقينة فقتر في الحفرة أي شرب منه بمنقارة فقال يا موسى ما على وعلما وعلم الخلاق في علم الله الا كما أخذ هذا العصفور من هذا الجرو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا وقال السهيلي قال بعض الناس ليبيحهم عباسا والوا انهم سألوا على وجه التعنت وقيل اجابهم وعول السهيلي على ان المراد بقوله قل الروح من امر ربي أي من شأنه وقدم علم ذلك لانه لا سبيل الى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وانما يسأل من جهة الشرع وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر والله أعلم ثم ذكر السهيلي الخلاف بين العلماء

في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرروا ثم اذات لطيفة كذا وما يدبر في الجسد كسريان المله في عروق الشجر وقرروا أن الروح التي
 يتغذى الملائكة في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالجسد وانكسارها إلى جبه صلات مدح أو دم فيقي اما نفس مطبوعة أو أمارة
 بالسوء قال كان المله ذو حمية الشجر ثم كسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فإذا اتصل بالعبية وعصر منها اصدارا ماضيا
 أو خورا لا يقال له ما حبيته الا على سبيل انجاز وكذا لا يقال للنفس روح الا على هذا النحو وكذا لا يقال الروح تنس الابعاد
 ما نزل اليه فاحاصل ما نقول ان الروح هي (١٠٤) أصل النفس وما دلتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالجسد فيقي هي

هذه الاوقات رجاء ان تنال عند الله سبحانه ما ترضى به نفسك من الثواب هذا على قراءة
 الجهور وقرى ترضى بضم التاء أى يرضى ربك وتعطى ما يرضىك (ولا تغدن) أى لا تظن
 نظر (عينين) بطريق الرغبة والميل (الى ما ستغنيه) أى لنفذا فالاستماع والتسبيح
 معناه الاتساق في الملة (أزواجهم) مد النظر تطويله وان لا يكابرده استحسانا
 لا منظور اليه وبجبابه وفيه ان النظر الغير المبدوء مدعونه وذلك ان يدير اني
 بالنظر ثم بغض الطرف ولقد شد المتقون في وجوب غض البصر عن أبنيه لظلمة وعدو
 انسقة في ملابسهم ومراكمهم حتى قال الحسن لا تنظر الى دورقة (١) همالج العنقة
 ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرقاب وهذا انهم اتخذوا هذه الاشياء
 ليعين النظارة فلناظر لها يحصل لغرضهم ومغفر لهم على اتخاذها وقد تقدم تفسير هذه
 الآية في آخر (زهره اخية الدنيا) أى زينتها وبهجتها واللباس وغيره وقرى زهرة بفتح
 الهاء وهو نور النبات وذكر السمين في نصبه تسعة أوجه وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي
 سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم ما يضح الله
 لكم من زهرة الدنيا قالوا وما زهرة الدنيا رسول الله قال ربك الارض (لننتهم فيه) أى
 لنجعل ذلك فتنة لهم وضلالة ابتلاء من الله كقوله تاجعنا ما عني الارض رزقنا لها لعلهم
 وقيل لننتهم في الآخرة وقيل لنشد عليهم في التكليف وقيل أزيد لهم النعمة
 فيزيدوا بذلك كفرا وطمعانا (ورزق ربك) أى ثواب الله في أخنة وما نزل لصالحه
 عباد في الآخرة (خير) مما رزقهم في الدنيا على كل حال وأيضا فان ذلك لا يقطع وهذا
 ينقطع وهو معنى (وأبني) وقيل المراد بهذا الرزق ما يفتح الله على المؤمنين من الغنائم
 ونحوها والاولى أولى لان الخير به المحقة والدوام الذي لا يقطع انما يتحققان في رزق
 الاخرى لا الدنيا وان كان حلالا طيبا قال تعالى ما عندكم تفسد وما عندنا باق
 عن أبي رافع قال أضاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضيفا ولم يكن عند النبي ما يصلحه
 فارتضى الخرج من اليهود أن يعنا وأسلفنا دققا الى حلال رجب فقتل لا لابرهن
 فأنبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاخبرته فقال ما أوفاه الله اني لأؤمن في الدنيا آمين
 في الارض ولئن أسلفني أو بأني لأديت اليه اذهب بدرى الحذر فلم أخرج من عنده حتى
 زلت هذه الآية كذا يعز به عن الدنيا أخرجه البراء وأبو يعنى وابن أبي شيبة وغيرهم

من وجهه لامن كل وجهه وهذا معنى
 حسن والله اعلم قلب وقد تكلم
 الياس في ماهية الروح وأحكامها
 وصنعوا في ذلك كتابا ومن احسن
 من تكلم على ذلك الحافظ من هذه
 في كتابه معناه في الروح (ولئن شئنا
 لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد
 لك به علما وكلا الاربع من ربك
 ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن
 احييت الانس والجن على أن ياتوا
 بمثل هذا القرآن لا يأتوا بمثله ولو كان
 بعضهم لبعض ظهيراً ولقد صرنا
 للناس في هذا القرآن من كل مثل
 فأتى أكثر الناس الا كفورا) يذكر
 تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده
 ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم
 فيما أوحاه اليه من القرآن المجيد
 الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه
 ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
 قال ابن مسعود رضى الله عنه
 يطرق الناموس جحرا يعنى في آخر
 الزمان من قبل السام فلا يبق في
 وجهه رجل ولا في قلبه آية ثم قرأ
 ابن مسعود ولئن شئنا لنذهبن بالذي
 اوحينا اليك الآية ثم نبه تعالى على
 شرف هذا القرآن العظيم فاخبرناه

لواجبة الانس والجن فكيف وانفقوا على أن يأتوا بمثل ما نزل على رسولهم اطاوا ذلك ولما استعاذوا
 ولونعانونا وتساعدوا وظفروا فان هذا أمر لا يستطيع وكيف يشبه كلام المؤمنين كلام الخالق الذي لا تشبهه ولا مثاله ولا
 عدله وقد روى محمد بن اسحق عن محمد بن ابي محمد عن سعيد بن جبيرة وعكرمة عن ابن عباس ان هذه الآية تزل في نفوس اليهود
 جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اننا نيك بمثل ما جئت به فأنزل الله هذه الآية وفي هذا انظر لان هذه السورة مكية
 (١) الدقة حكاية أصوات حوافر الدواب مثل الطلقة اذ صحاح (٢) الهاء من البراذين واحدا الهماليج وشيئا
 الهمالجة فإيرى معرب اذ صحاح

وسياقها كله مع قريش واليهود انما اجتمعوا به في المدينة فالتفت اليهم وقالوا له يا ايها النبي انما نرى جود الحق وردنا الصواب (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) وتكون لك الجنة من نخيل وجنات ونسبحك في الامم اذ خلاها تغييرا أو نطق السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالثقلين أو تكون لك بيت من زخرف أو ترفق في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا قال ابن جرير حدثنا أبو بكر بن محمد بن عمرو بن نيسابور حدثنا محمد بن اسحق حدثني

شيخ من أهل مصر قدم من ذبذبع وأربعين سنة عن عكرمة بن ابن عباس ان عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلان من بني عبد الدار وأبا الجحدي أخا بني أسد والأسود بن المطلب بن أسد وجمعة ابن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأميمة بن خثف والعاص ابن وائل ونبيهة ومنها ابني الجراح السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلهم هو وخاصة حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشرف قومك فذا جتمعوا اليك ليلكمولك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سر به وهو يظن انه قد بدى لهم في أمره فادعوا كلهم حر يصاحبهم ويعز عليه عنهم حتى جلس اليهم فقالوا يا محمد اننا قد بعثنا اليك لتعذربك واننا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومك ما أدخلت على قومك لقد شققت الالباء وعبت الدين وسفقت الاسلام وشقت الالمة وفرفت الجماعة فابق من قبيل الاوقد جئته

(وأمر أهالك) المراد بهم أهل بيته وقيل جميع امته ولم يذكر ههنا الامر من الله (بالصلاة) بل قصر الامر على اهلها ما يكون اقامته لها امر معلوما او يكون امر بها قد تقدم في قوله وسبح محمد بك الخ او يكون امره بالامر لاهل امره ولهذا قال (واصطر عليها) اي اصبر على محافظتها الصلاة فانها انتهت عن الفحشاء والمنكر ولا تستغل عنها بشئ من امور الدنيا وقيل اصبر عليها فاعلا فان الوعظ بلسان النعل يبلغ منه بلسان القول اخرج ابن الجار وابن عساکروا بن مردويه عن ابني سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجي الى باب علي صلاة الغداة ثمانية اشهر يقول الصلاة فحكم الله انما يريد الله ليهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وأخرج أحمد والبيهقي وغيرهما عن ثابت قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا اصابك أهلة خاصة نادى أهله يا أهله صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبياء اذ نزل بهم امر فزعو الى الصلاة وعن عبد الله بن سلام قال السيموطي بسند صحيح قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزلت بأهله شدة وأوصى أمرهم بالصلاة وقرأ وأمر أهالك بالصلاة الآية وكان عروة بن الزبير اذا رأى ما عند السلطين قرأ هذه الآية ثم نادى الصلاة الصلاة فحكم الله وكان يكرن بن عبد الله المنزلي اذا اصاب أهله خاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله رسوله وعن مالك ابن دينار منته (لانسالك زرقا) أي لا تكلفن ان ترزق نفسك ولا أهلك وتستغل بذلك عن الصلاة (نحن نرزقك) وزرقهم (والعاقبة) المحمودة وهي الجنة (للتقوى) أي لاهل التقوى على حذف المضاف كما قال الاخفش وفيه دليل على ان التقوى هي ملاك الامر وعليها تدور وائر الخبير (وقالوا) أي قال كفار مكة (ولولا هلا) (يا ثانيا) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (يا يقين) آيات (ربه) كما كان يأتي بها من قبله من الانبياء وذلك كالناقة والعصا والمعنى هلا يا نبيا آية من الآيات التي قد اقترحتها عليه فاجاب الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله (أولم تأتاهم بينة ما في الصحف الأولى) يريد بها التوراة والانجيل والزبور وسائر الكتب المنزلة وفيها التصريح بنبوته والتبشير به وذلك يكفي فان هذه الكتب المنزلة هم معترفون بصحتها وصحتها وفيها ما يدفع انكارهم لنبوته ويطل تعنتهم وتعتقاتهم وقيل المعنى أولم تأتاهم اهلا كالألأم الذين

(١٤ - فتح البيان سادس) فما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث فطلب به ما لا جرم الاك من أموالنا حتى تكون أكثرنا ما لا وان كنت انما تطلب الشرف فيما سوت ذلك علينا وان كنت تريد ملكا ملكا ذلك علينا وان كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك ريثما تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرقي فرما كان ذلك بذنا أموالنا في طلب الطب حتى نرى نرك مناه ونعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أهلك ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم نبيا وبشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالاتي ونبئتكم فان تقبلوا مني

ما جئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسلموا فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق منا بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فاسأل لاريك الذي بعدك بما يعثرك به فليسبر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليسط لنا بلادنا وليغير فيها أنهارا كما أنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا ولكن قين يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صادقا فسألهم عما تقول حتى هوأم باطل فان صنعت (١٠٦) ما سألتك أو صدقوك صدقتك وعرفنا به منزلتك عند الله

وأنه بعدك رسولا كما تقول فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت انما جئتمكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتمكم ما أرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فان لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فقل ربك ان يبعث ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وتساله فيجعل لك جنات أو كوزا وقصورا من ذهب وفضة يغنيك بها عما تركت تبغى فانك تقسم بالأسواق وتلبس المعاش كما تلبسه حتى تعرف فضل منزلتك من ربك ان كنت رسولا كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفعل ما أنا بالذي يسأل ربك به هذا وما بعث اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء ففعل ذلك فانال نؤمن لك الان تفعل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كفروا واقتربوا الآيات فاثبتهم ان اتهم الآيات التي اقترحوها ان يكون حالهم كحالهم وقيل المراد أول تأتهم آية هي من الآيات وأعظمها في باب الإعجاز معنى القرآن فإنه برهان لما في سائر الكتب المتزلة فالو اعاطفة على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل ألم تأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى تقرير آياتنا وما إذا تابنا من الوضوح بحيث لا يأتي معه انكار أصلا قرئ أولم تأتهم بالتحية لان معنى البينة البيان والبرهان (ولولنا أهلكناهم) مستأنفة سقت لتقرير ما قبلها (بعذاب من قبله) أي من قبل بعثة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو من قبل آيات البينة بنزول القرآن (لقالوا) يوم القيامة أي لكان لهم ان يحتجوا ويتعللوا بقولهم (ربنا لولا) هلا (أرسلت اليك رسولا في الدنيا فتنبع آياتك) اللاتي يأتي بها الرسول (من قبل ان نذل) بالعذاب والهوان في الدنيا (ونحزى) بدخول النار وقرئ نذل ونحزى على البناء للمفعول وقد قطع الله معذرة هؤلاء الكفرة بتارسال الرسول اليهم قبل اهلاكهم ولهذا حكى الله عنهم انهم قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مازل الله من شيء (قل) لهم يا محمد (كل) أي كل واحد منا ومنكم (متر بص) أي مشتطر لما يؤول اليه الامر (فتربصوا) أنتم (فتستعملون) عن قريب (من أصحاب الصراط السوي) أي الطريق المستقيم (ومن اهدى) من الضلالة ونزع عن الغواية اخن أم أنتم قال النحاس والفراء نذهب الى ان معنى من أصحاب الصراط السوي من لم يضل ومعنى من اهدى من ضل ثم اهدى ومن في الموضعين استفهامية أو موصولة

(سورة الانبياء مكية قال القرطبي في قول الجميع وهي مائة واحد أو اثنتا عشرة آية) *

وسميت بذلك لذكر قصص الانبياء فيها وأخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال بنو اسرائيل والكهف وعرهم والانبياء من العتاق الاول وهن من تلادى وعن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مشواه وكلهم فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه الرجل فقال اني استقطعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واديا ما في دار العرب واد أفضل منه وقد أردت ان أقطع اليك قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عامر لا حاجة لي في قطعك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدينار يده هذا السورة

ذلك الى الله ان شاء فعل بكم ذلك فقالوا يا محمد ما علم ربك انما يجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب (بسم) منك ما نطلب فيقدم اليك ما تر اجماعنا به ويحجرك ما هو صانع في ذلك بنا اذا لم تقبل منك ما جئتنا به فقد بلغنا انه انما يعلم هذا الرجل بالجملة فقال له الرحمن وان الله لا تؤمن بالرحن أبد افسد أعذرنا اليك يا محمد أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نتركك أو تهلكا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي نبات الله وقال قائلهم ان تؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته عاتكة ابنة

عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم يقبله منهم ثم سألوكم لافسهم امورا العرفوا بها منزلت من الله فلم تفعل ذلك
ثم سألوكم ان تجعل لهم ما تخوفهم به من العذاب فوالله لاؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سبيلا ثم قرى فيه وانما انظر حتى تأتوا واتي
معك بحقيقة منسوبة ومعك أربع من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول واما الله فوعلت ذلك لظننت اني لا أصدق ثم انصرف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حتى ناسفوا لما فاته مما كان طمع فيه من قومه
حين دعوه ولما رأى من مبعادتهم ايامه وهكذا واهز يادين عبد الله البكائي (١٠٧) عن ابن اسحق حدثني بعض

أهل العلم عن سعيدين جبير
وعكرمة عن ابن عباس فذكر كرمه
سواء وهذا المجلس الذي اجتمع
هو لاهل لعلم الله منهم انهم يسألون
ذلك استرشادا لا حبسا والله ولكن
علم انهم انما يطالبون ذلك كفرا
وعنادا فقل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان شئت أعطيناهم
ماسألوا فان كفروا عذبتهم عذابا
لا عذبه أحد من العالمين وان
شئت فتحت عليهم باب التوبة
والرحمة فقال بل فتحت عليهم باب
التوبة والرحمة كما تقدم ذلك في
حديثي ابن عباس والزبير بن العوام
أيضا عند قوله تعالى وما منعنا ان
نرسل بالآيات الا ان كان
بها الاولون وآتينا نوح الساقة
مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات
الا تخويفا وقال تعالى وقالوا
ما لهذا الرسول يا كل الطعام
وعيشي في الاسواق لولا أنزل اليه
ملك فيكون معه نذرا أو يلقى اليه
كز أو تكون له جنسيا كل منها
وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا
مجحورا افنظر كيف ضربوا لك
الامثال فضلوا فلا يستطيعون

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقرب للناس حسابهم) يقال قرب الشيء واقترب قال الزجاج المعنى اقرب لهم وقت
حسابهم أي القيامة كما في قوله اقربت الساعة وتقديم للناس على الحساب لادخال
الروعة ومعنى اقتراب الحساب دنوه منهم لانه في كل ساعة اقرب اليهم من الساعة التي قبلها
وقيل لان كل ما هو اقرب ويب وانما البعيد ما انقضى وموت كل انسان قيام
ساعته والقيامة أيضا قريبة بالاضافة الى ماضى من الزمان فابقي من الدنيا أقل مما مضى
ولما راد بالناس الغدوم وقيل المشركون مطلقا وقيل كفار مكة وعلى هذا الوجه قيل
المراد بالحساب عذابهم يوم بدر (وهي في غفلة) عن حسابهم وعما يفعل بهم في الدنيا
(معرضون) عن الآخرة غير متأهبين لما يجب عليهم من الايمان بالله والقيام بفرائضه
والانزجار عن مناهيه أخرج النسائي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في
الآية قال في الدنيا وأخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال من أجز الدنيا (ما يأتهم من ذكر من ربه يوم يحدث) لتعيل لما قبله ومن لا يتدأ
الغاية أو زائدة وقد استدل بوقف الذكر بكونه محذورا على ان لفظ القرآن محذوف لان
الذكر هنا هو القرآن وأوجب بانه لا نزاع في حدوث المركب من الاصوات والحروف لانه
متجدد في النزول ولا خلاف في حدوثها فالمعنى يحدث تنزيلا وانما النزاع في الكلام
النفسي وهذه المسئلة اعني قدم القرآن وحدوده قد اتى بها كثير من أهل العلم
والفضل في الدولة المأمونية والمعصية والواقعة وجرى للامام أجدين حنبل ماجرى
من الضرب الشديد والخس الطويل وضرب بسبيها عن محمد بن نصر الخزاعي وصارت
قننة عظيمة في ذلك الوقت وما بعده والقصة أشهر من ان تذكر ومن أحب الوقوف على
حقيقتها طالع ترجمة الامام أجدين حنبل في كتاب التساليل مؤرخ الاسلام الذهبي ولقد
أصاب أمة السنة بامتناعهم من الاجابة الى القول بخلق القرآن وحدوده وحفظ الله بهم
أمة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن الابتداء ولكنهم رجعهم الله جاوزوا ذلك الجزم
بقدمه ولم يقتصروا على ذلك حتى كفر وامن قال ما حدث بل جاوزوا ذلك الى تكفير من
قال لفظي بالقرآن مخلق بل جاوزوا ذلك الى تكفير من وقف وليتهم لم يجاوزوا حد
الوقف وارجاع العلم الى اعلام الغيوب فانه لم يسمع من السلف الصالح من الصحابة

سبيلا تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا بل كذبوا بالساعة وعندنا لمن
كذب بالساعة سعيرا وقوله تعالى حتى تقبلنا من الارض ينبوعا ينبوع العين الحار ية سألوه ان يجري لهم عيوننا معينا في أرض
الجزاهمنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسير لوشاء لفعلاه ولا جبرهم الى جميع ماسألوا وطلبوا ولكن علم انهم لا يمتدنون كما قال تعالى
ان الذين حقت عليهم كل كفر بل لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم وقال تعالى ولو أنزلنا اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشرنا عليهم كل شيء ثلما لا كانوا يؤمنوا الآية وقوله تعالى أو تسقط السماء كما زعمت أي انت وعدتنا ان يوم القيامة
تنشق فيه السماء وترسى وتبدل أطرافها فجل ذلك في الدنيا واسقطها كسفا فأى قطعا كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من

عندك فأمطر علينا بحجارة من السماء الآية وكذلك قال قوم شعيب من فقالوا امقط علينا سكسفا من السماء ان كنت من الصادقين فما قطع الله عذاب يوم القالة انه كان عذاب يوم عظيم وأما نبي الرحمة ونبي التوبة المبعوث رحمة للعالمين فقال انظروا لهم وتأجيلهم لعل الله ان يخرج من اصلاهم من بعد له لاشرك به شيئا وكذلك وقع فان من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية الذي تبع النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قال أسلم اسلاما تاما وأتاب الى الله عز وجل وقوله تعالى أو يكون لك بيت من زخرف (١٠٨) قال ابن عباس ومجاهد وقادة الذهب وكذلك هو في قرارة

والتابعين ومن بعدهم الى وقت قيام المحنة وظهور القول في هذه المسئلة شيء من الكلام ولا تهل عنهم كلمة في ذلك فكان لا يستأمن من الاجابة الى ما دعوا اليه والتسك بالذل الوقت وارجاع علم ذلك الى عالمه هو الطريقة المثل وفيه السلامة واخلاص من تكفير طوائف من عباد الله والامر لله سبحانه وقيل معنى الآية ان الله يحدث الامر بعد الامر فيقول الآية بعد الآية والسورة بعد السورة وفي وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيرهما من الامور والوقائع وعذ القبول كالاول وقيل الذكر المحدث ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينه سوى ما في القرآن والاول اولى (الاستعوم) من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره عن تكلمه استنسا مفرغ (وهم يلعبون) جلة حليته أي لا عين لا يتسبرون ولا يتعظرون والمعنى يستزبون به (لا حية قلوبهم) حال أيضا وما حالان مترادفان أو متداخلان فانه الزمخشري والمعنى ما يأتيهم من ذكر من ربهم يحدث في حال من الاحوال الا في حال الاستماع مع اللعب والاستهزاء ولادة القلب (وأسروا النجوى الذين ظالموا) كلام مستأنف سوق لبيان جناية خاصة اترحكا في جنائهم المعتادة والنجوى اسم من التاجي وهو لا يكون الاسرافعة المبالغة في الاخفاء بحيث لم يفهم أحد نتائجهم وسارتهم فقص لا ولا اجالا وانما قالوا ذلك لئلا يفسد مبادئ الشر والعناد وتهدم مقدمات الكيد والفساد وقد اختلف في محل الموصول على أقوال قال أبو عبيدة أسروا هانما من الضماد أي أخفوا كلامهم أو يجمعى اظهروه واعلوه (هل هذا) بدل من النجوى مفسر لها ومفعول مضمر وهل بمعنى الذي أي قالوا ما هذا الرسول (الابشر مثلكم) لا يتميز عنكم بشيء وما يأتي به حصر (أفتأون السحر) أي اذا كان بشر اسلمكم وكان الذي جاء به حيرا فكيف تسيرون اليه وتبغونه (وأنتم تبصرون) حال من فاعل تأون مقرر للانكار ومؤكدا للاستبعاد وقالوا ما ذكرنا على ما ثبت في اعتقادهم الزائع ان الرسول لا يكون الامساك وان كل ما يظهر على يد البشر يكون حيرا فاطلع الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ما تناجوا به وأمره ان يجيب عليهم فقال (قل ربي يعلم القول في السماء والارض) أي لا يخفى علي شيء مما يقال فيهم ما وفي مصاحف أهل الكوفة قال ربي أي قال محمد ربي بعين قيوه عالمنا جيت به قيل الاولى أرأى لانهم اسروا هذا القول فاطلع الله رسوله صلى الله

ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب أو ترى في السماء أي تصعد في سلم ونحن ننظر اليك ولن نقومن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه قال مجاهد أي مكتوب فيه الى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله فلا ين فلان تصح موضوعه عند رأسه وقوله تعالى قل سبحانه ربي هل كنت الا بشر ارسلنا أي سبحانه وتعالى وتقدس ان يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء ان شاء أجابكم الى ما سألتهم وان شاء ليحييكم وما أنا الا رسول اليكم أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم وقد نعت ذلك وأمركم فيما سألتهم الى الله عز وجل قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن اسحق حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى ابن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن أبي بصير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي عز وجل لي جعل لي بطيخة مكية ذهباً فقلت لا يارب ولكن اشبع يوما وأجوع يوما أو نحو ذلك فاذا جعت تضربت اليك

وذكر ترك واذا اشبعت حمدك وشكرتك ورواه الترمذي في الزهد عن يزيد بن نصر عن ابن المبارك به قوله عليه هذا حديث حسن وعلى بن يزيد يضعف في الحديث (وما منع الناس ان يؤمنوا اذا جاءهم الهدى الا ان قالوا آتت الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يشكون مطعونين لزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يقول تعالى وما منع الناس أي أكثرهم ان يؤمنوا ويتابعوا الرسل الاستعجاب بهم من بعثة البشر رسلا كما قال تعالى وقال تعالى ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قد قدم صدق عند ربهم وقال تعالى ذلك بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات

فَقَالُوا بُشِّرْهُمْ بِهَدْيِنَا الْآيَةَ وَقَالَ فِرْعَوْنُ وَمَلُوهُ أَتُؤْمِنُ لِبَشَرٍ مِنْ خَلْقِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَادُونَ وَكَذَلِكَ قَاتِ الْأُمَمُ لِرُسُلِهِمْ أَنْ تَتَمَّ الْأَشْرَ ثَلَاثُونَ يَدُونَ أَنْ تَصُدُّهُمْ عَنْ مَا كَانَ يُعْبَدُ آبَاؤُنَا وَقَاتُوا نَاسِطَانِ مَيِّينَ وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مِنْهُمَا عَلَى لُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ عِبَادَهُ أَفَلَا يَعْبَثُ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ مَنْ جُنُودُهُمْ لِيَقْفَهُوهُمَا وَفِيهِمْ مَوَانِمُهُ لَتَكْنُفُهُمْ مِنْ مَخَاطِبَتِهِ وَمَكَالَتِهِ وَلَوْ بَعَثَ إِلَى الْبَشَرِ رُسُلًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ لَمَا اسْتَطَاعُوا مُوَاجَهَتَهُ وَلَا اخْذَعْنَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَقَالَ تَعَالَى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ وَقَالَ تَعَالَى كَأَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا (١٠٩) مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

عليه وآله وسلم على ذلك وامره أن يقول لهم هذا قال الخناس والقراءتان صحيحتان
وهما بمنزلة آيتين (وهو السميع) لكل ما يسمع (العليم) بكل معلوم فيدخل في ذلك
ما سر وأدخولاً وأولياً (بل) للاستقلال من غرض إلى غرض آخر في المواضع الثلاثة
وهي بل قالوا وبلى افتراه وبلى هو شاعر كما ذكره ابن مالك في شرح كافيه من أنها لا تقع في
القرآن الأعلى هذا الوجه وسبقه إليه صاحب الوسط ووافق ابن الحاجب وهو الحق
(قالوا) الذي يأتي به من القرآن (اضغات احلام) أي اخلاط رآها في النوم قاله
الزجاج وقال القتيبي هي الرؤيا الكاذبة وقال الزبيدي الاضغات ما لم يكن له تأويل قال
قتادة أي دقل الاحلام انما هي رؤيا رآها يعني أباطيل وأهاويل رآها في النوم (بل افتراه)
حكي سبحانه اضرابهم عن قولهم اضغات أحلام أي بل قالوا افتراه واختلقه من تلقاء
نفسه من غير أن يكون له أصل ثم حكي عنهم انهم اضرابوا عن هذا وقالوا (بل هو شاعر)
وما أتى به من جنس الشعر أي كلام يخيل للسامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها
هذا هو المراد بالسعور هنا وفي هذا الاضراب منهم والتاون والتدأ اعظم دليل على انهم
جاهلون بحقيقة ما جاء به لا يدرون ما هو ولا يعرفون كنهه أو كانوا قد علموا انه حق وانهم من
عند الله ولكن أرادوا أن يدفعوه بالصدور يروه بكل جبر ومدر وهذا شأن من غلبته
الخيبة وقهره البرهان ثم بعد هذا كله قالوا (فليأتنا بآية) وهذا جواب شرط محذوف أي
ان لم يكن كما قلنا بل كان رسولاً من عند الله فليأتنا بآية اتينا بكائناً (كما أرسل الأولون)
أي مثل ما أرسل موسى بالعصا وغيرها وصالح بالناقة وكان سؤالهم هذا سؤال تعنت
لان الله سبحانه قد أعطاهم من الآيات ما يكفي ولو علم الله سبحانه انهم يؤمنون اذا أعطاهم
ما يقتضونه لا أعطاهم ذلك كما قال ولو علم الله فيهم خبر الاستعصام ولو استمعهم لتولوا
وهم معرضون قال الزجاج اقترحوا الآيات التي لا يقع معها مهال فقال الله سبحانه لهم
(ما آمنت قبلكم) أي قبل مشركي مكة (من) أهل (قرية أهل كها) أي أهل كاهلها
يتكذبهم أو أهل كها باهلا كاهلها وفيه بيان ان سنة الله في الامم السالفة ان المقتربين
اذا أعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا زال بهم عذاب الاستئصال لا محالة ومن مزينة
للتوكيد والمعنى ما آمنت قرية من القرى التي أهل كها بسبب اقتراحهم قبل هؤلاء
فكيف نعطيهم ما اقترحوا وهم أسوة من قبلهم (أفهم يؤمنون) الهمزة للتوبيخ

عن قصر في خلقه ونوره حكمه وانه لا يعقبه باء، من سده فلا مضل له ومن ضل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يهدونهم كما قال من هد الله فهو الموفق ومن ضل فلن تجد له وليا مرشدا وقوله وتحشرهم يوم القيامة على وجوههم قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا اسمعيل عن نعيم قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم قال الذي امشاهم على أرجلهم قادر أن يحشمهم على وجوههم وأخرجاه في الصدين وقال الامام أحمد أيضا حدثنا الوليد بن جميع القرشي عن أبيه عن أي الطفال عاصم بن واثله عن حذيفة بن أسيد قال قام أبو ذر فقال يا بني غفار قولوا لا تحلفوا فان الصادق

المصدق حدثني ان الناس يحشرون على ثلاثة اقواج فوج راكبين طامعين كاسين وفوج عيشون ويسعون وفوج تسبحهم
 الملائكة على وجوههم وتحشرونهم الى التارق قال قائل منهم هذا قد عرفناه ما قال الذين عيشون ويسعون قال بلى الله عز وجل
 الا فتعني الظاهر حتى لا يبقى ظهر حتى ان الرجل لتكون له الحديقة المحببة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها وقوله عيا
 أي لا يصبرون ويكبى يعني لا ينطقون وصلا لا يصبرون وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا يكبو عيا وصما
 عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج (١١٠) ما يحتاجون اليه ما واهم أي منقلبهم ومصرهم جهنم كما خبث قال ابن

والتوبيخ والمعنى ان لم تؤمن أمة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوا فكيف يؤمن
 هؤلاء اعطوا ما اقترحوا قال قتادة قال اهل مكة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم
 اذا كان ما تقول حقا ويسرك ان تؤمن من قول لنا الصناديق فانادجبر بل فقال ان شئت
 كان الذي سألت قومك ولكنه ان كان ثم يؤمنوا لم ينظروا وان شئت استأيت بقومك
 قال بل استأيت بقومى فانزل الله ما آمنت قبلهم الآية ثم اجاب الله سبحانه عن قولهم
 هل هذا الا بشر مثلكم بقوله (وما أرسلنا) أي لم نرسل (قبلك) الى الامم السالفة
 (الارجال) من البشر مخصوصين من افراد جنسك متأهلين للاضطفاء والارسال ولم
 نرسل اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في الارض الملائكة عيشون مطمئنين
 لنزلنا عليهم من السماء مثل كارسولا (فوحى اليهم) مستأنفة لبيان كيفية الارسال
 أو صفته لجالأى متضمنين بصفة الابعاء اليهم وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
 ثم أمرهم الله بان يسألوا اهل الذكر ان كانوا يسيحون هذا فقال (فاسألوا اهل الذكر)
 هم اهل الكتابين اليهود والنصارى (ان كنتم لاتعلمون) ان رسل الله من البشر
 فانهم لايجهلون ذلك ولا شكر ونهوان انكر وانوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 وتقدير الكلام ان كنتم لاتعلمون ماذا فاسألوا اهل الذكر وتوجيه الخطاب الى
 الكثرة لمكبهم واستنزاليهم عن رتبة التكبر وقد استدلل بالآية على ان التقليد جائز
 وهو خطأ ولو سلم لكان المعنى سؤالهم عن النصوص من الكتاب والسنة لاعن الراى
 الجب وليس التقليد الا قبول قول الغير دون حجة والمقلد اذا سأل اهل الذكر عن كتاب
 الله وسنة رسوله لم يكن مقلدا قال الرازى ومن الناس من قال المراد باهل الذكر اهل
 القرآن وهو بعيد لانهم كانوا طاعينين في القرآن وفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلما
 تعاقب كثير من الفقهاء هذه الآية في ان للعالمى ان يرجع الى قضا العلماء في ان للجهل
 ان ياخذ بقول مجتهد آخر فيعيد لان هذه الآية خطاب مشافهة وهي واردة في هذه
 الواقعة المخصوصة ومعلقة باليهود والنصارى على التعيين انتهت وقد قدمنا في سورة
 النحل ان سياق هذه الآية الكريمة يقيد ان المراد بها السؤال الخاص وبه يظهر لك ان
 هذه الآية دليل الاتباع لا دليل التقليد فارجع اليه وقد أوضح الشوكاني هذا في رسائل
 بسيطة منها القول المفيد في حكم التقليد وادب الطلب ومنتهى الارب وغيره في

عباس سكنت وقال مجاهد طفئت زندهام سعبا أي لهاها
 ووجعوا جرا كما قال فتوقوا فان
 تزيدكم الاعذاب (ذلك جزاؤهم بانهم
 كفروا باياتنا وقالوا ان هذا ككناظما
 ورفاتا انما يبعثون خلقا جديدا
 أولم ير ان الله الذى خلق السموات
 والارض قادر على ان يخلق مثلهم
 وجعل لهم اجدالار يب فيه فأى
 الظالمون الا كفورا يقول تعالى
 هذا الذى جازيناهم به من البعث
 على العمى والبكم والصم جزاؤهم
 الذى يستحقونه لانهم كذبوا باياتنا
 أى بالآيات والبراهين واستبعدوا وقوع
 البعث وقالوا ان هذا ككناظما ورفاتا
 أى بالآية فخرنا انما يبعثون خلقا
 جديدا أى بعد ما صرنا الى ما صرنا
 اليه من البلى والهلاكة والتفرق
 والذهاب فى الارض نعاد مرة ثانية
 فاحتج تعالى عليهم ونبههم على قدرته
 على ذلك بانه خلق السموات
 والارض فقد برهنته على اعادتهم
 أسهل من ذلك كما قال خلق
 السموات والارض أكبر من خلق
 الناس وقال أولم ير ان الله الذى
 خلق السموات والارض ولم يبع

يخلقهم بقادر على ان يحيى الموتى الآية وقال أليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو
 الخلاق العليم انما أمره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون الى آخر السورة وقال ههنا أولم ير ان الله الذى خلق السموات والارض
 قادر على ان يخلق مثلهم أى يوم القيامة بعيدا بآدمهم وينشئهم نشأة أخرى ويعيدهم كما بدأهم وقوله وجعل لهم اجدالار يب فيه أى
 جعل لاعادتهم وفاضتهم من قبورهم أجلام مضر وبامدة مقدرة لا بد من انتقضائها كما قال تعالى وما يؤخره الا لاجل معدود وقوله فأى
 الظالمون أى بعد قيام الساعة عليهم الا كفورا الاعاديا في باطلهم وضلالهم (قل لو انتم تعلمون خزان رحمة ربي اذا لامسكم

خشية الاتفاق وكان الانسان قتورا يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه قل لهم يا محمد لو انكم ايم الناس تملكون
التصرف في خزان الله لا مكسبتم خشية الاتفاق قال ابن عباس وقتادة أي الفقر أي خشية ان تذهبوا مع انهم لا تشرع ولا تتند
ابد الان هذا من طباعكم وسخاياكم ولهذا قال وكان الانسان قتورا قال ابن عباس وقتادة أي بخيلا منوعا وقال الله تعالى
أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نفيرا أي لو ان لهم نصيبا في ملك الله لما أعطوا احدا شيئا ولا مقدار نفير والله تعالى يصف
الانسان من حيث هو الامن وفقه الله وهذه فان الجبل والجزع (١١١) والهلع صفته كما قال تعالى ان الانسان

خلق هولوا اذا سمع الشر جزوعا
واذامسه الخير منوعا الا المصلين
ولهذا نظرا تركت في القرآن العزيز
وبدل هذا على كرمه وجوده
واحسنه وقد جاء في الصحيحين يد
الله ملا لا يغيضها نفقة سماء الليل
والنهار ارايت ما أنفق منذ خلق
السموات والارض فانه لم ينقص ما في
عيسه (ولقد انبأ موسى تسع آيات
بنات فاسأل بني اسرائيل ادعهم
فقال له فرعون اني لا ظنك يا موسى
مسجورا قال لقد علمت ما ترسل
هؤلاء الارب السموات والارض
بصا ورائي لا ظنك يا فرعون مشورا
فأراد ان يستفزهم من الارض
فاغرقاه ومن معه جميعا وقلنا ن
بعدهم في اسر اقبل اسكنوا الارض
فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم
لقينا) يخبر تعالى انه بعث موسى
بسمع آيات بنات وهي الدلائل
القاطعة على صحة نبوته وصدقها
أخبر به عن أرسله الى فرعون وهي
العصا واليد والسنين والبحر
والطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم آيات مفصلات
قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب

غير هائم لا فرغ سبحانه عن الجواب عن شبهتهم كذكون الرسل من جنس البشر فقال
(وما جعلناهم جسد الا بآ كاون الطعام) أي ان الرسل أسوة لسائر أفراد بني آدم في
حكم الطبيعة يا كاون كايأ و يشربون كاي شربون والجسد جسم الانسان والجنة
والملائكة قال الزجاج هو واحد بني عن جماعة أي وما جعلناهم ذوى أجساد غير
طاعمين (وما كانوا خالدين) بل يموتون كاي موت غيرهم من البشر في الدنيا وقد كانوا
يعتقدون ان الرسل لا يموتون فاجاب الله عليهم بهذا (ثم صدقناهم الوعد) أي أوحينا
اليهم ما أوحينا ثم أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بالجنات وما أهلاهم من كذبهم ولذا قال
سبحانه (فأنجيناهم ومن نشاء) من عبادنا المؤمنين الذين صدقوهم والمراد المجاوزهم من
العذاب وأهلاهم من كفر بالعذاب الدنيوي (وأهلكنا المسرفين) أي المجاوزين للحد في
الكفر والمعاصي وهم المشركون (لقد أنزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا) عظيم
الشان نزل به ان يعنى القرآن (فيه ذكركم) كلام مستأنف مسوق لتحقيق حقيقة
القرآن الذي ذكر في صدر السورة اعراضهم عما ياتهم منه والمراد بالذكر هنا الشرف أي
فيه شرفكم قاله ابن عباس كقوله وانه لا ذكر لك ولقومك أي فيه ما يوجب الشفاء عليكم
ليكونه بلسانكم نازلا بين أظهركم على لسان رسول منكم واشتهر بسبب لاشتهاركم
وجعل ذلك فيه مبالغة في سببته له وقيل أي ذكر أمر دينكم وأحكام شرعكم
وما تنصرون اليه من ثواب أو عقاب وقيل فيه حديثكم فانه مجاهد والحسن وقيل مكالم
أخلاقكم وقيل صيتكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر يعنى الوعد
والوعد وقيل فيه موعظتكم قال أبو السعود وهو الانسب بسباق النظم الكريم
ومساقه فان قوله (أفلا تعقلون) انكاروا بخي فيه بعث لهم على التدبر في أمر
الكتاب والتأمل فباني تضاءل عليه من فنون المواعظ والزواجر التي من جلتها القوارع
السابقة واللاحقة والفاء العطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي الاتقوا كون
فلا تعقلون ان الامر كذلك ولا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جلتها ما ذكرتم وعدهم
وحذرهم ما جرى على الامم المكذبة فقال (وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة) كم هي
الخبرية المفيدة للكثير والقسم كسر الشيء ودقه يقال قصصت ظهر فلان اذا كسره
واقصصت سنه اذا انكسرت والمعنى هنا الاهلاك والعذاب وأما القسم بالفاء فهو

هي البدو والعصا والنجس في الاعراف والطمس والجحر وقال ابن عباس أيضا مجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة هي يدو عصاه
والسنين ونقص الثروات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وهذا القول ظاهر على حسن قولي وجعل الحسن البصري
السنين ونقص الثروات واحدة وعنده ان التاسعة هي تلفف العصا ما يافكون فاستكبروا كما كانوا قوم ماجرين أي ومع هذه الآيات
ومشاهدتهم لها كفروا بها وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وما منعت فيهم فكذلك لو أجبنا هؤلاء الذين سألوهم ان
مسألوا قالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا إلى آخرها لما استجبوا ولا آمنوا الا ان يشاء الله كما قال فرعون لموسى

وقد شاهدته ماشا هذين ههنا الآيات قال اني لا ظنك يا موسى مسجور اقبل بمعنى ساحر والله تعالى أعلم فهدى الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الآتية هي المراد ههنا وهي المعينة في قوله تعالى وألق عصاك فلما راها منهم كأنها جان ولي مدبر ولم يعقب يا موسى لا تختب الي قوله في نسخ آيات التي فرعون وقومه أنهم كانوا قوما فاسقين فذكرها تين اليتين العصا واليد وبين الآيات السابقات في سورة الاعراف وفصله او قد اوفى موسى عليه السلام آيات آخر كثيرة منها ضرب الحجر بالعصا وخرج الماء منه ومنها تظليلهم بالغمام وانزال المن والساوى وغير ذلك مما هو به (١١٢)

ههنا التسع الآيات التي شاهدتها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالقوها وعاندوها كفرا وبجودا فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حديثان يدحدثا شعبة عن عمرو ابن مرة قال سمعت عبد الله بن مسعود يحدث عن صفوان بن عسال المرادى رضى الله عنه قال قال يهودى لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي حتى أسأله عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات نبات فقال لا تقبل له نبي فانه لو هكذا لصارت له أربع أعين فسأله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنسروا الله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق ولا تسجروا ولا تأكلوا الرابا ولا تمتسوا يدي الى ذى سلطان ليقتله ولا تقتفوا

شعنة أو قال لا تنفروا من الزحف شعبة السائل وأتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت قبلا يديه ورجله وقال انشهدناك نبي قال فما يمنعك ان تنبى الى قال لان داود عليه السلام دعان لا يزال من ذريت نبي وانما نحنى ان انما

الصدع في الشيء عن غير ينونه أى وكم قصصنا من أهل قرية كانوا ظالمين أى كافرين بالله مكذبين بآياته والظلم في الأصل وضع الشيء في غير موضعه وهم وضعوا الكفر في موضع الايمان قال ابن عباس بعث الله نبيامن جبر يقال له شعيب فوثب اليه عبد قضر به بعضا فاسار اليهم بختنصر فقاتلهم فقتلوه ثم حتى لم يبق منهم شئ وفيهم انزل الله وكم قصصنا الى قوله حامدين وعن الكلبي في الآية قال في حضور (أ) بنى اذ ذابا بن فيكون الكثير باعتبار أفراد تلك القرية (وأنشأ بالعدا) أى أوجدنا وأحدثنا بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) ليسوا منهم (فلما أحسوا بأسنا) أى أدركوا وشعروا بأوروا أعدائنا بحاسة البصر وقال الاخفش خافوا وتوقعوا والبأس العذاب الشديد (أذاعهم منها) يركضون أى يسرعون هارين ويهررون مسرعين من قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب أن من بأسنا لانه في معنى التهمة والباس فأتت الضمير جلا على المعنى ومن على الأول لا بداء الغاية وللتعليل على الثاني والركض الفرار والهرب والانهمام وأصله من ركض الرجل الدابة برجله يقال ركض الفرس اذا كده باقية ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدا ومنه اركض برجلك والمعنى انهم يهررون منها ركا كضين دوابهم فقيل لهم (لا تركضوا) أى لا تهرروا وقيل ان الملائكة نادتهم بذلك عند فرارهم وقيل ان القائل لهم ذلك من هنالك من المؤمنين استهزأ بهم وسخر به منهم (وارجعوا الى ما أترفتم) يعنى ما تمتعتم (فيه) من الدنيا ولين العيش يعنى الى نعمكم التي كانت سبب بطركم وتفركم والمترف المتعم يقال أترف فلان أى وسع عليه في معاشه وقل فيه هم وقال سبعيد بن جبيرة رجعوا الى دوركم وأموالكم (ومساكنكم) التي تسكنونها وتبتهرون بها (لعلمكم تسألون) أى تقصدون للسؤال والتشاو والتسديبر في المهمات وهذا على طريقة التمسك بهم والتوبيخ لهم وقيل المعنى لعلمكم تسألون عما زل بكم وجرى عليكم من العقوبة فتنبهون السائل عن علم ومشاهدة وقيل لعلمكم تسألون أن تؤمنوا كما كنتم تسألون ذلك قبل نزول العذاب بكم أو تسألون شيئا من دنياكم على العادة فعمطون من شتم وتنعون من شتم فانكم أهل نعمة وثر وقودا كما تو بخرتم بكم بهم وقيل غير ذلك قال المفسرون وأهل الاخبار ان المراد بهذه الآية أهل حضور من الذين وكان أهلها عر باو كان الله سبحانه قد بعث اليهم نبيا اسمه شعيب بن مهند وقبره بجبل من

ان تقتلناهم وقد هذا الحديث رواه هكذا الترمذى والنسائ وابن ماجة وابن جرير في تفسيرهم طرق عن جبل شعبين بن الحجاج به وقال الترمذى حسن صحيح وهو حديث مشكوك وعبد الله بن مسعود في حقه شيء وقد تكلموا فيه ولعله اشبهه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات فأنه اوصاف في التوراة لا تعلق لها بقتيام الحق على فرعون والله أعلم ولهذا قال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السماوات والارض بصائر ترى تتجاول أدلة على صدق ما حدثك يهووانى لا تخفك يا فرعون مشورا رأى هالكا قاله بجماهدة وقادة وقال ابن عباس ملعونوا وقال أيضا هو والضحك مشورا رأى مغلوبا والهالك كما قال بجماهدة بنهل هذا كله (١) حضور بوزن شكور قرية كاتب باليمن اه خازن

وقوله وبالحق نزل أي وصل اليك يا محمد محفوظا لمحرورسالم يشب بغيره ولا يزيد في مولا لا تقص منه بل وصل اليك بالحق فإنه نزل به شيئا
 التوى الأمين المكين المطاع في الملا الاعلى وقوله وما أرسلناك أي يا محمد إلا مبشرا ونذيرا مبشرا لمن أطاعك من المؤمنين ونذيرا
 لمن عصاك من الكافرين وقوله وقرآننا قرآننا ما أقرا فمن قرأ بالتحفيف شعبناه فصلناه من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من
 السماء الدنيا ثم نزل مقرونا بجماعنا على الوقائع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة قاله عكرمة عن ابن عباس
 وعن ابن عباس أيضا أنه قرأه بالتشديد (١١٤) أي أنزلناه آية آية مبينا مفسرا ولهذا قال لتقرأه على الناس

والمعنى ما سوا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من الجانب الاعم
 واللاهوت وما سوا بينهما القوائد منها التفكير في خلقهما وما فيه من المنافع التي لا تعد
 ولا تحصى وليست تدل به على قدر تقديرها ولا تجازي المحسن والمسي على ما تقتضيه حكمتها
 واللعب فعمل بروق أوله ولا ثبات له ثم زده عنه سمات النقص فقال (لو أردنا أن نتخذ
 لهوا) اللهو وما يتلوه به يقول أهل نجد لهوت عنه اللهو لهوا والاصل لهوى من باب قعد على
 فعل وأحل العلية لهيت عنه ألهى من باب تعب ومعناه الهوان والترك ولهوت به لهوا
 من باب قتل وألعب به وتلهت به أيضا قال الطرطوشي وأصل اللهو الترويح عن النفس
 بما لا تقتضيه الحكمة وألهى الشيء بالالف شغلى قيل اللهو هوان الزوجة والولد وقيل
 الزوجة فقط وقيل الولد فقط قال الجوهري قد يكنى باللهو عن الجماع ومنه قول الشاعر
 * وفيهن ملهى للصديق ومنظر * والجملة مستأنفة لتقرير مضمون ما قبلها وجواب
 لوقوله (لا نتخذنا من لدنا) أي من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم ويستثنى نقيض
 الثاني لينتج نقيض المقدم قال المفسرون أي من ولدان أو الحور العين أو الملائكة
 وفي هذا رد على من قال بإضافة الصاحبة والولد الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل
 أراد الرد على من قال بالأصنام أو الملائكة من أن الله وقال ابن قتيبة الآية رد على النصارى
 (أن كفأ فعلى) قال القراء والمبرد والزجاج يجوز أن تكون ان للنفى كما ذكره المفسرون
 أي ما فعلنا ذلك ولم نتخذ صاحبة ولا ولدا ويجوز أن تكون للشرط أي أن كان من يفعل
 ذلك لا نتخذنا من لدنا قال القراء وهذا أشبه الوجهين بذهب العربية (بل نقدق بالحق
 على الباطل) هذا اضراب عن اتخاذ اللهو أي دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل بل شائنا
 أن نرجي بالحق على الباطل وبالإيمان على الكفر وقيل الحق قول لا اله الا الله وأنه لا ولد له
 والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فقد مغه) أي يقهره ويهلكه وأصل الدمغ شق الرأس حتى
 يبلغ الدماغ ومنه الدمغة قال الزجاج المعنى نذهب به ذهاب الصغار والاذلال وذلك أن أصله
 اصابة الدماغ بالضرب قيل أراد بالحق الحجج والباطل الشبهة وقيل الحق المواعظ والباطل
 المعاصي وقيل الباطل الشيطان وقيل كذبهم ووصفهم الله سبحانه بغير صفاته
 (فاذا هو زاهق) أي زائل ذاهب وقيل هالك تالف والمعنى متقارب واذهي العجائية
 (ولكم الولد) يامعشر الكفار (مما تصفون) أي لكم العذاب في الآخرة بسبب

أي لتبلغ الناس وتلوه عليهم أي
 على مكث أي ممل وزلزاله تنزيلا
 أي شيئا بعد شي (قل آمنوا به
 ولا تؤمنوا بالذين أوتوا العلم من
 قبله إذا تبلى عليهم يخرون للاذقان
 سجدا ويقولون سبجان ربنا ان
 كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون
 للاذقان ليكونوا بيزيدهم خشوعا
 يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم قل يا محمد هؤلاء الكافرين
 بما جئتمهم من هذا القرآن العظيم
 آمنوا به أو لا تؤمنوا فهو حق في
 نفسه أي سواء آمنتم به أم لا أنزل الله
 ونوره بذكره في سالف الأزمان في
 كسبه المنزلة على رسله ولهذا قال
 ان الذين آمنوا وآتوا العلم من قبله أي من
 صالحى أهل الكتاب الذين تسكوا
 بكتابهم ويقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه
 إذا تبلى عليهم هذا القرآن يخرون
 للاذقان جمع ذقن وهو أسفل الوجه
 سجد أي لله عز وجل شكرا على
 ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلا
 أن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل
 عليه هذا الكتاب ولهذا يقولون
 سبجان ربنا أي تعظيما ونوقرا على
 قدرته التامة وأنه لا يخلف الموعد

الذي وعدهم على ألسنة الانبياء المتقدمين عن بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قالوا سبحان ربنا ان
 كان وعد ربنا لمفعولا وقوله ويخرون للاذقان يكون أي خضوعا لله عز وجل وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله ويريدهم خشوعا
 أي إيمانا وتسليما كما قال والذين اهتدوا زاهد هدى وآتهم تقواهم وقوله ويخرون عطف صفة على صفة لا عطف السجود على
 السجود كما قال الشاعر الى الملك القرم وابن الهمام وليت الكنيعة في المزدحم (قل ادعوا الله وأدعوا الرحمن إماما ندعو أوالا
 الأسماء الحسنى ولا يجهر بصلاته ولا يخافتهم أو اتبع بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم

يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا) يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل المائعين من تسميته بالرحن ادعوا الله أو ادعوا الرحمن إماما تدعو إليه الأسماء الحسنى أى لا فرق بين دعائكم بإسم الله أو بإسم الرحمن فإنه ذو الأسماء الحسنى كما قال تعالى هو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم الى ان قال له الأسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والارض الآية وقد روى مكحول ان رجلا من المشركين سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول فى سجوده يا رحمن يا رحيم فقال انه يزعم انه يدعو او احداهما ويدعو اثنين (١١٥) فانزل الله هذه الآية وكذا روى عن

ابن عباس رواهما ابن جرير وقوله ولا تجهر بصلواتك الآية قال الامام أحمد حدثنا شبيب حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم متوارعا ولا تجهر بصلواتك ولا تخافت بها قال كان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أمره ومن جاء به قال فقال الله تعالى لنبية صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلواتك أى بقرآنك فيسمع المشركون فيسبون القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك وابشع بين ذلك سيللا أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن اياس به وكذا روى الضحاك عن ابن عباس وزاد فلما هاجر الى المدينة سقط ذلك يفمل أى ذلك شاء وقال محمد بن اسحق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جهر بالقرآن وهو يصلى تفرقا عنه وأبوا أن يسمعه وانه فكان

وصفكم لله بما يجوز عليه من الصاحبة والولد وقيل الويل وادق جهنم وهو وعيد لقريش بان لهم من العذاب مثل الذى لا ولئلا ومن هى التعليمية وهذا وجه وجبه وما مصدرية أو موصولة أو نكرة موصوفة (وليس فى السموات والارض) عيدا وملكها وهو خالقهم ورازقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم فكيف يجوز أن يكون بعض مخلوقاته يشركه بعبادته وهذه الجلة مستأنفة مقررة لما قبلها (ومن عنده) يعنى الملائكة وفيه رد على القائلين بان الملائكة بنات الله وفى التعبير عنهم بكونهم عنده اثر ما عبر عنهم فى السموات إشارة الى تشریفهم وكرامتهم ومنزلة الاعتناء بهم وانهم عنده بمنزلة المقربين عند الملوك قال أبو السعود بطريق التثنية وأقول تأويل بطريق التحقيق كما هو ظاهر النظم القرآن ثم وصفهم بقوله (لا يستكبرون) أى لا يعظمون ولا يتعظمون ولا يتعظمون (عن عبادته) سبحانه والتذلل له (ولا يستكبرون) أى لا يعظمون ولا يتعظمون مأخوذ من الحسبر وهو البعير المنقطع بالاعياء والتعب يقال حسر البعير يحسر حسورا أى وكل واستحسر وتحسره مثله وحسره أى أحسرها لا يتعدى ولا يتعدى قال أبو زيد لا يكون وقال ابن الاعراب لا يفشلون وقال ابن عباس لا يرجعون قال الزجاج معنى الآية ان هؤلاء الذين ذكرتم انهم أولاد الله عباد الله لا يتعظمون عن عبادته ولا تعظمون عنها كقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته وقيل المعنى لا يقطعون عن عبادته وهذه المعانى متقاربة (يستجوبون الليل والنهار لا يفسترون) أى ينزهون الله سبحانه دائما لا يضعفون عن ذلك ولا يسأمون وقبل يصاون الليل والنهار قال الزجاج مجرى التسبيح منهم كجبرى النفس منا لا يشغلنا عن النفس شئ فكذلك تسبيحهم دائما أى ضرورى فهم حجة وطبيعة وهذه الجلة امام استأنفة وقع جرابا عن اعنائها بما قبلها أو حالية (أم اتخذوا آلهة من الارض) قال الفضل مقصود هذا الاستفهام الجحد أى لم يتخذوا آلهة تقدر على الاحياء والايجاد من العدم وأم هى المنقطعة والهزمة لتكثار الوقوع قال المبرد أم هنا بمعنى هل أى هل اتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الارض يحبون المولى ولا يكون أم هنا بمعنى بل لان ذلك يوجب لهم انشاء المولى الان يقدر أم مع الاستفهام فتكون أم المنقطعة فيصح المعنى (هم ينشرون) أى يعثون المولى والجلة مستأنفة أو صفة لآلهة وهذه الجلة هى التى يدور عليها الانكار والتجويل لانفس الاتخاذ فانه واقع منهم للاحالة

الرجل اذا أراد ان يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو وهو يصلى استرق السمع دونهم فراق منهم فاذا رأى انهم قد عرفوا انه يسمع ذهب خشية أذا هم فلم يسمع فان خفض صوته صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيا فانزل الله ولا تجهر بصلواتك فيفترقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمع من أراد ان يسمع ثم يسترق ذلك منهم فلعله يروى الى بعض ما يسمع فينتفع به وابتغ بين ذلك سيللا وهكذا قال عكرمة والحسن البصرى وقادة نزلت هذه الآية فى القراءة فى الصلاة وقال شعبة عن ابن أبي سليم عن الاسود بن هلال عن ابن مسعود ولم يخافت بها من أسمع أذنيه قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن

سأمن علقمه عن محمد بن سيرين قال ثبت أن أبا بكر كان إذا ضل فقرا أخفض صوته وإن عمر كان يرفع صوته فقبل لأبي بكر لم يصنع هذا قال أبا جري عز وجل وقد علم حاجتي فقبل أحسنت وقيل لعمر لم يصنع هذا قال أطر الشيطان وأوقف الوسنان قيل أحسنت فلما نزل ولا تتخافت بها واتبع من ذلك سبيلا قل لأبي بكر أرفع شيئا وقيل لعمر أخفض شيئا وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزل في الدعاء وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزل في الدعاء وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في الدعاء وكذا قال مجاهد (١١٦) وسعيد بن جبير وأبو عاص ومكحول وعروة بن الزبير وقال الثوري عن

فَصَبِّحْ بِهِ وَيَصْبِحُونَ هـ بِهِ رَأَاهُ فَهَإِنَّهُ يَصْبِحُ كَمَا يَصْبِحُ هُوَ لَئِنْ خَافَ أَنْ يَخَافَ كَمَا يَخَافُ الْقَوْمُ ثُمَّ كَانَ السَّبِيلَ الَّذِي بَيْنَ ذَلِكَ الَّذِي سَنَاجِبُ أَيْلَ مِنْ الصَّلَاةِ وَقَوْلُهُ وَقَالَ الْحَدِيثُ الَّذِي لَمْ يَتَخَذُوا الْمَاءَ الْحَسَنِيَّةَ مِنْهُ عَنْ التَّقَائِصِ فَقَالَ وَقَالَ الْحَدِيثُ الَّذِي لَمْ يَتَخَذُوا أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكَ فِي الْمَلِكِ بَدَلًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كَفُوًا أَحَدٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّ أَيْ لَيْسَ بِذَلِيلٍ فَيَسْتَجِزُّ إِلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلِيٌّ أَوْ زَيْرٌ وَحْدَهُ لَاشْرَ بَكَ لَمْ يَدْبُرْ هُوَ وَمَقْدَرُهُ حَاشِيَتُهُ وَحْدَهُ لَاشْرَ بَكَ قَالَ مُجَاهِدٌ قَوْلُهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ

نصر أحد وكبره تكبيرا أي عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا قال ابن جرير حدثني يونس أنبا باو حبيب أخبرني أبو جعفر عن القزطي أنه كان يقول في هذه الآية الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية قال إن اليهود والنصارى قالوا الحمد لله ولدا وقالت العرب ليك لا شريك لك لا شريك لك لا شريك لك ومالك وقال الصابئون والجوس لولا ولياء الله أنزل فأنزل الله هذه الآية وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا وكبره تكبيرا وقال أيضا حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهل هذه (١١٧)

الصغير من أهلها والكبير قلت وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمي هذه الآية آية العز في بعض الآثار أنهم ما قرأت في بيت في ليلة فمسيه سرق أو آفة والله أعلم وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن شحان المصري حدثنا حرب بن ميهون حدثنا موسى ابن عميرة الزبيدي عن محمد بن كعب القزطي عن أبي هريرة قال خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وبه في يدي أو يدي في يده فأتاني على رجل رث الهيئة فقال أي فلان ما بلغك ما أرى قال السقم والضر يا رسول الله قال ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر قال بلى ما يسرني أن شهدت بهما معك بدرا وأحدا قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع قال فقال أبو هريرة يا رسول الله إني فعلت قال فقال بأبهرية نوكت على الحى الذى لا يموت الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن ولا وكبره تكبيرا قال فأتاني على رسول الله وقد حشنت حالي قال

آلهة من الأرض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به قال علي القارى وما قول التفات إلى الآية حجة اقتناعية فالحققة قول كالفزلى وابن الهمام ما نقضوا بالاعتقادية بل جعلوها من الحقائق القطعية بل قيل يكفر قائلها انتهى قال الكسائي وسيبويه والاقحش والزجاج وجهور النحاة أن الالهة ليست للاستثناء بل بمعنى غير صفة للآلهة ولأنه لا يرتفع الاسم الذى بعده ما هو ظاهر فيه أعراب غير التى جاءت إلا بما هنا وقال القراء أن الالهة بمعنى سوى وجه الفساد أن كون الالهة أخرجهم الله يستلزم أن يكون كل واحد منهم قادرا على الاستبداد بالتصرف فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف ويحدث بسببه البتة (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) القائل ترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدة بالبرهان أى تنزه عز وجل عما لا يليق به من ثبوت الشريك له وفيه إرشاد للعباد أن ينزهوا الرب سبحانه عما لا يليق به (لا يسئل عما يفعل) مستأنفة مبينة أنه سبحانه لقوة وسلطان وعظيم جلاله لا يسأله أحد من خلقه عن شئ من قضائه وقدره من اعزاز أو ذلال أو سعاد أو شقاء لانه الرب المالك للأعناق (وهم) أى العباد (يسئلون) عما يفعلون سؤال أو يخبرونهم بما يفعلون يقال لهم يوم القيامة فاعلمت كذا وكذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول للشيء معمله لم فعلته وقيل إن المعنى أنه سبحانه لا يؤاخذ على أفعاله وهم يؤاخذون قيل والمراد بذلك أنه سبحانه بين لعباده أن من يسئل عن أعماله كالسج والملائكة لا يصلح أن يكون الهة قال ابن عباس ما فى الأرض قوم أبغض إلى من القدرية وما ذلك إلا أنهم لا يعلون قدرة الله قال الله لا يشعل عما يفعل وهم يشعون (أم اتخذوا من دونه آلهة) أم معنى بل وفيه اضرب وانتقال من اظهار بطلان كونها آلهة بالبرهان السابق الى اظهار بطلان اتخاذها آلهة مع توخيهم بطلب البرهان منهم ولهذا قال (قل هاؤا برهانكم) على دعوى أنما آلهة أو على جواز اتخاذ آلهة سوى الله ولا سبيل لهم الى شئ من ذلك لأن عقل ولا نقل لا دليل العقل قدمه بيانه وأما دليل النقل فقد أشار اليه بقوله (هذا ذكر من معي وذكري قبلي) أى هذا الوحى الوارد فى شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع ذكر كرامتى وذكري السالفة وقد آتته عليكم وأوضحت لكم فاقبلوا أنتم رها نكم وقيل المعنى هذا القرآن وهذه الكتب التى أنزلت قبلي فأنظر واهل فى واحد منها إن الله أمر

فقال لي مهم قال قلت يا رسول الله لم أزل أقول الكلمات التى علمتني أسبغها ضعيف وفي منته نكارة والله أعلم (آخر تفسير سورة سبحان والله الحمد والمنه) (تفسير سورة الكهف وهى مكية) ذكر ما ورد فى فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وانها عصمة من الدجال قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول قرأ رجل الكهف وفى الدار دابة فخلعت تنفر فظفر فاذا ضاربة أو سحابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ فلان فانما السكينة تنزل عند القرآن أو تنزل فى القرآن أخر جادى الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذى كان يتلوها هو أسيد بن

الحاضر كما تقدم في تفسير البقرة وقال الامام أحمد حدثنا يزيد بن اخبرنا هشام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلمة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال ورواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث قتادة وهو في الترمذي من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف وقال حسن صحيح طريق آخر قال الامام أحمد حدثنا نجاح حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ العشر (١١٨) الاواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ورواه مسلم

أيضاً والنسائي من حديث قتادة به وفي لفظ النسائي من قرأ عشر آيات من الكهف فذكره حديث آخر وقد رواه النسائي في اليوم والليله عن محمد بن عبد الاعلى عن خالد بن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف فانه عصمه من الدجال فيحتمل ان سالمنا سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء وقال أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن الهيثم حدثنا زيد بن قائد عن سهيل بن معاذ بن أنس الجعفي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوران قدمه الى رأسه ومن قرأها كلها صار له نور ما بين السماء والارض انقربه أحمد ولم يخبر جوه وروى الحافظ أبو بكر بن محمد بن عوف في تفسيره باسناد له عن ابن خلد بن سعيد بن أبي هريرة عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان

بأخذه سواه قال الزجاج قيل لهم خابروا ربكم بما كان رسولنا من الرسل أنبأ أمته بان لهم الهامعير الله فهل في ذلك من معي وذكر من قبل الانبياء رآه الله وفيه تكاتلهم متضمن لاثبات ثبوتهم مدعاهم وقيل معنى الكلام الوعد والتهديد أي افعوا ما كنتم تفعلون فممن قرب يتكشف الغطاء وقرئ ذكر من معي بالتثنية وكسر الميم أي هذا ذكر ما أنزل الى وما هو معي وذكر من قبل فالة الزجاج وقيل ذكر كان من قبل أي جئت بما جاءني به الانبياء من قبل فمما توجهت اليه علمهم منهم بالجهل بمواضع الحق فقال (بل) أكثرهم لا يعلمون الحق وهذا الضراب من جهة الله سبحانه غير داخل في الكلام المقصود وانتقال من تكسبهم بمطالبتهم بالبرهان الى بيان انه لا تورثهم من الحاجة واقامة البرهان لكونهم جاهلين للحق لا يعيرون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على معنى هذا الحق وأهو الحق (فهم معروضون) تعليل لما قبله من كون أكثرهم لا يعلمون أي فهم لاجل هذا الجهل المسئول على أكثرهم معروضون عن قول الحق وعن النظر الموصول اليه مستترون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول فلا يتأملون حجة ولا يتدبرون في برهان ولا يتفكرون في دليل (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه) استئناف مقررا لما قبله من كون التوحيد مما تنطق به الكتب الالهية وأجعت عليه الرسل وقرئ فوحي بالثبوت وبالياء (انه لا اله الا أنا) وفي هذا انقير لارام التوحيد وتأكيد ما تقدم من قوله هذا ذكر من معي وختم الآية بالامر لعباده بعبادته فقال (فاعبدون) فقد انضح لكم دليل العمل ودليل القل وقامت عليكم حجة الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) هؤلاء القائلون هم خزاعة وجهينة وسوسلة ونولميج فانهم قالوا الملائكة بنات الله وقيل هم اليهود ويصيح الالهية على كل من جعل لله ولدا وقد قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله ثم زعم الله سبحانه عز وجل نفسه فقال (سبحانه) أي تزيهه عن ذلك وهو يقول على السنة العباد ثم ضرب عن قلوبهم وأبصارهم فقال (بل عباد مكرمون) قرئ من الاكرام والتكريم أي ليلوا كما قالوا بل عباد الله سبحانه مكرمون بكرامته لهم مقررون عنده والعبودية تنافي الولادة بحسب المعتاد الذي لا يتخلف عند العرب من كون عبد الانسان لا يكون ولده أو يحسب قواعد الشرع من ان الانسان اذ ملك ولده عتق عليه والاول في تفسيره انما فاته ظهر اذ الكلام

السماوي في يوم القيامة وغفر له ما بين الجنتين وهذا الحديث في رفعه نظروا حسن أحواله الوقت وهكذا

روي الامام سعد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هشام عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاه الله من النور ما يضيء بين اليت القبيح هكذا وقع موقوفا وكذا رواه الثوري عن أبي هشام من حديث أبي سعيد الخدري وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بكر محمد بن المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعرائي حدثنا نعيم بن حجاج حدثنا هشام عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه

وسلم انه قال من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما ينه وين الجمعتين ثم قال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخبرناه
وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في تفسيره عن الحاكم ثم قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أي هاشم بن اسناده ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الكهف كانت له نور يوم القيامة وفي المختارة الحافظ الضياء المقدسي عن عبد الله بن
مصعب بن منظور بن زيد بن خالد الجني عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعا من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم
الى ثمانية أيام من كل فتنة وان خرج الدجال عصم منه (بسم الله (119) الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أنزل

على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا
فيا السند رب أسألك شديدا من لدنه
ويشير المؤمنون الذين يجمعون
الصالحات ان لهم أجر احسن
ما كنتم فيه أياديو يتذكرون قالوا
اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا

لا يأنسهم كبرت كلمة تخرج من
أفواههم ان يقولون الا كذبا قد
تقدم في أول التفسير انه تعالى يحمد
نفسه المقدسة عند فوائحه الامور
وخواتمها فانه المحمود على كل حال
وله الحمد في الأولى والآخرة ولهذا
جد نفسه على انزاله كتابه العزيز

على رسوله الكريم محمد صلوات
الله وسلامه عليه فانه أعظم نعمة
أنعمها الله على أهل الارض اذ
أخرجهم به من الظلمات الى النور
حيث جعله كتابا مستقيما لا اعوجاج
فيه ولا زيغ به يهدي الى صراط

مستقيم واضحا بينا جليا نذرا
للكافرين بشير المؤمنين ولهذا
قال ولم يجعل له عوجا أي لم يجعل
فيه اعوجاجا ولا زيغا ولا ميلابلا
جعله معتدلا مستقيما ولهذا قال

فيا أي مستقيما السند رب أسألك
من لدنه أي لمن خالفه وكذبه ولم
يؤمن به يتذبرا بأسا شديدا عقوبة
عاجلة في الدنيا والآخرة في الأخرى من لدنه أي من عند الله الذي لا يعذب عبدا به أحد ولا يوفق وفاقه أحد ويشير المؤمنين أي هذا

القرآن الذين صدقوا ايمانهم بالعمل الصالح ان لهم اجر احسن أي مثو به عند الله جملة ما كنتم فيه في ثوابهم عند الله وهو الجنة
خالدين فيه ابدانها لا زوال له ولا انقضاء وقوله ويتذكرون قالوا الحمد لله ولدا قال ابن اسحق وهم مشركوا العرب في
قولهم نحن نعبد الملائكة وهم نبات الله ما لهم به من علم أي هذا القول الذي افتروه واتفقوه من علم ولا تأمنهم أي لا سلا فيهم
كبرت كلمة نصب على التثنية تقديره كبرت كلمتهم هذه كلمة وقيل على التثنية تقديره أعظم بكلمتهم كلمة كما تقول أكرم يزيد

مع جهال العرب وهم لا يعرفون قواعد الشرع قال قتادة قالت اليهود ان الله صاهر الجن
فكانت بينهم الملائكة فقال الله تكذبا لله بل عبادكم كرمون أي الملائكة أكرمهم
بعبادته واصطفاهم ووصفهم بصفات سبعة الأولى هذه والآخرة ومن يقل منهم فهذه
الضمان كلها للملائكة (لا يسبقونه بالقول) وضمنهم بصفة أخرى أي لا يقولون شيئا حتى
يقوله أو يأمرهم به كذا قال ابن قتيبة وغيره وفي هذا دليل على كمال طاعتهم وانقيادهم
(وهم بأمرهم يعملون) أي هم القاعون بأميرهم الله به التابعون له المطيعون لرأيه فلا
يخالفونه قول ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل
ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم أو يعلم ما بين أيديهم وهو الآخرة وما خلفهم وهو
الدنيا والجنة تعليل لمسايقها ووجه التعليل انهم اذا علموا بانها عالم عاقد معوا وأخروا لم يعملوا
غلا ولا يقولوا قول الأماهر (ولا يشفعون الا لمن ارتضى) أن يشفع الشافعون له وهو من
رضى عنه وقيل هم أهل لاله الا الله وقد ثبت في الصحيح ان الملائكة يشفعون في الدار
الآخرة قال قتادة لاهل التوحيد وعن مجاهد نحوه وعن الحسن لمن قال لاله الا الله
وقال ابن عباس الذين ارتضاهم بشهادة ان لاله الا الله وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي
في النبث عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية وقال شفاعتي لاهل
التكابر من أمي (وهم من خشيتهم مسفقون) أي من خشيتهم منه والخفية الخوف مع
التعظيم ولهذا خص به العلماء والاشفاق الخوف مع التوقيع والاعتناء والاحتراف
عدي بن قعس الخوف فيه أظهر وان عدي يعلى في العكس أي لا يأتون مكره الله به لم
خائفون ويجلون (ومن يقل منهم) أي من الملائكة على سبيل القرض لتحقيق عصمتهم
(ان الله من دونه) قال المفسرون عنى بهذا ابليس لانه لم يقل أحد من الملائكة انى الله
الا ابليس وذلك على سبيل التسميح والتجوز اذ هو معترف بالعبودية وآيس من رحمة الله
وكونه من الملائكة باعتبار انه كان مغورا فيهم وقيل الضمير للتخلاق مطلقا وقيل الإشارة
الى جميع الانبياء (فذلك) القائل على سبيل القرض والتقدير (تخبر به جهنم) بسبب
هذا القول الذي قاله كخبري غير من المجرمين (كذلك) أي يشمل ذلك الجزء القطيع
(تخبري الظالمين) أو مثل ما جعلنا جزاء هذا القائل جهنم فكذلك تخبري الظالمين الواضعين
الالهة والعبادة في غير موضعها والمراد بالظالمين المشركون (أو لم ير الذين كفروا) الهمزة

عاجلة في الدنيا والآخرة في الأخرى من لدنه أي من عند الله الذي لا يعذب عبدا به أحد ولا يوفق وفاقه أحد ويشير المؤمنين أي هذا
القرآن الذين صدقوا ايمانهم بالعمل الصالح ان لهم اجر احسن أي مثو به عند الله جملة ما كنتم فيه في ثوابهم عند الله وهو الجنة
خالدين فيه ابدانها لا زوال له ولا انقضاء وقوله ويتذكرون قالوا الحمد لله ولدا قال ابن اسحق وهم مشركوا العرب في
قولهم نحن نعبد الملائكة وهم نبات الله ما لهم به من علم أي هذا القول الذي افتروه واتفقوه من علم ولا تأمنهم أي لا سلا فيهم
كبرت كلمة نصب على التثنية تقديره كبرت كلمتهم هذه كلمة وقيل على التثنية تقديره أعظم بكلمتهم كلمة كما تقول أكرم يزيد

رسالة قاله بعض البصريين وقرأ ذلك بعز قراصة كبرت كلمة كأيال عظم قولك وكبر شأنك والمعنى على قراءة الجمع هو أن ظهور
 في هذا ما يتدبر في انما انهم واستغلام لافكهم ولهذا قال كبرت كلمة تخرج من أفواههم أي ليس لهم استند سوى قولهم ولا دليل
 لهم عليها الا كذبهم وانما تراؤهم ولهذا قال ان يقولون الا كذبا وقد ذكر محمد بن اسحق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال
 حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا من بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال بعثت قريش الفرض بن الحارث وعقبة
 ابن أبي معيط الى احبارهم وبيا المدينة (١٢٠) فقالوا لهم سلوهم عن محمد وصرفوا عنهم صفته وأخبروهم بقولهم

للا نكار وبواو ورتكها قراءتان سبعيتان والواو للعطف على مقدر والزوية على القلبية أي
 ألم يتكروا ولم يعلموا وحاصل ما ذكر من هذا الى يسجدون ستة أدلة على التوحيد وهذا
 تحجیل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية المذلة على استقلاله تعالى
 بالالوهية وكون جميع ماسوا منه هو تحت ملكوته (أن السموات والارض كانتا رتقا)
 قال الاخفش انما قال كانتا دون كن لانهم ما منان أي جماعت السموات والارض وبه قال
 الزمخشري وقال أبو البقاء الضمير يعود على الجنسين وقال الحوفي أراد الصفتين كما قال
 سبحانه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا وقال الزجاج انما قال كانتا لأنه يعبر عن
 السموات بلفظ الواحد لانها كانت سماء واحدة وكذلك الارضون والرتق الرق السد ضد
 الفتح يقال رتقت الفتح ارتقت فارتقت أي التأم ومنه الرقا للمضغة الفرج يعني انهما
 كانا شأوا واحدا ملتحقين ملتصقين وقال رتقا ولم يقل رتقين لأنه مصدر والتقدير كانتا
 ذواتي رتق وقيل مررتين مسرودتين قال البياضاي والكفران لم يعلموا ذلك فهم
 متمكنون من العلية نظرا فان الفتح عارض مقفرا الى مؤثر واجب ابتداء أو بواسطة أو
 استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب انتهى ومنعه الكاذبوني وقال فيه نظروا فكيف
 هذا ممنوع ويجوز ان يكونا مخلوقين منفصلين بل ارتق وقتق فان استدل عليهم بان القرآن
 نص عليهم ما فنقول هذا كاف في انبائهم ولا حاجة الى الدليل العقلي المذكور
 (ففتحناهما) أي فصلناهما أي فصلنا بعضهما من بعض بالهواء ففتحنا السماء وأبقينا
 الارض مكنها والفتح الفصل بين الشيئين وهو من احسن البديع هنا حيث قابل الرتق
 بالفتح قبل كانت السموات من تفتحة طبقة واحدة ففتحها الله وجعلها سبع سموات
 وكذلك الارض كانت طبقة واحدة فجعلها سبع أرضين وعن ابن عباس قال فتقت
 السماء بالغيث وفتقت الارض بالنبات وقد أطل الكلام القرطبي في ذلك ونقل عن كعب
 الاحبار وغيره أحوال خلق الارض العليا والسفلى ولا يصار اليها الا أن يصح من ذلك شيء
 من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم (وجعلنا من الماء) أي خلقنا ما وأرضنا بالماء
 الذي تنزل من السماء وينبع من الارض (كل شيء) فيشمل الحيوان والنبات والمعنى
 ان الماء سبب حياة كل شيء وقيل المراد بالماء هنا منطقة الرجل وبه قال أبو العالية وأكثر
 المفسرين وخرج هذا اللفظ تخرج الاغلب والاكثر وهذا احتجاج على المشركين بقدرته

فأنهم أهل الكتاب الاول وعندهم
 من ليس عندهما من علم الانبياء فخرجا
 حتى أتيا المدينة فسالوا احبارهم ود
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ورصفوا لهم أمره وبعض قوله
 وقالوا انكم أهل التوراة وقد
 جئناكم لتعبروا نأمن صاحبنا
 هذا قال فقال لهم سلوه عن ثلاث
 نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو
 نبي مرسل والا فحل منقول فروا
 فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في
 الدهر الاول ما كان من أمرهم
 فانهم قد كان لهم حديث عجيب
 وسأوه عن رجل طواف بلغ مشارق
 الارض ومغاربها ما كان نبوءة
 وسأوه عن الروح ما هو فان أخبركم
 بذلك فهو نبي فاتهوه فان لم يخبركم
 فانه رجل منقول فاضعوا في أمره
 ما يدلكم فاقبل النضر وعقبة حتى
 قدما على قريش فقالا يا معشر
 قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم
 وبين محمد قد أمرنا احبارهم ودان
 نه انه عن أمور فاجروهم بها فآؤا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
 يا محمد أخبرنا فسلوه عما أمرهم به
 فقال لهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم أخبركم عن أماسا لم عنه ولم يستن فانصر فواعنه ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة
 لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة
 قد أصبحنا فيه لا يجبرنا بشيء عما سألناه عنه وحتى أحرن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل
 مكة فجاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معانيته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سلوه عنه من أمر
 الفتية والرجل الطواف وقول الله عز وجل ويسألونك عن الروح قل الروح الاية (فلعلنا باخع نفسك على أنهارهم ان لم يؤمنوا

بهذا الحديث أسفنا أناجعلنا ماعلى الأرض زينة لها النبوههم أيهم أحسن عملا واناجعلنا عون ماعليها صعبا حرجا يقول تعالى
مسلم الرسول صلوات الله وسلامه عليه في حزنه على المشركين لتركهم الايمان وبعدهم عنه كما قال تعالى فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات وقال ولا تحزن عليهم وقال لعلك باخع نفسك ان لا يؤمنوا مؤمنين باخع أى مهلك نفسك يحزنك
عليهم وللهذا قال لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث يعنى القرآن اسفنا يقول لتهلك نفسك أسفنا
قال قتادة قاتل نفسك غضبا وحزنا عليهم وقال (١٦١)

عليهم بل ابلغهم رسالة الله فن
اهتدى فلنفسه ومن ضل فاعا
يضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم
حسرات ثم أخبر تعالى انه جعل
الديار ارقانية من شدة شدة ان الله
وانما جعلها دارا اختبارا لدار قرار
فقال اناجعلنا ماعلى الأرض زينة
لها النبوههم أيهم أحسن عملا قال
قتادة عن أبي نصر عن أبي سعيد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الدنيا حاولة خضرة وان
الله مستخفكم فيها فانظر ماذا
تعملون فاقول الدنيا وانقوا النساء
فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في
النساء ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها
وفرغها وانقضائها وذهابها
وخربها فقال تعالى واناجعلنا عون
ماعليها صعبا حرجا أى وانما نصيرها
بعد الزينة الى الخراب والدمار
فجعل كل شئ عليها هالكا صعبا
حرجا لا يثبت ولا يتفجع به كما قال
العوفي عن ابن عباس في قوله وانا
لجاعلون ماعليها صعبا حرجا يقول
يهلك كل شئ عليها ويبسده وقال
مجاهد صعبا حرجا بلقعا وقال
قتادة الصعبا الأرض التي ليس فيها

الله سبحانه ويبيع صنعه وقد تقدم تفسير هذه الآية (أفلا يؤمنون) الهمزة لانكار عليهم
حيث لم يؤمنوا مع وجود ما يقتضيه من الآيات الربانية (وجعلنا في الأرض رواسي) أى
جبالا ثوابت جع راسية من راسا الشئ اذا ثبت ورشح يقال جبال راسية وراسيات ورواس
(أن يلبسهم) الميد التحرك والدوران أى ثلاثا تحرك وتدور بهم أو كراهة ذلك وقد تقدم
تفسير ذلك في التحل مستوفى (وجعلنا فيها) أى فى الرواسي أوفى الأرض وهو الظاهر
(فخارجا) طرقا واسعة قال أبو عبيدة هي المسالك وقال الزجاج كل محترق بين جبلين فهو فوج
(وسبلا) تفسير للخباج لان الفج قد لا يكون طريقا فاذا مسلو كما (اعلمهم يهدون) الى
مصلح معاشهم ومقاصدهم في الأسفار وما تدعو اليه حاجاتهم (وجعلنا السماء سقفا
محفوظا) عن أن يقع ويسقط على الأرض كقوله ويسكن السماء أن تقع على الأرض وقال
الفراء محفوظا بالنجوم من الشيطان كقوله وحفظا من كل شيطان مارد وقيل محفوظا
لا يحتاج الى عمد وقيل المراد بالتحفظ هنا المرفوع وقيل محفوظا عن الشرك والمعاصي
وقيل عن الهدم والنقض وقيل عن الفساد والاخلال الى الوقت العلوم (وهم عن
آياتها) أى الآيات الكائنة فيها الدالة على وجود الصانع ووحدته وتناهي قدرته وكمال
حكيمته و اضاف الى الآيات الى السماء لانها مجعولة فيها وذلك كالشمس والقمر والنجوم
وكيفية حركاتها فى افلاكها ومطالعها ومغارها (معرضون) أى لا يعتبرون بها فيما ولا
يتفكرون فيما توجه من الايمان (وهو الذى خلق) هذا تذكير لهم بنعمة أخرى مما أنعم
الله به عليهم وذلك بانه خلق لهم (الليل) ليسكنوا فيه (والنهار) ليتصرفوا فيه في معاشهم
(و) جعل (الشمس) آية النهار (والقمر) آية الليل ليعلموا اعداد الشهور والحساب كما
تقدم بيانه في سبحان (كل في فلك) أى مستدير كالظا حوتة في السماء (يسبحون) في دوران
أى يحجرون قاله ابن عباس يعنى كل واحد من الشمس والقمر والنجوم في وسط الفلك
يسبرون بسرعة كالسبح في الماء قال ابن عباس فلك كفل مكة المغزل يدورون في أبواب
السماء كما تدور الفلك في المغزل وعنه قال هو فلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب وكل
كوكب يحجى في السماء الذى قدر فيه والجمع في الفعل باعتبار المطالع قال سيبويه انه لما
أخبر عنهن بفعل من يعقل وجعلهن في الطاعة بمنزلة من يعقل جعل الضمير عنهن ضمير
العقلاء ولم يقل يسبحن او تسبح وكذا قال الفراء وقال الكسائي انما قال يسبحون لانه رأس

(١٦ - فتح البيان سادس) شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد الأرض التي ليس فيها شئ الا ترى الى قوله تعالى ولم ير وانا
نسوق الماء الى الأرض الجرز فنخرج به زرعنا كل منه انعامهم وانفسهم أفلا يصرون وقال محمد بن الحنفى واناجعلنا عون ماعليها
صعبا حرجا يعنى الأرض ان ماعليها القان وناثوان المراد لالى الله فلا تأس ولا يحزنك ما سمع وترى (أم حسبك أن أصحاب
الكهف والرفيق كانوا من آياتنا عجبا اذا رأى النفس الى الكهف فقالوا ربنا آتئنا من لدنك رجوة وهي لنا من أمرنا شدة افضر بنا
على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أى الفريق أحصى لما لبثوا أمدا) هذا الخبر من الله تعالى عن قصة أصحاب

الكهف على ميل الاجال والاختصار ثم بسطه ابعده ذلك فقال أم حسبت يعني يا محمد ان أصحاب الكهف والقيم كانوا اثنا عشر
ع. اى ليس أمرهم عجيباً في يومئذ وسلطات ثمان خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر
والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة التي على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء أعجب من أخبار أصحاب
الكهف كما قال ابن جرير عن مجاهد ثم حسب ان أصحاب الكهف والقيم كانوا اثنا عشر كما كان من آياتنا ما هو أعجب
من ذلك وقال العوفي عن ابن عباس (١٢٢)

الاية والذات واحد افلاك النجوم وأصل الكلمة من الدوران ومنه فلك المغزل
لاستدارتها والذات مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وقيل
الفلك استدارة السماء وقيل الفلك ماء أو موج. كيقوف دون السماء تجري فيه ذاك
الكواكب وقال أهل الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق
والانقسام والقوى والذبول وفي الرازي الفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجعله افلاكاً
واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم الفلك ليس بجسم وانما هو استدارة هذه النجوم
وقال الاكثر من الافلاك اجسام تدور النجوم عليها وهذا أقرب الى ظاهر القرآن
واختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فانه إما ان يكون
الفلك ساكناً والكواكب تتحرك فيه بحركة السماء في الماء الراكد وإما ان يكون الفلك
متحركاً والكواكب أيضاً متحركة بحركة أخرى أو موافقة لحركتها بما يحركه مساوية
لحركة الفلك في السرعة والطء أو مخالفة وإما ان يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة
والذي يدل عليه ملفظ القرآن القسم الاول وهو ان تكون الافلاك ساكنة والكواكب
جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء الراكد انتهى والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة
السموات والافلاك وما فيها الا باخبار الصادق المصدوق (وما جعلنا للناس قبلاً الخلد)
أى دوام البقاء في الدنيا لكونه مخالفاً للحكمة التكوينية والتشريعية (أفانست) أجلك
المحتوم وقرئت بكسر الميم وضمة واو والفتحة (فهم الخالدون) قال القراء جماعة
لتدل على الشرط لانه جواب قولهم ان محمد اسبوت قال ويجوز حذف الفاء واضمارها
والمعنى ان مت ففهم يموتون أيضاً فلا شمتا في الموت وكان سبب نزول هذه الآية بقول
المشركين فيما حكاه الله عنهم أم يقولون شاعر نزل بصبره رب المنون أخرج البيهقي وغيره
عن عائشة قالت دخل أبو بكر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقدمت فقبلوه وقالوا بنيه
واخيلاده واصفاه ثم تلا وما جعلنا الآية (كل نفس) مخلوقة فلا يرذل الباري تعالى ذائقة
الموت أى ذائقة مصراة مفارقة جسدها فلا يبقى احد من ذوات الانفس المخلوقة كائنات
ما كان وهذا دليل على ما انكر من خلودهم قيل هذا لعموم مخصوص بقوله تعالى تعلم
ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسي فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق ههنا عبارة
عن مقدمات الموت والامه العظيمة قبل حلوله (وبلوكم) أى فختبركم (بالشر) أى بالشدّة

يقول الذي أتيتك من العلم والسنة
والكتاب أفضل من شأن أصحاب
الكهف والقيم وقال محمد بن
اسحق ما أظهرت من عجبي على
العباد أعجب من شأن أصحاب
الكهف والقيم وأما الكهف فهو
الغار الجبل وهو الذي لجأ اليه
هؤلاء القصة المذكورة وأما
القيم فقال العوفي عن ابن عباس
هو وادقرب من الله وكذا قال
عطية العوفي وقتادة وقال الضحاک
أما الكهف فهو غار الوادي والقيم
اسم الوادي وقال مجاهد القيم
كان بنينا هم ويقول بعضهم هو
الوادي الذي نبيه كهفهم وقال
عبد الرزاق اخبرنا الثوري عن
سمك عن عكرمة عن ابن عباس في
قوله القيم قال يزعم كعب انها
القرية وقال ابن جرير عن ابن
عباس القيم الجبل الذي فيه
الكهف وقال ابن اسحق عن عبد الله
ابن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن
عباس قال اسم ذلك الجبل بنجلوس
وقال ابن جرير أخبرني وهب بن
سليمان عن شعيب الجاني ان اسم
جبل الكهف بنجلوس واسم

الكهف حيزم والكعب حوران وقال عبد الرزاق أنباءنا سائل عن سمك عن عكرمة عن ابن عباس (والخير)
قال القرآن أعلمه الا حنانا ولا اودا والقيم وقال ابن جرير أخبرني عمرو بن دينار انه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما أدري
ما القيم كلب أم بئان وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس القيم الكتاب وقال سعيد بن جبير القيم لوح بحجارة كتبوا فيه
قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القيم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم وهذا هو
الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير قال القيم فيسبل من مرقوم كما يقال لله مقبول قيل وللجرح جرح والله أعلم وقوله

إذا رأى النفس إلى الكهف فقالوا ربنا إننا لنرى ذلك رجلاً وهو لنا من أمر نارشداً يخبرنا عن أولئك النفوس الذين قتلوا بدينهم من قومهم ثلاثاً يقتلهم فمروا منهم فلجوا إلى عارفي جبل ليخبروا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رجته ولفظه بهم ربنا إننا لنرى ذلك رجلاً أي هب لنا من عندك رجلاً نجاءنا وتسترنا عن قومنا وهي لنا من أمر نارشداً أي وقد رزقنا من أمرنا هذا رشداً أي اجعل عاقبتنا رشداً كما في الحديث وما قضيت لنا من قضاء فأجعل عاقبتنا رشداً وفي المسند من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو الله لهم أحسن (١٢٣) عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وقوله

(والخبر) أي الرضا (فتنة) مصدر لتساوكم من غير لفظه لأن الابتلاء فتنة فكأنه قال فنتنكم فتنة أو مفعول أي لتنظر كيف شكركم وصبركم والمراد أنه سبحانه يعاملهم معاملة من يبلوهم فالله لا يخفى عليه شيء (والسائر جعون) لا إلى غير الاستقالة لا ولا اشتراكاً فيكم بآل الكهف حسب ما يظهر منكم من خير أفعالهم وان شئت فقل فيهم إشارة إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب (وإذا رأوا الذين كفروا) بمعنى المستهزئين من المشركين (أن يتخذونك الأهزوا) أي يتخذونك الألهزوا بك والاهزوا بك السخرية وهو الهزء الذي قال الله فيهم أنا كفيتمك المستهزئين والمعنى ما يفعلون بك الاتخاذك هزواً (أهذا الذي ذكر آلهتمكم) أي يقولون أهذا الذي فعلنا هذا يكون هو جواباً ويكون قوله أن يتخذونك اعتراضين الشرط والخبر ومعنى يذكركم بعيب قال الزجاج يقال فلان يذكركم الناس أي يفتنهم ويذكركم بالغيوب وفلان يذكرك الله أي يصفه بالتعظيم وينبئ عليه وانما يحذف مع الذكركم ما عقل معناه وعلى ما قالوا لا يكون الذكركم كلام العرب العيب وحيث يراد به العيب يحذف منه السوء وقيل يطلق على المدح والنم مع القرينة (وههم يذكركم الرجن هم كافرون) أي بالقرآن وهم يذكركم الرجن الذي خلقهم كافرون إذ قالوا ما نعرفه والمعنى أنهم يعيرون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يذكركم آلهتم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال أنهم يذكركم الله سبحانه بما يليق به من التوحيد وبالقرآن ككافرون فهم أحق بالعيب إلههم والآنكار عليهم (خلق الإنسان من عجل) أي جعل لفرط استعجاله في أحواله كأنه مخلوق من العجل وفيه استعارة بالكناية والعجل والعجل ضد البطء وقد عجل من باب طرب والمعنى أن الإنسان من حيث هو مطبوع على العجلة فيستعجل كثيراً من الأشياء وإن كانت تضره وقال القرطبي كأنه يقول بنيتهم وخلقهم من العجلة وعلى العجلة وقال الزجاج خطوط العرب بما تعسقل والعرب تقول للذي يكرمه الشيء خلقته منه كما تقول أنت من لعب وخلقته من لعب تريد المبالغة في وصفه بذلك ويدل على هذا المعنى قوله وكان الإنسان عجولاً والمراد بالإنسان الجنس وقيل آدم فإنه لما خلقه الله ونفخ فيه من الروح صار الروح في رأسه فذهب ينفض قبل أن يبلغ الروح إلى رجليه فوقع فقبل خلق الإنسان من عجل كذا قال عكرمة وسعيد بن جبيرة والسدي والكبي ومجاهد ولطف عكرمة لما نفخ في آدم

وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتروا وانغمسوا في دين الباطل ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم شباباً وأما المشايخ من قريش فعانهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً وقال مجاهد بلغني أنه كان في آذان بعضهم القرطبة يعني الخلق فاللهمهم الله رشدهم وآثارهم تقواهم فآمنوا ربهم أي اعتزوا بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو وزادهم هدى استدلت بهذه الآية وأما الباغي واحد من الأئمة كالبخاري وغيره من ذهب إلى زيادة الأيمان وتفاضله وأنه يدينه بقصص ولهذا قال تعالى وزادهم هدى كما قال والذين

الدينا وعذاب الآخرة وقوله
قصر بنا على آذانهم في الكهف
سنتين عدداً أي ألقينا عليهم النوم
حين دخلوا إلى الكهف فناموا
سنتين كثيرة ثم بعثناهم أي من
رقبتهم تلك وخرج أحدهم بدارهم
معالم يسترى إلههم بطعاماً ما يكونه كما
سأنى بيانه وتفصيله ولهذا قال ثم
بعثناهم لتعلم أي الخزيين أي
المختلفين فيهم أحصى للمبشوا أمداً
قبل عدداً وقيل غاية فإن الأمدة
الغاية كقوله سبق الخو اذا
استولى على الأمدة (نحن نقص
عليك نبأهم بالحق أنهم فتية آمنوا
بربهم وزادناهم هدى وربطنا على
قلوبهم إذ قالوا قفسا ولربنا
السموات والأرض لن ندعوا من
دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً هو لاء
قومنا اتخذوا من دونه آلهة قولوا
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم
بينكم من غير حق من أجل أنكم
تكرهون على الله كذبوا وأذاعوا لعلهم
وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف
ليسترهم ربهم من رجته ويهيئ
لهم من أمرهم مرفقا من ههنا
شرح في بسط القصة وشرحها
قد ذكرنا على أنهم فتية وهم الشباب

وكل احد منهم يكتم ما هو عليه عن اخيه خوفا منهم ولا يدري انهم مثله حتى قال احدهم تعلمون والله يا قوم انه ما اخرجكم من قلوبكم واقرركم عنكم الاثني فليظهر كل واحد منكم باخيه فقال آخر اما انافاني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت انه باطل وانما الذي يستحق ان يعبد وحده ولا يشرك به شيئا هو الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما وقال الآخر وانا والله وقع الى كذلك وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة قصار وايد واحدة واخوان صدق فالتخذوا لهم معبدا يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا باخيهم الى ملكهم فاستخضروهم (١٢٥) بين يديه فسألهم عن امرهم وما هم عليه

فاجابوا بالحق ودعوه الى الله عز وجل ولهذا اخبر تعالى عنهم بقوله وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقلوا ربنا رب السموات والارض ان ندعو من دونه الهياول اننى (١) التائبى لا يقع منا هذا أبدا لانا لو فعلنا ذلك لكان باطلا ولهذا قال عنهم لقد قلنا اذا شطأ أى باطلا وكذبا وبهتاناهؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلها لولا باؤن عليهم بسلطان بين أى هلا قاموا على حجة ما ذهبوا اليه دليلا واضحا صريحا فلم يأتهم من اقترى على الله كذبا يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فقال ان ملكهم لما دعوه الى الايمان بالله أى عليهم وتهتددهم وتوعددهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذى كان عليهم من زينة قومهم واجلبهم لينظر واني امرهم لهامهم يرجعون عن دينهم الذى كانوا عليه وكان هذا من لطف الله بهم فانهم في تلك النظرة وصلوا الى الهرب منه والفرار بدنيهم من الفتنة وهذا هو المنع وعدو وقوع الفتنة في الناس ان يفر العبد منهم خوفا على دينه كما جاء في الحديث يوشك ان يكون خير

احد من العباد في دفع ذلك عنهم (بل) اضرب انتقالي من بيان السبب الى بيان كيفية وقوع الموعود فقال (تاتيه) أى لا يكفون ما بل تاتيهم العدة والنار والساعة (بغتة) أى فجأة (فتمهم) قال الجوهري تمهمتها اخذت بغتها وقال القراء أى تحيرهم وقيل نفجؤهم وقيل تدشهم (فلا يستطيعون ردها) أى صرفها عن وجوههم ولا عن ظهورهم فالضمير راجع الى النار وقيل الى الوعد بتأويله العدة وقيل الى الحين بتأويله الساعة (ولاهم ينظرون) أى يهلون ويؤخرون لتوبه واعتذار (ولقد استرئى رسل من قبلك) مسوقة لتسليمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعزيتة كأنه قال ان استرأى بك هؤلاء فقد فعل ذلك من الرسل على كثرة تعددهم وخطرشانهم (فحاق) أى أحاط ودار بسبب ذلك (بالذين سخر وامنهم) أى من أولئك الرسل وهزؤهم (ما كانوا يستزنون) مامسدينية أو موصولة أى فاحاط بهم استرأؤهم أى جزأوه على وضع السبب موضع المسبب أو نفس الاسترأان أى يريده العذاب الاخر ويبتاع على تجسيم الاعمال أو الامر الذى كانوا يستزنون به (قل من يكأؤكم) أى يحرسكم قاله ابن عباس والمعنى يحفظكم والكلاءة الحراسة والحفظ يقال كلاء الله كلاءا قال الكسمر أى حفظه وحرسه وحكى يكأؤكم بفتح الادم واسكان الواو أى قل يا محمد لا وتسلك المستزنين بطريق التقرير والتوبيخ من يحرسكم ويحفظكم (بالليل) أى فيسه اذا غم (والنهار) اذا انصرفتم الى معابشكم وتقديم الليل لمان الدواهي أكثر فيه وقوعا واشد وقعاً (من) بأس (الرجن) وعذابه الذى تستحقون حلوله بكم وزوله عليكم قال الزجاج معناه من يحفظكم من بأس الرجن وقال القراء المعنى من يحفظكم بمباريد الرجن ازالة بكم من عقوبات الدنيا والاخرة وفي التعرض لعنوان الرجة ايدان بان كالتهم ليس الارحمة العامة (بل هم عن ذكرهم معرضون) فلا يدرون ولا يحفظونه ببالهم ولا يتذكرون فيه بل يعرضون عنه وعن القرآن وعن مواظب الله وعن معرفته (أم لهم آلها تمنعهم من دونا) أى معنى بل والهزة للانضراب عن الكلام السابق المشغل على بيان جهلهم يحفظه سبحانه اياهم الى توبيخهم وتقريرهم باعتادهم على من هو عاجز عن نفع نفسه والدفع عنها والمعنى بل لهم آلها تمنعهم بمجاسوهم من عذابنا وفيه تقديم وتأخير والتقدير أم لهم آلها تمنعهم من دونا تمنعهم ثم وصف آلهم هذه التى زعموا انها تنصروهم بما يدل على الضعف والعجز

مال احدكم غمنا يتبعها اشعاف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن في هذه الحال تنشر العزلة عن الناس ولا تنشر فيها عذابها لما ينفون بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزهم على الذهب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك واخبر عنهم بذلك في قوله واذا عزت لهم وما يعبدون الا الله أى واذا فارقتهم وخالفتهم باديانكم في عبادتهم غير الله ففارقتهم ايضا باديانكم فاووا الى الكهف ينسركم لكم ربكم من رحمة أى يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ويهين لكم من امركم الذى انتم فيه مرفقا أى امر اترفقون به فعند ذلك خرجوا رابا الى الكهف فأووا اليه ليعف عنهم قومهم من بين اظهروهم وتطلبهم الملائكة (١) قوله لنفى التائبى كذا في النسخ وتامل انتهى

فَيَقَالُ إِنَّهُ لِنَظَرِهِمْ وَبَعِيَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ خَبْرَهُمْ كَمَا فَعَلَ شَيْبَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَةَ الصِّدِّيقِ حِينَ جَاءَ إِلَى عَارُورٍ وَبَنِي
 الْمَشْرُوكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْغُلَبِ فَلَمْ يَجِدُوا إِلَيْهِمْ مَعَهُمْ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِ وَعَدَهُ حَالِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَى حَرْجَ الصِّدِّيقِ فِي
 قَوْلِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَوْضِعٍ قَدِيمَةٍ لَانْصَرَّ نَاقِلًا يَأْتِيكَ مَا ظَنَّكَ نَاقِلِينَ اللَّهُ تَالَهُمَا وَقَدْ قَالَ تَعَالَى الْآنَ نَصُرُوهُ وَقَدْ
 نَصَرَهُ اللَّهُ الْأَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنَا فِي أَثْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودِهِ
 لَمْ تَرْوَحُوا وَجَعَلَ لِكُلِّ الْفِئَةِ نَصْرًا وَلِكُلِّ الْفِئَةِ وَكَلَّمَ (١٦٦)

فَقَالَ (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ) أَيُّ هُمْ عَابِرُونَ عَنْ نَصْرِ أَنْفُسِهِمْ فَكَيْفَ
 يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصُرُوا غَيْرَهُمْ فَهُوَ اسْتِثْنَاءٌ مَقْرَرٌ لِخَلْفِهِ مِنَ الْإِنْكَارِ وَمَوْضِعٌ لِمُطْلَانِ
 اعْتِقَادِهِمْ (وَلَا شَيْءَ) أَيُّ الْكُفَّارِ (مَتَابِعْهُنَّ) أَيُّ يَجَارُونَ مِنْ عَدَاةِ نَاقِلِ بْنِ قَبِيَّةٍ
 أَيُّ لَا يَجِبُ بِهِمْ مَا جَدَّ لَانِجْرِ صَاحِبِ الْحَارِ وَالْعَرَبِ يَقُولُ صَبَّحَكَ اللَّهُ أَيُّ حَفْظِكَ
 وَأَجَارَكَ يَقُولُ الْعَرَبُ نَالِكَ جَارٍ وَصَاحِبٍ مِنْ فَلَانٍ أَيُّ يَجْرِئُهُ وَهُوَ اخْتِيارُ الطَّبَقِ
 قَالَ الْمَازَنِيُّ هُوَ مَنْ أَحْبَبَ الرَّجُلَ إِذَا مَنَعْتَهُ وَقَالَ مُحَمَّدٌ يَحْفَظُونَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
 أَيُّ لَا يَنْصُرُونَ وَلَا يَجَارُونَ وَلَا يَتَّبِعُونَ وَقَالَ قَتَادَةُ لَا يَتَّبِعُونَ مِنْ اللَّهِ يَجْرِئُوهُ لَا يَجْعَلُ اللَّهُ
 رِجْتَهُ صَاحِبًا لَهُمْ ذَكَرَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَلَمَّا أَبْطَلَ كَوْنَ الْأَصْنَامِ نَافِعَةً أَضْرَبَ عَنْ ذَلِكَ مُسْتَعْلًا
 إِلَى بَيَانِ أَنَّ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَالتَّمَتُّعُ بِالْحَيَاةِ الْعَاجِلَةِ هُوَ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ مَنَافِعِ شَيْئٍ مِنْ
 الْهَلَاكِ وَلَا مِنْ نَاصِرٍ نَصَرَهُمْ عَلَى أَسْبَابِ التَّمَتُّعِ فَقَالَ (بَلْ يَسْتَعْنِذُونَ بِأَنْبِيَائِهِمْ) يَعْنِي
 أَهْلَ مَكَّةَ مَتَعَهُمُ اللَّهُ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ (حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) وَامْتَدَّ بِهِمُ الزَّمَانُ فَاعْتَرَوْا
 بِذَلِكَ وَظَنُوا أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ فَرَدَّ اللَّهُ سَجَانَهُ عَلَيْهِمْ فَأَنَالَ (أَفَلَا يَرَوْنَ) أَيُّ لَا يَنْظُرُونَ
 فَيَرَوْنَ (أَنَّا بَأْنَى الْأَرْضِ) أَيُّ يَقْصِدُ أَرْضَ الْكُفْرِ (تَقْصِيهَا) بِالظُّهْرِ عَلَيْهَا (مَنْ أَطْرَافُهَا)
 فَتَنْحَرُّهَا بِلَدِّهَا أَبْلَدًا وَأَرْضًا بَعْدَ أَرْضٍ بِتَسْلِيْطِ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ وَأَسْنَدَهُ إِلَى نَفْسِهِ تَعْظِيمًا لَهُمْ
 وَفِيهِ تَعْظِيمٌ لِلْعِبَادَةِ وَالْمُجَاهِدِينَ وَقِيلَ تَقْصِيهَا بِالْقَتْلِ وَالسِّيِّ وَهُوَ نَصْرٌ بِمَا يَجْرِئُهُ اللَّهُ
 عَلَى أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ مَضَى فِي الرَّعْدِ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ مَسْتَوْفَى (أَفَقِمْ الْعَالَمِينَ)
 الِاسْتِقْصَامُ لِأَنَّكَ رَأَى أَنَّ الْإِنْفَاطَ عَلَى مَقْدَرٍ كَمَا تَرَدَّى كَيْفَ يَكُونُونَ غَالِبِينَ بَعْدَ تَقْصَا
 لَارْضِهِمْ مِنْ أَطْرَافِهَا وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْعَالَمِينَ هُمُ الْمُسْلِمُونَ أَحْصَاهُ النَّبِيُّ (قُلْ إِنَّمَا
 أَنذَرْتُكُمْ) أَيُّ أَخَوْفَكُمْ وَأَحْذَرَكُمْ مَا تَسْتَعْبِجُونَهُ مِنَ السَّاعَةِ (بِالْوَحْيِ) مِنْ اللَّهِ أَيُّ بِالْقُرْآنِ
 لَأَمِنْ قَبْلِ نَفْسِي وَذَلِكَ شَأْنِي وَمَا أَمُرُّنِي اللَّهُ بِهِ (وَلَا يَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ) أَيْ مَا مِنْ تَحْتِ الْكَلَامِ
 الَّذِي أَمُرُّنِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقُولَهُ لَهُمْ أَوْ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ
 أَصَمَّ اللَّهُ سَمْعَهُ وَخَمَّ عَلَى قَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غَسَاوَةً لَا يَسْمَعُ الدُّعَاءَ وَفَرَى لَا يَسْمَعُ نَصْرَهُ
 الْيَا وَفُخَّ الْمِيمُ عَلَى مَا لَيْسَ بِفَاعِلِهِ وَفَرَى بِالْقَوِيَّةِ وَكَسَرَ الْمِيمَ أَيُّ أَنْكَ لَا يَجْمَعُ وَلَا تَسْمَعُ هَوْلًا
 وَإِلَى فِي الصَّمِّ الْجَنَسُ فَيَدْخُلُ الْمُخَاطَبُونَ فِيهِ دَخُولًا أَوَّلًا وَلِلْعَهْدِ (إِذَا مَا يَنْذُرِينَ) أَيُّ
 يَحْذَرُونَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ الْعَمَلُ بِمَا سَمِعُوا مِنَ الْأَنْذَارِ وَالْأَصْلُ لَا يَسْمَعُونَ إِذَا مَا يَنْذُرُونَ فَوْضِعَ

وَأَعْظَمُ وَأَعْجَبُ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ
 الْكَهْفِ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ قَوْمَهُمْ
 ظَفَرُوا بِهِمْ وَوَقَفُوا عَلَى بَابِ الْغَارِ
 الَّذِي دَخَلُوهُ فَقَالُوا مَا كُنَّا نَرَى مِنْهُمْ
 مِنَ الْعُقُوبَةِ كَمَا كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ قَوْمَهُمْ
 فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِرَدِّ بَابِهِ عَلَيْهِمْ لِيَهْلِكُوا
 مِنْهُمْ فَفَعَلُوا ذَلِكَ وَفِي هَذَا قِصَّةُ
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَنَا
 الشَّمْسُ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِي الْكَهْفِ
 بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَتَرَى
 الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوِعَ عَنْ كَهْفِهِمْ
 ذَاتَ الْبَيْتِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ
 ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي سَفْوَةٍ مِنْ ذَلِكَ
 مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَتِهِ فَهُوَ
 الْمُسْتَدُّ وَمَنْ يَضِلُّ فَلَنْ يَجِدَهُ وَلِيًّا
 هَرَّ شَدًّا هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَابَ هَذَا
 الْكَهْفِ مِنْ شَحْوِ الشَّمَالِ لِأَنَّهُ تَعَالَى
 أَخْبَرَنَا الشَّمْسُ إِذَا دَخَلَتْهُ عِنْدَ
 طُلُوعِهَا تَرَاوِعَ عَنْ ذَاتِ الْبَيْتِ أَيُّ
 يَقْصُصُ النَّبِيَّ هَيْئَةً كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ
 وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَقَتَادَةُ تَرَاوَعَتْ تَقِيلُ
 وَذَلِكَ أَنَّهَا كَلَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي الْأَفْقِ
 تَقْصُصُ شُعَائِهَا بِأَرْفَاعِهَا حَتَّى لَا يَبْقَى
 مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ الزَّوَالِ فِي شَمَلِ ذَلِكَ
 الْمُسْكَانِ وَلِهَذَا قَالَ وَإِذَا غَرَبَتْ
 تَقَرَّبُ مِنْ ذَاتِ الشَّمَالِ أَيُّ تَدْخُلُ

إِلَى عَارِضِهِمْ مِنْ شَمَالِ بَابِهِ وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ فَذَلَّ عَلَى حِجَّةٍ مَقْلَانَا وَهَذَا مِنْ بَابِ تَأْمُرُ وَكَانَ لَهُ عِلْمٌ بِعَرَفَةِ الطَّاهِرِ
 الْهَيْئَةِ وَسِرِّ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْكَوْكَبِ وَبَيَانَهُ لِهَوْلِهِ لَوْ كَانَ بَابُ الْغَارِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ لَمَا دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ عِنْدَ الْغُرُوبِ وَلَوْ كَانَ
 مِنْ نَاحِيَةِ الْقِبْلَةِ لَمَا دَخَلَ مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ الطُّلُوعِ وَلَا عِنْدَ الْغُرُوبِ وَلَا تَرَاوَعَتْ هَيْئَتُهُمَا لَوْ كَانَ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ لَمَا دَخَلَتْهُ وَقَدْ
 الطُّلُوعُ بَلْ بَعْدَ الزَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ فِيهِ إِلَى الْغُرُوبِ فَتَعَيَّنَ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ الْجَدُّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ
 أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ وَأَيَّدَهُ بِجُودِهِ وَتَوَدَّرَ وَلَمْ يَجِبْ بِأَيِّهَا هَذَا الْكَهْفُ فِي أَيِّ الْبِلَادِ مِنَ الْأَرْضِ إِذْ لَا فَايِدَةَ لِنَافِعِهِ وَلَا قَصْدَ شَرْعِيٍّ

وقد تكلف بعض المفسرين في ذلك مكر ورافسه أقوالاً تقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريش من آية وقال ابن اسحق هو عند
 نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأي بلاد الله هو ولو كان انما فيه صلح دينة لا رشدنا الله تعالى ورسوله الله فقد
 قال صلى الله عليه وسلم ما تركت شيئاً بقريشكم الى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أعلمتكم به فاعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا بكنهه فقال
 ورتى الشمس اذا طلعت تراورع عن كنههم قال مالك عن زيد بن اسلم قيل ذات العين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة
 منه أى في متسع منه اذا خلا بحيث لا تصيبهم اذ لو أصابتهم (١٢٧) لا حرقنا ابدانهم وشياهم قال ابن عباس ذلك من

الظاهر موضع المصير للدلالة على تصاتهم وسددهم اسماعهم اذا ما أُنذروا وللتسجيل عليهم
 (ولئن مسهم نعمة من عذاب ربك) المراد بالنعمة الدليل مأخوذ من فتح المسك قاله ابن
 كيسان وقال المراد بالنعمة الدفع من الشيء الذي دون معظمه يقال نعمة نعمة بالسيف اذا
 ضرب به ضرب خفيفة وقيل هي النصيب وقيل هي الطرف وقيل وقعة خفيفة والمعنى
 متقارب أى ولئن مسهم اقل شيء من العذاب وفيه مبالغت ثلاث ذكر المس وما في النعمة
 من معنى القلة فان اصل النسخ هبوب رائحة الشيء والبناء الدال على المرة ليقولوا يا ويلنا انا
 كاذبا لمن بالاسم الكذب محمد أى يدعون على انفسهم بالويل والهلاكة ويعترفون
 عليها بالتظلم (وتضع الموازين القسط) العادلة (ليوم القيامة) أى لاهلها وقيل الامم بمعنى
 في أى في يوم القيامة والموازين جمع ميزان وهو يدل على أن هناك موازين ويمكن ان يراد
 بميزان غير عنه بلفظ الجمع للتعظيم أو باعتبار اجزائه فان الصحيح انه ميزان واحد لجميع الامم
 ولجميع الاعمال وقد ورد في السنة في صفة الميزان ما فيه كفاية وقد مضى في الاعراف وفي
 الكهف في هذا ما يغني عن الاعادة والقسط صفة للموازين وصفه بمبالغة قال الزجاج
 قسط مصدر يوصف به تقول ميزان قسط وموازين قسط والمعنى ذوات قسط والقسط
 العبد وصفه الموازين لان الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون غير مستقيم فبين الله
 ان تلك الموازين تجري على حد العدل وتقرى القسط بالصاد والطاء وامامه خبره
 من أى الجوهر وانهم موجود الا نأوسو وجد فمفسد عن تعينه ولا يكون الوزن في حق كل
 أحد لان من لا حساب عليه لا يوزن له كالانبياء والملائكة والوزن يكون للمكلفين من
 الجن والانس وقد يوزن العبد نفسه كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لرجل عبد الله
 ابن مسعود في الميزان أنقل من جبل أحد ومن مات له ولد يجعل ذلك الولد في الميزان
 وكيفيته ثقل وخفة مثله في الدنيا (فلا تظلم نفس شيئاً) أى لا ينقص من احسان
 محسن ولا يزد في اساءة مسمى (وان كان مثقال حبة من خردل) أى ان كان العمل المدلول
 عليه بوضع الموازين مثقال حبة كذا قال الزجاج وقال أبو علي الفارسي وان كان الظلامة
 مثقال حبة قال الواحدى وهذا أحسن لتقدم قوله فلا تظلم نفس شيئاً وقرئ برفع مثقال
 على ان كان تامة أى ان وقع أو ان وجد مثقال حبة ومثقال الشيء ميزانه أى وان كان
 في غاية الخفة والقلة والحجارة فان حبة الخردل مثل في الصغر (أنتيناهم) أى احضرناها

لما يقبلوا الا كاتم الارض وقوله وكلمهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة الوصيد الفناء وقال
 ابن عباس بالباب وقيل بالصيد وهو التراب والصحيح انه بالفناء فهو الباب ومنه قوله تعالى انهم اعلمهم مؤسدة أى مطبقة مغلقة
 ويقال وصيداً وصيد رضى كلهم على الباب كاجرت به عادة الكلاب قال ابن جرير يحرس عليهم الباب وهذا من سجيته
 وطبيعته حيث يرتع بيناهم كأنه يحرسهم وكان جالساً خارج الباب لان الملائكة لا تدخل بيتاً فيه كذب كما ورد في الصحيح ولا صورة
 ولا جنب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن وشملت كلهم بركنهم فاصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة حجة الإخبار

في العام مرتين قال ابن عباس
 يا نيام باحدى مقلتيه ويتق
 بأخرى الزايفه بفتان نائم
 وقوله تعالى ونقلبهم ذات اليمين وذات
 الشمال قال بعض السلف يقبلون
 في العام مرتين قال ابن عباس

فانه صار لهذا الكتاب ذكر وخبر وشأن وقد قيل انه كان كتاب صيد لاحد منهم وهو الاشبه وقيل كتاب طباخ الملك وقد كان واقتنهم على
الذين وصحه كله فانه أعلم وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي حديثا صادقا في عمر الغساني حديثا ان
المانقري صنعت الحسن البصري يقول كان اسم كبش ابراهيم عليه الصلاة والسلام جبرؤاسم جده سليمان عليه السلام عنفر
واسم كتاب أصحاب الكهف قطمير واسم جبل بني اسرائيل الذي عبدوه وموت وخط آدم عليه السلام بالهندو حواء بحجة وابليس
يسمى بيسان والحية باصديان وقد تقدم (١٢٨)

ويشتمل على أي جوارحه الامعجزة عليها وقرئ آتينا بالمعنى جازيناها يقال آتى روائى
مؤاناة جازى (وكفى مناسحين) أى حصص في كل شئ والخشب في الاصل معناه العذوقيل
عالمين لان من حسب شياعله وحفظه وقيل مجازين على ما قدموه من خبر وشرو والغرض
منه التحذير فان المحاسب اذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشبهه عليه شئ وفي القدر بحيث
لا يعجز عن شئ تحقيقه بالعقل ان يكون على أشد الخوف منه وقد اخرج أحد الرواة عن
ابن جرير في تهذيبه والبيهقي وغيرهم عن عائشة ان رجلا قال يا رسول الله انى في مخلوقين
يكذبونى ويخونونى ويعصونى واضربهم واشتبههم فكيف انا منهم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بحسب ما خولوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك
اياهم دون ذنوبهم كان فضلك وان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا عليك
ولا لك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقصر لهم منك الفضل فجعل الرجل يبكى
ويستغفر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما تقرأ كتاب الله ونفع المومنين القسط
الى قوله حاسنين فقال الرجل يا رسول الله ما أجلى ولهم خير من مقارنتهم أشبهك انهم
اخر اوفى معناه احاديث وروى عن الشبلبي انه روى في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال
حاسبوا فادققوا * ثم سوا فاعقوا
وكذا كل مال * بالممالك يرقى

ثم شرع الله سبحانه في تفصيل ما اجله سابقا بقوله وما أرسلنا قبلك الا نوحى اليهم
وذكر عشر قصص الاولى قصه موسى ثم ابراهيم ثم لوط ثم نوح ثم داود وسليمان ثم ايوب ثم
اسماعيل وادريس وذى الكفل ثم يونس ثم زكريا ثم مريم وابنه عيسى فقال (ولقد آتينا
موسى وهرون الفرقان وضيافا وكرا للمتقين) المراد بالفرقان هنا التوراة قاله أبو صالح
وعن قتادة مثله لان فيه الفرق بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال ابن زيد الفرقان
الحق وقيل الفرقان هنا هو النصر على الاعداء كما في قوله وما نزلنا على عبدنا يوم الفرقان
قال الثعلبي وعنه القول أشبه بنظر الآية ومعنى ضيافا انهم استضافوا فيها في ظلمات
الجهل والقوابة ومعنى الذكر الموعظة أى انهم يتعظون بمخاطبها وخص المتقين لانهم
الذين يتتبعون بذلك ووصفهم بقوله (الذين يخشون ربهم بالغيب) لان هذه الخشية تلازم
التقوى او يخشون عباده وحقائب عنهم أو هم ثابتون عنه لانهم في الدنيا والغيب

لاحاصل له اول طائل تحتها ولا دليل
عليها ولا حاجة اليها بل هى عما ينهى
عنه فان مستند خارجها جميع الغيب
وقوله تعالى لواطلت عليهم لوليت
منهم فرارا والمث منهم رعبا أى انه
تعالى الذى عليهم الميابة بحيث لا يقع
نظر أحد عليهم الا اياهم لما ألبسوا
من الميابة الدهر لئلا يدوم منهم
أحد ولا تشبههم بذل لئلا يبلغ
الكتاب أجله وتتقضى ردتهم التى
شأن مباركة وتعالى فيهم لما له في ذلك
من الحكمة والخبرة بالفتنة والرحمة
الواسعة (وكذلك بعثناهم
ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم
ليتم قالوا لبتنا يوما وبعض يوم
قالوا اربكم أعلم بعبادتنا فابعثوا
أحداكم بورقكم هذه الى المدينة
فليظنر أيها الركب طعما فلبا تكتم
بروق منه وسلطان ولا تبهرن
بكم احدا انهم ان يظهر واعليكم
يرجوكم أو يعدوكم في ملتهم ولن
تفلحوا اذا ابتدا يقول تعالى كما
أرقدناهم بعثناهم صحيحة أيد انهم
وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا
من أحوالهم وهياتهم شيئا وذلك
بعد ثلثمائة سنة وتسع سنين ولما

تساءلوا بينهم كم لبتكم أى كم رقدتكم قالوا لبتنا يوما وبعض يوم كما انه كان دخولهم الى الكهف في أول شهر
واستباطهم كان في آخره اربعة اشهر كوا فقلوا أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بالبت أى الله أعلم بامرهم وكان له حصل لهم نوح
تردد في كثرة نومهم فانه أعلم علم غيبا الى الاله في أمرهم اذ ذلك وهو احتياجهم الى الطعام والشرب فقالوا فابعثوا أحداكم بورقكم
أى فضلكم هذه وذلك انهم كانوا قد استجبوا معهم دراهم من مازلهم فاحتاجهم الى اقتضاء قوامها وبنى منهم فقلوا فاذلوا فبعثوا
أحداكم بورقكم هذه الى المدينة أى مدية تسلك الى خرجت منها والانب واللام العهد فليظنر أي الركب طعما فلبا تكتم طعما

قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكنكم من أحد أبداً وقوله قد أفلح من تركني ومنه الزكاة التي تطيب المال وتطهره
وقيل أكثر طعاماً ومنه زكازع الزرع إذا كثرت قال الشاعر

قبائلنا سبع وأنت ثلاثة * والسبع أركب من ثلاث وأطيب

والصحيح الأول لأن مقصودهم أنما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلاً وقوله وليستأطف أي في خروجه وذهابه وشرائه
وأيا به يقولون وليتخف كل ما يقدر عليه ولا يشعرن أي ولا يعلن بكم أحداً (١٢٩)

في الآخرة وقيل يخافونه في الخلوأ إذا غلبوا على أعين الناس (وهمن الساعة مشفقون)
أي وهم من أهوال القيامة حائفون وخائفون وهذا من ذكر الخاص بعد العام لكونها
أعظم الخلوأ وللتنصيص على اتصافهم بضد ما تصف به المستجيبون وإيثار الجملة
الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه (وهذا أي القرآن قاله قتادة والاشارة اليه
بإداة القرب إيعاء إلى سمولة تناوله عليهم (ذكر مبارك قال الزجاج أي ذكر لمن تذكره
وموعظة لمن اتعظ بهو المبارك كثير البركة والخير (أنزلناه) صفة للذكر أو خير بعد خبر
(أفأنتم له منكرون) الاستهزاء لانكار ما وقع منهم من الانكار أي كيف تنكرون
كونه منزلاً من عند الله مع اعترافكم بان التوراة منزلة من عنده وأنكم من أهل اللسان
تدركون من أبا الكلام ولطائفه وتفهمن من بلاغة القرآن ما لا يدركه غيركم مع ان فيه
شرفكم ووصيتكم كما يشير اليه لفظ الذكر على ما سبق فلو أنكره غيركم لكان ينبغي لكم
مناصبته وتقديم الظرف على المتعلق دال على التخصيص أي أفأنتم للقرآن خاصة دون
كتاب اليهود فانهم كانوا يراجعون اليهود في ما عندهم من المشكلات (واقداً يتنابراهيم
رشد) أي الرشد اللائق بهو بأعماله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند إلى
الهداية الخاصة الخاصة بالوحى والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال التواميس
الالهية وقال مجاهد هديناه صغيراً (من قبل) أي قبل إيتاء موسى وهرون التوراة
أو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال الفراء أي أعطينا هداية من قبل النبوة والبروغ أي
وفقناه للنظر والاستدلال ما نحن عليه الليل فرأى الشمس والقمر والتجهم وعلى هذا أكثر
المفسرين وبالأول قال أهلهم (وكتابه عالمان) أي انه موضع لا يتأثر الرشد وانه يصلح لذلك
(اذ) أي اذ كرجين (قال لايه) أزر (وقومه) غمرود من أتبعه (ما هذه التماثيل)
وهي الصور والاصنام قاله مجاهد وفيه تجاهر لهم ليجروا لهم مع علمه بتعظيمهم لها
وأصل القتال الشيء المصنوع المشابه لشيء من مخلوقات الله سبحانه يقال مثلت الشيء
بالشيء إذا جعلته معشابهاً له واسم ذلك الممثل تمثال وهو الصورة المصنوعة من رخام
أو نحاس أو خشب شبيهة بخلق الآدمي أو غيره من الحيوانات وأنكر عليهم عبادتها
بقوله (التي أنتم لها عاكفون) العكوف عبارة عن لزوم والاستقرار على الشيء لفرض
من الأغراض والالام في لها للاختصاص ولو كانت للتعبية لحي بكلمة على أي ما هذه

أي ان علموا بمكانكم يرجوكم أو
يعيدوكم في ملتهم يعنون أصحاب
دنيا فوس يخافون منهم ان يطلعوا
على مكانهم فلا يزالون يعدونهم
بأنواع العذاب إلى أن يعدوهم
في ملتهم التي هم عليها أو يقولون وان
وافقوهم على العود في الدين فلا
فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة
ولهذا قال ولن تفلحوا إذا بدأ
(وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن
وعدا الله حق وأن الساعة لا ريب
فيها اذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا
ابنوا عليهم بنينا ربهم أعلم بهم
قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن
عليهم مسجداً يقول تعالى وكذلك
أعثرنا عليهم أي أطلعنا عليهم
الناس ليعلموا أن وعد الله حق وأن
الساعة لا ريب فيها ذكر غير واحد
من السلف انه كان قد حصل لاهل
ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر
القائمة وقال عكرمة كان منهم
طائفة قد قالوا تبعث الارواح ولا
تبعث الاجساد فبعث الله أهل
الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك
وذكر والله ان أراد حدهم الخروج
ليذهب إلى المدينة في شراشي

(١٧ - فتح البيان سادس) لهم لياً كلوه تسكر وخرج عيسى في غير الحادة حتى انتهى إلى المدينة وذكروا أن اسمها
أنسوس وهو يظن انه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قريابا بعد قرن وجلا بعد جيل وأمة بعد أمة وتغيرت البلاد ومن عليها
كما قال الشاعر
أما الدار فانها كديارهم * وأرى رجالا حلحى غير رجاله
فجعل لا يرى شيأ من
معالم البلد التي يعرفها ولا يعرف أحدا من أهلها الا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير في نفسه ويقول لعل بي جنونا أو مسا
أو ناهم ويقول والله ما بي شيء من ذلك وان عهدى هذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة ثم قال ان تعجل الخرج

من حيث الأولى إلى ثم بعد الرجل عن جميع الطعام ففعل المسلمون معنهم انفقوا له ان يعطيهما اطعموا انما اترك ذلك الرجل انكره
 وانكره ضرب به افسه ليعلم الى جاره وجعلوا يد اولئك انهم ويقولون لعل هذا وجد كذا انفسا اودع امره ومن آثره هذا انفق له
 وجد عامن كذا ومن آت فخل يقول آت من اهل هذه البلدة وعيهم بها عيشة آمن وقيل دقناوس ففسره الى اخنوخ فخلوه
 الى ربي امرهم فسله عن شأنه وخبره حتى أخبر به بامرهم وهو مخبر في حاله وما هو قسب فلما علم به ذلك قاموا معه الى الكيف
 ملك البلدة وأهلها حتى انتهى بهم الى الكيف (١٣٠) فقال دعوني حتى أتقدمكم في السخول لاعلم أصحابي

الاصنام التي آتت متقون على عبادتهم وقيل ان الله كوفى من معنى العبادة وكانت قد
 الاصنام اثني وسبعين صنم بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد
 وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب وكان
 كيم هام من ذهب مكللا بجواهر في عينه بقوتان متقدتان قضبان في ليل (قاروا)
 وجدنا آياتنا للذين آمنوا فقد ناموا وقد نام ما أجاب بهذا الجواب النبي وهو العاصي
 سوكا عليها كل عاجز والحبيل النسي تشتبه كل غريق وهو القليل جرد تقليد والآية
 أي وجدنا آياتنا بعد موتهم فعبدها فقدمهم وبشياء على طريقتهم وهكذا يجب هؤلاء
 المقلدون أهل هذه الأمة فان اعلم بالآداب والآفة ذاك انكر عليهم لعنن يحضر
 الراي المدفوع بالليل قاروا هذه الآية امانة النسي وجدنا آياتنا له مقلدين ورأيه
 آخذين قل اخشائي أي ذلي يكن جوابهم الان التقليد انتهى وجوابهم هو ما أجابه
 انليل حينما قال فقد كنتم آتم وآباؤكم في ضلال مبين أي في خسران واضح ظاهر لا يخفى
 على أحد ولا يلتبس على ذي عقل فان قوم ابراهيم عبدا الاصنام التي لا تضر ولا تنفع
 ولا تنصع ولا تبصر وليس بعد هذا الضلال ضلال ولا يساوي هذا الخسران خسران قال
 انني آراؤنا ان المقلدين والمقلدين مضطرون في ضلال ظاهر وكذا بانتم ليصح
 العصف لا العصف على خبره في حكمه بعض الفعل متع انتهى أقول وشؤلاء المقلدة
 من أهل الامم استبدوا بآيات الله واستغفروا صلى الله عليه وآله وسلم كسائر القذورات
 فبما جهلوا ذلك علم من علم الاسلام زعم انه يقف على دليل بانه القصور ومنه
 أو لتقصير في البحث فوجد ذلك الدليل من وجده وأبرزه واضح المشار كما علم في رأسه ناز
 وقال هذا كتاب الله وأخذوا منكم رسووا وأنتم منكم
 دعوا كل قول عند قول محمد * فما من في دينه كبحاطر

فدخل فيقال انهم لا يدرون كيف
 ذهب فيه وأخى الله عليهم خبرهم
 ويقال بل دخلوا عليهم ورأواهم
 وسلم عليهم المنك واعتقهم ويكن
 مسلما في قبيل راحة تندوس
 فسر حوايه وآسود بالكلام ثم
 ودعوا وسلبوا عليه وعادوا الى
 مضاجعهم وثقاهم الله عز وجل
 فأنه أعلم قال قتادة غزا ابن عباس
 مع حبيب بن مسلمة فروا بالكيف في
 بلاد الروم فرأوا فيه عظاما فقال قائل
 هذه عظام أصحاب الكيف فقال
 ابن عباس لقد بليت عظامهم أكثر
 من ثمانية سنين وأد ابن جرير وقوله
 وكذلك أعترنا عليهم أي كما أقردها لهم
 وأيقظناهم بها ثم أظعننا عليهم
 أهل ذلك الزمان ليعا وأن وعد الله
 حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ
 يتأزعون بينهم أمرهم أي في أمر
 القياسه من شئت لها ومن مكر به فعل
 الله ظهورهم على أصحاب الكيف
 حجة عليهم وعليهم فقالوا بشوا عليهم
 بنسبنا بهم أعلمهم أي سدوا عليهم
 باب كيقم وذروهم على حالهم قال
 الذين غلبوا على أمرهم لتخذن
 عليهم سجدا حتى ابن جرير في

فقلوا كما قال الاول
 وهل أذا لامن غربة ان غوت * غوت وان ترشد غربة ترشد
 وقد أحسن من قال
 يا أيها النبي الاتباع النبوي * ومنهج الحق واضح
 قال البيضاوي والتقليد ان جازا فاشيخو وزن علم في الجنة انه على الحق ثم سمع أولئك

القائلين ذلك قولين أحدهما انهم المسلمون منهم والثاني أهل الترتل منهم فأنه أعلم واظهار ان الذين قاروا الله هم
 أصحاب الكلمة والفوز ولكن حلهم بمجودون أم لافيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
 قبورا أنبياءهم وصالحهم مساجدا يحذروا ما فعلوا وقد روي ساعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه لما وجد قبره داخل
 في زمانه العراق أمر أن يحنى عن الناس وان تدفن تحت الرقة التي وجدوها عنده فهاشي عن الملازم وغيرها (سيقولون ثلاثة
 رابعهم كليمهم ويقولون خمسة سادسهم كليمهم رجاء الغيب ويقولون سبعة ونامهم كليمهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا
 تماريهم الامر اظهارا ولا تنسفت فيهم منهم أحدا) يقول تعالى فخيرنا عن اختلاف الناس في عدة أصحاب الكيف فخيرنا ثلاثة

أقوال فدل على أنه لأفائل رابع ولما ضعف القولين الأولين بقوله رجبا الغيب أي قو

يكاد يصيب وإن أصحاب فلا قصد ثم حكى الثالث وسكت عليه وأقره بقوله وثامنهم ك

الأمر وقوله قل ربني أعلم بعدتهم ارشاد إلى أن الأحسن في مثل هذا المقام رد العلم إلى الله تعالى إذ
ذلك بلا علم لكن إذا اطلعنا على أمر قدامه والواقفنا وقوله ما يعلمهم الأقليل أي من الناس قال قتادة قال ابن عباس أنا من الأقليل القليل
الذي استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراساني (١٣١) عنه أنه كان يقول أنا من استثنى الله عز

وجل ويقول عدتهم سبعة وقال ابن
جرير حدثنا ابن يسار حدثنا عبد
الرحمن حدثنا إسرائيل عن سماعة
عن عكرمة عن ابن عباس ما يعلمهم
الأقليل قال أنا من الأقليل كانوا
سبعة فهذه أعيانهم صحيحة إلى ابن
عباس انهم كانوا سبعة وهو موافق
لما قدمناه وقال محمد بن اسحق بن
يسار عن عبد الله بن أبي نجيح عن
سجاد قال لقد حدثت أنه كان على
بعضهم من حديثه وضع الورق
قال ابن عباس فكانوا كذلك
ليعلم ونهأرهم في عبادة الله ليكون
وبستغشون بالله وكانوا (١) ثمانية
نفر مكسبين وكان أكبرهم وهو
الذي كالم المالك عنهم ومخشيئنا وتخليصا
ومرطونس وكشطونس وبرونس
ودنيوس وبطونس وقابوس هكذا
وقع في هذه الرواية ويحتمل أن هذا
من كلام ابن اسحق ومن بينه وبينه
فان الصحيح عن ابن عباس انهم كانوا
سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم
عن شعيب الجبلي ان اسم كلهم
سجران وفي تسميتهم هذه الاسماء
واسم كلهم نظري في صحته والله أعلم
فان غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب

مقالة الخليل (قالوا أجنثنا بالحق أم أنت من اللاعيس أي أجاد أنت فيما تقول أم أنت
لاعب مازح وليس المراد به حقيقة الجنى اذ لم يكن غائبا عنهم وأم متصلة وإن كان بعدها
جمله لأنها في حكم المفرد إذ التقدير أي الأمرين واقع بجيشك بالحق أم لعبك وفي اراد
الشي الثاني بالجمله الاسمية الله على النبات اياذن برحمانه عندهم ثم (قال) مضربا عما
بنوا عليه مقالتهم من التقليد (بل ربكم رب السموات والارض) وقيل هو اضراب
عن كونه لاعبا قامة البرهان على ما ادعاه والاول أظهر (الذي فطرهن) أي خلقهن
وأبدعهن والضمير للسموات وللقائل وهو أدخل في تضليلهم وإقامة الحجة عليهم لان فيه
تصريح بان معبوداتهم من جملة مخلوقاته (وأنأ على ذلكم) الذي ذكرته لكم من
كون ربكم هو رب السموات والارض فقط دون ما عداه كأنما كان (من الشاهدين)
أي العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء هو من كان عالما
به مبرهنه عليه مبينا له (وتالله لا كيدن أسنماكم) أخبرهم بأنه سيفذل من المحاجة
باللسان إلى تغيير المنكر بالفعول ثقة بالله سبحانه ومحاماة على دينه وهذه طريقة فعلية دالة
على أنه على الحق بعدان أي بطريقة قولية تجمع بين القول والفعل واليكيد المنكر يقال
كاده يكيد كيدا ومكيدة والمراد هنا الاجتماع في كسر الاصنام قبل انه عليه السلام قال
ذلك سرا وقبل سماعه رجل منهم فاقشاه (بعد أن تولوا مدبرين) أي بعد ان ترجعوا من
عبادتها ذاهبين منطلقين قال المفسر وإن كان لهم عيدين كل سنة يجتمعون فيه فقالوا
لأبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك يشافقنا لبراهيم هذه المقالة (فجعلهم جذذا)
أي تولوا جعلهم جذذا أي حطاما بفاس قاله ابن عباس وعنه قال فتأنا الجذد القطع
والكسر يقال جذذت الشيء قطعت وكسره الواحد جذذا والجذذ ما تكسر منه قال
الجوهري قال الكسائي ويقال لجذارة الذهب الجذذ لأنهم انكسروا وقرئ جذذا بكسر
الجيم أي كسر أو قطع جميع جذذوه وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وظريف وظراف
وقرئ بالضم كالخطام والرفاق فعال بمعنى مشغول وقرئ بفتحها قال قطرب هي في
لغاتها كاهامه سد فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث والقراءتان الأولى ان سبعتان وهذا هو
المكيد الذي وعدهم به (الأكبر اللهم) أي عظيم ألهتهم قاله ابن عباس يعني تركه
ولم يكسره والضمير للآلهة أو عائد على عابدها ووضع القاس في عنقه ثم خرج (لعلهم

وقد قال تعالى فلا تعارفهم الأمر اعطاهم أي أسى لاهمنا فان الأمر في معرفة ذلك لا يرتب عليه كبر فائدة ولا تستفت فيهم منهم
أحد أي فانهم لا علم لهم بذلك إلا يقولونه من تلقاء أنفسهم رجبا الغيب أي من غير استناد إلى كلام معصوم وقد جاءك الله يا محمد
بالحق الذي لا شك فيه ولا مبرهنة فيه وهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال (ولا تقولن لشيء آتى فاعل ذلك عدا
(١) قوله وكانوا ثمانية نفر كذا في نسخة وفي أخرى سبعة ولعل هذه النسخة محرقة من نسخة بالثمانية قبل السنين فان المعدود بعد
كذلك وبين النسختين مخالفة في ضبط الاسماء وفي القاموس من عدة أقوال فيها خبر ما وقع في ضبطها من رواية ابن اسحق انه معصية

الآن يشاء الله واذ كرك ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدي ربي لاقرب من هذا رشداً هذا ان شاء من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الى الادب فيما اذا عزم على شئ ليفعله في المستقبل ان يزدك الى شئ الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون كتابت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قال سليمان ابن داود عليه السلام لا طوفن الليلة على سبعين امرأة وفي رواية تسعين امرأة وفي رواية ما تاتاه امرأة تملك امرأته من غلاما يقاتل في سبيل الله فقل له وفي رواية (١٣٢) قال له الملائكة ان شاء الله فقل فطاف بهم فلم يلدنهن الا امرأه أو اخذت نصف

انسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لم يحدث وكان دركا لما حتمته وفي رواية واذا طافوا في سبيل الله فرسانا أجمعين وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن قصة أصحاب الكهف غدا أجيبكم فتأخر الوحي خمسة عشر يوماً وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأعني عن اعادته وقوله واذ كرك ربك اذا نسيت قبل معناه اذا نسيت الاستثناء فاستثنى عندك كركه قاله أبو العالية والحسن البصري وقال هشيم عن الاعشى عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل يخاف قال له ان يستغنى ولو الى سنة وكان يقول واذ كرك ربك اذا نسيت في ذلك قبل للاعشى سمعته عن مجاهد فقال حدثني به لث بن أبي سليم يرى ذهب كسافي هذا ورواه الطبراني عن حديث أبي معاوية عن الاعشى به ومعنى قول ابن عباس انه يستغنى ولو بعد سنة أي اذا أنسى أن يقول في حلقه أو في كلامه ان شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له ان يقول ذلك ليكون آتيا

اليه أي الى ابراهيم (يرجعون) فيما خالفهم بما سبأ فيهم وقال الرازي اما اذا قلنا ان الضمير راجع الى الكبير فالمعنى لعلمهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما هو الا ما كسورة وما لك صحيحا وما لهذا القاس في عقلك وقال ذلك بناء على كثرة جهالاتهم واستنزاهتهم وكان من عادتهم اذ رجعوا اليه يسجدوا اليها ثم ذهبوا الى منازلهم وقيل المعنى لعلمهم الى الصم الكبير يرجعون فيسألونه عن الكسبر لان من شأن المعبود ان يرجع اليه في المهمات فأذا رجعوا اليه لم يجدوا عنده خبيرا فيعلمون حينئذ انهم لا تجلب نفعا ولا تدفع ضررا ولا تعلم بخبر ولا شر ولا تحضر عن الذي ينوبهم من الامر وقيل لعلمهم الى الله يرجعون وهو بعيد جدا (قالوا) في الكلام حذف والتقدير فلما رجعوا من عيدهم ورأوا ما حدثت بهم آلهتهم من التكسير قالوا (من) فعل هذا يا لهتنا انهم لم يظلموا الاستهزام التوبيخ والتشيع والانكار وقيل من موصولة مبتدأ وانهم لم يخبروا فاعل هذا ظاهرا والاول اولى عن ابن مسعود قال لما خرج قوم ابراهيم الى عيدهم مر وعليه فقالوا يا ابراهيم اخرج معنا قال اني سقيم وقد كان بالامس قال تالله لا كيدن اصنامكم الآية فسمعها ناس منهم فلما خرجوا انطلق الى اهله فأخذ طعاما ثم انطلق الى آلهتهم ففر به اليهم فقال ألا ترون فكمسرها ألا كبيرهم ثم ربط في يده الذي كسره به آلهتهم فلما رجع القوم من عيدهم دخلوا فاذا هم بآلهتهم قد كسرت واذا كبيرهم في يده الذي كسره به الاصنام قالوا من فعل هذا يا لهتنا (قالوا) أي قال الذين سمعوا ابراهيم يقول وتالله لا كيدن اصنامكم مجيبين للاستفهامين لهم (سمعنا فتدكرهم) أي يعيهم ويسمهم وسمعهم هاتمة عدية لاثين لدخولها على ما لا يسمع فالاول في والثاني جلد تدكرهم بخلاف ما لو دخلت على ما يسمع كان قلت سمعت كلام زيد فلما اتعدى لواحد (يقال له ابراهيم) قال الزجاج أي هو ابراهيم فهو خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر أي يقال له ابراهيم فاعل ذلك وقيل ان رفعه على انه مفعول ما لم يسم فاعله أي يقال له هذا اللفظ ولهذا قال ابو البقاء المراد الاسم بالاسم وقيل على النداء أي يا ابراهيم ومن غرائب التدقيقات النجوى وبجانب التوجيهات الاعرابية ان الاعلم الشفقي الاشيلي قال انه مر فتح على الاهمال قال ابن عطية ذهب الى رفعه بغير شئ (قالوا فتأوبه على عين الناس) القائلون هم السائلون أمر وبعضهم

بسنة الاستنساخ وتو كان بعد الخشت قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك لأن يكون رافعا لخشت العين ومسقطا ان للكثرة وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الابق يحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم وقال عكرمة واذ كرك ربك اذا نسيت أن تقول ان شاء الله وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحرث الجلي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد العزيز بن حصين عن ابن أبي شبيب عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ولا تقولن لشيئ اني فاعل ذلك غدا الآن يشاء الله واذ كرك ربك اذا نسيت ان تقول ان شاء الله وروى الطبراني أيضا عن ابن عباس في قوله واذ كرك ربك اذا نسيت الاستثناء فاستثنى اذا ذكرت

وقال هي خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم وليس لاحد من ان يستنى الا في صلاة من عمنه ثم قال انقربه الوليد عن عبد العزيز بن الحارث بن يحيى في الآية وجه آخر وهو ان يكون الله تعالى قد ارشد من نسي الشيء في كلامه الى ذكر الله تعالى لان النسيان مفسوؤه من الشيطان كما قال وما أنساه الا الشيطان ان اذكره وذكر الله تعالى سبب لذكره ولهذا قال واذا كرتك اذ نسيت وقوله وقول عيسى أن مديني ربي لا قرب من هذا رشد أي اذا سئلت عن شيء لاتعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه اليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك وقيل في تفسير غير ذلك والله أعلم (وليسوا في كهفهم ١٣٣)

أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما هم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) وهذا خبر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بقدر ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم الى أن بعثهم الله وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي ثلثمائة سنة بالشمسية فان تفاوت ما بين كل كل مائة سنة بالقمرية الى الشمسية ثلاث سنين فلهم هذا قال بعد المثلثة وازدادوا تسعا وقوله قل الله أعلم بما لبثوا أي اذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في ذلك وتوقف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أي لا يعلم ذلك الا هو ومن أطلع عليه من خلقه وهذا الذي قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير كجاهد وغير واحد من السلف والخلف وقال قتادة في قوله وليسوا في كهفهم ثلثمائة سنين الآية هذا أقول أهل الكتاب وقد رده الله تعالى

ان يأتي به ظاهرا عبرا من الناس قيل انه لما بلغ الخبر غرودوا وشاركوا في قومه كرهوا ان يأخذوه بغير بينة فقالوا هذه المقالة ليكون ذلك حجة عليه يستحاون بها منه ما قد عزموا على ان يفعلوه به (أعلمهم يشهدون) أي يحضرون عقابه حتى ينزج غيره عن الاقتداء به في مثل هذا وقيل أعلمهم يشهدون عليه بأنهم رأوه يكسر أصنامهم وأعلمهم يشهدون طعنه على أصنامهم (قالوا أنت فعلت هذا يا ابراهيم) مستأنفة عن الكلام حذف أي نجاه ابراهيم حين أتوا به فاستفهموه هل فعل ذلك لقائمة الحجة عليه في زعمهم (قال) ابراهيم مقبلا للجنة عليهم بمكالمهم وقال الحقلي قال ساكع بن فعلة (بل فعله كبيرهم هذا) مشيرا الى الصنم الذي تركه ولم يكسره وقال الشهاب هذا على طريقة الكتابة القرصية فهذا يستلزم في فعل الصنم الكبير للكسر وأبناؤه لنفسه وحاصله انه اشار لنفسه على الوجه الابليغ مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل انتهى أخرج أبو داود والترمذي وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكذب ابراهيم في شيء قط الا في ثلاث كاهن في الله قوله اني سقيم ولم يكن سقما وقوله لسارة اختي وقوله بل فعله كبيرهم هذا وهذا الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة باطول من هذا وقد روى نحوه أبو يعلى من حديث ابي سعيد وقيل أراد ابراهيم عليه السلام نسبة الفعل الى ذلك الكبير من الاصنام انه فعل ذلك لانه غار وغضب من أن يعبد وتعبد الصغار معه ارشاد اليهم الى ان عبادة هذه الاصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تدفع لا تحسن في العقل مع وجود خالقها وخالقهم والاول اولى وقرئ بل فعله بتشديد اللام على معنى بل فعله الفاعل كبيرهم (فاسألوهم) عن فاعله (ان كانوا ينطقون) اي ان كانوا يمكنه النطق ويقدر على الكلام ويشهد ما يقال له فيجب عنه بما يطالبه وفيه تقديم جواب الشرط اراد عليه السلام ان يبين لهم ان من لا يتكلم ولا يعلم ليس بمحقق للعبادة ولا يصح في العقل ان يطلق عليه أنه الله فانخرج الكلام مخرج التعريض لهم بما يوقعهم في الاعتراف بان الجادات التي عبدوها ليست بالالهة لانهم اذا قالوا انهم لا ينطقون قال لهم فكيف تمسكون من يعجز عن النطق ويقتصر عن ان يعلم بما يقع عنده في المكان الذي هو فيه فهذا الكلام من باب فرض الباطل مع الخصم حتى تلازمه الجنة ويعترف بالحق فان ذلك اقطع لشبهته ودفع لمكابرته وانما قال ينطقون

بقوله قل الله أعلم بما لبثوا قال وفي قرآنه عبد الله وقالوا ليسوا يعني انه قاله الناس وهكذا قال قتادة ومطرف بن عبد الله وفي هذا الذي زعم قتادة نذر فان الذي يابى أهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة سنة من غير تسع يعنون بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وازدادوا تسعا وانما ظاهر من الآية انها هو اخبار من الله لا حكاية عنهم وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هي شاذة بالنسبة الى قراءة الجمهور فلا يحتاج اليها والله أعلم وقوله أبصر به وأسمع أي انه لبصير بهم سميع لهم قال ابن جرير وفي ذلك معنى المبالغة في المدح كانه قيل ما أبصره وأسمعوه وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمع له لكل

يسوع لا يخفى عليه من ذلك شيء ثم روي عن قتادة في قوله أبصر به وأسمع فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع وقال ابن زيد أبصر به وأسمع روى عنهم ذلك منهم جميعاً أبصراً وقوله ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحد أي أنه تعالى هو الذي لا يخطئ والآخر الذي لا يعقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس (وابن مائوس) اليك من كتاب ربك لا تبدل لك آياته ولن يبدل من دونه لمجد أو أصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدا والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تقطع من (١٣٤) أعفنا قلبه عن ذكرنا واتق به هوادو كان أمره قراطاً يقول تعالى

ولم يقل يسعون أو يعقلون مع أن السؤال موقوف على السمع والعقل أيضاً لما ننتيجة السؤال الجواب وإن عدم تفهيمهم أظهر في تكبيرهم (فرجعوا إلى أنفسهم) أي رجع بعضهم إلى بعض رجوع المنقطع عن حجة المنطق لصحة حجة خصمه المراجع لعقوله وذلك أنهم تنهوا وفهموا عند هذه المناقولة منهم وبين أراهم أن من لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الأضرار عن فعله به ما فعله أراهم تلك الاصنام بتجليل أن يكون مستحقاً للعبادة ولهذا (فقالوا) أي قال بعضهم لبعض (انكم أنتم الظالمون) لأنفسكم بعبادة هذه الجادات وليس الظالم من نسبت إليه الظلم بقولكم أنه لمن الظالمين (ثم تكسوا على رؤوسهم) أي رجعوا إلى حبلهم وعنادهم شبه سبحانه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه وقيل المعنى أنهم طأطأوا رؤوسهم خجلة من أراهم وهو ضعيف لأنه لم يقل تكسوا رؤوسهم فتح الكاف وإسناد الفعل إليهم حتى يصح هذا التفسير بل قال تكسوا على رؤوسهم وقرئ تكسوا بالتشديد وأنه لغة في الخفض فليس التشديد لتعديده ولا تكثير ثم قال بعد أن تكسوا لمخاطبين لأراهم (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) أي لقد علمت أن النطق ليس من شأن هذه الاصنام فكيف تأمر بأبوالهيم وما هذه حجازية أو تيمية (قال) أراهم مبكلاًهم ومزرياعليهم (اتقعدون من دون الله) أي بدله (ما لا ينفعكم شيئاً) من النفع أن عبدتموه (ولا يضركم) بنوع من أنواع الضرر إذا لم تعبدوه ثم تضجر عليه اللام منهم فقال (أف) بكسر الفاء مع التنوين وتركه وقصتها بـ لاتنوين بمعنى مصدر فالقراءات ثلاث وكلها سبعية أي تتناوب فيها (لكم ولما تعبدون من دون الله) وفي هذا تحقير لهم ولعبوداتهم واللام في لكم إيمان المتأففة أي لكم ولا آلهتكم والتأفف صوت يدل على التضجر (أفلا تعقلون) أي أليس لكم عقول تتفكرون بها فتعلون هذا الصنع القبيح الذي صنعتموه أو أن هذه الاصنام لا تستحق العبادة ولا تفعل لها وأنما يستحقها الله تعالى (قالوا) أي قال بعضهم لبعض لما أتيهم الخيلة في دفع أراهم وبجزوا عن مجادلتهم وضافت عليهم من مسالك المناظرة (عز قوه) انصرفناهم إلى طريق الظلم والغشم وميلناهم إلى إظهار الغلبة بأي وجه كان وعلى أي أمر أمة قوه وهكذا ديدن المبتطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحقه القاطعة واضمحلاله في مفرع الالتماسية والقاتل هو الترويض كنعان بن السحاري بن عمرو بن كوش بن حاتم

أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلاوة كتاب العزيز وبالإغصه إلى الناس لا تبدل لك آياته أي لا تغير لها ولا تحسرف ولا من يزل وقوله ولن تجد من دونه ملحداً قال ابن جرير يقول إن أنت بال محمد لم تتل ما أوحى إليك من كتاب ربك فإنه لا محبة لك من الله كما قال تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقال ابن الذي فرض عليك القرآن لادك إلى معاد أي سألنا عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة وقوله وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي اجلس مع الذين يذكرون الله ويهللون ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا من عباد الله سواء كانوا قسراً أو اختياراً أو قوياً أو وضعفاء يقال أنهم أنزلت في أشرف قرين حين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أو خجابه كبلال وعنار وضمير وخمباب وابن

مسعود ولقد أولئك يجلس على حد فقه الله عن ذلك فقال ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية ابن وأمره أن يصبر نفسه في الجوارح مع هؤلاء فقال وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وقال مسلم في صحيحه حديثاً أبو بكر بن أبي شيبة حديثاً محمد بن عبد الله الأسدي عن أسرايل عن المقدام بن شرحبيل عن أبيه عن مسعود بن أبي وقاص قال كأمج النبي صلى الله عليه وسلم ستم تفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم أطرده هؤلاء لا يجتمعون علينا قال وكنت أراهم مسعود ورجل من هذيل وبلال وريحلان نسبت اسميهما فوق في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع

خُذْتُ نَفْسَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّوَجَلَّ وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ فَأَقْرِيبُوا لَهُمْ مَصَدَّقَ الَّذِي يُبْعَثُونَ
 وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي النباح قال سمعت أبا الجعد يحدث عن أبي أمامة قال خرج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم على قاص يقص فأُسنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قص فلان أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب
 إلى من أن أعتق أربع رقاب وقال أحمد أيضا حدثنا هاشم حدثنا شعبة عن عبد الملك بن مسيرة قال سمعت كردوس بن قيس وكان
 قاص العام بالكووفة يقول أخبرني رجل من أصحاب بدر أنه مع (١٣٥) النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأن أقعدني

مثل هذا المجلس أحب إلى من أن
 أعتق أربع رقاب قال شعبة فقلت
 أي مجلس قال كان قاصا وقال أبو
 داود الطيالسي في مسنده حدثنا
 محمد بن ثابت بن زيد بن أبان عن أنس
 قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لأن أجالس قوما يذكرون الله
 من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس
 أحب إلى مما طلعت عليه الشمس
 ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى
 غروب الشمس أحب إلى من أن
 أعتق ثمانية من ولد اسمعيل دية كل
 واحد منهم اثنا عشر ألفا حدثنا
 دياتهم ونحن في مجلس أنس فبلغت
 ستة وتسعين ألفا وهو نامان يقول
 أربعة من ولد اسمعيل والله ما قال إلا
 ثمانية دية كل واحد منهم اثنا عشر
 ألفا وقال الحافظ أبو بكر البزار
 حدثنا محمد بن إسحق الأهوازي
 حدثنا أبو أجدالز بيري حدثنا عمرو
 ابن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأقرع
 أبي مسلم وهو الكوفي أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ
 سورة الكهف فلما رأى النبي صلى
 الله عليه وسلم سكت فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم هذا المجلس الذي

ابن نوح وقيل القائل رجل من أكراد فارس اسمه هينون خسفا لله بالارض ثم قالوا
 (وانصروا آلهمكم) أي انصروا بها للاتقام من هذا الذي فعل بها ما فعل وبخبريقه
 (أن كنتم فاعلين) للنصر فجعله والله الخطب الكثير وواضروا النار في جميعه واوتقوا
 ابراهيم وجعلوه في مخبئ ورموه في النار قاله المحلى وكانت مدة الحج شهرًا ومدة الايقاد
 سبعة أيام ومدة مكث ابراهيم في النار سبعة أيام وفي الرازي أربعين يوما وخسین ومثله
 في أبي السعد وكان وقت الفناء فيه ابن ست عشرة سنة وقيل ست وعشرين قاله
 الماوردي (قلنا) في الكلام حذف تقديره فاضروا النار وذهبوا بابراهيم اليها فعد
 ذلك قلنا (يا ناركوني بردا وسلاما) أي ذات برد وسلام أي اردى بردا غير ضار فحذف
 المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للمبالغة قيل وانتصاب سلاما على انه مصدر أي وسلمانا
 سلاما (على ابراهيم) ولولم يقل على ابراهيم لما حرق نارولا لا تقتد قاله ابو حيان
 في البحر عن ابن عباس قال لما جع لابراهيم ما جع وألقي في النار جعل خازن المطر يقول
 متى أمطر بالمطر فأرسله فكان امر الله اسرع قال الله كوني بردا وسلاما فملئ بق في الارض
 نارالاطفت واخرج احمد وابن ماجه وابن حبان وابو يعلى وابن ابى حاتم والطبراني
 عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان ابراهيم حين ألقى في النار لم تكن
 دابة الا تظني عنه البار غير الوزغ فإنه كان يتقي على ابراهيم فأمر رسول الله صلى الله عليه
 وآله وسلم بقتله وهو سام أبرص وذكر بعض الحكماء ان الوزغ لا يدخل بيتا فيه زعفران
 وأنه يبيض قاله ابن القيم وعن ابن عمر قال اول كلمة قالها ابراهيم حين ألقى في النار حسبنا
 الله ونعم الوكيل اخرجه ابن ابى شيبه وابن المنذر وعن السدي قال كان جبريل هو الذي
 ناداهما النار وعن ابن عباس قال لم يتبع بردها سلاما لما مات ابراهيم من بردها وعن
 علي نحوه وعن معمر بن سليمان التيمي قال جاء جبريل الى ابراهيم وهو يوثق ليلقي في النار
 فله لابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا وعن كعب قال ما حرق النار من ابراهيم
 الا وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت اضافتها وعن المنهال بن عمرو قال اخبرت ان ابراهيم
 ألقى في النار فكان فيها اماخسين ولما اربعين فقال ما كنت اياما وليالي قط اطيب عيشا
 اذ كنت فيها ووددت ان عيشي وحياتي كلها مثل عيشي اذ كنت فيها (وأرادوا به كيدا)
 أي مكرًا وهو التحريق (فجعلناهم الاخسرين) أي اخسر من كل خاسر ورددنا مكرهم

أمرت أن أصبر نفسي معهم هكذا روى أبو أجدان عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأقرع عن
 منصور بن جندب عن محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقرع عن الأقرع عن مسلم عن أبي هريرة عن أبي سعيد قال جاء
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المجلس
 الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون المديني حدثنا ميمون بن سميعة عن أنس بن
 مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد

لَفَتْلَاهُ هَذِهِ الْآيَةَ أَوْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ نَارًا حَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَا ادْخُلُهَا أَبَدًا وَمَاتَتْ حَيًّا وَلَا يَصْبِغُ مِنْهَا قَطْرَةٌ وَقَوْلُهُ وَإِنْ
يَسْتَعْمِلُوا بِنِجَاسٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْبُجُودَ الْآيَةَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْمُهْلُ الْمَاءُ الْغَلِيظُ مِثْلُ دَرْدَى الزَّبْتِ وَقَالَ بَحَا هَذَا هُوَ كَالْمَاءِ وَالْقَبِيحِ
وَقَالَ عِكْرِمَةُ هُوَ النَّبِيُّ الَّذِي أَنْتَ حَرِّهَ وَقَالَ آخَرُونَ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ أَذِيْبٌ وَقَالَ قَتَادَةُ أَذَابَ ابْنَ مَسْعُودٍ شَيْئًا مِنَ الذَّهَبِ فِي اخْتِدَادِهِ فَلَمَّا
انْجَاعَ وَزَيْدٌ قَالَ هَذَا أَشْبَهَ شَيْئًا بِالْمُهْلِ وَقَالَ الضَّحَّاكُ مَا جَعَلَهُمْ أَسْوَدَ وَهُيَ سَوْدَاءُ وَأَهْلُهَا أَسْوَدُ وَهَذِهِ الْاقْوَالُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا يَنْتَقِي الْآخَرَ
فَإِنَّ الْمُهْلَ يَجْمَعُ هَذِهِ الْأَوْصَافَ الرَّذِيلَةَ كُلَّهَا وَهُيَ أَسْوَدُ مِثْلَ غَلِيظِ حَارٍ (١٣٧)

ابن سعد عن عمرو بن الحارث عن
دراج به ثم قال لا تعرفه الا من
حديث رسلين وقد تكلم فيه من
قبل حفظه هكذا قال وقد رواه
الامام أحمد كما تقدم عن حسن
الاسيب عن ابن لهيعة عن دراج
والله اعلم وقال عبد الله بن المبارك
وبقيع بن الوليد عن صفوان بن
عمرو عن عبد الله بن بشر عن ابي
امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله ويسقى من ماء صدي يتجرعه
قال يقرب اليه فيشكره فاذا
قرب منه شوى وجهه ووقعت
فروة رأسه فاذا شرب قطع امعاءه
يقول الله تعالى وان يستغيثوا
يغاثوا بما ل كلهم يشوى الوجوه
ش الشراب وقال سعد بن جبر

الصلوة) الاصل الاقامة الا ان المضاف اليه جعل يدل من الهاء والمعنى المحافظة عليها
(وايتاء الزكاة) الواجبة وخصهما بالذكرا لان أفضل العبادات البدنية وشرعت
لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجموعهما التعظيم لاهم الله والثقة على خلق الله
(وكافوا لنا) خاصة دون غيرنا من الاصنام قاله العمادى (عابدين) أى مطيعين فاعلمين
لأن أمرهم به يتركين لمآثرهم عنه وقيل موحدين (ولو طأ كنيته حكا) أى نبوة
(وعلى) أى معرفة بأمر الدين أو فقها لا تقبله فيكون من عطف السبب على المسبب
وقيل الحكيم هو فصل الخصومات بالحق وقيل هو الفهم (وتجنيها من القرية) هى
سذوم كاتقدم (التي كانت تعمل) أى يعمل أهلها فاضيه مجاز على (الخبائث) هى
اللواطقة والضرط وخذفى الحصى والرمي بالبدق واللعب بالطيور وعيد ذلك كإسماعيل ثم
عل سبحانه ذلك بقوله (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) أى خارجين عن طاعة الله (وأدخلناه)
بأنجائنا له من القوم المذكورين (فى) أهل (رحمتنا) وقيل فى النبوة وقيل فى الاسلام وقيل
فى الثواب وقيل فى الجنة (انه من الصالحين) الذين سميت لهم من الجنة (د) ذكر (نوحا
أذ نادى) ربه (من قبل) أى من قبل هؤلاء الانبياء المذكورين وبعث وهو ابن أربعين
سنة ومكث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستمائة سنة فمكث مائة
عمره ألفا وخمسين سنة كذا فى الخبر وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وأشدهم بلاء
والعنى دعائى قومه بقوله رب لا تذرا لى دعاء تفصيليا ودعاء عامأ خراجا لما يقوله انى
مغلوب فانتصر واما نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فدعا لقومه بالمهداية بقوله رب اهد
قومى فانهم لا يفهمون كافهمنا اول ذلك ورد أن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثلثا أهل
الجنة ولهم ثلاثة أرباع الجنة بل تسعة اعشارها وبقية الامم لهم العنبر ذكره السنوسى
فى شرح الصغرى (فاسق حينا له) دعاه (فنجيناها وأهلها) أى المؤمنين منهم (من
التكبر العظيم) أى من الفرق بالطوفان وتكذيب قومه له والكرب الغم الشديد
(وانصرناه) نصرنا مستعينا بالانقسام وقيل منعناه (من القوم الذين كذبوا باياتنا)
الدالة على رسالته أى من ان يصالوا اليه بسوء وقيل من يعنى على ثم عل سبحانه ذلك بقوله
(انهم كانوا قوم سوء فاعرقناهم أجمعين) أى لم تترك منهم أحدا بل أعرقنا كبيرهم
وصغيرهم ذكرهم وانما هب بسبب اصرارهم على الذنب (و) اذ ذكر (داود وسليمان)

الآخري انما ساءت مستقرا ومقاما (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انما لانفسيع أجرو من أحسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق يمتكبن فيها على الأرائك فهم الثواب وحسنت مرتبتنا كما ذكر تعالى حل الاشياء ثني بذلك عدا الذين آمنوا بالله وصعدوا المرسلين فيما جالوا به وعملوا بما أمرهم ومن الأعمال الصالحة فلهم جنات عدن والعبدن الأقامة تجري من تحتهم الانهار أي من تحت غرقهم ومنافز لهم - قال فرعون وهذه الانهار تجري (١٣٨) من تحت الآية يحلون أي من الحليسة فيمن أساور من ذهب وقال

قال فرعون وهذه الانهار تجري

أى قسمهما (أذبحك) أى وقت حكمهما والمراد من ذلك كرمها ذكر خبرهما (فى شأن الحث) قبل كان زرعاً وهو أشبه بالعرف وقيل كرمها عليه أكثر المنسرين وبه قال ابن عباس واسم الحث يطلق عليهما قال مرة كان الحث تبناً (أذنبت) قال ابن السكيت النفس بالتحرك لأن تنشر الغنم بالليل من غير راع أى تشرقت وانتشرت ورت بان انفلتت (فيه غنم القوم) أى غنم بعض القوم من أمّة داود (وكان الحكمهم) أى الحكم الحاكمين وفيه جواز إطلاق الجع على الاثنين وهو مذهب طائفة من أهل العربية كالزحشري والرضي وتقدمهما الى القول به الفراء وانما وقع الجع موقع التنسية مجازاً أو لان التنسية جمع وأقل الجع اثنان وتدل عليه قراءة الحكمهما وقيل المراد الجاعل الحاكم وهو كرم عليه فهو لا جاعة وفيه الجع بين الحقيقة والمجاز فان الحقيقة تضافه المصدر لتفاعل والمجاز تضافته لمفعوله ومعنى (شاهدين) حاضرين والجلد اعتراضية وقدرى البيهقي فى سننه عن ابن مسعود ولقنلة قال كرم قد أبت عناقيد فافسدت به الغنم فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا باني الله قال وما ذلك قال يدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا عاد الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبها والغنم الى صاحبها فذلك قوله (فقهناها سليمان) وعن مسروق شحوه وكذا عن ابن عباس لكنه لم يذكر الكرم وعنه باطول منه والظاهر المنصوب يعود الى القضية المفهومة من الكلام أو الى الحكومة المدلول عليها بذكر الحكم وفى الصحاحين وغيرهما من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغنا أمر أن من غنمها اثنان جاء الذئب فاخذ أحدا الاثنين فحما كما الى داود فقضى به للكبرى غير جئافند عاهما سليمان فقال هاتوا السكين أسسقه بينهما فقال الصغرى رحل الله هوايتها لا تشقه فقضى به للصغرى وهذا الحديث وإن لم يكن داخلاً فيما حكته الآية لكنه من جملة ما وقع لهما قال المنسرين ودخل رجلا ن علي داود وعنده اثنان سليمان أحدهما صاحب حث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الحث ان هذا انفلتت غنمه لا يلا فوقع فى حثى فلم يبق منه شيئاً فقال لك راقب الغنم فقال سليمان أوغى ذلك سئل أن صاحب الكرم بالغنم فيصميموا من البانها وضاعها ويقوم أصحاب الغنم على الكرم حتى اذا كان كليله نقشت فيه دفعه هولا الى هولا عنهم ودفع

[illegible]

هو لاء الى هؤلاء كرمهم فقال داود اقتضما قضيت وحكم بذلك قال التماس انما قضى داود بالغتم لصاحب الحرب لان غنما كان قريباً منه واما في حكم سليمان فقد قيل كانت قسمة ما نال من الغنم وقيمة ما فسدت الغنم سواء قال جماعة من العلماء ان داود وحكم يوحى وحكم سليمان يوحى نسخ الله به حكم داود فيكون التفهيم على هذا بطريق يوحى وقال الجمهور ان حكمهما كان باجتهاد وكلام أهل العلم في حكم اجتهاد الانبياء معروف وهكذا ما ذكره في اختلاف المجتهدين وهل كل مجتهد مصيب أو الحق مع واحد وقد استدل المستدلون بهذه الآية على ان كل مجتهد مصيب ولا شك انهم اتدل على رفع الائم عن الخطي وأما كون كل واحد منهم مصيباً فلا تدل عليه هذه الآية ولا غيرها بل صرح الحديث المتفق عليه في الصحاح وغيرهما ان الحاكم اذا اجتهد فاصاب فله اجر وان اجتهد فاطأ فله اجر فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجتهداً فكيف يقال انه مصيب لحكم الله موافقه فان حكم الله سبحانه واحداً لا يختلف باختلاف المجتهدين والازم توقف حكمه عز وجل على اجتهادات المجتهدين والازم باطل فاللزوم مثله وأيضاً يستلزم أن تكون العين التي اختلف فيها اجتهاد المجتهدين باطل والحرمة حلالا وحراما في حكم الله سبحانه وهذا اللازم باطل بالاجماع فاللزوم مثله وأيضاً يلزم ان حكم الله سبحانه لا يزال يتجدد عند وجود كل مجتهد له اجتهاد في تلك الحادثة ولا يتقطع ما يريده الله سبحانه فيها الا بانقطاع المجتهدين والازم باطل فاللزوم مثله والحاصل ان المجتهدين لا يقدر ان على اصابة الحق في كل حادثة لكن لا يصرون على الخطا كما رجح داود هنالك الى حكم سليمان لما ظهر له انه الصواب وقد أوضح الشوكاني هذه المسئلة بما لا مزيد عليه في القول المفيد وأدب الطلب فمن أحب الوقوف على تحقيق الحق فليرجع اليهما وإلى المؤلف الذي سمي به حصول المأمول من علم الأصول وإلى كتابنا الحنة في الاسوء الحسنة بالسنة ففهم ما ما بغنى عن غيرهما قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكم قد هلكوا ولكن الله جحد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده وقال مجاهد كان هذا صلحا وما فعله داود كان حكما والصالح خير فان قلت فما حكم هذه الحادثة التي حكم فيها داود وسليمان في هذه الشريعة المحمدية والملة الاسلامية قلت قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حديث البراء انه شرع لائمه ان على أهل الماشية حفظها باللسل وعلى أصحاب الخواط حفظها بالنهار وان

وعزة النفر وقوله ودخل جنته وهو
ظالم لنفسه أى بكفر وموت بـ
وتكبره وتحببه وانكاره المعاد
قال ما ظن ان تبدي هذه ايدى ذلك
اغترار منه لما رأى فيها من الزرع
والثمار والاشجار والانهار المطردة
جوانبها وار جاها ظن انها لا تفتنى ولا
تفقر ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة
عقله وضعف بيقينه بالله وطمحه
بالحياة الدنيا وزيغها وكفره بالآخرة
ولهذا قال وما ظن الساعة قائمة
أى كائنة ولئن رددت الى ربى لاجدن
خير امنها من قبلها أى ولئن كان معاد
ورجعة ومرد الى الله ليمكن
لى هذا أك احسن من هذا الحظ
عند ربى ولولا كرامتى عليه
ما عطينى هذا كما قال فى الآية
الآخرى ولئن رجعت الى ربى انى
عنده للسنن وقال افرأيت الذى
كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا
أى فى الدار الآخرة نألى على الله
زوجا وحل وكان سبب نزولها فى
العاص بن وائل كاسى أى بيانه فى
موضع ان شاء الله وبه الثقة قال
له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذى
خلقك من تراب ثم من نطفة ثم من الد

رحبوا بكما هو الله ربى ولا اشر لشرى أحد اولوا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا قل منكم ما اولوا اذ
فعبى ربى أن يؤتى خيرا من جنتك ويرسل عليهما خبايا من السماء تصبغ صعيدا لقا أو تصبغ ماؤها غورا فلن تستطيع له
طلما يقول تعالى مخبرا عما اجابه به صاحبه المؤمن واعظا له وزير اعما هو فيه من الكفر بالله والاعتراض كقوت بالذى خلقك
من تراب الآية وهذا انكار وتعظيم لما وقع فيه من محذور به الذى خلقه وابتدأ خلق الانسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله
من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم الا يماي كيف تتحدون ربكم وولاته عليكم

ظاهرة جليلة كل أحد يعلم أن نفسه ذلته من أسد من الخلق ذات الأوية لم أنه كان معبوداً ومأموراً وجسداً ليس وبعبود من نفسه
ولما استند إلى شيء من الخلق ذلته بتأنيته فلم يستند إلى شيء من الخلق ذلته بتأنيته ولم يستند إلى شيء من الخلق ذلته بتأنيته ولم يستند إلى شيء من الخلق ذلته بتأنيته
لكن عاونه رى أى كان ذلته فأول من تقاتل به بل اعترف به بأحدانية والربوبية ولا أشرك بربى أحد أى بل هو الله المعبود
وسد له الأمر بانه لم يتم قال ولا دخلت جنته أى وحلا وهذا التعويض وحى على ذلك ولولا أن دخلت جنتك قالت ماذا أتة لا قوة
الناية أن ترى أن أول من تقاتل به لا ورا (١٤٠)

ما أقصدت المواتي بالليل فمضت عن أهلها وهذا الثمنان هزم قد اراد ان يذهب عنها أو
 قيته وقد ذهب جهور العلماء إلى العمل بما تضمنه هذا الحديث وذهب أبو حنيفة
 وأصحابه وجماعة من الكفرين إلى ان هذا الحكم منسوخ وان البهايم اذا أقصدت زرعاً في
 ليل أو نهار لا يلزم صاحبها شيئا وادخلوا فسادها في عموم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم
 جرح النجاء بجوارقها لجميع أفعالها على جرحها ويجب عنه بان هذا التقياض فاسد
 الاعتبار لا في مقابلة النص ومن أهل العلم من ذهب إلى انه يتضمن رب الماشية
 ما أقصدته من غير فرق بين الليل والنهار ويجب عنه مجذبات البراءة وقد بسط الشوكاني
 رحمه الله الكلام عليه في شرحه للتمتق ومما يدل على ان هذين الحكمين من داود
 وسليمان كما يوجب من الله سبحانه لا باجماع قوله فنهية هاهنا سليمان (وكلا آتينا حكمة
 وعلماً) فان الله سبحانه أخبر نبيه أنه أعطى كل واحد منهما هذين الأمرين وهما ان كانا
 خاصين فصدقهما على هذا القضية التي حكاهما الله سبحانه عنهم ما تقدم على صدقهما على
 غيرهما وان كانا عامين فهذا التردد من الحكم والعلم وهما واقع من كل واحد منهما في هذه
 القضية أحق أو اذ ذلك العام بدخوله تحت ودالاته عليه ومما يستفاد من ذلك دفع ما عسى
 يورثه تخصيص سليمان بالتفهم من عدم كون حكم داود حكماً شرعياً أي وكل واحد
 منهما أعطياه حكم وعلم كثير الاسليان وحده ولم يمدح داود وسليمان على سبيل
 الاستفراد كما يختص بكل واحد منهما فادب داود فقال (وسخرا) التسخير التكب
 للعمل بلا أجر وسخره تسخيراً كلفه عملاً بلا أجر والمراد هنا التذليل أي ذلنا (مع داود
 الجبال بسج) التسبيح اماحية أو مجاز وقد قال بالاول جماعة وهو الظاهر وذلك
 ان داود كان اذا سبج سبجت الجبال معه وقيل انها كانت تضيئ معه اذا ضل فانه قدوة
 وهو معنى التسبيح وقال الجبال جماعة آخرون وجعلوا التسبيح على تسبيح من رآها انجاس
 عظيم خلقها وقدرة خالقها وقيل كانت الجبال تسبج مع داود حيث سار وكان من رآها
 سار ثمعه سبي والظاهر وقوع التسبيح منها بالطق خلق الله فيها الكلام كما سبج الحصى في
 كفر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمع الناس ذلك وكان داود وهو الذي يسمع وحده
 قاله أبو حيان (و) كذا سخرنا الطير للتسبيح معه (وكذا فعلمين) ما ذكر من التسبيح به وانه
 الحكم والتسخير وقدم الجبال على الطير لان تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة

أَبُو قَالَ أَلَا ذَلِكَ عَلَى كَثْرَتِنَا كُنُوزُ الْجَنَّةِ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ تَرْدُهُ أَحَدٌ وَقَدْ نَبَتْ فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي مُوسَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا ذَلِكَ عَلَى كَثْرَتِنَا كُنُوزُ الْجَنَّةِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا بَكِيرُ بْنُ عَيْسَى حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بِلْعَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَجْمُونٍ قَالَ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلَا ذَلِكَ عَلَى كَثْرَتِنَا كُنُوزُ الْجَنَّةِ تَحْتَ الْعَرْشِ قَالَ قُلْتُ نَعَمْ فَمَاذَا أَيْ وَاحِي قَالَ إِنَّهُ تَقُولُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَازِ أَبُو بِلْعَ وَرَاحِبٌ أَنَّهُ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ أَسْلِمَ عَبْدِي وَاسْتَسْلِمَ قَالَ فَقُلْتُ لَعَمْرِي قَالَ أَبُو بِلْعَ فَازِ عَمْرٍو فَقُلْتُ لَأَبِي هُرَيْرَةَ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ فَقَالَ لَأَنَّهُ فِي سُورَةِ الْكَافِرَةِ وَلَوْلَا أَنْ ذُنُوبِي

جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله وقوله فعسى ربى أن يؤتينا خيرا من جنتك أى فى الدار الآخرة ويرسل عليها أى على جنتك فى الدنيا التى ظننت انك لا تقيد ولأننى حسبا نامن السماء قال قال ابن عباس والضحاك وقادة ومالك عن الزهري أى عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم من عجم يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال فتصبح معبدان لتأبى بلقعات أبابلس لا يثبت فيه قدم وقال ابن عباس كالجزر الذى لا يثبت شيئا قوله أو يصبح ماؤها غورا أى غائرا فى الأرض وهو ضد النابع الذى يطلب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى قل رأيتهم أصبحوا كما هم غورا فى (١٤١) يأتىكم بهاميع أى جاروساخ وقال ههنا

أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا والغور مصدع أى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر
تظل جيماده نوحا عليه

تقلده اعنتها صوفيا

يعنى نائحات عليه (وأحيط بقره فاصبح يقبل كفيه على ما أتفق فيها وهى طريقة على عرشها ويقول باليتى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فتنة ينصر وبنه من دون الله وما كان منتصرا ههناك الولاية لله

الحق هو خير نوابا وخير عقبا) يقول تعالى وأحيط بقره بما والله أو بقره على القول الآخر والقصود انه وقع بهذا الكافرا كان يحذر مما خوفه به المؤمن من ارسال الحسين على جيشه التى اعتر بها وألته عن الله عز وجل فاصبح يقبل كفيه على ما أتفق فيها وقال قتادة يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الاموال التى اذهبها عليها

ويقول باليتى لم أشرك بربى أحدا ولم تكن له فتنة أى عسيرة أو ولد كما افتر بهم واستعز بنصر وبنه من دون الله وما كان منتصرا ههناك الولاية لله الحق اختلف القراء ههنا فتمهم من يقف على قوله وما كان منتصرا وابتدى بقوله ههناك الولاية لله الحق فلامن الله منه ويتدى بقوله الولاية لله الحق وتمهم من يقف على قوله ههناك الولاية لله الحق ثم اختلفوا فى قراءة الولاية بفتحهم من فتح الواو من الولاية بفتحهم المعنى ههناك الموالاة أى ههناك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع الى الله والى حوالاته والخضوع له اذ وقع العذاب كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرا بما كنا به مشركين وقوله اخبار عن فرعون حتى اذا دركه العرق قال آمنت بالله لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنامن المسلمين آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وتمهم من كسر الواو من الولاية أى ههناك الحكيم لله الحق ثم منهم من

وأدخل فى الاعجاز لانها جادوا الطير حيوان ناطق وهو جمع طائر وجمع الطير طيور وأطيار ويقع الطير على الواحد والجمع وقال ابن الانبارى الطير جماعة وتأتينا أى كثر من التذكير ولا يقال للواحد طير بل طائر وقيل يقال للثاني طائرة (وعلمناه صنعة لبوس لكم) اللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا والمراد فى الآية الدروع خاصة وهو بمعنى اللبوس كالركوب والحلوى قبل أول من صنع الدروع وسردها واتخذها حلقا ودفع عليه السلام وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله لأن الحديد اداو عليه السلام بان يعمل منه بغير نار كما نه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله (لتحصنكم) بالقوة بارجاع الضمير الى الصنعة والى اللبوس بتأويل الدرع أى اتقنكم وقرى بالنون بارجاع الضمير اليه سبحانه وقرى بالياء بارجاع الضمير الى اللبوس أو الى داود أو الى الله سبحانه (من بأسكم) أى من حربكم مع أعدائكم أو من وقع السلاح فيكم (فهل أنتم) يا أهل مكة (شاكرون) لهذه النعمة التى انعمنا بها عليكم والاستفهام فى معنى الامر ثم ذكر سبحانه ما خص به سليمان فقال (و) سخرنا (لـ) سليمان الريح) عبر هنا باللام الدالة على التمليك وفى داود جمع وذلك ان الجبال والطير لما اشتركا مع فى التسبيح ناسب فيه ذكر مع الدالة على الاصطحاب ولما كانت الريح مستخدمة لسليمان أتى بلام الملائكة لانها فى طاعته وتحت أمره والريح هو جسم متحرك لطيف متمتع بالخلق من القبض عليه يظهر للجن بحركته ويخفى عن البصر بلفظه (عاصفة) أى شديدة الهبوب وخفيفته يقال عاصفت الريح أى اشتدت فهى ريح عاصف وعصوف (تجربى بامرهم) أى ان أراد أن تستدشدت وان أراد أن تلبن لانت فهى جامعة للوصفين فى وقت واحد وهذه آية أخرى غير التسخير (الى الارض التى باركنا فيها) أى تجرى منتبهة اليها فى رواحهم من سفره أى رجوعه منه وهى أرض الشام عن ابن عباس قال كان سليمان يوضع له سقاية ألف كرسى ثم يجيى أشراف الانس فيجلسون بمائده ثم يجيى أشراف الجن فيجلسون بمائلى أشراف الانس ثم يدعوا الطير فيظلمهم ثم يدعوا الريح فيظلمهم ثم يدعوا السم فيأكلهم فى الغداة الواحدة (وكما بكل شئ) وتدبيره (عالمين) سخرنا له (من الشياطين) أى الكفار من الجن دون المؤمنين (من يعصون له) فى البحار ويستخرجون منها ما يطلبه منهم والغوص النزول تحت الماء يقال غاص فى الماء

كان منتصرا ههناك أى فى ذلك الموطن الذى حل به عذاب الله فلا منقذه منه ويتدى بقوله الولاية لله الحق وتمهم من يقف على قوله ههناك الولاية لله الحق ثم اختلفوا فى قراءة الولاية بفتحهم من فتح الواو من الولاية بفتحهم المعنى ههناك الموالاة أى ههناك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع الى الله والى حوالاته والخضوع له اذ وقع العذاب كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرا بما كنا به مشركين وقوله اخبار عن فرعون حتى اذا دركه العرق قال آمنت بالله لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنامن المسلمين آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وتمهم من كسر الواو من الولاية أى ههناك الحكيم لله الحق ثم منهم من

رفع الحق على انه نعت لمولايه كقوله تعالى الغيب يومئذ الحق مرجح وكان يوم اهل الكافرين عسيرا ومنهم من خفف الثاني حتى
انه نعت عز وجل تخفى خبره والى اسرارهم الحق لا ية وليس ذلك لقولهم هو خبير أي جازم وخبر عتدا أي الاعمال
لتي تكون بعد عز وجل فويلهم اخبرون قتها باحدة فريضة كذا خبر واضرب لهم مثل احدة اي امة كذا من امة فاختلطت
نبات الارض فاصبح شجها دود فربما وكان الله على كل شيء مقتضرا المسلم واليهود فريضة احدة فاختلطت نبات الارض
خبر عند ربك ثوابا خيرا املا يقول تعالى (١٤٦) واضرب محمد ناس مثل احدة اي امة فريضة فاختلطت نبات الارض

واضرب ناس من امة فاختلطت نبات الارض أي ما بين امة من امة فاختلطت
وحسن وعلاء زهر والنور والشفرة ثم بعد هذا كذا اصبح شجها يابا
تذروه والرياح أي تفرقه وتفرقه ذات البين وذات الشدة وكان الله
على كل شيء مقتضرا أي هو قادر على هذا الخلق وهذا الخلق وكثيرا
ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا
المثل كذا قال تعالى في سورة يونس
انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض مما يابا على الناس والانعام لا ية
وقال في الزمر لم تری ان الله انزل من السماء ماء فليكن ينابيع
في الارض ثم يخرج به نزعاً مختلفاً انواعها لا ية وقال في الحديد اعلوا
انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاهر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد لكل غيث الاحب الكفار
نباته الا ية وفي الحديث الصحيح
الدنيا خضرة حلوة وقوله المد
والبنون زينة الحياة الدنيا كقوله
زين الناس حب الشهوات من
النساء والبنين والقطاير المقنطرة
من الذهب الا ية وقال تعالى انما
ادواكم واولادكم فتنة والله عنده

واضرب ناس من امة فاختلطت نبات الارض أي ما بين امة من امة فاختلطت
وحسن وعلاء زهر والنور والشفرة ثم بعد هذا كذا اصبح شجها يابا
تذروه والرياح أي تفرقه وتفرقه ذات البين وذات الشدة وكان الله
على كل شيء مقتضرا أي هو قادر على هذا الخلق وهذا الخلق وكثيرا
ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا
المثل كذا قال تعالى في سورة يونس
انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من
السماء فاختلط به نبات الارض مما يابا على الناس والانعام لا ية
وقال في الزمر لم تری ان الله انزل من السماء ماء فليكن ينابيع
في الارض ثم يخرج به نزعاً مختلفاً انواعها لا ية وقال في الحديد اعلوا
انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة
وتفاهر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد لكل غيث الاحب الكفار
نباته الا ية وفي الحديث الصحيح
الدنيا خضرة حلوة وقوله المد
والبنون زينة الحياة الدنيا كقوله
زين الناس حب الشهوات من
النساء والبنين والقطاير المقنطرة
من الذهب الا ية وقال تعالى انما
ادواكم واولادكم فتنة والله عنده

أجر عظيم أي الاقبال عليه والتمسغ بعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم يشرب
وايضا قال والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخيرا املا قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف الباقيات
الصالحات الصالحات النجس وقال عطاء بن رباح وسعيد بن جبيرة عن ابن عباس الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وهكذا سئل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات ما هي فقال عن لاله الا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رواه الامام أحمد حدثنا أبو عبد الله المقرئ حدثنا حيوه حدثنا أبو عبد الله أنه سمع الحسن بن علي

عثمان رضي الله عنه يقول جلس عثمان يوما ووجدنا معه جماعة المؤمن قد عابوا في إمامة خلفه سيكون فيه مدة فوضا ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضأ وضو في هذا ثم قال من وضأ وضو في هذا ثم قام فصلى صلاة الظهر غفلة لما كان بين يمينه وبين المنبر ثم صلى العصر غفلة لما بين يمينه وبين الظهر ثم صلى المغرب غفلة لما بين يمينه وبين العصر ثم صلى العشاء غفلة لما بين يمينه وبين العشاء ثم لم يلبث أن فرغ ليلته ثم قام فوضأ وضو صلاة الصبح غفلة لما بين يمينه وبين صلاة العشاء وهي الحسنات بذهن المساكات قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان قال هي لا اله الا الله (١٤٣) وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تفريده ورى

مالك عن عمار بن عبد الله بن صباد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وقال محمد بن بجلان عن عمار قال سألت سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقالت الصلاة والصيام قال لم تصب فقالت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكن الكفارات الخمس لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وقال ابن جريج أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن نافع بن سمر بن جحس انه أخبره انه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة الا بالله قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك وقال مجاهد الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقسادة في قوله والباقيات الصالحات قال لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله

يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان يسلطه فصار كأصبح ما كان عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب اخوان جاؤوا فلم يستطيعوا أن يدنووا منه من ريحهم فقام من بعيد فقال احدهم لا تأخروا عن الله من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا جزع أيوب من قوله ما جزعنا لم يجزع من شيء قط مثله فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة قط شبعا بنا وأنا أعلم مكان جامع فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم ألبس قميصا قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السماء وهما يسمعان ثم خر ساجدا وقال اللهم بعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني فارتفع رأسه حتى كشف الله عنه وقدر واه ابن أبي حاتم مرفوعا بضو هذا (واكتفاء أهله ومثلهم معهم) قيل تركهم الله عز وجل واعطاهم مثلهم في الدنيا قال الحسن والاسناد بذلك صحيح وقد كان مات أهل جميعا الا امرأته فاحياهم الله في أقل من طرف البصر واتاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وبه قال اكثر المفسرين وكان له سبعة بنين وسبع بنات وقيل كان ذلك بان ولده ضعف الذين أماتهم الله فيكون معنى الآية على هذا اكتفاء مثل أهله ومثلهم معهم وعن مجاهد قال قيل له يا أيوب ان أهلك لك في الجنة فان شئت أقتنالك بهم وان شئت تركتهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال له بل اتركهم لي في الجنة قال فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا وقال ابن مسعود أوتي أهل باعيا منهم ومثلهم معهم وأخرج ابن أبي الدنيا وابو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والرواني وابن حبان والحاكم وصححه وابن مردويه عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان أيوب لبعث به بلاؤه على عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلين من اخوانه كانا من اخص اخوانه كانا يغدون اليه ويرحان فقال احدهما لصاحبه ذات يوم تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد قال وما ذلك قال منذ ثمان عشرة سنة لم يرجع الله فيكشف عنه ما به فلما راها إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر له ذلك فقال أيوب لا أدري ما تقول غير ان الله يعلم اني امر بالرجلين يتنازعا ان يذكر ان الله فارجع الى بيتي فاكفر عنهم كما رهة أن يذكر الله الا في حق وكان يخرج الحاجة فاذا قضى حاجته أسكت امرأته يديه حتى يبلغ فلما كان ذات يوم ابطل عليها فأتى الله الى أيوب في مكانه ان ركض برجل هذا فمغتسل بارد وشراب فاستبطأته فثلثته واقبل عليها فأدأ ذهب الله ما به من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت اي

الصالحات قال ابن جرير وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح الزارع عن أبي نصر القار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن بجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر عن الباقيات الصالحات قال وحيد بن نونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا نافع عن ابن جريج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثر من الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال الملة قليل وما هي يا رسول الله قال التكبير والتحميل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله وهكذا رواه أحمد عن حديث دراج به قال ابن وهب

أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف بن سالم بن عبد الله حدثه قال أوسني سالم إلى محمد بن كعب الأنزلي في حاجة فقال
 قل له ألقى عند زارية أيعير فإن لي حصة قل فقلت فاقسم أحدكم مالي الآخر ثم عدل ما لم أتعذر فيه قيامت الصلوات فقل
 لا إله إلا الله وات أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله فقال له سلمتي حاجات فيهم لا حول ولا قوة إلا بالله عدل ما زلت أجمعها
 قال فراجعهم من قبل أو ثلاثاً فلم يفرع قال فليت قال سالم أبجل فأتيت فأتى أبواب الأنصارى حدثني أنه سمع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو يقول عرجي إلى أسحان فأتيت إبراهيم عليه السلام فقال يا جبريل من هذا

معك فقال محمد فرجبني وسهل
 ثم قال مرأيتك فلك كثير من غراس
 ابنته فان تربتها طيبة وأرضها
 واسعة فقلت وما غراس ابنته
 فقال لا حول ولا قوة إلا بالله وقال
 الامام أحمد حدثنا محمد بن يزيد عن
 العوام حدثني رجل من الأنصار
 من آل النعمان بن بشير قال خرج
 علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء
 فرفع بصره إلى السماء ثم خفض
 حتى ظننا أنه قد حدث في السماء
 شيء ثم قال لما أنه سيكون بعدني
 أمراء مكذبون ويقتلون فني
 صدقهم بكذبهم وما زالهم على ظالمهم
 فليس مدني وأست منه ومن لم
 يصدقهم بكذبهم ولم يقاتلهم على
 ظالمهم فيومني وأنا منهم إلا أن
 سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله
 والله أكبر من الباقين الصالحات
 وقال الامام أحمد حدثنا عفان
 حدثنا إبان حدثنا يحيى بن أبي كثير
 عن زيد عن أبي سلام عن مولى
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال يخرج نخس ما أتقن في

بارك الله في وأيت في الله البتلى والله على خسر ما رأيت رجلاً أشبهه منذ أذن بحجها
 قال فني أذهو قال وكان له أسرار أندوتهم وأسر الشعير فبعث الله معها بين قتل كانت
 أحد اسماعلي أندوتهم افترقت فيه الذهب حتى فاض وانفردت الاخرى في أسرار شعير
 الزور حتى فاض وأندروا البندر بلفه أهل الشام وابتاع الأندرو والبندر موضع داس
 فيه الطعام وأندراسهم جنس فيكون مصرقاً (رجعت من عندنا) أي آية من أنزل رحمة الله
 (وذكر كرى تعالين) أي وتذكر كرى تعالين من العالين يصبروا ويحاربون فيسبوا كثر ما
 واختل في مدة أقامته على البلاد فقتل سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ليال
 وقيل ثلاثين سنة وقيل ثمان عشرة سنة قال الكرخي وهذا القول هو الصحيح وعاش أيوب
 ثلاثاً وستين سنة وكان أيوب رجلاً من الروم تسبب له بعض بن الحق وكان اسمه من ربه
 لوطن بهاران (وذكر اسمعيل) الطبري على لا تقبل ما تلذع وعاش مائة وثمانين سنة
 (واندريس) هو أخوخ جد نوح وأبى حياة أتم قبل موته ثمان مئة وبعث بعد موته
 بثمان مئة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فتكون جده عمره أربعة مئة وخمسين سنة
 وكان يسمونه نوح انفسه (وذا الكفل) هو الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا
 والصحيح انه رجل من بني اسرائيل كان لا يتورع عن شيء من الغاصي فتاب فقهر الله
 وقيل ان اليسع لما كبر قال من يسكن في بيك أو كذا من خصل اخبر حتى استخلفه فقتل
 رجل انافا استخلفه وسمى ذا الكفل وقيل كان رجلاً يسكن في بيت من الناس اذا وقع في شيء
 من المهمات وقيل هو أيوب واسمه بشير بعثه الله بعد ما يسوده ذا الكفل وامره
 بالوجود وكان مقبياً بالشام حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وعن مجاهد قال رجل
 صالح غرني فكفل نبي قومه أن يكفيه امر قومه ويعيهم له ودفق بينهم بالعدل فمعل
 ذلك فسمي ذا الكفل وعن ابن عباس قال كان في بني اسرائيل قاض يحضر الموت فقتل
 من يقوم من بني على ان لا يغضب فقال رجل ان نسي ذا الكفل فكان لي جعاً يصلي
 ثم يصبح صائماً فيقضي بين الناس وذ كركصة وعن ابن موسى الاشعري قال ما كنت
 ذوال الكفل قبل ولكن كان في بني اسرائيل رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي
 فكفل له ذوال الكفل من بعده فكان يصلي كل يوم مائة صلاة فسمي ذا الكفل وأخرج
 أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهم عن ابن

الميزان لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والوالد الصالح متوفى في حبسه وأنه قد يخرج
 نخس من ألقى الله مستيقظاً من دخل ابنته يوم من يلهه واليوم الآخر وبالجنة وبالله بعد الموت وبالحساب وقال الامام
 أحمد حدثنا روح حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية قال كان شاذ بن أوس رضي الله عنه في سفر فزل منزلاً فقال لغلامه
 اشتر لي شعير فبعثها فانكرت عليه فقال ما تكلمت بكمة منذ أسلمت الا وأنا اخطمها أو أرميها غير كتي شهة فلا تصفطوا علي
 واحفظوا أسأقول لكم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كنتم الناس الذهب والنفضة فأكروا آتيم هؤلاء الكلدان

اللهم اني اسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد واسألك شكر نعمتك واسألك حسن عبادتك واسألك قلبا سليما واسألك لسانا صادقا واسألك من خبير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفر لك ما تعلم انك انت علام الغيوب ثم رواه ايضا والنسائي من وجه آخر عن شداد بن يحيى وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد بن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمر بن الحسين عن يونس بن نفعيل الجدي عن سعد بن جناد رضى الله عنه قال كنت في اول من اتى النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الطائف فخرجت من اهل من السراذم فأتيت منى عند العصر فتصاعدت في الجبل ثم هبطت فأتيت (١٤٥) النبي صلى الله عليه وسلم فسلمت وعلمني

قل هو الله احد واذا ازلات وعلمني هؤلاء الكلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال هن الباقيات الصالحات وهن هذا الاسناد من قام من الليل فتوضأ ومضغ فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله اكبر مائة مرة ولا اله الا الله مائة مرة غفرت ذنوبه الا الدماء فانها لا تبطل قال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله والباقيات الصالحات قال هي ذكر الله قول لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصلاة والحج والصدقة والعق والجهاد والصلة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لاهلها في الجنة مادامت السموات والارض وقال العوفي عن ابن عباس هن الكلام الطيب وقال عبد الرحمن بن زبد بن اسمعيل هي الاعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله (ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرا نعم فلم تغادر منهم احدا وعرضوا على

عمر بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال كان ذوالكفل من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب عله فأتته امرأة فأعطاه ستمين ديناراً على أن يطأها فلما قعد منها قعد الرجل من امرأته ان تعذب وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما علمه فقط وما جئني عليه الا الحاجة فقال نفعلين أنت حذوا ما فعلته اذهبي فهي لك وقال والله لا أعصى الله بعد هذا أبد ماتت من ليلته فاصبح مكتوب على بابها ان الله قد غفر لذي الكفل وقد ذهب الجهور الى انه ليس بنبي وبه قال ابو موسى الاشعري ومجاهد وغيرهما وقال جماعة هو نبي ولعله هو الصحيح وبه قال الحسن لان الله قرن ذكره باسمه عجل وادريس ولان السورة ملقبة بسورة الانبياء ثم وصف الله سبحانه هؤلاء بالصبر فقال (كل من الصابرين) على القيام بما كلفهم الله به (وأدخلناهم في رحمنا) أى في الجنة أو في النبوة أو في الخير على عمومته علم ذلك بقوله (انهم من الصالحين) أى الكاملين في الصلاح (و) اذكر (ذا النون) هو يونس بن متى على وزن شئ اسم والده على ما ذكره صاحب القاموس أو اسم لامه على ما قاله ابن الاثير وغيره وقال الشهاب ومضى اسم أبيه على الصحيح وسمى ذا النون لا بتلاع الحوت لان النون اسم الحوت وجمعه أنوان ونيسان والحوت السمكة وجمعه حيتان وقيل سمي بذلك لانه صيما لم يجد فقال دسما فأنشده كالتصبيه العين وعن ابن الاعراب ان نونة الصبي هي الثقة التي تكون في ذقن الصبي الصغير ومعنى دسما سودوا (أذهب مغاضبا) أى اذكره وقت ذهابه مغاضبا أى مرغم القوم لاربه وقال الحسن والشعبي وسعيد بن جبير مغاضبا لربه واختاره ابن جرير والقتبي وحكى عن ابن مسعود قال النحاس وربما أذكره ذما من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا لاجل ربه كما تقول غضبت لك أى من أجلك وقال الضحالك مغاضبا لقومه وحكى عن ابن عباس وقالت فرقة منهم الاخنس انما خرج مغاضبا للملك الذي كان في وقته واسمه حرقا وقيل لم يغاضب ربه ولا قومه ولا الملك ولكنه مأخوذ من غضب اذا أنف وذلك انه لما وعد قومه بالعذاب وكانوا يسكتون فلسطين وخرج عنهم تابوا وكشف الله عنهم العذاب فلما رجع وعلم أنهم لم يمسكوا أنف من ذلك وخرج عنهم (فطن أن لن تقدر عليه) بفح النون وكسر الدال واختلاف في معنى الآية على هذه القراءة فتبيل معناها انه وقع في ظنه ان الله تعالى لا يقدر على معاقبته وقد حكى هذا القول عن

(١٩ - فتح البيان سادس) ركب صفنا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى الجرمين شفيقين مما يحق ويقولون يا ليتنا ملأ هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها وجدوا ما عملوا حاضرا ولا ينظرون (ركب أحد) يحضر تعالى عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيه من الامور العظام كما قال تعالى يوم تورا السماء مورورا ترى الجبال سيرا أى تذهب من أما كلها وتزول كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جبالا متوحررا السحاب وقال تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وقالوا لا تروى يسألونك عن الجبال فقل بفسها ربي نسفها في ذرها قاعا صفا لا ترى فيها عوجا

ولا أمنا يدكر تعالى انه تذهب الجبال وتساوى المتبادون في الارض فاعاصد نهأى سطعا مستويا لا عرج فيه ولا أمنا أى لا رادى ولا جبل ولهذا قال تعالى وترى الارض بارزة أى بادية ظاهرة ليس فيها علم لاحد ولا مكان يورى أحد ابل الخلق كاهم ضاحون لهم لم لا تخفى عليهم منهم خافية قال شاهد وقناة وترى الارض بارزة لا حجر فيها ولا غيابة قال قناة ولا ساء ولا شجر وقوله وحشر نادم فلم تغادر منهم أحد أى وجهناهم الاولين منهم والآخرين فلم تترك منهم احدا لا صغيرا ولا كبيرا كما قال قل ان الاولين والآخرين يجتمعون الى ميقات يوم معلوم وقال ذلك يوم يجوع له الناس وذلك يوم مشهود وقوله وعرضوا

(١٤٦)

والآخرين يجتمعون الى ميقات يوم

الحسن وسعيد بن جبير وهو قول مردود فان هذا الظن بالله كفر ومثل ذلك لا يقع من الانبياء عليهم السلام وذهب جمهور العلماء الى ان معناها فظن ان ان تضيق عليه كقوله يسط الرزق ان يشاء بقدرة أى يضيق ومنه قوله ومن قدر عليه رزقه يقال قدر وقدر وقتر وقترأى ضيق وقيل هو من القدر الذى هو القضاء والحكم دون القدرة والاستطاعة أى فظن أن ان تقضى عليه العقوبة قاله قتادة ومجاهد واختاره الفراء والزجاج قال ثعلب هو من التقدير ليس من القدرة يقال منه قدر الله لك الخير بقدره قدرا وبؤيده قراءة عرين عبد العزيز الزهرى تقدر بضم التون وتشديد الدال من التقدير وحكى هذا عن ابن عباس وبؤيده قراءة قتادة واذ عرج بقدر مبدى للمفعول من التقدير وقرئ يقدر مخففا مبدى للمفعول وقد اختلف العلماء في تأويل الحديث الصحيح في قول الرجل الذى لم يعمل خيرا قط لاله ان يحرقوه اذ مات ثم قال فواته لئن قدر الله على الحديث كما اختلفوا في تأويل هذه الآية والكلام في هذا بطول وقد ذكرناهما اما لاحتياج معناه الناظر الى غيره (فنادى فى الطلمات) الفاء فصيحة أى كان ما كان من التمام الحوت له فنادى والمراد بالظلمات ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قاله ابن مسعود وكان نداؤه وقوله (آن) أى بان (لا اله الا انت سبحانك) يعنى تترجمه من أن يحرق شئ (الى كنت من الظالمين) الذين يظلمون أنفسهم وهم وأول هذا الدعاء تهليل وأوسطه تسبيح وآخره اقرار بالذنب وقال الحسن وقناة هذا القول من بؤس اعتراف بذنبه وتوبة من خطيئته قال ذلك وهو فى بطن الحوت قبل مكث فيه أربعين يوما وليلة وقيل سبعة وقيل ثلاثة كما فى الخازن وفى البضاوى أربع ساعات ثم أخبر الله سبحانه به استجاب له فقال (فاستجيبنا له) دعاه الذى دعانا به فى ضمن اعترافه بالذنب على ألطاف وجهه (ونجينا من الغم) أى غم الذلة والوحشة والوحدة باخر احسنه من بطن الحوت حتى قذفه الى الساحل (وكذلك نجى المؤمنين) أى أنقذهم من همهم بما سبق من علمهم وما أعدنا لهم من الرحمة اذ ادعونا واستغاثوا بنا وهذا هو معنى الآية الاخرى وهى قوله فلو لانه كان من المسيئين للبش فى بطنه الى يوم يبعثون قرئ تبحى بنونين وبواحد وتوحييم مشددة وتسكين الياء على الفعل الماضى واضعار المصدر أى وكذلك نجى النجاة المؤمنين كما تقول ضرب زيد أى ضرب الضرب زيد اقاله الفراء وأبو عبيدو ثعلب وخطأه أبو حاتم والزجاج وقاله لحن لانه

على ربك صفنا يحتمل أن يكون المراد ان جميع الخلائق يقومون بين يدى الله صفنا واحدا كما قال تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفنا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ويحتمل انهم يقومون صفوا صفوا كما قال وجاء ربك والملك صفنا وقوله لقد يتمونا كما خلقناكم أول مرة هذا تفريع للمشكرين للمعاد وتوبيخ لهم على رؤس الشهاد ولهذا قال يحاطبنا لهم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا أى ما كان ظنكم ان هذا واقع بكم ولان هذا كائن وقوله و وضع الكتاب أى كُتب الاعمال الذى فيه الجليل والحقيق والفصيل والقطيع والصغير والكبير فترى المجرمين مشفقين بحافيه أى من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ويقولون يا ويلتنا أى يا حشرتنا ويا ويلنا على ما فرطنا فى أعمارنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها أى لا يترك لنا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا ولا صغيرا الا احصاها أى ضبطها وحفظها وروى الطبرانى

باسناده المتقدم فى الآية قبلها الى سعد بن جنادة قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين زلما فقرأ نصب من الارض ليس فيه شئ فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعوا من وجدعوا فليأت به ومن وجد حطبا أو شأ فليأت به قال فما كان الاساعة حتى جعلناه ركاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتروا هذا فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليأتى الله رجلا ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانهم احصاها عليه وقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا أى من خير وشرا كما قال تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية وقال تعالى نبأ الانسان يومئذ بما كان يعمل

قال الامام أحمد حدثنا الوليد حدثنا شعبة عن ثابت عن النسي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل عاذر لواء يوم القيامة يعرف به اخرجه في الصحيحين وفي لفظ يرفع لكل عاذر لواء يوم القيامة عند استه بقدر عذره يقال هذ عذرة فلان بن فلان وقوله ولا ينظم ذلك احدا اي في حكم بين عبادي في اعمالهم جميعا ولا ينظم احدا من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعذله ولا النازر الكفار واصحاب المعاصي ثم ينجي اصحاب المعاصي ويحلف فيها الكافرين وهو الحاصم الذي لا يجوز ولا ينظم قال تعالى ان الله لا ينظم مثقال ذرة وان تك خسمة يضاعفها الآية (١٤٧)

وقال وفضح الموازين القسط ليوم القيامة فلا تنظم نفس شأ الى قوله حاسبين والايات في هذا كثيرة وقال الامام أحمد ثنا يزيد بن حريزنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل انه سمع جابر بن عبد الله يقول بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فاشترت بعرا ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهر احتى قدمت عليه الشام فاذا عبد الله بن نيس فقلت للبواب قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله قلت نعم فخرج بطأوبه فاعنته فقلت فاعتقه فقلت حديث بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصص فحشيت ان تموت أو أموت قبل ان اسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة أو قال العباد عرا ذعرا لا بهم ما قلت وما بها قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ان الملك انما الدين لا ينبغي لاحد من أهل النار ان يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى اقضه

نصب اسمهم ما لم يسم فاعله وانما يقال ينبغي المؤمنون وقيل أدغم النون في الجيم وبه قال القتيبي وأبو عبيدة واعترضه الخاس فقال هذا لا يجوز عند أحد من الجوين لعد يخرج المذغم والمذغم فيه قيل كانت هذه الواقعة قبل الرسالة وصححه الخازن ويدل له قوله تعالى بعد ذكر روجه من بطن الحوت في سورة الصافات وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وأخرج أحمد الترمذي والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال دعوة ذي النون اذ هو في بطن الحوت لا اله الا انت الخ لم يدع بها مسلم ربه في شيء قط الاستجاب له وأخرج ابن جري عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى قلت يا رسول الله هل لي بونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي يونس خاصة للمؤمنين عامة اذا دعو ابيه ألم تسع قول الله وكذلك ينبغي المؤمنين فهو شرط من الله ان دعاهم وأخرج الحاكم من حديث ابنه أيضا نحوه وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي لاحد ان يقول أنا خير من يونس بن متى وروى أيضا في الصحيح وغيره من حديث ابن مسعود وروى أيضا في الصحيحين من حديث أبي هريرة (و) اذ كثر خبر (زكريا) اذ نادى ربه أي وقت نداء له قال (رب لا تدركني فردا) أي منفردا وحيدا والاولى يرثي وقد تقدم الكلام على هذه الآية في آل عمران (وأت خير الوارثين) أي خير من يبقى بعد كل من يموت فانت حسي ان لم تر زفني ولدا فاني اعلم انك لاتضيع دينك وانه سيقوم بذلك من عباده من تختاره وترضيه للتبليخ (فاستجباله) دعاه (وههنا يحيى) ولدا وقد تقدم تفسيره مستوفى في سورة مريم (وأصلحناه زوجة) قال اكثر المفسرين انها كانت عاقرا فجعلها الله ولدا وهذا هو المراد باصلاح زوجها وقيل كانت سبعة الخلق فجعلها الله سبعة حسنة الخلق ولما منع من ارادة الامر بن جميعا وذلك بان يصلح الله سبحانه ذاتها فتكون ولدا بعد ان كانت عاقرا ويصلح أخلاقها فتكون اخلاقها امرضة بعد ان كانت غير مرضية قال ابن عباس كان في لسان امرأه ذكر ياطول فاصله الله وروى نحو ذلك عن جماعة من التابعين وقال أيضا وههنا ولدا هو عن قتادة قال كانت عاقرا فجعلها الله ولدا وروى له منها يحيى (انهم كانوا يسارعون في الخيرات) هذه الجملة تعليل لما قبلها من

منه ولا ينبغي لاحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى اقضه منه حتى اللطمة قال قلنا كيف وانما نافي الله عز وجل جماعة عرا غير لاهم ما قال بالمحسنات والسيات وعن شعبة عن العوام بن حزم عن ابي عثمان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجماعة لتقتص من القران يوم القيامة رواه عبد الله بن الامام أحمد وله شواهد من وجوه اخر وقد ذكرنا عاقد قوله تعالى وفضح الموازين القسط ليوم القيامة فلا تنظم نفس شأ وعنده قوله تعالى الامم أمثالكم ما فرطاني الكتاب من شيء ثم ارجعهم يحشرون (واذ قلنا لا اله الا الله فاجحدوا الا دم سجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن

أمر ربّه أن يجعله وذريرة أولياءه من دوني وهم لكم عدو وبس للظالمين بدلا) يقول تعالى فيها بنى آدم على عداوة ابليس لهم ولا يقيم من قبلهم وقرآننا تبعهم منهم وخائف خلتهم وولد وهو الذي أنشأوا ابتدأ بالطافه ورزقه غذاء ثم بعد ذلك كله والى ابليس وعادى الله فقال تعالى واذ قلنا للملائكة أى يسبح الملائكة فكأنهم تقدموا في أول سورة البقرة - سجودا والادم أى سجودا شريف وتكريم وتعظيم كما قال تعالى واذ قال ربك للملائكة ائني خلق بشر من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته وثقت فيه من روي فقه والله ساجدين (٢٤٨)

أحسانه سبحانه إلى أنبيائه عليهم السلام والمعنى يبادرون في وجوه الخسرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخير وهو السرى في إشارته على كامة إلى المشعة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى وصاروا إلى مغفرة من ربكم وقيل الضمير راجع إلى زكريا وامرأته ويحيى (ويَدْعُونَنا رغباً ورهباً) أى يتضرعون إلىنا في حال الرخا وحال الشدة وقيل الرغبة ترفع بطون الكف إلى السماء والرغبة ترفع ظهورها والتقدير يرغبون رغباً ويرهبون رهباً وألارغب والرهباء ورأغبين ورأهبين (وكانوا الناحسين) أى متواضعين متضرعين قال قتادة ادلاء وقال ابن جرير رغباني رجة الله ورهباني عذاب الله وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله رغباً ورهباً فقال رغباً هكذا ورهباً هكذا وبسط كفيه يعنى جعل ظهرهما للارض في الرغبة وعكسه في الرهبة (و) أذكر خبر (التي أحصت فرجها) وهى مريم فأنها أحصت فرجها من الحلال والحرام ولم يحسبها بشراً وانما ذكرها مع الانبياء وان لم تكن منهم لاجل ذكر عيسى وما في ذكر قصتها من الآية الباهرة ويعنى أحصت عفت فامتعت من الفاحشة وغيرها وقيل المراد بالفرج جيب القميص أى انها طاهرة الاثواب وقدمضى بيان مثل هذا في سورة النساء ومريم فنفخنا فيها من روحنا) أضاف سبحانه الروح اليه وهو الملك تشرى فثاوت غطيا وهو يريد روح عيسى وقيل المراد بالروح جبريل أى أمرناه فنفخ في جيب درعها فحملت عيسى (وجعلناها وابنها آية للعالمين) قال الزجاج الآية فيها واحدة لانها ولدت من غير خلق وقيل ان التقدير على مذهب سيبويه جعلناها آية وجعلناها آية كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه والمعنى أن الله سبحانه جعل قصتها آية تامة مع تكرار آيات كل واحد منهما وقيل أراد بالآية الجنس الشامل لكل واحد منهما من الآيات ثم لما ذكر سبحانه الانبياء بين أنهم كلهم مجمعون على التوحيد فقال (ان هذه أممتكم آية واحدة) الآية والآية وحى الدين كما قال ابن قتيبة ومثله انا وجدنا آياتنا على كل دين وملة كأنه قال ان هذا دينكم دين واحد لا خلاف بين الامم المختلفة في التوحيد ولا يخرج عن ذلك الا الكفرة المشركون بالله وقيل المعنى ان هذه الشريعة التى بينتم لكم في كتابكم شريعة واحدة وقيل المعنى ان هذه اممتكم ملة واحدة وحى ملة الاسلام والتصب على الحلال أى

مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم عاوصف لكم فعند الحاجة تضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة وذلك انه كان قد نوى بما فعل الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطاياهم وعصى بالخالفه ونبه تعالى ههنا على انه من الجن اى على انه خلق من نار كما قال انا من ربه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال الحسن البصرى ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وانه لاصل الجن كما ان آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه وقال الضحاك عن ابن عباس كان ابليس من حى من احياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان حازنا من خزان الجنة وخطقت الملائكة من نور غير هذا الحى قال وخلق الجن الذين ذكرنا في

القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذى يكون في طرفها اذا التهب وقال الضحاك أيضاً
عن ابن عباس كان ابليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيله وكان خازن على الجنان وكان له سلطان السماء والارض والارض وكان مما سألته نفسه من قضاء الله انه رأى ان له بذلك شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه الا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حيث أمره بالسجود لآدم فاستكبر وكان من الكافرين قال ابن عباس وقوله كان من الجن أى من خزان الجنان كما يقال الرجل مكي ومدني وبصري وكوفي وقال ابن جرير عن ابن عباس نحو ذلك وقال سعيد بن جبير عن ابن

عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر امر السماء الدنيا وما بين جري من حديث الاعشى عن حبيب بن أبي ثابت عن شعيبه
وقال سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة السماء الدنيا وقال ابن اسحق عن خلاد بن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال كان
ابليس قبل ان يركب المعصية من الملائكة اسمه عزرايل وكان من سكان الارض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكبرهم علما
فذلك دعاه الى الكبر وكان من حبيبه من جننا وقال ابن جرير عن صالح بن مولى التوامة وشريك بن أبي نمره أحدهما أو كلاهما
عن ابن عباس قال ان من الملائكة قبيلة من الجن (١٤٩)

ما بين السماء والارض فعصى
فحفظ الله عليه فسجنه شيطاناً
رجيما لعنه الله عسوخا قال وإذا
كانت خطيئة ال جمل في كبر فلا
ترجوه وإذا كانت في معصية فأرجه
وعن سعيد بن جبيرة أنه قال كان من
الجنائز الذين يبعون في الجنة وقد
روى في هذا آثار كثيرة عن السلف
وعالمها من الاسرار الملمات التي تنقل
ليست فيها والله اعلم بحال كثير منها
ومنها ما قد قطع بكذبه لمخالفته
للحق الذي يابى تناوفي القرآن غنية
عن كل ما عدها من الاخبار الممتدة
لانها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة
ونقصان وقد وضع فيها اشياء كثيرة
وليس لهم من الحفظ المتقنين
الذين يثبتون عنها تحريف الغالين
واتحال المبطلين كالحال هذه الامة
من الائمة والعلماء والسادة والاقياء
والبررة النجباء من الجهابذة النقاد
والحفاظ الحلياء الذين دوتوا الحديث
وحرروه وبينوا صححه من حسبه
من ضعيفه من منكره وموضوعه
ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الأوضاع
والكذابين والجهولين وغير ذلك
من اصناف الرجال كل ذلك

أمة متعة غير مختلفة قال ابن عباس أي ان هذا دينكم ديننا واحد وعن مجاهد مثله
وعن قسادة نحوه (وأنا ربكم فاعبدون) خاصة لاتعبدوا غيري كأننا ما كان (وتقطعوا
أمرهم بينهم) أي تفرقوا فإني الدين حتى صاروا كالقطع المتفرقة وقال الاخفش
اختلفوا فيه وهو كالقول الأول قال الزهري أي تفرقوا في أمرهم فصب أمرهم بحذف
في المقصود بالآية المشركون ذمهم الله بغيره الحق واتخذهم آلهة من دون الله وقيل
المراد بجميع الخلق وانهم جعلوا أمرهم في أيديهم قطعاً وقسمه بينهم فهذا امر واحد وهذا
يهم ودونهم واحد وهذا نحو سبي وهذا عابدون ثم أخبر سبحانه بان مرجع الجميع اليه
فقال (كل الينا راجعون) أي كل واحد من هذه القربى النابت على دينه الحق والزائغ عنه
الى غيره راجع الينا بالبعث الى غيرنا (فمن يعمل من الصالحات) أي بعض الاعمال
الصالحة كالقراءة والنوافل لا كلها اذا لم يطبق ذلك أحد وقيل من زائدة (وهو مؤمن)
بالله ورسوله واليوم الآخر (فلا كفران لسعيه) أي لا يجود لعمله ولا بطلان لثوابه
ولا تضيق جزائزه بل يشكر ويناب عليه والمراد في الجنس للمبالغة لان في الماهية يستلزم
لني جميع افرادها والكفر ضد الايمان والكفر ايضا جود النعمة وهو ضد الشكر يقال
كفر كفورا وكفرا ناو في قراءة ابن مسعود فلا كفر لسعيه (واناله) أي لسعيه (كاتبون)
أي حافظون باننا امر الحفظ لكتبه فحمايه عليه ومثله قوله سبحانه اني لأضيق عمل عامل
منكم من ذكر أو أنثى (وحرام) هكذا قرأ أهل المدينة وقرأ أهل الكوفة وحرم وبها قرأ
على وابن مسعود وابن عباس وهما الغتان مثل حل وحلال وقرى وحرم (على قرية)
أعلمكها أي قدرنا اهلها كما (انهم لا يرجعون) أي تمتنع البتة عدم رجوعهم الينا الجزاء
وقيل لازائدة أي ان يرجعوا بعد الهلاك الى الدنيا واختاره أبو عبيدة وقيل ان لفظ حرام
هنا بمعنى الواجب أي واجب على قرية وقيل حرام أي تمتنع رجوعهم الى التوبة على ان
لازائدة قال النحاس والاية مشككة ومن أحسن ما قيل فيها وأجله ما روى عن ابن عباس
في معنى الآية قال واجب انهم لا يتوبون قال الزجاج وأبو علي الفارسي ان في الكلام
اشمارا أي وحرام على قرية يحكمه تابا متصا لها أو بانهم على قلوب أهلها ان يتقبل منهم
عمل لانهم لا يرجعون أي لا يتوبون (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) حتى هذه هي التي
يحكي بعدها الكلام وقيل حتى للغاية والمعنى ان هؤلاء المذكورين سابقا مستمرون على

سياسة الجناب النبوي والمقام الحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله عليه وسلم ان ينسب اليه كذب أو يحدث عنه
بما ليس فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل وقوله فسحق عن امره اي يخرج عن
طاعة الله فان فسق هو الخروج يقال فسقت الرطبة اذا خرجت من أصلها وفسقت النار من بجرها اذا خرجت منه
للعبث والفساد ثم قال تعالى مقرعوا من الجن انتم واطاعه اقتضدونه وذريته أوليا من دوني الآية اي بدلا عني ولهذا
قال بنس للظالمين بدلا وهذا المقام كقوله بعد ذكر اقامة واهوالها وصير كل من الترييقين السعداء والاشقياء في سورة

يَسْـَٔمُوا لِلدِّينِ بِمَا جَاءَهُمْ مِنَ الْغُرُورِ إِلَى قَوْلِهِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَتَفَقَهُونَ (مَا أَشْهَدْتُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُنْجِدِينَ) يَقُولُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا حُجُومًا وَلِيًّا مَنْ دُونِي عَبِيدٌ مِثْلُكُمْ لَا يَلْمِزُكَ شَيْئًا وَلَا أَشْهَدْتُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا كُنْتُمْ مَوْجُودِينَ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّا الْمُسْتَغْنَى بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا وَمَدِيرُهَا وَمُقَدِّرُهَا وَحْدَى لَيْسَ مَعِيَ فِي ذَلِكَ شَرِيكَ وَلَا وَزِيرٌ وَلَا مُشِيرٌ وَلَا تَطْبِيعٌ كَمَا قَالَ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا أَظْهَرَ لَكُمْ فِيهِمُ حَدِيثَ الْإِنشَاءِ وَالْإِثْبَاتِ وَالْإِنْفَاءِ وَالْإِلَهَ الْأَمْنِ أَذْنُ لَهُ الْآيَةُ وَهَذَا قَالَ وَمَا لَهُمْ فِيهِمُ حَدِيثُ شِرْكِهِ وَمَا لَهُمْ مِنْ (١٥٠)

لَهُمْ فِيهِ مَادَن شُرَكَاءُ وَمَالَهُ مِنْهُمْ مِنْ

كنت متخذ الملائين عضدا قال
مالاك اعوانا (ويوم يقول نادوا
شركائي الذين زعمتم قدعوهم فلم
يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موقفا
ورأى المجرمون المارظون انهم
مواقعوا لهم لم يجدوا عناء مصرفا)

يقول تعالى خبيرا عما يخاطب به
أشركين يوم القيامة على رؤس
الاشهاد تقر بعالمهم وتوبخنا نادوا
شركا في الذين زعم أي في دار الدنيا
ادعوه هم اليوم ينقذونكم مما أنتم
فيه كما قال تعالى ولقد جئتمونا
ففرادي كما خلقناكم أول مرة وتوكلتم

ماخولناكم وراظف وركم ومانرى
مكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم
نركاء لقد تقطع بينكم وضل
عنكم فما كنتم ترعون وقوله
يدعوهم فلم يستجيبوا لهم كما قال
يقبل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم
يستجيبوا لهم الآية وقال ومن
ضل عن يدعوى من دون الله من
يستجيب له الا يتين وقال تعالى
اتخذوا من دون الله آلهة ليكنوا
هم عزاء لا يسفرون بعبادتهم
يكونون عليهم همضا وقوله
حملناهم ومولانا قال ابن عباس

ما هم عليه الى يوم القيامة وهي يوم فتح سد يأجوج ومأجوج وأطال سليمان الجلي في بيان
حتى هندو ذكر لها وجوها وأجوج ومأجوج بالهمزة فتوركا من أعجيبان وهما قبلتان
من الانس يقال انهما تسعة أعشار بني آدم والمراد بالفتح فتح السد الذي عليه سم على
حذف المضاف (وهم) أي يأجوج ومأجوج أو العالم بأسره والاول أظهر (من كل حدب)
أي تشرو وهو كل أكمة وكديفة من الارض مرفوعة والجمع أحساد مأخوذ من حدبة
الارض ومعنى (يتسلون) يسرعون وقيل يخرجون قال الزجاج النسلان مشقة النذب
اذا أسرع يقال نسل فلان في العدو نسل بالكسر والضم نسلوا ونسلوا ونسلانا ونسلان
مقارنة الخطامع الاسراع وقال ابن عباس يتسلون يقبلون وقد ورد في صفة يأجوج
ومأجوج في وقت آخر وجههم وبیان حالهم وما لهم أحياء وأثار كثيرة لا يتعلق بذكرها
هنا كسيرة فائدة ككتاب الحجج الكرامة قد اشتمل عليها اشتمالا تاما فليرجع اليه (واقرب
الوعد الحق) المراد به ما بعد الفتح من الحساب وقال الفراء والكسائي وغيرهما المراد
بالوعد الحق القيامة والاوزائد والمعنى حتى اذا فُتحت يأجوج ومأجوج اقرب الوعد
الحق وهو القيامة فاقترب جواب اذا ومنه قوله تعالى فلما أسألوته للبعين ونادى به وأجاز
الفراء أن يكون جوابه فاذا هي شاخصة وقال البصريون الجواب محذوف والتقدير قالوا
يا ويلنا وبه قال الزجاج وقيل غير ذلك (فاذا هي) يعني القيامة بارزة واقعة كأنها آية
حاضرة (شاخصة) ابصار الذين كفروا) يعني أن القيامة اذا قامت شخصت ابصار الكفار
من شدّة الاهوال ولا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم وهول ما هم فيه ومعنى شاخصة
مرفوعة الاجضان وانما هو في القيامة بعد النفخة الثانية فالتعقيب عرف أن يريد به المبالغة
هنا (يا ويلنا) على تقدير القول (قد كفى غفلة) في الدنيا (من هذا) أي من هذا
الذي دهمنا من البعث والحساب (بل كذا ظالمين) اضربوا عن وصف أنفسهم بالغفلة
أي لم تكن غافلين بل كذا ظالمين لانفسنا بالتكذيب وعدم الاتقياد للرسول ثم بين سبحانه
طال معبودهم يوم القيامة فقال (انكم) يا أهل مكة (وما تعبدون من دون الله)
من الاصنام والشمس والقمر والبليس وأعوانه (حصب) أي وقود (جهنم) وحطها
كل ما أوقدت به النار وهي حطبها فهو حصب كذا قال الجوهري وقال أبو عبيدة كل
أخذتمه في النار فقد حصبته وبمثل ذلك قوله تعالى فأتوا النار التي وقودها الناس

وقمادة وغيروا حدمه لكانوا قال قتادة ذكرنا ان عمر الكاكي حدث عن عبد الله بن عمرو قال هو وادعق فرق والحجارة
في يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة مو بقا واديا في جهنم وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان القزرجي ثنا
عبد الصمد حدثنا يزيد بن زهم سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله تعالى وجعلنا بينهم موبقا قال وادعق جهنم من قيح ودم وقال
الحسن البصري هو بقادة وقر الظاهر من السياق ههنا انه المهلك ويجوز ان يكون واديا في جهنم أو غير ذلك المعنى ان الله تعالى بين
انه لا سبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم الى آلهتهم التي كانوا رعون في الدنيا وان يفرق بينهم وبينها في الآخرة فلا خلاص لاحد

من القريبين الى الآخر بل بينهم ما هلك وهول عظيم وأمر كبير وأمان جعل الضمير في قوله بينهم عائدا الى المؤمنين والكافرين
كما قال عيسى الله بن عمرو انه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به فهو وكقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ تفرقون وقال يومئذ
يصعدون وقال تعالى واستازوا اليوم أجمع الجرمون وقال تعالى ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم انتم
وشركاؤكم فزينا بينهم الى قوله وضل عنهم كما كانوا يقترون وقوله ورأى الجرمون النار فقالوا انهم هم مواقعها ولم يجدوا عنها
مصرفا أي انهم لم يأتوا وجههم حين جيء بها تقادس بعين ألف (١٥١) زمام كل زمام سبعون ألف ملك فاذا رأى

الجرمون النار يتحرقون لا تحاقة انهم
مواقعها ليكون ذلك من باب
تجسيم الهم والحزن لهم فان توقع
العذاب والخوف منه قبل وقوعه
عذاب ناجز وقوله ولم يجدوا عنها
مصرفا أي ليس لهم طريق يعدل
بهم عنها ولا بد لهم منها قال ابن
جرير حدثني يونس أخيه نا بان
وهب أخيه بن عمرو بن الحرث عن
دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الكافر ليرى جهنم
فيظن انها مواقعه من مسيرة
اربعين سنة وقال الامام أحمد
حدثنا حسن حدثنا ابن الهيثم
حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي
سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينصب الكافر
مقدار خمسين الف سنة كما لم يعمل
في الدنيا وان الكافر لا يرى جهنم
ويظن انها مواقعه من مسيرة اربعين
سنة (ولقد صرنا في هذا القرآن

والجبارة وقرئ حطب جهنم بالناء وقرئ حطب بالمجعة قال الفران ذكر لنا ان الحطب
في لغة أهل اليمن الحطب ووجه القاء الاصنام في النار مع كونها جادات لا تعقل ذلك
ولا تحس به التكبيت لمن عبدوها وزيادة التوبيخ لهم وتضاعف الحسرة عليهم وقيل انها
تحمي فتصليق بهم زيادة في تعذيبهم وكذلك الشمس والقمر يكونان نورين عقبرين
في النار أيضا كما صرح بذلك خبر أبي هريرة أخرجه البيهقي وأصله في البخاري (أنتم لها
واردون) انخطاب لهم ولما بعدون تغلبوا واللام في الهمالة التقوية لضعف عمل اسم الفاعل
وقيل هي معنى على والمراد بالورد وهن الدخول قال كثير من أهل العلم ولا يدخل في هذه
الآية عيسى وعزير والملائكة لان الملائكة لا يعقل ولوأراد العموم لقال ومن بعدون قال
الراجح ولان المخاطبين بهذه الآية مشركون مكة دون غيرهم قال ابن عباس لما نزلت هذه
الآية قال المشركون فالملائكة وعيسى وعزير بعدون من دون الله فتركت ان الذين
سبقت الآية وفي الباب روايات (لو كان هؤلاء) أي هذه الاصنام (آلهة) كما تزعمون
(ما وردوها) أي ما ورد العابدون والمعبودون في النار وقيل العابدون فقط لكنهم وردوها
فلم يكونوا آلهة وفي هذا تنبكت لعباد الاصنام وفيه تشديد (وكل فيها) أي كل العابدين
والمعبودين في النار (خالدون) لا يخرجون منها (لهم) أي لهؤلاء الذين وردوا النار
(فيها زفير) وهو صوت نفس المغموم والمراد هنا الاتين والبكاء والتعسف الشديد والعيول
وقد تقدم بيان هذا في هود (وهم فيها لا يسمعون) أي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة
الهول وقال ابن مسعود في الآية اذ انبثق في النار من مختلفها جاءوا في نوايت من نارهم
جعلت تلك النوايت في نوايت آخر ثم تلك النوايت في نوايت آخر عليها ساسم من نار
فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم ان في النار أحد يعذب غيره وقيل لا يسمعون شيئا لانهم
يحشرون صما كما قال سبحانه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غيا وكاوصعوا وانما
سلبوا السمع لان فيه بعض تروح وتأنس وقيل لا يسمعون ما يسرهم بل يسمعون
ما يؤسهم فلما بين سبحانه حال هؤلاء الاشقياء مشرعى في بيان حال السعداء فقال (ان) هي
معنى الآية الأولى (الذين سبقت لهم منا الحسنى) أي العدة الجيلة والخصلة الحسنى التي هي
أحسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق والتبشير بالجنة ونفس الجنة (أو لتلك) أي
الموصوفون بتلك الصفة (عنها) عن جهنم (مبعدون) لانهم قد صاروا في الجنة

عن الحق ويخرج جوارع طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الانسان كثير المجادلة والمخاصمة والمعارضة للحق بالباطل
الامن هدى الله وبصره لطريق النجاة قال الامام احمد حدثنا ابو اليمان اخبرنا شعيب عن الزهري اخبرني علي بن الحسين أن
حسين بن علي اخبره ان علي بن ابي طالب اخبره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فقال ألا تعلمان فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع الى شيئا ثم
سمعه وهو يقول يضرب فخذ ويقول وكان الانسان أكثر شئ جدلا اخرجاه في الصحيحين (ومنع الناس ان يؤمنوا اذا جاءهم

(105)

ان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30	31	32	33	34	35	36	37	38	39	40	41	42	43	44	45	46	47	48	49	50	51	52	53	54	55	56	57	58	59	60	61	62	63	64	65	66	67	68	69	70	71	72	73	74	75	76	77	78	79	80	81	82	83	84	85	86	87	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	100
---	---	---	---	---	---	---	---	---	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	----	-----

(١) الزبيرى معناه السبى الخلق العليل وهو لعب والاعتماد الله العرسى وبعد اسم بعد هذه الفصحة الثانية

لو يؤخذهم عما كسبه والعجل لهم العذاب كما قال ولو يؤخذ الله الناس بما كسبوا ماتوا ترك على ظهرها من دابة وقال وان ربك
لذو مغفر للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب والايات في هذا كثيرة متى ثم أخبرناه بحملهم ويسترو بغفروا عما هدى بعضهم
من الخي الى الرشاد ومن استقر منهم فله يوم ينسب فيه الوليد وتضع كل ذات حمل حملها ولهذا قال بل لهم موعد لمن يجدوا من دونه
موثلا اى ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل وقوله ذلك القرى اهلها كاهنهم لما ظلموا اى الاثم السالفة والقرون الخالية
اهلها كاهنهم بسبب كفرهم وعنادهم وجعلنا لهم موعدا اى جعلناه (١٥٣) الى مدة معلومة ووقت معين لا يزيد ولا ينقص

يعبدون من دون الله فقول لا فى النار قال الله هذه الاية الى آخرها أخرجه ابن مردويه
والضياء فى المختارة عن ابن عباس وأخرجه أبو داود والطبرانى من وجه آخر عنه باطول
منه (يوم تطوى) بنون العظمة اى اذ كرى يوم تطوى (السما كطى السجل للكتب) وقرئ
تطوى بالفوقية ورفع السماء وبالتحسية على معنى يطوى الله السماء والاولى أظهر
واوضح والى فى هذه الآية يحتمل معنيين أحدهما الذى هو ضد التشر ومنه قوله
والسموات مطويات بيمينه والثانى الاختفاء والتعبد والخولان الله سبحانه يعو ويطمس
رسومها ويكدر نجومها والمراد بالسماء الجنس والسجل الصحيفة أى طيا كطى لظومار
للكتابة وقيل السجل الصل وهو مشتق من المساجلة وهى المسكاة وأصلها من السجل
وهو اللوى يقال ساجلت الرجل اذا عزت دلوا وزع هو دلوا ثم استعيرت للكتابة
والمرجعة فى الكلام وقرئ السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقرئ السجل بفتح
السين واسكان الجيم وقيل السجل اسم ملك فى السماء الثالثة وهو الذى يطوى كتب بنى
آدم وقيل هو اسم كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله ابن عباس أخرجه
أبو داود والنسائى وعن ابن عمر مثله قال ابن كثير هذا منكر جد او قد صرح جماعة من
الحفاظ بوضعه وان كان فى سنن أبى داود منهم الحفاظ المزى وقد أورد الشوكانى لهذا
الحديث جزأ على حدة وقد تصدى الامام ابن جرير لا نكار على هذا الحديث ورده أتم رد
وقال ولا نعرف فى الصحابة أحدا اسمه سجيل وكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا
معروفين وليس فيهم أحدا اسمه السجل انتهى وصدر رجه الله فى ذلك وهو من أقوى الأدلة
على نكاره هذا الحديث وامان ذكر فى أسماء الصحابة هذا فاعلمنا على هذا الحديث
لاعلى غيره والله أعلم قال والصحيح عن ابن عباس ان السجل هو الصحيفة ونص على ذلك
بجاهد وقادة وغير واحد واختار ابن جرير لانه المعروف فى اللغة قلت فالاولى التعويل على
المعنى الغوى والمصير اليه وأخرج النسائى عن ابن عباس قال السجل هو الرجل أى بلغة
الخشة والاولى أولى وقرئ للكتب جمعوا للكتاب وهو متعلق بمحذوف حال من السجل
أى كطى السجل كائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحاف وما كتب فيها فاجعلها
بعض اجزاء ما به يتعلق الطى حقيقة وأما على الثانية فالكتاب مصدر واللام للعليل أى
كما يطوى الظومار للكتابة أى ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة والاعمال

يعبدون من دون الله فقول لا فى النار قال الله هذه الاية الى آخرها أخرجه ابن مردويه
والضياء فى المختارة عن ابن عباس وأخرجه أبو داود والطبرانى من وجه آخر عنه باطول
منه (يوم تطوى) بنون العظمة اى اذ كرى يوم تطوى (السما كطى السجل للكتب) وقرئ
تطوى بالفوقية ورفع السماء وبالتحسية على معنى يطوى الله السماء والاولى أظهر
واوضح والى فى هذه الآية يحتمل معنيين أحدهما الذى هو ضد التشر ومنه قوله
والسموات مطويات بيمينه والثانى الاختفاء والتعبد والخولان الله سبحانه يعو ويطمس
رسومها ويكدر نجومها والمراد بالسماء الجنس والسجل الصحيفة أى طيا كطى لظومار
للكتابة وقيل السجل الصل وهو مشتق من المساجلة وهى المسكاة وأصلها من السجل
وهو اللوى يقال ساجلت الرجل اذا عزت دلوا وزع هو دلوا ثم استعيرت للكتابة
والمرجعة فى الكلام وقرئ السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقرئ السجل بفتح
السين واسكان الجيم وقيل السجل اسم ملك فى السماء الثالثة وهو الذى يطوى كتب بنى
آدم وقيل هو اسم كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاله ابن عباس أخرجه
أبو داود والنسائى وعن ابن عمر مثله قال ابن كثير هذا منكر جد او قد صرح جماعة من
الحفاظ بوضعه وان كان فى سنن أبى داود منهم الحفاظ المزى وقد أورد الشوكانى لهذا
الحديث جزأ على حدة وقد تصدى الامام ابن جرير لا نكار على هذا الحديث ورده أتم رد
وقال ولا نعرف فى الصحابة أحدا اسمه سجيل وكاتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا
معروفين وليس فيهم أحدا اسمه السجل انتهى وصدر رجه الله فى ذلك وهو من أقوى الأدلة
على نكاره هذا الحديث وامان ذكر فى أسماء الصحابة هذا فاعلمنا على هذا الحديث
لاعلى غيره والله أعلم قال والصحيح عن ابن عباس ان السجل هو الصحيفة ونص على ذلك
بجاهد وقادة وغير واحد واختار ابن جرير لانه المعروف فى اللغة قلت فالاولى التعويل على
المعنى الغوى والمصير اليه وأخرج النسائى عن ابن عباس قال السجل هو الرجل أى بلغة
الخشة والاولى أولى وقرئ للكتب جمعوا للكتاب وهو متعلق بمحذوف حال من السجل
أى كطى السجل كائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحاف وما كتب فيها فاجعلها
بعض اجزاء ما به يتعلق الطى حقيقة وأما على الثانية فالكتاب مصدر واللام للعليل أى
كما يطوى الظومار للكتابة أى ليكتب فيه أو لما يكتب فيه من المعانى الكثيرة والاعمال

(٢٠ فتح البيان سادس) فابر حوا حتى تمادت نساؤهم * بيطع اذى قارعات اللطائم قال قتادة وغير واحد وما جبر
فارس عمالي المشرق وبحرا لوم عمالي المغرب وقال محمد بن كعب القرظى يجمع الجبرين عند طنجة يعنى فى اقصى بلاد المغرب فآله
اعلم وقوله او امضى حقا اى ولو ائى اسير حقا بمن الزمان قال ابن جرير رجه الله ذكر بعض اهل العلم بكلام العرب ان الحقب فى
لغة قيس سنة ثم قدروى عن عبد الله بن عمرو انه قال الحقب عاشر سنة وقال مجاهد سبعون خرينا وقال على بن أبى طلحة عن ابن
عباس قوله او امضى حقا قال دهرى وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك وقوله فلما بلغنا جمع بينهم ما نسيما حوا ثم ما و ذلك انه كان قد امضى

بجعل حوت يلوح معه وقيل له متى فقدت الحوت في وقتنا راحني بلغا مجمع البحرين وحكك عين فقال ليعاين الحافنة ما طاب
واصاب الحوت من رشاى ذلك المنة فاقطرب وكان في مكمل مع يوشع عليه السلام وطرفه عن المكمل الى البحر فاستيقظ يوشع
عليه السلام وسقط الحوت في البحر فجعل يبرق في المنة والملة مثل الطاق لا يلتمه بعده وليذا قال تعالى واتخذ سيدى البحر صريرا
اي مثل السرب في الارض قال ابن جرير قال ابن عباس صارا زره تهجر وقال العوفي عن ابن عباس جعل الحوت لاييس شيئا من
البحر الا لاييس حتى يكون مخرقاً وقال محمد (١٥٤) بن اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبي بن كعب

المتشرة وهذا على ان معنى الطي ضد التشر وعن علي قال كل السجل ملك وعن عطية
وأبي جعفر مثله قال ابن عمر السجل ملك فاذا صعد بال لا يستغاثا قال اكتبوها ثورا (كاتبها)
أول حلتى بعدة بعد اعداهه تشبه الاعداء لا تشد في تناول القدر في ما على السواء
أى كابد أياهم بطون أمهاتهم وأخر حلفهم الى الأرض حصة عزة غرلا كلفنا بعدهم
يوم القسامة وانما خص أول الخلق بذكر قصور الالهياد عن العدم والمنقصود بيان حجة
الاعداد بالقياس على البد الشمول للمكان الذي ليسا وقيل معنى الآية تنهت كل نفس
كما كان أول مرة قاله ابن عباس وقيل المعنى تغير السماء ثم بعد عاصفة تولى بعضهما
وزوالها والاول اول وهو مثل قوله ولقد جئتكم نارا ادى كما خلقناكم أول مرة ثم قال
سبحانه (وعدا علينا) أى وعدنا واعد علينا النجاة وهو الوفاء به وهو البعث والازالة ثم
أكد سبحانه ذلك بقوله (انا كنا فاعلين) أى محققين هذا الوعد فاستعدوا الله وقدموا
صالح الأعمال للفرار من عذاب الأحوال قال الزجاج معناه اذ كنا فاعلين على ما نشاءوه
وقيل فاعلين ما وعدناكم بتمثله قوله كان وعده متعولاً (ولقد كتبنا في الزبور) هو في الاصل
الكتاب يقال زبرت أى كتبت وعلى هذا يصح اطلاق الزبور على التوراة والانجيل وعلى
كتاب داود المسمى بزبور المراد جنس الكتب المنزلة قاله الزجاج وقيل المراد به هنا
كتاب داود خاصة (من بعد ذلك) أى اللوح المحفوظ كفى اليساوى واخذ من ربي
السعود وأبي حيان وقيل هو القرآن قاله ابن عباس وعنه قال وبنكر الاصل النبى
نسخت منه هذه الكتب التى في السماء أى والله لقد كتبنا في كتاب داود ومن بعد كتبنا في
التوراة وأومن بعد كتبنا في اللوح المحفوظ (أن الارض بيننا بعدى الصالحون) قد
اختلف في معنى هذه الآية فقيل المراد أرض الجنة قاله ابن عباس واستدل القائلون بهذا
بقوله سبحانه وقاوا الجنة التى صدقنا وعده وأوردنا الارض وقيل هى الارض المتقدمة
وقيل هى أرض الأمم الكفيرة الذين هم بيننا صلى الله عليه وآله وسلم وأستبهم
وقيل المراد بذلك سوا اسرائيل دليل قوله سبحانه ورشنا الله الذين كانوا يستضعفون
سائر الارض ومغارهم التى باركنا فيها وأغارهم ان هذا تفسيره صلى الله عليه وآله
وسلم بولاية أرض الكافرين وعليه أكثر المنفسرين قال ابن عباس أخبر الله سبحانه في
التوراة والزبور وسابق عليه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد صلى الله

قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين ذكر حديث ذلك ما اتجباب
ما منذ كان الناس غير سرب وكان
الحوت الذى فيه فاتجباب ذلك كوة
حتى رجع اليه موسى فرأى ملكه
فقال ذلك ما كنا ننبى وقال قتادة
سرب من البحر حتى انقى الى البحر
ثم سلك فيه فجعل لا يسلك فيه
طريقا الا صار ماء جامدا وقوله
فلما جاوزا أى المكان الذى نسبنا
الحوت فيه ونسب التبين اليه
وان كان يوشع هو الذى نسب
كوة له تعالى يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان وانما يخرج من المالح
على أحد القولين فلما ذهب عن
المكان الذى نسبنا فيه بمرحلة
قال موسى لفساه آتائنا عذابا قد
لقتنا من سفرنا هذا أى الذى
جاءوا فيه المكان نصبا يعنى تعبنا
قال أرايت اذا وينا الى الصخرة
فانى نسيت الحوت وما أنسا به الا
الشيطان أن أذكره قال قتادة
وقرأ ابن مسعود ان أذكره وليذا
قال فاتخذ سيدى أى طريقه في البحر
سجيا قال ذلك ما كنا ننبى أى هذا
هو الذى نطلب فارتد أى رجعا

على آثارها أى طريقه ما قصصا أى يدان أثره ما ويقفون أثره ما وجدنا عبد من عبادنا آتينا رجعة عليه
من عندنا وعلمنا من ادنا علمنا وهذا انضصر عليه السلام كدلت عليه الاحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول
البحارى حدثنا الجيسدي حدثنا صفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوحا اليكالى برعيان
موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى اسرائيل قال ابن عباس كذب عدوا لله حدثنا أبي بن كعب رضى الله عنه انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا بنى بنى اسرائيل فسلم أى الناس أعلم قال ان قعب الله عليه اذ يرد العلم

الهم فأوحى الله اليه ان يجمع البحرين هو اعم من ذلك قال موسى يارب وكيف لي به قال تأخذ معك حوتاً فتجعله بحكلاً فخسما
فقدت الحوت فوهتم فأخذ حوتاً فجعله بحكلاً ثم انطلقوا فالتقوا يوسف بن نون عليه السلام حتى اذا انبأ الصخرة وضعا
رؤسهم ما فناموا واضطرب الحوت في الحكلاً فخرج منه فسقط في البحر فانخذس به في البحر سرياً وأمسك الله عن الحوت جرياً الماء
فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يجبره بالحوت فانطلقا بقبية يومهما وأوليت ما حتى اذا كان من الغد قال موسى
لنهاماً تناغداً قال قد لقيننا من سفرنا هذا انصبا ولم يجد موسى النصب حتى (١٥٥) جاوزا المكان الذي أمره الله به قال له فتاه

أرايت اذا وينا الى الصخرة فاني
نسيت الحوت وما أنسيته الا
الشیطان ان أذكره واتخذ نسيد له
في البحر عجباً قال فكان للحوت
سرباً وللموسى وفاته عجباً فقال ذلك
ما كنتم نبي فارتد على آثارهما قصصاً
قال فرجها قصصاً أنثرها ما حتى
انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى
بنوب فسلم عليه موسى فقال
الحضر وأنى بارضك السلام فقال
انا موسى فقال موسى بنى اسرائيل
قال نعم قال أوتيت لتعاني جماعات
رشد اقال انك ان تستطيع معي
صبراً يا موسى انى على علم من علم
الله علمته لاتعلمه أنت وأنت على
علم من علم الله علمك الله لا أعلمه
فقال موسى سجدت ان شاء الله
صابر ولا أعصى لك أمراً قال له
الحضر فان اتبعني فلا تسألى عن
شئ حتى أحدث لك منه ذكراً
فانطلقا يشيان على ساحل البحر
فمرت سفينة فكموهم ان يحملوهم
فعرقوا الحضر فكموهم بغير نول
فلباركبا في السفينة لم ينجوا
الا الحضر قد قلع لوحاً من ألواح
السفينة بالقدم فقال له موسى

عليه وآله وسلم ويدخلهم الجنة وهم الصالحون وقيل عام في كل صالح فيتناول أمة محمد
صلى الله عليه وآله وسلم وغيرهما من الأمم (ان في هذا البلاغاً) أى فيما جرى ذكره
في هذه السورة من الوعد والتنبية للكتابة ووصول الى البغية قاله الرازي يقال في هذا
الشئ بلاغ وبلغه وتبلغ أى كفاية وقيل الاشارة به الى القرآن والقرآن زاد الجنة كبلاغ
المسافر (لقوم عابدين) أى مشغولين بعبادة الله مهتمين بها والعبادة هي الخضوع
والتذلل وهم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ورأس العبادة الصلاة قال أبو هريرة الصلوات
الخمس وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم في الآية قال ان في الصلوات الخمس شغلاً للعبادة وأخرج ابن مردويه عن ابن
عباس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية وقال هي الصلوات الخمس
في المسجد الحرام جماعة وقيل هم العالمون العاملون الموحدون وقال الرازي والاولى
انهم الجامعون بين الاخرين لان العلم كالشجرة والعمل كالثمر والشجر بدون الثمر غير مفيد
والثمر بدون الشجر غير كائن (وما أرسلناك) يا محمد انشر اربع الاحكام (الارحة
للعالمين) أى الانس والجن والاستثناء مفرغ من أعم الاحوال والعلل أى ما أرسلناك
العلل من العلل الارحة الواسعة فان ما بعثت به سبب لسهولة الدارين وقيل معنى كونه
رحمة للكفار أنهم آمنوا به من الخسوف والسخ والاشتغال وقيل المراد بالعالمين المؤمنون
خاصة والاولى أولى بدليل قوله سبحانه وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وعن ابن عباس في
الآية قال من آمن تمت به الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن عوفي بما كان يصيب
الأمم في عاجل الدنيا من العذاب من السخ والخسوف والقذف وأخرج مسلم عن أبي
هريرة قال قيل يا رسول الله ادع الله على المشركين قال انى لم أبعث لعناً وانما بعثت رحمة
وأخرج أحمد والطبراني وأبو نعيم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه
عليه وآله وسلم ان الله بعثني رحمة للعالمين وهدى للمؤمنين وأخرج أحمد والطبراني عن
سالم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انما رجل من أمتي سبته سبة في غضبي أو
لعتة لعنة فانما انما رجل من بنى آدم أعجب كما يغضبون وانما بعثني رحمة للعالمين فاجعلها
عليه صلاة يوم القامة وأخرج البيهقي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم انما انما نارحة مهداة وقدرى معنى هذا من طرق ثم بين سبحانه ان أصل تلك

قد جاوزا بغير نول فعمدت الى سفينتهم فخرقتهما لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً احرأ قال المأكل انك ان تستطيع معي صبراً قال
لاتواخذنى عينا سبت ولا ترهقنى من أمرى عسراً قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الاولى من موسى نسياناً قال
وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فبحر في البحر فقرة فقال له الحضر ما علمى وعلت في علم الله الامثل ما نقص هذا العصفور من
هذا البحر ثم جاز من السفينة فيهما هما عيشان على الساحل اذا بص الحضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الحضر رأسه فاقتلعه
بيده فقتله فقال له موسى أقبلت بفساد كية بغير نفس لقد جئت شيئاً اكرأ قال المأكل انك ان تستطيع معي صبراً قال وبهذه

أشد من الأولى قال انما أتيتك عن شيء بعد خلافه احبتي قد بلغت من ادنى عذرافنا للقاحتي اذا أتيتا أهل قرية استطعنا أهلها
فان ان ينسبوه فاجدهم اجماعا رابداً ان ينقض أي مائلا فقال اخضر يد فافاه فقال موسى قوم اني نادم فلم يسمعوا
ولم ينسبوه فوالله اني لا تحبذ عليه أجز قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووددت ان موسى كان صبر حتى ينص الله علينا من خبرهما قال سعيد بن جبير كان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ
كل سنة من صلح غصبا وكان يقرأ وأما (١٥٦) الغلام فكان كافرا وكان أبوه مؤمنا ثم رواد البخاري عن قتبية عن سفيان

الرحمة والتوحيد والبراءة من الشرك فقال (قل انما يؤتى الى انما الهكم الله الواحد)
ان كانت مأموصلة قالعني ان الذي يؤتى الى هو ان وصفه تعالى مقصور على الوحدة
لا يتجاوزها الى ما ناقضها أو يضادها وان كانت ما كفتها فاني ان الوحي الى مقصور على
استئثار الله بالوحدة (فويل انتم مسلمون) متقادون مخلعون للعبادة والتوحيد الله
سبحانه والمراد بهذا الاستفهام الامر أي اسأوا (فان تولوا) أي أعرضوا عن الاسلام
(فقل) لهم (أذتكم) أي أعلمتكم انا وياكم حرب لاصح ينسأ كائنين (على سواء)
في الاعلام لم أخص به بعضكم دون بعض كقوله سبحانه واما تخافون من قوم خيانة فأنسذ
الهمم على سواء أي أعلمهم انك نقضت العهد نقضا وبت بينهم فيه وقال الزجاج المعنى
أعلمتكم بما يؤتى الى على استوائ في العلم بولا أظهر لاحد شيئا كفته على غيره (وان
أدري أقرب أم بعد ما وعدون) أي ما أدري أقرب حصوله أم بعد ما وعدوه عليه
الاسلام وأهل على الكفر وأهل وقيل المراد العذاب والقيامه المشقة عليه ولا يعلمها الا
الله تعالى وقيل أذتكم بالحرب ولكن لا ادري ما يؤذن في محاربكم (انه يعلم الجهر
من القول ويعلم ما تكتمون) أي يعلم سبحانه ما يتجاهرون به من الكفر والظن على الاسلام
وأهل وما تكتمونه من ذلك وتحتونه لا تخفى عليه منه خافية (وان أدري لعله) أي ما أدري
لعل الامهال (فتسألهم) واختبار ليري كيف صنعكم عن الربيع بن أنس قال لما
اسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى فلانا وهو بعض بني أمية على المنبر يحطط
الناس فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانزل الله هذه الآية يقول هذا
الملك وقال ابن عباس يقول ما أخبركم به من العذاب والساعة لعل تأخير ذلك عنكم فتنة
لكم (ومناع الى حين) أي وتمتع الى وقت مقدر تقتضيه حكمته ثم حكي سبحانه وتعالى
دعاء نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (قال رب احكمهم بالحق) بين وبين هؤلاء
المكذبين بما هو الحق عندك ففوض الامر اليه سبحانه وقال ابن عباس لا يحكم الله الا
بالحق وانما يستعمل بذلك في الدنيا بسأل ربه وقرى بضم الباء قال النحاس وهذا الخ
عند الخويين وقرى أحكمهم بقطع الهمة وفتح الكاف وضم الميم أي قال مجمر رأى أحكم
بالحق من كل حاكم وقرى أحكمهم بصيغة الماضي أي أحكم الامور بالحق وقرى قل بصغة
الامر أي قل يا محمد قال ابو عبيدة الصفة هنا أقيمت مقام الموصوف والتقدير رب احكم

ان عبيدة قد كثر قوة وقته فخرج
دور حتى وضعه قتله يوشع بن نون
ويخرجها الموت حتى انتهى الى
الجزيرة فتر لا عهدا قال فوضع
موسى رأسه فقام قال سفيان وفي
حديث غير عرو قال وفي أصل
الخصرة عين يقال انها الحياة
لا يصيب من ما ماشى الاحي
فأصاب الموت من ما تلك العين
فحرك وانسل من المكمل فدخل
الجرف فلما استيقظ قال موسى لفتاه
آتنا غداءنا كنا كذا قال وساق
الحديث ووقع عصفور على حرف
السفينة فغمس منقاره في البحر
فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك
وعلم الخلائق في علم الله الامتداد
ما غمس هذا العصفور منقاره وذك
تمامه بخوضه وقال البخاري أيضا
حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا
هشام بن يوسف ان ابن جريج
أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم
وعمر بن دينار عن سعيد بن جبير
يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما
قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير
قال اننا لعند ابن عباس في بيته اذ قال
سأوني فقلت أي يا عباس جعلني

الله فذل بالكوفة رجل قاص يقال له نوف بن عزم انه ليس بموسى بن اسرائيل أما عرو فقال لي قال كذب عدو الله يحكمك
وأما يعلى فقال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى رسول الله ذكر الناس يوما
حتى اذا فاضت العميون ورقب القلوب ولي فادرك رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحدا أعلم منك قال لا فعذب الله عمله اذ
لم يرد العلم الى الله قيل بلى قال أي رب وأين قال بجمع الجرين قال أي رب اجعل لي علما أعلم ذلك به قال قال لي عمرو حيث يشارك
الموت وقال لي يعلى خذ حذوا ما يتاحيت ينفع فيه الروح فاخذ حذوا فجلس في مكمل فقال لفتاه لأ كلفك الآن تخبرني بحيث

قالوا لئن لم ينزل من سترنا لكانت الدنيا لله فقلنا نعم الله عندنا نعمه من جبريهم وسوء قهره فوجدهم ضلوا
فلما كان ذلك من أبي سليمان على خمسة عشر مائة كيد البحر في سبعين (١٥٧) بغيره من ذلك فقلنا نعم الله عندنا نعمه من جبريهم وسوء قهره فوجدهم ضلوا

بكم من الحق وقد استجاب سبحانه دعائهم صلى الله عليه وآله وسلم فمذهبهم سدرهم جعل
العبادة والعلمية والنصرة عباد المؤمنين والخدمة رب العالمين ثم قال جهنم جهنم النار
المسكية (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) من الكفر والتكذيب أي هو
كثير الرحمة لعباده والمستعان في الأمور التي من جملتها ما نذروهم من أن الشريعة تكون
لكنهم ومن قولكم هل هذا إلا بشر مثلكم وقولكم اتخذ الرحمن ولدا وكثيرا ما يستعمل
الوصف في كتاب الله تعالى الكذب كقوله ولكم الزيل مما تصفون وقوله يميزهم ومنهم
وقرئ بالتخفيف وبالوقفة على الخطأ

﴿سورة الحج في سبع أو ثمان وسبعون آية﴾

اختلاف العلماء على هي مكة أو مدينة قال ابن عباس نزلت بالمدينة وعن ابن الزبير بجاهد
مشهورة وقال قتادة الأربعة آيات وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلى قوله عذاب يوم
مقيم فهن مكات وقال ابن عباس سوى ثلاث آيات وقيل أربع آيات إلى قوله عذاب
الطريق وعن النقاش أنه عدم منزل منها بالمدينة عشر آيات وقال الجوهري أن السورة مختلطة
منها مكي ومنها مدني قال القرطبي وهذا هو الصحيح لأن الآيات تقتضي ذلك لأن آياتها
الناس مكي وآياتها الذين آمنوا مدني قال العزيزي وهي من أعاجيب السور نزلت لئلا
يؤمنوا بأسرارها وحضر أميكاوه نيسابا ما وحضرها منسوخا وحكمها منسوخا وقدر في
فضلها ما أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم عن عتبة بن عامر قال قلت لرسول
الله أفضل سورة الحج على سائر القرآن بسجدة قال نعم فمن لم يسجد فليأمر بها قال
الترمذي هذا حديث حسن ليس أسناده بالقوى وقد روى عن كثير من الصحابة أن فيها
سجدة تين وبه يقول ابن المبارك والشافعي وأحمد وأبو حنيفة وقال بعضهم أن فيها سجدة واحدة
وهو قول سفيان الثوري وروى هذا عن ابن عباس وأبراهيم النخعي

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

لما انفجر الكلام في خاتمة السورة المتقدمة على ذكر الأعداد وما قبلها وما بعد هاديا سبحانه في
هذه السورة بذكر القيامة وأحوالها على التقوى التي هي أشنع زاد فقال (يا أيها
الناس اتقوا ربكم) أي احذروا عاقبته بفعل ما أمركم به من الواجبات وترك ما نهىكم عنه
من المحرمات ولتظن الناس يشمل جميع المكلفين من الموحدين ومن سبيح جلد على ما تقرر

علما لا ينبغي أن أعلمه فأخذ
طائر بمقارن من البحر فسال والله
ما علي وعاني في حب علم الله إلا
كأخذ هذا الطائر بمقارن من
البحر حتى إذا ركض في السفينة وجد
معاير صغارا تحبب أهل هذا الساحل
إلى هذا الساحل الآخر عرفوه
فقالوا عبد الله الصالح قال فقلنا
لسيدنا جبري خضر قال نعم
لا تحمله يا جبري فرفعوه وأوردوه
قال مؤمى أخرقتها لتفرق أهلها
لقد حدثت شيئا أقال مجاهد
متكرا قال ألم أقل أنك إن
تستطيع معي صبرا كانت الأولى
نساء أنا والثانية شرطا والثالثة
عمدا قال لا تأخذني بما نسيت
ولا ترهقني من أمري عسرا

فانما اتفقت لقيامه غلاما فقلنا قال يعلى قال سعد وجده علما تابعا عن فأخذ غلاما كافرا ظاهرا يقاتلهم فمذهبهم بالسكين فقال
أقلت نفسا كية لم تعد الحنت ابن عباس قرأها كية را كية مسلمة كقوله غلاما كافرا ظاهرا يقاتلهم فمذهبهم بالسكين فقال
فأقامه قال بيده هكذا ورفع يده فاستقام قال لو شئت لأخذت عليه أجر أقال يعلى حسب أن سعيدا قال فسبحه بيده فاستقام
قال لو شئت لأخذت عليه أجر أقال سعيد أجر أقال كان أمهم ملك وكان أمهم قرأها ابن عباس أمهم ملك يرفعون عن غير
سعيد أنه هذين بدو الغلام المقتول اسمه يعرجون حيدر ذلك يأخذ كل سفينة غصبا فأرادت اداعي صر بئان يدعيها يعرجون فإذا

يزوروا أصدفها فتعواهم منهم من يقول مدوها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان أبوهم مؤمنين وكان هو كافرا فاختصمنا
بربعة منا طغيا نوكفرا ان يحملها حمة على أن يتابعه على دينه فاودنا أن يبدلها مريم ما خيرا منه زكاة كقوله أقتلت نفسا زكية وقوله
وأقرب رجلا هابدا أرحم منهم ما بالاول الذي قتل خضر وزعم غير سعيد جبرائيل ما بالاجارية وما زادوا دين أبي عادم فقال عن غير
واحد انما اجارية وقال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام بنى
إسرائيل فقال ما أجد أحدًا علم بالله وبأمره (١٥٨) حتى قام ان يلقى هذا الرجل فذكر نحو ما تقدم من يادته ونقصان والله أعلم وقال

عبد بن اسحق عن الحسن بن عمار
عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن
جعفر قال جلست عند ابن عباس
وعنده نفر من أهل الكعب فقال
بعضهم بأبى العباس ان نوافين
أمرأة كعب يزعم عن كعب ان
موسى النبي الذى طلب العلم انما
هو موسى بن ميثا قال سعيد
فقال ابن عباس أنوف يقول هذا
ياسعيد فقلت له نعم انما سمعت نوافا
يقول ذلك قال أنت سمعته حدثنا
سعيد قال قلت نعم قال كذب
نوف ثم قال ابن عباس حدثني أبي
ابن كعب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان موسى بنى إسرائيل
سأل ربه فقال أى رب ان كان فى
عبادك أحد هو أعلم منى فدلنى
عليه فقال له نعم فى عبادى من هو
أعلم منك ثم نعت له مكانه وأذن له
فى لقيه فخرج موسى ومعه فتاه
رعه حوت ملج قد قيل له اذا حي
دنا الحوت فى مكان قصاصك
هناك وقد أدركت حاجتك فخرج
موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت
يحملانه فسار حتى جئته السير
وانتهى الى الصحرة والى ذلك الماء

فى موضع وقد قدمنا طرفا من ذلك فى سورة البقرة (ان زلزلة الساعة شئ عظيم) فلعيل
لما قبله من الامر بالقوى والزلزلة شدة الحركة والازعاج وأصلها من زل عن الموضع أى
زال عنه وتحركه وزلزل الله قدمه أى حر كها وتكرير الحرف يدل على تأكيد المعنى وهو من
اضافة المصدر الى فاعله ومنعوله محذوف تقديره الارض ويكون اسناد الزلزلة الى الساعة
على سبيل المجاز العتلى وهو على هذا الزلزلة التى هى احدى اشراط الساعة التى تكون فى
الدينا قبل يوم القيامة هذا أقول الجمهور وألى النظر لانها تكون فى شهر رمضان ومن
الليل والنهار ورويتها يكون يوم القيامة وقيل انها تكون فى النصف من شهر رمضان ومن
بعد هاتى لوج الشمس من مغربها ولا حجة فى المعتزلة فى تسمية المعلوم بشئ فان هذا اسم
لها حال وجودها وقيل فى التعبير عنها بالشيء ايدان بأن العقول فاصرة عن ادراك كنهها
وقد أخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى والحاكم وصححه وغيرهم عن عمران بن حصين
قال لما نزلت بأنهم الناس الى قوله عذاب شديد أنزلت عليه هذه وهو فى سفر فقال أتدرون
أى يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم يقر الله لا آدم بعث النار قال يارب
وما بعث النار قال من كل أئمة تسعة وأربعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة
فأنشأ السالون يكون فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاربوا وسددوا وأبشروا
فانهم لم تكن نبوة قط الا كان بين يديهم اجاهلة فتوخذ العبد من اجاهلة فتانعت والا
كلت من المنافقين وما مثلكم والائمة الا كمثل الرقة فى ذراع الدابة أو كالشامة فى جنب
البعير ثم قال انى لارجوان تكونوا رابع أهل الجنة فكبروا ثم قال انى لارجوان تكونوا
ثالث أهل الجنة فكبروا ثم قال انى لارجوان تكونوا نصف أهل الجنة فكبروا وقال ولا
أدرى قال الثلثين أم لا وأخرج الترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر عنه مرفوعا
نحوه وقال فى آخره ادعوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده انكم لمع خلقين ما كما تسمع
شئ الا كراته بأجوج وما جوج ومن مات من بنى آدم ومن بنى ايلس فمسر عن القوم
بعض الذى يجحدون قال ادعوا وأبشروا فوالذى نفس محمد بيده ما أنتم فى الناس الا
كالشامة فى جنب البعير أو كالرقة فى ذراع الدابة وفى الصحيحين وغيرهما عن أبي سعيد
الخدري قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذ كرفوه وفى آخره فقال من بأجوج
وما جوج أئمة ومنكم واحد وهل أنتم فى الأمم الا كالشجرة السوداء فى الثور الايض أو

وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقارب به شئ ميت الا حى فلما نزلوا من الحوت المسمى فاختصم فيه كالشجرة
فى البحر سربا فاختصموا فاجازوا للقله قال موسى لست انا القادقين من سفرنا هذا انما قال الله وذكرياتنا
الى الصحرة فأتى نسيت الحوت وما أنسا به الا الشيطان ان أذكره وتخصم فيه فى البحر عجا قال ابن عباس فظهر رموسى على الصحرة
حتى انتهيا اليها فاذا رجل متلف فى كساءه فسلم موسى فرب عليه السلام ثم قال له ما جاء بك ان كان لك قوم لك تشغل قال له موسى
جئتك على أن تعلمنى بما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معى صبرا وكان رجلا يعلم علم الغيب فقله علم ذلك فقال موسى بلى قال وكيف

تصبر على ما لم تنطق به خير أيا أنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحط من غير

أعصى لك أمرا وإن رأيت ما يخالفني قال فإن اتبعني فلا تنكحني عن شيء وإن أنكرت بعد
على ساحل البحر يعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى صرت بهما سفينة جديدة وثيقة لم
اجل ولا وثق بينهما فإسألهما أن يحكما ما بينهما فإلهما وافقها ولبت بهما مع أهلها أخرج منقار له ومظرفه من عدلى
ناحية منهما فاضرب فيها بالمقار حتى خرقتها ثم أدخلوها فطبقة عليها ثم جلس (١٥٩) عليها رفعها فقال له موسى ورأى أمرا أفضح به

أخر قتم التفرق أهلها لقد جئت شيئا
أمر أقال ألم أقل إنك إن تستطيع
معي صبرا قال لا أتواخذني بما
نسبت إني عابر ركت من عهدك ولا
ترهقني من أمري عنبراً ثم خرجا
من السفينة فأنطلقا حتى أتيا أهل
قرية فاذن غلمان يلعبون خلفهم فيهم
غلام ليس في الغلمان غلام أطرف
منه ولا أثرى ولا أواضنه فأخذته
ييده وأخذ يحرقه فاضرب به رأسه
حتى دمغه فقتله قال فرأى موسى
أمرا أفضح لا صبر علمه صبي صغير
قتله لأن له قال أقتلت نفساً
زكية أي صغيرة بغير نفس لقد جئت
شيئاً أنكر أقال ألم أقل إنك إن
تستطيع معي صبرا قال إن سألتك
عن شيء بعد هذا فلا تصاحبي قد
بلغت من الذي عذرا أي قد عذرت
في شأني فأنطلقا حتى إذا أتيا أهل
قرية استطعما أهلها فأبوا أن
يضيفوهما فوجداهما جدارا
يريدان نقض فهدمه ثم تعمد
بنيته فضجروا موسى بما رأوا يصنع
من التكليف وما ليس عليه
صبر فأقامه قال لو شئت لاتخذت
عليه أجرة أي قد استطعناهم فلم

كالبقرة البيضاء في الثور الأسود (يوم ترونها) أي وقت رؤيتكم للزلة (تذهل كل
مريضعة عما أرضعت) أي تغفل كل ذات رضاع عن رضيعها قال قطرب تذهل تشتغل
وقيل تنسى وقيل تلهو وقيل تسلو وهذه معانيها متقاربة قال المبرد ما يجتمع المصدر
أي تذهل عن الرضاع قال وهذا يدل على أن هذه الزلة في الدنيا ألدس بعد القامة حل
وارضاع الآن يقال إن من مات حاملا فضع حملها للهول ومن ماتت مرضعة بعثت
كذلك ويقال هذا مثل كأي قال يوم يجعل الولدان شيا وقيل يكون مع النفثة الأولى قال
ويحتمل أن تكون الزلة عبارة عن أهوال يوم القامة كأي قوله مستهم البأساء والضراء
وزلوا (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تلقي جنينها بغير عمام من شدة الهول كأن
المرضعة تترك ولدها بغير رضاع لذلك (وترى الناس سكارى) قرأ الجمهور رفع التاء والراء
خطابا لكل واحد أي يراههم الرائي كأنهم سكارى وقرئ ترى بضم التاء مستند إلى الخطاب
من أرايت أي تظنهم سكارى قال القرأوا هذه وجه جديد في العربية (وما هم بسكارى)
حقيقة وقرئ سكرى بغير ألف وهما لغتان يجتمع بهما سكران مثل كسلى وكسالى ولما نفي
سجانه عنهم السكر وضع السبب الذي لأجله شابهوا السكارى فقال (ولكن عذاب
الله شديد) فسبب هذه الشدة والهول العظيم طاشت عقولهم واضطربت أفهامهم
فصاروا كالسكارى يجامع سلب كال التمييز وحجة الأدراك وروى ابن هاتين الآيتين نزلة
في غزوة بني المصطلق لئلا يفراهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرا أكثر ما كان تلك
الليلة قاله أبو حيان في البحر ثم أريد سبحانه أن يخرج على منكري البعث فقدم قبل ذلك
مقدمة تشمل أهل الجدل كاهم فقال (ومن الناس من يجادل في الله) أي في شأن الله
وقدره وصفاته والمعنى أنه يخصم في ذلك فزعهم أنه غير قادر على البعث (بغير علم) بعلمه
ولا حاجة بدليهم أو يؤول أو يعطل أو يشبهه صفاته بصفات الخلق من دون حجة نيرة
أو كبر في دين الله ويقول فيه ما لا يخبر فيه من الأباطيل وتقليد آراء الرجال (ويبيع)
فيها بقوله ويتعاطوا ويحجج به ويجادل عنه (كل شيطان مرید) أي مريد على الله متجرب
للقضاء ودفوع العاني سمى بذلك لخلوعه عن كل خير وقال الزجاج المريد المارد المرتفع الاملس
والمراد ما ابليس وجنوده أو رؤساء الكفار الذين يدعون أشياعهم إلى الكفر قال
المفسرون نزلت في النضر بن الحارث وكان كثير الجدل وكان يشكر الله بقدر على إحياء

يطعموا وأوصفناهم فلم يصفونا ثم تعدت بعمل من غير صنعة ولو شئت لاعطيت عليه أجر أفي عمله قال هذا فراق بيني وبينك
سأنتك ستاوبل ما لم تنطق به صبرا اما السفينة فكانت لمساكين بعمان في البحر فاردت أن أعيها وكان وراءهم ملك يأخذ
كل سفينة غصبا وفي قراءة أخرى بن كعب كل سفينة صالحة ونامعها ثم أردها فاسلمت منه حين رأى العيب الذي صنعت بهما أو أما
الغلام فكان أبواه مؤمنين فغشىناهم برهقهما طغيانا وكفرا فأوردنا أن يبدها لهما ما ربهما خيرا متدن كاه وأقرب رجاء وأما الجدار
فكان لغلामين يبيعان في المدينة وكان تحتها كهولهما وكان أبوهما صالحا فأوردنا أن يبلغا أشدهما ويستحرجا كنههما رجعة من

ربك وما فعلته عن امرى ائى ما فعلته عن نفسى ذلك فآو بل ما لم تسطع عليه صبر افيكان ابن عباس يقول ما كان الكثر الا علما
وقال العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه بمصر فلما استقرت بهم النار انزل الله ان ذكركم بام
الله فخطب قومه فذكر ما اتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم اذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم
الله في الارض وقال كلم الله بكم تكلموا واعطاني لنفسه وآثرني على تحبة منته وآفأكم الله من كل ماسا لقوه فسيحكم افضل أهل
الارض وأتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمته (١٦٠) أتم الله عليهم والوعدهم اياها فقال له رجل من بني اسرائيل هم كذلك

الاموات وقيل زلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن زبيعة (كتب عليه) أى قضى على
الشیطان قاله قتادة وعن مجاهد مثله (أنهم نولاه) أى من اتخذ وليا وآتعه (فأله)
أى فسان الشيطان أنه (يفضله) عن طريق الحق والجنة وقد وصف الشيطان يومئذ
الاول انه مر يد والثاني ما أفاده جله كتب عليه الخ (ومذبه الى عذاب السعير) أى
يحملة على مباشرة ما يصير به في العذاب وفي الآية نزع عن اتباعه ثم ذكر سبحانه ما هو
المقصود من الاحتجاج على الكفار بعد درأغه من تلك المقدمة فقال (يا أيها الناس ان
كنتم في ريب من البعث) قرأ الجهور بسكون العين وقرأ في نفسهها وهى لغته وسكهم
يحتمل ان يكون في وقوعه وفى مكانه والمعنى ان كنتم في شك من الاعادة بعد الموت فانظروا
في مبدأ خلقكم أى خلق أبيكم آدم ليزول عنكم الرب ويرفع الشك وتدحض الشبهة
الباطلة (فانا خلقناكم من تراب) في ضمن خلق أبيكم آدم وهذا أول تطور الانسان
في أطوار سبعة وهى التراب والنطفة والعلقة والمضغة والخراج طقلا وبأخر الأشد
والتوفى وألوالدى أنزل العمر كما سمي في تفصيل ذلك (ثم) خلقناكم (من نطفة) أى من
منى سمي نطفة لقلته والنطفة القليل من الماء وقد يقع على الكبير منسوبة للنطفة القطرة
يقال نطف ينطف أى قطر وليلة تطوف أى دأمة القطر (ثم من علقه) وهى الدم الحامد
والعلق الدم العبيط أى الطرى أو المتجمد وقيل الشديد الحرارة والمراد الدم الحامد المتسكون
من منى (ثم من مضغه) وهى القطعة من اللحم قد مر ما مضغ الماضغ يتكون من العلقه
(مخلقة) أى مستبينة الخلق ظاهرة التصوير (وغير مخلقة) أى لم يستثن خلقها ولا ظهر
تصويرها قال ابن عباس الخلقه ما كان حيا تام الخلق وغير الخلقه ما كان سقطا ووروى
نحو هذا عن جماعة من التابعين وقال ابن الاعراب مخلقة بر يد قد بد الخلقه وغير مخلقة لم
تصور قال الاكرما اكل خلقه بنفع الروح فيه فهو الخلقه وهو الذى ولد له تام وما سقط
كان غير مخلقة أى غير حى باكل خلقه بالروح قال القراءه مخلقة تام الخلق وغير مخلقة السقط
واخرج البخارى ومسلم واهل السنن وغيرهم عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وهو الصادق الصدوق ان احدهم جمع خلقه في بطن امه اربعين يوما
نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملاك فينفخ فيه
الروح ويومر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فوالذى لا اله الا الله عز وجل

يا بنى الله قد عرفنا الذى تقول فهل
على الارض أحد أعلم منك يا بنى
الله قال لا فبعث الله جبرائيل الى
موسى عليه السلام فقال ان الله
يقول وما يدريك ان أضع على بلى
ان على شط البحر رجلا هو أعلم منك
قال ابن عباس هو الخضر فقال
موسى ربه ان يره اياه فأوحى اليه
ان أنت الخضر فالتجسد على شط
البحر خونا فخذ فادفعه الى فتاك
ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسبت
الموت وهلك منك فم تجسد العبد
الصالح الذى تطاب فلما طال سفر
موسى بنى الله ونصب فيه سأل قتاه
عن الخوت فقال له قتاه وهو غلامه
أرأيت أذا وى سالى الى الصخرة فأتى
نسبت الخوت وما أنسانته الا
الشيطان ان أذكره لك قال الفتى
لقدرأيت الخوت حين اتخذ سبيله
في البحر سربا فأعجب ذلك فرجع
موسى حتى أتى الصخرة فوجد
الخوت فجعل الخوت يضرب فى
البحر ويتبعه موسى وجعل موسى
يقدم عصاه فخرج منه الماء يتبع
الخوت وجعل الخوت لا يمس شيئا
من البحر الا يس عنه الماء حتى

يكون صخرة فجعل بنى الله يحجب من ذلك حتى انتهى به الى الخوت الى جزيره من جزائر العرفاقي الخضر ثم فاسلم عليه أحدكم
فقال الخضر وعليك السلام وانى يكون السلام بهذه الارض ومن أنت قال انا موسى قال الخضر صاحب بنى اسرائيل فرحب
به وقال ما جاء بك قال جئت على ان تعلى جماعتك رشد اقال انك لن تسطيع معى صبرا يقول لا تطوق ذلك قال سجد بنى ان شاء
الله صابر اول اعصى لك امرى اقال فانطق به وقال لا لتسألنى عن شئ الا صنعت حتى ابلغ لك شأنه فذلك قوله حتى أحدث لك منه
ذكرا وقال الزهرى عن عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس انه عمارى هو والحبر بن قيس بن حصين الفزارى

في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فترجم سماي بن كعب ففداه ابن عباس فقال اني تعاريت انا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل الى لقبيه فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه قال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بينما موسى في ملا من بني اسرائيل اذ جاء رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منك قال لا فاجابني الله الى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل الى لقبيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له اذ افقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر فقال في موسى لموسى ارايت اذ اتي بنا الى الصخرة فاني نسيت الحوت قال موسى ذلك ما كنا نبغ فارتد ا على آثارهما قصصا فوجد اعبدا خضر افكان من شأنهم ما ما قص الله في كتابه (قال له موسى هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تبصر على ما لم تحط به خبر ا قال

(١٦١)

سجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصى لك

أمرا قال فان اتعنتي فلا تسألني

عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا)

يخبر تعالى عن قيل موسى عليه

السلام لذلك الرجل العلم وهو

الخضر الذي خصه الله بعلم

يطلع عليه موسى كما أنه أعطى

موسى من العلم ما لم يعطه الخضر

قال له موسى هل اتبعك سؤال

نأطف لاعلى وجهه الا ان اجمار

وهكذا ينبغي ان يكون سؤال

المتعلم من العالم وقوله أتبعك

اي أتبعك وأرافقك على أن تعلمني

مما علمت رشدا اي مما علمك الله شيئا

أسترشده في أمرى من علم نافع

وعمل صالح فنهدها قال الخضر

لموسى انك لن تستطيع معي صبرا

اي انك لا تستدر على مصاحبي لما

ترى منى من الافعال التي تتخالف

شريعته لاني على علم من علم الله

ما علمك الله وأنت على علم من علم

الله ما علمني به الله فكل منما كاف

بأمور من الله دون صاحبه وأنت

أخذكم يعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينهم وبينها الأذراع فيسبق عمله الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أخذكم لعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينهم وبينها الأذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها والا حاديت في هذا الباب كثيرة جدا (لنسين لكم) أي خلقناكم على هذا الخط البديع لنسين لكم كمال قدرتنا بتصر يفتأ أطوار خلقكم لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على اعادته (وتقرر) مستأنف أي نبت (في الاحرام ما نشاء) فلا يكون سقطا ولم يقل من نشاء لانه يرجع الى الجمل وهو جاد قبل ان ينفع فيه الروح وقرئ ما نشاء بكسر النون (الآجل مسمى) وهو وقت الولادة (ثم يخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا) أي اطفالا وانما أفردته ارادة الجنس الشامل للواحد والمتعدد قال الزجاج طفلا في معنى اطفالا لاول عليه ذكر الجماعة يعني في فخر حكمهم والعرب كثيرا ما تطلق اسم الواحد على الجماعة والمعنى يخرج كل واحد منكم نحو القوم ينسبهم رغيف أي كل واحد منهم وقال المبرد هو اسم يستعمل مصدرا كالرضا والعدل فيقع على الواحد والجمع قال الله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا ثم قبل نصبه على التمييز قاله ابن جرير وفيه بعدوا نظاره انه على الحال والطفل يطلق على الولد الصغير من وقت انصاله الى البلوغ وأما الطفل بالفتح فهو الناعم والمرأة طفلة (ثم تبلغوا أشدكم) كانه قبل فخر حكمهم لتكبروا شيئا ثم تبلغوا الى الأشد وقيل ان ثم زائدة والأشدهو كمال العقل وكال القوة والتمييز قيل وهو ما بين الثلاثين الى الاربعين وهو في الاصل جمع شدة كأنهم جمع نعمة وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في الاذعام (ومستكم من يتوفى) اي يموت قبل بلوغ الأشد والكبر وقرئ مبينا للفاعل أيضا (ومستكم من يردى إلى أرذل العمر) أي أخسه وادونه وهو الهرم والخرف وهو خمس وسبعون سنة قاله على وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة حتى لا يعقل ولهذا قال سبحانه (لكيلا يعلم) أي يعقل (من بعد علم أي بعد عقله الاول (شيئا) من الأشياء أو شيئا من العلم والمعنى انه يصير من بعد ان كان

(٢١ - فتح البيان سادس) لا تقدر على صحبتي وكيف تبصر على ما لم تحط به خبر افا ناأ عرف انك ستذكر على ما أنت

معذوفه ولكن ما اطلعت على حكمته ومصلحته الباطنة التي اطلعت انا على ما دونك قال اي موسى سجدني ان شاء الله صابرا

أي على ما أرى من أمورك ولا أعصى لك أمر اى ولا أخالفك في شيء فعند ذلك شارطه الخضر قال فان اتعنتي فلا تسألني

عن شيء أي استدأحتني أحدث لك منه ذكرا أي حتى أبداك أنا به قبل ان تسألني قال ابن جرير حدثنا حميد بن جبر حدثنا

يعقوب عن هرون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أي رب اى عبادك احب

الك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأى عبادك أقضى قال الذي يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أي رب اى عبادك أعلم قال الذي يتبنى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تمديه الى هدى أو تروعه ردى قال أي رب فهل في أرضك أحد أعلم

مضى قال نعم قال فن هو قال انظر قال وأين أطلبه قال على الساجل عند الصخرة التي ينقلب عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله وانتهى موسى اليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى اني أحب أن أجعلك قال انك ان تطيق صحتي قال بلى قال فان صحتي فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا قال فسار به في البحر حتى انتهى الى مجمع الجور وليس في البحر مكان أكثر ما منه قال وبعث الله الخفاف بجعل يستقي منه بمغاره فقال لموسى كم ترى هذا الخفاف رأيت من هذا الماء قال ما أكل مارزا قال يا موسى فان علي وعلم في علم الله كقدر ما استقي هذا الخفاف من هذا الماء وكان موسى قد حدث نفسه انه ليس أحدا علم منه أو تكلم به في ثم أمر ان يأتي الخضر وذكرا تمام الحديث في خرق السفينة وقتل الغلام واصلاح الجدار وتفسيره (١٦٢) ذلك فانطلقا حتى اذ اركبا في السفينة خرقتها قال آخرتها

انغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا يقول تعالى مخبرا عن موسى وصاحبه وهو الخضر انهما انطلقا لما اتوا افقا واصطعبا واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يسأله من تلقاء نفسه بشرحه وببساطة فركباني السفينة وقد تقدم في الحديث كيف ركباني السفينة وانهم عرفوا الخضر حيا وهو ما يقول يعني بغير أجرة تذكره للخضر فلما استقلت بهم السفينة في البحر وجت أي دخلت الجدة قام الخضر فخرقها واستخرج لوحا من ألواحها ثم رفعها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه ان قال منكر عليه آخرتها التغرق أهلها وهذه اللام العاقبة لالام التعليل كما قال الشاعر * لسوا الموت وابو الخراب *

ذاعلم بالاشياء وفهم لها لاعلمه ولا فهم كهيئته الاولى في أو ان الطفولة من حفاقة الاري وقلة الفقه والعقل والفهم فينسى ما علمه وينسى ما يعرفه ومنه قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين وقوله ومن نعمه من كسبه في الخلق قال عكرمة من قرأ القرآن لم يضره هذه الحالة أي فهذا الرد والنكس خاص بغير فارئ القرآن والعلماء واما هؤلاء فلا يردون في آخر عمرهم الى الازل بل يزداد عقولهم تكا طالع عمرهم (وترى الارض هامدة) هذه جملة أخرى على البعث فانه سبحانه حاجت باحياء الارض بانزال الماء على احياء الاموات والهامة الى ايسة التي لا تدب شيئا قال ابن قتيبة أي مبيتة يابسة كالنار اذا طقت وقيل دراسة والهه واليسكون والخشوع والدروس وقيل هي التي ذهب عنها الندى وقيل هالكة ومعاني هذه الاقوال متقاربة (فاذا أمرنا لناسلها الماء) أي ماء المطر والانهار والبحار والعيون والسواقي (اهتزت) أي تحركت في رأي العين والاهتزاز شدة الحركة يقال هزنت الشيء فاهتز أي حركته فتهتز والمعنى تحركت بالنسبة لان النبات لا يخرج منها حتى يزبل بعضها من بعض ازالة حقيقة فسمها اهتزازا مجازا وقال المبرد المعنى اهتزت نباتها واهتزاز شدة حركته والاهتزاز في النبات أظهر منه في الارض (وربت) أي ارتفعت وقيل انتفعت وزادت والمعنى واحد وأصله الزيادة يقال ربا الشيء يربو واما اذا زاد منه الربا بالبوقة ربأت أي ارتفعت حتى صارت بمنزلة الربا أي هو الذي يحفظ القوم على مكان مشرق ويقال له رباب ورابية ورينة (وأثبت) أي أخرجت (من كل زوج هيج) أي من كل صنف حسن ولون مستحسن سار للنظر والبهو والبهجة الحسن قاله ابن عباس يعني الشيء المشرق الجميل ومن زائدة والاسناد مجازي لان المنبت في الحقيقة هو الله تعالى (ذلك) الصنع البديع حاصل (بأن) أي بسبب ان (الله هو الحق) وحده في ذاته وصفاته وأفعاله شئ في الموجد لما هو من الاشياء فله هذه الآثار الخاصة من فروع القدرة العامة التامة والحق هو

لقد جئت شيئا امرا قال مجاهد منكر وقال قتادة مجابا فعند ما قال الخضر مذكرا بالموجود بما تقدم من الشرط ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا يعني وهذا الصنيع فعلته قصدا وهو من الامور التي اشتربت معك أن لا تذكر على قلبها لانك لم تحط بها خيرا ولما دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت قال اي موسى لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا اي لا تضيق علي وتشدد علي ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كانت الاولى من موسى نسيانا (فانطلقا حتى اذا اقتبعا لا مافة قال أقلت نفسا كمية بغير نفس انتحدثت شيئا ننكرنا قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) يقول تعالى فانطلقا أي بعد ذلك حتى اذا اقتبعا لا مافة قال وقد تقدم انه كان يلعب مع الغلمان في قرية من القرى وانه عد اليه من بينهم وكان أحسنهم وأجلهم وأصفاهم

فقتله وروى انه احترق رأسه وقيل رخنه بحجر روى رواية اقلعه سيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من
 الاول وبادر فقال أقلت نفساً كسيرة أى صغيرة لم تعمل الخبث ولا علماً بما بعد فقتله بغير نفس أى بغير مستند لقتله لقد جئت
 شيئاً نكراً أى ظاهراً النكارة قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبراً كذا أيضاً في التذكر بالشرط الاول فلهذا قال له موسى ان
 سألتك عن شيء بعد هاأى ان اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذراً أى قد اعذرت الى مرتبة بعد
 مرة قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا شجاع بن محمد عن جزء الزيات عن أنس بن مالك عن سفيان بن عيينة عن ابن عباس
 عن أبي بن كعب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر أحد أفعاله بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى موسى لو
 لبث مع صاحبه لابصر العجب ولكن قال ان سألتك عن شيء (١٦٣) بعد هذا فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى

عذراً (فانطلقا حتى اذا تأمأ أهل
 قريه استسطعوا أهلها فأبوا ان
 يضيفوه فوجدافهم احداً اراد
 أن ينقض فأقامه قال لوشئت
 لا تخذت عليه أجراً قال هذا فراق
 بيني وبينك سأبئك بتأويل ما لم
 تستطع عليه صبراً) يقول تعالى
 مخبراً عنهم انهم انطلقا بعد الممرتين
 الاولتين حتى اذا تأمأ أهل قريه
 روى ابن جرير عن ابن سيرين انها
 الايكة وفي الحديث حتى اذا تأمأ
 أهل قريه لتأمأ أى بخلافه فأبوا أن
 يضيفوهما فوجدافهم احداً اراد
 يريد أن ينقض أسناد الارادة ههنا
 الى الحداد على سبيل الاستعارة
 فان الارادة في الحديث بمعنى
 الميل والانقضاض هو السقوط
 وقوله فأقامه أى فرضه الى حالة
 الاستقامة وقد تقدم في الحديث
 انه رده سيده ودعاه حتى رده له
 وهذا خارق فعند ذلك قال موسى له
 لوشئت لا تخذت عليه أجراً أى

الموجود الذى لا يتغير ولا يزول وقيل ذوالحق على عباده وقيل الحق فى أفعاله قال الزجاج
 ذلك فى موضع رفع أى الامر ما وصفت لكم وبين بان الله هو الحق والجلالة متأنسة واما
 ذكر افتقار الموجودات اليه سبحانه وتعالى وفق ارادته واقتداره قال بعد ذلك
 هذه المقالات (وانه يحيى الموتى وأنه على كل شيء قدير) والمعنى انه
 المتفرد بهذه الامور وانهم من شأنه لا يدعى غيره انه يقدر على شيء منها فدل سبحانه بهذا
 على انه الحق الحقيق الغنى المطلق وان وجود كل موجود مستفاد منه (وأن الساعة
 آتية) أى فى مستقبل الزمان قيل لا بد من ان يضرار فعل أى ولعلوا أن الساعة آتية
 (لأرب فيها) ولما تردد تخم خبر سبحانه عن البعث فقال (وأن الله يبعث من فى القبور)
 فيجازيهم بأعمالهم ان خير خفى وان شر افسر وان ذلك كائن لا محالة والحاصل انه تعالى
 ذكر أسباباً خمسة الثلاثة الاول مؤثره والاخير ان غير مؤثرين (ومن الناس من
 يجادل فى شأن الله) كقول من قال ان الملائكة نبات الله والمسيح ابن الله وعزير
 ابن الله قيل نزلت فى النضر بن الحرث وقيل فى أنس بن جهل وقيل فى رجل من بنى عبد الدار
 قاله ابن عباس وقيل هى عامة لكل من تصدى لاضلال الناس واغواثهم وعلى كل حال
 فالاعتبار بما يدل عليه اللفظ وان كان السبب خاصاً والمعنى ومن الناس فربى يجادل
 فى الله فيدخل فى ذلك كل مجادل فى ذات الله أو صفاته أو شرائعه الواحده (بغير علم)
 أى كأنه يفتبر علم قبل والمراد بالعلم هو العلم الضرورى (ولا هدى) وهو العلم النظرى
 الاستدلالى لان الدلائل يهتدى الى المعرفة والاولى جل العلم على العموم وحمل الهدى
 على معناه اللغوى وهو الارشاد (ولا كتاب) أى وحى (منير) وهو القرآن والمعنى
 انه يجادل من غير مقدمة ضرورية ولا نظرية ولا سمعية والعلم للانسان من أحده هذه
 الوجوه الثلاثة والمنير النيران البين الخطة الواضح انبرهان وهو ان دخل تحت قوله بغير علم
 فافتراده بالذكر كافر ادجبريل بالذكر بعد ذكر الملائكة وذلك لكونه الفرد الكامل

لأجل انهم لم يضيفوا كان ينبغى ان لا تعمل لهم مجازاً قال هذا فراق بيني وبينك أى لانك شرطت عند قتل السلام انك سألتنى
 عن شيء بعد هذا فلا تصاحبنى فهو فراق بيني وبينك سأبئك بتأويل أى بتفسير ما لم تستطع عليه صبراً (أما السفينة فكانت لمساكين
 يعملون فى البحر فأردت أن أعياها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) هذا تفسير ما أشكل أمره على موسى عليه السلام
 وما كان أنكر ظاهره وقد أظهر الله الخضر عليه السلام على باطنه فقال ان السفينة اتمخرقتا لأعياها لانهم كانوا يعملون بها
 على ملك من الظلمة يأخذ كل سفينة صالحة أى جيدة غصبا فأردت أن أعياها لارد عنها العيبا فينتفع بها أصحاب المساكين الذين
 لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها وقد قبل انهم أتياهم وروى ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجصاني ان اسم ذلك الملك
 هدد بن بدو وقد تقدم أيضاً فى رواية البخارى وهو مذكور فى التوراة فى ذرية العنص بن اسحق وهو من المولود المخصوص عليهم

في التوراة واثقه اعلم (وأما الغلام فكان أبو ادم مؤمن بنحسنا أن ربه عظماءنا وكفر أقرادنا أن يدلهم اربهم بما خبرهم من زكاة وأقرب رجلا) قد تقدم ان هذا الغلام كان اسمه جيتور وفي الحديث عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كقار واد ابن جرير عن حديث ابن اسحق عن سعد بن عبد الله عن ابن عباس قال فكان أبو ادم مؤمن بنحسنا أن ربه عظماءنا وكفر أي يحملها محبة على متابعتها على الكفر قال قتادة قد فرح به أبو ادم حين ولد وحرنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه خلا كهماء فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خيرا من قضائه فيما يحب وصح في الحديث لا يقضى الله لمؤمن قضاء الا كان خيرا له وقال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وقوله فأردنا ان يدلهم اربهم بما خبرهم من زكاة وأقرب رجلا أي ولدا (١٦٤) أركى من هذا وهما أرحم به منه قاله ابن جرير وقال قتادة

القائى على غيره من افراد العلم وامان جل العلم على الضرورى والهدى على الاستدلالى فقد جعل الكتاب هنا على الدليل السمعى فتكون الآية متضمنة لنفى الدليل العقلى ضروريا كان أو استدلاليا ومتضمنة لنفى الدليل العقلى باقسامه وما ذكرناه أولى قيل والمراد بهذا المجادل في هذه الآية هو المجادل في الآية الاولى أعنى قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد وبذلك قال كثير من المفسرين والتكرير للمبالغة في الذم كما تقول لرجل تذهمه وتبجته أنت فعلت هذا أنت فعلت هذا ويجوز ان يكون التكرير لكونه وصفه في كل آية بزيادة على ما وصفه به في الآية الاخرى وقيل الآية الاولى واردة في المقلدين اسم فاعل والثانية في المقلدين اسم مفعول ذكره الزمخشري وقال وهو أوفق وأظهر بالمقام انتهى ولا وجه لهذا كما أنه لا وجه لقوله من قال ان الآية الاولى خاصة بالضلال المتبوعين لتابعيهم والثانية عامة في كل اضلال وجدال (ثاني عطفه) حال أي لاوى عنقه قاله قتادة وعن ابن عباس والسدى وابن زيد وابن جرير أي أنه المعرض والعطف الجانب وعطف الرجل جانبه من يسير وشمال وفي تفسيره وجهان الاول ان المراد به من يلوى عنقه مر حاكبها ذكر معناه الزجاج قال وهذا أبو صف به المتكبر قال ابن عباس أي مستكبر في نفسه وقال المبرد العطف ما أنشئ من العنق الوجهة الثانية ان المراد بقوله ثانی عطفه الاعراض أي معرضا عن الذكركذا قال القراء والمفضل وغيرهما كقوله تعالى ولئى مستكبرا كان لم يسمعها وقوله لو واروهم وقوله اعرض وثأى بجانبه وقيل المعنى مانع تعطفه الى غيره (ليضل عن سبيل الله) أي ليسمأر أولي يضلالة وان ضلاله كالعرض له لكونه ماله قرئ ليضل بفتح الياء ومعها والسبيل هنا الدين يعنى ان عرضه هو الاضلال عن السبيل وان لم يعترف بذلك وقيل هي لام العاقبة كأنه جعل ضلاله عائدا للجداله (له في الدنيا خزي) مستأنفة مهيئة لما يحصل له بسبب جسداله من العقوبة والخزي والذل وذلك بما يناله من العقوبة

أبو ادم وقد تقدم انهم مابلدا جارية وقيل لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم قاله ابن جرير (وأما الجدل أرفكان غلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كثر لهما وكان أبوهما صالحا فأردنا ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كثرهما رحمة من ربك وما فعلته عن امرى ذلك تأويل ما لم نستطع عليه صبرا) في هذه الآية دليل على اطلاق القرية على المدينة لانه قال أولا حتى اذا أتيا أهل قرية وقال ههنا فكان لغلامين يتيمين في المدينة كما قال تعالى فكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك وقالوا لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى مكة والطائف ومعنى الآية ان هذا الجدار إنما أصله لانه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كثر لهما قال عكرمة وقتادة وغير واحد كان تحته مال مدفون

لهما وهذا ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وقال العوفي عن ابن عباس كان تحته كثر علم وكذا قال في سعيد بن جبيرة وقال مجاهد صحف فيها علم وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوى ذلك قال الحافظ أبو بكر أجد بن عمرو بن عبد الخالق البرزاني مسنده المشهور حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحرث بن عبد الله الجعفي عن عباس بن عباس الغساني عن أبي حمزة عن أبي ذر رفعه قال ان الكثر الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه عبت لمن أبقن بالقدرم نصب وعجت لمن ذكر النارم فخل وعجت لمن ذكر الموت لم غنل لا اله الا الله محمد رسول الله بشر بن المنذر هذا يقال له فأنشئ المصصة قال الحافظ ابو جعفر العقيلي في حديثه وهم وقد روى في هذا آثار عن السلف فقال ابن جرير في تفسيره حدثني يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب بن ندية حدثنا سلمة عن نعيم الغنيري وكان من جلساء الحسن قال سمعت الحسن يعني البصري يقول

في قوله وكان تحتها كثر لهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم بحيث لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ويحبت لمن يؤمن بالموت كيف يقرب ويحبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا اله الا الله محمد رسول الله وحدثني بؤنس اخبرنا ابن وهب اخبرني عبد الله بن عياش عن عمر مولى عقرة قال ان الكثر الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف وكان تحتها كثر لهما قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم بحيث لمن عرف الموت ثم فتح له يحب لمن ايقن بالقدر ثم نصب يحب لمن ايقن بالموت ثم آمن اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وحدثني احمد بن حازم الغفاري حدثنا هشادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبي جاد بن الوليد الثقفي يقول سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى وكان تحتها كثر لهما قال سطران ونصف لم يتم الثالث بحيث للمؤمن (١٦٤) بالزرق كيف يعجب ويحبت للمؤمن

في الدنيا ومن العذاب المجمل وسوء الذر على أسن الناس وقيل الخزي النسيوي هو القتل
 كما وقع في يوم بدر (ونذية يوم القيامة عذاب الخريق) أي عذاب النار المحرقة ثم
 يقال له (ذلك) أي ما تقدم من العذاب النسيوي والآخرى (بما قدمت يدك) من
 الكفر والمعاصي والبلاء السبيعية وغيره باليد عن جهة البسند لتكون مباشرة المعاصي
 تكون بها في الغالب وفي غير هذه السورة أيديكم لأن هذه الآية نزلت في أبي جهل وحده
 وفي غير هانزلت في جماعة تقدم ذكرهم (وإن الله ليس بظلام) أي بنى ظلم (للعبيد)
 أي والآخر أنه سبحانه لا يعذب عباده بغير ذنب وقد مر الكلام على هذه الآية في آخر آل
 عمران فلا نعيده (ومن الناس من يعبد الله على حرف) هذا بيان لشقاق أهل الشقاق
 قال أكثر المفسرين الحرف الشك وأصله من حرف الشيء أي طرفه مثل حرف الجبل
 والحائط فإن القائم عليه غير مستقر والذي يعبد الله على حرف قلق في دينه على غير نبات
 وطمأنينة كالذي هو على حرف الجبل وشوهد يضطرب اضطراباً وبضعف قيامه فقيل
 للشاك في دينه أنه يعبد الله على حرف أي مترزلاً لأنه على غير يقين من وعده ووعيدته
 بخلاف المؤمن لأنه يعبد الله على يقين وبصيرة فلم يكن على حرف في الآية استعارة تمثيلية
 وقيل الحرف الشرط والشرط هو قوله (فإن أصابه خير) دنوي من رضاء وصحة
 وعافية وسلامة رخص وكثرة مال (اطمأن به) أي ثبت على دينه واستقر على عبادته
 أو اطمأن قلبه بذلك الخير الذي أصابه وسكن إليه (وإن أصابه فتنة) أي شئ يقضيه
 من مكر وميضية في أهله وماله أو نفسه ومعيشته كالجذب والمرض وسائر الخن
 (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر ثم بنى حاله بعد
 انقلابه على وجهه فقال (خسر الدنيا والآخرة) أي ذهبا منه وفقد هماً فلا حظ له في
 الدنيا من الغنية والثناء الحسن ووصون المال والدم ولا في الآخرة من الاجر وما أعدّه
 الله للصالحين من عبادته وقرئ خاسر الدنيا على اسم الفاعل (ذلك هو الخسران المبين)

صلاحيه تقدم انه كان الاب السابغ قاله اعلم وقوله فأردب ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنهما هبة اسند الاراء الى الله تعالى لان بلوغه ما الحظ لا يقدر عليه الا الله وقال في الغلام فأردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وقال في السفينة فأردب ان اعياها قاله اعلم وقوله تعالى رحمة من ربك وما فعلته عن امرى أى هذا الذى فعلته في هذه الاحوال الثلاثة انما هو من رحمة الله بذكرنا من أصحاب السفينة والذى الغلام والذى الرجل الصالح وما فعلته عن امرى أى الصالح أمرت به وقت علمه وفيه دلالة ان قال بنو الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله فوجدنا عبدان عبادنا آتينا رحمة عندنا وعلمناهم لدنا علما وقال آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا قتله الماوردي في تفسيره وذهب كثير من الى انه لم يبق نيبا بل كان وليا قاله اعلم وذكر ابن قتيبة في المعارف ان اسم الخضر بليان ملكا بن قالح بن عابر بن شالح بن ارفخشذ بن سام

فرح عليه السلام ذوقاً وكذا يكنى بابن العباس ولقب بخضر وكان من أبا المنذر المذكور الذي في تهذيب الأعلام وحكي هو
 وغيره في كونه بابن أبي شامة إلى يوم القيامة فبينما هو في الصلاة إذ بقاهم ذكروا في ثلث حكايات وأدرا عن السلف
 وغيرهم وجاء ذكره في بعض الأحاديث ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها حديث الثعزرة وأسنانه ضعيف وروى آخرون من
 الأخذتين وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى ما جعلنا لبشر من قبلك خلقاً يقول أنبي على الله عليه وسلم يومئذ نبيهم إن
 تم ثلث هذه العصابة لا تعبد في الأرض ويأثم بقل الله في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حضر عند مولاه في مثل معه ويؤكد
 حيا الكائن من اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا على الله عليه السلام كمن دعوا إلى جميع القليلين والذين وقد قال في كان
 موسى وعيسى حينئذ ومعهم الأنبياء (١٦٦)

أي التواضع الظاهر الذي لا خسران منه فإنه إذا لم ينضم إليه لا خسران فيه لا خسران في الدنيا ولا في الآخرة
 لم يتحضر خسراناً فلم يتغير كونه كذلك ظهوراً وأما ما انفصل عن خسران الدنيا في الدنيا
 عليه وآله تسليماً بغير التعلق فإنه لا كسر في آخر جرح البصري وغيره عن ابن عباس في الآية
 قال كان الرجل يقدم المدينة فإن ركب امرأته غلاماً أو أختاً حيلة على هذه الدنيا صالح
 وإن لم تلد، امرأته ولم تنجب حيلة ذلك مذنبون سوء وأخرج ابن أبي عمير عن ابن مردويه عنه
 بسند صحيح قال كان من الأعراب يأتون النبي صلى الله عليه وآله يسألون في الدنيا
 رجوعاً إلى بلادهم فإن وجدوا ثيابهم غيت وعلم خبيروهم ولا ندحسن قالوا إن دينا هذا
 صالح فتسكروا به وإن وجدوا علمهم جديب وعلمهم لا دسوسهم خطبوا ما في دينا هذا
 خير فإن الله هذه الآية وعن أبي سعيد قال سأل رجل من أهل وفد بصرى بصرى ومدة
 وولده فقامت عليه السلام قال صلى الله عليه وآله وسلم فقد أتاني أقتني قال إن
 لا سلام لا قبل فقال لم أصب من ديني هذا خير إذا ذهب بصرى ومات ولدي فقد
 أبهرتني الإسلام يسأل أرباباً في نسبتهما الخبيروهم والذهب والنسبة فتركت
 هذه الآية أخرج ابن مردويه (بذو) أي بعد هذا الذي أنقلب على وجهه ورجع إلى
 أنكر (من دون الله) أي سجدوا وعبادته إلى عبادة الأصنام (ولا يضره) أن تركه
 عبادة الأصنام (وما لا ينفعه) أن عبده وأطاعه فكون ذلك العبادة لا ينفعه على
 ضر ولا تنفع وإنهم بين في النفع والضرر وأثبتهما في قولهم ضره أقرب من نفعه
 الآية كما سيأتي من عبوداتهم لا ضرر ولا نفع بأنفسهم ولكن بسبب عبادتها فنب
 الضرر لها في قوله تعالى رب انهن أفضل من كثير من الناس حيث أضاف الضلال
 إليها من حيث أنها كانت سبب الضلال وقد انشعب دفع التناقض التي باعتبار ما في
 نفس الأمر والأبواب باعتبار عظيم الباطل انتهى (ذلك) أي الله الملقبهم من يدعو
 (هو الضلال البعيد) عن الحق وأرشدنا من ضلال من سلك غير الطريق قصار

إلى ما غفسته من بلبه قوله عيسى
 فصرف إلى غير ذلك من الله لا قبل قال
 لا ملام أحد حدثني يحيى بن آدم
 حدثنا ابن المبارك عن معمر عن
 شام بن سبه عن أبي هريرة رضي
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه
 وسلم في الخضر قال أتاني خضرا
 فإنه جلس على فروع بيضاء فأتاني
 ثم تيممت خضرا ورأيت أيضاً عن
 عبد الرزاق وقد ثبت أيضاً في صحيح
 البخاري عن هشام عن أبي هريرة
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال أتاني الخضر لا يجلس على
 فروع فأتاني ثم تيممت خضرا
 والزيادة لسرور هينا الخشيش
 السابس وهو التسميم من الثبات
 قال عبد الرزاق وقيل المراد بسبب
 وجه الأرض وقوله ذلك تأويل ما لم
 تسطع عليه صبرا أي هذا تفسير
 ماضية شبه ذرعا ولم تصبر حتى
 أخبرك به ابتداءه ولم أنفسه
 ويسمى وخصه وأزال المشكل قال

تسطع وقبل ذلك من الاشكال قولاً يقال فقال سألني بتأويل ما لم تسطع عليه صبرا فقلت
 لا قبل ولا قبل ولا خبا لا خبا كما قال في أساطيرهم أن يغير وهو الصعود إلى أعلا دوماً استطاعوا أن يقبوا وهو أشق من ذلك
 فتقابل كلاهما في نسبة لفظي ومعنى والله أعلم فإن قيل في موسى ذكر في أول النسخة لم يرد كونه ذكراً فاجواب أن الله هو
 بالسباق إنما هو قصة موسى مع الخضر ذكرها كان بينهما موقفي موسى معه سبع وقد صرح في الأحاديث بالقدسة في الصحاح
 وغيره ما يرد في من هو الذي كان على بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وقد أئذ على ضعف ما أورد ابن جرير في تفسيره
 حيث قال حدثنا ابن حميد حدثنا سلمة حدثني ابن اسحق عن الحسن بن عمار عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس لم تنفع النبي
 موسى بك من حديث وقد كان معه قال ابن عباس فيجابه كرم من حديث النبي قال شرب النبي من الماء فخلطه فأخذاه العالم

فطابق به سقينة ثم ارسله في البحر قائم التوجه الى يوم القيامة وذلك انه لم يكن له ان يشرب منه فشرب اسناده ضعيف والحسن
منزول وابوه غير معروف (ويستألفك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انما كلفه في الارض وابتلاه من كل شيء سببا)
يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ويسألونك يا محمد عن ذي القرنين أي عن خبره وقد قدمنا انه بعث كفار مكة الى اهل الكتاب
يسألون منهم ما يتبعونه به النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اسأله عن رجل طواف في الارض وعن قتيبة لا يدرى ما صنعوا وعن الروح
فقرئت سورة النكهف وقد ورد ابن جرير عنها والاموي في مغازيه حذينا اسناده وهو ضعيف عن عقبه بن عامر ان نفر من
اليهود جاؤا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن ذي القرنين فاخبرهم بما جاءه الله ابتداء فكان فيما اخبرهم به انه كان شابا من
الروم وانه بنى الاسكندر يثوبه عليه ملك في السماء وذهب به الى (١٦٧) السطور رأى اقواما وجوههم مثل

وجوه الكلاب وفيه طول ونكارة
ورفعه لايصيح أكثر ما منه انه من
اخبار بني اسرائيل والنجبان
ابازرعة الرازي مع جلاله قدره
ساقه بتمامه في كتابه دلائل
النسب وذلك غريب منه وفيه
من النكارة انه من الروم وانما
الذي كان من الروم الاسكندر
الثاني وهو ابن قيلس المقدوني الذي
تورخ به الروم (١) فاما الاول فقد
ذكر الازرق وغيره انه طاف بالبيت
مع ابراهيم الخليل عليه السلام
اول ما بناء وآمن به واتبعه وكان
وزيره الخضر عليه السلام واما
الثاني فهو اسكندر بن قيلس
المقدوني البوني وكان وزيره
ارسطاطليس الفيلسوف المشهور
والله اعلم وهو الذي تورخ من
ملكته الروم وقد كان قبل المسيح
عليه السلام بقرن ثلثمائة سنة
فاما الاول المذكور في القرآن
فكان في زمن الخليل كما ذكره

بضلاله بعيدا عما قاله الفراء البعيد الطويل (يدعو) أي يقول هذا الكافر يوم القيامة
(من خبره أقرب من نفعه) هذه الجملة مقرر لما قبلها من كون ذلك الدعا ضلالا بعيدا
والاضنام لا يقع فيها بحال من الاحوال بل هي ضرر بحيث ان عبدا لا يدخل النار بسبب
عبادتها واد اصبغة التفصيل مع عدم النفع باردة للمباغاة في تصحيح حال ذلك الداعي
أو ذلك من يلب وانما أيا لم تلي هذأي وفي ضلال مبين واللام هي الموطئة للقسم ومن
موصولة أو موصوفة وضرر مبتدأ خبره أقرب والجملة صلة الموصول وجملة (لبس المولى
ولبس العشير) جواب القسم والمعنى انه يقول ذلك الكافر يوم القيامة لبس المولى أنت
ولبس العشير أنت والمولى الناصر والعشير الصاحب وقال الزجاج أي ذلك هو الضلال
البعيد يدعوه وعلى هذا قوله من خبره كلام مستأنف مبتدأ وخبره لبس المولى قال
وهذا الان اللام للين والتوكيد فجعلها أول الكلام وقال الزجاج والفراء يجوز ان يكون
يدعو مكررة على ما قبلها على جهة تنكيه هذا الفعل الذي هو الدعا أي يدعو ما لا يضره
ولا ينفعه يدعو وقال الفراء والكسائي والزجاج معنى الكلام القسم والتقدير يدعون
لضره أقرب من نفعه وقال محمد بن يزيد المعنى يدعون لضره أقرب من نفعه الهال قال
الحساس وأحسب هذا القول غلطاً منه وقال الفراء والقفال اللام صلة والمعنى يدعون
لضره أقرب من نفعه واللام في لبس المولى ولبس العشير على هذا موطئة للقسم (أن
الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) لما فرغ سبحانه
من ذكر حال المشركين ومن بعد الله على حرف ذكر حال المؤمنين في الآخرة وأخبر انه
يدخلهم هذه الجنات المتصفة بهذه الصفة وهذا وعد الله بكل حال لان عبده على
حرف وقد تقدم الكلام في جرى الانهار من تحت الجنات وبينائنا ان أريد بها الاشجار
المستأنسة السائرة لما تحتها جريان الانهار من تحتها ظاهراً وان أريد بها الارض فلا بد
من تقدير مضاف أي من تحت أشجارها (ان الله يفعل ما يريد) تعميل لما قبلها أي

الازرق وغيره انه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناء ابراهيم عليه السلام وقرب الى الله قربانا وقد كرنا طرفا
من احسان أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية لله الحمد وقال وهب بن منبه كان ملكاوعا سمى ذا القرنين ان حقيقى
رأسه كاتمن شخص قال وقال بعض أهل الكتاب لانه ملك الروم و فارس وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين وقال سفيان
الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل على رضى الله عنه عن ذي القرنين فقال كان عبدا لاجل الله فباعه
دعا قومه الى الله فضرب على قرن فمات فاحياه الله فدعا قومه الى الله فضر يوه على قرن فمات فقبى ذا القرنين وكذا رواه شعبه عن
القاسم بن أبي برة عن أبي الطفيل سمع عليا يقول ذلك ويقال انه اعلمى ذا القرنين لانه بلغ المشارق والمغارب من حيث يطاع قرن
الشمس ويغرب وقوله انما كلفه في الارض أي أعطيناه منه كاعطيناك من جميع ما يوتي المالك من التمكين والجنود والآلات

(١) قوله فاما الاول الخ كذا بالنسخ وفي العبارة شبه تكرار يفر ٨٥

الحرب والحصارات وللهام ملك المشارق والمغارب من الارض وادبات له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الامم من العرب والجم وللهاذكر بعضهم انه اتى اسمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقا ومغربا وقوله واتينا من كل شيء سبيبا قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم يعني علما وقال قتادة ايضا في قوله واتينا من كل شيء سبيبا قال منازل الارض واعلامها وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم في قوله واتينا من كل شيء سبيبا قال تعليم الالسنه قال كان لا يفوز قوما الا كلهم بلسانهم وقال ابن لهيعة حدثني سالم بن غيلان عن سعيد بن أبي حلال ان معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الاخبار انت تقول ان ذا القرنين كان مربوط خيله بالثرى فقال له كعب ان كنت قلت ذلك فان الله قال واتينا من كل شيء سبيبا وهذا الذي أنكره معاوية يرضى الله عنه (١٦٨) علي كعب الاخبار هو الصواب والحق مع معاوية في الانكار

يفعل ما يريد من الافعال لا يستل عناية على فتيب من يشاء ويعذب من يشاء ويكرم من يطعمه ويهين من يعصيه (من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة) قال النجاشي ومن أحسن ما قيل في هذه الاية ان المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وأنه يتأله ان يقطع النصر الذي أوتيه صلى الله عليه وآله وسلم (فليهدد بسبب) أي فليطلب حيلة يصل بها (الى السماء ثم ليقطع) النصر ان تمها له (فليستظر هل يذهبن كبده) وحيلته (ما يغيظ) اياد من نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعل من على الكفار يوافق كلام الجلال ومثله في العبادي وقال أبو السعود المعنى انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يابو ولا عاطف يشبهه من كان يغيظه ذلك من أعاديه وحساده و يظن أن لن يفعل تعالى بسبب مبدأ فعمته بعض الأمور ومباشرة ما يريد من المكاييد فليبلغ في استقراخ الجهد وولجها في الجسد كل جند عهود فقصارى اثره وعاقبة امره ان يحتقن خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدمات مباديه وقيل المعنى فليشد حبالا في سقف بيته ثم ليقطع أي ليهلك الجبل حتى ينقطع فيعوت تحتها والمعنى فليجتث غيظا حتى يموت فان الله ناصر صلى الله عليه وآله وسلم ومظهره ولا ينقعه غيظه وبه قال ابن عباس وقيل المعنى من كان يظن ان الله لا يزيقه فليقتل نفسه فليستظر هل ينقعه ذلك أو ياتيه رزق (وكذلك) أي مثل ذلك الانزال البديع من الآيات السابقة (أترئاه) أي القرآن (آيات بينات) واجتاث ظاهرة الدلالة على مدلولاتها (وان الله هادي من يريد) هدايته ابتداء أو زيادة فهم ان كان مهديا من قبل ويضل من يريد ضلاله معطوف على هاهنا انزلنا فان وصلتم في محل نصب ونصم ان تكون في موضع رفع خبر المبتدأ فصرأى والامر ان الله الخ (ان الذين آمنوا) بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم أو جماد كمن الآيات البينات (والذين هادوا) هم اليهود المنتسبون الى عملة موسى (والصالحين) هم قوم يعبدون النجوم وقيل هم من

فان معاوية كان يقول كان كعب ان كالتساو عليه الكذب يعني فيما ينقله لانه كان يعتمد نقل ما ليس في صحفه ولكن الشأن في صحفه أنهم من الاسرائيليات التي غالبها مسبدل مصحف محرف مختلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى شيء منها بالكتابة فانه دخل منها على الناس شركه كبير وفساد عريض وتأويل كعب قول الله واتينا من كل شيء سبيبا واستشهاده في ذلك على ما يجبه في صحفه من انه كان مربوط خيله بالثرى يا غير صحيح ولا مطابق فانه لا يستدل للنسب الى شيء من ذلك ولا الى الترفي في أسباب السموات وقد قال الله في حق بلقيس وأوتيت من كل شيء أي مما يوقى مثلها من الملوك وهكذا ذوالقرنين يسر الله له الأسباب أي الطرق والوسائل الى فتح الافاليم والراساتيق والبلاد والارضى وكسر الأعداء وكبت

ملوك الارض واذلال أهل الشر لقد أتى من كل شيء مما يحتاج اليه مثل سبيبا والله أعلم وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي من طريق قتيبة عن أبي عوانة عن سماعة بن حرب عن حبيب بن جاد قال كنت عند علي رضي الله عنه وسأله رجل عن ذي القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب فقال سبحان الله سخره السحاب وقدر له الاسباب وبسط له اليد (فاتبع سبيبا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حثية) ووجد عندها قوما فلما اذا القرنين امانا أن تعذب واما ان تخدعهم حسنا قال آما من ظلم فسوف يعذبه ثم ردى الى ربه فيعذبه عبدانكر أو آما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وستقول لمن أمرنا بسرا قال ابن عباس فاتبع سبيبا يعني بالسبب المنزل وقال مجاهد فاتبع سبيبا منزلا وطرا فقاما بين المشرق والمغرب وفي رواية عن مجاهد سبيبا قال طرفي الارض وقال قتادة أي اتبع منازل الارض ومعالمها وقال الضحاك فاتبع سبيبا أي المنازل وقال سعيد بن جبيرة

في قوله فأتبع سببا قال علماء وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلى والسدي وقال مطر معالم وأثار كانت قبل ذلك / وقوله حتى
 اذ بلغ مغرب الشمس أى فسلك طريقا حتى وصل الى أقصى ما يسلك فيه من الارض من ناحية المغرب وهو مغرب الارض
 وأما الوصول الى مغرب الشمس من السماء فلهذا وما يذكره أصحاب القصص والاختصار من انه سار في الارض مدة والشمس
 تغرب من ورأته فبني لاحقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله وجددها تغرب
 في عين جثة أى رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى الى ساحل له براها كان تغرب فيه وهي
 لا تتفارق الفلك الرابع الذي هي منبئة فسه لا تفارقه والجثة مشتقة على إحدى القراءتين من الجثة وهو الطين كما قال تعالى اني
 خالق بشر من صلصال من جامس نون أى طين (١٦٩) ألمس وقد تقدم بيانه وقال ابن جرير حدثني

يونس اخبرنا ابن وهب أنا ابن نافع بن
 أنس بن عيسى سمعت عبد الرحمن
 الأعرج يقول كان ابن عباس يقول
 في عين جثة ثم فسرها ذات جثة
 قال نافع وسئل عنها كعب الاحبار
 فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكنني
 أجدها في الكتاب تغيب في طينة
 سوداء وكذا روى غير واحد عن
 ابن عباس وبه قال مجاهد وغير
 واحد وقال أبو داود الطيالسي
 حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن
 أوس عن مصدع عن ابن عباس
 عن أبي بن كعب ان النبي صلى الله
 عليه وسلم أقرأه جثة وقال علي بن أبي
 طلحة عن ابن عباس وجددها تغرب
 في عين حامية يعني حارة وكذا قال
 الحسن البصري وقال ابن جرير
 والصابغ انهم ما قرأه تان مشهورتان
 وأيهما قرأ القاري فهو مصيب قلتم
 ولا منافاة بين دعيتيها اذا تذكرت
 حارة لجوارها وهي الشمس عند
 غروبها وملاقاها الشعاع بلا جائل

جنس النصراني وليس ذلك بحجج بل هم فرقة معروفة لا ترجع الى مله من الملل المنتسبة الى
 الانبياء (والنصارى) هم المنتسبون الى مله عيسى (والجوس) هم الذين يعبدون
 النار ويقولون ان للعالم أصليان النور والظلمة وقيل هم قوم يعبدون الشمس والقمر
 وقيل هم يستعملون الحجاسات وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوهم ولبسوا المسوح
 وقيل انهم أخذوا بعض دين اليهود وبعض دين النصارى (والذين أشركوا) هم الذين
 يعبدون الاصنام وقدم في تحقيق هذا في البقرة ولكنه سبحانه قدم هذا النصارى على
 الصابئين وأخرهم عنهم هينا فقبل وجه التقديم ههنا انهم أهل كآب دون الصابئين ووجه
 تقديمهم ههنا ان زمنهم متقدم على زمن النصارى قال قتادة الصابئون هم قوم يعبدون
 الملائكة ويصلون القبلة ويقرؤون الزبور والجوس عبدة الشمس والقمر والنيران
 والذين أشركوا عبدة الاوثان (ان الله يفصل) أى يقضى (بينهم يوم القيامة) فيدخل
 المؤمنين منهم الجنة والكافرين منهم النار وقيل الفصل هو ان يعز الحق من المبتل
 بعلامه يعرف بها كل واحد منهما وقيل يفصل بينهم في الاحوال والاماكن جميعا فلا
 يجازيهم جزاء واحد انهم يتفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد قال قتادة الاديان ستة
 خمسة للشيطان وواحد للرحمن وعن عكرمة قال فصل قضاء بينهم فيعمل الخمسة
 مشتركة ويجعل هذه الامة واحدة وعن ابن عباس قال والذين هادوا اليهود والصابئون
 ليس لهم كتاب والجوس أصحاب الاصنام والمشركون نصارى العرب (ان الله) تعليل
 لما قبله او كأنه قال اعدا الفصل عن علمه ولا تقبل ان الله (على كل شيء) من أفعال
 خلقه وأقوالهم (شاهد) عالم علم مشاهدة لا يعزب عنه شيء من عملهم قضيت الاحاطة
 بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من أفراد الفرق المذكورة والظاهر تميم الكلام لعبدة
 الاوثان ولعباد الشمس والقمر والتجوز قاله الكرخي (المرآن الله) يستجده من في
 السموات ومن في الارض) الرؤية هنا هي التلبسة لا البصرية وذلك لان رؤية مجرود

(٢٢) فتح البيان سادس) وجه في ماء وطن أسود كما قال كعب الاحبار وغيره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المنثري
 يزيد بن هرون أخبرنا الجوام حدثني جولي لعبد الله بن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين
 غابت فقال في نار الله الخالصة ولا ما بينهما من أمر الله لا حرق ما على الارض قلت ورواه الامام أحمد عن يزيد بن هرون وفي حصة
 رفع هذا الحديث فظن وعلمه من كلام عبد الله بن عمرو من زامه التزيين وجمعا يوم اليرموك والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا
 حجاج بن حزة حدثنا محمد بن عيسى بن بشر حدثنا حمرون بن مجون أن أبانا بن حنظل عن ابن عباس ذكر له معاوية بن أبي سفيان قرأ
 الآية التي في سورة الكهف في تغرب في عين حامية قال ابن عباس لمعاوية ما تقرأها الا جثة فبالب معاوية عبد الله بن عمرو وكيف
 تقرأها فقال لعبد الله كافر أنها قال ابن عباس فقلت لمعاوية في بيتي نزل القرآن فإرسل الى كعب فقال له أين تجد الشمس

تغريب في اسرار التنقل له سبحانه على اعينهم واعيانهم واداني به شخص تغريب في اسرار التنقل له سبحانه على اعينهم واعيانهم واداني به شخص تغريب في اسرار التنقل له سبحانه على اعينهم واعيانهم واداني به شخص

بائع التاروق والغريب يتفق * أسباب آخر من حكيم مرشد
قراي معار التدرس عند غروبها * في عين ذي خلب ونداء حرمة

فقد ار ابن عباس ما اتخبط قلبه الطين بكلامهم فذكر في الناس وقت انما وقت حرمه وقت الاسود وقت فقه ابن عباس رجلا و
 قداما فقد اكب ما يقرونه الرجل وقت (170) سعد بن جبير بن ابن عباس يقر أسود الكندي فقرأ وحده تعريب

في عين حجة قتال كعب وانتهى نفس
كعب يمدعها سمعت اخنا يقرؤها
كأنزلت في الشوراء عريان عباس
فأنا نجد حافي السوراء تعرب في
مدرق سونا ودل أبو يعلى لموصي
حدثنا يحيى بن أبي اسرائيل حدثنا
هشام بن يوسف قال في تفسير ابن
جريج ووجد عندنا قوله دل
حديثنا انما نحن انكسار ولا
أصوات أهل السبع الناس وجوب
الشمس حين تجب وقوله ووجد
عندنا قوله أي أمة من الأمم
ذكر وانما كانت أمة عظيمة من بني
آدم وقوله قلنا إذا الفريتين ما أن
تعذب وأما أن تعذبهم حسانعي
هذا ان الله تعالى مكسبه منهم
وحكمه فيهم وأخفقر بهم وخيره
ان شئت قبل وسي وان شاء من
أولى قدرى عنه وابنه فينا بآباده
عند وسبته في قوله أما من ظلم أي
استمر على كفره وشركه بغيره فوف
نعمه دل قلدانه القتل ودل السدي

كان يحيى يقيم بقر النحاس ويضعهم ثم حتى يذوقوا وقد وجب من فيه كان يسند الحلقه فحدث
 أن قواهم وبسوتهم ونفسهم من جميع جهاتهم وأنه أعز وقوله ثم جرد خبره فيعقبه بعد أن فكر أي شئ يبليها جميعا ألبس في هذا
 الثياب المعدوا لجزاءه وقوله وأملن آمن أي تابعتني مائدة الله من عباده فقلت له وحده لا شريك له فذكر لي أنه أخفى أي في الممر
 الآخر عند الله عز وجل وسقطوا لمن أمر نايبر أقال محيى عند معروف (ثم) تبع مينا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على
 قوم لم يعمل لهم من دنسها استرا كذلك وقد أحطنا بحسبه خيرا يقول تعالى ثم نشر بقافا من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان
 كما امر لمة قومه وعلمهم ودعمهم إلى الله عز وجل فإن أحاعوه والأذلي ورأى ثم أدفم واستباح أموالهم وأمتعهم واستخدمهم

ما يستعين به مع جبهوشه على قتال الاقاليم المتاخمة لهم وذكر في اخبار بني اسرائيل انه عاش ألفا وسبعمائة سنة يجوب الارض طولها والعرض حتى بلغ المشارق والمغارب ولما انتهى الى مطلع الشمس من الارض كما قال تعالى وحدها تطلع على قوم امة لم نجعل لهم من دونها سترا أى ليس لهم بناء يكتنهم ولا أشجار تظللهم وتستترهم من حر الشمس وقال سعد بن جبسر كانوا جرحا قصارا مساكنهم الغيران اكثر معيشتهم من السمك وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سهل بن أبي الصلت سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى لم نجعل لهم من دونها سترا قال ان ارضهم لم يتحمل البناء فاذا طلعت الشمس تغدو والمياه فاذا غربت خرجوا يترافعون كما ترفع البهائم قال الحسن هذا حديث سمعته وقال قتادة كلنا منهم بارض لا تنبت لهم شيئا فهم اذا طلعت الشمس في اسراب حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى حروثهم ومعاشهم وعن سلمة بن كهيل انه (١٧١) قال ليست لهم مكان اذا طلعت الشمس طلعت عليهم

فلا حدهم اذ انان يقرش احدهما ويلبس الاخرى قال عبد الرزاق اخبرنا معمر عن قتادة في قوله وحدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال هم الرزح وقال ابن جرير في قوله وحدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يكن عليهم فيها بناء كانوا اذا طلعت الشمس دخلوا اسرا اليهم حتى تزول الشمس او دخلوا البحر وذلك ان ارضهم ليس فيها جبل جاءهم جيش حمرة فقال لهم اهلها لا تطلعن عايكم الشمس وانتم بها قالوا انبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العقاب قالوا هذه جفج جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فهاهنا وقال فذهبوا هاربين في الارض وقوله كذلك وقد احطنا بما لديه خيرا قال مجاهد والسدي علمنا أى نحن بطلعون على جميع احواله واهواله جشبه لا يخفى علينا منها شي وان تفرقت اعمهم وتطلعت بهم الارض فانه تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في

اليوم والنصارى والصابئون والجوس والذين أشركوا وانضم الآخر المسلمون فهما فريقان يتحصنان قاله القراء وغيره وقبل المراد بالخصمين الجنة والنار قالت الجنة خلقني رحمتي وقالت النار خلقني لعقوبته وهو ضعيف وقبل المراد بالخصمين هم الذين برزوا يوم بدر من المؤمنين حمزة وعلي وعبيدة ومن الكافرين عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقد كان أبو بكر يسميهم ان هذه الآية تنزلت في هؤلاء المتبارزين كما ثبت عنه في الصحيحين وغيرهما وقال بمنزل هذا جماعة من الصحابة والتابعين وهم أعرف من غيرهم بأسباب النزول وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أيضا عن علي انه قال فينازلت هذه الآية وأنا أول من يحشوا في الخصومة على ركبته بين يدي الله يوم القيامة وقال سبحانه (اختصموا) ولم يقل اختصموا لانهم جميع و لو قال اختصموا لحاز قاله القراء (في شأن رجبهم) أى في دينه أو في ذاته أو في صفاته أو في شريعته لعباده أو في جميع ذلك قال أبو حيان الظاهر ان الاختصاص هو في الآخرة بدليل التقسيم بالفاء الدالة على التعقيب في قوله فالذين كفروا وان قلنا هذا في الدنيا فالجواب انهما كان تحقيق مضمونه في ذلك اليوم صرح جعل يوم القيامة طرفا لهذا الاعتبار ثم فصل سبحانه ما أجله في قوله ينصل بينهم فقال (فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار) أى قدرت لهم على قدر جثثهم لان الثياب الجدد تقطع على مقدار بدن من يلبسها فالتقطيع مجاز عن التقدير بذكر المسبب وهو التقطيع وارادة السبب وهو التقدير والتحتم والظاهر انه بعد ذلك جعل تقطيعها استعارة تمثيلية تمثلية شبه اعداد النار واحاطها بهم بتفصيل ثياب لهم وجمع الثياب لأن النار لا تكفي عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهذا بلغ من جعلها من مقابلة الجمع بالجمع قال الأزهرى المعنى سويت وجعلت لبوسا لهم وانما شبهت النار بالثياب لانها مشتقة عليهم كاشتغال الثياب وعبر بالماضى عن المستقبل تنبيها على تحقق وقوعه وقيل ان هذه الثياب من نحاس فذاذيب فصار كالنار وهي السرايل المذكورة

السماء (ثم اتبع سبحانه اذ بلغ بين السدين وحدهم من دونهم اقواما لا يكادون يفقهون قولا قالوا اياذا القرنين ان يا جوج وما جوج يفسدون في الارض فهل يجعل لك خراجا على ان يجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنتي فيه رى خيرا فعسى ان يكون بقاءه ينكمهم وينهم يوما توفى نزل الحسد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفعوا حتى اذا جعلنا نارا قال انوى افرغ عليه قطرا) يقول تعالى خبرا عن ذي القرنين ثم اتبع سبيبا أى ثم سلك طريقا من مشارق الارض حتى اذ بلغ بين السدين وهما جبلان متناوكان بينهما نفرة يخرج منها يا جوج وما جوج على بلاد الترك فيعشون فيها فسادا ويهلكون الحرث والنسل و يا جوج وما جوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين ان الله تعالى يقول يا آدم فيقول ليلك وسعديك فيقول ابعث النار فيقول وما بعث النار فيقول من كل امة سبعة مائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة فيختبئ ذئب الصغى وتضع كل ذات حمل حملها فقال ان

فكم أمتين ما كانتا في شيء الاكثر تاه بأجوج وأجوج وقد سحى النورى وجه الله في شرح مسلم عن بعض الناس ان بأجوج
وأجوج خلقوا من مقيخرج من آدم فاخذوا بالتراب فخلقوا من ذلك فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء
وهذا قول غير سبجد الادليل عليه لامن عقل ولا من نقل ولا يجوز الا اعتمادهم على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من
الاحاديث المتعذرة والله أعلم وفي مسند الامام أحمد عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولد نوح ثلاثة سام وأبو العرب وحام
أبو السودان ويافث أبو الترك قال بعض العلماء هو لا من نسل يافث أبي الترك وقال انما سمي هو لا تركا لانهم تركوا من وراء الله
من هذه الجهة والافهم أقرباؤا ولكن بغيا وفسادا وجرأة وقد ذكر ابن جرير ههنا عن وهب بن منبه أثر اطرو بلا عجيا في سرى القرنين
وبثاته السد وكيفه ماجرى له وفيه طول وغربة (١٧٢) ونكارة في اشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وأذانهم ووروى

ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك
أحاديث غريبة لاتصع أساسا لها
والله أعلم وقوله وحدم دونهما
قولا لا يكادون يقفهون قولاً أرى
لاستحجام كلامهم وبعدهم عن
الناس فالوايذا القرنين ان بأجوج
وأجوج مفسدون في الارض
فهل يجعل الخرجا قال ابن جرير
عن عطاء عن ابن عباس أجزاع طيما
يعنى انهم أرادوا ان يجمعوا له من
بينهم ما لا يعطونه اياه حتى يجعل بينه
وبينهم سدا فقبل ذو القرنين بعفة
وديانته وصلاحه وقصد الخير ما مكفى
فيه رضى خير أرى ان الذى أعطى الله
من الملك والتمكين خيرى من الذى
تجمعونه كما قال سلمان عليه السلام
أعندون بمال فأتانى الله خير
مما أتاكم الآية وهكذا قال ذو
القرنين الذى أتاه خبر من الذى
تبدلونه ولكن ساعدنى بقوة أرى
بعملكم وآلات البناء أجعل بينكم
وبينهم رمداً توفى زبر الحديد
والزبر جعز برقه وحى القطعة فنه

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وهى كاللينة يقال كل لينة يقال كل لينة قنطار بالدمشقي أو يزيد عليه حتى
اذا ساوى بين الصدفين أى وضع بعضهم على بعض من الأساس حتى اذا حاذى به رؤس الجبلين طولا وعرضا واختلفوا في مساحة
عرضه وطوله على اقول قال انفعوا أى أجمع عليه الناحى صاركه نارا قال أوتى أفرغ عليه قطر اقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
والضحاك وقتادة والسدى هو النحاس زاد بعضهم المذاب ويستشهد بقوله تعالى وأسأله عين القطر ولهذا اشتهر بالرد الخبر قال ابن
جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعد بن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا رسول الله قد رأيت سدياً بأجوج ومأجوج قال انعمنى قال
كالبدر المحرطر بقه سوداء وظرفه حراء قال قد رأيت هذا حديث مرسل وقد بعث الخليفة العباسى فى دولته بعض امرائه وجهز
معه جيشا سار به لينظروا الى السد ويعاينوه ويغنوه اذ ابرجوا افرصوا من بلاد دالى بلاد دوس من ملك الى ملك حتى وصلوا اليه

مقام

مقام

ورأوا بناء من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه اقفال عظيمة ورأوا

حراسا من الملوكة المتأخلة وانه عال منيف شاق لا ^{١١٠} اءوا لامحو ^{١١١} الخصال ثم رجعوا ^{١١٢} سنتين وشاهدوا هو الاونجاب ثم قال الله تعالى (فاسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال

ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا) يقول تعالى مخبرا عن يا جوج ومأجوج انهم ما قدروا على ان يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على تقيمه من أسفله ولما كان الظهور عليه اسهل من تقيمه قابل كلاما يناسبه فقال فاسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا وهذا دليل على انهم لم يقدروا على تقيمه ولا على شئ منه فاما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة (١٧٣) عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبي هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان يا جوج ومأجوج يكفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستكفرونه غدا فيعودون اليه كاشدا ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستكفرونه غدا ان شاء الله فيستثنى فيعودون اليه وهو كهيتته حين تركوه فيكفرونه ويخرجون على الناس فينشدون المياه ويتصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسها مهمهم الى السماء فترجع وعليها كهيتة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلمونا أهل السماء فبعث الله عليهم نغما في رقابهم فيقتلهم بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر شكرنا من لحومهم ودمائهم ورواه أحمد أيضا عن حسن خوابين

مقام كائنه (س حديد) يضربون بها أخرج أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن مقعما من حديد وضع في الأرض فاجتمع الثقلان ما أقلعه من الأرض ولو ضرب الجبل بجمع من حديد لفتقت ثم عاد كما كان (كلما أرادوا) الإرادة هنا مجاز عن القرب (ان يخرجوا منها) أي من النار (من) أجل (غم) شديد من غموم النار ياخذ بها نفاسهم وهو بدل أسهل من من باب إعادة الجار والاولى لا ابتداء الغاية والثانية بمعنى من أجل أي من أجل غم يلحقهم فخرجوا (أعيدوا فيها) أي ردوا اليها بالضرب بالمقامع وهي الجز من الحديد والمراد عادتهم الى معظم النار لأنهم ينفصلون عنها بالكيفية ثم يعودون اليها عن سلبان قال النارسودا مظلة لا يصي لها بها ولا جرها ثم قرأ كلما أرادوا الآية (وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق) أي الحرق الغليظ المنتشر العظيم الاهلاك البالغ نهاية الاحراق وأصل الحريق الاسم من الاحتراق تحرق الشيء بالنار واحتراق حرقه واحتراقا والذوق حساسة يحصل معها ادراك الطعم وهو هنا توسع والمراد به ادراك الألم قال الزجاج وهذا الاحد الخصمين وقال في الخصم الاسترخاء وهم المؤمنون (ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) ثم بين بعض ما أعد له لهم من النعيم بعد دخولهم الجنة فقال (يخلون فيها) بالتشديد والبناء للمفعول وقرئ تحتها أي يحلهم الله أراملا مكة بأمره (من) للتبعض أي يخلون بعض (أساور) للبيان ازرأئدة وهي جمع أسورة والأسورة جمع سوار وفيه لغتان كسر السين وضمها وفيه لغة ثالثة وهي أسوار (من ذهب) من اللبيان (ولؤلؤا) بالنصب أي ويخلون لؤلؤا وهو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف قال القشيري والمراد ترصيع السوار باللؤلؤ ولا يبعد أن يكون في الجنة سوار من لؤلؤ مصمت كما كان فيها أساور من ذهب قال القرطبي يسور المؤمن في الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ

موسى الاشيب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن ماجه عن أنس بن مالك عن عبد الله بن مسعود عن قتادة قال حدث أبو رافع وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة ثم قال غريب لا يعرف الا من هذا الوجه واسناده جيد قوى ولكن منته في رفعه منكره لان ظاهر الآية يقتضي انهم لم يتمكنوا من ارتقاءه ولا من تقيمه لا يحكم بانه وصلابته وشدة ولكن هذا قد روى عن كعب الاحبار انهم قبل خروجهم بأنونه فيلحسونه حتى لا يبق منه الا القليل فيقولون غدا نفقهه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبق منه الا القليل فيقولون كذلك فيصحبون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفقهه ويلهون ان يقولوا ان شاء الله فيصحبون وهو كما فارقه فينتخبونه وهذا تجه ولعل أباهريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيرا ما كان يجالسهم ويحدثه فحدث به أبوه ريرة فتدوهم بعض الرواة عنه انه هرقه فرفعوه والله أعلم ويؤيد ما قلناه من انهم لم يتمكنوا من تقيمه ولا نقب شئ منه ومن

تكرار هذا المرفوع قول الامام احمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زيب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زيب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال سفيان أربع نسوة قالت استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق قلبت يا رسول الله انك وقيتا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على اخراجه من حديث الزهري ولكن سقط في رواية البخاري ذكر حبيبة وأثبتها مسلم وفيه اشياء غريبة تارة قليلة الوقوع في صناعة الاسانيد منها رواية الزهري عن عروة وما تابعين ومنها اجتماع أربع نسوة في سنة كاهن يروي بعضهم عن بعض ثم كل من صحابته ثم ثنتان ربيستان وثنتان زوجتان رضي الله (١٧٤) عنهن وقد روى نحوه عن أبي هريرة أيضا فقال البزار حدثنا محمد بن

مرزوق حدثنا مؤمل بن اسمعيل حدثنا وهب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد التسعين واخرجه البخاري ومسلم من حديث وهب وقوله قال هذا رجمة من ربي أي المنيابة ذو القرنين قال هذا رجمة من ربي أي بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلا يمنعهم من العبث في الارض والفساد فاذا جاء وعدي أي اذا انتاب الوعد الحق جعله دكا أي ساواه بالارض تقول العرب نافذة دكا اذا كان ظهرها مستويا لاسنام لها وقال تعالى فلما تجبئ ربه للجبل جعله دكا أي مساويا للارض وقال عكرمة في قوله فاذا جاء وعدي جعله دكا قال طريقا كما كان وكان وعدي حقا أي كما نال لاجمالة وقوله وتر كابعضهم أي الناس يومئذ أي يوم يهلك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في

(وليأبهم) أي جميع ما يلبسونه (فيما حري) كما تفيد هذه الاضافة يجوز ان يراد ان هذا النوع من اللبوس الذي كان محرما عليهم في الدنيا حلال لهم في الآخرة قوله من جلد ما يلبسونه فيها ففيها ما تشبهه الانفس وكل واحد منهم يعطى ما تشبهه نفسه ويثاب ما يرد في الصحاح وغيرهما عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة وفي الباب أحاديث وغيره الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيما حري المعافاة على الفواصل وللدلالة على أن الحرير ثيابهم المعافاة في الجنة فان العدول الى الجلد الالسمية يدل على الدوام (وهذا) أي أرشدوا الى الطيب من السور قبل هولا لا اله الا الله وقيل الحديث وقيل القرآن وقيل هو ما ياتهم من الله سبحانه من البشارات وقد ورد في القرآن ما يدل على هذا القول المجمل هنا وهو قوله سبحانه الحديث الذي صدقوا عده الحديث الذي هدانا لهذا الحديث الذي أذهب عنا الحزن وقال ابن عباس حدثوا آلهموا وعن أبي العباس قال في الخصومة اذا قالوا الله مولانا ولا ملأ منكم وعن ابن زيد قال لا اله الا الله والله أكبر والحديث الذي صدقنا وعده (و) سعى (هدوا الى صراط الحيد) انهم أرشدوا الى الصراط النجود وهو الطريق الموصل الى الجنة او صراط الله الذي هودينه القويم وهو الاسلام قاله الضحاك (ان الذين كفروا ويصدون) أي ينعون (عن سبيل الله) ويصدونه من أراد الدخول فيه وعطف المضارع على الماضي لأن المراد المضارع لما مضى من الصد ومثل هذا قوله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله والمسجد الحرام أو المراد بالصد هدايته لاسلامهم لا مجرد الاستقبال فصع عطفه بذلك على الماضي أي كفروا والحال انهم يصدون وقيل انوار زائدة والمضارع خبر ان الاول أن يقدر خبر ان بعد قوله الاتي والباد ذلك نحو خسروا أو هلكوا والمراد بالصد المنع (والمسجد الحرام) قيل المراد به المسجد نفسه كقولنا انظر من هذا النظم القرآني وقيل الحرم كدلالة المشرئين صدور رسول الله صلى الله عليه

الناس ويقصدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم وهكذا قال السدي في قوله وتر كابعضهم يومئذ والله يروج في بعض قال ذلك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال كما سألني يانه عند قوله حتى اذا فجت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق الآية وهكذا قال عطاء وتر كابعضهم يومئذ يروج في بعض قال هذا أول يوم القيامة ثم تنفع في الصور على ان ذلك فيهم عناهم جمعوا فان آخرون بل المراد بقوله وتر كابعضهم يومئذ يروج في بعض قال اذا ما ج الجن والانسان يوم القيامة يحتلظ الانسان والجن وروى ابن جرير عن محمد بن حمدة عن يعقوب النقي عن هرون بن عسيرة عن شيخ من بني فزارة في قوله وتر كابعضهم يومئذ يروج في بعض قال اذا ما ج الجن والانسان قال ابليس أنا أعلم بكم علم هذا الامر فيظعن الى المشرق فيجسد الملائكة قد بطنوا الارض ثم يظعن الى المغرب فيجسد الملائكة قد بطنوا الارض فيقول ما من

محمض ثم نطعن بمينا ونجا الى اقصى الارض فيجد الملائكة قد بطنوا الارض فيقول مامن محمض فينبهوا وكذلك اذ عرض له طريق كالشراب فاذبعه هو وخرته فيمينا هم عليه اذ هجموا على النار فخرج الله خازنا من خزان النار فقال يا بليس ألم تكن لك الميزة عند ربك ألم تكن في الجنان فيقول بليس هذا يوم عتابي لو أن الله فرض علي قرصة لعبدته فيها عبادة لم يعد يشبهها أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك قرصة فيقول ما هي فيقول النار فيسكن عليه فيقول بهو يدريته بمينا حبه فذبحه في النار فترى النار زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جيء لركبته وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن حديث يعقوب القتيبي ثم رواه من وجه آخر عن يعقوب عن هرون عن عتبة عن أبيه عن ابن عباس وتركا بعضهم يومئذ يوحى في بعض قال الجن والانس يوحى بعضهم في بعض وقال الطبراني حدثنا (١٧٥) عبد الله بن محمد بن العباس الاصهاني

وأله وسلم وأصحابه عنه يوم الحديبية وقيل المراد بمكة بدليل قوله (الذي جعلناه للناس) على العموم يصالحون فيه ويطوفون به (سواء) مستويان (العاكف) المقيم (فيه) المأزم له ويدخل فيه الغريب اذا جاؤا وأقام به ولم التعبد فيه (والباد) أي الواصل من البادية والمراد به الطارئ عليه المشتاب اليه من غير فرق بين كونه من أهل البادية أو من غيرهم وصف المسجد الحرام بذلك لزيادة التقرب والتويع للصادين عنه وقيل جعلناه للناس قبل الاسلام ومنسكا ومتعبدا للعاكف والبادي سواء في تعظيم حرمة وقضاء النسك به واليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة من أهل العلم ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وقضاء النسك فيه وفي فضل الصلاة فيه والطواف به عن جبر بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يا بني عبد مناف لا تنعوا أحد اطاف بهذا البيت وضئ أية ساعة شاء من ليل أو نهار أخرجه الترمذي وابوداود والنسائي قال القرطبي وأجمع الناس على الاستواء في المسجد الحرام بنفسه واختلافه في مكة فذهب مجاهد ومالك الى ان دور مكة ومنازلها يستوى فيها المقيم والطارئ وذهب عن ابن الخطاب وابن عباس وجماعة الى أن القادمان ينزل حيث وجدوا وعلى رب المنزل أن يؤويه شاء أم أبي وذهب الجمهور الى ان دور مكة ومنازلها ليست كالسجدة الحرام ولا لها منع الطارئ من النزول فيها والحاصل ان الكلام في هذا راجع الى اصليين الاول ما في هذه الآية هل المراد بالمسجد الحرام نفسه أو جميع الحرم ومكة على الخصوص والثاني هل كان فتح مكة صلحا وعتوة وعلى فرض ان فتحها كان عتوة وهل أقرها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أذى أهلها على الخصوص أو جعله لمن نزل بها على العموم وقد أوضح الشوكاني هذا في شرحه على المستقى بما لا يحتاج الناظر فيه الى زيادة ثم قال فيه بعد ذكر حجج الفريقين ومن أوضح الدلالة على أنها افتحت عتوة قوله صلى الله عليه وآله وسلم وانما أحلت لي ساعة من نهار فان هذا نصريح بانها أحلت له في ذلك بسفك الدماء بها وان حرمها ذهب فيه

حدثنا أبو نعيم حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي اسحق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معاشهم وان يموت منهم رجل الا ترك من ذريته ألفا فاصعدا ومن وراءهم ثلاث أم تاول ومارس ومنسك هذا حديث غريب بل منكر ضعيف وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم وعن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعا ان يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاؤا وشجر يلحون ماشاؤا ولا يموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فاصعدا وقوله ونفخ في الصور والصور كما جاء في الحديث قرن ينفخ فيه والذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام كما قد تقدم

في الحديث بطوله والاحاديث فيه كثيرة وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعا كيف انعم وصاحب القرن قد انعم القرن وحتى جهنته واستمع متى يؤمر قالوا كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقوله بحسبنا الله جميعا أي احضرنا الجميع للحساب قل ان الاولين والآخرين يجمعون الى صفات يوم معلوم وحشرناهم فلم تغادر منهم أم أجدا (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا الغضب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) يقول تعالى يخبرنا الله بال كفر يوم القيامة انه يعرض عليهم جهنم أي يبرزها اليهم ويظهرها ليرى ما فيها من العذاب والنكال قبل دخوله اليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك

ثم قال يخبرنا عنهم الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكرى أى تغافوا وتعلموا وتصاموا عن قبول الهدى واتباع الحق كقائل ومن
يعش عن ذكر الراسين تقيض له شيطانا فهو له قرين وقال عيسى واكافوا الاستطاعة عن ساء الألى لا يعقلون عن الله أمره ومنه ثم قال
أخشب الذين كثفروا ان يخفدوا عبادى من دونى أولياء أى اعتقدوا انهم يصح لهم ذلك وينفعون به كلاسكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضد اوليئنا أخبر الله تعالى ان قد أعيد لهم جهنم يوم القيامة من لاقول حل تنبئكم بالآخرين أى بالذين ضل
سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءهم فخطب أفعالهم فلا تقيم لهم يوم
القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى خروا قال البخارى حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن
جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مصعب (١٧٦) قال سألت أبا يعنى سعد بن أبى وقاص عن قول الله قل حل

وعادت بعده ولو كانت مفتوحة صلحنا ما كان اذلك معنى وقد ذكر المقليل في الانحاف
أدلة قوية على ان المراد به نفس المسجد وعن ابن عباس المسجد الحرام الحرم كله خلق
الله فيه سواء وعن سعيد بن جبير مثله وأيضاً قال هم في منازل مكة سواء فنبئني لاهل مكة
أن يتوسعوا اليهم حتى يقضوا ناسكهم والبادى واهل مكة سواء يعنى في المنزل والحرم
وعن ابن عمر وقال من أخذ من أخو ربيوت مكة انما يأكل كل في بطنه نارا وعن عمر بن
الخطاب ان رجلا قال له عند المروة اقطني مكانا لي ولعقبى فأعرض عنه وقال هو حرم الله
سواء العا كفيته والبادى وكان عمر يمنع أهل مكة ان يجسوا الوالى الوا باحتي ينزل الحاج
في عرسات الدور وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية
سواء المقيم والذى يدخل أخرجه الطبرانى وغيره قال السيوطى بأسناد صحيح وعن ابن
عمر فروعا قال مكة مباحة لا تؤجر بيوتهما ولا تمنع رباعها أخرجه ابن مردويه وعن
عقلمة بن نضلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابو بكر وعمر وما يدعى ربيع مكة
الا السوايب من احتاج سكن ومن استغنى سكن رواه ابن ماجه واخرج الدارقطى
عن ابن عمر فروعا عن كل كراهية يوت مكة كل نارا وعلى هذا القول لا يجوز بيع
دور مكة واخراج ربيعها لانها لم تملك لم يستوالها كفيها والسادى واليه ذهب ابو حنيفة
وعلى القول الاول يجوز ذلك واليه ذهب الشافعى مستدلا بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم فنسب الديار اليهم نسبة ملكا واشترأ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يوم الفتح من أعلق بابيه فهو آمن ومن دخل دار أبى سفيان فهو آمن والاول اقوى والله اعلم
(ومن يرد فيه بما لحد بظلم) مفعول يرد محذوف لقصد التعميم أى من يرد فيه من ادى أى مراد
بعدول عن القصد والاعتدال والالحاد في اللغة الميل الاله سبحانه بين هذا انه الميل بظلم وقد
اختلف في هذا الظلم ماذا هو فقيل هو الشرك وقيل الشرك والقنسل وقيل صيد حيواناته
وقطع أشجاره وقيل هو الخلف فيه بالايان القابضة وقيل المراد المعاصى فيه على العموم

تنبئكم بالآخرين أى بالآخرين
الحرم روية قال لاهم اليهود
والنصارى أما اليهود فكذبوا محمدا
صلى الله عليه وسلم وأما النصارى
فكفروا بالجنسية وقالوا الاطعام فيها
ولا شراب والحرم روية الذين يقضون
عهده الله من بعدهم شافى فكان سعد
رضى الله عنه يهيمهم الفاسقين
وقال علي بن أبى طالب والفضحالة
وغير واحد هم الحرورية بمعنى هذا
عن علي رضي الله عنه ان هذه الآية
الكرمية تشمل الحرورية كما تشمل
اليهود والنصارى وغيرهم لأنها
نزات في هؤلاء على الخصوص ولا
هؤلاء بل هي أعم من هذا فان هذه
الآية مكية قبل خطاب اليهود
والنصارى وقبل وجود الخوارج
بالكيسة وانما هي عامة في كل من
عبدا لله على غير طريقتة مرضية
بحسب الله مصيب فيها وان عياله
مقبول وهو محطى وعليه مردود كما
قال تعالى ووجه يومئذ حاشية

عاملة ناصبة صلى ناراحسية فقال تعالى وقد منالى ما عملوا من عمل فجعلناه هم مشورا وقال تعالى والذين
كفروا ربيعهم أعمالهم كسراب يتبعه يحسب الظمان ماء حتى اذا جاءهم لم يجده شيئا وقال في هذه الآية الكريمة قل حل تنبئكم أى
خبركم بالآخرين أى بالآخرين ضل سعيهم في الحياة الدنيا أى عملوا الأباطيل على غير شر بعة مشروعة
مرضية مقبولة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا أى يعتقدون انهم على شئ وانهم مقبولون محبوبون وقوله أولئك الذين
كفروا بآيات ربهم ولقاءهم فخطب أفعالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا أى يجدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته وصدق رسوله وكذبوا بالدار الآخرة فلا تقيم
لهم يوم القيامة وزنا أى لا تنقل موازينهم لانهم خالست عن الخير قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا سعيد بن أبي هريرة
أخبرنا المغيرة حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لياق الرب رجل العظيم السيوف يوم

الله امة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤا ان شئتم فلا تنقسم لهم يوم القيامة وزنا وعن يحيى بن بكير عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد مثله عنكذا ذكره عن يحيى بن بكير مملتا وقد روى مسلم عن أبي بكر بن محمد بن اسحق عن يحيى بن بكير به وذلك ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل الاكول الشراب العظيم فيوزن حبة فلا يزنه اقل وقرأ فلا تنقسم لهم يوم القيامة وزنا وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي الصلت عن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعة عنكذا ذكره بلنفا البخاري سواء وقال أحمد بن عمرو بن عبد الله الخالق البزار حدثنا الهباس بن محمد حدثنا عون بن عامر حدثنا هشام بن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال قال لعند رسول الله (١٧٧) صلى الله عليه وسلم فاقبل رجل من قريش

يخطر في حمله فلما قام على النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بريدة هذا ممن لا يقبم الله له يوم القيامة وزنا ثم قال فترده واصل مولى أبي عنده وعون بن عمار وليس بال حافظ ولم يتابع عليه وقد قال ابن جرير حدثنا حماد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا شفيان عن الأعمش عن سمرة عن أبي يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤا فلا تنقسم لهم يوم القيامة وزنا وقوله ذلك جزاؤهم جهنم عما كفروا أي اعمار ينالهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم واتخاذهم آيات الله ورسوله هزا واستمزوا بهم وكذبهم أشد التكذيب (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدون فيها لا يبغون عنها حولا) يخبر تعالى عن عبادة السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين فيما

حتى شتم الحاد ومقبل هو دخول الحرم بغير احرام وار تكاب شئ من مخطورات الحرم وقيل احتكار الطعام لمأوى يعني بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه آخرجه أبوداود وعن ابن عريبيع الطعام بمكة الحاد وعنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول احتكار الطعام بمكة الحاد أخرجه البيهقي في الشعب والبيهقي في الحاد قيل ليست بنائفة ان كان مفعول يرد محذوفا كما ذكرنا وقيل زائدة وبه قال الأخفش والمعنى عنده ومن يرد فيه الحاد انظلم وقال أهل الكوفة المعنى بان يلد وقيل من يرد الناس بالحاد وقيل ان يرد مضجعا فيهم والمعنى من يرد فيه بالحاد والباء في بظلم للسببية وقيل غير ذلك (نقد من عذاب أليم) في الآخرة الا ان يتوب فانه السدي قيل المراد بهذه الآية انه يعاقب بمجرد ارادة الله عصية في ذلك المسكر وقد ذهب الى هذا ابن مسعود وابن عمرو والضحاك وابن زيد وغيرهم حتى قالوا لو هم الرجل في الحرم يقتل رجل بعد ان لعذبه الله وعن ابن مسعود رفعه قال لو ان رجلا هم فيه بالحاد انظلم وهو بعدن آيين لا ذاق الله عذابا ليا قال ابن كثير هذا الاسناد صحيح على شرط البخاري ووقفه أشبه من رفعه وعنه قال من هم بخطيئة فلم يجعلها في سوى البيت لم يكتب عليه حتى يعدها ومن هم بخطيئة في البيت لم يمتعه الله من الدنيا حتى يتدب من عذاب أليم وعن ابن عباس قال زلت هذه الآية في عهد الله بن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعنه مع رجلا من احدهما مهاجر والآخر من الانصار فاقتصر وافى الانساب فغضب ابن أنس فقتل الانصاري ثم ارتد عن الاسلام وهرب الى مكة فقتل فيه ومن يرد فيه بالحاد انظلم يعني من لجأ الى الحرم بالحاد يعني بميل عن الاسلام والحاصل ان هذه الآية دلت على ان من كان في البيت الحرام مأخوذ بمجرد الارادة للظلم فهي مخصوصة لما ورد من ان الله عقر لهذه الامة ما حدثت به انفسها الآن يقال ان الارادة فيها زيادة على مجرد حديث النفس وبالجملة فالجواب عن هذا ان تقرير الحق فيه على وجه يجمع بين الادلة ويرفع الاشكال

(٢٣ - فتح البیان سادس) جأوا به ان لهم جنات الفردوس قال مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وقال كعب والسدي والضحاك هو البستان الذي فيه شجر الاعناب وقال أبو أمامة الفردوس الجنة وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقد روى هذا مرفوعا من حديث سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن عن سمرة مرفوعا وروى عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعا بخور وروى ذلك كله ابن جرير رحمه الله وفي الصحيحين اذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجير انهم ارا الجنة وقوله تعالى نزلا أي ضياقة فان التزل الضياقة وقوله خالدون في أي مقمين ساكنين فيها لا ينقطعون عنها أبدا لا يبغون عنها حولا أي لا يختارون عنها غير ها ولا يحبون سواها كما قال الشاعر

خلت سو يدى القلب لآ نايخيا * سواها ولا عن حبها تحول
 ولها مع أنه قد تروهم فمن هو مقم في المكان دائما أنه قد يسأله وعله فاخبرهم مع هذا الدوام والخلود السرمدى لا يختارون عن
 مقامهم ذلك متجولا ولا انتقالا ولا طعنا ولا رحلة ولا بدلا (قل لو كان الجرم مداد الكلمات لربى لنفد البحر قبل ان تنفذ كلمات ربى
 ولو حشمتا بمسحله مددا) يقول تعالى قل يا محمد لو كان ماء البحر مداد اللفظ الذى يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالات عليه لنفد
 البحر قبل ان يفرغ كتابة ذلك ولو حشمتا بمسحله أى بثل البحر آخر ثم آخر وهو بحر الجور وعده يكتب به المانفدت كلمات الله كما قال
 تعالى ولو ان مافى الارض من شجرة أو قلام والبحر عده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عز رب حكيم وقال الربيع بن
 أنس ان مثل علم العباد كلهم فى علم الله كقطرة (١٧٨)
 من ماء الجور كلها وقد انزل الله ذلك قل لو كان

البحر مداد الكلمات لربى لنفد البحر
 قبل ان تنفذ كلمات ربى يقول
 لو كانت تلك الجور مداد الكلمات
 الله والشجر كلها أو قلاما لانكسرت
 الاقلام وفى ماء البحر وكلمات الله
 قائمة لا ينفىها شئ لان أحدا
 لا يستطيع ان يقدر قدره ولا ينفى
 عليه كما ينفى حتى يكون هو الذى
 ينفى على نفسه ان يشا كما يقول
 وفوق ما نقول ان مثل نعيم الدنيا
 أو لها أو آخرها فى نعيم الآخرة كحبة
 من خردل فى خسلال الارض كلها
 (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى
 انما الهكم الله واحد فن كان يرجو
 لقائه فليعمل عملا صالحا ولا
 يشرك بعبادته (أحدا) روى
 الطبرانى من طريق هشام بن عمار
 عن اسمعيل بن عياش عن عمرو بن
 قيس الكوفى انه سمع معاوية بن
 أبى سفيان انه قال هذه آخرة
 أثرت يقول تعالى لرسوله محمد
 صلوات الله وسلامه عليه قل لهؤلاء
 المشركين المكذبين برسالتك اليهم
 انما أنا بشر مثلكم فمن زعم انى كاذب فليأت بمن مثل ما جئت به فانى لأعلم الغيب فيما أخبركم به من
 الماضى عما سألتهم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين مما هو مطابق فى نفس الامر لو لا ما أطلعنى الله عليه وانما أخبركم انما
 الهكم الذى أدعوكم الى عبادته الله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه أى ثوابه وجزائه الصالح فليعمل عملا صالحا ما كان موافقا
 لشرع الله ولا يشرك بعبادته (أحدا) وهو الذى يراد به وجه الله وحسده لا شريك له وهذا انما العمل المتقبل لا بد ان يكون خالصا
 صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن أبى حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزرى عن طاوس قال قال
 رجل يا رسول الله انى أقف الموافق أريدوجه الله وأحب ان يرى موطنى فلم ير عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شئاً حتى نزلت هذه
 الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادته (أحدا) أو هكذا أرسل هذا المجاهد وغير واحد وقال الأعمش

والاذان
 انما أنا بشر مثلكم فمن زعم انى كاذب فليأت بمن مثل ما جئت به فانى لأعلم الغيب فيما أخبركم به من
 الماضى عما سألتهم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين مما هو مطابق فى نفس الامر لو لا ما أطلعنى الله عليه وانما أخبركم انما
 الهكم الذى أدعوكم الى عبادته الله واحد لا شريك له فمن كان يرجو لقاء ربه أى ثوابه وجزائه الصالح فليعمل عملا صالحا ما كان موافقا
 لشرع الله ولا يشرك بعبادته (أحدا) وهو الذى يراد به وجه الله وحسده لا شريك له وهذا انما العمل المتقبل لا بد ان يكون خالصا
 صوابا على شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى ابن أبى حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزرى عن طاوس قال قال
 رجل يا رسول الله انى أقف الموافق أريدوجه الله وأحب ان يرى موطنى فلم ير عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم شئاً حتى نزلت هذه
 الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادته (أحدا) أو هكذا أرسل هذا المجاهد وغير واحد وقال الأعمش

حدثنا جزء أبو عامر مولى بني هاشم عن شهر بن حوشب قال جاور رجل إلى عبادة بن الصامت فقال أحب عماء سألت عنه أرايت رجلا
يصلى ويتقي وجه الله ويحب أن يحمد ويصوم ويتقي وجه الله ويحب أن يحمد ويصدق ويتقي وجه الله ويحب أن يحمد ويحب
ويتقي وجه الله ويحب أن يحمد فقال عبادة ليس له شيء وإن الله يقول أنا خير شريك فمن كان له شيء شرك فهو له كله لا حاجة لي فيه
وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا كثير بن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن
جدّه قال كنا أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيت عنده تكون له الحاجة وطرقه أمر من الليل فيبعثنا فذكرنا المحبوسون وأهل
النوب فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى فقلنا أتينا إلى الله أي نبي الله إنما كنا في ذكر المسيح
وفرقنا منه فقال أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي قال قلنا بلى قال الشرك النجوى إن

يقوم الرجل صلى مكان الرجل
وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر
حدثنا عبد الحميد عن ابن نهرام
قال قال شهر بن حوشب قال ابن
غهم لما دخلنا مسجد الحامية أنا
وأبو الدرداء لقينا عباد بن الصامت
فاخذ عني بشمال أبي الدرداء
بيمينه فخرج عني بيننا ونحن نتناجى
والله أعلم بما نتناجى به فقال عباد
ابن الصامت ان طال بك عمر احذرك
أو لك بك لتوشك ان ترى الرجل
من شيخ المسلمين يعنى من وسط قراء
القرآن على لسان محمد صلى الله عليه
وسلم فأعاده وأبداه وأدخل حلاله
وحرم حرامه ونزل عند منزاله
لا يجوز فيكم الا كما يجوز رأس الحمار
الميت قال فبينما نحن كذلك اذ طلع
شداد بن أوس رضى الله عنه
وعوف بن مالك جفاسا البنا فقال
شداد ان أخوف ما أخوف عليكم
أيها الناس لما سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من الشهوة

والاذان الاعلام وعن ابن عباس قال لما فرغ ابراهيم من بناء البيت قال قد فرغت قال
أذن في الناس بالحج قال يارب وما يبلغ صوقي قال أذن وعلى البلاغ قال رب كيف أقول
قال قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فسمعه من في السماء والارض
الأتري انهم يحشون من أقصى الارض يلبون وفي الباب آثار عن جماعة من الصحابة توبه
قال جماعة من المفسرين وزادوا فعلا على القيام فاشرف به حتى صار كاعلى الجبال وقيل
على جبل أي قديس فلما صعد له انداعفت الجبال رؤسها ورفعت له القرى فادخل
اصمعيه في اذنيه وأقبل بوجهه عينا وسما لا وشرا فوغرا ونادى في الناس بالحج وقال
يا أيها الناس ان ربكم بي يتناوكتب عليكم الحج اليه فاجيبوا ربكم فاجابه كل من كتب له
أن يحج عن كان في أصلا ب الرجال وأرحام الامهات ليك اللهم بليك قال القسطلاني فمن
لي مرة حج مرة ومن لي مرتين حج مرتين ومن لي أكره حج بقدر تليته انتهى قيل أول من
أجابه أهل اليمن فهم أكثر الناس حجا وقيل ان الخطاب لسينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم
والمعنى أعلمهم بالحج وجوب الحج عليهم وعلى هذا فالخطاب لابراهيم انتهى عند قوله
والركع السجود وقيل ان خطابه انتهى عند قوله مكان البيت وما بعده خطاب لسينا محمد
صلى الله عليه وآله وسلم أمره ان يقول ذلك في حجة الوداع عن أبي هريرة قال خطبه رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا أخرجه
مسلم قال في المدارك والاول أظهر وقرأ الجهور بالحج بفتح الحاء وابن اسحق في كل القرآن
بكسرهما (يا أيها الرجال) هذا جواب الامر وعنده الله اجابة الناس له الى حج البيت ما بين
راجل وراكب فعني رجلا ماشيا جمع راجل وقيل جمع رجل وقرئ بضم الراء رجلا وقرئ
على وزن كسائي وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبه في المشي قال السرخسي
لراكب بكل خطوة سبعون حسنة وللراجل سبع مائة من حسنات الحرم كل حسنة مائة
ألف حسنة وابراهيم واسماعيل عليهما السلام حججا ماشيين انتهى أقول المعتمد في الباب

زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زيد أخبرنا بإدابة بن نسي عن شداد بن أوس رضي الله عنه أنه بكى فقبل له ما يبكيك قال شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فابكتني سمعت رسول الله يقول اتخوفوا على أمي الشرك والشهوة الخفية قلت يا رسول الله أنشرك أمتلك من بعدك قال نعم إمامهم لا يعبدون شمساً ولا قرولاً لا حجراً ولا وثناً ولكن يراؤون بأعمالهم والشهوة الخفية إن يصح أحدهم شيئاً فترى له شهوة من شهواته فتترك صومه وروادى ما حبه من حديث الحسن بن ذكوان عن عباد بن نسي به وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر (حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الأجر حدثنا علي بن ثابت حدثنا قيس بن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم يوم القيامة أن أخير شرك في أن أشرك في أحد أقواله كله (١٨٠) وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت العلاء

يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل أنه قال أخير الشركاء في عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا يرى منه وهو لذي شرك تقرب به من هذا الوجه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد بن أبي الهاد عن عمرو بن محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم ادخبلوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر أخبرنا عبد الحميد يعني ابن جعفر أخبرني أبي عن زياد بن ميناء عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جاع

إن الركوب أفضل من المشي لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حج راكباً في الرويات الصحيحة المشهورة وفضله الاتباع تزول على غيره وإن كان المشي فضيلة في نفسه سواء قدر على المشي أم لا قبل الأحرام وبعده والحديث الذي ذكره الكرخي تبعاً للغزالي والرافعي ضعيف على ما فيه قاله ابن علان في مشير شوق الألبان إلى بيت الله الحرام وعن ضعفه ابن حجر المكي في شرح العباب وشرح التهاج والحجاب عن التقديم أنه قد لا يفسد التفضيل قطعاً وعلى الأصح وقد تقدم المفضول ويتأخر الأفضل قال تعالى فبكم كفر ومنكم مؤمن وقال لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وقال إن مع العسر يسراً إلى غير ذلك من الآيات فليعلم وقال يأولك وإن كانوا يؤنقون البيت لأن من أتى الكعبة حاجاً فقد أتى إبراهيم لأنه أجاب نداه (وعلى كل صامر) أي وركباً ناعلي كل بعير والظاهر البعير المهزول الذي أتعبه الله فبقاؤه يقال ضرب بضم زهوا وواضحة الفرس من باب دخل وضمه أيضاً بالضم فهو ضار ففهما وناقضة ضامر وضامرة وتضمير الفرس أيضاً ناعلة حتى يسمي ثم تزده إلى القوت وذلك في أربعين يوماً ووصف الضامر بقوله (يأتين) باعتبار المعنى لأن ضامر في معنى ضوامر (مس كل فج حقيق) الفج الطريق الواسع الجمع فجاج والعسمق البعيد قال النسفي قدم الرجال على الركن اظهار الفضيلة المشاة انتهى وليس بشيء لأن الاستطاعة المفصلة بالزاد والراحلة في الحديث الصحيح شرط في فريضة الحج واستدل بذلك بعضهم على أنه لا يجب الحج على راكب الجرو وهو استدلال ضعيف لأن مكة ليست على بحر وإنما يتوصل إليها على إحدى هاتين الحالتين بشيء أو ركوب فذكر تعالى ما يتوصل به إليها (ليشهدوا) أي يحضروا (منافع لهم) وهي ثم منافع الدنيا والآخرة وقبل المراد بها المناسك وقيل المغفرة وقيل التجارة كما في قوله ليس عليكم جناح أن تنقبوا فضلاً من ربكم قال ابن عباس أسوأ ما كانت لهم ما ذكر الله منافع الآلا الدنيا وعنه قال منافع في الدنيا ومنافع في الآخرة فاما منافع الآخرة فرضوان الله وأما منافع الدنيا فما يصيبون من لحوم

الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا جاع الله الأولين والآخرين يوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله الله أخذ في طلب ثوابه من عذبه غيراته فإن البدن الله أغنى الشركاء عن الشرك وآخر جهنم الذي وإن ما حبه من حديث محمد وهو البرساني به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا بكر حدثنا أبي يعني عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع الله به ومن رآه رآه الله به وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رآني رآني الله به ومن سمع بسمع الله به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى ابن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلاً في بيت أبي عبيدة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سمع الناس بجملة سمع الله به ساء خلقه وصغره وحقه وقد رقت عيننا عبد الله وقال الحافظ أبو بكر

البراز حدثنا عمرو بن يحيى الأيلي حدثنا الحرث بن غسان حدثنا أبو عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في حشف خضقة فيقول الله ألقوا هذا وألقوا هذا فافتقروا الملائكة يارب والله ما رأينا منته الاخرة فيقول ان عمله كان فقير وجهي ولا أقبل اليوم من العمل الا ما أريد به وجهي ثم قال الحرث بن غسان روى عنه جماعة وهو بصري ليس به بأس وقال ابن وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الأعرج عن عبد الله بن قيس الخزاعي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام رياء وسععة لم يزل في مقت الله حتى يجلس وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن ابراهيم التميمي عن أبي الاحوص عوف بن مالك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه الناس واساءها حيث يخافونك استهانة اسمك من بهار به عز

(١٨١)

عليه وسلم من أحسن الصلاة حيث يراه الناس واساءها حيث

البدن في ذلك اليوم والذبايح والتجارات ونكر منافع لانه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودينية لا توجد في غيرهما من العبادات والسنن في هذا المقام كلام حسن من باب الاعتبار ترك ذكر روم ولا اختصار من شاء ادراكه فليرجع الى المسالك (ويذكرها واسم الله) عند ذبح الهدايا والضحايا وقيل ان هذا الذي ذكرنا من الذبح لانه لا يذبح عنه تنبيه على ان المقصود مما يقترب به الى الله تعالى ان يذكر اسم الله (في أيام معلومات) هي أيام التكريف يد ذلك قوله الاتي على ما رزقهم من بهيمة الانعام وبه قال ابن عرو الصاحبان وقيل عشرة ذى الحجة وهو قول أكثر المفسرين والشافعي وأبي حنيفة قال ابن عباس الأيام المعلومات أيام العشر وعنه قال يوم التكريف ثلاثة أيام بعده وعنه قال أيام التشريق وعنه قال قبل يوم التروية يوم يوم التروية وعنه قال قد تقدم الكلام في الأيام المعلومات والمعدودات في البقرة فلا نعيد والاسماء في وقت ذبح الاضحية معروف في كتب الفقه وشروح الحديث (على) ذبح (ما رزقهم من بهيمة الانعام) هي الانعام فالاضحية في هذا كالاضافة في قولهم مسجد الجامع ولام لا والبهيمة ممة في كل ذات أربع في البر والبحر فينبعث بالانعام وهي الابل والبقر والضأن والماعز التي تكبر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فكوا منها) أي من لحومها والامر هنا للندب عند الجمهور وذهب طائفة الى أن الامر للوجوب وهذا الفات من القبة الى الخطاب (وأطعموا البائس الفقير) البائس ذوالبؤس وهو شدة الفقر فذكر الفقير بعده لزيد الایضاح وقال ابن عباس البائس الزمن الذي لا شيء له والامر هنا للوجوب وقيل للندب (ثم) أي بعد ذلك خرجهم من الاحرام وبعد الايمان بما عليهم من النسك (للقضواتهم) المراد بالقضاء هنا هو التادية أي ايدأوا ازاله وخصهم لان النكث هو الوسخ والدرن والشتت والقذارة من طول الشعر والافطار وقد أجمع المفسرون كما حكاه النيسابوري على هذا قال لرجاح ان أهل اللغة لا يعرفون النكث وقال أبو عبيدة بل أت في الشعر

وجعل وقال ابن جرير حدثنا أبو عمرو اسمعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عياش حدثنا عمرو بن قيس السكدي انه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية فنسكان رجولاه ربه الآية وقال انها آخرة تزلزل من القرآن وهذا أثر مشكل فان هذه الآية آخر سورة الكهف وكلها امكية ولعل معاوية أراد انه لم يزل بعد هذا آية تسجوها ولا تغير حكمها بل هي مشبهة بحكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم وقال الحافظ أبو بكر البراز حدثنا محمد بن الحسن بن الحسن بن سفيان حدثنا النضر بن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ في ليلة من كان يرجو لقائه الآية كان له من النور من عدن ابن أبي مكة حشود ذلك النور

الملائكة غرب جدا آخر تفسير سورة الكهف

(تفسير سورة هود وهي مكية)

وقد روى محمد بن اسمعيل في السيرة من حديث أم سلمة واجد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة الى أرض الحبشة من مكة أن جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه (بسم الله الرحمن الرحيم) كهم بعض ذكر رجعت ربك عبده زكريا نادى ربه نداء خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم يكن دعائي في شتي وان في خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتى عاقرا فهب لي من لدنك وليا ربني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة وقوله ذكر رجعت ربك أي هذا ذكر رجعة الله به بعد ذكر نياور أي يحيى بن يعمر ذكر رجعت ربك عبده زكريا وزكريا بعد و يقصر قرآن مشهورتان وكان نبيا عظيما من أنبياء بني اسرائيل وفي صحيح البخاري انه كان نجاريا يأكل من عمل يده

في الخبارة وقوله اذ نادى ربه نداه خفيا قال بعض القسرين انما اخفى دعاءه لا ينسب في طلب الولد الى العونة لكبره حكاية
 الماوردى وقال آخرون انما اخفاه لانه احب الى الله كما قال قتادة في هذه الآية اذ نادى ربه هذا خفيا ان الله يعلم القلب النقي
 ويسمع الصوت النقي وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام اصحابه فجعل يهتف بربه يقول خفيته يا رب يا رب
 فقال الله ليس لك لييك لييك قال ربي وهن العظم متى اى ضعفت وخارت القوى واشتعل الرأس شيئا اى اضطرم المشيب
 في السواد كما قال ابن دريد في مقصورته **أما ترى رأسي حاكى لونه * طرحة صمغ تحت أذنان الدجا**
 واشتعل الميض في مسوده * مثل اشتعال النار في جمر الغضا والمراد من هذا الاخبار عن الضعف والكبر ودلائله الظاهرة
 والباطنة وقوله ولم اكن بدعا لك رب شقياى (١٨٢) ولم أعوذ منك الا لاجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك وقوله

ما يخرج به في معنى التفت وقال المبرد أصل التفت في اللغة كل قاذورة تلقى الانسان وقيل
 قضاؤه ادهانه لان الحاج مغبر شعته لم يدهن ولم يستحد فاذا قضى نسكه وخرج من احرامه
 حلق شعره ولبس ثيابه فهذا هو قضاء التفت قال الزجاج كأنه خرج من الاحرام الى
 الاحلال وعن ابن عمر قال التفت المناسك كلها وعن ابن عباس نحوه وعنه قال التفت
 حلق الرأس والاذن من المعارض وتفت الابن وحلق العانة والوقوف بعرفة والسعي بين
 الصفا والمروة وري الجمار وقص الاظفار وقص الشوارب والذبح (وليوفوا) بالتحفيف
 والتشديد (تدورهم) أى ما ينذرون به من البر في حجهم والامر للوجوب وقيل المراد
 بالندرها أعمال الحج أو الهدايا والضحايا (وليطوفوا بالبيت العتيق) هذا الطواف هو
 طواف الافاضة الواجب ووقته يوم النحر بعد الرمي والخلق قال ابن جرير لا خلاف في
 ذلك بين المتأولين والعتيق القديم كما يفيد قوله سبحانه ان أول بيت وضع للناس الآية
 وقد سمي العتيق لان الله أعظم من أن يتسلط عليه جبار فكمن من جبار سار اليه لهدمه
 فغنه الله منه وقيل لان الله يعتق فيمر قاب المذنبين من العذاب وقيل لانه أعتق من غرق
 الطوفان فانه رفع في أيامه وقيل لانه لم يهلك قط وقيل العتيق الكريم وقد ورد في وجه
 تسمية البيت بالعتيق آثار عن جماعة من الصحابة وهو طواف أهل الغبراء كما كان العرش
 مطاف أهل السماء فان الطالب اذا حاجته معية الطرب وجدته بجوارب الطلب
 جعل يقطع مناكب الارض مراد وحل ويقتصد مسالك المهالك منازل فاذا عاين البيت
 لم يزد التسلي به الا شتيافا ولم يفد به باستلام الحجر الاحترافا فبرده الاسفل هنان
 وورده اللفف حوله في الدوران وورد في فضل الطواف احدث ليس هذا موضع
 ذكرها (ذلك) أى الامر ذلك وهذا أو أمه الله يطلق ويذكر للفصل بين الكلامين أو بين
 طرفي كلام واحد كما تقدم الكتاب جله من كلامه في بعض المعاني ثم اذا أراد الخوض في
 معنى آخر قال هذا وقد كان كذا قاله أبو حيان في الجراء والمعنى افعوا ذلك والمشار اليه هو

وانى خفت الموالى من ورائى قرا
 الاكثرون نصب اليامن الموالى
 على انه مقول وعن الكسائى انه
 سكن البلاء كما قال الشاعر
 كأن أبديهم في القاع الفرق
 أبدي جوارب عاتين الورق
 وقال الآخر
 فتى لو نادى الشمس ألقت قناعها
 أو القمر السارى لائق المقالدا
 ومنه قول أبى تمام حبيب بن أوس
 الطائى
 تغاير الشعور منه انسررت له
 حتى ظننت قوافيه سقتل
 وقال مجاهد وقادة والسدى أراد
 بالموالى العصبية وقال أبو صالح
 الكلاله وروى عن أمير المؤمنين
 عثمان بن عفان رضى الله عنه انه كان
 يقرؤها وانى خفت الموالى من ورائى
 بتسديد الفاء بمعنى قلت عصباتى من
 بعدى وعلى القراءة الأولى وجه خوفه
 انه خشى أن يتصرفا من بعده في
 الناس تصرفا سافسا فسأل الله ولدا

يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى اليه فاجيب في ذلك لانه خشى من ورائتهم له ماله فان النبي أعظم
 منزلة وأجل قدرا من أن يشفق على ماله الى ما هذا احد ان ياتف من ورائته عصباته ويسأل أن يكون له ولد ليجوز مراثيه ونهم هذا
 وجه الثانى انه لم يذكر انه كان ذمال بل كان شجارا يأتى كل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سمعا الانبياء فانهم كانوا زهدى في
 الدنيا الثالث انه قد ثبت في الصحيحين من غير وجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ماتركا صدقة وفي رواية عند الترمذى
 باسناد صحيح نحن معشر الانبياء لا نورث وعلى هذا فنعين جل قوله فهب لى من لذلك وليا يرثى على ميراث النبوة وله هذا قال وريث من
 آل يعقوب كقوله وورث سليمان داود أى في النبوة اذ لو كان في المال لم يخصه من بين اخوته بذلك ولما كان في الاخبار بذلك كبير
 فائدة اذن المعلوم المستقر في جميع الشرائع والمثل ان الولد يرث أباه فلو لا انها ورائته خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ونبه ماصح

في الحديث نحن معاشر الانبياء لانورث ماتر كافه وهو صدقة قال مجاهد في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب كان ورثته عليا وكان زكريا من ذرية يعقوب وقال هشيم أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يكون نبيا كما كانت أباه أنبياء وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه وقال السدي يرث نبوته ونبوة آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن اسلم ويرث من آل يعقوب قال نوتهم وقال جابر بن نوح ويرث من هرون كلاهما عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته ماله ورحم الله لوطا ان كان ليا وليا والركن شديد وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا (١٨٣) جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضال عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من ورثته ماله حين قال هب لي من ذلك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب وهذه مرسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم وقوله واجعل له ربا رضى أي مرضيا عندك وعند خلقك تحبه وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه (يا زكريا) أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) هذا الكلام يتضمن محذوفا وهو أنه أجيب إلى ما سأل في دعائه فقيل له يا زكريا أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى كما قال تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحورا ونيامن الصالحين وقوله لم نجعل له من قبل سميا قال قتادة وابن جرير وابن زيد

ما سبق من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) جمع حرمته وهي ما لا يجلب انتهاكها قال الزجاج الحرمه ماوجب القيام به وحرم التقريط فيه وهي في هذه الآية ما نهى عنها ومنع من الوقوع فيها كالأخدال والجماع والصيد والظهار من الآية عموم كل حرمه في الحج وغيره كما يفيد اللفظ وان كان السبب خاصا وتعليقها ترك ما لا يستها قال مجاهد الحرمه مكة والحج والعمره وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وقبل هي البيت الحرام والمشعر الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام وتعليقها القيام بعبادتها وحفظ حرمتها وقبل هي مناسك الحج وتعليقها اقامتها وانما هما (فهو) أي فالتعظيم (خبره) من الثماوت بشئ منها (عند ربه) يعني في الآخرة وقبل ان صيغة التفضيل هنا لا يراد بها معناها الحقيقي بل المراد أن ذلك التعظيم خير ينتفع به أي قرية وطاعة يشاء عليها عند الله فهو عدة تجزي (وأحلت لكم الانعام) ان تأكلوها بعد الذبح وهي الابل والبقر والغنم كما تقدم (الاما يتلى عليكم) تحريمه في الكتاب العزيز من الحرمات وهي الميتة وما ذكركم فيها في آية المائدة فلا تستأمنه مقطوع لما ذكر في آية المائدة بما ليس من جنس الانعام كالدم والحلم الخنزير ويحوز ان يكون متصلا بالان يصر في الى ما يحرم من بهيمة الانعام بسبب عارض كملوث ونحوه وقيل وجه الانقطاع انه ليس في الانعام محرم فانه الشهاب والسمين وقيل في قوله الاما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) الرجس القذر والوسخ وعبادة الاوثان قذر معنوي والوثن القتال وأصله من وثن الشئ أي أقام في مقامه وسعى الصليب وثنا لانه ينصب ويركز في مقامه فلا يبرح عنه والمراد اجتناب عبادة الاوثان وسماءها رجسا لانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل جعلها سببا لرجسها كرجس النجس وليست النجاسة وصفاء ذاتها ولكنها وصف شرعي فلا تزول الا بالايان كما تم الا تزول النجاسة الحسية الا بالماء قال الزجاج من هنا التخليص جنس من أجناس أي فاجتنبوا الرجس الذي هو وثن وقال ابن عباس يقولوا اجتنبوا طاعة الشيطان في

أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد لم نجعل له من قبل سميا أي شيئا أخذ من معنى قوله وابعده واصطبر لعباده هل تعلم له سميا أي شيئا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لم تلد العواقر قبله مثله وهذا دليل على ان زكريا عليه السلام كان لا ولد له وكذلك امرأته كانت عاقرا من أول عمرها بخلاف ابراهيم وسارة عليهما السلام فانهما انما اتجبا من البشارة بالحق لكبرهما لانهما لا عقبهما ولهذا قال أنشركوني على انه مسني الكبر فبهم تبشرون مع انه كان قد ولد له قبله اسمعيل بثلاث عشرة سنة وقالت امرأته يا ويلتي أي اللؤم أنعموز وهذا يعني شيئا ان هذا الشئ عجيب قالوا أتجنين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه جمد محمد (قال رب أي يكون غلام) وكانت امرأتها عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تنك شيئا) هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد ففرح

فراشد يدا وسأل عن كيفية ما يولد له والزوجه التي يأنس منه الولد من امر أنه عاقر لا تلد من أول عمرها مع كبرها ومع انه قد كبر وعتاى عس عظمه ونخل ولم يبق فيه لقاح ولا جاع والعرب تقول لله وذا أنيس عتا يعقو عتا وعتا عسى يعسو عوا وعسا وقال مجاهد عتا يعنى فحول العظم وقال ابن عباس وعسم عتا يعنى الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا شبيب أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال لقد علمت السنة كما أخبرني لا أدري أن كل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف وقد بلغت من الكبر عتيا وأوعيا ورواه الإمام أحمد عن شريح ابن التيمان وأبو داود وعن زياد بن أبيه كلاهما عن شبيب قال أي الملك جميل الزكرا بما استجب منه كذلك فإن ربك هو على عين أي إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لمن غيرهما حين (١٨٤) أي يسير سهل على الله ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه

فقال وقد خلقناك من قبل ولم تكن شيئا كما قال تعالى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يقول تعالى مخبر عن ذكر ما عليه السلام انه قال رب اجعل لي آية أي علامة ودليلا على وجود ما وعدتني لتستقر نفسي ويطمئن قلبي باعدتني كما قال ابراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن لطمئن قلبي قال آيتك أي علامتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا أي أن تجلس لسائلك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوى من غير مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وروى السدي وقتادة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ ويسبح ولا يسمع من كلام قومه الاشارة

عبادة الاوثان (واجتنبو اقول الزور) الذي هو الباطل وسعى زورا لانه ماثل عن الحق ومنه قوله تعالى ترأعون كهمهم وقوله سدنة زورا أي ماله والمراد هنا قول الزور على العموم فهو تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور والمشرک زاعم ان الوثن تحق له العبادة فاعظمه الشرک بالله بأي لفظ كان وقال الزجاج المراد هنا تحليلهم بعض الانعام ونحر عيهم بعضها وقولهم هذا حلال وهذا حرام وقيل المراد به شهادة الزور وقال ابن عباس يعنى الافتراء على الله والتكذب بموقبل هو قول المشرکين في تلبيتهم بليک لاشریک لک الاشریک احوک تملک وماملک أخرج أحمد والترمذي وابن المنذر وغيرهم عن أيمن بن حريم قال قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا فقال يا أيها الناس عدت شهادة الزور وشرک بالله ثلاثا ثم قرأ هذه الآية قال أحمد غريب ولا تعرف لايمن ابن حريم سمعا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا أنبئكم بها کبر الکافر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرک بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال وقول الزور لا وشهادة الزور فزال بکر رها حتى قلنا ليه سكت (حنفا لله) أي مستقيمين على الحق أو مائلين الى الحق - لايمن عادلين عن كل دين سوى دينه ولفظ حنفا من الاضداد يقع على الاستقامة ويقع على الميل وقيل معناه حجاجا قاله ابن عباس وعن أبي بکر الصديق نحوه ولا وجه لهذا (غير مشرکين به) شيامن الاشياء كما يفيد هذا الحذف من العموم تاكيدا لقب له وسمي بالان من الراوي واجتنبو والاولى مؤسسة والثانية مؤكدة قبل ان أهل المخالفة كانوا يمجون مشرکين فلما أظهر الله الاسلام قال الله للمسلمين حجوا الا ان غير مشرکين به (ومن يشرک بالله) مبتدأ مؤكدة لاقبالها من الامر بالاجتناب والغرض بهذا ضرب المثل بان يشرک بالله والمعنى ان بعد من أشرک به عن الحق والايان (فكما تسمخ) أي كبعد من سقط (من السماء) الى الارض أي انحط من أوج الاعيان الى

وقال العوفي عن ابن عباس ثلاث ليال سويا أي متتابعات والقول الاول عنه وعن الجوهري وأصح كما قال تعالى في آل عمران قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذا كبريك كثير اوسج بالعين والابكار وقال مالك عن زيد بن اسلم ثلاث ليال سويا من غير نحو وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه الالامالي الثلاث وأيامه الارض أي اشارة ولهذا قال في هذه الآية الكرية فخرج على قومه من المحراب أي الذي بشر فيه بالولد فأوحى اليهم أي أشار خفية سر بعة أن سبحوا بكرة وعشيا أي موافقة له أي فيما أمر في هذه الايام الثلاثة زيادة على اعماله شكر الله على ما أولاد قال مجاهد فأوحى اليهم أي أشار به قال وهب وقتادة وقال مجاهد في رواية عنه فأوحى اليهم أي كتب لهم في الارض وكذا قال السدي (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبا وخصانا من لدنا وزكاه وكان تقيا وبر ابا والديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد

وَيَوْمَ تَعْلَمُ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) وهذا أيضا تضمن محذورا تقديره أنه وحده هذا الغلام المنشربه وهو يحيى عليه السلام وإن الله عليه الكتاب وهو التوراة التي كانوا ينادون بها ويحكم بها النصارى الذين أسلموا الذين هادوا والرايون والاحبار وقد كان سنه اذ كان صغيرا فلهم اذ هو بكره وبما أنهم به عليه وعلى والده فقال يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي تعلم الكتاب بقوة أي يحسد وحرص واجتهادا وانهما الحكم صيبا أي الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكباب عليه والاختماد فيه وهو صغير حدث قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبان ليحيى بن زكريا اذهب فانقلب فقال ما للعب خلقنا قال فلهذا أنزل الله وآتينا الحكم صيبا وقوله وحنانا من لنا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وحنانا من لنا يقول ورحمتم من عندنا وكذا قال عكرمة وقتادة والبخاري وزاد لا يقدر علمه غيرنا وزاد فتاده رحم الله بها (١٨٥)

خاضع الكفر (فقطعه الطير) يقال خطفه يخطفه اذا سلبه ومنه قوله يخطف
أصايرهم أي يخطف لهم وتسلبه وتقطعه بحالها وتذهب وقرئ بتشديد الطاء
وقهواو بكسر الحاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما (أو تهوى به الريح) أي تقذفه
وترى به (في مكان محقق) يقال سحق سحق سحق فهو سحق اذا بعد أي بعد فلا
يصل إليه احد بحال قاله الزجاج وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لانه
لا يبلغ لنفسه خيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة ما باستلاب الطير
لجهة أو بسقوطه في المكان المحقق قال الزنجشيري يجوز في هذا التشبيه ان يكون من
المركب والمفروق فان كان تشبيهاً كما فكناه قال من أشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاً كما
ليس بعده هلاك بان صور حاله بصورة حال من خرم من السماء فاختطفته الطير مرتقراً
مورعاً في حواصلها وعصفت به الريح حتى هوت به في بعض الاماكن البعيدة وان كان
مفروقاً فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من
السماء والاهواء المردية بالطير المختطفة والشيطان الموقع في الضلال بالريح التي تهوى
بما عصفت به في بعض الماهاوى المتلفة (ذلك ومن يعظم شعائر الله) جمع شعيرة وأشعارة
بالكسر بوزن قلاذدة وهي كل شيء لله شعار ومنه شعار القوم في الحرب وهو علامتهم
التي يتعارفون بها ومنه اشعار البدن وهو الطعن في جانبها الاثني فشعائر الله أعلام
دينه وتدخّل فيها الهدايا في الحج دخلاً أولاً وعن ابن عباس في الآية قال الشعائر
البدن والاستسمان والاستحسان والاستعظام وينبغي للانسان ان يترك المشاحفة في
شئنا يرى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل
في أئنه من ذهب وان عمر أهدى نجيسة طلعت منه بثلاثمائة دينار (فانها) الضمير
يرجع الى الشعائر بتقدير مضاف لمحمد وفي أي فان تعظيم الشعائر (من تقوى القلوب)
أي استندأ ونأشئ من أفعال القلوب التي هي من التقوى وانما ذكر القلوب لانها أكرم

في هذه الثلاثة الأحوال وقال سفيان بن عيينة أو حش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يلقى في نفسه حاربا مما كان فيه
ويوم عوف في يوم يلقى في نفسه في محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه
فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم عوف ويوم يبعث حيا رواديا بن زكريا عن أحمد بن منصور المروزي عن صدقة بن الفضل عنه وقال
عبد الرزاق أخيرا ناعمر عن قتادة قوله جارا عصيا قال كان ابن المسيب يدكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
أخذ يلقى الله يوم القيامة الا اذا ذنب الا يحيى بن زكريا قال قتادة ما أذنب ولا هم بأمر من رسل وقال محمد بن اسحق عن
يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب حدثني ابن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب
الا ما كان من يحيى بن زكريا ابن اسحق (١٨٦) مدلس وقد ضعف هذا الحديث قاله أعلم وقال الامام أحمد

حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي
ابن زيد عن يوسف بن مهران عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من أحد من ولد
آدم الا وقد أخطأ أو هم بخطيئة ليس
يحيى بن زكريا وما ينبغي لأحد أن
يقول أنا خير من يونس بن ميثي
وهذا أيضا ضعيف لأن علي بن زيد
ابن جندب كان له منكرات كثيرة
والله أعلم وقال سعيد بن أبي عروبة
عن قتادة أن الحسن قال يحيى
وعيسى عليهما السلام التقيا
فقال له عيسى استغفر لي أنت
خير مني فقال له الآخر أنت
خير مني فقال له عيسى أنت خير
منى سألت على نفسي وسلم الله عليك
ففرقوا والله فضاهما (واذ كرى
الكتاب مريم اذا نبتت من أهلها
مكاشرا فقا فتحدثت من دونهم
مخا بآفار سد الى هار وحنا فقتل لها
بشراسوا قالت انى أعوذ بالرحمن
منك ان كنت تقيا قال نعم أنا

رسول ربك لا هلك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم يك بغيا قال كذلك
قال ربك هو على هين ولجعل آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا) لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وأنه أوجده في جال
كبيرة وعقم زوجته ولدا زكيا طاهرا مباركا عطف به كرقصة مريم في إيجاده ولها عيسى عليهما السلام منهما من غير أب فان بين
القصتين مناسبة ومشاكلة ولهذا ذكرهما في آل عمران وهما في سورة الانبياء يقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى
ليدل عباده على قدرته وعظمته وسلطانه انه على ما يشاء قادر فقال واذا كرى في الكتاب مريم وهي مريم بنت عمران من سلالة داود
عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني اسرائيل وقبذ كراهة تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وانما اندر بها بحجرة
أى يتخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك فقبيلها اربها بقبول حسن وأسمها نبينا باحسانا ونشأت في بني اسرائيل نشأة عظيمة

فكانت إحدى العبادات المشهورات بالعبادة العقلية والتبذل والدؤب وكانت في كماله زواج خالتهازكريا بنى
اسرائيل اذذاك وعظيهم الذي يرجعون اليه في دينهم ورأى لهازكريا من الكرامات الهائلة ما بهر كماله دخل عليها زكريا
الحراب وجد عند هارز قال يا همي آتى لك هذا فأتاهم من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فذكرانه كان يجد عند هارز
نور الشتاء في الصيف وغير الصيف في الشتاء كما تقدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى له الحكمة والجنة البالغة ان يوجد
منها عبدا في رسله عيسى عليه السلام أحد الرسل وأولى العزم الخمسة العظام اتبعت من أهلها مكانا شرقيا أى اعزتهم وتحت
عنهم وذهبت الى شرق المسجد المقدس قال السدى لحض أصاها وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن قيسان عن
أبيه عن ابن عباس قال ان أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة الى البيت (٢٨٧) والى اليه وما صر بهم عنه الا قيل

ربك فاتبعت من أهلها مكانا شرقيا قال خرجت من مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل مطاع الشمس رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال ابن جرير أيضا حدثنا اسحق بن شاهين حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال انى لاعلم خلق الله لاي شئ اتخذ النصارى المشرق قبله لقول الله تعالى فاتبعت من أهلها مكانا شرقيا واتخذوا ميلا دعسى قبله وقال قتادة مكانا شرقيا شاسعا متحميا وقال مجاهد اسحق ذهب الى بقلتها لتستقي الماء وقال نوف المكالى اتخذت لها منزلا تتبعه فيه قاله أعلم وقوله فاتخذت من دونهم حجابا أى استترت منهم ونوارت فأرسل الله تعالى اليها جبريل عليه السلام فتمثل لها بشرا سويا أى على صورة انسان تام كامل قال مجاهد والغدا وقاتدة وابن جرير ووهب

الاية دليل على ان المقصود من الذبح المذكور هو ذكرا سمى الله عليه وقد وردت أحاديث في الاختصاص ليس هذا موضع ذكرها ثم أخبرهم سبحانه بتفرد هبالالهية وانه لا شريك له فقال (فألهكم الواحد) الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ثم أمرهم بالاسلام والانتقيد لطاعته وعبادته فقال (فألهموا) أى اتقوا وأطيعوا وأطيعوا وتقديم الطرف على الفعل للضرورة والفاء كالفاء التي قبلها (وبشر المحبتين) من عباده أى المتواضعين الخاضعين الخاصين وقال مجاهد أى المطيعين وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون الناس واذا ظلموا لم يتصروا وهو مأخوذ من الخبث وهو المتخضض من الارض والمعنى بشرهم بالحج بدعاء عبد الله لهم من جزيل نوابه وجليل عطائه ولا يخفى حسن التعبير بالمحبتين ههنا من حيث ان نزول الخبث مناسب للعلاج لما فيهم من صفات المتواضعين كالخبر عن اللباس وكشف الرأس والغربة عن الاوطان ولذا وصف سبحانه هؤلاء المحبتين بقوله (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أى خافت وحذرت مخالفتهم وحصول الوجل منهم عند الذكر له سبحانه دليل على كمال بقينهم وقوة ايمانهم (والصابرين على ما أصابهم) من البليات والمصائب والحن في طاعة الله (والقائمى الصلاة) وصفهم بإقامة الصلاة أى الاتيان بها فى أوقاتها على وجه الكمال لان السقم مظنة التقصير فيها ثم وصفهم سبحانه بقوله (وعمارقناهم يتقون) أى يتصدقون به ويتقون في وجوه البر وبضعوفه في مواضع الخير والمراد صدقة التطوع ويعلم منهم انهم كانوا يتصدقون الصدقة الواجبة بالاولى (والذين) قرئ بضم الباء وسكون الدال وبضمها وهما الغنائم وهذا الاسم خاص عند الشافعي بالابل وبسميت بذلة لانها تمدن والسدانة السمن وقال أبو حنيفة ومالك انه يطلق على الابل والبقر والاولى أولى الناسى أى من الاوصاف التي هي ظاهرة في الابل ولما نفذه كتب اللغة من اختصاص هذا الاسم بالابل قال ابن القيمه فكلام الشافعية موافق لكلام الازهرى وكلام الحنفية موافق لكلام الصحاح وقال ابن كثير في تفسيره

ابن تيمية والسدى في قوله فأرسلنا الهاروخنا يعنى جبرائيل عليه السلام وهذا الذى قالوه هو ظاهر القرآن فانه تعالى قد قال في الآية الاخرى نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ان روح عيسى عليه السلام من جلة الارواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم عليه السلام وهو الذى تمثل لها بشرا سويا أى روح عيسى فحملت الذى خاطبها وحن في فيها وهذا في غاية الغرابة والتكرار وانه اسرائيل قالت انى أعوذ بالجن منك ان كنت تقيا أى لما تبدى لها الملاك في صورة بشروهي في مكان متفرد وفيها وبين قومها حجاب خافته وظلمت انه يريد هار على نفسها فقالت انى أعوذ بالجن منك ان كنت تقيا أى ان كنت تخاف الله تذكره بالله وهذا هو المشروع في الدفع ان يكون بالاسهل فالاسهل فحقوقه ولا بالاله عز وجل قال ابن جرير حديثي أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال قال أبو وائل

وذکر قصة مریم فقال قد علمت ان التي دونيها حين قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت نقيا قال انما أنا رسول ربك أي فقال
 اه الملك مجيبا لها وحرى لا حاصل عندها من الخوف على نفسها ليست مما تظن بين ولكن رسول ربك أي يعني الله اليك ويقال
 انما المأذ كرت الرحمن اتفضل جبريل فرقا وعاد الى خيمته وقال انما أنا رسول ربك اليك غلاما زكيا كذا قرأ أبو عمرو بن العلاء
 أحسنهم وروى القراء وقرأ الآخرون لأهلبك غلاما زكيا وكذا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحبه وكل تستلزم الآخرة قالت
 أي يكون لك غلام أي فتعجب مریم من هذا وقالت كيف يكون لي غلام أي على أي صفة يوجده هذا الغلام مني ولست بذات
 زوج ولا يتصور مني النجور ولهذا قالت ولم يعسني بشر ولم أك بغيا والنجي هي الزانية ولهذا جاء في الحديث الهنسي عن مهر
 البغي قال كذلك قال ربك هو على هين أي (١٨٨) فقال لها الملك مجيبا لها عما سألت ان الله قد قال انه سيوحى لمنك

واختلفوا في حصة اطلاق البدنة على البقرة على قولين أحدهما انه يطلق عليها ذلك شرعا
 كما صرح في الحديث قال ابن عمر لا تعلم البدن الا من الابل والبقر وقال ايضا البدن ذات
 الجوف وعن مجاهد قال ليس البدن الا من الابل وعن عطاء بن موهب قال ابن عمر وبه قال
 سعيد بن المسيب والحسن وقيل لا يسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلنا حالكم من
 شعائر الله) أي من أعلام الشريعة التي شرعها الله تعالى وضافها الى اسمه تعظيم لها
 وقيل لانها انتشر وهو أن تطعن بجديفة في سنامها فيعلم بذلك أنها هدى وقد تقدم بيان
 قريبا (لكم فيها خير) أي منافع دينية ودنيوية كما تقدم وهي جملة مسمياتها مقرر لما
 قبلها وأحواله قاله السمين (فأذكروا اسم الله عليها) أي على شجرها بان تقولوا عند ذبحها
 الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر اللهم منك واليك (صواف) أي انها أفاضت قد صفت
 قوائمها لانها تنخر قائمتها معقولة وقرئ صوافي أي خواص لله لا يشتركون به في التسمية
 على شجرها أحد أو واحد صواف صافه وهي قراءة الجهور وواحد صوافي صافية وفي
 قراءة ابن مسعود صواف بالنون جمع صائفة وهي التي قدرفت إحدى يديها بالعقل لثلاث
 تضطرب ومنه قوله تعالى الصافات الجياد وأصل هذا الوصف في الخيل يقال صفن
 القرس فهو صافن اذا قام على ثلاث قوائم وثني الرابعة قال ابن عباس في الآية اذا أردت
 ان تنخر البدنة فأفها على ثلاث قوائم معقولة ثم قل بسم الله والله أكبر وفي الصحاح
 وغيره اعنه انه رأى رجلا قد ناخ بدنته وهو ينخرها فقال يا بني اقام مقبدة مسنة ثمجد
 صلى الله عليه وآله وسلم وكون قيامها سنة انما هو على سبيل الذئب ويجوز نخرها وذبحها
 مضجعة على جنبها كالبقر (فأذا وجبت جنوبها) الوجوب السقوط يقال وجبت
 الشمس أي سقطت ووجب الجدار سقط ومنه الواجب الشرعي كأنه سقط علينا وزنا أي
 فإذا سقط جنبها بعد نخرها على الارض وذلك عند خروج روحها فهو كناية عن الموت
 ووجب الجنوب مع ان البعير اذا خرب سقط على أحد جنبه لان ذلك الجمع في مقابلته جمع

غلاما وان لم يكن لك للبعير ولا يوجده
 منك فاحش فانه على ما يشاء قادر
 ولهذا قال ولنجعله آية للناس أي
 دلالة وعلامة للناس على قدرة بارهم
 وطلعتهم الذي تنوع في خلقهم
 خلقا أباهم آدم من عذركم ولا أتى
 وخلق حسوا من ذكر بلا أي
 وخلق بقية الذرية من ذكر وأتى
 الاعصى فانه أوجده من أي بلا
 ذكر فتت القصة الرباعية الدالة
 على كمال قدرته وعظيم سلطانه
 فلا اله غيره ولا رب سواه وقوله
 وربة منها أي ويضع هذا الغلام
 رجة من الله نبيا من الانبياء يدعو
 الى عبادة الله تعالى وتوحده كما قال
 تعالى في الآية الاخرى اذا قالت
 الملائكة يا مريم ان الله يشررك
 بكلمة منه اسمع المصباح عيسى بن
 مريم وجيها في الدنيا والآخرة
 ومن المقربين ويكلم الناس في
 المهد وكه الامن الصالحين أي
 يدعو الى عبادة ربه في مهده

وكهولته قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن ابراهيم حدثنا مروان حدثنا العلاء بن
 الحارث الكوفي عن مجاهد قال قالت مریم عليها السلام كنت اذا خلوت حدثني عيسى وكنتي وهو في بطني وانا كنت مع الناس
 سبج في بطني وكبر وقوله وكان أمره مقصيا يحل ان هذا من تمام كلام جبريل لم يرم نخرها لان هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره
 ومشيئته ويحتمل ان يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأنه كنى بهذا عن النفع في فرجها كما قال تعالى
 ومریم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وقال والتي أحصنت فرجها فنفتنا فيما من روحنا قال محمد بن
 اسحق وكان أمره مقصيا أي ان الله قد عزم على هذا فليس منه بد واختاره هذا أيضا ابن جرير في تفسيره ولم يحك غيره والله أعلم
 (فحمله فانتبذت بمكانا مقصيا فأبجها المخاض الى جذع الخلة) قالت ياليتني مت قبل هذا أو كنت نسيا منسيا) يقول تعالى مخبرا

عن مريم انهم المساقال لها اجبريل عن الله تعالى قال انهم استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير واحد من علماء السلف ان الملائك
وهو خيرا نيل عليه السلام عند ذلك تنفع في جيب درعي اقترأت النغمة حتى وبلت في القروح فحملت بالولد اذن الله تعالى فلما
جلبت به ضاقت ذرعاً ولم تدرك ما تقول للناس فانه الاتعلم ان الناس لا يصدقونها فيما يخبرهم به غير انهم انفتت سرها وذكرت
امرها لخالها امرأتزكريا وذلك ان زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فاجبت الى ذلك فحلت امرأته فدخلت عليها مريم
فقامت اليها فاعتنقتهما وقالت أشعرت يا مريم اني حبلت فقلت لها مريم وهل علمت أيضاً اني حبلت وذكرت لخالها وما كان من
خبرها وكا لايت ايمان وتصدق ثم كانت امرأتزكريا بعد ذلك اذا واجهت مريم تجحد الذي في جوفها يسجد للذي في بطن مريم
أي يعظمه ويخضع له فان السجود كان في ملتزم عند السلام مشروعا (١٨٩)

البدن (فكلوا منها) ان شئتم ذهب الجمهور الى ان هذا الامر للنسب (وأطعموا
القانع والمعتز) هذا الامر قيل هو للنسب كالاول وبه قال مجاهد والنعني وان جرير
وان سرج وقال الشافعي وجاعته هو للوجوب واختلف في القانع من هو فقيل
هو السائل يقال دفع الرجل يفتح النون يقع بكسر هاء اذا سأل وقيل هو المتعفف عن
السؤال المستغنى يبلغه ذكر معناه للطلب وبه قال ابن عباس قال ابن السكيت من
العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة وهي الرضا والتعفف وترك المسئلة وبالأول قال
زيد بن أسلم واسمه سعيد بن جبير والحسن وبالسائل قال عكرمة وقتادة وقال ابن عمر
وابن عباس القانع الذي يقع عما آتته واما المعتز فقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد
وابراهيم والكبي والحسن انه الذي يتعرض من غير سؤال وقيل هو الذي يعتز به
ويسأل وقال مالك أحسن ما سمعت ان القانع الفقير والمعتز الزائر وروي عن ابن عباس
ان كليهما الذي لا يسأل ولكن القانع الذي يرضى بما عنده ولا يسأل والمعتز الذي يتعرض
للأول ولا يسأل وقرأ الحسن والمعتز ومعناه بمعنى المعتز يقال اعتزه واعتراه وعمره وعراه اذا
تعرض لمباعدته أو طلبه ذكره النحاس قال ابن عباس المعتز السائل وعنه الذي يتعرض
وعنه القانع الذي يجلس في بيته وعنه انه سئل عن هذه الآية فقال أما القانع فالقانع
بما أرسلت اليه في بيته والمعتز الذي يعتز به وعنه قال القانع الذي يسأل والمعتز الذي
يتعرض ولا يسأل وقيل القانع المسكين والمعتز الذي ليس بمسكين وقيل القانع جارك
الذي ينظر ما دخل عليك والمعتز الذي يعتز بياك ويرى نفسه وقد روى عن التابعين
في تفسير هذه الآية أقوال مختلفة والمرجع المعنى اللغوي لاسيما مع الاختلاف بين
العبارة ومن بعدهم في تفسير ذلك (كذلك) أي مثل ذلك التسخير البديع المفهوم
من قوله صواف (تخبرناها) أي دللنا البدن (لكم) فصارت تتقارن لكم الى مواضع
تخبرها فتخبرونها وتفتخرون بها بعد ان كانت محضرة للعمل عليها والركوب على ظهورها

النفق يفتح ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن الا ان حملت فوضعت وهذا غريب وكان ما أخذ من ظاهر قوله تعالى فخلته
تأثرت به فكانا ضيفا جاءها من الخاض الى جذع النخلة قالوا وان كانت التعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فهذه الغاء
للتعقيب بحسبه واودعت في الصحن ان بين كل صفتين أربعين يوما وقال تعالى ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فصنع الارض
محضره فالمنشور والظاهر والله على كل شيء قدير انها حملت به كما تحمل النساء بالولادهن ولهذا الماظهر ومخايل الحمل هو كان معها في
المسجد رجل صالح من قرأها ثم يجتهد معها الليث المقدس يقال له يوسف الخياط فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم
صرقه ما علم من براتها وقرأها وادبها وعبادتها ثم تأمل ما هي فيه فجعل أمرها يجوس في فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه

فهل نسمة على أن عرض لها في القول فقال يا مريم اني سألتك عن أمر فلا تعجلي على قالت وما هو قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل يكون ولد من غير أب فقالت نعم وفهمت ما أشار اليه أما قولك هل يكون شجر من غير حب وزرع من غير بذر فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقه مما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فإن الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولا أم فصداها وسلم لها حالها ولما استشعرت مريم من قومها التي هم بالابوة اتبذت منهم وكانا قاصيا قاصيا منهم بعيدا عنهم ثلاثا تراهم ولا يروها قال محمد بن اسحق فلما جلت به وبلائت قلها وربعت استسك منها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والتوجع وتغير اللون حتى فطر لسانها فدخل على أهل بيت ما دخل على آل كزيا وشاع الحديث في بني اسرائيل فقالوا لهما (١٩٠) صاحبها الوصف ولم يكن معها في الكنيسة غيره وتوارت من

الناس واتخذت من دونهم حجابا فلا يراها أحد ولا تراه وقوله فأجابه الخاص إلى جذع الخلة أي فاضطرها وألجأها إلى جذع فضله في المكان الذي تحت إليه وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان يرقى محرابها الذي تصلى فيه من بيت المقدس وقال وهب بن منبه ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلادم صرصر بها الطلق وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم قالت وقد تقدم في حديث الاسراء من رواية النسائي عن أنس رضي الله عنه أن ذلك بيت لحم فأنه أعلم وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصارى أنه بيت لحم وقد تلقاه أناس وقد ورد به الحديث أن صح وقوله تعالى أخبارا عنها قالت

والحلب لها ونحو ذلك (لعلكم تشكرون) هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم (إن ينال الله) أي أن يصعد ولا يرفع اليه ولا يبلغ رضاه ولا يقع موقع النبوة منه (لخومها) التي تصدقون بها (ولادماؤها) التي تنصب عند حجرها من حيث أنها لحوم ودماء (ولكن يناله) أي يبلغ اليه (التقوى منكم) أي تقوى قلوبكم ويوصل اليه اخلاصكم له في العمل الصالح وواراد تكلم بذلك وجهه مع الايمان فان ذلك هو الذي يقبله الله ويجازي عليه وقيل المراد أصحاب اللحوم والدماء أي أن يرضى المخضون والمقربون إلى ربهم باللحوم والدماء ولكن بالتقوى قال الزجاج أعلم الله أن الذي يصل إليه تقواه وطاقته فعيما به في حقيقة معنى هذا الكلام تعود إلى القبول وذلك ان ما يقبله الإنسان يقال قد ناله ووصل اليه فخاطب الله الخلق كعادتهم في مخاطباتهم قال ابن عباس كان المشركون اذا ذهبوا استقبلوا الكعبة بالدماء فيضخون بها نحو الكعبة فأراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فانزل الله في ناله الله لحومها ولادماؤها وعن ابن جرير نحوه (كذلك سخرها لكم) كثر هذا التذكير (لتكبروا لله) هو قول الناحر الله أكبر عند التحرك فذكر في الآية الأولى الأمر بتكبروا لله عليه وذكر هنا التكبير للدلالة على مشروعية الجمع بين التسمية والتكبير وقيل المراد بالتكبير وصفه سبحانه بما يدل على الكبرياء ومعنى (على ما هداكم) على ما أرشدكم اليه من علمكم بكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة (وبشر المحسنين) قيل المراد بهم المخلصون وقيل الموحدون والظاهر أن المراد بهم كل من يصدر منه من الخير ما يصح به اطلاق اسم المحسن عليه (إن الله يداخلكم) ويرى يدفع وصيغة المفاعلة هنا مجردة عن معناها الأصلي وهو وقوع الفعل من الجانبين كاتدل عليه القراءة الأخرى وقد ترده الصيغة ولا يراد بها معناها الأصلي كشر أمثل عاقبت اللص ونحو ذلك وقد قدمنا تحقيقه وقيل ان أراد هذه الصيغة هنا للمبالغة وقيل للدلالة على تكرار الواقع (عن الذين آمنوا) أي يداخلكم عن المؤمنين غوائل المشركين

بالتبني حيث قبل هذا وكنت نسيما نسيما به دليل على جواز تنفي الموت عند الفسنة فأنما عرفت أنها استبغلت وتجنح وقيل بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقون في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصح عندهم فيما ينظرون عاهرة زانية فقالت ياليتني مت قبل هذا أي قبل هذا الحال وكنت نسيما نسيما أي لم أخلق ولم أشيأ قاله ابن عباس وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحيما من الناس ياليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل وكنت نسيما نسيما أي قبل طلبه كتحرق الحبيض اذا ألقيت وطرحتم لم تطلب ولم يتذكروا ذلك كل شيء نسي وتركت قهوني وقال قتادة وكنت نسيما نسيما أي شيئا لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من أنا وقال الربيع بن أنس وكنت نسيما نسيما هو السقط وقال ابن زيد لم أكن شيئا قط وقد قدمنا الاطيات الدالة على الهوى عن تنفي الموت الا عند الفسنة عند قوله توفي مسلما

والحقني بالصالحين فناداهما من تحتها ألا تحترقن قد جعل ربك تحتك سرياً وهزى اليك يجذع الخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلني
 واشربني وقرى عينا فامارتين من البشر أحداً فقولني أني نذرت للرجن صوماً قلن أكلن اليوم انسياً قرأ بعضهن من تحتها يعني الذي
 تحتها وقرأ الآخر وثن من تحتها على أنه حرف جر واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو فقال العوفي وغيره عن ابن عباس
 فناداهما من تحتها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتته بقومها وكذا قال سعيد بن جبيرة والخلع وعمر بن ميمون والسدي وقادة
 أنه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أي ناداهما من أسفل الوادي وقال مجاهد فناداهما من تحتها قال عيسى بن مريم وكذا قال
 عبد الرزاق عن معمر بن قتادة قال قال الحسن هو ابنها وهو واحد الروايتين عن سعيد بن جبيرة أنها قالتا ولم تسمع الله يقول
 فأشارت اليه واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره وقوله أن لا تحترقن (١٩١) أي ناداهما قائلاً لا تحترقن قد جعل

ربك تحتك سرياً قال سفيان
 الثوري وشعبة عن أبي اسحق عن
 البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك
 سرياً قال الجدول وكذا قال علي بن
 أبي طلحة عن ابن عباس السري
 النهر وبه قال عمرو بن ميمون
 تشرب منه وقال مجاهد هو النهر
 بالسريانية وقال سعيد بن جبيرة
 السري النهر الصغير بالبطنية
 وقال الضحاك هو النهر الصغير
 بالسريانية وقال إبراهيم النخعي
 هو النهر الصغير وقال قتادة هو
 الجدول بلغة أهل الحجاز وقال وهب
 ابن منبه السري هو ربيع الماء وقال
 السدي هو النهر واختاره هذا القول
 ابن جرير وقد ورد في ذلك حديث
 مرفوع فقال الطبراني حدثنا أبو
 شعيب الخزازي حدثنا يحيى بن عبد
 الله الباقلي حدثنا أيوب بن نهيك
 سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت
 ابن عمر يقول سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول ان السري الذي

وقيل يعني تحتهم وقبل يوفقهم وقال أبو حيان لم يذكر الله ما يدفعه عنهم ليكون أخفهم وأعظم
 وأعم والجلة مستأنفة لبيان هذه المزية الحاصلة للمؤمنين من رب العالمين وأنه المتولى
 للمدافعة عنهم (ان الله لا يحب كل كفور) مقررة لمضمون الجسلة الاولى فان
 المدافعة من الله اهم عن عباد المؤمنين مشعرة أنهم اشعار بانهم مبعوضون الى الله غير
 محبوسين به قال الزجاج من ذكر غير اسم الله وتقرى الى الاصنام يذبحته فهو خوان
 كفور وايراد صيغتي المبالغة للدلالة على أنهم كذلك في الواقع لا لاخراج من خان دون
 خيانتهم أو كفر دون كفرهم (أذن للذين يقاتلون) قرئ أذن مبدأ للمفعول وللفاعل
 وكذلك يقاتلون وعلى كلا القراءتين فالأذن من الله سبحانه لعباده المؤمنين بانهم اذا صلحوا
 للقتال أو فأنزلهم للمشركون فقاتلوه قال المفسرون كان مشركو مكة يؤذنون أصحاب
 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالسنة وأيديهم فنيشكون ذلك الى رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أوصر بالقتال حتى هاجر فأمر الله هذه الآية
 بالمديسة وهي أول آية نزلت في القتال بعد ما نهى عنه في سيف وسبعين آية وقيل نزلت في
 قوم باعياهم خرجوا مهاجرين من مكة الى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فاذن الله في
 قتال الذين منعوا عنهم من الهجرة وهذه الآية مقررة أيضاً لمضمون قوله ان الله يدفع فان
 اباحة القتال لهم هي من جلة دفع الله عنهم والباء في (بانهم ظلوا) للسببية أي بسبب
 ما كان يقع عليهم من المشركين من سب وضرب وطرد ثم وعدهم الله سبحانه النصر على
 المشركين على طريق الرمز والكتابة كما وعد بدفع أذى الكفار عنهم فقال (وان الله على
 نصرهم لقدير) وفيه تأكيد لما مر من المدافعة أيضاً أخرجه أحمد والترمذي وحسنه
 والنسائي وابن ماجه عن ابن عباس قال لما أخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة
 قال أبو بكر أخرجوا بنيهم الله وانا اليهم ارجعون ليهلكن القوم فنزلت أذن للذين
 يقاتلون الخ وقد روى نحو هذا عن جماعة من التابعين ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله

قال الله لمريم قد جعل ربك تحتك سرياً نهر أخرجه الله لتشرب منه وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه وأيوب بن نهيك هذا هو
 الحنبلي قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدي متروك الحديث وقال آخرون المراد
 بالسري عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والربيع بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو واحد الروايتين عن قتادة وقول عبد
 الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الاول أظهر ولهذا قال بعده وهزى اليك يجذع الخلة أي وخذي اليك يجذع الخلة قيل كانت يابسة
 قاله ابن عباس وقيل مثمرة قال مجاهد كانت عجوة وقال الثوري عن أبي داود قبيح الاعمي كانت صرفاته والظاهر أنها كانت
 شجرة ولكن لم تكن في ابلان ثمها قاله وهب بن منبه ولهذا المتن عليها بذلك بأن جعل عند ما طعاما وشربا فقال تساقط عليك رطباً
 جنياً فكلني واشربني وقرى عينا أي طيبي نفساً ولهذا قال عمرو بن ميمون ما من شيء خير للنفس من القروا الرطب ثم تلا هذه الآية

الكرامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيبان حدثنا سمر وروى عن سعيد القيسى حدثنا عبد الرحمن بن عمرو
 الاوزاعي عن عمرو بن زورع عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **أكرموا عظماءكم الخلفاء فانهم اخلفت من الطين**
 الذى خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شئ يطلع غيرها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم **أطعموا نساءكم** ثم الولد الرطب
 فان لم يكن رطب ففرو ليس من الشجر شجرة كرم على الله من شجرة تزل تحتها مريم بنت عمران هذا حديث منكر جدا ورواه
 أبو يعلى عن شيبان به وقرأ بعضهم تساقط بتشديد السين وآخرون بتخفيفها وقرأ أبو نعيم تساقط عليك رطب اجنبا وروى
 أبو اسحق عن البراءة أنه قرأها تساقط أى الجنع والكل متقارب وقوله فاماتين من البشر أحسدا أى وماتاً من أحد فقولى
 انى نذرت للرجن صوما فلنأكلهم اليوم (١٩٦) انسيا المراد بهذا القول الاشارة اليه بذلك لا المراد به القول

(الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) المراد بالديار مكة (الآن يقولوا) قال سيده هو
 استثناء منقطع أى لكن لقولهم (ربنا الله) أى أخرجوا بغير حق يوجب أخرجه
 لكن لقولهم ربنا الله وحده وقال القرأى الزجاج هو استثناء متصل والتقدير الذين
 أخرجوا من ديارهم بلا حق الا بان يقولوا ربنا الله فيكون مثل قوله سبحانه وما تتقون
 منا الا ان استأنا بآيات ربنا (ولو لدفع الله الناس) وقرئ دفاع (بعضهم) بدل بعض من
 الناس (ببعض لهدمت) بالتشديد لا كثير وبالتخفيف أى تخربت باستيلاء أهل
 الشرك على أهل الملل وتكرار الهدم لكثرة المواضع (صوامع) لرهبان ومعابد
 المتخذة فى الصخر وقيل صوامع الصابئين وهى جمع صومعة وهى بناء مرتفع محدد يقال
 صمغ التريدة اذا رفع رأسها ورجل أصمغ القلب أى حاذق الفطنة والاصمغ من الرجال الخدي
 القول وقيل الصغير الاذن ثم استعمل فى المواضع التى يؤذن عليها فى الاسلام (وسيع)
 جمع بيعة وهى كنيسة النصارى فى البلد وقيل مساجد اليهود (وصلوات) هى تكاتس
 اليهود وقيل النصارى وقد ذكر ابن عطية فى صلوات تسع قرأت وهى جمع صلاة وسميت
 الكنيسة صلاة لانها يصلى فيها وقيل هى كلمة معربة أصلها بالبرانية صلواتنا قاله السمين
 ومعناه فى لغتهم المصلى فلا يكون مجازا قاله الشهاب (ومساجد) للمسلمين وقدمت
 الصوامع والبيع والصلوات على المساجد لكونها أقدم بنا وأسبق وجودا وأولى بكون فيه
 الانتقال من شريف الى أشرف والظاهر من الهدم معناه الحقيقى كاذكره الزجاج وغيره
 وقيل المعنى المجازى وهو تعطيلها من العبادة والمعنى لولا ما شرع الله للأنبياء والمؤمنين
 من قتال الأعداء بعضهم بعض واقامة الحدود لاهل الشرك وذهبت مواضع
 العبادة من الارض وقيل المعنى لولا هذا الدفع لهدمت فى زمن موسى الكائن وفى زمن
 عيسى الصوامع والبيع وفى زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المساجد قال ابن عطية
 هذا أصوب ما قيل فى تأويل هذه الآية فعلى هذا اعتمادهم عليهم حين كانوا على الحق قبل

الافضلى للثلاثى فلنأكلهم اليوم
 انسيا قال أنس بن مالك فى قوله
 انى نذرت للرجن صوما قال صمتا
 وكذا قال ابن عباس والضحاك
 وفى رواية عن أنس صوما وصمتا
 وكذا قال قتادة وغيرهما والمراد
 انهم كانوا اذ صاموا فى شهر ربيع
 يحرم عليهم الطعام والكلام
 نص على ذلك السدى وقطادة
 وعبد الرحمن بن زيد قال ابن اسحق
 عن حارثة قال كنت عند ابن
 مسعود بن جابر بن جحان فسلم أحدهما
 ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك قال
 أصحبا به حلف أن لا يكلم الناس
 اليوم فقال عبد الله بن مسعود كالم
 الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة
 علمت ان أحد الايصدة فيها انها حلفت
 من غير زوج يعنى بذلك مريم عليها
 السلام ليكون عذر لها اذا سلمت
 ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمه
 الله وقال عبد الرحمن بن زيد
 قال عيسى لمريم لا تحترقنى قالت

وكيف لا أحرق وأنت مبعى لأذات زوج ولا عموكة أى شئ عذرى عند الناس بالنتي مت قبل هذا
 وكنت نسيما انسيا قال لها عيسى أناأ كفى لك الكلام فاماتين من البشر أحسدا فقول انى نذرت للرجن صوما فلنأكلهم اليوم
 انسيا قال هذا كاهن من كلام عيسى لاهمه وكذا قال وهب (فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شافرا ماأخت شر من ما كان
 أولك امرأ سوء ما كانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله أتانى الكتاب وجعلنى
 نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وراوا الذى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على من لم ينجس
 ويوم أموت ويوم أبعث حيا) يقول تعالى مخبرا عن مريم حين أحترمت ان تصوم يومها ذلك وان لا تكلم أحدا من البشر فانهم استكنى
 أمرها ويقام بحجتها فسلمت لاهى الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأتت به قومها تحمله فلما رآها كذلك أعظموا

أمرها واستنكر وجهه وأقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فربا أي أمر أعظميا قال له جاهد وقتاده والسدي وغير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي قال وخرج قومها في ليها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف فليحسوا منها شيأ فلقوا راعي بقر فقا للواريت فتاة كذا وكذا انعمت قال لا ولكن رأيت الالة من بقرى المألم رهنما قاط قالوا وما رأيت قال رأيتها الالة تسجد فخو هذا الوادي قال عبد الله بن أبي زياد واحتفظ عن سيار أنه قال رأيت نورا سطعا فتوجوهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قعدت وحلت ابنتها في حجرها فخاوا حتى قاموا واعلموا وقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فربا أي أمر أعظميا يا أخت هرون أي يا شقيقة هرون في العبادة ما كان أولك أمرا سوء ما كانت أملك بغيا أي أنت من بيت طيب ظاهر معروف بالصلاح (١٩٣) والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال

علي بن أبي طلحة والسدي قيل لها يا أخت هرون أي أخت موسى وكانت من نسله كما قال التميمي يا أخا نعيم وللمضري يا أخا نضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هرون فكانت تتأسى به في الزهادة والعبادة وحكي ابن جرير عن بعضهم أنهم شبهوا بربل فاجر كان فيهم يقال له هرون رواه ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين الهسبخاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا المفضل يعني ابن فضالة حدثني أبو نضر عن القرظي في قول الله عز وجل يا أخت هرون قال هي أخت هرون لا ييه وأمه وهي أخت موسى أختي هرون التي قصت أثر موسى فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وهذا القول خطأ محض فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قتي يعسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الأنبياء

التعريف وقيل النسخ وقيل المعنى ولولا دفع الله ظل الظلم بعدل الولاة وقيل لولا دفع الله العذاب بدعاء الأخيار وعن علي قال إنما زالت هذه الآية في أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى لولا دفع الله بأصحاب محمد عن التابعين لهدمت الآية قال أبو جيان أجرى الله العادة في الأمم بذلك بأن ينظمهم الأمر وتقوم الشرائع وتصل المتعبدات من الهدم وأهلها من القتل والشتات ويؤيد ذلك قوله تعالى وقيل داود جالوت ثم قال ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض (يدكر فيها اسم الله) ذكر أروقتا (كثيرا) وبالجملة صفة للمساجد وقيل لجميع المذكورات الأربع لأن كل واحد منها جمع (ولينصرن الله) اللام هي جواب القسم محذوف أي والله لينصرن الله (من ينصره) أي دينه وأوليائه ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر وأوليائه بأعدائهم ويكون النصر بالجلد في القتال وبإيضاح الأدلة والبيانات وبالاعانة على المعارف والطاعات (أن الله لقوى) على نصر أوليائه (عزير) على انتقام أعدائه والقوى القادر على الشيء والعزير الجليل الشريف قاله الزجاج وقيل الممتنع الذي لا يرام ولا يدفع ولا يمنع (الدين أن مكاهم في الأرض) بنصرهم على عدوهم قيل المراد بهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان وقيل أهل الصلوات الخمس وقيل ولادة العدل وقيل غير ذلك وهو أخبار من الله بالغيب عما ستكون عليه سيرتهم أن مكهن لهم في الأرض وعن عثمان هذا والله ثنا قيل بل لا يريد أن الله أثنى عليهم قبل أن يحدوا من الخير ما أجدوا فتبا لمن يطعن بهم من أهل البدع والرفض بعد ذلك وتعالاهم (أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا جواب الشرط وفيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من مكهن الله في الأرض وأقدره على القيام بذلك وقد تقدم تفسير الآية (ولله عاقبة الأمور) أي مخرجها إلى حكمه وتبديره دون غيره وعن زبد بن أسلم في قوله الذين أن مكاهم في الأرض قال أرض المدينة أقاموا الصلاة قال المكتوبة وآتوا الزكاة

(٢٥ - فتح البيان سادس) بعثنا وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليه ما ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي ولو كان الأمر بآزعم محمد ابن كعب القرظي لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد وكان قبل سليمان وداود فان الله قد ذكر ابن داود بعد موسى عليه ما السلام في قوله تعالى أترأى إلى الملا من بني إسرائيل من بعد موسى إذا قالوا لني لهم ابعت لنا ملكا تقتال في سبيل الله وقد ذكر القصص إلى أن قال وقتل داود جالوت الآية والذي جرح القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من الجبر واغراق فرعون وقومه قال وكانت مريم بنت عمران أخت موسى وهرون النبية تضرب بالدفى والتسامع معا يسبحن لله ويشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هوة وغلظة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون باسماء

آبائهم وصالحهم كما قال الامام احمد حدثنا عبد الله بن ادریس سمعت أبا بكر عن سماعة عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن
شعبة قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثخيران فقالوا أأرأيت ما تقررون يا أخت هرون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا قال
فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا أخبرتهم انهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم انهم ذابوا
مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن ادریس عن أبيه عن سماعة قال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من
حديث ابن ادریس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سعيد بن أبي مة عن محمد بن سيرين قال أثبت ان كعبا
قال ان قوله يا أخت هرون ليس بهرون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين ان كان النبي صلى الله عليه وسلم قاله
فهو أعلم وأخبر والا فاني أجدني من مائة سنة (١٩٤) سنة قال فسكت وفي هذا التاريخ نظر وقال ابن جرير أيضا

حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا
سعيد بن قتادة قوله يا أخت هرون
الآية قال كانت من أهل بيت
يعرفون بالصلاح ولا يعرفون
بالفساد ومن الناس من يعرفون
بالصلاح ويتوعدونه وآخرون
يعرفون بالفساد ويتوعدونه
وكان هرون مصحبا عيسى عشرته
وليس بهرون أخي موسى ولكنه
هرون آخر قال وذكرنا انه شمس
جنازته يوم مات أربعون ألفا
كاهن يسمى هرون من بني اسرائيل
وقوله لما سأرت اليه قالوا كيف
نكلم من كان في المهديصيا أي انهم
لما استراوا في أمرها واستنكروا
قضيتهم وقالوا لها ما قالوا معرضين
بتسديفها ورميها بالقرية وقد كانت
يومها ذلك صائمة صائمة فأحالت
الكلام عليه وأشارت لهم الى
خطابه وكلامه فقالوا هم كمين بها
ظانين انها تدرى بهم وتلعب بهم
كيف نكلم من كان في المهديصيا

قال يمون بن مهران فأشارت اليه قالت تكلموه فقالوا اعلى ما جئت به من الداهية تأمرنا ان نكلم من كان
في المهديصيا وقال السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا السخر بها بسا حتى تأمرنا ان نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها قالوا
كيف نكلم من كان في المهديصيا أي من هو موجود في مهدي في حال صباه وصغره كيف يتكلم قال في عبد الله أول شيء تكلم به
ان نزه جناب ربه تعالى ورأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لرب هو قوله أتاني الكتاب وجعلني نبيا تبارك له ما عانت اليه من
الفاشحة قال نفى البكالي لما قالوا لاهم ما قالوا كان يرتفع نديه تنزع الشدى من فمه وانكأ على جنبه الايسر وقال اني عبد الله
أتاني الكتاب وجعلني نبيا الى قوله ما دت حيا وقال جابر بن سلمة عن ثابت البناني رفع اصبعه السبابة فوق منكبيه وهو يقول
اني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا الآية وقال عكرمة أتاني الكتاب أي قضى أنه يؤتيني الكتاب فيما قضى وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا يحيى بن سعيد وهو الطار عن عبد العزيز بن زياد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان عيسى بن مريم قد درس الانجيل وأحكمها وهو في بطن أمه فذلت قوله اني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً يحيى بن سعيد الطار الجصى متروكاً وقوله وجعلني مباركا أيضاً كنت قال مجاهد وعمر بن قيس والنورى وجعلني معلماً للخير وفي رواية عن مجاهد نفاذوا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس الخزومي سمعت وهيب بن الورد وولي بن مخزوم قال اني عالم عالم وفوقه في العلم فقال له ربح الله ما الذي أعلن من علي قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دين الله الذي بعث به انبياءه الى عباده وقد أجمع الفقهاء على قول الله وجعلني مباركا أيضاً كنت وقيل ما ركنه قال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أيضاً كان وقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً (١٩٥) كقوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم

واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً قال أخبرني عما هو كائن من أمره الى أن يموت ما أبلغنا لاهل القدر وقوله وبر ابوالدني أي وأمرني ببر والدني ذكره بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الامر بعبادته وطاعة والوالدين كما قال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه والوالدين احساناً وقال أن اشكرني لوالديك الى المصير وقوله ولم يجعلني جباراً شقياً أي ولم يجعلني جباراً مستكبراً عن عبادة وطاعته وبر والدني فأشقي بذلك قال سيفيان الثوري الجبار الشقي الذي يقتل على الغضب وقال بعض السلف لا تجبد أحداً عاقل والديه الا وجدته جباراً شقياً ثم قرأ وبر ابوالدني ولم يجعلني جباراً شقياً قال ولا تجبد سبي المملوك الا وجدته محتالاً فخراً ثم قرأ وما

ما كانوا فيه من النعم وجل الاستغناء عن التمجيد أو نزع قال أبو حنيفة ويعجب هذا الاستغناء معنى التمجيد فكأنه قبل ما شدد ما كان انكاراً عليهم وانكاراً لهم من المنكر ومصدر بمعنى الانكار قال الزجاج أي ثم أخذتهم فانكروا أبلغ انكار قال الجوهري التنكير والانكار تغيير المنكر فالمراد بالانكار التغرير بالصداء كالحياة بالموت والعمارة بالخراب وليس بمعنى الانكار الساقى والقلبي وأثبت يا نكير حدث وقع في القرآن ومرش في الوصل وحذفها في الوقف والباقيون يحذفونها ووصفوا وقتاً نذكر سبحانه كيف عذب أهل القرى المكذبة فقال (فكأن من قرية أهلكها) أي أهلها وقد تقدم الكلام على هذا التركيب في آل عمران (وهي حالمة) المراد بنسبة الظالم اليها نسبة الى أهلها أي وأهلها الظالمون (ففي حاوية) الخوى بمعنى السقوط أي فهي ساقطة (على عروشها) أي سقوطها وذلك بسبب تعطل سكانها حتى تدمت فقط حيطانها فوق سقوطها واسناد السقوط على العروش اليها التنزيل الحطان منزلة كل النيران لكونها عمدة فيه وقد تقدم تفسير هذه الآية في البقرة قال قتادة خربة ليس فيها أحد (وبر) أي ومن أهل بر (معطلة) هكذا قال الزجاج يقال بارت الأرض أي حفرتها وانه التآثير وهو شق كيزان طلع الاناث وذر طلع الذكور فيه والبر فعل بمعنى مقبول وهي مؤنثة وقد ذكر على معنى القلب والمراد بالمعطله المتروكة وقيل الخالية عن أهلها هلاكهم وقيل الغائرة قبل معطله من الدلاء الارضية قال قتادة عطلها أهلها وتركوها وقال ابن عباس التي تركت لأهلها (وقصر مشيد) هو المرفوع النيران كذا قال قتادة والضحاك وعن قتادة أيضاً شيدوه وحصنوه فلهيكونوا تركوه وقال سعيد بن جبيرة وعطاء وعكرمة ومجاهد وابن عباس المراد بالمشيد المحصن مأخوذ من الشيد وهو الحصن وقيل المشيد الحصين قاله الكلبى وقال الجوهري المشيد المعمول بالمشيد والشييد بالكسر كل شئ طلب به الحائط من حص أو بلاط وبالفتح المصدر تقول شاده يشيده حصصه والمشيد

ملكتم أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً وقال قتادة ذكرنا ان امرأته رأت ابن مريم يحيى الموتى ويبرئ الاكبه والابرص في آيات سلطه الله عليهم وأذله فيهن فقالن طوبى لى البطن الذى جلت وطوبى للشدى الذى أرضعت به فقالن لى الله عيسى عليه السلام يحييها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقياً وقوله والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا اثبات له له عبوديته لله عز وجل وانه مخلوق من خلق الله يحيى ويميت وسعت كسائر الخلق ولكن له السيادة فى هذه الاحوال التى هي أشق ما يكون على العباد صلات الله وسلامه عليه (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان الله أن يتخذ من بينهم قوياً الذين كفروا من مشهديم عظيم) يقول تعالى لرسوله محمد صلات الله وسلامه عليه ذلك الذى قصناه الاحزاب منهم قوياً الذين كفروا من مشهديم عظيم

عليك من خبر عيسى عليه السلام قول الحق الذي فيه يتقون أي يترك الباطلون والحقون من آمن به وكفر به وللهذا قرأ
 الاكثر قول الحق رفع قول وقرأ عليهم وعبد الله بن عامر قول الحق وعن ابن مسعود انه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق
 والرفع أظهر اعراياو بشهادة قوله تعالى الحق من ربك فلا تكن من المسمتين ولما ذكر تعالى انه خلقه عبد انبياء نفسه
 المقدسة فقال ما كان الله أن يخذلهم ولده سبحانه أي عناية بول خلائه الجاهلون الظالمون المعتدون علوا كبيرا افاضت أمر اقامتها
 بقوله لكن فيكون أي اذا أراد شيئا فاعما بأمره فيصير كما يشاء كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن
 فيكون الحق من ربك فلا تكن من المسمتين وقوله وان الله ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي وعمائهم به عيسى قومه
 وخوف مهادن أن أخبرهم اذ ذلك ان الله (١٦٦)

بالتشديد المطول قال الكسائي للواحد من قوله تعالى في روج مشيدة وانما بنى هنان
 شاده وفي النساء من شيدته لانه هالك وقع بعد جمع فناسب التكرير وهذا وقع بعد مقدر
 فناسب التحقير ولانه رأس آية وفاصلة والمغنى وكر من قصر مشيد معطل مثل البئر
 المعطلة ومعنى التعطل في القصر هو انه معطل من أهله أو من آلائه أو نحو ذلك قال
 القرطبي في تفسيره ويقال ان هذه البئر والقصر بحضر موت معروفان والقصر مشرف
 على قلة جبل لا يرتقي اليه مجال والبئر في سفحه لا تقرر الريح شيئا سقط فيها الآخر حته
 وحكي الثعلبي وغيره ان البئر كان بعد من العين في بلد الحضر وأصحاب القصر الحضر
 وأصحاب البئر ملوك البدو وحكي الثعلبي وغيره أيضا ان البئر كان جدران من العين في بلد
 يقال له حضور انزل بها أربعة آلاف من آمن صالح ونجوا من العذاب ومعهم صالح فبات
 صالح فسمى المكان حضر موت لان صالحا الحضر مات فبنوا حضورا وقعدوا على هذه
 البئر وأمر وأعلمهم رجلا منهم فقاموا دهرًا وتنازلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام وكفروا
 فأرسل الله اليهم نبيًا يقال له حنظل بن صفوان وكان جالسا فيهم فقتلوه في السوق
 فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم ثم كرمصة طوبى له وقال بعد ذلك وأما
 القصر المشيد فقصر بناه شداد بن عاد بن ارم لم يبق في الارض مثله فيما ذكرنا وزعموا
 وطاله أيضا حال هذه البئر المذكرة في كورة في الجحاش بعد الانس واقفاره بعد العمران وان
 أحد الأبيسطيع ان يدوم منه على أمساك لم يسمع فيه من عزيف الجن والاصوات
 المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وماء الملك وانتظام الاهل كالمسك فبادوا وما عادوا
 فذكرهم الله سبحانه في هذه الآية بموعظة وعبرة قال وقيل انهم الذين أهلكتهم بجنهم
 على ما تقدم في سورة الانبياء في قوله وكنتم من قوم قريظة فقتلهم بئرهم وخربت قصورهم
 انتهى وقال النسفي والاطهر ان البئر والقصر على العموم ثم أنكر الله سبحانه على أهل
 مكة عدم اعتبارهم بهذا الاثار قال (أقول يسروني في الارض) حالهم على السفر ليرى

مستقيم أي هذا الذي جئتكم به
 عن الله صراط مستقيم أي قويم
 من اتبعه رشد وهدى ومن خالته
 ضل وغوى وقوله فاختلف
 الاحزاب من بينهم أي اختلف قول
 أهل الكلاب في عيسى بعد بيان
 أمره ووضوح حاله وانه عبده
 ورسوله وكنهه ألقاه الى مريم
 وروح منه فذهبت طائفة منهم
 وهم جمهور الميم ودعاهم لعائش الله
 على انه واذنية وقالوا كلامه هذا
 سحر وقالت طائفة أخرى انما
 تكلم الله وقال آخرون بل هو ابن
 الله وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال
 آخرون بل هو عبد الله ورسوله
 وهذا هو قول الحق الذي أُرشد الله
 اليه المؤمنين وقدرى نحو هذا عن
 عمر بن ميمون وابن جرير وجماعة
 وغير واحد من السلف والخلف
 قال عبد الرزاق أخبرنا عن
 قتادة في قوله ذلك عيسى بن مريم
 قول الحق الذي فيه يتقون قال

اجتمع سوا سائر اهل فخرجوا منهم أربعة آلاف نفر أخرج كل قوم عليهم فامروا في عيسى حين
 رفع فقال بعضهم هو الله هبط الى الارض فأحيانا من أحياء وأما من آمنات ثم سعد الى السجودهم العقوبة فقال الثلاثة
 كذبت ثم قال اثنان منهم لثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم السطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للاخر
 قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله هو الله والله وأما وهم الاسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله وقال الرابع كذبت بل هو عبد
 الله ورسوله وروى عنه وكلمه وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم اتباع على ما قالوا فاقتتلوا وظهر على المسلمين وذلك قول الله تعالى
 ويقتلون الذين يأمرن بالقسمة من الناس قال قتادة قومه الذين قال الله فاختلف الاحزاب من بينهم قال اختلفوا فيه فصاروا
 أحرابا وقدرى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريبا من ذلك وقد ذكر غير واحد من علماء

التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم ان قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهورة عندهم فكان جماعة الاساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا فاختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافاً متبايناً جاداً فالت كل شدة مذمفة وقولا فحانة تقول فيه شيئاً وسبعون تقول فيه قولاً آخر وخمسون تقول شيئاً آخر ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثائهم وغالبهم اتفقوا على قول وصمه وعليه فقال لهم الملك وكان فيلب وقاضيه منهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الامانة الكبيرة بل هي الخيانة العظيمة ووضعو له كتب القوانين وشروا له الأشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيره فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكاركية على ملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر ألف كنيسة وبنت أمه هيلانة قمامة على المكان الذي صلب (١٩٧) فيه المصلوب الذي نزع اليه يود

انه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله الى السماء وقوله قول للذين كفروا من مشهدين يوم عظيم تهديد وعيد شديد من كذب على الله واقرى وزعم ان له ولداً ولكن انظرهم تعالى الى يوم القيامة وأجلهم حلاً وثقة بقدرته عليهم فانه الذي لا يبجل على من عصاه بل كما جاء في الصحيحين ان الله لم يخلق للظالم حتى اذا أخذتم بقلته ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذها ليم شديد وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم وقد قال الله تعالى وكان من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والى المصير وقال تعالى ولا تحسن الله ظافلاً عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار

مصارع تلك الامم فيعتبروا ويحتمل ان يكونوا قد سافروا ولم يعتبروا فلهذا أتكر عليهم كما في قوله وانكم اقرون عليهم مصحين وبالليل اقلأ تعقلون وعلى هذا فلا تستهفم ليس على حقيقته (فتكون لهم قلوب) تفريع على المعنى فهو معنى أيضاً (يعقلون بها) ما يجب ان يعقل من التوحيد ونحوه والعقل هنا معنى العلم والمعنى انهم بسبب ما شاهدوا من العبر تكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يتعقلوه وأسند التعقل الى القلوب لانها محل العقل كما ان الادان محل السمع وقيل ان العقل محل الدماغ ولا مانع من ذلك فان القلب هو الذي يسمع على ادراك العقل وان كان محله خارجاً عنه وقد اختلف علماء المعقول في محل العقل وما هيته اختلافاً كثيراً لا حاجة الى التطويل بذلك (أو اذان يسمعون بها) ما يجب ان يسمعه مما تلاه عليهم انبياءهم من كلام الله وما نقله أهل الاخبار اليهم من أخبار الامم المهلكة وما نزل بالمكذابين (فانهم الاتعمى الابصار) قال الشراء لواء عماديجوز ان يقال فانه هو قراءة ابن مسعود والمعنى واحد التذكير على الخبر والتأنيث على الابصار والقصة أي فان الابصار لاتعمى أو فان القصة لاتعمى الابصار أي ابصارايعون (ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي ليس الخلل في مشاعرهم وانما أصابت الآفة عقولهم بتأثير الهوى والانهمالة في التقليد أي لاتدرئ عقولهم مواطن الحق ومواضع الاعتبار قال الفراء والزجاج ان قوله التي في الصدور من التوكيد الذي تزيده العرب في الكلام كقوله عشرة كامله ويقولون باقواهم وبطير بيناحيه ثم حكى سبحانه عن هؤلاء عما كانوا عليه من التكذيب والاستهزاء فقال (ويستجلبونك) أي يطلبون عجلتك (بالعذاب) لانهم كانوا منكرين بحجته أشد انكار فاستجلبهم له هو على طريقة الاستهزاء والسخرية وكانهم كانوا يقولون ذلك عند سماعهم لما يقوله الانبياء عن الله سبحانه من الوعد منه عز وجل بوقوعه عليهم وحولهم بهم ولهذا قال (وان يحلف الله وعهده) قال الفراء في هذه الآية وعيد لهم بالعذاب في الدنيا

ولهذا قال ههنا فويل للذين كفروا من مشهدين يوم عظيم أي يوم القيامة وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل (أسمعهم وأبصرهم) يأتيون الالكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأندركم يوم الحسرة اذ فنى الامر وهم في غلظة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والناير جمعون يقول تعالى خبرنا عن الكفار يوم القيامة انهم يكونون أسمع شئ وأبصره كما قال تعالى ولوزى اذ الجرمون ان كسور رؤسهم عند ربهم بشر أبصرنا وعايناه الآية أي يقولون ذلك حين لا يتفقههم ولا يجدى عنهم شيئاً ولو كان هذا قبل معاناة العذاب لكان نافعاً لهم ومنعزاً من عذاب الله ولهذا قال أسمعهم وأبصرهم وأبصرهم يوم يأتوننا

يعني يوم القيامة لكن الظالمون اليوم أي في الدنيا في ضلال عظيم أي لا يستمعون ولا ينصرون ولا يدعولون حيث يطلب منهم الهدى
لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينبغي لهم ذلك ثم قال تعالى وأنذرهم يوم الحسرة أي انداء الخلائق يوم الحسرة إذ قضى الأمر
أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار وضار كل إلى ما صار إليه فخلد فيه وهم أي اليوم في عقاب عما أنذروا به يوم الحسرة والتلذذ معهم
لا يؤمنون أي لا يصدقون به قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الاعشى عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رجوا الموت كأنه كسر الميم فوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة
هل تعرفون هذا قال فيشربون ويضطرون ويقولون نعم هذا الموت قال فقال أهل النار هل تعرفون هذا قال فيشربون
ويضطرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به (١٩٨) فيخرج قال ويقال يا أهل الجنة خلاد ولا موت ويا أهل النار

يخلو ولا موت ثم قرأ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وأندرهم يوم الحسرة
 إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم
 لا يؤمنون وأشار بيده ثم قال أهل
 الدنيا في غفلة الدنيا هكذا رواه
 الإمام أحمد وقد خرج به البخاري
 وتسلم في صحيحه ما من حديث
 إلا تمس به ولقطه ما قريب من
 ذلك وقد روى هذا الحديث
 الحسن بن عرفة حديثي أنبأ
 ابن محمد عن الأعمش عن أبي صالح
 عن أبي هريرة مرفوعاً أنه وفي
 سنن ابن ماجه وغيره من حديث
 محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن
 أبي هريرة نحوه وهو في الصحيحين
 عن ابن عمر ورواه ابن جرير قال
 قال ابن عباس فذكر بن قبله نحوه
 ورواه أيضاً عن أبيه أنه سمع عبيد
 ابن عمير يقول في قصصه بوقى بالموت
 كأنه قاذف فذبح والناس ينظرون
 وقال سفيان الثوري عن سلمة بن
 كهيل حديثنا أنه الزعرارة عن عبد

والآخر ذو الزجاج وخها آخر فقال اعلم ان الله لا يقوته شيء وان يوما عندنا وثلاث سنين في قدرته واحدا ولا فرق بين وقوع ما يستجلبون به من العذاب وتأخره في القدرة الا ان الله يفضل بالامهال انتهى والمعنى وال الحال انه لا يخفى وعدا ابد اوقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما والجلالة اعراضه سبينة لمقابلها قال المحل انجزه يوم يدري انزل العذاب بهم في الدنيا فقتل منهم سبعون وآسر منهم سبعون (وان يوما) من ايام عذابهم (عند ربك) في الآخرة (كالف سنة) يمتدنون أي من سنى الدنيا والجلالة مستأنفة مسوقة لبسان حالهم في الاستبحال وخطابهم في ذلك لبسان كمال حكمه ليكون المدة القصيرة عنده كالمدة الطويلة عندهم كما في قوله انهم يرونه بعد اوزاره قريبا قال القراءه ذوا عذابهم بالمتداع عذابهم في الآخرة أي يوم من ايام عذابهم في الآخرة في النقل والاستطالة كالف سنة وقيل المعنى وان يوما من الخوف والشدة في الآخرة كالف سنة من سنى الدنيا فيها خوف وشدة وكذلك يوم النعيم قسا واقصر في التشبيه على الاف لان الانس منه سى العذاب لا تكرار وقرى يعدون بالحسنة لقوله ويستجلبونك وبالفارقة على الخطايا واختار الاولى أبو عبيدة والثانية أبو حاتم وعن ابن عباس قال ان يوما من ايام السنة التي خلق الله فيها السموات والارض كالف سنة وعن عكرمة قال هو يوم القيامة وعنه قال الدنيا جامعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة وقدم مضى منها ستة آلاف وأخرج ابن عدى والديلمي عن أنس مرفوعا نحو وعلم البحث في مدة الدنيا مضى ما وباقيا في كتابنا لقطعة العجلان عاتس الى معرفته حاجة الانسان (وكاين من قرية أهلكتها وهي ظالمة ثم أخذتها) أي أهلها هذا اعلام منه سبحانه انه أخذ قوماء بعد الاملاء والتأخير قبل وتكرر هذا مع ذكره قبله للتأكد وليس بشكر افي الحقيقة لان الاول سنى لبسان الاملاء مناسب لقوله فكيف كان تكبيره والثاني سنى لبسان الاملاء مناسب لقوله ولن يظلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة فكذلك قيل وكم من أهل قرية كان اناسكهم

الله هو ابن مسعود في قصة ذكرها قال فلين نفس الا وهي تنظر الى بيت في الجنة ويبت في النار وهو ظالمين
يوم الحسرة فبقي اهل النار البيت الذي في الجنة ويقال لهم لو علمتم فتأخذهم الحسرة قال ويرى اهل الجنة البيت الذي في النار
فيقال لولا ان الله من عليكم وقال السدي عن زناد عن زر بن حبیش عن ابن مسعود في قوله وانذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر
قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار في الموت في صورة كبش أبيض حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادى مناديا اهل الجنة
هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أخفى اهل عِلين ولا في اسفل درجة في الجنة الا انظر اليه ثم ينادى مناديا اهل
النار هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى احد في خصاص من نار ولا في اسفل درجتين من جهنم الا انظر اليه ثم ينادى
بين الجنة والنار ثم ينادى اهل الجنة هو الخلود انا الا بدن واهل النار هو الخلود انا الا بدن فصر اهل الجنة فخلو كان احد

ميتانم فرح ماؤا ويشهق أهل النار شهقه قلو كان أحد ميتانم شهقه ماؤا فذلك قوله وأنذرهم يوم الحسرة إذ نقض الله أمرهم يقولون
 إذ أنج الموت ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله وأنذرهم يوم الحسرة من أنجأهم يوم القيامة
 نعمة الله وحذره عباده وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس يا حسرتا
 على ما فرطت في جنب الله وقوله انما نحن نرت الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون يخبر تعالى أنه الخالق المالك المتصرف وان الخلق
 كلهم له يكون ويتقوا على وتقدس ولا أحد يدعى ملكا ولا تصرفا بل هو الوارث لجميع خلقه الباقي بعدهم الخاف فيهم فلا تظلم
 نفس شيئا ولا جناح يعوضه ولا مثقال ذرة قال ابن أبي حاتم ذكره عبد بن خالد القيسي حدثنا حرم بن أبي حزم القطعي قال كتب
 عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة (١٩٩) أما بعد فإن الله كتب على خلقه حين

خلقهم الموت فجعل مصيرهم إليه
 وقال فيما أنزل في كتابه الصادق
 الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكتهم
 على حفظه أنه يرث الأرض ومن
 عليها والسبح يرجعون (وإذا كرتي
 الكتاب إبراهيم أنه كان صديقا نبيا
 اذ قال لا يهنا أبى لم تعبدوا لاسمع
 ولا يصير ولا يغني عنك شيئا يا ابت
 اني قد جاني من العلم ما لم يأتك
 فأتبعني أهذا صراطها سوا
 بابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
 كان للرجل عصيا يا ابت اني أخاف
 ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون
 للشيطان وليا يقول تغالي لئله
 محمد صلى الله عليه وسلم واذا كرتي
 في الكتاب إبراهيم وانزل على قومك
 هؤلاء الذين يعبدون الاصنام
 واذا كرتهم ما كان من خبر إبراهيم
 خليل الرحمن الذين هم من ذريته
 ويدعون أنهم على ملته وقد كان
 صديقا نبيا مع يسه كيف سماه عن
 عبادة الاصنام فقال يا ابت لم تعبد

ظالمين قد أمهاتهم حينما أخذتهم بالعذاب والمرجع لكل الى حكمي (و) جلة الى
 المصير) تذييل لتقرير ما قبلها (قل يا أيها الناس انما أنا بالكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا
 الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم) أمره سبحانه ان يخبر الناس بأنه نذير لهم بين يدي الساعة
 مبين لهم ما نزل اليهم من آمن وعمل صالحا فاز بالمغفرة وستر الذنوب ومن كان على خلاف
 ذلك فهو في النار والرزق الكريم الجنة والكريم من كل نوع ما يجتمع فضائله ويجوز
 كلالته (والذين سعوا في آياتنا) أى اجتهدوا في ابطالها حيث قالوا القرآن شعرا وصهر
 أو أساطير الاولين (معاجزين) يقال عاجز رسا بقله لان كل واحد منهم ما في طلب اعجاز
 الآخر فاذا سبقه قبل أعجز وعجزه قاله الاخفش وقيل معناه طائين ومقدرين ان يعجز
 الله سبحانه وبقوته فلا يعذبهم قاله الزجاج وقيل معاندين قاله القرطبي وقال ابن عباس
 مرغمين ومشاقين (أولئك أصحاب الجحيم) أى النار الموقدة (وما أرسلنا من قبلك) من
 لا يتبداه الغاية وهذا شروع في تسلية ثالثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد التسلية
 الاولى (من رسول ولاني) من زائدة كذا التثنية وفيه دليل بين على ثبوت التغاير بين
 الرسول والنبي وسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الانبياء فقال مائة ألف وأربعة
 وعشرون ألفا تفصيل فحكم الرسل منهم فقال ثلثمائة وثلاثة عشر والفرق بينهم ما ان
 الرسول الذي أرسل الى الخلق بإرسال جبريل اليه عانا ومحاورته شفاها والنبي الذي
 يكون وحيه اليها ما أوامرا وقيل الرسل من بعث بشريع وأمر بتبليغه والنبي من أمر
 ان يدعوا الى شر بعه من قبله ولم ينزل عليه كتاب ولا يلهل ما جيعا من المعجزة الظاهرة وقرأ
 ابن مسعود ولاني ولا يحدث وعن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مثله وزاد
 فنسخت يحدث قال والحديث صاحب بس ولقمان ومومن آل فرعون وصاحب موسى
 (الاذن اني الشيطان في أمنيه) معنى تمنى تنهيه وهيا في نفسه ما هو به قال
 الواحدى قال المفسرون معنى تمنى فلا قال جماعة المفسرين في سبب نزول هذه الآية أنه

ما لا يسمع ولا يصير ولا يغني عنك شيئا أى لا يتعكك ولا يدفع عنك ضرا يا ابت اني قد جاني من العلم ما لم يأتك
 صلي وتراني أصغر منك لاني ولدك فاعلم اني قد اطلعك من العلم من الله على ما لم تعلم انت ولا اطلعك عليه ولا جاءك بعدي فأتبعني
 أهذا صراطها سوا يا بترى يقاسم مستقيما موصلا الى نيل المطالب والنجاة من المراهب يا ابت لا تعبد الشيطان أى لا تطعه في عبادتك
 هذه الاصنام فانه هو الداعي الى ذلك والرائي به كما قال تعالى ألم أعهد اليكم بان آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وقال
 ان يدعون من دونه الا انانا وان يدعون الا شيطانا مريدا وقوله ان الشيطان كان للرجل عصيا أى مخالفا مستبكرا عن طاعته به
 فطردوه وابعده فلا تتبعه تصرفه لئلا يا ابت اني أخاف ان يمسك عذاب من الرحمن أى على شركك وعصيانك لما أمرت به فتكون
 للشيطان وليا يعنى فلا يكون اليه مولى ولا ناصيرا ولا معيضا الا باليس وليس اليه والى غيره من الأمور شي بل اتبعك له موجب

لأحاطة العذاب بل كما قال تعالى ثالثه لقد أرسلنا إلى إمامهم قبل قريش إمامهم الشيطان إمامهم فهو وليهم اليوم وليسهم عذاب ألم قال أراغب أنت عن آليتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجنك وأخبرني مليا قال سلام عليكم سأستغفر لأبي الله كان ي خفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعوني عني أن لا أكون بدعاري شقيا يقول تعالى محبة ابن جبريل عن جواب أبي إبراهيم لولد إبراهيم في دعائه الله أنه قال أراغب أنت عن آليتي يا إبراهيم يعني أمارت بدعاتهم ولا ترضعنا فافتع عن سبها وشتمها وعيما فانك إن لم تنته عن ذلك أقتضت منك وشتمك وسيتك وهو قوله لأرجنك قاله ابن عباس والسدي وابن جرير والغضائري وغيرهم وقوله وأخبرني مليا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومحمد بن إسحق يعني دحروا وقال الحسن البصري زمانا طويلا وقال السدي وأخبرني مليا قال أبو داود قال علي بن أبي طلحة (٢٠٠) والعوفي عن ابن عباس وأخبرني مليا قال سوا سألنا قبل أن

صلى الله عليه وآله وسلم لما شق عليه أراض قومعه عنه حتى في نفسه أن لا ينزل عليه شيء ينقرهم عنه لحرصه على إيمانهم فكان ذات يوم جالس في ناد من أنديتهم وقدرت عليه سورة النجم إذا هوى فأخذها يقرؤها على سم حتى بلغ قوله أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وكان ذلك التقي في نفسه فخرى على لاله مما القاد الشيطان عليه تلك القرائن العلى وإن شفاعتهن لترجي فلما جعت قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قراءته حتى ختم السورة فلما سجد في آخرها حمد بعه جميع من في النادى من المسلمين والمشرى كين ففرقت قريش مسرورين بذلك وقالوا قد كرم محمد آله تبا بحسن الذكرفأنا جبريل فقال ما صنعت فلو أن على الناس ما لم أتئذ به عن الله فخرن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاف خوفا شديدا فانزل الله هذه الآية هكذا قالوا ولم يصح شيء من هذا ولا ثبت بوجه من الوجوه ومع عدم محتم بل بطلانه فقد دفعه الحق قون بكاب الله سبحانه حيث قال الله تعالى ولوته قول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه بالهين ثم قطعنا عنه التوتين وقوله وما ينطق عن الهوى وقوله ولولأنا نبتلك لقد كدت تركن إليهم فتنى المقابلة لركون فضلاء عن الركون قال البراء هذا حديث لا نعله يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم باسناد متصل وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم أن رواة هذه القصة مطعون فيهم وقال امام الأئمة ابن خزيمة أن هذه القصة من وضع الزنادقة قال القاضي عياض في الشفاء أن الأئمة أجمع فيها طريقة البلاغ أنه معصوم فيه من الأخبار عن شيء بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الرازى هذه القصة باطلة ووضوعة لا يجوز القول بها قال تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى بوحي وقال تعالى سترتك فلا تتسنى ولا شئت أن من جاوز على الرسول أعظم الاوثان فقد كفر لأن من المعالوم بالضرورة أن أعظم سببه كان في نفي الاوثان ولو جوزه ذلك لارتفع الامان عن شرعه وجوزنا في كل واحد من الأحكام

تصديق منى عتوبة وكذا قال النخائل وقادة وعطسة الجعدى ومالك وغيرهم واختاره ابن جرير فعندنا قال إبراهيم لا يسه سلام عليك كما قال تعالى في صفة المؤمنين وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال تعالى وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنآ أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين ومعنى قول إبراهيم لا يسه سلام عليك يعني أما أنا فلا ينالك منى مكره ولا نذى وذلك حرمة الآية سأستغفر لك ربي ولكن سأسأل الله فبك أن يهديك ويغفر ذنبك أنه كان ي خصيا قال ابن عباس وغيره لطيفا أى فى أن هدأنى لعبادته والاخلاص له وقال قتادة ومجاهد وغيرهما أنه كان ي خصيا قال عوده الاجابة وقال السدي الحنفى الذى بهم تأمره وقد استغفر إبراهيم صلى الله عليه وسلم لا يسه مدة طويلة وبعد أن دأب إلى الشام وبنى المسجد الحرام

وبعد أن ولده اسمعيل واسحق عليه ما السلام في قوله ربا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب والشرايع وقد استغفر المسلمون لقراباتهم وأهلهم من المشرى كين في ابتداء الاسلام وذلك اقتداء بابراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذى معه إذا قالوا القومهم أنابر آمنكم ومما تعبدون من دون الله إلى قوله الا قول إبراهيم لا يسه لاستغفر لك وما أمالك لئن لم ينته من شى الآتية معنى الا في هذا القول فلا تتساواه ثم بين تعالى أن إبراهيم أقبل عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية إلى قوله وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عموه وعدة وعتدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ان إبراهيم لأواه حليم وقوله واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعورنى أى أجتنبكم وأبترأ منكم ومن آلهتكم التى تعبدونهم من دون الله وأدعورنى أى وأعبد ربي وحده لاشر بآله عسى أن لا أكون بدعاري شقيا

وعسى هذه موجبة لا محالة فانه عليه السلام سيد الانبياء بعد محمد صل
وهذا الحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهنا لهم من رجتنا وجعلنا

تخلهم وما يعبدون من دون الله
يقول تعالى فلما اعتزل الخليل آياه
وقومه في الله أبدا لله من هو خير منهم ووهب له الحق ويعقوب يعني ابنه وأن الحق في الآية الأخرى ويعقوب نافلة
وقال ومن وراء الحق يعقوب ولا خلاف ان الحق والدي يعقوب وهو نوص القرآن في سورة البقرة أم كنتم شهداء إذ حضر
يعقوب الموت إذ قال لبني له ما فعلتكم وبني قالوا نعبده الهك والآنك ابراهيم واسحق وهاذا النجاة كرهنا الحق
ويعقوب أي جعلنا نسلا وعقبنا أنبياء أقر الله بهم عمنه في حياته ولهذا قال وكلا جعلنا نبيا فلولم يكن يعقوب عليه السلام قد نبئ
في حياة ابراهيم لما اقتضى عليه ولذا قوله يوسف فانه نبئ أيضا كما قال (٢٠١) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق

على صحته حين سئل عن خير
الناس فقال يوسف نبي الله ابن
يعقوب نبي الله ابن اسحق نبي الله
ابن ابراهيم خليل الله وفي اللفظ
الاخران الكريم ابن الكريم ابن
الكريم ابن الكريم يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وقوله
وهنا لهم من رجتنا ووهنا لهم
لسان صدق عليا قال علي بن أبي
طلحة عن ابن عباس يعني الشئنا
الحسن وكذا قال السدي ومالك
ابن أنس وقال ابن جرير انما قال
عليان جميع الملل والاديان يتنون
عليهم ويدعونهم صلوات الله
وسلامه عليهم أجمعين (واذكر
في الكتاب موسى انه كان مخلصا

وكان رسولا نبيا نذاه من جانب
الطور الايمن وقرناه نجيا ووهنا
لهم من رجتنا آياه هرون نبيا لما ذكر
تعالى ابراهيم الخليل وأثنى عليه
عطف بذكر الكليم فقال واذكر في
الكتاب موسى انه كان مخلصا قرا

والشرايع ان يكون كذلك أي محمدا لقائه الشيطان على لسانه وسيط قوله تعالى بلغ ما نزل
اليك من ربك وان لم تفعل فابلغت رسالته فانه لا فرق عند العقل بين التقصير من الوحي
وبين الزيادة فيه فبهذه الوجوه الثقلية والعقلية عرفنا على سبيل الاجال ان هذه القصة
موضوعة انتهى مخلصا قال ابن كثير قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الغرائق وما كان
من رجوع كثير من المهاجرين الى أرض الحبشة ظنا منهم ان بشرى قريش قد أسلموا
ولكنهم من طرق كاهنهم سلمة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والحاصل ان جميع الروايات
في هذا الباب امام سلمة أو منقطعة لا تقوم الحجة بشئ منها وقد أسلفنا عن الحفاظ في هذا
البحث ما فيه كفاية وفي الباب روايات من أحب الوقوف على جميعها فلينظر ههنا في الدر
المشور للبطوني ولا يأتى التطويل بذكرها هنا بقايد فقد عرفنا انها جميعها لا تقوم
بها الحجة لانه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سلم متصل وانما
رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملقون من الصحف كل صحيح وسقيم
وقد دل على ضعف هذه القصة اضطراب روايتها وانقطاع سندها واختلاف الفاظها
والذي جاء في الصحيح من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأوا النجم
فوجد فيها ما يحسد من كان معه غير ان شيخان قريش أخذ كذا من حصي أو تراب فرفعه
الى جهنم قال عند الله فلقدها يتبعه بسد قل كاذرا أخرجه البخاري ومسلم وصرح من
حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سجد النجم وسجد معه المسلمون
ولم يشركوا بالجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جافى الصحيح لم يذكروه ان النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون عن ابن عباس في هذه
القصة فقد رواه عنه الكشي وهو ضعيف جدا بل متروك لا يعتمد عليه وكذا أخرجه
الخاص بسند آخر فيه الواقدي فهذا توهم في هذه القصة وقد أجابوا عنه من حيث المعنى
بوجوه أخرى بطول ذكرها بالا فائدة زائدة وقد استوفاهم الخازن في تفسيره والتسني في

(٢٦) فتح البيان سادس) بعضهم بكسر اللام من الاخلاص قال الثوري عن عبد العزيز بن ربيع عن أبي ثعلبة قال
قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن الخلدن لله قال الذي يعمل لله لا يجب ان يحمد الله الناس وقرأ الآخرون يقتضها بمعنى انه كان
مطبق كما قال تعالى اني اصطفيتك على الناس وكان رسولا نبيا جميع بين الوصفين فانه كان من المرسلين الكبار وأولى العزم الخمسة
وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر الانبياء أجمعين وقوله ونذاه من جانب الطور
أي الجبل الايمن أي من جانبه الايمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جد وقرآها تلوح فقصدها فوجد ههنا في جانب الطور
الايمن منه غربة عند شياطي الوادي فكلمه الله تعالى وناداه وقرية فاجاز هرون ابن جرير حديثان يسار حديثا يحيى هو انطوان
حديثا يحيى عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقرناه نجيا قال أدنى حتى جمع صريف القلم وهكذا قال مجاهد

وأبو العالية وغيرهم يعنون من رقب القلم بكاتب التوراة وقال السدي وقرناه نحيا قال ادخل في السماء فكلهم وعن مجاهد نحو وقال
عبد الرزاق عن معمر بن قتادة وقرناه نحيا قال نحيا صدقه وروى ابن أبي خاتم خدنا عبد الجبار بن عاصم خدنا محمد بن سلمة
الخراني عن أبي الراسل عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معد يكرب قال لما قرب الله موسى نحيا بطور سيناء قال يا موسى اذا خلقت
لنا قلبا ساكرا ولسانا ذا كرا ووزجنا تعين على الخير فوالله اخزن عنك من الخير شيئا ومن اخزن عنه هذا فلي افع له من الخير شيئا وقوله ووحينا
له من رحمتنا اخاه هرون نبيا أي واحدنا والو شفاعته في اخيه فجعلناه نبيا كما قال في الآية الاخرى واني هرون وهوا فصح
مبنى لساننا فالرسالة معي ردأ تصدقني اني أخاف ان يكذبون وقال قدأ وتيت سؤلك يا موسى وقال فارس الى هرون واهم على ذنب
فاخاف أن يقتلوا ولينذا قال بعض السلف (٢٠٢) ماشفع أحدني أحد شفاعته في الدنيا أعظم من شفاعته موسى في هرون ان

يكون نبيا قال الله تعالى ووحينا له
من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال ابن
جرير خدنا تابعه قوب خدنا ابن
عليه عن داود عن عكرمة قال قال
ابن عباس قوله ووحينا له من رحمتنا
أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر
من موسى ولكن أراد وجهه
نبوته وقد ذكره ابن أبي خاتم معلقا
عن يعقوب وهو ابن ابراهيم
الدورقي به (وادكر في الكتاب
اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان
رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة
والزكاة وكان عند ربه مرضيا)
هذا ثناء من الله تعالى على
اسمعيل بن ابراهيم الخليل عليه
السلام وهو والد العرب الحجاز
كلهم بأنه كان صادق الوعد قال ابن
جرير لم يعد ربه عدة الا انجزها
يعني ما التزم عبادة قط بنذر الا قام
بها ووفاهما حقيقا وقال ابن جرير
حدثني يونس ابن ابي نازب وذهب اخبرني
عمرو بن الحرث ان سهيل بن عقيل

المدارك وفيه الحافظ ابن حجر على ثبوت أصلها في الجملة وقال ان ثلاثة أمسا منهن على
شرط الصحيح لكنهما راسيل واذا انقررك بطلان ذلك عرفت ان معنى نحي قرأوا كما
قدمنا من حكاية الواحد في ذلك عن المفسرين قال البغوي ان أكثر المفسرين قالوا
معنى نحي تلا وقرأ كتاب الله ومعنى آتني الشيطان في أمينة أي في تلاوته وقراءته قال ابن
جرير هذا القول أشبه بتأويل الكلام ويؤيد هذا ما تقدم في تفسير قوله لا يعاون الكتاب
الأماني وقيل معنى نحي حدث ومعنى في أمينة في حديثه روى هذا عن ابن عباس وقيل
معنى نحي قال فاصل معنى الآية ان الشيطان أوقع في سامع المشر كين ذلك من دون ان
يسلكهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا جرى على لسانه فتكون هذه الآية تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي لا يلام ولا يفتن ذلك ولا يحزنك فقد أصاب مثل هذا من
قبل من المرسلين والآية وعلى تقدير ان معنى نحي حدث نفسه كما حكاه الفراء
والكسائي فانهم قالوا يقال نحي اذا حدث نفسه فالمعنى انه اذا حدث نفسه بشئ يسلكهم به
الشيطان وألقاه في مسامع الناس من دون ان يسلكهم به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ولا جرى على لسانه قال ابن عطية لا خلاف ان لقاء الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة
وقعت بها الفتنة قال القاضي عياض وهذا أحسن الوجود وهو الذي يظهر ترجمته وكذا
استحسن ابن العربي هذا التأويل وقال في أمينة في تلاوته وقد قيل في تأويل الآية
ان المراد بالغرائق الملائكة ويرد قوله الآتي في نسخ الله ما يلي الشيطان أي يطمسه
وشفاعته الملائكة غير باطلة وقيل ان ذلك جرى على لسانه سهوا ونسيانا وهما مجوزان
على الانبياء ويرد بان السهو والنسيان فيما طهره البلاء غير جائز كما هو مقررى
مواطنه قال الفخامك يعني بالآتي التلاوة والقراءة في نسخ الله أي جبريل بأمر الله ما آتني
الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال مجاهد اذا نحي أي تكلم وأمينته
كلامه فاخبر تعالى في هذه الآية ان بسنة الله في رساله اذا قالوا لا زاد الشيطان فيه من

حدثه ان اسمعيل النبي عليه السلام وعذر جلا مكانا ان يأتيه فناء ونسي الى الرجل فظن به اسمعيل وبات
حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا قال لا قال اني نسيته قال لم أكن لابر ح حتى تأتيه فلذلك كان صادق الوعد
وقال سفيان الثوري بلغني انه قام في ذلك المكان ينظره جولا حتى جاءه وقال ابن شاذب بلغني انه اتخذ ذلك الموضع مسكنا وقد
روى أبو داود في سننه وأبو بكر محمد بن جعفر الخراطي في كتابه مكارم الاخلاق من طريق ابراهيم بن طهمان عن عبد الله بن مسبرة
عن عبد الكريم يعني ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الجساء قال يا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قل ان
يبعث ففقت له على نفسه فوعده ان آتته في مكانه ذلك قال ففقت وبني الغد فانتبه في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال
يا باقي لقد شقت على اناهيها منذ ثلاث أنظرك لفظ الخراطي وساق آثارا حسنة في ذلك ورزاه ابن منده أبو عبد الله في كتاب

معرفة الصحابة له بأشاده عن إبراهيم بن ظهوان عن يديل بن مبصرة عن عبد الكريم وقال بعضهم انما قيل له صادق الوعد لانه قال
لا سمع جدي ان شاء الله من الصابرين فصدق في ذلك فصدق الوعد من الصفات الحميدة كان خلقه من الصفات الذميمة قال الله
تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كرمقنا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية
المناقاة ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخل واذا وعى خان ولما كانت هذه صفات المنافقين كان التلبس بضدها من صفات
المؤمنين ولهذا اثنى الله على عبده ورسوله اسمعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق الوعد ايضا لا يعد
أخدا شيئا الا وفي له به وقد اثنى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته بن فقال حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي ولما توفي النبي
صلى الله عليه وسلم قال الخليفة أبو بكر الصديق من كان له عند رسول الله (ﷺ) صلى الله عليه وسلم عدو أو دين فليأتني اخبره
فجاءه جابر بن عبد الله فقال ان

قبل نفسه فهذا نص في أن الشيطان زاد في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قاله لانه معصوم وقد سبق الى ذلك الطبري مع جلالة قدره وسعة
علمه وشدة اعاده في النظر فصب هذا المعنى قاله الحافظ في الفتح ثم لم يلا سبجانه بهذه
التسليمات وانما قد وقت قبله من الرسل والانبيا بين سبجانه انه يبطل ذلك ولا يتبعه ولا
يستمر ثمر الشيطان به فقال (فينسخ الله ما يليق الشيطان) أي يبطله ويجعله ذاهبا
غير ثابت (ثم يحكم الله آياته) أي يشيها (والله عليم حكيم) أي كثر العلم والحكمة
في كل أوقافه وافعاله (ليجعل ما يليق الشيطان فتنة) لتعليل أي ذلك الالقاء الذي يليق
الشيطان ضلاله ورحمة ولبية (للذين في قلوبهم مرض) أي شك وتناق (والقاسية
قلوبهم) هم المشركون فان قلوبهم لا تلين للحق أبدا ولا ترجع الى الصواب بحال ثم جعل
سبجانه على هاتين الطائفتين بأنهم ظالمون فقال (وان الظالمين اني شقاؤ بعيد) أي
بعدهم وشد بدوهم وصف الشقا بالبعد مبالغة والموصوف به حقيقة ممن قام به ولما بين
سبجانه ان ذلك الالقاء كان فتنة في حق أهل النفاق والشك والشركيين انه في حق
المؤمنين العالين بالله العارفين به بسبب حصول العلم لهم بأن القرآن حق وصدق فقال
(ولعلم الذين آمنوا العلم) أي التوحيد والقرآن والتصديق بنسخ الله ما يشاء (انه الحق
من ربك) أي الحق النازل من عنده وقيل الضمير في انه راجع الى تمكين الشيطان من
الالقاء لانه مما جرت به عادته مع أنبيائه ولكنه يرد هذا قوله (فيؤمنوا به) فان المراد الايمان
بالقرآن أي يشبوا على الايمان به (فقتض له قلوبهم) أي تخضع وتسكن وتتقاد فان الايمان
به واخبات القلوب له لا يمكن ان يكون التمكين من الشيطان بل القرآن (وان الله لهادي
الذين آمنوا) في أمور دينهم (الى صراط مستقيم) أي طريق صحيح قويم لا عوج به
وقرئ له اذ التمومين (ولا يزال الدين كقروا في مربة منه) أي في شك من القرآن وقيل
من الدين الذي يدل عليه ذكر الصراط المستقيم وقيل من الرسول وقيل من لقاء الشيطان

وأمر أهل الصلاة واصطر عليهم الآية وقال يا ايها الذين آمنوا افوا أنفسكم وأهلكتكم نار اوقودها الناس واخجارة عليهم املا ثلثة
غلاظ شديدة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أي مروهم بالمعروف وانهم وهم عن المنكر ولا تدعوهم هلاقتا كلهم
النار يوم القيامة وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا قام من الليل فصلى
وأيقظ امرأته فان آت نضح في وجهها الما رحم الله امرأته قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان آت نضحت في وجهه
لما أخرجه أبو داود وابن ماجه وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استيقظ الرجل
ن الليل وأيقظ امرأته فصلما ركعتين كتبا من الذكركن الله كثيرا والذاكرات رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له (واذكر في
كتاب اذ ربك ان كان صدق ياتيا ورفعة مكانا عليا) ذكر اذ ربك عليه السلام البناء عليه بأنه كان صدق ياتيا وان الله

ورفعه مكانا عليا وقد تقدم في التخرج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من يفي بملأ الاسرار هو في السماء الرابعة وقد روى ابن جرير
 عن ابي اشرس بن عبيد الله قال قال ابن عباس ما كنت اقول الله عز وجل لا ادريس ورفعه مكانا عليا فقال كعب
 عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا واما ما كنت اقول الله عز وجل لا ادريس ورفعه مكانا عليا فقال كعب
 اما ادريس قال الله اوحى اليه اني ارفع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم فاحب ان يزداد عملا فانه خليل لمن الملائكة فقال له ان
 الله اوحى الي كذا وكذا فكم لك ملك الموت فليؤخرني حتى ازداد عملا فلهذا بين جناحيه حتى صعد به الى السماء فكلما كان في السماء
 الرابعة تلقاهم ملك الموت متحذرا فكم لك ملك الموت في الذي كلفه ادريس فقال واين ادريس فقال هو ذا على ظهري قال ملك الموت
 فالجيب بعثت وقيل في اقبض روح ادريس (٢٠٤) في السماء الرابعة فجعلت اقول كيف اقبض روحه في السماء الرابعة وهو

في الارض فقبض روحه مثله
 فذلك قول الله ورفعه مكانا عليا
 هـ ذامن اخبار كعب الاحبار
 الاسرائيليات وفي بعضه نكارة
 والله اعلم وقد رواه ابن ابي حاتم من
 وجه آخر عن ابن عباس انه سأل
 كعبا فذكر نحوه ما تقدم غير انه قال
 لذلك الملائكة هل لك ان آله يسي
 ملك الموت كم يتي من اجلي لكي
 ازداد من العمل وذكرا بقيقه وفيه
 انه لم يسله عباقي من اجله قال
 لا ادرى حتى انظر فنظر ثم قال
 انك نسائي عن رجل ما يتي من
 عميره الا طرفه عيني فنظر الملك
 تحت جناحه فاذا هو قد قبض
 عليه السلام وهو لا يشعر به ثم
 رواه من وجه آخر عن ابن عباس ان
 ادريس كان خبايا فكان لا يفرز
 ابره الا قال سبحانه الله فكان يسمى
 حين يسمى وليس في الارض احد
 افضل علامته وذكرا بقيقه كالذي
 قبله او نحوه وقال ابن ابي شيخ عن
 مجاهد في قوله ورفعه مكانا عليا

فيقولون ما باله ذكر الاصنام بخير ثم رجع عن ذلك وقرى مرة بضم الميم وهما لقمة ان
 مشهورتان وظاهر كلام أبي البقاء انهما قراتان قال السجيني ولا يحفظ الهم هنا (حتى
 تأتهم الساعة) أي القيامة أو الموت (بغصة) أي خافة (أو يأتهم عذاب يوم عقيم)
 وهو يوم القامة لانه لا يوم بعده فكان هذا الاعتبار عقبا وهو في اللغة من لا يكون له ولد
 ولما كانت الايام تتوالى جعل ذلك كهيئة الولادة ولما يكن بعد ذلك اليوم يوم وصف
 بالعقم وقيل يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر قاله ابن عباس وعن أبي بن كعب نحوه وعن
 سعيد بن جبير وعكرمة مثله وعن مجاهد قال يوم القيامة لا لاله وعن الضحاك وسعيد
 مثله ايضا وقيل ان اليوم وصف بالعقم لانه لا راحة فيه ولا راحة فكم عقيم من الخير ومنه
 قوله تعالى فارسنا عليهم الريح العقيم أي التي لا خير فيها ولا تأتي بغير وفيه استعارة
 بالكناية بان شبه اليوم المنفرد عن سائر الايام والزمان الذي لا خير فيه بالنساء العقيم تشبيها
 مضرا في النفس واثبات العقم تخييل فان الايام بعضها تأتي بخير لبعض فكل يوم يلد مثله
 (الملك يومئذ) أي السلطان الظاهر والاستيلاء التام يوم القيامة والتسكين عوض عن
 الجلاء أي يوم يؤمنون أو يوم تزول حريتهم (الله) سبحانه وحده لا شريك له فيه ولا
 مدافع له عنه (يحكم) أي يفضل (بينهم) مستأنفة أو هي حاله ثم فسر هذا الحكم
 بقوله (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) كانوا (في جنات النعيم) مسقرون في
 أرضها منغمسون في نعيمها فضلا من الله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) أي جمعوا بين
 الكفر بالله والتكذيب بآياته (فأولئك لهم عذاب) مصنف بأنه (مبين) للمعذنين بالغ
 منهم المبلغ العظيم بسبب كفرهم (والذين هاجروا في سبيل الله) أفرد سبحانه المهاجرين
 بالذكور كتحصيصهم بزيد الشرف وتخييلهم الشأنهم قال بعض المفسرين هم الذين
 هاجروا من مكة الى المدينة وقال بعضهم الذين هاجروا من الاوطان في ميرة أو عسكر
 ولا يعد جمل ذلك على الامر من والكلى في سبيل الله وطاعته (ثم قالوا) وقرى مستندا

قال ادريس رفع ولم يترك فر عيسى وقال سفيان عن منصور عن مجاهد ورفعه مكانا عليا قال السماء
 الرابعة وقال العوفي عن ابن عباس ورفعه مكانا عليا قال رفع الى السماء السادسة فأتهم واهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال
 الحسن وغيره في قوله ورفعه مكانا عليا قال الجنة (أولئك الذين أتم الله عليهم من النعيم من ذرية آدم ومن جملنا مع نوح ومن ذرية
 ابراهيم واسرائيل ومن همدنا واجتينا اذا أتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) يقول تعالى هؤلاء الذين وليس المراد
 المذكورين في عند السور فقط بل جنس الانبياء عليهم السلام استطراد في ذكر الانبياء الى الجنس الذي أتم الله عليهم من
 النعيم من ذرية آدم الآية قال السدي وابن جرير رحمه الله فالذي عني به من ذرية آدم ادريس والذي عني به من جملنا مع نوح
 ابراهيم والذي عني به من ذرية ابراهيم اخنوخ يعقوب واسماعيل والذي عني به من ذرية اسرائيل موسى وهرون وذكرا بياجي

وعيسى بن مريم قال ابن جرير والذالك فرق أنساجهم وان كان يجمع جميعهم آدم لان فهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة
وهو ادريس فانه خندق (قلت) هذا هو الاطهر ان ادريس في عود نسب نوح عليه السلام وقد قيل انه من أبناء بنى اسرائيل
الخذلان خذبت الاسراء حيث قال في سلافة على النبي صلى الله عليه وسلم من خيالن التي الصالح والاخ الصالح ولم يقل والولد الصالح
كما قال آدم وابراهيم عليهما السلام وروى ابن أبي حاتم حديثا يونس أبناء ابا ن وهب أخبى ابن لهيعة عن يزيد بن حميد بن عبد الله
ابن عمرو بن ادريس أقدم من نوح فعنه الله الى قومه فامرهم ان يقولوا لا اله الا الله ويعملوا ما شاءوا فافادهم الله عن عروجل
وعما يؤيد ان المراد بهذه الآية جنس الانبياء انها كقوله تعالى في سورة الانعام وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ترفع درجات
من نسا امان ربك حكيم عليم وهو هبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا (٢٠٥) من قبل ومن ذريته داود وسليمان
وأيوب ويوسف وموسى وهرون
وكذلك فخرى الحسين
وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل
من الصالحين واسمعيلى واليسع
ويونس ولوطا وكلا فضلتا على
العالمين ومن آباءهم وذرياتهم
واخوانهم واجتنبناهم وهذا ما
الى صراط مستقيم الى قوله
أولئك الذين هدى الله فبهم
اقتدوه وقال سبحانه وتعالى منهم
من قصصنا عليهم ومنهم من لم
نقصص عليك وفي صحيح البخارى
عن مجاهد انه سأل ابن عباس
أفى صن سمعة فقال نعم ثم تلا
هذه الآية أولئك الذين هدى
الله فبهم اقتدوه فتبينكم
أمران يقتدى بهم قال وهو منهم
يعنى داود وقال الله تعالى في هذه
الآية الكريمة اذا تلى عليهم
آيات الرحمن خروا وسجدوا ويكأى
اذا سمعوا كلام الله المتضمن بحجبه

على التكثير (أو ماوا) في حال المهاجرة (ليرزقهم الله) جواب قسم محذوف (رزقا) أى
ممن رزقا (حسنا) أو مصدر مؤن كدوسه دليل على وقوع الجملة القسمية خبرا للمبتدا
ومن ثمة قوله من رزق والرزق الحسن هو نعيم الجنة الذى لا يقطع وقيل هو الغنى
لانه خلل وقيل هو العلم والفهم كقول شعيب ورزقى منه رزقا حسنا والتسوية في الوعد
بالرزق لا يدل على تفضل في قدر المعطى والتسوية فان يكن تفضل فن دليل آخر والمقرر
في كتب الفروع ان المقتول أفضل لانه شهيد وقد أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن
سليمان الفارسي انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من مات من ابطا
أجرى الله عليه مثل ذلك الاجر وأجرى عليه الرزق وأمن من القناتين اقرؤا ان شئتم
والذين هاجروا الى قوله حلیم (قلت) يؤيد هذا قوله سبحانه ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله وزوجه ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (وان الله له خير الرازقين) أى
أفضلهم فانه سبحانه يرزق بغير حساب بعض الاحسان وكل رزق يجري على يد العباد
بعضهم لبعض فهو منه سبحانه لا رازق سواه ولا معطى غيره والجملة تذييل مقرر لما قبلها
ولما ذكر الرزق أعقبه بذكر المسكن بقوله (ليدخلنهم مداخل رضوة) مستأنفة وأبدل
من جملة ليرزقهم الله قري بمدخل الميم وبضمها وهو اسم مكان أريد به الجنة أو مصدر
مبني مؤن كدلاله المذكور وقدم على الكلام على مثل هذا في سورة سبحانه وفي هذا من
الامتنان عليهم والتبشير لهم ما لا يقدر قدره فان المدخل الذى يرضونه هو الاوفى
لنفوسهم والاقر بالى مطلبهم على انهم يرون في الجنة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر وذلك هو الذى يرضونه وفوق الرضا (وان الله لعليم) بدرجات العالمين
ومراتب استحقاقهم وقبل بأحوال من قضى شححه مجاهدا وآمال من مات وهو ينتظر
معاهدا (حليم) عن تضيق المفطين منهم بامهال من قائلهم معاندا لايحاط لهم
بالعقوبة (ذلك) أى ما تقدم أو الامر ذلك وما بعده مستأنف وقال الزجاج أى الامر

ولذلك وراية سجود الرهبان خضوعا واستكانة جدوا شكر اعالى ما هم فيه من النعم العظيمة والى جميع بان فلهاذا أجمع العلماء
على شريعة النجود ههنا اقتداء بهم واتباع الموالاهم قال شفيان الثوري عن الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر قال قرأ عمر بن
الخطاب رضى الله عنه سورة من فوجدوا قال هذا النجود فابى البكر يريد البكار واما ابن أبي حاتم وابن جرير وسقط من روايته
ذكر أى معمر فبقار أى فآله أعلم (خلف) من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الامن تاب وآمن
وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) لما ذكر تعالى حرب السعداء وهم الانبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القاتلين
يحدو الله وأوامره المؤدبن فارتضى الله التاركين لزامه ذكر انه خلف من بعدهم خلف أى قرون أخرضاعوا الصلاة واذا
أضاعوا فاهم لها سواها من الواجبات أضيع لانها عماد الدين وقوامه وخير اعمال العباد وأقبلوا على شهوات الدنيا وما لها
ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بما أهملوا مسيلقون غيا أى خسارا يوم القيامة وقد اختلفوا في المراتب بأضاعة الصلاة ههنا فقال

قالون المراد بأصاعتهم أتركها بالكتابة قاله محمد بن كعب القرظي وابن زبير بن أسلم والسدي وأختاره ابن خزيمة وله بداهة من ذهب من السلف والخلف والأئمة كأهو المشهور عن الإمام أحمد وقول عن الشافعي على تكفيره ترك الصلاة للحديث بين العدد وابن الشريك ترك الصلاة والحديث الآخر العهد الذي ينابو بينهم الصلاة في تركها فقد كفر وليس هذا محل بسط هذه المسئلة وقال الأوزاعي عن موسى بن عثمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال إنما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا وقال وكيع عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود أنه قيل له إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن الذين هم عن صلاتهم ساهون وعلى صلاتهم دائمون وعلى صلاتهم يتحافظون فقال ابن مسعود على مواقفتها قالوا ما كنا نرى ذلك الأعلى ترك قال ذلك (٢٠٦) الكفر وقال مسروق ليحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين

وفي أفراطهن الهلكة وأفراطهن
أضاعتن عن وقتن وقال
الأوزاعي عن إبراهيم بن يزيد
إن عمر بن عبد العزيز قرأ خلف
من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات فسوف يلقون
عياثم قال لم تكن أضاعتهم تركها
ولكن أضاعوا الوقت وقال ابن
أبي شيح عن مجاهد خلف من
بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات قال عند قيام
الساعة وذهب صالحى أمة محمد
صلى الله عليه وسلم بنزول بعضهم
على بعض في الأزقة كذا روى ابن
جرير عن مجاهد ثم روى جرير
الجعفي عن مجاهد وعكرمة وعطاء
ابن أبي رباح أنهم من هذه الأمة
يعنون في آخر الزمان وقال ابن
جرير حدثني الحرث حدثنا
الحسن الأشيب حدثنا شريك عن
إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد خلف
من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات قال هبني هذه

ما قصصنا عليكم من احتجاز الوعد للمهاجرين خاصة اذا قتلوا أو ماؤا فلهو على هذا خبر
مستداحذوف (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه والعقاب
مأخوذ من التعاقب وهو مجيء الشيء بعد غيره وحينه تدبسي الابتداء عقيب ما يسام الخزاء
مشاكلة كقوله وحراسته سنة ثنها وقوله في اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل
ما اعتدى عليكم أو من قيل تسمية السبب باسم المسبب والعقوبة في الأصل أي تكون
بعد فعل تكون جزاء عنه والمراد بالثلمة أنه اقتصر على المقدار الذي ظلم به ولم يزد عليه عن
أب جرير قال تعاون المشركون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه فأخرجوه
فوعده الله أن ينصره وهو في القصص أيضا (ثم بقي عليه) أي أن الظالم في الأبداء
عاوده المظلمة بعد تلك المظلمة الأولى وقيل المراد بهذا البقي هو ما وقع من المشركين من
ازعاج المسلمين من أوطانهم بعد أن كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وقيل المعنى ثم كان
المجازي مبغيا عليه أي مظلوما ومعنى ثم تفاوت الرتبة لأن الابتداء بالقتال معه نوع ظلم كما
قيل في أمثال العرب البادئ أظلم وقيل إن هذه الآية مبدئية وهي في القصص والحجرات
(لينصره الله) اللام جواب قسم محذوف أي والله لينصر الله المبغى عليه على الباطي
(إن الله لعفو غفور) أي لكثير العفو والغفران للمؤمنين فيما وقع منهم من الذنوب أو
القتال في الشهر الحرام وقيل العفو والغفران لما وقع من المؤمنين من ترجيح الانتقام على
العفو (ذلك بأن الله يولي الليل في النهار ويولي النهار في الليل) إشارة إلى ما تقدم من
نصر الله سبحانه للمبغى عليه والباء السببية أي ذلك النصر بسبب أنه سبحانه قادر ومن
كمال قدرته يلاجل الليل في النهار والنهار في الليل قاله الرازي وقال البيضاوي قادر على
تقليب الأمور بعضها على بعض جارية عادته على المداول بين الأشياء المتعاقبة وغيره عن
الزياد بالايلاج لأن زيادة أحدهما تنظم نقصان الآخر وقيل يجعل ظلمة الليل مكان
ضياء النهار وذلك بغيوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بظهور الشمس

[illegible]

فإن الله يقبل توبته ويحسن عقابه ويجعل من ورثة الجنة الغرم ولهذا قال فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها وفي الحديث الآخر التائب من الذنب كمن لا ذنب له وهذا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم التي عملوها شيئا ولا يؤاخذوا بما عملوا قبلها فينقص لهم عما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرًا وتركبوا فيه ما ذهب بجحائس كرم الكرم وحل الحليم وهذا الاستثناء هنا كقوله في سورة الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتولوا النفس التي حرم الله الإباحة إلى قوله وكان الله غفورًا رحيماً (جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب أنه كان وعداً مأمناً لا يسمعون فيها الغوا إلا سلاماً ولهم فيها ما يكرهون غيباً تلك الجنة التي نورث من عباده من كان تقياً) يقول تعالى الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أي أقالمة التي وعد الرحمن عباده بظهور الغيب أي هي (٢٠٨) من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه وذلك لشدته بإقائهم وقوة إيمانهم

وقوله انه كان وعده مأثماً تأكيد
لحصول ذلك وثبوت واستقراره
فان الله لا يتخلف الميعاد ولا يبدله
كقوله وكان وعده مفعولاً أى
نكاحاً لا محالة وقوله ههنا مأثماً أى
العباد صائرون اليه وسأثوته ومنهم
من قال مأثماً بمعنى أتملان كل
مأثماً لقد أثمته كقول العرب
أنت على خمسون سنة وأثبت
على خمسين سنة كلاهما بمعنى
واحد وقوله لا يسمعون فيها لقوا
أى هذه الجنات ليس فيها كلام
ساقط نافله لمعنى كما قد وجدنى
الدنيا وقوله الاسلام استثناء
منقطع كقوله لا يسمعون فيها لقوا
ولا تأثماً الاقلام اسلاماً سلاماً
وقوله ولهم زلفهم فيها بكرة وعشيا
أى فى مثل وقت البكرات ووقت
العشيات لان هناك ليلاً ونهاراً
ولكنهم فى أوقات تعاقب يعرفون
مضيها وضوءها وأثر كمال
الامام أحمد حديثاً عند الزاقي

حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة جنانا
اقسم ليه البدر لا يصقون فيها ولا يخطون فيها ولا يتخطون أن يتهمهم وأمشاطهم الذهب والقضة ومجامرهم الالوة ووشحهم
المسلك ولكل واحد منهم زوجتان يرى شفاعتهما وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قالوا هم على قارب رجل واحد
يسبحون الله بكرة وعشيا أخرجاه في الصحيحين من حديث معمر بن وهب قال الامام أحمد حدثنا عبيد بن حماد حدثنا أبي عن ابن اسحق حدثنا
الحريث بن فضال الانصاري عن محمود بن لبيد الانصاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر
يباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا تقربه أحد من هذا الوجه وقال الضحاك عن ابن عباس ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا قال، وقادرا لال، والتمار وقال ابن جرير حدثنا علي بن مهسل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد

عن قول الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال ليس في الجنة قليل هم في زباد اولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل
بارخاء الحب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحب وبفتح الابواب وهذا الاسناد عن الوليد بن مسلم عن خليفه عن
الحسن البصري وذكر ابواب الجنة فقال ابواب يرى ظاهرها من باطنها فتنكم وتكلم فيفهمهم انتم حتى تغلق فتقول وقال قتادة
في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيها سعاقتان بكرة وعشى ليس ثم ليل ولا نهار وانما هو ضرب ونور وقال مجاهد ليس بكرة
ولا عشى ولكن يؤتون به على ما كانوا يشهون في الدنيا او قال الحسن وانهما غيرهما كانت العرب الانعم فيهم من يتعدى ويتعشى
فذل القرآن على ما في انفسهم من النعم فقال تد الى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وقال ابن مهدي عن جابر بن زيد عن همام عن
الحسن ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال البكور يرد على العشى والعشى يرد (٢٠٩) على البكور ليس فيها ليل وقال ابن ابي حاتم
حدثنا علي بن الحسين حدثنا

سليمان بن منصور بن عمار حدثني
ابي حدثني محمد بن زباد قاضي اهل
سماط عن عبد الله بن حدير عن
ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من غداة من غدوات الجنة
وكل الجنة غدوات الا انه ينزل الى
ولي الله فيها زوجة من الخور العين
ادناهن التي خلقت من الزعفران
قال ابو محمد هذا حديث غريب منكرو
وقوله تلك الجنة التي نورث من
عبادنا من كان تقيا أي هذه الجنة
التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة
هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم
المطيعون لله عز وجل في السراء
والضراء والكاظمون الغيظ
والعافون عن الناس وكما قال تعالى في
أول سورة المؤمنين قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون الى
أن قال أولئك هم الوارثون الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون

جابر ابل لم تكنوا شيئا (ثم عيسى) عند انقضاء اعماركم (ثم عيسى) عند البعث
للعساب والعقاب (ان الانسان لكفور) أي لكثير الجود انعم الله عليه مع كونه
ظاهرة غير مستترة ولا ينافي هذا خروج بعض الافراد عن هذا الجدل ان اراد وصف جميع
الجنس بوصف من يوجد فيه ذلك من افراده بالغة وعن الحسن في قوله كفور قال يعد
المصداق ونسبى التميم ثم عدا سبحانه الى بيان أمر التكليف مع الزجر لمعاصري رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الاديان عن منازعته فقال (لكل أمة جعلنا منسكا)
أي لكل قرن من القرون الماضية والباقيت وضعنا شريعة خاصة بحيث لا تتخطى أمة منهم
شريعة المعينة لها الى شريعة أخرى لا استقلال ولا اشتراكا وقيل عيدا وقيل موضع
قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (هم ناسكوه) الضمير لكل أمة أي تلك الامم تهوى
العاملة به لا غير هاف كانت التوراة منسك الامم التي كانت من مبعث موسى المبعث
عيسى والانجيل منسك الامم التي كانت من مبعث عيسى الى مبعث محمد صلى الله عليه
وآله وسلم والقرآن منسك المسلمين الى يوم القيامة والمنسك مصدر لا اسم مكان كما يدل عليه
هم ناسكوه ولم يقل ناسكون فيه وقيل هو الذناب والوجه للتخصيص ولا اعتبار بخصوص
السبب (فلا تزارعوا في الامر) القائل ترتيب النبي على ما قبله والضمير راجع الى
الامم الباقية آثارهم يعني قد عينا لكل أمة شريعة ومن جملة الامم هذه الامم المتحدة وذلك
موجب لعدم منازعة من بقي منهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومستلزم لطاعتهم اياه
في امر الدين والنهي ام على حقيقة نفسه أو كناية عن نهيهم صلى الله عليه وآله وسلم عن
الامتثال الى زراعهم له قال الزجاج انه نهي له صلى الله عليه وآله وسلم عن منازعته
أي لا تزارعهم انت كما تقول لا يخاصمك فلان أي لا تخاضه وكما تقول لا يخاصمك فلان
أي لا تضاربه وذلك ان المفاعلة تقتضي العكس ضمنا ولا يجوز لا يضر منك فلان وأنت
زيد لا تضربه وحكي عن الزجاج انه قال في معنى الآية فلا يزارعك أي فلا يجادلنك قال

(٢٧ - فتح البيان سادس) (وما تنزل الامم ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات
والارض وما بينهما قاعبده واصطبر لعباده هل تعلم له سميا) قال الامام أحمد حدثنا يعلى ووكيع قال احمد ثنا عمر بن ذر عن ابيه عن
سعد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرائيل ما عنك ان تزورنا أكثر مما تزورنا قال فزالت وما تنزل
الامم ربك الى آخر الآية انقر دباخر اجه البخارى فرواه عنه تفسير هذه الآية عن أبي نعيم عن عمر بن ذر به ورواه ابن ابي حاتم وابن
جرير عن حديث عمر بن ذر به وعندهما زيادة في آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال العوفي عن ابن عباس
احتبس جبرائيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ورحل فأتاه جبرائيل فقال يا محمد
وما تنزل الامم ربك الآية وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد صلى الله عليه وسلم انقضى عشر قليله ويقولون أقل فلما جاءه قال

يا جبريل لقد رثت عني حتى ظن المشركون كل ظن فزلزلت وما تنزل الابرار ربك الآية قال وهذه الآية كالتى فى الضحى وكذلك قال الضحاك بن مزاحم وقائدة السدى وغير واحد انهم نزلت فى احتباس جبريل وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال ابطأ جبريل انزل رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين يوماً ثم نزل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما نزلت حتى اشتقت اليك فقال له جبريل بل انا كنت اليك أشوق ولكنى مأموراً فأتى الله ابراهيم بن ابي جبرائيل ان قل له وما تنزل الابرار ربك الآية رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب وقال ابن أبي حاتم حدثنا جدين ستان حدثنا أبو معاوية حدثنا الامش عن مجاهد قال ابطأت الرسل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتاه جبريل فقال له ما حبسك يا جبريل فقال له جبريل وصيكت نأتىكم وأنتم لا تقصون اظفاركم ولا تنقون براجمكم ولا تأخذون شواربكم ولا تستأكون (٢١٠) ثم قرأ وما تنزل الابرار ربك الى آخر الآية وقد قال الطبراني

ودل على هذا وان جادلوك وقرئ فلا ينزعك فى الامر اى لا يستخفك ولا يغلبك على دينك وقرأ بالجمهور فلا ينزعك من المنازعة كما تقدم وقال ابن عباس هدم ناسكوه اى ذابجوه فلا ينزعك فى الامر اى فى الذبح وعن عكرمة ومجاهد بن جهم وعن مجاهد قال قول الله الشرك امام ذبح الله يمينه فلا تأكلوه وامام ذبحتم بايدكم فهو حلال (وادع) هؤلاء المنازعين وادع الناس على العموم (الى) دين (ربك) وتوحيد الله والايان به (الملك اعلى هدى) اى طريق (مستقيم) لا اعوجاج فيه (وان جادلوك) اى وان ابوا الاجل بالبعد البيان لهم وظهور الحجج عليهم (فقل الله اعلم بما تعملون) فكل امرهم الى الله وقل لهم هذا القول المشغل على الوعيد (الله يحكم بينكم) اى بين المسلمين والكافرين (يوم القيامة فيما كنتم فيه مختلفون) من امر الدين فيبين حقائق الحق من الباطل وفى هذه الآية تعليم لهذه الامة بما ينبغي لهم ان يجيبوا به من اراد الجدل بالباطل وقيل انها منسوخة بآية السيف وهذا انما يصح اذا كان المراد من قوله وان جادلوك الكذب عن قتالهم وهو غير متعين بل يصح ان يكون المعنى فانزل جدالهم وفوض الامر الى الله فيكون هذا ما وعد الله على اعمالهم وهذا المعنى لا نسخة آية السيف بل هو باق بعد مشروعية القتال لهدم المفااة (المعلم) مستأنفة مقرر انهم ماقبلها والاستفهام للمقري رأى قد علمت بالجدوى تفتت (ان الله يعلم ما فى السماء والارض) ومن جملة ذلك ما كنتم عليه من الاختلاف (ان ذلك) الذى فى السماء والارض من معلوماته (فى كتاب) اى مكتوب عنده فى ام الكتاب اخرج ابن ابي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ مسجوداً مائة عام وقال للعلم قبل ان يخلق الخلق وعو على عرشه كتب فارما كتب قال على فى خلقى اى يوم تقوم الساعة فخرى القلم بما هو كائن فى علم الله الى يوم القيامة فذلك قوله سبحانه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض يعنى ما فى السموات السبع والارض السبع ان ذلك

حدثنا أبو عامر الحموى حدثنا محمد بن ابراهيم الصوري حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا اسمعيل بن عباس اخبرني ثمانية بن مسلم عن أبي كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبرائيل ابطأ عليه فذكر له ذلك فقال وكيف وأنت لا تستنون ولا تقفون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون براجمكم وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي اليمان عن اسمعيل بن عباس عن ابن عباس بنحوه وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن جعفر بن سليمان حدثنا المغيرة بن حبيب عن مالك بن دينار حدثني شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصلحى لسا المجلس فانه ينزل ملك الى الارض فينزل اليها قاط وقوله ما بين أيدينا وما خلفنا قيل المراد بما بين أيدينا من الدنيا وما

خلفنا من الآخرة وما بين ذلك ما بين الفتيحة هذا قول أبي العباس وغيره وقائدة جبريل وقائدة فى رواية عنهما العلم والسدى والريبع بن أنس وقبل ما بين أيدينا ما يستقبل من أمر الآخرة وما خلفنا أى ما مضى من الدنيا وما بين ذلك أى ما بين الدنيا والآخرة يرى بنحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبريل والفصالح وقائدة ابن جريج والنورى واختار ابن جبريل أيضاً والله أعلم وقوله وما كان ربك نسياً قال مجاهد والسدى معناه ما نسيتك ربك وقد تقدم عنه ان هذه الآية كقوله والضحى والليل اذا سجي ما ودعك ربك وما قلى وقال ابن ابي حاتم حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي حدثنا محمد بن عثمان بن ابي الجاهر حدثنا اسمعيل بن عباس حدثنا عاصم بن ربيعة بن خيرة عن أبيه عن أبي الدرداء رفعه قال ما حل الله فى كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته قال الله لم يكن لى شياً ثم تلا هذه الآية وما كان ربك نسياً وقوله رب السموات

والارض وما بينهما أى خالق ذلك ولم يدبره والحاكم فيه والمتصرف الذى لا معقب لحكمه فاعبدوه واصطبروا لعبادته هل تعلم له سفيا
قال عن بن ابي طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلاً أو شيئاً وكان قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريح
وغيرهم وقال عكرمة عن ابن عباس ايسر أحديس يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه (ويقول الانسان أنذا ماتت لسوف
اخرج حيا ولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك نخشركمهم والشياطين ثم نخشركمهم حول جهنم جثيا
ثم لننزعن من كل شيعة إليهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنخن أعلم بالذين هم أولى بها صابا) يخبر تعالى عن الانسان انه يتعجب ويستعجب
اعادته بعد موته كما قال تعالى وان تعجب فتعجب قولهم انذا كذا باننا اتاقي خلق جديد وقال اولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم (٢١١) قل يحيى الذى أنشأهأول مرة وهو

بكل خلق علم وقال ههنا ويقول
الانسان أنذا ماتت لسوف اخرج
حيا ولا يذكر الانسان أنا خلقناه
من قبل ولم يك شيئا يستدل تعالى
بالبداءة على الاعادة يعنى انه تعالى
قد خلق الانسان ولم يك شيئا أقلا
يعيده وقد صار شيئا كما قال تعالى
وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
أهون عليه وفى الصحيح بقول الله
تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له أن
يكذبى وذالى ابن آدم ولم يكن له
أن يؤذنى أمانتك ذبيه اياى فقول
لن يعيدنى كما فى وليس أول
الخلق باهون على من آخره وأما
اذا اى اى فقول ان لى ولدا وأنا
الاحد المصدا الذى لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا أحد فقوله فوربك
لنخشركمهم والشياطين أقسم الرب
تبارك وتعالى بنفسه السكرانة انه
لا يذنب يخشركم جميعا وشياطينهم
الذين كانوا يعبدون من دون الله ثم
لنخشركمهم حول جهنم جثيا قال

العلم فى كتاب يعنى فى اللوح المحفوظ مكتوب قبل ان يخلق السموات والارضين (ان ذلك
يعنى ان الحكم من الله سبحانه بين عباده فيما يختصون فيه على الله يسير) أى هين
أو ان احاطة علمه بعمى اسماء الارض جله وتفصيل ليسير عليه وان تعد ذرعى الخلق
(ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا) هذا حكاية بعض فضائحهم أى أنهم
يعبدون مالم يتسكروا فى عبادتها بحجة تيرة من الله سبحانه فهو نفي للدليل السمعى (وما
ليس لهم به علم) من دليل عقلى يدل على جواز ذلك بوجه من الوجوه (وما للظالمين
بالإشراك) (من نصير) ينصرهم ويدفع عنهم عذاب الله وقد تقدم الكلام على هذه
الآية فى آل عمران (واذ أتتلى عليهم آياتنا) من القرآن (ينفث) أى حال كونها
واضحات ظاهرة الدلالة (تعرف وجوه الذين كفروا المنكر) أى الامر الذى
يشكر وهو غضبهم وعبوسهم عندهم معاها والمراد بالإنكار الإنكار أى تعرف وجوههم
إنكارها والمنكر مصدر وقيل هو التخيير والترفع وهذا من ايقاع الظاهر موقع المضمر
للمادة عليهم وصف الكفر (يكادون يسطون) السطو الوثب والبطش والسطوة
سدة البطش يقال سطاهه بسطوا اذا بطش به بضرب أو شتم أو أخذ باليد وأصل السطو
التقهر وقال ابن عباس أى يسطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) هم النبى صلى الله
عليه وآله وسلم وأصحابه رضى الله تعالى عنهم والجملة مستأنفة كأنه قيل ما ذلك المنكر
الذى يعرف وجوههم فقول يكادون يسطون وهكذا ترى أهل البدع المضلة اذا جمع
الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز أو من السنة الصحيحة مخالفا لما
اعتقده من الباطل والضلالة رأيت وجهه من المنكر ما لو عكن من ان يسطو بذلك
العالم لفعل به ما لا يقع له بالمشرىين وقد رأينا وسعنا من ذلك من أهل البدع ما لا يحيط به
الوصف والله ناصر الحق وظهير الدين ومدحض الباطل ودامغ البدع وحافظ المتكلمين
بما أخذ عليهم المبين للناس ما نزل اليهم وهو حسبتنا وقع الوكيل ثم أمر رسوله ان يرد عليهم

العرفى عن ابن عباس يعنى قعودا كقوله وترى كل أمة جاثية وقال السدي فى قوله جثيا يعنى قياما وروى عن مرة عن ابن مسعود
مثله وقوله ثم لننزعن من كل شيعة يعنى من كل أمة قاله مجاهد أنهم أشد على الرحمن عتيا قال الثوري عن علي بن الاقرع عن أبي
الاحوص عن ابن مسعود قال يجلس الاول على الآخر حتى اذا تكلمت العدة أنهم جميعا ثم يدأ بالأكبر فالأكبر جرم ما هو وقوله
ثم لننزعن من كل شيعة أنهم أشد على الرحمن عتيا قال ثم لننزعن من أهل
كل دين فادتهم ورؤسأهم فى الشر وكذا قال ابن جرير وغير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى حتى اذا داركوا فاجها بجأ قالت
اخرهم لا ولاهم بنا هؤلاء أضلونا فافاتهم عذابا مضاعفا قالوا نرى قولهم تكسبون وقوله ثم لنخن أعلم بالذين هم أولى بها صابا
ثم نهم العطف الخبير على الخبر والمراد انه تعالى أعلم من يستحق من العباد ان يصلى بنار جهنم ويخلفها ويمن يستحق تضعيف العذاب

كما قال في الآية المتقدمة قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون (وان منكم الاواردها كان على ربك حتما مقضيا ثم نجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جحима) قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا عبد الله بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي حمزة قال اخلفنا في الزور ودقنا ليردونها جميعا ومؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم نجي الله الذين اتقوا فقلت جابر بن عبد الله نقلت له اننا اخلفنا في الزور ودقنا ليردونها جميعا وقال سليمان مرتد دخلون جميعا وأخروا بضيعه الى اذنيه وقال حسان لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبي رولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان النار خبيها من ردهم ثم نجي الله الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جحما غريب ولم يخرجوه وقال الحسن بن عوف قد ثنا مروان بن معاوية عن بكر بن أبي مروان عن خالد بن معدان (٢١٢) قال قال اهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة الى بعد نارتنا الزور ودعي النار

قال قد مررت عليها وهي خادمة وقال عبد الرزاق عن ابن عبيدة عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضعرا في حجر امرأته فبكى فبكى امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكيت قال اني ذكرت قول الله عز وجل وان منكم الاواردها فلا أدري أن أخبر اسماهم لا وفي رواية وكان مريضا وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي اسحق كان أبو ميسرة اذا أوى الى فراشه قال يا ليت ابي لم تلدني ثم يبكي فقبل له ما يبكيك يا أبا ميسرة فقال اخبرنا انا واوردها ولم يخبرنا انا صادر عن عنها وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال قال رجل لاختيه هل نالك بانك واد النار قال نعم قال فهل اتاك انك صادر عن اهل لا قال ففهم الضحك قال فما روي ضاحكا حتى لحق بالله

فقال (قل انا نبئكم) أي أخبركم (بشئ من ذلكم) الذي فيكم من الغيظ على من يتلو عليكم آيات الله وقاربتكم للثوب وهو النار التي (وعدها الله الذين كفروا) وقيل المعنى افأخبركم بشئ مما يلحق نالي القرآن منكم من الاذى والوعدهم والتوب عليهم وقرئ النار بالحر كالتثلاث (ويش المصير) أي الموضع الذي يصيرون اليه وهو النار (أيها الناس ضرب مثل) هذا متصل بقوله ويعبدون من دون الله وانما قال ضرب مثل لان حجج الله عليهم بضرب الامثال لهم أقرب الى افهامهم قال ابن عباس نزلت في صنم قال الاخفش ليس ثم مثل وانما المعنى ضربوا الى مثلا قال النحاس المعنى ضرب الله عز وجل لما يعبدون من دون مثلا قال وهذا من أحسن ما قيل فيه أي بين الله لكم شيا ولعبدوكم وقال القتيبي معنى ضرب مثل أي عبدت آلهة لم تستطع ان تخلق ذبا وأصل المثل جملة من الكلام متلفعا بالرضاء والقبول مسير في الناس مستغربة عندهم وجعلوا لضرهم امثالا لوردها ثم قد يستعبرونها بالقصة أو اخاله أو الصفة المستقرة بتركها امثاله لها في الغربة كهمزة القصة المذكورة في هذه الآية (فاستعواها) أي لضرب هذا المثل وتدبره وحق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعلل لا ينفع والمعنى ان الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غير فكأنه قال جعلوا في شبيها في عبادتي فاستعوا خبر هذا التشبه ثم بين حالها وصفتها فقال (ان الذين تدعون من دون الله المراد بهم الاصنام التي كانت حول الكعبة وغيرها وقيل المراد بهم السادة الذين صرفوهم عن طاعة الله لكونهم أهل الحل والعقد فهم وقيل الشياطين الذين جالوهم على معصية الله والاول اوفق بالمقام واطهر في التمثيل (ان يخلقوا ذبابا) واحدا مع ضعفه وصغره وقتله وهو اسلم للواحد يطلق على الذكر والانثى وجمع القملة اذ به والاكثرة ذباب بالكسر مثل غراب وأغربة وغربان وبالضم كضبان وقال الجوهري الذباب معروف الواحد ذبابة وهي ذبابا لانه كلما ذب لاستفاد آت لا يستبكاره ولنأ كيد الانبي المستقبل ونأ كيدنا

وقال عبد الرزاق أيضا أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس يخاف من نافع بن الأزرق فقال ابن عباس الزور والادخول فقال نافع لا فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ووردها لا واد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ووردها لا اما انا واثقت فستدخلها فانظر دخل فخرج منها لا أما اني أرى يخرجك منها بيكذبيك فضحك نافع وروي ابن جرير عن عطاء قال قال أبو راشد الخروزي وهو نافع بن الأزرق لا يستعفون حسيما فقال ابن عباس وبأن لا تخشون انت أم قولك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ونسوق الجرحمين الى جهنم ووردها وان منكم الاواردها والله ان كان دعاء من مضى اللهم أخرجني من النار سالما وأدخلني الجنة تائما وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد الحارثي حدثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأنار رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن

عباس أرايت قول الله وان منكم الاواردها كان على ربك حقا مقضيا قال اما نأنت يا ابا راسد فسردها فانظر هل تصد عن ام لا
وقال ابو داود الطيالسي قال شعبة واخبرني عبد الله بن السائب عن سمع ابن عباس يقرؤها وان منهم الاواردها يعني الكفار وهكذا
روي عمر بن الوليد البستي انه سمع عكرمة يقرؤها كذلك وان منهم الاواردها قال وهم الظلمة كذلك كما تقرأها رواه ابن ابي حاتم
وابن جرير وقال العوفي عن ابن عباس قوله وان منكم الاواردها يعني البروا فاجاز الا تستمع الى قول الله لفرعون يقدم قوم يوم
القيامة فاوردتهم النار الالية ونسوق الجحش الى جهنم ورد افعى الورود في النار دخولا ليس يصادر وقال الامام احمد حدثنا
عبد الرحمن عن اسرائيل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود وان منكم الاواردها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
برد النار كلهم ثم يصدرون عن ابا اعمالهم ورواه الترمذي (٢١٣) عن عبد بن جعد عن عبيد الله عن اسرائيل

عن السدي به ورواه من طريق
شعبة عن السدي عن مرة عن ابن
مسعود عن فروعا هكذا وقع هذا
الحديث ههنا عن فروعا وقد رواه
اسباط عن السدي عن مرة عن
عبد الله بن مسعود قال يرد الناس
جميعا الصراط وورودهم قيامهم
حول النار ثم يصدرون على الصراط
باعمالهم ففهم من ير مثل البرق
ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من
يمر مثل الطير ومنهم من يمر كاجود
الخيل ومنهم من يمر كاجود الابل
ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى ان
آخرهم من ارجل نوره على موضع
ابى اى قدميه يمر فيسكنه الصراط
والصراط دحض من رآه عليه حسك
كحسك القناد حقا منه ملائكة معهم
كلايب من نار يحيطون بها
الناس وذكروا الحديث رواه
ابن ابي حاتم وقال ابن جرير حدثنا
خالد بن مسلم حدثنا النضر
حدثنا اسرائيل اخبرنا ابا اسحق

للدلالة على ان خلق الذناب منهم مستحيل كانه قال محال ان يخلقوا ويختصص الذناب
لمهائنه واستقداره والمعنى ان يقدر واعلى خلقه مع كونه صغير الجسم حقير الذات وهو
أجهل الحيوانات لانهم يرى نفسه في المملكات ومدة عيشه أربعون يوما وأصل خلقته
من العفونات ثم توالد بعضها من بعض يقع روثه على الشيء الأبيض فيرى أسود وعلى
الأسود فيرى أبيض (ولو اجتمعوا) أى خلق الذناب والتقدير ان يخلقوه على كل حال
ولو في هذه الحالة المتضمنة لجمعهم فكأنه تعالى قال ان هذه الاصنام ان اجتمعت لا تقدر
على خلق ذنابه على ضعفها فكيف ياتى بما قال جعلها معبودا كما أشار اليه
في التقرير ثم بين سبحانه كمال عجزهم وضعف قدرتهم فقال (وان يسلمهم الذناب شيئا
لا يستندون منه) أى اذا أخذوا ختمت منهم هذا الخلق الاقل الاذل شيئا من الاشياء
بسرعة لا يقدر على تحصيله منه لجزل عجزهم وفقر ضعفهم والاستنقاذ والانتقاذ
التخلص واذا عجزوا عن خلق هذا الحيوان الضعيف وعن استنقاذ ما أخذهم منهم فهم عن
غيره مما هو أكبر منه جرموا واشد منه قوة أعجزوا وضعف قال عكرمة أى لا تستنقذ الاصنام
ذلك الشيء ثم نجس سبحانه من ضعف الاصنام والذناب فقال (ضعف الطالب والمطلوب)
فالصم كالطالب من حيث انه يطلب خلق الذناب أو يطلب استنقاذا ما سلبه منه والمطلوب
الذناب وهذا كالنسوية بينهم وبين الذناب في الضعف ولو حقق وجد الطالب أضعف
فان الذناب حيوان وهو جاد وهو غالب وذلك مغلوب وقيل الطالب عابد الصم والمطلوب
الصم قال ابن عباس الطالب ألهمهم والمطلوب الذناب ثم بين سبحانه ان المشركين الذين
عبدوا من دون الله آلهة عاجزة الى هذه الغاية في العجز ما عرفوا الله حق معرفته فقال
(ما قدر الله حق قدره) أى ما عظموه وحق تعظيمه ولا عرفوه حق معرفته حيث جعلوا هذه
الاصنام شركا له مع كون حالها هذا الحال وقد تقدم في الانعام (ان الله لقوى) على خلق
كل شيء (عزيز) غالب لا يغلبه أحد بخلاف آلهة المشركين فانهم اجماد لا يعقل ولا ينفع

عن ابي الاحوص عن عبد الله قوله وان منكم الاواردها قال الصراط على جهنم مثل حد السيف ففقر الطبقة الاولى كالبرق
والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهايم ثم يرون والملائكة يقولون اللهم سلم وسلم ولهذا اشروا هدفى الصحابين
وغيرهم ان رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وقابور وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن
عليه عن الجري عن ابي السليك عن غنيم بن قيس قال ذكرنا ورود النار فقال كعب بن مالك النار الناس كأنهم امتن االة حتى يستوى
عليها أقدام الخلائق برهم وقابورهم ثم يناديهم ائمة ان امسكي أعقابك ودعي أعقابى قال فتحسف بكل ولى لهاهى أعلم بهم من الرجل
بوايده يخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عود ذو شعبتين يدفع به
الدفع فيصرع به في النار سبع مائة ألف وقال الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثنا الاعمش عن ابي سفيان عن جابر عن أم مبشر

عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أني لأرجو أن لا يدخل النار أن شئت الله أحد شهيد دراو الخديعة قالت فقلت أليس الله يقول وإن منكم إلا ورجا قالت فسمعت يقول ثم نجي الذين اتقوا وبذر الظالمين فيها جحيا وقال أحدنا أيضا حدثنا ابن ادريس حدثنا الاعشى عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر أم آذر بن حارة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة فقال لا يدخل النار أحد شهيد دراو الخديعة قالت حفصة أليس الله يقول وإن منكم إلا ورجا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نجي الذين اتقوا الآية وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد نفسه النار الا تحلة القسم وقال عبد الرزاق قال معمر بن ربيعة عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة

(٢١٤)

الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة

ولا يضر ولا يقدر على شيء ثم أراد سبحانه أن يرد عليهم ما عفت قدونه في النبوات والالهييات فقال (الله يصطفى من الملائكة رسلا) بجبريل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل والحفظة (و) يصطفى أيضا رسلا (من الناس) وهم الانبياء فيرسل الملك الى النبي والنبي الى الناس أو يرسل الملك بعض أرواح مخلوقاته أو لتحصيل ما شفعه أو لزال العذاب عليهم أخرج الحاكم وصححه عن عكرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله اصطفى موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة وأخرج عن أنس وصححه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال موسى بن عمران صني الله قال المحلى نزل ما قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا أي وليس بكبرنا ولا شرفنا قال القائل هو الوليد بن المغيرة ووجه مناسب في هذه الآية لما قبلها الله لما ذكر ما يتعلق بالالهييات ذكره ناما يتعلق بالنبوات وقال الرازي ووجه المناسبة انه لما أبطل فيما قبلها عبادة الاوثان أبطل ههنا عبادة الملائكة (ان الله سمع) لا أقوال عباده (بصر) بين يختاره من خلقه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما قدموا من الاعمال وما يتركونه من الخير والشر كقوله تعالى وتكتب ما قدموا وآثارهم وقبل ما مضى ولم يأت وقيل ما عملوا وما سمعوا له وأمر الدنيا وأمر الآخرة (والى الله) لا الى غيره (ترجع الامور) لما تضمن ما ذكر من ان الامور ترجع اليه الزهري لعباده عن معاصيه والحض لهم على طاعته صرح بالقصود فقال (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) أي صلوا الصلاة التي شرعها الله لكم لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود ونخص الصلاة لكونها أشرف العبادات ثم عزم فقال (واعبدوا ربكم) أي افعوا جميع أنواع العبادة التي أمركم الله بها وقيل وجده (وافعلوا الخير) أي ما هو خير وهو أعم من الطاعة الواجبة والمندوبة وقيل المراد بالخير هذه المندوبات ثم علل ذلك بقوله (لعلكم تفلحون) أي اذا فعلتم هذه كما راها رجوع الفلاح وفي هذا إشارة الى ان دخول الجنة ليس من تبعاعى هذه الاعمال مثلا بل هذه أمور كفتها الله بها شرعا وأما قبولها فشيء

اللاتحله القسم قال الزهري كما يريد هذه الآية وإن منكم إلا ورجا كان على ربك حتما مقضيا وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلبي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جهم حدثنا اسمعيل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنامعه ثم قال ان الله تعالى يقول هي ناري اسلطها على عبيدي المؤمن ليكون حظه من النار في الآخرة غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو الهيثم عن عثمان ابن الاسود عن مجاهد قال المحلى

حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وإن منكم إلا ورجا وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زيان بن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد حتى يحتملها عشر مرات بنى الله له قصر في الجنة فقال عراد ان استكثر بار رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر وأطيب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية في سبيل الله كتب الله له بها عشر حسنات وحسن أولئك رفيقا ان شاء الله ومن جسر من وراء المسلمين في سبيل الله مشطو على الجاحر سلطان لم النار فينبيه الاتحله القسم قال الله تعالى وإن منكم إلا ورجا وإن الذي كفي سبيل الله يضاعف فوق النفقة بسبع مائة ضعف وفي رواية بسبع مائة ألف ضعف وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن زيان عن سهل عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصلاة

والصيام والذكر يضاعف على النفقة في سبيل الله بسبع مائة ضعف وقال عبد الزاق عن معمر عن قتادة قوله وان منكم
الارادها قال هو المر عليها وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله وان منكم الا وادها قال وورد المسلمين المرو على الجسر
بين ظهرانيها وورد المشركين ان يدخلوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم البر بالولن والزلات يومئذ كثير وقدأ حاط بالجسر يومئذ
سباطان من الملائكة دعاهم الله سلم وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله كان على ربك عقاب مقضيا قال قسما
واجبا وقال مجاهد حقا قال قضاء وكذا قال ابن جريج وقوله ثم تعجب الذين اتقوا أي اذ احمر الحلاق كلهم على النار وسقط
فيها من سقط من الكفار والعصاة ذوى المعاصي بحسبهم يحيى الله تعالى المؤمنين المؤمنين منها بحسب اعمالهم فجوازهم على الصراط
وسرهم بقدر اعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في اصحاب الكبائر (٢١٥) من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون
والمؤمنون فيخرجون خلقا كثيرا

آخر ينقضل الله به علينا وهذا الآية من موطن محوود التلاوة عند الشافعي ومن واقفه
لا عند أبي حنيفة ومن قال بقوله وقد تقدم ان هذه السورة فضلت بسجدةتين وهذا دليل
على ثبوت السجود عند تلاوة هذه الآية وقد اختلف في عدة سجود التلاوة فذهب أكثر
اهل العلم الى انهم أربع عشرة سجدة لكن الشافعي رحمه الله تعالى قال في الحج سجدةتان
وأسقط سجدة ص وقال أبو حنيفة في الحج سجدة وأثبت سجدة ص وقيل خمس
عشرة سجدة وقال قوم ليس في الفصل سجدة فعلى هذا تكون احدى عشرة سجدة وسجود
التلاوة ستة عند الشافعي وواجب عند أبي حنيفة ودلائل الاقوال مبسوطه في موطنها
ثم أمرهم عا هوسنة الدين وأعظم أعماله فقال (وجاهدوا في الله) أي في ذاته من أجله
والمراد به الجهاد الاكبر وهو الفوز ولا كفار ومداغرتهم واذا غروا بلاد المسلمين وقبيل المراد
بالجهاد هنا امثال ما أمرهم الله في الآية المتقدمة وامثال جميع ما أمر به ونهى
عنه على العموم ومعنى (حق جهاده) المبالغه في الامر بهذا الجهاد باستقراغ الطاقة لانه
أضاف الحق الى الجهاد والاصل اضافته للجهاد الى الحق أي جهاد اخلاص الله فعكس ذلك
لقصد المبالغه وأضاف الجهاد الى الضمير اتساعا ولا اختصاصا به سبحانه من حيث كونه
منه ولا من أجله وقيل المراد بحق جهاده هو ان لا يخافوا في الله لومة لائم وقيل المراد
به استقراغ ما في وسعهم في احياء دين الله وقال مقاتل والكبي ان الآية منسوخة بقوله
تعالى فاقنوا الله ما استطعتم ثم ان قوله اتقوا الله حق تعالىه منسوخ بذلك ورد ذلك بان
التكليف مشروط بالقدره فلا حاجة الى المصير الى النسخ عن عبد الرحمن بن عوف قال
قال لي عمر السنا كثيرا فبما نرا وأوجاد وفي الله حق جهاده في آخر الزمان كما جاء عدم
في أوله قالت بلى فحق هذا يا أمير المؤمنين قال اذا كانت شوأمية الامر اوشو المغيرة للوزراء
وأخرج الترمذي وصححه وابن حبان عن فضة الدين عبيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم الجاهل من جاهد نفسه في طاعة الله ثم عظم سبحانه شأن المكلفين بقوله (هو)

واحدة البرهان انهم يصدون ويعرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا متفخرين بعلومهم ويحتججون على صحة ما علمه من الدين
الباطل بأنهم خير مقاماً وأحسن نبياً أي أحسن منازل وارفح دوراً وأحسن نبياً وهو مجتمع الرجال للعديث أي ناديمهم أعمر وأكثر
وارادوا طارفاً يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المنابة على باطل وأولئك الذين هم مختلفون مستترون في دار الارقم من أي الارقم
ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبراً عنهم وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وقال قوم نوح اتؤمن
لك واتبعك الازنلون وقال تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء لامن الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين ولهاذا
قال تعالى راداً عليهم شبهتهم وكم أهل كفايلهم من قرن أي وكم من أمة وقرن من الكاذبين قدأ هل كفايلهم بكفرهم هم أئامنا
وربأى كانوا أحسن من هؤلاء أموا الأوامعة ومناطر واشكالاً قال الاعشى عن أبي ظبيان عن ابن عباس خيرة مقاماً وحسن

فبدأ قال المقام المنزل والنسب إلى المجلس والاثبات المتاع والرفق المنظر وقال العوفي عن ابن عباس المقام المسكن والنسب إلى المجلس
والنعمة والبجعة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لنقوم فرعون حين اهلكهم وهم قص شأنهم في القرآن ثم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم فالمقام المسكن والنسب إلى المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه وقال تعالى فيما قص على رسوله
من أمر قوم لوط وتأتون في ناديكم المنكر والعرب تسمى المجلس النادى وقال قتادة لما رأى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
في عيشهم خشونة وفيهم تشافة فعرض أهل الشرك ما تسعون أى القرى من خيبر بمقاموا أحسن دنيا وكذا قال مجاهد والضحاك
ومنهم من قال في الأناث والجمال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال المع والرفق المنظر كقوله ابن عباس ومجاهد وغير
واحد وقال الحسن البصري معنى الصور (٢١٦)

صورها والكل متقارب صحيح قل
من كان في الضلالة فليندله الرحمن
مدحى اذارأوا ما وعدون اما
العذاب واما الساعة فسيعلمون
من هو شركا ما اضعف جندا
يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء
المشركين برهم المدعين انهم على
الحق وانكم على الباطل من كان
في الضلالة اى منا ومنكم فليندله
الرحمن مدا اى فامهله الرحمن فيما
هو فيه حتى يلقي ربه وينقضى اجله
اما بعد ذاب يصيبه واما الساعة
بقعة تأتبه فسيعلمون حينئذ من
هو شركا ما اضعف جندا فى
مقابله ما احتجابه من خيرية
المقام وحسن السدى قال مجاهد فى
قوله فليندله الرحمن مدا فليندله
الله فى طغيانه هكذا قرر ذلك ابو
جعفر بن بحر برحمة الله وهذه
مباحلة للمشركين الذين يزعمون
انهم على هدى فيما هم فيه كاذكر
تعالى مباحلة اليهود فى قوله قل

اجباكم اى اختاركم له فيه وفيه تشرى بهم عظيم ثم لما كان فى التكليف مشقة على
النفس فى بعض الحالات قال (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) أى من ضيق وشدة
وقد اختلف العلماء فى هذا الحرج الذى رفعه الله فقبيل هو مأخذ الله من النساء معنى
وثلاث ورباع وبذلك العين وقيل المراد قصر الصلاة والافطار للمسافر والصلاة بالايام
على من لا يقدر على غيره واسقاط الجهاد عن الاعرج والاعمى والمرضى وأكل الميتة عند
الضرورة واعتقار الخطأ فى تقديم الصيام وتأخيرها لاختلاف الأهلة وكذا فى القطر
والاضحى وقيل المعنى انه سبحانه ما جعل عليهم حرجا بتكليف ما يشق عليهم ولكن كلفهم
بما يقدرون عليه ورفع عنهم التكليف التى فيها حرج فلا يتعدهم بها كما تعبدها بنى
اسرائيل وقيل المراد بذلك انه جعل لهم من الذنب مخرجا بفتح باب التوبة وقبول الاستغفار
والتكفير فيما شرع فيه الكفارة والارش أو القصاص فى الجنائى وردا له أو مثله أو قيمته
فى الغصب ونحوه فليس فى دين الاسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا الى الخلاص من الذنوب
ومن العقاب وقيل المراد بالدين التوحيد ولا حرج فيه بل فيه تخفيف فانه يكفر ما قبله من
الشرك وان امتد ولا يتوقف الايمان به على زمان أو مكان معين وفى القراطى قال العلماء
رفع الحرج انما هو بان استقام على منهاج الشرع واما السراق واصحاب الخدود فليس
الحرج وعصم عاقلوه على انفسهم عفا رقتهم الدين وليس فى الشرع اعظم حرجا من الزام
ثبات رجل لاثنتين فى سبيل الله لكنه مع حكمة اليقين وجودة العزم ليس بحرج انتمى
والمعنى الاول اولى والظاهر ان الآية أعم من هذا كذا قد سخط سبحانه ما فيه مشقة من
التكاليف على عباده اما ما سقاطها من الاصل وعدم التكليف بها كما كلفها غيرهم
أو بالتخفيف وتجوز العدول الى بدل لا مشقة فيه أو بعسرية التخلص عن الذنب بالوجه
الذى شرعه الله وما انفع هذا الاية وأجل موقعها أو أعظم فائدة ما منلها قوله سبحانه
فانقوا الله ما استطعتم وقوله بر يد الله بكم اليسر ولا ير بديكم العسر وقوله ربنا ولا تحمّل

يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس فتمتوا الموت ان كنتم صادقين اى ادعوا بالموت على المبطل علينا
ما او مسكن ان كنتم تدعون انكم على الحق فانه لا يضركم الدعا فمكلوا عن ذلك وقد تقدم تقرير ذلك فى سورة البقرة مبسوطا
ولله الحمد وكذا كرتعالى المباحلة مع النصارى فى سورة آل عمران حين جمعوا على الكفر واستمروا على الطغيان والقول فى دعواهم
ان عيسى ولد الله وقد ذكر الله سبحانه وبراهيمه على عبودية عيسى وانه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك فن جائل فيه من بعد
ما جائل من العلم قل تعالوا راع ابناءنا وابناءكم ومنساء نوانساءكم وانفسنا وانفسكم ثم تبطل ففعل لعنة الله على الكاذبين فنكلا
أيضا عن ذلك (ويزيد الله الذين آمنوا وهدى بالآيات الصالحة خير عند ربك ثوابا خيرا مرثا) لماذا كرتعالى امداد من
هو فى الضلالة فيها هو فيه ويزيد على ما هو عليه اخبر بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول اياكم

زادته هذه ايماناً بالآيتين وقوله والباقيات الصالحات قد تقدم تفسيرها والكلام عليها وارى ايراد الاحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف خير عند ربك فوالله اى جزء خير مما دأى صاحبه وقال عبد الرزاق اخبرنا عمر بن راشد عن يحيى بن ابي كثر عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاخذ عوداً يابساً فخط ورقه ثم قال ان قول الله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الربح خذهن يا ابا الدرداء قبل ان يحال بينك وبينهن هن الاثبات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال ابو سلمة فكان ابو الدرداء اذا ذكر هذا الحديث قال لا هال الله ولا كبر الله ولا تسبحن الله حتى اذارنى الحاهل حسب انى تخمونه وهذا نظاره من امره مسل ولكن قديكون من رواه ابي سلمة عن ابي الدرداء والله اعلم وهكذا وقع في سنن ابن ماجه من حديث ابي معاوية عن (٢١٧) عمر بن راشد عن يحيى عن ابي سلمة عن ابي الدرداء فذكر نحوه (افرايت الذى

كفربا يا تائنا قال لا وتين ما لاولدا
اطلع الغيب ام اخذ عند الرحمن
عهدا كلا سنكتب ما يقول
وعند الله العذاب مداوره
ما يقول ويا تينا فردا قال الامام
أحمد حدثنا ابو معاوية حدثنا
الاعمش عن مسلم عن مسروق
عن خباب بن الارت قال كنت
رجلاً لا قمنا وكان لى على العاص
ابن وائل دين فاقبته اتقاضاه منه
فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر
بمحمد فقلت لا والله لا أقضيك
صلى الله عليه وسلم حتى تموت ثم
تبعته قال فأتى اذا مات ثم بعته
جئت لى ثم مال وولد فاعطته تسك
فانزل الله افرأيت الذين تكفر
يا تائنا وقال لا وتين ما لاولدا الى
قوله ويا تينا فردا أخرجه صاحب
الصحيح وغيره من غير وجه عن
الاعمش به وفى لفظ البخارى كنت
قريباً فقلت لا والله لا أقضيك

علينا امراً كما علمته على الذين من قبلنا بنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وفى الحديث الصحيح
له سبحانه قال قد فعلت كما سبق بيانه فى تفسير هذه الآية والاحاديث فى هذا كثيرة وعن
عائشة انما سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية فقال الضيق وقال ابو هريرة
لان عباساً ما علمنا فى الدين من حرج ان نسرق أو نزنى قال بلى قال فاهـ هذه الآية
قال الاصر الذى كان على بنى اسرائيل وضع عنكم وعن ابن عباس كان يقول وما جعل
عليكم فى الدين من حرج توسعة الاسلام وما جعل الله من التوبة والكفارات وعنه قال
هذا فى هلال رمضان اذا شك فيه الناس وفى الحج اذا شكوا فى الاضحية وفى الفطروا وشابهه
وعنه سئل عن الخرج فقال ادع لى رجلاً من هذيل فجاءه فقال ما الخرج فيكم قال الخرجة
من الشجر الى ليس فيها خرج فقال ابن عباس الذى ليس له خرج وفى لفظ قال الهذيل
الذى الضيق قال هو ذلك وعن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية ثم قال ادع لى رجلاً من بنى
مدلج وقال ما الخرج فيكم قال الضيق (مله) أيكم ابراهيم) أى وسع عليكم دينكم توسعة
مله أيكم قاله الزمخشري وقال الزجاج المعنى اتبعوا ملة أيكم وبه قال الحوفي واتبعه ابو
البقاء وقال الفراء كله أيكم وقيل التقدير وافعلوا الخير كقول أيكم ابراهيم فأقام الله
مقام الفعل وقيل النصب على الاغراء وقيل على الاختصاص أى أعني بالدين ملة أيكم
واتبعوا ملة سبحانه أيهم لانه أبو العرب فاطمة ولانه عند غير العرب الذين لم يكونوا من
ذرية حرمة عظيمة كحرمة الاب على الابن لكونه أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال
السدى ملة أيكم أي دين أيكم (هو سماكم المسلمين من قبل) أى قبل نزول القرآن
فى الكتب المتقدمة قال ابن عباس الله عز وجل سماكم ورؤى نحوه عن جماعة من التابعين
وأخرج أحمد البخارى فى تاريخه والترمذى وصححه والنسائى والبيهقى وغيرهم عن الحارث
الشعمري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من دعا بدعى الجاهلية فانه من جئ
جهنم قال رجل يا رسول الله وان صام وصلى قال نعم فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها

(٢١٨ - فتح البيان سادس) سفيما جئت اتقاضاه فذكر الحديث وقال أم اخذ عند الرحمن عهداً قال بنو تاقوا وقال عبد الرزاق
أخبرنا الزورى عن الاعمش عن ابي الضحى عن مسروق قال قال خباب بن الارت كنت قريبا فقلت لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أقضيك حتى تموت ثم تبعته قال فاذا
بعثت كان لى مال وولد قال فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله افرأيت الذى كفر يا تائنا الآيات وقال العوفي عن
ابن عباس ان رجلاً من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمي بدين فأتوه بقاضونه فقال
ألسنتم تزعمون ان فى الجنة ذهباً وفضة وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدهم الاخرة فوالله لا وتين ما لاولدا وتين

سئل كتابكم الذي جئتم به فضرب الله مثله في القرآن فقال انزلت الذي كفر يا ايها الناس قولوه ويا منافقوا وهكذا افعال مجاهد
وقتاده غيرهم انما رأت في العاص بن رالم وقوله لا وتين مالا وولدا قرأ بعضهم بفتح الزا ومن ولدا وقرأ آخرون بضمها وهو
بمعناه قال رؤبة
وقال الحرث بن سلمة
وقال الشاعر

وقيل ان الوليد انضم جمع والوليد الفتح مفرد وهي لغة قيس والله أعلم وقوله اطلع الغيب انكار على هذا المقاتل لا وتين مالا وولدا يعني
يوم القيامة أي أعلم ماله في الآخرة حتى تأتي (٢١٨) وحط على ذلك ام اتخذ عند الرحمن عهدا أم له عند الله عهدا

سورة ذلك وقد تقدم عند
البخاري انه الموثق وقال الضحاك
عن ابن عباس اطلع الغيب أم اتخذ
عند الرحمن عهدا قال لا اله الا الله
فيعرجونهم او قال محمد بن كعب
القرظي الامن اتخذ عند الرحمن
عهدا قال شهادة ان لا اله الا الله ثم
قرأ الامن اتخذ عند الرحمن عهدا
وقوله كلا هي حرف ردع لما قبلها
وتأكيد لما بعد هاء كتب ما قبل
أي من طلبة ذلك وسكبه لنفسه
بما تقدم وكفر بالله العظيم وعلمه من
العذاب مدا أي في الدار الآخرة
على قوله ذلك وكفر بالله في الدنيا
وزنه ما يقول أي من مال وولده
نسبه منه عكس ما قال انه يؤتى
في الدار الآخرة مالا وولدا زيادة
على الذي له في الدنيا بل في الآخرة
يسلب من الذي كان له في الدنيا
ولهذا قال تعالى ويا منافقوا أي
من المال والولد قال علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس وزنه ما يقول قال

المسلمين والمؤمنين عباد الله وقيل ان الكتابة واجعة الى ابراهيم يعني ابراهيم مما حكم
المسلمين في ايامهم من قبل هذا الوقت وهو قوله وبنوا جعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة
مسلمة لك فاستجاب الله دعاءه فبنوا (وفي هذا) أي في حكمه ان من اتبع محمد صلى الله عليه
 وآله وسلم فهو مسلم قال النحاس وهذا القول مخالف لقول علماء الأئمة وقيل أي في القرآن
يعني فضلكم على سائر الأمم وهذا اسم الأكرم ثم على سبحانه ذلك بقوله (ليكون
الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة بتبليغه اليكم (ونكونوا) أنتم (شهداء على الناس)
ان رسلهم قد بلغتهم فان نسبه الله وأبراهيم لهم حكمهم باسلامهم وعد التهم وعوسب
لقبول شهادة الرسول الداخلة فيهم دخولا أوليا وقبول شهادتهم على الأمم فانه الشهاب
وقد تقدم بيان معنى هذه الآية في البقرة ثم امرهم بما هو أعظم الأركان الإسلامية فقال
(أقيموا الصلاة) بواجباتها وادوا عليها (وأؤتوا الزكاة) بشرائطها وتخصيص
الخصتين بالذكر يندرج فيهما (واعصوا بالله) أي اجمعوا وعصاة لكم مما تحذرون
والتجوا اليه في جميع أحوالكم ولا تطلبوا ذلك الا منه وقيل الاعتصام هو التمسك
بالكتاب والسنة وقيل تسكوبين الله وقيل ثقوا به تعالى في مجامع أموركم (هو مولاكم)
أي ناصركم ومستولى أموركم دقيقها وجليلها (فتم المولى) هو (وقم النصير) أي الناصر
لكم هو يعني لا يماثل له في الولاية لا موركوم والنصرة على أعدائكم

(سورة المؤمنين)

قال القرطبي كناه أمية في قول الجميع أي بلا خلاف وأياتها مائة وتسع عشرة آية عند
البصريين ومائة وعشرون آية عند الكوفيين وسبب هذا اختلافهم في قوله ثم
أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية أو بعض آية وقد أخرج أحمد
ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن عبد الله بن السائب قال صلى النبي صلى
الله عليه وآله وسلم بمكة الصبح فاستفتح سورة المؤمنين حتى اذا جاء ذكر موسى وهرون وأو

زته وقال مجاهد وزنه ما يقول ماله وولده وذلك الذي قال العاص بن وائل وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ذكر
وزنه ما يقول قال معمر وهو قوله لا وتين مالا وولدا في حرف ابرسمه ووزنه ما عنده وقال قتادة ويا منافقوا لا مال له ولا ولدا
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وزنه ما يقول قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال ويا منافقوا لا مال له ولا ولدا
ولا كثير (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكون عليهم ضدا ألم ترأنا أرسلنا الشياطين على
الكافرين فيؤزهم أو أفلا فيجعل عليهم القماعة لهم عدا يخبر تعالى عن الكفار للشركين بربهم انهم اتخذوا من دونه آلهة تسكون لهم
ذلك الآلهة عزايعونهم ويستعصرونهم ثم اخبر انه ليس الامر كما يزعموا ولا يكون ما طمعوا فقال كلا سيكفرون بعبادتهم أي يوم

القيامة. يكونون عليهم ضداً أى بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال تعالى ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم من دعاهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا عليهم أعداء وكانوا بآياتهم كافرين وقرأ أبو نوح كل من يستكفرون بعبادتهم وقال السدي كل من يستكفرون بعبادتهم أى بعبادة الأوثان وقوله ويكونون عليهم ضداً أى بخلاف ما رجوا منهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ويكونون عليهم ضداً قال أعوانا قال مجاهد عونا عليهم خصاهم وتكذبهم وقال العوفي عن ابن عباس ويكونون عليهم ضداً قال قرنه وقال قتادة قرناه فى النار يلعن بعضهم بعضاً ويكفر بعضهم ببعض وقال السدي ويكونون عليهم ضداً قال الخصماء الأشداء فى الخصومة وقال الضحاک ويكونون عليهم ضداً قال أعداء وقال ابن زيد الضد البلاء وقال عكرمة الضد الحسرة وقوله ألم تر

(٢١٩)

تؤذهم أذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس نفوهم اغواء وقال العوفي عنه تحرضهم على محمد وأصحابه وقال مجاهد تسليهم أشلاء وقال قتادة تزجهم ازعاجا إلى معاصي الله وقال سفيان الثوري تغريهم أغراء وتستجملهم استجمالا وقال السدي تطغيهم طغيانا وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقوله فلا تبجل عليهم أنما فعلهم عدائى لا تبجل يا محمد على هؤلاء فى وقوع العذاب بهم إنما فعلهم عدائى إنما تؤخرهم لأجل معدود مضبوط وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله وقال ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون الآية فهل الكافرين أمهلهم رويدها إنما على إهم ليزدادوا إثماتهم قليلا ثم يظهرهم إلى

ذكر عيسى أخذته سعله فركع وأخرج البيهقي من حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الما خلق الله الجنة قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون وقد ورد فى فضائل العشر الآيات من أول هذه السورة ماسياى قريبا * (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(قد أفلح المؤمنون) قال الفراء قد لنا كيد فلاحهم وإفادة ثبوت ما كان يتوقع الثبوت من قبل أو لتقريب الماضى من الحال ألا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها والمعنى أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه فى الحال والفلاح الظفر بالمراد والفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقاء فى النجوى يقال أفلح إذا دخل فى الفلاح ويقال أفلحه إذا أساره إلى الفلاح وقد تقدم معنى الفلاح فى البقرة وقرئ أفلح بفتح الفاء فقرأوا أفلحوا على الإبهام والتفسير أو على لغة كوفى البراءة وقد أخرج أحمد والترمذى والنسائ وغيرهم عن عمر بن الخطاب قال كان إذا أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الوحى يسمع عند وجهه كندوى النخل فأنزل الله عليه يوما فبكنا ساعة فسرى عنه فاستقبل القبلة فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تمنا وأعطنا ولا تحرمنا وأثرا ولا تؤثر علينا وارضا وارضا عنا ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من آفاهم دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وفى أسناده يونس بن سليم قال النسائى لا نعرفه وعن يزيد بن يونس قال قلنا عائشة كيف كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت كان خلقه القرآن ثم قالت تقرأ سورة المؤمنین اقرأ قد أفلح المؤمنون حتى بلغ العشر فقالت هكذا كان خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم وصف هؤلاء المؤمنین بقوله (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) وما عطف عليهم والخشوع منهم من جعله من أفعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات والعبث وهو فى اللغة السكون والتواضع والخوف والتذلل وقد اختلف الناس

عذاب غلظ قل تمتعوا فان مصرىكم إلى النار وقال السدي إنما فعلهم عدائى السمن والشهو والام والساعات وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس إنما فعلهم عدائى قال نعدا أنفسهم فى الدنيا (يوم تحشر المتقين إلى الرحمن وقد اتسوق المجرمين إلى جهنم وردا لا يمكن الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه فى الدار الدنيا وابتغوا رسله وصدقهم فيما أخبروهم وأطاعوهم فيما أمرهم وبهوانهم وأعمالهم جبروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وقد ألبه والوفد هم القادسون ربكنا ومنه الوفود وكوبهم على نجائب من نور من مرأب الدار الآخرة وهم قادمون على خيرهم فودوا إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون المكذبون للرسول المخالفون لهم فانهم يساقون عتقا إلى النار وردا أعطاشا قاله عطاء وابن عباس وبجاءه دوا الحسن وقادة وغير واحد وهو هنا يقال أى الفريقين خيرهما وأحسن نبيا وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن خالد عن

عمر بن قيس الملائي عن ابن مزيق يوم نحشر المتقين الى الرجن وقد اقال يستقبل المؤمن عند دخوله وجهه من قبره أحسن صورة وأهنا وأطيبها يحافقون من أنت فيقول ما تعرفني فيقول لا الا ان الله قد طبخ ريحك وحن وجهك فيقول أنا علك الصالح وهكذا كنت في الدنيا احسن العمل طبخه فطما الماركتك في الدنيا فاهل اركبت في كيه فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرجن وقد اقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم نحشر المتقين الى الرجن وقد اقال ريكنا وقال ابن جرير حدثني ابن المني حدثنا ابن مهدي عن سعيد بن ابي حمزة عن رجل عن أبي هريرة يوم نحشر المتقين الى الرجن وقد اقال علي الابل وقال ابن جرير عن النجائب وقال الثوري عن ابي الابل النوق وقال قتادة يوم نحشر المتقين الى الرجن وقد اقال الى الجنة وقال عبد الله بن الامام أحمد في مسنداً به حدثنا سويد بن سعيد أخبرنا علي بن مسهر عن (٢٢٠) عبد الرحمن بن اسحق حدثنا النعمان بن سعيد قال كالجولسا

عند علي رضي الله عنه فقرأ هذه الآية يوم نحشر المتقين الى الرجن وقد اقال لا والله ما علي أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد الى أرجلهم ولكن نوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيكون عليهم احق يضربوا أبواب الجنة وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن اسحق المسدني به وزاد عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد والياقوت مثله وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غيرا جدا من فوعا عن علي فقال حدثنا أبي حدثنا أبو عثمان ماله بن ابي عييل المدي حدثنا مسلم بن جعفر الجبلي سمعت أبا عبد البصري قال ان عليا كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ هذه الآية يوم نحشر المتقين الى الرجن وقد اقال ما أظن الوفد الا الركب يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انهم

في الخشوع هل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها على قولين قيل الصحيح الاول وقيل الثاني وادعى عبد الواحد بن زيد اجماع العلماء على انه ليس العبد الا ما عقل من صلاته حكاه النسا بوري في تفسيره قال ومما يدل على صحة هذا القول قوله تعالى أفلا يتدبرون القرآن والتدبر لا يتصور بدون الوقوف على المعنى وكذا قال أقم الصلاة لذكري والغفلة تضاد الذكرو لهذا قال ولا تمكن من الغافلين وقوله حتى تعلموا ما تقولون نهي للسكران والمستغرق في هموم الدنيا بعزته أخرج البيهقي عن محمد بن سيرين قال ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذ صلى رفع بصره الى السماء فنزلت الذين هم في صلاتهم خاشعون وزاد عبد الرزاق عنه فاهر بالخشوع فرعى بصره نحو مسجده وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة كان اذ صلى رفع بصره الى السماء فنزلت هذه الآية فطأ طأ رأسه وعن علي قال انشروع في القلب وأن تدين كتفك للمراء المسلم وان لا تلتفت في صلاتك وقال ابن عباس خاشعون خائفون ساكنون وقيل خاضعون بالقلب ساكنون بالجوارح فلا يلتفتون فيما ولا يشاء الا وحدا من فروض الصلاة عند الغزاة وذهب بعضهم الى انه ليس بواجب لان اشتراط الخضوع والانشوع مخالف لاجماع الفقهاء فلا يلتفت اليه وقد ورد في مشروعية الخشوع في الصلاة والنهي عن الالتفات وعن رفع البصر الى السماء أحاديث معروفة في كتب الحديث (والذين هم عن الغفوة مرضون) قال الزجاج اللغو هو كل باطل ولهو وهزل ومعصية وما لا يعمل من القول والفعل وقد تقدم تفسيره في البقرة وقال الضحاك ان اللغو هو الشرك وقال الحسن انه المعاصي كلها وقيل هو معارضة الكفار بالسب والشتيم وقال ابن عباس اللغو الباطل وقيل المراء اللغو هو كل ما كان حراما أو مكروها أو مباحا لم تدع اليه ضرورة ولا حاجة والمعنى ان لهم من الجسد ما شغلهم عن الهزل وفي وصفهم بالخشوع ألا ولا باعراض ثانيا جاع لهم الفعل والترك الشاقين على الاتس الذين هما قاعد تابناء التكليف ومعنى اعراضهم عنه تجنبهم له وعدم

اذ احرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون نوق يضأها أجنة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور التفتاهم يتلأل كل خطوة منها مد البصر فينتهون الى شجرة ينسج من أصلها عينان فيشربون من احداهما فيغتسل ما في بطونهم من دنس ويعتسلون من الاخرى فلا تستعيت بأشبارهم ولا أشعارهم بعد هذا يدوتجري عليهم فطرة العيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فاذا حلقة من ياقوته حرا على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين باعلى فيبلغ كل حوراء ان زوجها اقد أقبل فتبعته فيمضي فيفتحه له فاذا رآه منخره قال مسلمة اراه قال ساجدا فيقول ارفع رأسك فأخما أنا فقلت وكلت بأمرك فتيبعه وبقفو اثره فتستخف الحوراء العجالة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ثم تقول أنت حي وأنا حليل وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا النائمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أمحطوا بالقيمة التي لا أعطن فيدخل بيتا من أسهم الى سبعة مائة ألف ذراع بناو على

جندل اللؤلؤ طرائق أصفر وأخضر ليس منها طريفة تشاكل صاحبته وفي البيت سبعون سريراً على كل سرير يسعون خشية على كل خشية سبعون زوجة سبعون حلة ترى مخ ساقها من وراء الحلال يقضي جاعها في مقدار ليلة من ألبالك هذه الأنهار من تحتهم تظرد أنهار من ماء غير آسن قال صافي لا كدرفيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يتخرج من ضرع الماشية وأنهار من خبز الخيل للشاربين لم يقتصر هال الرجال بأقدامها وأنهار من عسل مصق لم يتخرج من بطون النحل فيستحي الخفافان شاة كل فائما وان شاة قاعدا وان شاة متكاثم تلاودانية عليهم ظلالها وذلقت قطوفها تذيلا في شتى الطعام فبأنه طرايس وربعا قال أخضر فترفع أجنتها فأيا كل من جذوبها أي الألوان شاة ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم تلك الجنة التي أوردتوها كما كنتم تملكون ولو أن شجرة من شعرا الحور ارفعتم (٢٢١) لاهل الارض لأضام الشمس معها سواد

في نورها كذا وقع في هذه الرواية مرفوعا وقد روينا في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بخومه وهو أشبه بالصحة والله اعلم وقوله ونسوق الجرمين الى جهنم وردا أي عطاشا لا يعلكون الشاة فاعة أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبر عنهم فما لنا من شافعين ولا صديق جهم وقوله الامن اتخذ عند الرحمن عهدا هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا وهو شهادة أن لا اله الا الله والقائم بحقتها قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الامن اتخذ عند الرحمن عهدا قال العهد شهادة أن لا اله الا الله ويبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجو الا الله عز وجل وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الاسود بن يزيد قال قرأ عبد الله

التفاتهم اليه وظاهره اتصافهم بصفة الاعراض عن اللغو في كل الاوقات فيدخل وقت الصلوة في ذلك دخولا أوليا كما يفيد الجمله الاسمية (والذين هم للزكاة فاعلون) أي يزودونها فعبر عن التادية بالعل لانها مما يصدق عليه الفعل أو المراد بالزكاة هنا المصدر لانه الصادر عن الفاعل وقيل يجوز أن يراد بها العين على تقدير مضاف أي والذين هم لتادية الزكاة فاعلون أي دأبوا (والذين هم لقروجههم حافظون) القرح يطلق على فرج الرجل والمرأة فهو اسم سواهم والمراد بحفظهم لها انهم يحسبون لها بالعفاف ما لا يحل لهم قبل والمراد هنا الرجال خاصة دون النساء بدليل قوله (الاعلى أزواجهم) الخ للاجتماع على انه لا يحل للمرأة ان يطأها من ذلك قال القراء على بمعنى من وقيل ان الاستثناء من نفى الارسال المفهوم من الحفظ أي لا يرسلون على أحد الا على أزواجهم وقيل يلامون على كل مباشرة الا على ما حل لهم فانهم غير مأميين عليه ودل على الخذف ذكر الوم في آخر الآية وقيل المعنى الاولين على أزواجهم وقوامين عليهم من قولهم كان فلان على فلانة فبات عنها خاف عليها فلان قاله الزمخشري والمعنى انهم لقروجههم حافظون في جميع الاحوال الا في حال تزوجهم أو تسريحهم وجله (أو ما ملكت أيمانهم) في محل جر والمراد بذلك الاماء وعبر عن نكاح التي غير العقلاء فانهما جتمع فيهن الاقوة المنبئة عن قصور العقل وجواز البيع والشراء فيهن كسائر السلع فأجرهن به يذنين الامرين يجري غير العقلاء ولهذا تباع كاتباع البهائم والمراد الاماء الجوارى (فانهم غير مأميين) في انبائهم بجماع أو غيره تعليل للاستثناء مما لا يجب عليهم حفظ قروجهم منه (فمن ابتغى وراءه) أي سوى (ذلك) من الزوجات وملكت اليمين وقال الزجاج ما بعد ذلك (فأولئك هم العادون) أي الجحازون الى ما لا يحل لهم فسمى سبحانه من نكح ما لا يحل عاديا وقد دلت هذه الآية على تحريم نكاح المتعة وعن القائم بن محمد انه سئل عن المتعة فقال اني لأرى تحريمها في القرآن ثم تلا هذه الآية واستدل بها ببعض

يعني ابن مسعود هذه الآية الامن اتخذ عند الرحمن عهدا ثم قال اتخذ واعند الله اعهد فان الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقيم فالوايا بأعبد الرحمن فعلمنا قال قولوا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة فاني اعهد اليك في هذه الحياة الدنيا انك ان تكلمتني الى على يقرئني من الشريعة يا عني من الخير وان لا تأتي الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا تؤدبه الى يوم القيامة انك لا تختلف المعاد قال المسعودي حدثني زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أخبرنا ان مسعود كان يلحق بين خاتما مستحيرا مستغفرا راحبا راعيا اليك ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي بخومه (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد حثم شأنا كثيرا تكاد السموات تتفطر منه وتتشق الارض وتفتخر الجبال هذا أن يدعو الرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والارض الآن الرحمن عبد القدأ حضاهم وعدهم عذا وكلهم آتية يوم القيامة فردا) لما قرر تعالى في هذه السورة الذم بعبودية بتعيسى

عليه السلام وذكر خلقه من حرم بلايا شرع في مقام الانكار على من زعم ان له ولدا تعالى وتقدس وقته عن ذلك علوا كبيرا فقال
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم في قولكم هذا شيئا ابداعا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وما لك أي عظماء وقال اذا بكسر الهمزة
وفتحها ومع هذا ايضا ثلاث لغات أشهرها الاولى وقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخجل الجبال هتاء دعوا
الرحمن ولدا أي يكاد يكون ذلك عبثا مع هذه المقالة من غير تبني آدم اعظام الملائكة واحلال الانبياء مخلوقات ومؤسسات على
توحيد وان لا اله الا هو وان لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كف له بل هو الاحد الصمد
وفي كل شيء آية * نزل على انه الواحد قال ابن جرير حدثني علي بن خديش عن ابي عبد الله عن معاوية بن علي عن ابن عباس في قوله
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخجل الجبال هتاء ان دعوا الرحمن ولدا قال ان السموات فرغت منه

السّموات والأرض والجبال وجميع
الخلّقات إلا الثقلين وكادت أن
تقول منه لعظمة الله وكلا لا ينفق مع
الشرك أحسن الشرك كذلك
ترجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقتوا موتا لكم شهادة أن لا إله
إلا الله فمن قالها اعتد مائة وحب
له الجنة فقالوا يا رسول الله فمن قالها
في صحته قال تلكا وأوجب وأوجب
ثم قال والذي نفسي بيده لو جئ
بالسّموات والأرضين وما فيهن وما
بينهن وما تحتهن فوضعت في كفة
الذّنك ووضعتم شهادة أن لا إله إلا
الله في الكفة الأخرى لم يحتج بهن
هكذا رواه ابن بحر يروى بشهادة
محمد بن البطاقة والله أعلم وقال
الضحاك تكاد السّموات يشظرن
منه أي يشققن فرأى من عظمة الله
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
وتشقق الأرض أي غصاها عز وجل
وتحجر الجبال هذا قال ابن عباس هذا
وقال سبعة من خبر هذا أنشكر

أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلي عن أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد اصبر على أذى سمعه من آفة ان بشر لك به ويجعل له ولدا وهو يعافهم ويدفع عنهم ويرزقهم أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ أنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم وقوله وما ينبغي للرجل ان يتخذ ولدا أى لا يصح له ولا يليق به بالجلالة وعظمته لان ذلك كفله من خلقه لان جميع الخلائق عبيده ولهذا قال ان كل من فى السموات والارض الا آت الرحمن عبد القدر احصاهم وعدهم عداى قد علم عددهم منذ خلقهم الى يوم القيامة ذكرهم واتباهم وصغرهم وكبرهم وكلهم آتية يوم القيامة فردا اى لانصره ولا يحجر الله وحده لاشريك له فيحكم فى خلقه بما يشاء وهو العادل الذى لا يظلم شيئا لذرة ولا ينظلم أحدنا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
فانما يسرناه بلسانك لننشر به المتقين وتبذر به

(٢٢٣)

أبغض فلا نأفأبغضه قال فيبغضه جبريل ثم نادى في أهل السماء ان الله يبغض فلا نأفأبغضوه قال فيبغضه أهل السماء ثم وضع له الغضاء في الأرض ورواه مسلم من حديث سهل ورواه أحمد والبخاري من حديث ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع بن مولى بن عمر عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بضمه وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا امين أبو محمد المرائي حدثنا محمد بن عباد الخزازي عن ثوبان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليقس مر ضاة الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل ان فلا نأبغضى بلقس ان رضىنى الاوان رضىنى عليه فيقول جبريل رضى الله على فلا نوى يقولها جل العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم يبط الى الأرض غريب ولم يخبر بوجه من هذا الوجه وقال الامام أحمد

ذلك المكان وهذا بيان ما يرثونه وتقصيد الورثة بعد اطلاقها وتفسير لها بعد اجمالها
ونفخيم لها ورفع لمحلهما وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعتبارهم حسبما يقتضيه
الوعيد الكريم للمبالغة فيه وقيل المعنى انهم يرثون من الكفار منازل لهم فيها حيث
فرقوا على انفسهم لانه سبحانه خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار وعن أبي
هريرة قال يرثون مساكنهم ومساكن اخواتهم التي أعدت لهم لو أطاعوا الله وعنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما منكم من أحد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل
في النار فاذا مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله فذلك قوله أولئك هم الوارثون أخرجه
ابن ماجه وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر والبيهقي وغيرهم وأخرجه الترمذي
وقال حسن صحيح وعبد بن حميد عن أنس قد كرسفة وفيها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قال الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها ويدل على هذه الورثة المذكورة ما قوله
تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وقوله تلك الجنة أورثوها بما كنتم
تعملون وشهد لحديث أبي هريرة هذا ما في صحيح مسلم عن أبي موسى عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال يحيى يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال فغفرها الله
لهم ويضعها على اليهود والنصارى وفي لفظه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا
كان يوم القيامة دفع الله الى كل مسلم دينا أو نصرا يافيه يقول هذا فكا كل من النار
(هم فيها خالدون) حالية أو مستأنفة لا محل لها ومعنى الخلود انهم يدومون فيها لا يخرحون
منها ولا يموتون فيها وتأنيث الضمير مع انه راجع الى الفردوس لانه بمعنى الجنة والمباحث الله
سبحانه عباده على العبادة ووعدهم الفردوس على فعلها وتضمن ذلك المعاد الآخر وى عاد
الى تقرير المبدأ اليه يمكن ذلك في نفوس المكلفين فان الابتداء في العادة أصعب من الاعادة
لقوله وهو أهون عليه ووجهه ما ذكره من الدلائل انواع أربعة الاول الاستدلال بتقابل
الانسان في أطوار الخلق وهي تسعة آخرها سبعون الثاني خلق السموات بقوله ولقد

حدثنا أسود بن عامر حدثنا شمر بن عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملقمة من الله قال شريك في المحبة والصيت من السماء فإذا أحب الله عبدًا قال جبريل عليه السلام إنني أحب فلانا فنادى جبريل أن ربكم فقه يعني يحب فلانا فأجابه أرى شريكًا قد قال قتيزل له المحبة في الأرض وإذا أبغض عبدًا قال جبريل أني أبغض فلانا فابغضه قال فينادى جبريل أن ربكم يبغض فلانا فابغضوه وأرى شريكًا قال فيصرى له البغض في الأرض غريب ولم يخرجوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو داود الحفدي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد وهو الدراوردي عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل أني قد أحبت فلانا فاجبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض فذلك (٢٢٤) قول الله عز وجل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل

لهم الرحمن ودا ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتيبة عن الدراودي به وقال الترمذي حسن صحيح وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال حبًا وقال مجاهد عنه سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد ابن جبير عنه سيحبهم ويحبهم يعني إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضًا والضحاك وغيرهم وقال العوفي عن ابن عباس أيضًا الودم المسكين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق وقال قتادة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أي والله في قلوب أهل الإيمان ذكر لنا أن هرب بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرققه مودتهم ورحمتهم وقال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول ما من عبد يعمل خيرا أو شرا إلا كساه الله عز وجل رداءه

خلقنا فزككم سمع طرائق السالكات انزال الماء بقوله وأنزلنا من السماء ماء الاستدلال بأحوال الحيوانات بقوله وإن لكم في الأنعام لعبرة وأحوال الحيوان أربعة مذكورة في الآية فقال (ولقد) أي والله لقد (خلقنا الإنسان) أي الجنس لأنهم مخلوقون في ضمن خلق أبيهم آدم وقيل المراد به آدم (من سلالة) فعالة من السل وهو استخراج الشيء من الشيء والسلالة الخلاصة لأنهم اتسلا من بين الكدر وقيل انما هي التراب الذي خلق آدم منه سلالة لأنه سئل من كل شيء يقال سالت الشعرة من العجين والسيف من الغمد فانسلا فالطفة سلالة والولد سليل وسلالة أيضا وقيل السلالة الطين إذا عصرته انسلا من بين أصابعه قال في يخرج هو السلالة قاله الكلبي وعن ابن عباس قال السلالة صفو الماء الرقيق الذي يكون منه الولد وعن ابن مسعود قال إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في شعر وظفر فيكثر أربعين يوما ثم يخرس في الرحم فيكون علقته والتابعين في تفسير السلالة أقوال قد قدمنا الإشارة إليها أي سلالة كائنة (من طين) من اللين والمعنى أنه سبحانه خلق جوهر الإنسان أولا من طين لأن الأصل آدم وهو من طين خالص وأولاده من طين ومنى (ثم جعلناه) أي الجنس باعتبار افراده الذين هم بنو آدم أو جعلنا نسلا على حذف مضاف أن أريد بالإنسان آدم (نطفة) وقد تقدم تفسير النطفة في سورة الحج وكذلك تفسير العلقه والمضغة (في قرار مكن) المراد به الرحم وعبر عنه بالقرار الذي هو مصدر بالغة واختلاف العواطف بهم والفاء لتفاوت الاستحالات يعني أن بعضها مستبعد حصوله مما قبله وهو المعطوف بهم ثم جعل الاستبعاد عقلا ورثة بمنزلة التراخي والبعد الحسي لأن حصول النطفة من اجراءه تزايق غريب جدا وكذا جعل النطفة البيضاء دما جرم بخلاف جعل الدم لحما شامها في اللون والصورة وكذا اتصل بهم حتى يصير عظما لأنه قد يحصل ذلك بالملك فيما يشاهد وكدما لم المصغة عليه ليسترسف فقط ما قيل إن الوارد في الحديث أن مدة كل استحالة أربعين يوما

عمله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أسود بن عامر حدثنا شمر بن عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الملقمة من الله قال شريك في المحبة والصيت من السماء فإذا أحب الله عبدًا قال جبريل عليه السلام إنني أحب فلانا فنادى جبريل أن ربكم فقه يعني يحب فلانا فأجابه أرى شريكًا قد قال قتيزل له المحبة في الأرض وإذا أبغض عبدًا قال جبريل أني أبغض فلانا فابغضه قال فينادى جبريل أن ربكم يبغض فلانا فابغضوه وأرى شريكًا قال فيصرى له البغض في الأرض غريب ولم يخرجوه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو داود الحفدي حدثنا عبد العزيز يعني ابن محمد وهو الدراوردي عن سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل أني قد أحبت فلانا فاجبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الأرض فذلك (٢٢٤) قول الله عز وجل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتيبة عن الدراودي به وقال الترمذي حسن صحيح وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال حبًا وقال مجاهد عنه سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد ابن جبير عنه سيحبهم ويحبهم يعني إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضًا والضحاك وغيرهم وقال العوفي عن ابن عباس أيضًا الودم المسكين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق وقال قتادة إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا أي والله في قلوب أهل الإيمان ذكر لنا أن هرب بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرققه مودتهم ورحمتهم وقال قتادة وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول ما من عبد يعمل خيرا أو شرا إلا كساه الله عز وجل رداءه

المحسنين لله المصدقين لرسوله وتذرية قوم الادي عوجا عن الحق مائلين الى الباطل وقال ابن ابي عمير عن مجاهد قوما لا يستقيمون
وقال الثوري عن اسمعيل وهو السدي عن أبي صالح وتذرية قوم الادي عوجا عن الحق وقال الضحاك الادي الحسم وقال القرظي
الادي الكذاب وقال الحسن البصري قوم الادي عوجا عن الحق وقال القلوب وقال قتادة قوما الادي عوجا عن الحق وقال العوفي
عن ابن عباس قوما الادي عوجا عن الحق وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد وقال ابن زيد الادي عوجا عن الحق وقاله تعالى وهو الادي الحسم
وقوله وكما أهلكنا قبلهم من قرن أي من أمة كفر وأبى الله وكذا روى له من يحسن منهم من أحد أو تجمع لهم مركز أي هل ترى
منهم أحد أو تجمع لهم مركز قال ابن عباس وأبو العباس وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبيرة والضحاك وابن زيد يعني
اللغة هو الصوت الخفي قال الشاعر
مونا وقال الحسن وقتادة هل ترى عينا أو تجمع صوتا أو كزفي اصل (٢٢٥)

فتوحست ركز الانيس فراعها
عن ظهر غريب والانس سقامها
آخر تفسير سورة مريم والله الحمد
والمنة يتلو ان شاء الله تفسير سورة
طه والله الحمد

«سورة طه هي مكية»

روى امام الائمة محمد بن اسحق بن
خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد
ابن أيوب عن ابراهيم بن المنذر
الخراساني حدثنا ابراهيم بن مهاجر بن
مسار عن عمر بن حفص بن ذكوان
عن مولى الحرقه يعني عبد الرحمن
ابن يعقوب عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الله قرأ طه ويس قبل ان يخلق آدم
بألف عام فلما سمعت الملائكة
قالوا طوبى لائمة ينزل عليهم هذا
وطوبى لا جواف تحمل هذا وطوبى
لأبن تنكح بهذا هذا حديث
غريب وفيه تمارة و ابراهيم بن
مهاجر وشيخه تنكح فيها

«يسمى الله الرحمن الرحيم»

(طه ما نزلنا عليك القرآن لتشقى)

وذلك يقتضي عطف الجميع ثم ان نظرا لاخر المدة وأولها أوقية يقتضي العطف بالفاء ان نظرا
لاخرها فقط (ثم خلقنا النطفة علقه) أي انه سبحانه أحال النطفة البيضاء علقه جواء
(خلقنا العلقه مضغة) أي قطعة لحم غير مخلقة (خلقنا المضغة) أي غالبا أو كلها قولنا
حكماهما أبو السعود (عظاما) أي متصلة لتكون عودا للبدن على اشكال مخصوصة
(فكسونا العظام لحا) من بقية المضغة وما أنبت الله سبحانه على كل عظم لحا على المقدار
الذي يليق به ويناسبه (ثم أنشأناه خلقا آخر) مبينا للخلق الاول أي تفخيمه الروح بعد
ان كان جادا قاله ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والشعبي والحسن وأبو العباس
والربيع بن أنس والسدي والضحاك وابن زيد واختاره ابن جرير وقيل آخر جناده الى
الدنيا وقيل هو نبات الشعر وقيل خروج الأستنان قاله ابن عباس وقيل تكميل
القوى المخلوقة فيه وقيل كمال شبابه وقيل ان ذلك تصرف أحواله بعد الولادة من
الاستملال الى الرضاع الى القعود والقيام الى المنشئ الى العظام الى ان يأكل ويشرب
الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعد هذا والجميع انعام في هذا وفي غيره من النطق
والادراك وحسن المحاولة وتحصيل المعتولات الى ان يموت قال الكرخي المعنى حولنا
النطفة عن صفاتها الى صفته لا يحيط بها وصف الواصفين (فتبارك الله) أي استحق
التعظيم والثناء وقيل مأخوذ من البركة أي كثر خير وبركته (أحسن الخالقين)
أي المصورين والخلق في اللغة التدوير يقال خلقت الأديم اذا قصته لتقطع منه شيئا فعنه
أتقن الله النعمتين خلقنا في الظاهر والافانته خالق الكل عن صالح أبي الخليل قال
لمازلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر قال عمر
رضي الله عنه فتبارك الله أحسن الخالقين قال والذي نفسي بيده خفت بالذي تكلمت به
بأمر وعن أنس قال قال عمر وافقت ربني أربع مرات بارسل الله لوصيلنا خلف المقام
فأزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله لو اتخذت على نسائك حجابا

(٢٩ - فتح البيان سادس) الاتذ كرقان يخشى تنزيبا عن خلق الارض والسموات العلي الرحمن على العرش استوى
له ماني السموات وماني الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تحته بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا اله الاسماء الحسنی)
قد تقدم الكلام على الحروف المنقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن عادته وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد بن شيبه
الواسطي حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري أنباءنا اسرائيل عن سالم الافطس عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال طه يا رجل وهكذا
روى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة وعطاء بن محمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفي والحسن وقتادة والضحاك والسدي
وابن أبي الزبير انهم قالوا طه بمعنى يا رجل وفي رواية عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة والثوري انها كلمة بالنبطية معناها يا رجل وقال
الإمام الشافعي معرب وأسنده الثاني عياض في كتابه الشفا من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا شافعي عن القاسم بن ابن جعفر

عن الربيع بن أنس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا ضل في عالم على رجل ووقع الأخرى فأنزل الله تعالى طه يعني طأ الأرض يا محمد ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي ثم قال ولا يفتي ما في هذا من الأكرام وحين المعاملة وقوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي قال جوير عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم قام به جوارحه فبال المشركون من قريش ما نزل هذا القرآن على محمد إلا ليشي فأنزل الله تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي الآية كرمي يفتي فليس الأمر كما زعمه المظنون بل من أناء الله العار قد رآه خبرا كثيرا كائنت في الصبيح عن معاوية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من برد الله خبرا فانه يهد في الدين وما أحسن الحديث رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلام سالم بن عبد الله بن إبراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان (٢٦٦) عن سماعة بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول الله تعالى العلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عبادته أي لم يجعل على وجهكم فيكم الأول أو أريد أن أغفر لكم على ما كان منكم ولا إلى أسناده جدد وثعلبة ابن الحكم هذا هو الذي ذكره أبو عمر في استيعابه وقال نزل البصرة ثم تحول إلى الكوفة وروى عنه سماعة ابن حرب وقال مجاهد في قوله ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي هي كقوله فاقروا ما ينسى منه وكانوا يغلثون الجبال بصيد ودهم في الصلاة وقال قتادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشتي لا والله ما جعله سقاء ولكن جعله رجة نو راو دلا إلى الجنة الآية كرمي يفتي أن الله أنزل كتبه وبعث رسله رجة رحم بها عباد له يذ كرذا كرويتنفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذ كر أنزل الله فيه حلالا وحرامه وقوله تنزيل من خلق الأرض والسماوات إلى أي هذا القرآن الذي جاءه يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء

فانه دخل عليك البر والفاجر فأنزل الله وإذا سألوه من متاعا فأعطواهن من وراء حجاب وقلت لا زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتنتهن أوليسدنه الله أزواجا خيرا ما سكن فترأت عيسى ربه أن طلقكن الآية ونزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلاله أي قوله ثم أنشأناه خلقا آخر فقلت قبارك الله أحسن الخالقين أنخرجه الطيالي وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر وعن زيد بن ثابت قال ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ولقد خلقنا الإنسان الآية فقال معاذ بن جبل فتشارك الله أحسن الخالقين فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له معاذم ضحكك يا رسول الله قال بها ختمت وفي أسناده جعفر الجعفي وهو ضعيف جدا قال ابن كثير وفي خبره هذا تنكارة شديدة وذلك أن هذه السورة مكية يزيد بن ثابت إنما كتب الوحى بالمدينة وكذلك أسلام معاذ إنما كان بالمدينة والله تعالى أعلم (ثم أنكم بعد ذلك) أي الأمور المتقدمة (ليستون) أي لصائرون إلى الموت لا محالة (ثم أنكم يوم القيامة تبعثون) من قبوركم إلى الأخير الحساب والجزاء والعقاب (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) الإلام جواب قسم محذوف والجملة متبذرة مشتملة على بيان خلق ما يحتاجون إليه بعد بيان خلق أنفسهم والمراد بالفوق جهة الملو من غير اعتبار فوقية لهم لأن تلك النسبة إنما تعرض لهم بعد خلقهم ووقت خلق السماوات لم تكن مخاوفين ولم تكن هي فوقا بل خلقا بعد فإله الخسافى والطرائق هي السماوات قال الخليل والفراء والزجاج سميت طرائق لأنها طرق بعضها فوق بعض كطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقه قاله البضاوى قال أبو عبيدة طارقت الشيء جعلت بعضه فوق بعض والعرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقه وقيل لأنها طرائق الملائكة في العروج والهبوط والطيران قاله الرازى وقيل لأنها طرائق الكواكب ومقتلياتهم (وما كائن خلق غافلين) المراد بخلق هنا المخلوق أي وما كائن هذه السبع الطرائق وحفظها عن أن تقع على الأرض بغافلين وقال أكثر

وملكه القادر على ما يشاء الذى خلق الأرض بالتخاضع أو كفاهم أو خلق السماوات العلى في ارتفاعها المفسرين ولطافتهم وقد جاء في الحديث الذى صححه الترمذى وغيره أن سمائة سميرة سمجائة عام وبعد ما ينهوا إلى تليها سميرة جسمائة عالم وقد ورد ابن أبي حاتم ههنا حديث الأوعال من رواية العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثى الله عنه وقوله لا رجن على العرش استوى تقدم الكلام على ذلك في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته أيضا وأن الملك الأسلم في ذلك طريقة السلف امرأ ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من عتة تكيف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعظيل ولا تمثيل وقوله ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى أى الجميع ما كره في قبضته وتحت تصرفه وشيئته وأرادته وحكمه وهو خالق ذلك ومالكه واليه لا اله سواه ولا رب غيره وقوله وما تحت الثرى قال محمد بن كعب أى ما تحت الأرض السابعة وقال الأوزاعى إن يحيى بن أى كثير حدثه أن كعبا سفل قيل له ما تحت هذه الأرض فقال الماء قيل وما تحت الماء قال الأرض قيل وما تحت الأرض قال الماء قيل

المفسرين المراد الخلق كلهم بل حفظنا السموات عن ان تسقط وحفظنا من في الارض ان تسقط السماء عليهم فبذلك هم اوتيسد بهم الارض او لم يكون بسبب من الاسباب المتصلة لهم ويجوز ان يراد في القفلة عن القيام بعصا لهم وما عينهم وفي القفلة عن حفظهم وعن اعمالهم واوقالهم (وازلنا من السماء ماء) هذان جمله مامتن الله سبحانه به على خلقه واما ادم الماء المطر فان به حياة الارض وما فيها من الحيوان ومن جمله ذلك ماء الانهار والنال من السماء والعيون والابار المستخرجة من الارض فان اصلها من ماء السماء وقيل ماء اى عذاب والافلاك جاج ثابت في الارض مع القطع والعذب يقل مع القطع وفي الاحاديث ان الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض ثم جعل الله منه في السماء ماء وفي الارض ماء كذا في البحر ومن ابتداءية وتقدبها على الفعول الصريح للاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعسول عن الانهار لال الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها طارئة بل بمجرد كونها بصفة العلو (يقدر) اى بتقدير من الاستحباب متافعيهم ودفع مضارهم او يقدر اوما يكون به صلاح الزرائع والثمار والشرب فانه لو كان به هلاك ذلك ومثله قوله تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم (فاسكاه في الارض) اى جعلناه ساكنا مستقرا ثابتا فيه ابعضه على ظهورها وبعضه في بطنها ينتفعون به وقت حاجتهم اليه كالماء الذى يبقى في المستنقعات والغدران ونحوها عند انقطاع المطر وأخرج ابن مردويه عن الخطيب قال السيوطى بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال انزل الله من الجنة الى الارض خمسة انهار سحيون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر انزل الله من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل فاستودعها الجبال وأجرها في الارض وجعلها امنا نافع للباس في اصناف معاشهم فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكاه في الارض فاذا كان عند دخرج يا جوج

أَن أَسْأَلَهُ عَنِ خُصَالِ لَا يَبْعَثُهُنَّ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا رَجُلًا أَوْ رَجُلَانِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلْ عَمَّا شِئْتَ قَالَ يُسَاجِدُ أَيُّهَا النَّبِيُّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَامُ عَلَيْهِمَا وَلَا يَمْلِكُ قَلْبُهُ قَالَ صَدَقْتَ ثُمَّ قَالَ يُسَاجِدُ مِنْ أَيْنِ يَشَاءُ الْوَلَدُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاءُ الرَّجُلِ أَيْضٌ عَلَيْهِمَا وَمَاءُ الْمَرْأَةِ رَفِيقِي فَأَيُّ الْمَاءِ يَنْغَلِبُ عَلَى الْآخَرِ غَلِبَ عَلَى الْوَلَدِ فَقَالَ صَدَقْتَ فَقَالَ الْمَلَأَ الرَّجُلُ مِنَ الْوَلَدِ وَمَا لِلْمَرْأَةِ مِنْهُ فَقَالَ لِلرَّجُلِ الْعِظَامُ وَالْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ وَلِلْمَرْأَةِ اللَّحْمُ وَالْدَمُ وَالشَّعْرُ قَالَ صَدَقْتَ ثُمَّ قَالَ يُسَاجِدُ مَا تَحْتَ خَدَيْهِ بَعْضِي الْأَرْضِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلَقَ فَقَالَ فَاغْتَسِمُ قَالَ الْأَرْضُ قَالَ فَاتَّخَذَتْ الْمَاءُ قَالَ فَاتَّخَذَتْ الْمَاءُ قَالَ خَلَقَتْ قَالَ فَاتَّخَذَتْ الْهَوَاءُ قَالَ فَاتَّخَذَتْ الْهَوَاءُ قَالَ الْتَرَى فَاتَّخَذَتْ الْتَرَى فَقَضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْكَوَاوِثِ فَقَالَ انْقُطِعْ عَنِ الْخَلْقِ عِنْدَ عِلْمِ الْخَالِقِ أَيُّهَا السَّائِلُ مَا لِمَسْئُولٍ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ فَقَالَ صَدَقْتَ

أشهد أنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس هل تدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا جبريل صلى الله عليه وسلم هذا حديث غريب جداً وسياق عجيب فقرر به القاسم بن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس بساوي شيئاً وضعفه أبو حاتم الرازي وقال ابن عسدي لا يعرف قلت وقد خلط في هذا الحديث ودخل عليه شيء في شيء وحديث في حديث وقد يحتمل أنه تعمّد ذلك أو أدخل عليه فيه والله أعلم وقوله وإن تعجزوا بالقول فإنه يعلم السر وأخفى أي أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسموات العلى الذي يعلم السر وأخفى كما قال تعالى قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض أنه كان غفوراً رحيماً قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعلم السر وأخفى قال السر ما أسر ما بين آدم في نفسه وأخفى ما أخفى علي ابن آدم مما هو فاعاله قبل أن يعلمه فأنه يعلم ذلك كما فعله فيما عنده كنفس واحدة وهو قوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة وقال الضحاك يعلم السر وأخفى قال السر ما تحدث به نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جبيرة أنت تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غد والله يعلم ما أسر اليوم وما أسر غدا وقال مجاهد وأخفى يعني الوسوسة وقال أيضاً هو وسعيد بن جبيرة وأخفى أي ما هو عام له مما لم يحدث به نفسه وقوله الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى أي الذي أنزل عليك القرآن هو الله الذي لا اله الا هو ذو الاسماء الحسنى والصفات العلى وقد تقدم بيان الاحاديث الواردة في الاسماء الحسنى في أوخر سورة الاعراف والله الحمد والمسلمة (وهل)

(٢٢٨)

وما جوج اوسل الله جبريل فرقع من الأرض القرآن والعلم واخر الاسود من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله (وانا على ذهاب به لقادرون) فاذا رفعت هذه الاشياء من الأرض فقد أهلها خبر الدنيا والاخرة قال البغوي رواه الحسن بن سفيان بالاجازة عن سعيد بن سابق السكندري عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس والمعنى كما قدرنا على انزاله فتحن قادر ون على ان تذهب به وجهه من الوجوه اما بالافساد واما بالصبغة واما بالتعميق والتغوير في الأرض ولهذا التنكير حسن موقع لا يخفى وفي هذا أنه يدشد يد ما يدل عليه من قدرته سبحانه على اذهابه وتقويه حتى يهلك الناس بالعطش وتملأ مواشيه ومثله قوله قل أرايتم ان اصبح ماء كم غورا غن يا تيكم بما معين ثم بين سبحانه ما يتسبب عن انزال الماء فقال (فأنشأنا) أي أوجدنا (لكم) أي بذلك الماء (جنات من نخيل وأعناب) انما أفردهما بالاكثرة منافعهما فانما يقوم مقام الطعام والادام والقوا كد طبا وبابا وقيل اقتصر سبحانه عليهم ما لانهم الموجودان في الطائف والمدينة وما يتصل بذلك كذا قال ابن جرير وقيل لانهم أشرف الاشجار غرراً طيباً منفعة وطعماً ولذة (لكم فيها) أي في هذه الجنات (فوا كه كثيرة) تنفكهون بها (ومنها ما يكون) وتطعمون منها شاة وصيفاً وقيل المعنى ومن هذه الجنات وجوه ارااكم ومعاشكم كقولهم فلان يا كل من حرقه كذا وهو بعيد وقيل المعنى ان لكم فيها فوا كه من غير العنب والنخيل وقيل المعنى لكم في هذين النوعين خاصة فوا كه لان فيها ما أنواعاً مختلفة متفاوتة في الطعم واللون وقد اختلف أهل الفقه في لفظ الفوا كهة على ما اطلق اختلاف كبيراً وأحسن ما قيل انها تطلق على الثمرات التي يأكلها الناس وليست بقوت لهم ولطعام ولادام واختلف في القول هل تدخل في الفوا كهة أم لا (وشجرة) قال الواحدي والمفسرون كلهم يقولون ان المراد بهذه الشجرة شجرة الزيتون وخضت بالذكر لانها لا يتعاهد لها أحد

وتعالى في ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي اليه وتكليمه اياه وذلك بعد ما قضى موسى الاجل الذي كان ينسبه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قاصداً بلاد مصر بعد ما طالت الغيبة عنها أكثر من عشرين سنة ومع زوجته فأفضل الطريق وكانت ليلة شامية وزلزلت بين شعاب وجبال في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يتقدمه من ندمه لمورى نارا كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئاً ولا يخرج منه شرراً ولا شيء فحينها هو كذلك اذا نس من جانب الطور نارا أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن عينه فقال لأهله يبشروهم اني آتيت نارا على آتيتكم منها بقبس أي شهاب من نار وفي الآية الاخرى أو جسدوة من النار وهي البحر الذي معه لهب عليكم تصطلون دل على وجود البرد وقوله بقبس دل على وجود الظلام وقوله أو أجد على النار هدى أي من هديتي الطريق دل على أنه كان قد تاه عن الطريق كما قال الثوري عن أبي سعد الاعور عن عكرمة

بالسقي كان ينسبه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قاصداً بلاد مصر بعد ما طالت الغيبة عنها أكثر من عشرين سنة ومع زوجته فأفضل الطريق وكانت ليلة شامية وزلزلت بين شعاب وجبال في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يتقدمه من ندمه لمورى نارا كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئاً ولا يخرج منه شرراً ولا شيء فحينها هو كذلك اذا نس من جانب الطور نارا أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن عينه فقال لأهله يبشروهم اني آتيت نارا على آتيتكم منها بقبس أي شهاب من نار وفي الآية الاخرى أو جسدوة من النار وهي البحر الذي معه لهب عليكم تصطلون دل على وجود البرد وقوله بقبس دل على وجود الظلام وقوله أو أجد على النار هدى أي من هديتي الطريق دل على أنه كان قد تاه عن الطريق كما قال الثوري عن أبي سعد الاعور عن عكرمة

عن ابن عباس في قوله أو أجد على النار هدى قال من يهديني إلى الطريق وكأنا شاتين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال ان لم أجد احد يهديني الطريق أتيتكم بناروقدون بها (فلما أتاه نودي ياموسى انى أأمر بك فأخبر نعمت الرب الوادى المقدس طوى وأما خبرتك فاستمع لما يوحى انى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) يقول تعالى فلما أتاهأى النار وأقرب منها نودي ياموسى وفى الآية الاخرى نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله وقال ههنا انى أأمر بك أى الذى بكلمك ويخاطبك فأخبر نعمتك قال على بن أبى طالب وأبو ذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كانوا من جلد جابر غير ذى وقيل اغتأمره بجمع فعليه تعظيم البقعة - وقال سعيد بن جبيرة كما يوصى الرجل ان يخلف (٢٢٩) فعليه اذا أراد ان يدخل الكعبة وقيل

ليطأ الارض المقدسة بقدميه حافيا غير منتعل وقيل غير ذلك والله أعلم وقوله طوى قال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس هو اسم للوادى وكذا قال غيره واحد فعلى هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الامر بالوطء بقدميه وقيل لانه قدس مرتين وطوى له البركة وكررت والاول أصح كقوله اذا ناداه ربه بالواد المقدس طوى وقوله وأنا اخترتك كقوله انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى أى على جميع الناس من الموجودين فى زمانه وقد قيل ان الله تعالى قال ياموسى أنى نرى لم خصصتك بالكلام من بين الناس قال لا قال لانى لم يتواضع الى أحد تواضعك وقوله فاستمع لما يوحى أى استمع الآن ما أقول لك وأوحى اليك انى أنا الله لا اله الا أنا هذا أول واجب على المكلفين ان يعلموا انه لا اله الا الله وحده لا شريك له وقوله

بالسقى رعى الى يخرج الدهن منها وهى أول شجرة تنبت بعد الطوفان تعمرفى الارض كثيرا حتى قال بعضهم انها تعمرفى ثلاثة آلاف سنة على ما ذكره الخازن فذكرها الله سبحانه امتنانا لله على عباده بها ولانها أصل كرم الشجر وأعماها فنعوا أكثرها بركة (فخرج من طور سيناء) خصت به مع انها تخرج من غيره أيضا لان أصلها منه ثم نقلت الى غيره وذكره زكريا وهو جبل بيت المقدس والطور الجبل فى كلام العرب وقيل هو معاصر من كلام العجم واختلف فى معنى سيناء فقيل هو الحسن باللغة النبطية وقيل بالبخشية وقيل بالبريانية ومعناها الجبل الملقب بالأشجار وقيل كل جبل فيه أشجار ممتدة يسمى سيناء وسنين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وقيل هو المبارك وذهب الجمهور الى انه اسم للجبل كما تقول جبل أحد وقيل هو جبل فلسطين وقيل هو اسم المكان الذى فيه هذا الجبل وقيل سيناء اسم بحر بعينه أضيف الجبل اليه لوجوده عنده وقيل هو كل جبل يحمل الثمار وقرئ سيناء بفتح السين وبكسر هاو لم يصرف لانه جعل اسما للبقعة وزعم الاخفش انه أنجمي قال ابن عباس هو الجبل الذى نودى منه موسى (تنبت بالدهن) قال ابن عباس هو الزيتون كمنه ويدهن به وقرئ بفتح التاء وضم الباء وضم التاء وكسر الباء من الثلاثى والرباعى والمعنى على الاولى انها تنبت فى نفسها متمسكة بالدهن وعلى الثانية الباعى مع فهى للمصاحبة قال أبو يعلى الفارسي التقدير تنبت جنانها ومعها الدهن وقيل الباء زائدة قاله أبو عبيدة وقال الفراء والزجاج ان نبت وأنبت بمعنى والاصحى ينكر أنبت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء قال الزجاج وابن جنى أى تنبت ومعها الدهن وقرأ ابن مسعود وتخرج بالدهن وقرئ تنبت الدهن بحذف حرف الجر وقرئ بالدهان والدهن عصارة كل شئ ذى دسم قاله السمين (وصبغ لآكلين) أى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنيا يدهن به وكونه صبغيا يؤتى به وقرئ صبغ مثل لبس ولباس وكل ادم يؤتى به فهو صبغ وصبغ وأصل الصبغ ما يؤن به الثوب وشبهه الا دام به لان الخبز يكون بالادام

فاعبدنى أى وحدنى وقم بعبادتي من غير شريك وأقم الصلاة لذكري قيل معناها صل لذكري وقيل معناها وأقم الصلاة عندك كركنك ويشهد لهذا الثانى ما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهيدي حدثنا الثوري بن سعيد عن قتادة عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله تعالى قال وأقم الصلاة لذكري وفى الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم من نام عن صلاة أو نسيها فأكفارتها أن يصليها اذا ذكرها لا كندارة لها الا ذلك وقوله ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال الضحاك عن ابن عباس انه كان يقرأ دائما كاد أخفيها من نفسى يقول لانه لا يخفى من نفس الله أبدا وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح ويحيى بن زافع وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس أكاد أخفيها يقول لأطعم عليها أحد اغري وقال السدي ليس احد من أهل

السماوات والأرض الأقدأخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهي في قراءة ابن مسعود أنى كأدأخفيها من نفسه يقول كتبها من الخلائق حتى لو استطعت أن أكتبها من نفسي لقلت وقال قتادة كأدأخفيها وهي في بعض القراءات أأخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الأنبياء والمرسلين قلت وهذا كقوله تعالى قل لا أعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وقال تظلت في السماوات والأرض لأتيتكم إلا بقصة: أي ثقل عليها على أهل السماوات والأرض وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مجاب حدثنا أبو عملة حدثني محمد بن سهل الأسدي عن ورقاء قال أقرأهم بأعبدن جبراً كأدأخفيها يعني نصب الألف وتخفف الفاء يقول أظنهم قال ما سمعت قول الشاعر داب شهرين ثم شهراد منكما * بار يكن يخفيان غيرا قال الأسدي الغمر نبت رطب يثبت

(٢٣٠) في خلال ييس والأريكين موضع والديسك الشهر التام

وهذا الشعر لكعب بن زهير وقوله سبحانه وتعالى العزى كل نفس بما تسبي أي أفعها إلى محالة لا تجزى كل عامل بعمله فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وإنما تجزون ما كنتم تعملون وقوله فلا يصدك عنهما من لا يؤمن بها الآية المراد بهذا الخطاب أحد المكلفين أي لاتبعوا سييل من كذب بالساعة وأقبل على دلائله في دنياه وعصى مولاه وتابع هواه فخر وافقههم على ذلك فقد خاب وخسر فسترى أي تم لك وتعطب قال الله تعالى وما يغني عنه ماله إذا زدى (وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصا أي عصاك عليها وأهش بها على عبي ولي فيها ما رب آخرى قال ألقها يا موسى فإلقاها فادأهى حية تسمى قال خذها ولا تخف سعيداً سيها الأولى) هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومجيئة عظيمة وخرق

كلمة صبر غيبه جعل الله سبحانه في هذه الشجرة المباركة أدما وهو الزيتون ودها وهو الزيت (وان لكم في الأنعام لعبرة) هذه من جملة النعم التي امتن الله بها عليهم وقد تقدم تفسير الأنعام في سورة النحل وهي الإبل والبقرة والغنم قال النيسابوري وأهل القصد بالأنعام هنا إلى الإبل خاصة لأنها هي المحمول عليها في العادة ولأنه قرن بها بالفلك وهي سفائن البركان الفلك سفائن البحر قال ذوالرمة * سفائن بر تحت حذى زمامها * وبين سبحانه أنه عابرة وعظة لآدم بما يستدل بحلقه أو أفعاله أعلى عظم القدرة الإلهية وخصها بالعبرة دون الثبات لأن العبرة فيها أظهر ثم فصل سبحانه ما في هذه الأنعام من النعم بعد ما ذكره من العبرة فيها للعباد فقال (تسقيكم) بضم النون وفحشها (بمافي بطونها) يعني اللبن المتكوي في بطونها المنصب إلى ضر وعهها من لبن فرت ودم فإن في أنه عباد ما تأكله من العلف واستحالت إلى هذا الغذاء اللذيذ والمشروب النفس أعظم عنة للمعبرين وأكبر موعظة للمتقين وقرى بالفوقية على أن الفاعل هو الأنعام وذكروها بلفظ الجمع لأنه راجع للأنعام مرادها بالجمع وفي النحل قال بمافي بطونه بالافراد تنظرا إلى أن الأنعام اسم مفرد ذكره كزياتي متشابه القرآن وقال الكرماني أن مافي النحل مراد به بعض الأنعام وهو الإبل خاصة فاقى بالضم مفرد ما ذكره المراد منه هنا الكلى الشامل للإناث والذكور بدل العطف في قوله الآتى ولكم فيها منافع فإن هذا لا يخص الإناث وهذا العطف ليد كرفي النحل ثم ذكر مافيها من المنافع أجمالاً فقال (ولكم فيها) أي في ظهورها وألبانها وأولادها وأصوافها وأشعارها وهي حية (منافع كثيرة) ثم ذكر منفعة خاصة فقال (ومنها ما يكون) بعد الذبح لمافي الأكل من عظيم الانتفاع لهم وكذلك ذكر الركوب عليها لما فيه من المنفعة العظيمة فقال (وعليها) أي وعلى الأنعام فإن أريد بها الإبل والبقرة والغنم فالمراد وعلى بعض الأنعام وهو الإبل خاصة وإن أريد بها الإبل خاصة فالمراد على الجميع ثم لما كانت الأنعام غالب ما يكون الركوب عليه في البرضها ما يكون الركوب عليه

للعادة باهر دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل وقوله وما تلك بيمينك يا موسى قال بعض المفسرين إنما قال له ذلك على سبيل الإنذار له وقيل إنما قال له ذلك على وجه التقرير أي أما هذه التي في يمينك عصا التي تعرفها فسترى ما نصنع بها الآن وما تلك بيمينك يا موسى استفهام تقرير قال هي عصا أي ألقها على أعنة عليا في حال المشي وأهش بها على غنى أي أهش بها الشجرة لتساقط ورقها لتراد غنى قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك الهش أن يضع الرجل المجن في الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وغره ولا يكسر العود فهذا الهش ولا يخط وكذا قال يمين من هيران أيضا وقوله ولي فيها ما رب آخرى أي مصالح ومنافع وطاعات أخر غير ذلك وقد تكلف بعضهم ذكر كثر من تلك ما رتب التي أنهم متفقين كانت قضى له بالليل ويحرس له الغنم إذا نام ويفرسها فتصير شجرة تظل وغير ذلك من الأمور الخارقة

في

للعادة والظاهر أنهم لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صبرها ثعبا ناعيا كان يقر من أهداها
ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية وكذا قول بعضهم أنها كانت لا تدم عليه الصلاة والسلام وقول الأتراك ناعيا في الدابة التي
تخرج قبل يوم القيامة وروى عن ابن عباس أنه قال كان اسمها ماشا والله أعلم بالصواب وقوله تعالى قال القها يا موسى أي هذه العصا
التي في يديك يا موسى ألقها فألقاها فإذا هي حية تسعى أي صارت في الحال حية عظيمة ثعبا ناعيا طويلا يتحرك حركة سريعة فإذا هي
تميزت كأنها جان وهو أسرع الحيات حركة ولكنه صغير فنهض في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة تسعى أي تتدحرج وتتضطرب قال
ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أحد بن عبد الله بن جعفر بن جهم حدثنا مالك عن ابن عباس قال ألقاها فإذا هي حية
تسعى ولم تكن قبل ذلك حية فترت بشجرة ففأكلته وموتت بصخرة فالتفتها (٢٣١) فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها

فوق في مدبرا ونودي أن يا موسى
خذها فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن
خذها ولا تتخف فقبل لدى الثالثة
أنك من الآمنين فأخذها وقال
وهب بن منبه في قوله فلقاها فإذا
هي حية تسعى قال فلقاها على
وجه الأرض ثم جاثت منه نظرة
فاذا بأعظم ثعبان نظر إليه
الناظرون يدب بلبس كأنه يتبعني
شأريد أخذته بتر بالصخرة مثل
الخلقة من الابل فليقمها ويطعن
بالتاب من أنبابه في أصل الشجرة
العظيمة فيجثت باعينا تتقدان نارا
وقد عاد المحجن منها عرفا قيل شعر
مثل النيازك لوعاد الشعبان فامثل
القلب الواسع فيه أضراس
وأنياب لها صريف فلما عان ذلك
موسى ولما مدبرا ولم يعقب فذهب
حتى أمعن ورأى أنه قد أبهر الحية ثم
ذكر به فوق فاستحيما عنه ثم نودي
يا موسى أي ارجع حيث كنت
فرجع موسى وهو شديد الخوف

في البحر فقال (وعلى النمل تحملون) تقيموا النعمة وتكملوا المنة ولما ذكر سبحانه
النمل أتبعه بهد كرفوح لأنه أول من صنعه وذكر ما صنعه قوم نوح دعه بسبب إهمالهم
للتعكير في مخلوقات الله سبحانه والتذكر لنعمه عليهم فقال (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه)
وفي ذلك تعزية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسلية له ببيان أن قوم غيره من
الأنبياء كانوا يصنعون مع أنبيائهم ما يصنع قومهم مع الله واللام جواب قسم محذوف
والواو للاستئناف وهذا شروع في جنس قصص هذا أولها والثانية قصة هود وأولها
أنشأ نوحا بعد هود قرنا آخرين والثالثة قوله ثم أنشأ نوحا بعد هود قرنا آخرين والرابعة قصة
موسى وهرون المذكورة بقوله ثم أرسلنا موسى وأخاه نوحا قصة عيسى وآمه
المذكورة بقوله وجعلنا ابن مريم وآمه آية ثم أنشأ نوحا بعد هود قرنا آخرين وقصة عيسى وآمه
الرازى أو عبد الله على ما قاله السيوطي وعاش نوح من العمر ألف سنة وخمسين كما مر
مرارا وقد تمت قصته لتصل بقصة آدم المذكورة للمناسبة بين نوح وآدم من حيث أنه
آدم الثاني لانحصار النوع الإنساني بعده في نسله (فقال يا قوم اعبدوا الله) وحده
وأطيعوه ولا تشركوا به شيئا كما يستفاد من الآيات الآخرة وجلة (مالك من الغيرة)
تقومون تخافون أن تتركوا عبادتكم بالذي لا يستحقها غيره وليس لكم إلا هو وقيل
المعنى أفلا تخافون أن يرفع عنكم ما خولكم من النعم ويسلبها عنكم وقيل المعنى أفلا
تقون أن أنفسكم عذابه الذي تقتضيه ذنوبكم بعبادتكم غير (فقال الملأ) أي الأشراف
(الذين كفروا) به (من قومه) لا تبعاعهم وحاصل ما ذكره من الشبهة خمسة أولاها قولهم
(ما هذا إلا بشر مثلكم) أي من جنسكم في البشرية لا فرق بينه وبينكم (يريد) أي يطلب
(أن ينفصل عليكم) بأن يسودكم ويتشرف حتى تكونوا تابعين له متقادين لآمره

فقال خذها بيديك ولا تخف سعيدها سيرتها الأولى وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف قد دخلها الخلل من عيدان فلما أمره
بأخذها فالتفت المدرعة على يده فقال له مالك أرايت يا موسى لو أذن الله بحاجتك أرايت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني
ضعيف ومن ضعف خلقت فكششف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضراس والأنياب ثم قبض فإذا هي عصاه
التي عهد لها وإذا به في موضعها الذي كان يضعها إذا ذاق بين الشعبين ولهذا قال تعالى سعيدها سيرتها الأولى أي إلى حالها التي
نعرفه قبل ذلك (وانهم يدركون) أي حتى يدركوا ما هم في حاجة فخرج يصنع من غير سوء آية أخرى ليريك من آياتنا الكبرى أذهب إلى فرعون أنه
طفي قال رب أشرك لي صدرى ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخى
اشد به أزرى وأشركه في أمري كي تسبحك كثيرا وتدركك كثيرا أنك كنت يتابصيرا) وهذا إبراهيمان ثلث موسى عليه السلام وهو

أن الله أمره أن يدخله في جبينه كاسر يد في الآية الأخرى وهي شاعر عن ذلك بقوله وأذهب بك إلى جناحك وقال في مكان آخر وأذهب إليك جناحك من الرب فذا أنك برهان من ربك إلى فرعون وملته وقال مجاهد وأذهب بك إلى جناحك كنه تحت عضدك وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جبينه ثم أخرجه أخرج تبارك لا كأنها فلقه ثم قوله يخرج يضا من غير سوء أي من غير رضى ولا أنى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والفخاك والسدي وغيرهم وقال الحسن البصري أخرجهوا والله كأنهم أصبحوا فلم موسى أنه قد بقي ربيع وزجل ولذا قال تعالى لربك من آياتنا الكبرى وقال وعب قال له ربه أذن في رزلي يدي به حتى سدن ظهره فيجدع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة فوجع يده في العصى وخضع برأسه وعنقه وقوله أذهب إلى فرعون أنه طغى أي أذهب إلى فرعون (٢٢٢) ملائكة مصر الذي خرجت فارامته وهار بافاده إلى عبادة الله وحده

لا شرب لك له ومرة فليحسن إلى بني إسرائيل ولا يعذبهم فإنه قد طغى وبغى وأتر الحياذ الدنيا ونسى الرب الأعلى قال وهب بن منبه قال الله لموسى اطلق براسي قال بكسمي وعيني وإن معك أيدي ونصري وإلى قد ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري فانت جند عظيم من جنسدي بعثتك إلى خلق ضيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكرى وغرته الدنيا عني حتى يخذلني وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني فإني أقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت يدي وبين خلقي لمطشبت به بطشة جبار يعضب لغضبه السموات والأرض والجبال والصار فان أمرت السماء حبسته وأن أمرت الأرض ابتلعته وأن أمرت الجبال دمرته وأن أمرت البحار غرقته ولكنه هان على وسقط من عيني ووسع على واستغنت بما عندي ورحني إلى أنا

ثم صرحوا بأن البشر لا يكون رسولاً فقالوا (ولو شاء الله) إرسال رسول (لا تزل) أي لا أرسل ملائكة رسلا وهي الشبهة الثانية وإنما عسر بالإنزال عن الأرسال لأن إرسالهم إلى العباد يستلزم نزولهم إليهم وقيل معناه لو شاء أن لا يعذب غيره لا نزل (ملائكته) لا بشر (ما معناه هذا) أي بمثل دعوى هذا المدعى النبوة من البشر أو مثل كلامه وهو الأمر بعبادة الله وحده أو ما معناه يبشر بدعى هذه الدعوى وقيل الباء زائدة وهذه هي الشبهة الثالثة والعجب منهم أنهم رضوا بالالوهية للعجوز ولم رضوا بالنبوة للبشر (في آياتنا الأولى) أي في الأم الماضية قبل هذا قالوا هذا الاعتماد منهم على التقليد واعتصاما بجبله ولم يتبعوا بذلك حتى ضو اليه الكذب الجب والبهت الصراح فقالوا (إن هو إلا رجل به جنة) أي حالة خنون لا يدري ما يقول وهي الشبهة الرابعة (فتر بصوابه حتى حين) أي انتظروا به حتى يستبين أمره بأن يبقى من جنونه فيترك هذه الدعوى أو حتى يموت فتستر يحواه من وهي الشبهة الخامسة ولم تعرض لردائها الظهور فسادها قال القراء ليس يريد بالحين هنا وقتا بعينه إنما هو كقولهم دعوه إلى يوم ما فإسمع عليه السلام كلامهم وعرف بتأديهم على الكفر وأصرارهم عليه (قال رب أنصرفني) عليهم فانتقم منهم بما شاء وكيف تريد (بما كذبون) أي بسبب تكذيبهم إياي (فأوحينا إليه) أي أرسلنا إليه رسولا من السماء (أن اصنع الفلأ) أن مفسر قسما في الوحي من معنى القول فلا حاجة إلى جعلها من صدرية والفلأ السفينة (بأعينا) أي أرى أميا ومتلبس بالحق فطنا وكلا تناو قيل بعلمنا لا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله والأول أولى ووجع العين للمبالغة وإن كانت العادة أن الرائي له عينان فقط وقد تقدم معنى هذا في هود (ووحينا) أي بأمرنا لك وتعلمنا إليك لكيفية صنعها قبل وقد صنعها في عاين وجعل طولها ثمانمائة ذراع وعرضها تسعين وارتفاعها ثلاثين وجعلها ثلاث طبقات السفلى للسياج والورام

الغنى لا غنى غيري فبلغه رسالتي وادعه إلى عبادة وتوحيدي وإخلاصي وذكره إياي وحذره فقمتي وبأسى وأخبره أنه لا يقوم نبي لغضبي وقيل له فيما بين ذلك قولنا لعلنا نبتد كرا ويحشى وأخبره إلى العتور والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة ولا روعه ذلك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته يدي ليس ينطق ولا يظرف ولا يتنفس إلا بأذني وقيل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربع مائة سنة في كلها أنت مبارك ما تخاربه تسبوت تتجمل به رتد عباده عن سبيله وهو يطر عليك الداجون فبنت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تنفقه ولم تغلب ولو شاء الله أن يعاجلك العقبوبة لفعل ولكنه ذواته وحلم عظيم وجأته نفسك وأخيل وأنتا تحسبان بجهاذه فإني لو شئت أن أتية بجند لا قبل لهم الفعلة ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجسته نفسه وجوعه أن القشة القليلة ولا قليل مني تغلب القشة السنية فإذني ولا نجس كإني يتسه

والوسطى

ولما منع به ولا تمتد الى ذلك أعينكم كما فأنهم ازهره الحياة قال الدنيا زينة المتوفين ولو شئت ان أزيى نكاح الدنيا بزنة. لعلم فرعون حين
نظر اليها ان مقتدرته تعجز عن مثل ما و تيقنا فعلت ولكنى أرغب بك عن ذلك وأزويه عنك وكذلك أقول بأوليائي وقد عاينا مجرت
في ذلك فاني لا أدودهم عن نعيمها وزخارفها كما يدور الرأى الشقيق ابله عن مبارك العناء وما ذاك لهُوانهم على ولكن ليستكموا
نصيبهم في دار كرامتي سالموا فورا لم تسلكه الدنيا واعلم انه لم يترى الى العباد بزنة حتى يبلغ فيعاندني من الزهد في الدنيا فانها بزنة
المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع وسماهم في وجوههم من أثر السجود وأولئك أوليائي في حقا حقا فاذا
لقيمهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك واعلم انه من أهالي وليائي وأخافه فقد بارزني بالحاربة واداني وعرض لي نفسه
ودعاني الهوانا أسرعني الى نصرته وأوليائي افيلن الذي يحاربني أن يقوم لي (٢٣٣) أم يظن الذي يعداني أن يجرني أم يظن

الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني
وكف وأنا لئالئهم في الدنيا
والآخرة ألا كل نصرتهم الى غيري
رواه ابن أبي حاتم قال رب اشرح
لي صدرى ويسر لي أمرى هذا
سؤال من موسى عليه السلام لربه
عز وجل ان يشرح له صدره فيما
بعثه به فانه قد أمره بأمر عظيم
وخطب جسيم بعثه الى أعظم ملك
على وجه الارض اذ ذاك وأجبرهم
وأشدهم كفرا وأكثهم جنودا
وأمرهم مكالوا وأطاعهم وأبلغهم
تمردا بلغ من أمره ان ادعى انه لا
يعرف الله ولا يعلم لرعاياه الها
غيره هذا وقد مكث موسى في داره
مدة ولدا عندهم في حجر فرعون
على فراشه ثم قتل منهم نفسا
نخافهم ان يقتلوه فرب منهم هذه
المدة بكل الها ثم بعد هذا بعثه ربه
عز وجل اليهم بنذر ايدعهم الى الله
عز وجل ان يعبدوه وحده
لا شريك له ولهذا قال رب اشرح

والوسطى للدواب والانعام والعاليا الانس كما مر (فاذا جاء أمرنا) الفاء الترتيب مضمون
ما بعده اعلى ما قبلها من صنع الفلك والمراد بالامر الامر بالعذاب (وفار التنوير) اى
ان يجي الامر هو فور التنوير اى تنور آدم الذي تخبره به حواء الصار الى نوح وكان من
جارية وقيل التنوير وجه الارض واختلف في مكانه فقيل في مسجد الكوفة وقيل بالشم
وقيل بالهنة والمعنى اذا وقع ذلك (فاسلك) اى فادخل (فيها) يقال سلك في كذا اى دخله
وأسلكته ادخلته وقال ابن عباس اجعل معك في السفينة (من كل زوجين اثنين) قرئ
كل بالتسوين وبالاضافة ومعنى الاولى من كل أمة زوجين ومعنى الثانية من كل زوجين
وهما أمة الذر والاثني اثنين اى من غير البشر والافان ادخل فيها من البشر سبعين أو
ثمانين فادخل من هذا النوع زيادة على اثنين (وأهلك) اى واسلك فيم اهلك اى زوجك
وأولادك (الامن سبق عليه القول) اى الوعد الا زنى باهلا كه منهم كانه كنهان وأمه
(ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بالدعاء لهم بانحائهم (انهم مغرقون) تعليل للنهي عن
المخاطبة اى انهم مقضى عليهم بالاغراق اظلمهم ومن كان هكذا فهو لا يستحق الدعاء له (فاذا
استويت) اى علوت (أتت) واعتدلت (ومن معك) من أهلك واسألك (على الفلك)
راكبين عليه (فقل) وكان الظاهر ان يقال فتقولوا اى أنت ومن معك وانما أفرد نوحا
بالامر بالدعاء المذكور اظهار للنضلة واسعا رابان في دعائه مندوحة عن دعائهم (الحمد لله
الذي نجانا من القوم الظالمين) اى حال بيننا وبينهم وخلصنا منهم كقوله فقطع دابر القوم
الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقد تقدم تفسير هذه القصص في سورة هود على التمام
والكمال وانما جعل سبحانه استواءهم على السفينة نجاة من الغرق جزا لانه قد سبق في علمه
ان ذلك سبب نجاتهم من الغلظة وسلامتهم من ان يصابوا بما أصيبوا به من العذاب ثم أمره
ان يسأل ربه ما هو انفع له وأتم فائدة فقال (وقل رب أراني منزل امباركا) اى أراني في
السفينة قرئ منزل انضم الميم وفتح الزاى على انه مصدر وفتح الميم وكسر الزاى على انه اسم

(٣٠ - فتح البيان سادس) لي صدرى ويسر لي أمرى اى ان لم تكن أنت عونى ونصيرى وعصدي وظهري والافلاطنة
لي ذلك واحل عقد من لسانى يشتهوا قولى وذلك لما كان أصابه من اللغخ حين عرض عليه الترة والجرة فأخذ الجرة فوضعه اعلى
لسانه كما ساقى بيانه وما سأل ان يزول ذلك بالكافية بل بحيث ما رزى الى ويحصل لهم فيه ما يريد منه وهو قدر الحاجة ولو سأل
الجميع زال ولكن الانبياء لا يسألون الا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى اخبارا عن فرعون انه قال أم أنا خير من
هذا الذي هو مهن ولا يكاديين اى يفصح بالكلام وقال الحسن البصرى واحل عقدة من لسانى قال حل عقدة واحدة ولو سأل
أكثر من ذلك أعطى وقال ابن عباس شككوا موسى الى ربه ما يخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة
تمعه من كثير من الكلام وسأل ربه ان يعينه بأخيه هرون يكون له ردا ويسكنهم عنه بكنيهم لا يفصح به لسانه فأتاه سؤاله فحل

عقدت من لسانه وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عرو بن عثمان حدثنا بقية عن الرطبة بن المذرح حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال أنشد ورقاية فقال له ما بك بأس لولا أنك تخلف في كلامك ولست تعرف في قراءة ذلك فقال القرظي يا ابن أخي ألست أفهم لك إذا حدثتك قال نعم قال فإن موسى عليه السلام أنعم الله عليه أن جعل له من لسانه كى يقفه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليه هذا لفظة وقوله وأجعل لي وزيراً من أعلى هرون أنى وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارج عنه وهو مساعدة أخيه هرون له قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال نبى هرون ساعدت حين نبى موسى عليه السلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن جبر حدثنا أنوأسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنهم أخرجت فيها كانت تعقر وتزنت ببعض الأعراب فسمعت رجلاً يقول أى أخ كان في الدنيا (٢٣٤) أنفع لآخيه قالوا ما ندري قال أنا والله أدري قالت فقلت في نفسي في حلفه

لا يستغنى الله أعلم أى أخ كان في الدنيا أنفع لآخيه قال موسى حين سأل لآخيه النبوة فقلت صدق والله قلت ومن هذا قال الله تعالى في النباء على موسى عليه السلام وكان عند الله وحياً وقوله أشدده أنزرى قال مجاهد ظهري وأمره في أمرى أى في مشاوري كنهك كثيرا ونذكر كثيرا قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله فأشواقاً قاعداً ومضطجعاً وقوله إنك كنت بنابصيراً أى في اصطفاك لنا وإعظمت آيات النبوة وبعثت لنا عدوك فرعون قال المجدي ذلك (قال قد أوتيت سؤالاً يا موسى ولقد منّا غلظ مرة أخرى إذ أوجبتنا إلى أمك ما يوجب أن أقدمه في التابوت فأقدمه في اليوم فليلته اليأس الساحل بأخذه عدوى وعدوه وألقيت عليه حبة منى ولم يصع على عبي

مكان فعلى الأولى التقدير أنزلنى أنزل الامبار كما وعلى الثانية أنزلنى مكاناً مباركاً قال الجوهرى المنزل بفتح الميم والزاى النزول وهو الخلال تقول نزلت نزولاً ومنزلاً عن مجاهد قال قال الله تعالى لنوح حين أنزل من السفينة وقيل أمره الله سبحانه بأن يقول هذا القول عند دخول السفينة وقيل عند خروجه منها وأراد بالركبة النجاة من الغرق وكثرة التسل بعد الانجاء والآية تعلم من الله لعباده إذا ركبوا ثم نزلوا أن يقولوا هذا القول قال الواحدى قال المفسرون أنه أمر أن يقول عند استوائه على القلح الحمد لله وعند نزوله منها رب أنزلنى منزلاً مباركاً (وأت خيراً للذين) هذا شامته على الله عز وجل أثر دعائه له (ان في ذلك) أى ما تقدم مما قصه الله علينا من أمر نوح عليه السلام والسفينة وهلاك الكفار (لايات) أى دلالات على كمال قدرته سبحانه وعلامات يستدل بها على عظم شأنه (وان كالمبتليين) أى يختبرين قوم نوح بأرساله اليهم ووعظه واختبرين لهم بأرسال الرسل اليهم ليظهر المطيع والعاصى للناس وأولام لا تكة وقيل المعنى أنه يعاملهم سبحانه معاملة المختبر لا نحو الهام نارية بالارسل وتارة بالعذاب لينظر من يعتبر ويذكر كنهه ولقد تركها آية قول من مذكر (ثم أنشأناهم بعدهم) أى من بعدهم (قرنا) أى قوماً آخرين قال أكثر المفسرين أن هؤلاء هم عاد قوم هود ونبيهم قصتهم على أثر قصة نوح في غير هذا الموضع ولقوله في الاعراف وأذكر أوجعكم خلقاً من بعدهم قوم نوح وقيل هم ثمود لأنهم الذين أهلكوا بالصيحة وقد قال سبحانه في هذه القصة فأخذهم الصيحة وقيل هم أصحاب مدين قوم شعيب لأنهم عن أشك بالصيحة (فأرسلنا فيهم رسولاً منهم) عدى فعل الارسل أى نبى مع الله يعبدى إلى الدلالة على أن الرسول المرسل اليهم نشأ فيهم ودين أظهرهم يعرفون مكانه ومولد له يكون مكنونهم إلى قوله أكثر من سكنهم إلى من يأنسهم من غير مكانهم وقيل وجه التعديتين أنه ضمن معنى القول والاولى لأن تضمين أرسلنا معنى قلنا لا يستلزم تعديته بنى (أن اعبدوا الله) ان مفسرنا أرسلنا قلنا لهم على لسان

الرسول

من يكفله فرجعناك إلى أمك كى تقرعينها ولا تحزن وقتلت نفسها فحينئذ من العلم وقتناك فتونا) هذه آية من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل ونذكر له نعمه السابقة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتجنر عليه من فرعون وملكه أن يقتله لانه كان قد ولد في السنة التى يقتلون فيها الغلمان فالتفت له ناولاً فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النبل وتسكك إلى منزلها ليحمل فذهبت مرة ليرطب الحبل فأنفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهلم ما ذكره الله عنها في قوله واصبح قوادماً موسى فارغان كذبت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها فذهب به البحر إلى دار فرعون فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً أي قدرنا مقدوراً من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بنى إسرائيل حذرنا من وجود موسى فكهم الله وله السلطان العظيم والقدرة السامة أن لا يرى الأعلى فراس

فرعون وبغدي بطعامه وشرا بدمع مجتهد وزوجته له ولهذا قال تعالى ياخذهم عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني أي عند عدوك
 جلتك يجبك قال سلمة بن كهيل وألقيت عليك محبة مني قال حبيبتك إلى عبادي ولتضع على عيني قال أبو عمران الجوني ترى بعين
 الله وقال قتادة تغذي على عيني وقال المعمر بن المثنى ولتضع على عيني بحيث أرى وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني أحججه
 في بيت الملك ينعم ويترف وغداؤه عندهم غدا الملك فتلك الصنعة وقوله انكسرت أختك فقول هل أدلكم على من يكذبه فرددناك
 إلى أمك كي تقر عينها بذلك انه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأياها قال الله تعالى وحرما عليه المراضع من قبل
 فإين أخذه فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون تعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالحره فذهبت به
 وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها ففرضوا بذلك فرحاشيدا (٢٣٥) واستأجر وهاعلى ارضاءه فنانها بسبيد سعادة

ورفعه وراحه في الدنيا وفي الآخرة
 أعظم وأجرل ولهذا جاء في الحديث
 مثل الصانع الذي يحسب في صنعه
 الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها
 وتأخذ أجرها وقال تعالى ههنا
 فرجعنا إلى أمك كي تقر عينها
 ولا تحزن أي عليك وقتلت نفسا
 يعني القبطي تخمينك من الغم وهو
 ما حصل له بسبب عزم آل فرعون
 على قتله ففرغ منهم هارباً حتى ورد ماء
 مدين وقال له ذلك الرجل الصالح
 لا تخف نجوت من القوم الظالمين
 وقوله وقتلنا فتونا قال الامام
 أبو عبد الرحمن أجدن شبيب
 النسائي رحمه الله في كتاب
 التفسير من سننه قوله وقتلنا فتونا
 حديث القتون حدثنا عبد الله
 ابن محمد حدثنا زيد بن هرون أنبأنا
 أصبح بن زيد حدثنا القاسم بن أبي
 أيوب أخبرني سعيد بن جبيرة قال
 سألت عبد الله بن عباس عن قول
 الله عز وجل لموسى عليه السلام

الرسول هذا القول (ما لكم من الله غير) تعليل للأمر بالعبادة (أفلا تتقون) عذابه الذي
 يقتضيه شرككم (وقال الملك من قومه) أي قادتهم وأشرفهم ثم وصف الملك بالكفر
 والتكذيب فقال (الذين كفروا وكدبوا ببقاء الآخرة) أي بما في الآخرة من الحساب
 والعقاب أو بالخير اليها أو كذبوا بالبعث (وأترناهم في الحياة الدنيا) أي وسعنا لهم نعم
 الدنيا فبطروا بسبب ما صاروا فيه من كثرة المال ورفاهة العيش حتى وصفوا رسولهم
 بما ساء لهم في البشرية وفي الأكل والشرب فقالوا (ما هذا الا بشر مثلكم يا كل ما نانا كون
 منسوبة وبشر بما تشربون) منسوبة قاله القراء وقيل ماصدرة فلا تحتاج إلى عائد وذلك
 لأنهم عندهم أنه لا فضل له عليهم وهذه شبهة أولى تنتهي عند قوله لخاسرون (وإن أطلعهم
 بشر أم مثلكم) فبما ذكر من الاوصاف (انكم اذا) أي اذا أطلعتموه (لخاسرون) أي
 معيوبون بترككم آلهم ترككم واتباعكم اياه من غير فضيلة له عليكم ومن حقههم انهم أبوا
 اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم (أبعدكم انكم اذا كنتم) الهزلة للانكار والجله مستأنفة
 بقرينة ما قبلها من تقميع اتباعهم بالانكار وقوع ما يدعوههم إلى الايمان به واستماعه فقرأ
 بكسر الميم من من من مات عيات كخاف ويضغهم مات يموت كقال يقول (وكنتم)
 أي كان بعض اجرائكم (ترانا) بعضها (عظما) نخوة لا لحم فيها ولا أعصاب عليها قيل
 وتقديم التراب لكونه أبعد عن عقولهم وقيل المعنى كان متقدماً ثم تراجعت وكلمة عظما
 (انكم يخرجون) أي معيوبون من قبوركم احياها كما كنتم للسؤال والحساب والثواب
 والعقاب ونفي انكم لئلا كيد وحسن ذلك طول الفصل بين الاولى والثاني بالطرف واليد
 ذهب الخريجي والمرد والقرء وقيل بدل من الاولى واليه ذهب سيبويه (هيات هيات)
 أي بعد وقال ابن عباس بعين بعد قال ابن الانبار وفي هيات عشر لغات ثم سردها
 وهي منية في علم النحو وقد قرئ ببعضها وقال سليمان الجلي فيه لغات كثيرة تزيد على
 أربعين ثم ذكر منها مشهورها وما قرئ به تركها لقله القائدها وهو اسم فعل ماض بمعنى

وقتلنا فتونا فاستلته عن القتون ما هو فقال استأنف لها يا ابن جبيرة فان لها حديثاً بطاويلاً فأجاباً أصبحت غدت إلى ابن عباس
 لا تجزئ ما وعدني من حديث القتون فقال تذا كرفعون وجلسا أو ما كان الله وعد ابراهيم عليه السلام ان يجعل في ذريته
 أنباء ما واد كقوله بعضهم ان بنى اسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وما كانوا يظنون انه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس
 هكذا كان وعد ابراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فاتقروا واجمعوا أمرهم على ان يعثر جالاعهم الشفار
 بطوفون في بنى اسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً الا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما راوا ان الكفار من بنى اسرائيل يعترفون بآجالهم والصلغار
 يذبحون قالوا البوشكين ان تقنوا بنى اسرائيل قصير وان تشاروا من الاعمال والخدمة التي كانوا يفتونكم فافتوا بما كل
 مولود ذكراً تروا كواستقامهم ودعوا عما فلا تقتلوا منهم أحد فاقبش الصغار مكان من يموت من الكفار فانهم ان يكتموا عن تسميتهم

منهم فحقا فمكثرتهم اياكم ولا يشقوا عن تقفون وتحسبون اليهم فاجعوا امرهم على ذلك فعملت ام موسى بهرون في العام الذي
لا يرحم فيه الغلمان فولدته علالية آمنة فلما كان من قابل حلت بموسى عليه السلام فوقع في قلبه اليهم والحنن وذلك من القنون
يا ابن جبر ما دخل عليه وهو في بطن امه عمار اذ به قاوسى الله انها ان لا تحبني ولا تحزنني ان ارادوا اليك وجاعلوا من المرسلين فامرهم
اذ اولدت ان تبعدني في تابوت ثم تلقيني في اليهم فلما وُلدت فعلت ذلك فلما وُارى عنها انها آتاه الله سلطان فقالت في نفسها اما فعلت
ياي لودج عبيدي فوارس وكفسته كان احب الي من أن ألقه الى دواب الجور وحياته فانتهى اليه حتى أوفى بعنده مرفعة
مستقى جوارى امرأه فرعون فلما رأته أخذته فاراد ان يقتلها فارد ان يقتلها فارد ان يقتلها فارد ان يقتلها فارد ان يقتلها فارد ان يقتلها
امرأة الملك بما وجدنا فيه فعملته كهيته (٢٣٦) لم يخرج من منشا حتى دفعته اليها فلما اقتضت رأت فيه غلاما فالتى الله عليه

منها بحسبة لم تلاق منها على أحد قط
وأصبح فؤاد ام موسى فارغا من ذكر
كل شئ الا من ذكر موسى فلما سمع
الذباحون باهرا فلما لبوا بشفارهم
الى امرأه فرعون ليدبحوه وذلك
من القنون يا ابن جبر فقالت لهم
اقروه فان هذا الواحد لا يزيد
في بني اسرائيل حتى أتى فرعون
فأستوهبه منه فان وجهه منى كنتم
قد أحسنتم وأجلتم وان امرأته
لم ألكم فأت فرعون فقالت قرة
عين لي ولك فقال فرعون يكون
لك فأمالى فلاحاجة لي فيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي يحلف به لو أفر فرعون أن
يكون قرة عين له كما قرأت امرأته
لهذا الله كما هداها ولكن حرمه
ذلك فارسلت الى من حولها الى كل
امرأة لئلا ينحصر له نظرا ليعمل
كلما أخذته امرأته ممن لترضعه
لم يقبل على ثديها حتى أشفقت
امرأة فرعون ان يتبع من اللين
فبوت فاسر من اذلك فأمرته بفانخرج الى السوق وجميع الناس ترجوان تحمله فطئرا أخذته منها فاقبل
وأصحت ام موسى والها فقالت لاحد قصي أمره واطلسه هل تسعيل لذكر آتى ابني أم قدأ كلته الدواب ونسيت ما كان الله
وعدا فيه فبصرت به آخيه عن جنب وهم لا يشعرون والجنب أن يسوي بصر الانسان الى شئ بعيد وهو الى جنبه لا يشعر به فقالت
من الشر حين أعياهم الطورات أنا ذلكم على أهل بيت يكنوا لونه لكم وهم لا يصحون فأخذوا فقتلوا ما يدريك ما نفعهم له هل
تعرفينه حتى شكوا في ذلك وذلك من القنون يا ابن جبر فقالت ففهم له وشققتم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك
فتركوهما فطلعت الى أمها فاجبرتها الخبر فقامت أمه فلما وضعت في حجرها رأت الى ثديها فحسه حتى امتلأ جنبها ربا وانطلق النسر
الى امرأه فرعون يبسر ونها ان قد وجدنا لابل نظرا فارسلت اليها فأتت بمأويه فلما رأت ما نفعتم بها قالت امكبي ترضي ابني هذا

وقيل
وأصحت ام موسى والها فقالت لاحد قصي أمره واطلسه هل تسعيل لذكر آتى ابني أم قدأ كلته الدواب ونسيت ما كان الله
وعدا فيه فبصرت به آخيه عن جنب وهم لا يشعرون والجنب أن يسوي بصر الانسان الى شئ بعيد وهو الى جنبه لا يشعر به فقالت
من الشر حين أعياهم الطورات أنا ذلكم على أهل بيت يكنوا لونه لكم وهم لا يصحون فأخذوا فقتلوا ما يدريك ما نفعهم له هل
تعرفينه حتى شكوا في ذلك وذلك من القنون يا ابن جبر فقالت ففهم له وشققتم عليه رغبتهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك
فتركوهما فطلعت الى أمها فاجبرتها الخبر فقامت أمه فلما وضعت في حجرها رأت الى ثديها فحسه حتى امتلأ جنبها ربا وانطلق النسر
الى امرأه فرعون يبسر ونها ان قد وجدنا لابل نظرا فارسلت اليها فأتت بمأويه فلما رأت ما نفعتم بها قالت امكبي ترضي ابني هذا

فاني لم احب شيا حقه قط قالت ام موسى لا استطيع ان ادع بيتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك ان تعطينه فاذهب به الى بيتي
فيكون معي لا اؤد خيرا ففعلت فاني غير تاركة بيتي وولدي وذ كرت ام موسى ما كان الله وعدا فافسده فتعاسرت على امره اذ فرعون
وايقنت ان الله مخبر زوعده فرجعت به الى بيتهم اوى يومها واثبتته الله نبيا احسنوا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم
في ناحية القريه يمتنعين من السحرة والقلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امره اذ فرعون لا ام موسى اثير بيتي ابنى فوعدهم اياها
وزورها اليه وفيه وقالت امره اذ فرعون نزلنا من اوطر ورها وقهار متا لا يقين احسنكم الاستقبال ابني اليوم بهديه وكرامة لا رى ذلك
واثابا عنه امنيما يحصى ما يضع كل انسان منكم فلم يزل الهدايا والكرامة والخل تستقبله من حين خرج من بيت امه الى ان دخل
على امره اذ فرعون فلما دخل عليها فاحتله واكرمه وفرحت به ونحلت امه لحسن (٢٣٧) اثرها عليه ثم قالت لا تبين به فرعون
فليخلفه وليكرمه ففعلت فدخلت به

وقيل الصحة هي نفس العذاب والهلاك الذي نزل بهم (بالحق) اى كائنه بالعدل من
الله فانا يقال فلان يقضى بالحق اى بالعدل ثم اخبر سبحانه عما صاروا اليه بعد العذاب
النازل بهم فقال (لجعلناهم غناء) اى كغناء السمل قيل الغنى الجاهل وقال الزجاج هو
البالى من ورق الشجر اذا جرى السيل فخالط زبده وقيل كل ما يلقه السيل والقدر بما
لا يتوقع به وبه يضرب المثل في ذلك ولا ماله ولا له من غنا الوادى يغتو غموا وكذلك غنت
التدور وقال المحلى هو بيت يس وعنه هو العشب اذا يبس والمعنى صيرناهم هلكى فيسوا
كاييس الغناء وقال ابن عباس جعلوا كائنى الميت البالى من الشجر (فبعد اللقوم
الظالمين) اى بعدوا بعدا او الرضا بعدا فواخبارا ودعاء واللام لبيان من قيل له ذلك
كفى سقيما له وحده قاله الزمخشري وقال الموفى متعلق بعدا وهذا امر دودلانه لا يحفظ
حذف هذه اللام ووصول المصدر الى مجرورها البتة ولذلك منعوا الاشتغال في قوله
فتعسا لهم وهو من المصادر المنصوبة بافعال لا يستعمل اظهارها ووضع الظاهر موضع
المضمر للتعليل (ثم انشأ ثامن بعدهم قرونا آخرين) اى مع رسلهم بعد اهلاكهم قيل
هم قوم صالح ولوط وشعيب ويونس وايوب وغيرهم كما وردت قصتهم على هذا الترتيب في
الاعراف وهو دوقيل هم بنو اسرائيل وكان فيهم الرسل قبل موسى والقرون الاثم ولعل
وجه الجمع هنا للقرون والافراد فمما سبق قريبا انه ارادهم ثامنا عدة وذاك امة واحدة
ثم ثين سبحانه كمال علمه وقدرته في شأن عباده فقال (ما تنسب من امة اجلها وما يتأخرون)
اى ما يتقدم كل طائفة مجتمعة في قرن اجلها المكتوب له في الهلاك ولا يتأخر عنها وممثل
ذلك قوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ذكر الضمير بعد ثابته
رعاية للمعنى لان امة بمعنى قوم ثين سبحانه ان رسله كانوا بعد هذه القرون متواترين وان
شأن اعمهم كان واحدا في التكذيب لهم فقال (ثم ارسلا رسلا كثيرا) يعنى ارسال كل
رسول متأخر عن انشاء القرن الذي ارسل اليه لا على معنى ان ارسال الرسل جميعا متأخر

فانترتهم مامنه مخافة ان يحرقوا فابنده فقالت المرأة لا ترى فصرقه الله عنه بعدما كان قد هم به وكان الله بالغافيه امره فلما بلغ أشده
وكان من الرجال لم يكن احدا من آل فرعون يتخلص الى احدا من بنى اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فبينما
موسى عليه السلام يعيش في ناحية المدينة اذا هو بربطين يقتلان احدهما فرعونى والاخر اسرائيلى فاستغاثه الاسرائيلى على
الفرعونى فغضب موسى غضبا شديدا لانه تناوله وهو يعلم منزلة من بنى اسرائيل وحفظه لهم لا يعلم الناس الا انما ذلك من
الرضاع الام موسى الا ان يكون الله اطلع موسى من ذلك على ما لم يطع عليه غيره فوكره موسى الفرعونى فقتله وليس يراهما
احدا الله عز وجل والاسرائيلى فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل حين ثم قال رب انى ظلمت نفسى
فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم فاصبح في المدينة طائفا يتروى اخبار قاتلى فرعون فقيل له ان بنى اسرائيل قتلوا رجلا من

آل فرعون نخذه البقرة ولا ترخص لهم فقال اخوتي قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وان كان صفوة تغرقه لا يستقيم له ان
يقسم بغير يمينه ولا ثبت فاطلبوا الى علم ذلك آخذكم بحكمكم فيمنعهم بطوفون لا يجحدون ثباتا جوي من الغد قد رأى ذلك
الاسرائيلي يقابل رجلا من آل فرعون آخر فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى قد ندم على ما كان منه
وكره الذي رأى فغضب الاسرائيلي وجور بدأ يطش بالفرعوني فقال للاسرائيلي لما فعل بالاسم واليوم انك لغوي ميين فنظر
الاسرائيلي الى موسى بعدما قال له ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالاسم الذي قتل فيه الفرعوني خاف أن يكون بعدما قال له
انك لغوي ميين أن يكون امامه أراد لم يكن اراده انما أراد الفرعوني خاف الاسرائيلي وقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نسا
بالاسم وانما قاله خوفا أن يكون اياه (٢٣٨) أراد موسى ليقته فتساركا وانطلق الفرعوني فآخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من

الخبر حين يقول يا موسى أتريد أن
تقتلني كما قتلت نسا بالاسم فارسل
فرعون الذباحين ليقبلا موسى
فاخذ رسل فرعون في الطريق
الا عظم عشون على هينتهم بطلمون
موسى وهم لا يخافون ان يقتلهم
فخاف رجل من شبيعة موسى من
أقصى المديسة فاخصر طريقا
حتى سبقهم الى موسى فاخبره
وذلك من القتون بابن جبير فخرج
موسى متوجها نحو مدين لم يلق
بلا قبل ذلك وليس له بالطريق
علم الا حسن ظنه به عز وجل فانه
قال عسى ربى ان يهدينى سواء
السبيل ولما ورد مدين وجد
عليه أمة من الناس يسبقون
ووجد من دونهم امرأتين
تذودان يعنى بذلك حابستين غنهما
فقال لهما ما خبطكما معهن
لن تسيقان مع الناس فالتسلسلنا
قوة نراحم القوم وانما نلقى من
فضول حياتهم ففنى لهما ما فعل

عن انشاء تلك القرون جميعا ومعنى ترى تتوار واحد بعد واحد ويتبع بعضهم بعضا من
الوتور وهو القرد قال الأصمعي وارتب كبي عليه آتبع بعضها بعضا الآن بين كل واحد منها
وبين الآخر مهلة وقال غيره المتواترة المتتابعة بغير مهلة والاولى لان ما كان بدونها
قيل مداركه ومواصله كما فى المقاموس لا ترى وقرى تترابا للتوبين على انه مصدر قال
الحساس وعلى هذا يجوز تترابا كسر التاء لان معنى ثم أرسلناه وانرا وقرى بألف من غير
توين كشبي ودعوى فآله للتأنيث أوفى موضع الحال أى متواترين قال ابن عباس
بعضهم على اثر بعض أى غير متواصلين لان بين كل رسولين زمنا طويلا (كلما أمة
رسولها كذبوه) مستأنفة مبنية للجنى كل رسول لا مثله على ان المراد بالجنى التبليغ
(فآتبعوا) الأسم والقرون (بعضهم بعضا) أى فى الهلاك بما رزلبهم من العذاب
(وجعلناهم أحاديث) أى سرورا وعصا وأخبارا يسعها ويتهيج منها ويحدث من
بعدهم بأمرهم وشأنهم جمع أحاديه وهى ما يتحدث به الناس كالأعاجيب جمع أعجوبة
وهى ما يتعجب الناس منه أو جمع حديث على غير قياس وفى السمين ولكنه شاذ وقال
الاخفش انما يقال ذلك فى الشر ولا يقال فى الخير كما يقال صار فلان حديثا أى عبرة وكما قال
سميحه فى آية أخرى فجعلناهم أحاديث وحرقتناهم كل ممزق قلت وهذه الكلمة غير
مسلية فقد يقال صار فلان حديثا حسنا وقد شذت العرب فى الفاظ جمعوها على صيغة
أفاعيل كالباطيل وأفاطيع وقال الزمخشري الأحاديث تكون اسم جمع للعديد ومنه
أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأفاعيل ليس من أبنية اسم الجمع وانما ذكره
أعجابنا فاعلمناهم من الجوع كقطع وأفاطيع واذا كان عباد يدقد حكموا عليه بأنه جمع
تكسير مع انهم ليلفظوا له بوحد فآرى أحاديث وقد لفظ له بوحد وهو حديث فأنضم
انه جمع تكسيرا لاسم جمع كذا كرنا (فبعد القوم) دعاء عليهم (لا يؤمنون) وصفهم هنا
بعلم الايمان وفيما سبق قرى سبابا الظلم لكون كل من الوصفين صادرا عن كل طائفة من

يعترف فى اللوماء كثيرا حتى كان أول الرعاء فانصرفا بغنهما الى أيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستنزل الطائفتين
بشجرة وقال رب انى لمأتلت الى من خير فقبر واستذكر أودها مرة صدره ما بغنهما حاقلا بطنا فقال ان لك اليوم لسانا
فاخبرناه بما صنع موسى فامر احدهما ان تدعوه فأتى موسى فدعته فلما كله قال لا تخف فنجوت من القوم الظالمين ليس
الفرعون ولا لقومه علينا سلطان ولست انا فى ملكه فقالت احدهما يا أبست أجرة ان خير من استأجرت القوي الامين فاحتلمته
الغيرة على ان قال لهما ما يدريك ما قوتوما ما مائة قتالت اساقوته فخارأت منه فى الدلوحين سنى لانهم أرب رجلا لقط أقوى فى ذلك
السنى منه وأما المائة فانه نظر الى حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم انى امرأه أصوب رآه فمرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لى
اشى خلقى وانعى لى الطريق فلم يفعل هذا الا وهو آمن قسرى عن أيها وصدقها وظن به الذى قالت فقال له لى ان أنكر

احدى ابنتي هاتين على ان تأخرنى عنى حتى فان اتمعت عشر افن عندك وما أريد ان أشق عليك سبحانه ان شاء الله من الصالحين
ففعول فكانت على نبي الله موسى عثمان سنين واجبة وكانت سنتان عدة منه فقصى الله عنه عدة فاتها عشرا قال سعدوه وان
جبر فلقني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أى الاجلين قضى موسى قلت لا وان ايوامى لا أدري فلقبت ابن
عباس فذرت ذلك فقال ما علمت ان غانيا كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله ليتقص منها شيئا ويعلم ان الله كان قاضيا عن
موسى عدة الذى كان وعدة فانه قضى عشر سنين فلقبت النصراني فاختبرته ذلك فقال الذى سألته فاختبرك أعلم منك بذلك قلت
أجل وأولى فلما ساره موسى باهلا كان من أمر النار والعصى ويدماقص الله عليك في القرآن فشكا الى الله تعالى ما يحذر من آل
فرعون في القتل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة فتعهم كنثير من الكلام (٢٣٩) وسأل ربه ان يعينه باخيه هرون يكون

له رداً ويؤسركم عنه بكثير مما لا يفصح
به لسانه فاتاه الله سؤاله وحل
عقدة من لسانه وأوصى الله الى
هرون وأمره ان يلقاه فاندفع
موسى بعصاه حتى لقي هرون عليه
السلام فانطلقا جميعا الى فرعون
فأقاما على باب حينا لا يؤذن لهما
ثم أذن لهما بعد حجاب شديد
فقالا انار سولار بك قال فن ربا
فأخبره بالذى قص الله عليك
في القرآن قال فمات يداً وذكره
القتل فاعتذر بما قد سمعت قال
أريد ان تؤمن بالله وترسل معنا
بنى اسرائيل فأبى عليه وقال انت
بأية ان كنت من الصادقين فاني
عصاه فإذا هي حية تسعى عظيمة
فاغرة فاهامسرة الى فرعون فلما
راها فرعون قاصدة اليه خافها
فأقام عن سريره واستغاث موسى
ان يكفها عنه ففعل ثم أخرج
يده من حبيبه فراها بيضاء من غير
سوء يعنى من غير رص ثم ردها

فعدت الى لونها الاول فاستشار الملا حولها فصار رأى فقالوا له هذا سحر ان يخرجها
بطل بقسك المثل يعنى ملكهم الذى هم فيه والعيش وأبوا على موسى ان يعطوه شيئا محطاب وقالوا له اجمع لهما السحرة فأنهم
بأرض كنبر حتى تغلب بسحرهم فصاروا فرعون قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم
قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم قالوا لهما اجمع لهما السحرة فأنهم
قال لهم أنتم أقاربى وخاصتى واناصع اليكم كل شئ أحييت قوا وعدوا يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى قال سعيد بن جبيرة فحدثني
ابن عباس ان يوم الزينة اليوم الذى أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء فلما اجتمعوا في صعيد قال الناس
بعضهم لبعض انما هذا الاثر لعنا تتبع السحرة ان كانوا الغالين يعنون موسى وهرون استتر بهم فقالوا لا موسى

الطافقين أو لوكون هؤلاء لم يقع منهم الا مجرد عدم التصديق وأولئك هموا البهائم تلك
الاقوال الشنيعة التي هي أشد الظلم وأفظعها ثم حتى سبحانه ما وقع من فرعون وقومه عند
ارسال موسى وهرون اليهم فقال (ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون) متلبسين (بآياتنا) هي
التع المتقدم ذكرها غير مرة ولا يصح عدلها في البحر منها هنا لان المراد الآيات التي كذبوا
بها واستكبروا عنها (وسلطان مبین) المراد به الحجة الواضحة البينة قبل هي الآيات
التع نفسها والعطف من باب الى المثل القرم وابن الهمام وقبل أراد العصالها ثم
الآيات فيكون من باب عطف جبر على الملازمة وقيل المراد بالآيات الدلائل التي
كانت لهما وبالسلطان المبين التسع الآيات (الى فرعون وملئه) أى الاشراف منهم
كما سبق بيانه غير مرة (فاستكبروا) أى طلبوا الكبر وتكفؤهم وتغظؤهم عن الايمان
فإنقاذ الحق (وكافوا قوما عالين) قاهرين الناس أولي بنى اسرائيل بالبغي والظلم
مستغلين عليهم متطاولين كبراً وعناداً وعتداً (فقالوا أنؤمن لبشرين) يعنونهم ما موسى
وهرون (مثلاً) الاستفهام لانكار أى كيف نصدق من كان مثلنا في البشرية والبشر
يطلق على الواحد كقوله بشر اسوي كما يطلق على الجمع كقوله فامات من من البشر أحداً
فتنبهت هنا هي باعتبار المعنى الاول ويطلق على المثني والمذكر والمؤنث وأقره المثل لانه
في حكم المصدر بجري مجزأ في الافراد والتذكير ولا يؤنث أصلاً وقد يوافق ما هو له تنبيه
كقوله يرونهم مثلهم رأى العين وجمعاً كقوله ثم لا يكونوا أمثالكم (وقومهما) أى بنو
اسرائيل (لما عبدون) أى انهم مطعون لسانهم قدامهم به كاستقاد العبد قال
المرد العابد المطيع الخاضع قال أبو عبيدة العرب تسمى كل من دان الملائك عابداً لله وقبل
يحتمل انه كان يدعى الالهية فدعا الناس الى عبادته فاطاعوه وتقديسهم الظرف لرعاية
الفواصل والجلالة طالية (فكذبوهما) أى فأصروا على تكذيبهما (فكانوا من المهلكين)
بالغرق في البحر ثم حتى سبحانه ما جرى على قوم موسى بعد اهلاله عدوهم فقال (ولقد

تغذوهم بسحرهم اما ان تلقى واما ان تكون شئ الملقين قال بل القوا فاقبلوا احبا اليهم وعصيم وقالوا بعزة فرعون اننا نحن الغالبون
 فرأى موسى من سحرهم ما وجس في نفسه خيفة فأتى الله اليه ان اتى عصاك فلما اتها صارت عصا ناعضة فاغرة فاها فجعلت
 العصا تلتبس بالحبال حتى صارت جزا الى الثعابين تدخل فيه حتى ما بقيت عصا ولا حبال الا ابتلعتها فلما عرف السحر ذلك قالوا
 لو كان هذا سحر لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا امر من الله عز وجل آتينا بالله وبما جاء به موسى من عند الله وننوب الى الله
 مما كاد عليه ففسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن واشياعه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعبدون فقلوبهم اهتلكوا وانقلبوا صاغرين
 واحمرأه فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون واشياعه فن رأها من آل فرعون ظن انها انما ابتذلت للشفقة
 على فرعون واشياعه وانما كان حزنها (٢٤٠) وهمها لموسى فلما طال مكث موسى جوعا بعد فرعون الكاذبة طلبا لآية

وعنده عنده ان يرسل معه
 بنى اسرائيل فاذا مضت أخلف
 موعده وقال هل يستطيع ربك
 ان يصنع غير هذا فارسل الله على
 قومه الطوفان والجراد والقمل
 والضفادع والدم آيات مفصلات
 كل ذلك يشكو الى موسى ويطلب
 اليه ان يكفها عنه ويواتقه على
 ان يرسل معه بنى اسرائيل فاذا
 كف ذلك عنه أخلف موعده
 ونكث عهده حتى امر الله موسى
 بالخروج بقومه فخرج بهم ليلا
 فلما أصبح فرعون ورأى انهم قد
 مضوا ارسل في المداين حاشرين
 فتبعه بجند عظيمة كثيرة وأوصى
 الله الى البحر اذا ضربك عيسى
 موسى بعصاه فانقلب اثنتي عشرة
 فرقة حتى يجوز موسى ومن معه
 ثم التقي على من بقي بعد من فرعون
 واشياعه فقتل موسى ان يضرب
 البحر بالعصا وانتهى الى البحر
 وله صيف مخافة ان يضربه موسى

آتينا موسى الكتاب بمعنى التوراة وخبر موسى بالذكر لان التوراة أنزلت عليه في الطور
 وكان هرون خليفة في قومه (لعلمهم) أى لعل قوم موسى (يعتدون) هم الى الحق ويعلمون بها
 فيها من الشرائع فجعل سبحانه آتينا موسى ايها ابناء لقومه لانها وان كانت منزلة على موسى
 فهي لا رشاد قومه وقيل المعنى آتينا قوم موسى الكتاب وقيل ضمير لعلمهم يرجع الى فرعون
 ومثله وهو وهم لان موسى لم يؤت التوراة الا بعد دخاله فرعون وقومه كما قال سبحانه
 ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أمهلكا القرون الاولى ثم اشار سبحانه الى قصة عيسى
 ارجا لافعال (وجعلنا ابن مريم و أمه آية) أى علامة تدل على عظيم قدرتنا وبديع صنعنا
 وقد تقدم الكلام على هذا في آخر سورة الانبياء في تفسير قوله سبحانه وجعلناها آية
 للعالمين قال قتادة آية أى ولدته من غير أب وخلق من غير نطفة وعن الزبيدي بن أنس
 قال آية أى عبرة ولم يقل آيتين لان الاعوجب فيهم ما واحدة والمراد ابن مريم آية و أمه آية
 خلقت الاولى دلالة الثانية عليها (وأوتيناها) أى أسكناهما وأزلناهما وأوصلناهما
 وجعلناهما بأبوان (الى ربوة) بفتح الراء وضهما قرأتان سبعستان قيل هي أرض
 دمشق وبه قال عبد الله بن سلام وسعيد بن المسيب ومقاتل وقيل بيت المقدس فانه قتادة
 وكعب وقيل أرض فلسطين فانه السدي قال ابن عباس الربوة المستوية وهي المكان
 المرتفع من الارض وهو أحسن ما يكون فيه النبات وأثبتناه دمشق وقيل هو أعلى
 مكان من الارض فيزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو أقرب بقاع الارض الى
 السماء وعن مرة الهزلي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان ربوة الرملة
 أخرجه الطبراني وابن أبي حاتم وابن جرير وغيرهم وعن أي هزيرة قال هي الرملة من
 فلسطين وقيل مصر وسبب الايواء انهم افرت بابنها اليها لان ذلك الزمان كان أراد أن
 يقتل عيسى فهربت به الى تلك الربوة ومكثت بها اثنتي عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك
 (ذات قرار) أى مستوى مستقر ليستقر عليه ساكنوه وقال ابن عباس أى ذات خصب

بعصاهم وبنوا فلما رآهم الجعان وتقاربوا قال أصحاب موسى ان المذركون افعل ما أمرتك به ربك وقيل
 فانه لم يكن كذب ولم تكذب قال وعدني ربى اذا أتت البحر افترق اثنتي عشرة فرقة حتى جاوزة ثم ذكر بعد ذلك العصي فضر
 البحر بعصاه حين ذابا وألجند فرعون من أواخر جند موسى فانفرد البحر كما أمره به وكما وعد موسى فلما ان جاز موسى وأصحابه
 كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه التي عليهم البحر كما أمر فلما جاز موسى البحر قال أصحابه اننا نتخاف ان لا يكون فرعون غرق ولا
 نؤمن به لا كفد عاره فأخرجته ليدنه حتى استيقنوا انها لا كنه ثم رابع بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنامهم قالوا يا موسى
 اجعل لنا الهة كالهة انكم قوم تجهلون ان هؤلاء منبر ما هم فيه الاية قد رأيت من العبر وسعيت ما يكفيكم وضى فأنزلهم
 موسى منزلا وقال أطعوا هرون فأتى قد استخاضته عليكم فأتى ذهاب الى ربى وأجلهم ثلاثين يوما ان يرجع اليهم فيها فلما أتى ربى

وأراد أن يكلمه في ثلاثين يوماً وقد صامهن المليون ونهارهن وكره أن يكلمهم به ورجع فسيرهم في الصائم
 الأرض شافخه فقال له ربه حينئذ ناهم أن تطرب وهو أعلم بالذي كان قال يارب اني صكرهت أن أكل الأوفى طيب الرجع قال
 أو ماعلت يا موسى ان رجعت الصائم أطيب عندى من رجعت المسكر ارجع فصم عشرين اثنى ففعل موسى عليه السلام ما أمر به
 فلما رأى قوم موسى انه لم يرجع اليهم في الاجل ساءهم ذلك وكان هرون قد خبطهم وقال انكم قد خدجتم من مصر واقوم فرعون
 عندكم عواري وودائع ولكم فيهم مثل ذلك فاني أرى انكم تحتسبون ما لكم عندهم ولا أحل لكم ودبعة اسودعة وها ولا عارية
 ولينا باردين اليهم شمساً من ذلك ولا محكمه لانفسنا فخر حضرا وأمر كل قوم عندهم من ذلك شيء من متاع أو حلية أن يقذفوه
 في ذلك الحفير ثم أقدم عليه النار فأقرته فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان (٢٤١)

لبنى اسرائيل ولم يكن من بني
 اسرائيل فاحقل مع موسى وبني
 اسرائيل حين احتلوا فقتلوا له ان
 رأى له أثراً فقبض منه قبضة ففر
 بهرون فقال له هرون عليه
 السلام يا سامري ألا تلتقي ما في
 يدك وهو قاض عليه لا يراه أحد
 طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر
 الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا
 القبح الشئ الا ان تدعو الله اذا
 القيتم ان يجعلها مأمراً يدا فلقاها
 ودعاه هرون فقال أريد ان يكون
 مجلأ فاجتمع ما كان في الحفيرة من
 متاع أو حلية أو نحاس أو حديد
 فصارت مجلأ جوف ليس فيه روح
 وله خوار قال ابن عباس لا والله
 ما كان له صوت قط انما كانت
 الرمح تدخل في دبره وتخرج من
 فيه وكان ذلك الصوت من ذلك
 ففترق بنو اسرائيل فرقا فقاتل
 فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم
 به قال هذا زاركم ولكن موسى

وقل ذات غار (و) ماء (معين) قال الزجاج والقراء هو الماء الجاري في العيون فالجميع على
 هذا أزانة كزبانته في متبع وقيل هو فعمل بمعنى مفعول قال علي بن سليمان الاخفش
 يقال معنى الماء اذا جرى فهو معين ومعمون وكذا قال ابن الاعرابي وقيل هو ما خوذ من
 الماعون وهو النفع قال ابن عباس المعين الماء الجاري وقيل الذي تراه العيون وهو النهر
 الذي قال الله فجعل ربك تختك سرا (يا أيها الرسل كلوا) قال الزجاج هذه مخاطبة
 لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال ابن جرير ان الخطاب لعيسى قال القراء هو كما
 تقول الرجل الواحد كقوا و قيل ان هذه مائة الف خطوط بينها كل في زمانه لان هذه
 طريقتهم التي ينبغي اهلهم الكون عليها فيكون المعنى وقتلنا يا أيها الرسل خطاها السلك واحد
 على انفراد لا اختلاف أزمتمهم ويدخل تحتهم عيسى دخولا وليا فهذه حكاية لرسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم على وجه الاجال لما خوطب به كل رسول في عصره حتى نبينا
 حكاية ابوا عيسى وأمه الى الرتبة اينا بان ترتب مبادئ التمتع لم يكن من خصائصه
 عليه السلام بل اباحة الطعام شرع قديم جرى عليه جميع الرسل ووصو به أى وقتلنا لكل
 رسول من الرسل كلوا (من الطيبات) وهو ما يستطاب ويستند وقيل هي الحلالات
 وقيل هي ما جمع الوصفين المذكورين ثم بعد ان أمرهم بالاكل من الطيبات أمرهم
 بالعدل الصالح فقال (واعملوا) عملا (صالحا) وهو ما كان موافقا للشرع فغير عن
 تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسول بصيغة الجمع عند الحكاية اجبالا للايجاز وفيه من
 الدلالة على بطلان ما عليه الرهبان من رفض الطيبات ما لا يخفى ثم قال هذا الامر بقوله
 (اني بما سمعناون علم) لا يخفى على شيء منه وانى مجازيكم على حسب أعمالكم ان خيرا
 وخيرا من شر افسر وهو تخويف بالرسول والمقصود اجمعهم اخرج أجد ومسلم وغيرهما عن
 أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أيها الناس ان الله طيب لا يقبل
 الاطيباء وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا الآيات وقال

(٢٤١ - فتح البيان سادس) أضل الطريق فقالت فرقة لا تكذب بها حتى يرجع الياموسى فان كان ربنا لم نكن
 ضبعنا وبخزنا فيه حين رأينا وان لم يكن ربنا فانا نتبع قول موسى وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس ربنا ولا تؤمن به ولا
 نصدق وأشر بفرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في الجمل وأعلنوا التكذيب فقال لهم هرون يا قوم انما فتنتم به وان
 ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمرى قالوا ليعال موسى وعدا ثلاثين يوما ثم أخلقنا هذه ثم بعون يوما قد مضت وقال سفيان
 أظن به فهو يطالبه يتبعه فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لى قومه من بعده فرجع موسى الى قومه فغضبوا أسفا
 فقال لهم ما سمعتم في القرآن وأخبرنا من أخيه يجره اليه وأنى الاواح من الغضب ثم انه عذرا أحاه بعذر واستغفر له وانصرف
 الى السامري فقال له ما جعلت على ما صنعت قال قبضت قبضة من أثر الرسول وفطنت لها وعيت عليكم فنبذتها وكذلك

سولت في نفسه قال فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس وان لك موعد ان تلقاه وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفاً فخرقته ثم لنفسه في اليوم فقالوا كان الهام يخلص الى ذلك منه فاستيقن بنوا اسرائيل بالقسوة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هرون فقالوا لاجتماعهم يا موسى سل لئلا يربك ان يفرض لنا باب توبة تصنعها فيكفر عنا ماعلمنا فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك لا يالوا الخير خبار بني اسرائيل ومن لم يشرك في العمل فأنطق بهم يسأل الههم التوبة فرجفت بهم الارض فاستجاب الله من قومه ومن وقده حين فعل بهم ما فعل فقال لوشن أهلكتم من قبل وياي اهلك كما فعل السفة ما فعلوا وفيهم من كان الله اطلع منه على ما شرب قايه من حب العجل واعياه به فلذلك رجفت بهم الارض فقال رجعتي وسعت كل شيء فساكنتها للذين يتقون ويؤثرون الزكوة الذين هم يايتا يؤمنون الذين يتبعون (٢٤٢) الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً

عندهم في التوراة والانجيل فقال يا رب سالتك التوبة لقوي فقلت ان رجعتي كتبته قوم غير قوي هلا آخرتي حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة فقال له ان توبتهم ان يقتل كل رجل منهم من اتى من الدواب والفقرة بالسيف ولا يبالى من قتل في ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان ينبغي على موسى وهرون واطاع الله من ذنوبهم فاعتروا بها وفعسوا ما أمر واغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجهاً نحو الارض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكت عنه الغضب فأمرهم بالناسي أمرهم به ان يبلغهم من الوطائف فنقل ذلك عليهم وأبو ان يقرروا بها فاستق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا ان يقع عليهم فآخذوا الكتاب بأعيانهم وهم مصغون ينظرون الى الجبل والكتاب

يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثمذ كر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ومطعمه حرام ومشربهم حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام يتدبده الى السماء يا رب يارب فأني يستجاب لذلك وعن حفص القرظي قال ذلك عيسى بن مريم كان يأكل من غزل أمة وهو مرسل لان حفص تابعي (وان هذه أمتكم أمة واحدة) هذا من جملة ما خوطب به الانبياء والمعنى واعلموا ان هذه ملتكم وشربهم عتكم أيها الرسل مله واحدة وشربهم متحدة يجمعها أصل هو أعظم ما بعث الله به أنبياءه وأرسل فيه كتبه وهو دعاء جميع الانبياء الى عبادة الله وحده لا شريك له والمراد به على هذا العقائد اذهي التي احدثت في كل الشرائع أما الاحكام القرعية فقد اختلفت باختلاف الشرائع وقيل المعنى ان هذا الذي تقدم ذكره هو دينكم وملتكم فالزموه على ان المراد بالامة هنا الذين كانوا في قوله انا وجدنا ابائنا على أمة وقال الخليل أي انا علم بان هذا دينكم الذي أمرتكم ان تؤمنوا به قال القراء واعلموا ان هذه أمتكم وقال سيبويه فاتفقوا لان أمتكم أمة واحدة وانما أشير اليها بهذه التسمية على كمال ظهور أمرهم في الصحة والسداد وانما سبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والفا في (وانا ربكم فاتفقوا) لترتيب الامر بالتقوى على ما قبله من كونه ربكم المختص بالربوبية أي لا تقعوا ما يؤجب العقوبة عليكم مني بان تشركوا بي غيري واتحالفوا ما أمرتكم به اذ منكم منكم عنه ثمذ كر سبحانه ما وقع من الامم من مخالفتهم لما أمرهم به الرسل فقال (فقطعوا أمرهم بدينهم زبرا) الفاعل ترتيب عصيانهم على ما سبق من الامر بالتقوى والضمير يرجع الى ما يدل عليه لفظ الامة والمعنى انهم جمعوا دينهم مع التحاد قطعوا استقررة وأدياناً مختلفة قال المبرد زبرا فراق قطعاً مختلفة واحداً زبوروهي القرعة والطائفة ومثله الزبرة وجمعها زبرا بالضم والفتح قيل معنى زبرا كتبنا فوصف سبحانه الامم بأنهم اختلفوا فافتتحت فرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة الانجيل ثم حرقوا بدلوها وفرقهم شركة اتبعوا ما راعى له لمأبأهم من الانزال قرئ زبرا بضم الباء

بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة ان يتبع عليهم ثم مضوا حتى أووا الى الارض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوم مجابرون خلقهم خلق منكم رذكروا من شمارهم أمر اعيانهم عظمها فقالوا يا موسى ان فهم اقواماً مجابرون لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فان يخرجوا منها فاندخلوا من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأت قال نعم من الجبارين آمنوا موسى وخرجوا اليه قالوا نحن أعلم بقومنا ان كنتم انما تخافون ما رأيتهم من أجسامهم وعددهم فانهم لا يلقون لهم ولا منعة عندهم فاذا خالوا عليهم الباب فاذا دخلوهم فغالبون ويقول اناس انهم من قوم موسى فقال الذين يخافون بنوا اسرائيل قالوا يا موسى اننا لندخلها ابداماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا ناهنا فاعادنا فغضبوا موسى فدعا عليهم وسماهم فاسقين ولم يدع عليهم قبيل ذلك لما رأى منهم من المعصية واساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له

وقرى

ومهاهم كما يماهم فاسقين وحرمها عليهم أربعين سنة يتبعون في الارض يصحون كل يوم فيسيرون ايام لهم قرار وظلل عليهم الغمام في اتبعه وأنزل عليهم المن والسوى وجعل لهم ثيابا البلى ولا تنسج وجعل بين ظهرانيهم حجرا رميا بعدا أمر موسى فضر به بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينتهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من مثقله الا وجدوا ذلك الحجر بينهم بالمكان الذي كان فيه بالامس رفع ابن عباس هذا الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم وصدق ذلك عندى ان معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فانكر عليه ان يكون القرعوني الذي أفضى على موسى أمر القتل الذي قتل فقال كيف يفضى عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه الا الاسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فاخذ يذم معاوية واطلق به الى سعد بن مالك الزهري فقال له يا أبا الحق هل تذكر يوم حدثنا (٢٤٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل موسى الذي قتل من آل فرعون الاسرائيلي الذي أفضى عليه أم القرعوني قال لما أفضى عليه الفرعوني بما مع من الاسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلاهما من حديث بن زيد بن هرون وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه من فروع الا قليل منه وكان له لقاءه ابن عباس رضى الله عنهما ما أبيع نقلهم من الاسرائيليات عن كعب الاحبار وغيره والله أعلم سمعت شيخنا الحافظ أبا الجراح المزني يقول ذلك أيضا وقوله عز وجل (فلنت سنن في أهل مدين ثم حنت على قدر ما موسى واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بايتي ولا تنافي ذكري اذهب الى فرعون انه طغى فقولا له قولنا لعنه يد كرا ويحشى) يقول تعالى

وقرى بفحوه أى قطعاً كتقطع الحديد (كل حزب بما لديهم فرحون) أى كل فريق من هؤلاء المختلفين بما عندهم من الدين محبوبون مسرورون لاعتقادهم أنهم على الحق (قدرهم في عجزهم) أى اتركهم في جهلهم فليسوا بأهل للهداية ولا يضيّق صدرى بأخبار العذاب عنهم فلكل شئ وقت شبه سبحانه ما هم فيه من الجهل بالماء الذي يغمر من دخل فيه والغمر في الاصل ما يغمرك ويعاولك وأصلها البستر والغمر الماء الكثير لانه يغطي الارض وغمر الداء هو الذي يشمل الناس بالعطاء ويقال للبعد الغمر والمراد هنا الخيرة والعقل والضلالة والآية خارجة مخرج التمديد لهم والتسليّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج الامره صلى الله عليه وآله وسلم بالـ كصف عنهم بل غنى له عن الاستعجال بعد ايامهم والخروج من تأخيرهم ومعنى (حتى حين) حتى يحضر وقت عذابهم بالقتل أو حتى يموتوا على الكفر فيعذبون بالنار (أي يحسبون) الهمزة لانكار والجواب عنه مقدر يدل عليه قوله الاتى بل لا يشعرون (أي تأخذهم به من مال وبني) أى ما تعطيهم في هذه الدنيا من الاموال والبنين ونحوه مدد لهم (نصارع لهم في الخيرات) أى فيما فيه خيرهم واكمرامهم قال الزجاج المعنى نصارع لهم به في الخيرات فخذت به وما فى أعما وصوله والرابط هو هذا المخدوف وقال الكسائي ان أعما هو حرف واحد فلا يحتاج الى رابط وقرى يسارع بالتحية على ان فاعله هو الامداد ويسارع الله لهم وقرى بالنون قال الثعلبي وهذه هي الصواب لقوله عندهم وهذه الآية حجة على المعتزلة في مسئلة الاصلح لانهم يقولون ان الله لا يفعل بأحد من الخلق الا ما هو أصح له في الدين وقد أخبرنا ذلك ليس بخير لهم في الدين ولا أصح (بل لا يشعرون) عطف على مقدر ينسحب اليه الكلام أى اضراب التنافي عن الحسبان المستفهم عنه استسهام تقريع والمعنى كلالا تفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشئ أصلا كلبائهم التي لا تفهم ولا تفعل فان ما حولنا منهم النعم

مخاطب لموسى عليه السلام ان ثبت مقيم في أهل مدين فارأى من فرعون وملئه يرمى على صهر حتى انتهت المدة وانقضى الاجل ثم جاء موافقا للقدرا لله وارادته من غير معاد والامر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما شاء ولهذا قال ثم جئت على قدر يا موسى قال مجاهد أى على موعد وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله ثم جئت على قدر يا موسى قال على قدر ارادة الله والنبوة واصطنعتك لنفسى أى اصطفتيك واجتبيتك رسولا لنفسى أى كما أريد وأشاء قال البخاري عند تفسيره احدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهيدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التقي آدم وموسى فقال موسى أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم وأنت الذي اصطفاك الله برسالة واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوبا على قبل ان يخلقته قال نعم فخرج آدم موسى أخرجه وقوله اذهب أنت وأخوك بايتي

أى يصحى وبراجنى ومجترافى ولا تنفى إذ كرى قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لا تطأوا وقال مجاهد عن ابن عباس لا تنهنا والمراد أنهما لا ينتران فذكر الله بل يذكر الله فى حال مواجهة فزعمون ليكون ذكر الله تعالى له ما عليه وقوة له ما وسلطانا كسره كما جافى الحديث أن عبدى كل عبدى الذى يذكرنى وهو مناجزته وقوله أنه جافى الله تعالى فى دعوى وتجبى على الله وعصاه فقوله لا قولنا لعلنا نذكر كراوى يخشى هذه الآية فمعية عظمة وهو أن فرعون فى غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه انذارا لربيع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالاطمعة واللين كما قال ابن زبدى فى قوله لا قولنا لينا يامن يعجب الى من يعاديه فكيف يعجب يتولاه ويناديه وقال رهب بن منبه قوله لا الى العفو والمغفرة أقرب منى الى الغضب والعقوبة وعن عكرمة فى قوله لا قولنا لينا قال لا الله الا الله وقال (٢٤٤) عمر بن عبيد عن الحسن البصرى فقوله لا قولنا

لينا اعذر الله قولنا ان لا نربا ولك معاد وأن بين يديك حسنة ونارا وقال بقية عن على بن هرون عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن التزالي بن سبرة عن على بن قوله لا قولنا لينا قال كنهه وكذا روى عن سفیان الثوري كنهه بابى مرة والحاصل من أقوالهم أن دعوتهم ماله تكون بكلام رفيق لين سهل رفيق ليكون أوقع فى النفوس وأبلغ وأمنح كما قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقوله لعلنا نذكر أو يخشى أى لعلنا يرجع عاهو فيه من الضلال والهلكة أو يخشى أى يوجد طاعة من خشى ربه كما قال تعالى لمن أراد أن يذكر أو يخشى فالتذكر الرجوع عن المحذور والخشية تحصيل الطاعة وقال الحسن البصرى لعلنا نذكر أو يخشى يقول لا تقبل

وأمددناهم به من الخيرات انما هو استدراج لهم واستجراؤا الى زيادة الانتم ليزدادوا انما كما قال سبحانه انما على لهم ليزدادوا انما هو بمسبوبة مسارعة لهم فى الخيرات ولما نفي سبحانه الخيرات الحقيقية عن الكفرة المتضمن أن سبع ذلك بذكرهم من هو أهل الخيرات عاجلا وأجلا فوصفهم بصفات أربع الاولى قوله (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون) الاشفاق الخوف تقول انما شفق من هذا الامر أى خاف قيل الاشفاق هو الخشية فظاهر ما فى الآية هو التكرار وأجيب بحمل الخشية على العذاب أى من عذاب ربهم خائفون ولومن غير فعل خطيئة وبه قال الكلبي ومقاتل وأجيب ايضا بحمل الاشفاق على ما هو أثره وهو الدوام على الطاعة أى دائمون على طاعته وأجيب ايضا بان الاشفاق كمال الخوف فلا تكرر وقيل هو تكرر بل لا كيد كما أشار اليه فى التقرير وفيه نظر والصفة الثانية قوله (والذين هم بايات ربهم يؤمنون) قبل المراد بالآيات هى التنزيلية وقيل هى التكوينية وقيل مجموعهما قيل وليس المراد بالآيات بيانها هو التصديق بوجوده فقط فان ذلك معلوم بالضرورة ولا يوجب المدح بل المراد التصديق بكونها دلائل وأن مدلولها حق والصفة الثالثة قوله (والذين هم ربهم لا يشركون) معه غيره أى يتركون الشرك تركا كليما ظاهرا وباطنا والصفة الرابعة قوله (والذين يؤتون) أى يعطون (منايا) أى ما أعطوا (وقلوهم وجهه) أى خافعة أشد الخوف من أجل ذلك الاعطاء فيظنون أن ذلك لا ينجمهم من عذاب الله وبالجملة حاله حال الزجاج فلوهم وجهه من (أنهم الى ربهم راجعون) وبسبب الوجه لوان يخافون لا يقبل منهم ذلك على الوجه المطلوب لا بمجرد رجوعهم اليه سبحانه وقيل المعنى أن من اعتقد الرجوع الى الخزانة الحساب وعلم أن الجزاى والمحاسب هو الرب الذى لا تخفى عليه خافية لم يخل من وجس وقضى بأنهم ما أتوا مقصورا من الاتيان قال القراء ولو صحت لتحالف قراءة الجماعة لأن من العرب من يلزم فى

أنت يا موسى وأخوك هرون أحلكم قبل ان اعذر الله وهما نذير كشر يزيد بن عمرو بن نفيل الهمز ويروى لامية بن أبى الصلت فيما ذكره ابن اسحق وانت الذى من فضل من ورجة * بعثت اليه موسى رسولا مناديا فقلت لا ذهاب وهرون فادعوا * الى الله فرعون الذى كان باغيا فقوله أنت سويت هذه * بلا وتدخلت استقلت كما هيأ وقوله أنت رفعت هذه * بلا عدا رفق اذن بك يا نيا وقوله أنت سويت وسطها * منسيرا اذا ما جنبته الليل هاديا وقوله من يخرج الشمس بكرة * فيصيح ما مست من الارض ضاحيا وقوله من ينبت الحب فى الثرى * فيصيح منه البقل بمنزرا يا * ويخرج منه حبه فى رؤسه * فى ذال آيات لمن كان واعيا

وقوله عز وجل (فلا ريتا انتما تخافان شرط علينا) ان بشرط علينا ان نبطع قال لا تخافا اني معكما اسمع وأرى فأتياه فقولا انارسلوك فإرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بأية من ربك والسلام على من أتبع الهدى أنا قد أوحى إلىنا أن العذاب على من كذب وتولى يقول تعالى اخبارا عن موسى وهرون عليهم السلام انهما قالوا لا مستجيرين بالله تعالى شاكرين اليه انتما تخافان ان يفرط علينا وان يبطع بنينا ان يدركنا ما يعقوبه أو يعبدى عليهم ما يعاقبهم ما هو ما لا يبتغيان منه ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن يفرط يعجل وقال مجاهد يسط علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يبطع يعبدى قال لا تخافا اني معكما اسمع وأرى أى لا تخافا منه فاني معكما اسمع كلامكم وكلامه وأرى مكانكم ومكانه لا يخفى على من أمركم شئ واعلم ان ناصيته بيدي فلا يسلكم ولا يبتغى ولا يبطس الا بذنوبكم وبعد أمرى وأنا معكم بحفظي ونصري (٢٤٥) وتأيدى وقال ابن أبي حاتم حدثنا بنى حديثنا

على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى الى فرعون فقال رب أى شئ أقول قال قل هيا سراها قال الاعمش فسر ذلك أنا الحق قبل كل شئ والحق بعد كل شئ اسناده جيد وشئ غريب فأتياه فقولا انارسلوك ربك قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس انه قال مكنا على بابي حين لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد وذكر محمد بن اسحق ابن يسار ان موسى وأخاه هرون خرجا فوقنا باب فرعون فلقنا الاذن عليه وهما يقولان أنا رسول الرب العالمين فاذنوا لهذا الرجل فمكنا فيما بلغنى سنتين يغدون ويرحان لا يعلم بهما ولا يجترى أحد على أن يهتبه بشأنا ما حتى دخل عليه بظال له بلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على

الهمم والالقي في كل الحالات قال الخناس ومعنا هاهنا ما علوا وبقولهم ما فعلوا من الطاعات أخرجه الترمذى وابن ماجه والحاكم وصححه وغيرهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله قول الله الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يسرق ويبنى ويشرب الخمر وهو مع ذلك يخاف الله قال لا ولكن الرجل يصوم ويتصدق ويصلى وهو مع ذلك يخاف الله ان لا يتقبل منه وعن ابن عباس قال يعطون ما أعطوا ويعملون حافقين وعن ابن عمر قال الزكاة وعن عائشة قالت هم الذين يخشون الله ويطيعونه وأخرج البخارى في تاريخه والدارقطنى والحاكم وصححه وغيرهم عن عبيد بن عمر انه سأل عائشة كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ هذه الآية والذين يؤتون ما آتوا والذين يؤتون ما آتوا قالت أيتم ما أحب اليك وقلت والذي نفسي بيده لاحدهما أحب الى من الدنيا وما فيها قالت أيتم ما قلت الذين يؤتون ما آتوا قالت أيتم ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأها كذلك وكذلك أنزلت ولكن الهجاء حرف وفي اسناده اسمعيل بن علي وهو ضعيف (أو لئك) أى المتصفون بهذه الصفات (يسارعون في الخير) أى يبادرون بها ويرغبون في الطاعات أشد الرغبة قال الفراء والزجاج ينافسون فيها وقيل يسابقون وقرئ يسرعون (وهم لها سائقون) اللام للثبوت أى هم سائقون ايها وقيل اللام بمعنى الى كما في قوله بأن ربك أوحى لها أى اليها وقيل هم سائقون الناس لاجلها والاظهار ان الضمير يعود على الخيرات لتقدمها في اللفظ وقيل يعود على الجنة وقيل على السعادة قال ابن عباس أى سبقت لهم السعادة من الله ثم لما انجز الكلام الى ذكر أعمال المكلفين ذكر لها حكمين الاول قوله (ولانكم) نفسا (الاوسعها) قد تقدم بيان هذا في آخرة البقرة وفي تفسير الواسع قولنا الاول انه الطاقة كما تفسر بذلك أهل اللغة الثانى انه دون الطاقة قوله قال مقاتل والخناك والكلى والملة تارة قالوا ان الواسع انما سمى وسع لانه يتسع على فاعل فعله ولا يضيق عليه فمن لم

بأن رجلا يقول قولا بحسب ما زعم ان له أله اغرك أرسله الملك قال سائى قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه أخوه هرون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال انى رسول رب العالمين ففرع فرعون وذكر السدى انما أقدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعنا بهم لئلا يفتشوا (١) وهو اللقت ثم عرفاه وسما عليه فقال له موسى باهرون ان ربى قد أمرنى ان آتى هذا الرجل فرعون فادعوه الى الله وأمرى ان تعاونا قال افعل ما أمرى ربك فذهبوا وكان ذلك ليل فضر ب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجترئ على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والخواص بان ههنا رجلا مجنوناً يقول انه رسول الله فقال على به فلما رقباه بين يديه قالوا وقال لهما ما ذا قال الله فى كتابه وقوله قد جئناك بأية من ربك أى بدلالة ومعجزتين من ربك والسلام على من أتبع الهدى أى والسلام عليك ان أتبع الهدى ولهذا كما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل عظيم الروم كتابا كان (١) قوله الطفيل كذا بالنسخ ولغيره

أوله بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاسلم تسليماً ربك الله
أجر له ثم وكذا كتب مسليماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً صورته من مسليمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام
عليك أما بعد فإني قد أشركت في الأمر ذاك المدر والي البر ولكن قرىش قوم يعبدون فكنت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من محمد رسول الله إلى مسليمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين ولهذا قال موسى وهرون عليهما السلام لفرعون والاسلام على من اتبع الهدى أنا قد أوحى اليك آيات الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم
كذب وتولى أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه اليك آيات الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم كذب وتولى عن طاعته كما قال
تعالى فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان (٢٤٦) الحليم هي المأوى وقال تعالى فانذرتمكم ناراً لتظنوا لا بد لعلنا الا لا شئ

الذي كذب وتولى وقال تعالى فلا

صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى

أي كذب قلبه وتولى بفعله (قال

فن ربه كما موسى قال ربنا الذي

أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال

فقال الله ربنا الذي قال عايشا

عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا

يسئ يقول تعالى مخبر عن

فرعون انه قال لموسى منكرا

وجود الصانع الخالق الله كل شئ

وربه ومليك قال فن ربه كما موسى

أى الذى بعثك وأرسلك من

هو فإني لأعرفه وما علمت لكم من

الله غيرى قال ربنا الذي أعطى

كل شئ خلقه ثم هدى قال على بن

أبي طلحة عن ابن عباس يقول خلق

لكل نبي رزقه وقال الضحاك

عن ابن عباس جعل الله الانسان

انساناً والجار جارا والشاء شاة

وقال ابن ابي عمير عن مجاهد

أعطى كل شئ صورته وقال ابن

أبي شحج عن مجاهد سوى خلق كل

دابة وقال سعيد بن جبير في قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال أعطى كل

شئ خلقه ما يصح من خلقه ولم يجعل للانسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل

شئ ما يفتى له من النكاح وهما كل شئ على ذلك ليس شئ منهما يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح وقال بعض

المفسرين أعطى كل شئ خلقه ثم هدى كقوله تعالى الذى قدر فهدى أى قدر قدر اوهدى الخلائق اليه أى كتب الاعمال

والآجال والارزاق ثم اخلاقي ماشون على ذلك ولا يبعدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه يقول ربنا الذى خلق الخلق

وقدر القدر وجعل الخلق على ما أراد قال فيقال القرون الاولى أصعب الاقوال في معنى ذلك ان فرعون لما أخبره موسى بأن ربه

الذى أرسله هو الذى خلق ورزق وقدر فهدى شئ عييج بالقرون الاولى أى الذين لا يعبدون الله أى غياليهم اذ كان الامر كذلك

يستطيع الجالس فليؤتي ايماء ومن لم يستطع الصوم فليطعم وهدى جله مستأنفة للتعريض
على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى الى يل الكرامات ببيان سم ولته وكونه
غير خارج عن حدد الواسع والطاقة وان ذلك عادة الله سبحانه في تكليف عباده وهو
على من حوز تكليف ما لا يطاق (و) جله (لدينا كتاب ينطق بالحق) من تمام
ما قبلها من نفي التكليف بما فوق الواسع والمراد بالكتاب صحائف الاعمال أى عندنا كتاب
قد أنت فيه أعمال كل واحد من المكلفين على ما هي عليه يظهر به الحق المطابق للواقع
من دون زيادة ولا نقص ومثله قوله سبحانه هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون وفي هذا تمديد للعصاة وتأنيس للمطيعين من الحيف والظلم وقيل المراد
بالكتاب اللوح المحفوظ فانه قد كتب فيه كل شئ وقيل المراد القرآن والاول اولى وفي هذه
الآية تشبيه للكتاب بمن يصدر عنه البيان بالنطق بلسانه فان الكتاب يعرب عما فيه كما
يعرب الناطق الحق والمعنى ينطق مثلاً بالحق ووجه (وهم لا يظلمون) مبنية لما
قبلها من تفضله تعالى وعدله في جزاء عباده أى النفوس العاملة لا يظلمون شيئاً منها
بنقص ثواب أو بزيادة عقاب ومثله قوله سبحانه ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك
أحداً والجمع باعتبار عموم النفس لوقوعها في سياق النفي ثم أضرب سبحانه عن هذا افتعال
(بل قلوبهم غمرة) أى بل قلوب الكفار في غمرة غامرة لها (من هذا) الكتاب الذى ينطق
بالحق أو عن الامر الذى عليه المؤمنون يقال نمره الماء اذا غطاه ونمر غمره يغطي من دخله
والمراد بها الغطاء والغفلة أو الحيرة والعمية والجهالة قال ابن عباس يعنى بالقسمرة
الكفر والشك (ولهم) أى للكفار (أعمال من دون ذلك) قال ابن عباس يقول
أعمال ستة دون الشر منها إقامة ما هم في الزنا وقال قتادة ومجاهد أى اهلهم خطايا لا بد
ان يعموا لوها من دون الحق وقال الحسن وابن زيد لهم أعمال ستة لم يعملوها من دون
ما هم عليه لا بد ان يعملوها فيدخلون بها النار والمراد بالدون الغير أى الضد أى ان لهم

أعمالا

كل أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال أعطى كل

شئ خلقه ما يصح من خلقه ولم يجعل للانسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل
شئ ما يفتى له من النكاح وهما كل شئ على ذلك ليس شئ منهما يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح وقال بعض
المفسرين أعطى كل شئ خلقه ثم هدى كقوله تعالى الذى قدر فهدى أى قدر قدر اوهدى الخلائق اليه أى كتب الاعمال
والآجال والارزاق ثم اخلاقي ماشون على ذلك ولا يبعدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه يقول ربنا الذى خلق الخلق
وقدر القدر وجعل الخلق على ما أراد قال فيقال القرون الاولى أصعب الاقوال في معنى ذلك ان فرعون لما أخبره موسى بأن ربه
الذى أرسله هو الذى خلق ورزق وقدر فهدى شئ عييج بالقرون الاولى أى الذين لا يعبدون الله أى غياليهم اذ كان الامر كذلك

بجأحه فخرج بضامن غير سوء فقال هذا سرحت به لتسروا وتبيعوني على الناس فتبعوا ذلك وتكاثروا بهم ولا يمت هذا أمك
فان عندنا سر مثل سررك فلا يقرنك ما أنت فيه فأجعل يثنا وينك موعدا الي وما يجمع نحن وأنت فيه فنعرا ارض ما جئت به
بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعد ذلك قال لهم موسى موعداكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم وفيروزهم وقترعهم
من أعمالهم واجتماع جيعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الانبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات
النسوية وليسد اقل وان يحشر الناس أي جيعهم ضحي أي ضحوة من النهار ليكون أعظم وأجلى وأبين وأوضح وكذلك شأن
الانبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويج ولهذا لم يقل لئلا ولكن نهاراضى قال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم
عاشوراء وقال السدي وقائدة وأن زيد كان (٢٤٨) يوم عيدهم وقال سعيد بن جبلة كان يوم سوقيهم ولا منافاة قلت وفي ليلة

أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت
في الصحيح وقال وهب بن منبه قال
فرعون يا موسى اجعل يثنا وينك
أجلا تنظر فيه قال موسى لم أمر
بهذا انما أمرت بمنابر تك ان
أنت لم تخرج دخلت البلك فاوحى
الله الى موسى ان اجعل يثنا
ويثنا أجلا وقل له أن يجعل هو
قال فرعون اجعله الى أربعين يوما
ففعل وقال مجاهد وقائدة مكانا
سوى منه صفا وقال السدي عدلا
وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم
مكانا سوى مستويين الناس وما
فيه لا يكون صوت ولا شيء يتعجب
بعض ذلك عن بعض مستوحى
يرى (قتولى فرعون فجمع كده ثم
أق قال لهم موسى ويلكم لا تقتروا
على الله كنبا فيصحبكم عذاب
وقد خاب من اقتري فتنازعوا
أمرهم بينهم وأسر والنجوى
قالوا ان هذا لساحر ان يردنا
أن يخرجناكم من أرضكم

التبكي (لأجبار واليوم) فاقول مضربا للجمله موقفة لتبكيتم واقتناطهم وقطع
أطامعهم وخص سجناء المترفين مع ان العذاب لاحق بهم جميعا واقع على مترفيهم وغير
مترفيهم لبيان انهم بعد النعمة التي كانوا فيها صاروا الى حاله نقصا فلها وسأينها فأتخلوا
من النعيم السام الى الشقاء الخالص وخص اليوم بالذكر لانهم قبل والمعنى لا تضيخوا
ولا تضجوا ولا تضجروا ولا تجزعوا ولا تستغيثوا والجوار الصراخ باستغاثة وفي
القاسوس جار كنغ جار وجوار رفع موه بالذات ونضرع واستغاث بالمبرة والثور
صاحا والنبات طال والارض طال نبها (انكم من لا تنصرون) فعليل للنهي عن الجوار
والمعنى انكم من عذاب لا تنصرون ولا تنفعكم جزعكم وقيل المعنى لا يطعكم من جينا
نصرة فتعكم عذابكم من العذاب ثم عدد الله سبحانه عليهم قبائحهم ثم يقال لهم فقال
(قد كانت آياتي) أي القرآن (تلى عليكم) في الدنيا (فكنتم على اعقابكم تنكصون) أي
ترجعون وراءكم قال ابن عباس تدبرون وأصل النكوص ان يرجع القبيح يري أي
الى جهة الخلف وواقع المشيات لانه لا يرى ما وراءه وهو من السوء لانه لا يعرض عن
الحق وقرأ على بن ابي طالب على اذكاركم بدل على اعقابكم (مستكبرين به) أي بالبيت
العتيق وقيل بالحرم والى سوغ الاضمار قبل الذكرا ثم هارهم بالاستكبار به واقتضاهم
بولايتهم والقيام به وكانوا يقولون لا يظهر علينا أحدنا لاهل الحرم وخدامه والى هذا ذهب
جمهور المفسرين وقيل الضمير عائذ الى القرآن والمعنى ان معاصيه يحدث لهم كبر او طغيانا
فلا يؤمنون به قال ابن عطية وهذا قول جيد وقال النحاس القول الاول أولى ويثنا
ذكرناه فعلى الاول يكون به متعلقا بعستكبرين وعلى الثاني بقوله (سامرا) لانهم
كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكان عامة سمرهم ذكر القرآن والطعن فيه
والسامر كالحاضر والحاج والراكب والغائب في الاطلاق على الجمع قال الواحدي
السامر الجماعة يسمرون بالليل أي يتحدثون وقيل مأخوذ من السمر وهو سهر الليل وقال

يسمر ما يؤيد جبا نظر فتسكم اللي فاجعوا كيدكم ثم استوصافا وقد أفلح اليوم من استعلى (يقول تعالى
مخبر عن فرعون انه لما اتوا عده وهو موسى عليه السلام الى وقت ومكان معا لم يؤمن بولي أي شرع في جمع السحرة من مدائن ملكه
كل من ينسب الى السحر في ذلك الزمان وقد كان السحرة فيهم كثير انا فاجدا كما قال تعالى وقال فرعون أشرفي بكل ساحر عليهم ثم
أتى أي اجتمع الناس لملاقات يوم معانهم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرر ملكه واصطف لدا كاره دولته ووقف الرعايا
منه تيسره وأقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكعا على عصاه ومعاه أخوه هرون ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوا وهو
يحرزهم ويحشهم ورجعهم في ابداء عليهم في ذلك اليوم تمتون عليه وهو يعدهم وينهم يقولون اننا لاجرا ان كنا نحن الغالين
قال نعم وانكم اذل من المشرقين قال لهم موسى ويلكم لا تقتروا على الله كذباً بل لا تخجلوا للناس بأعمالكم ايجاداً أشياء لاحقا أتى لها

والهم مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كنتم على الله فسيحكم بعباد أي يهلككم يعقوبه هلا كالا بقوله وقذاب من
افترى فمنازعوا امرهم بينهم قيل معناه انهم تشابهوا فيما بينهم فقال يقول ليس هذا بكلام ساحر انما هذا كلام نبي وقائل
يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم وقوله وأسرأ النجوى أي تناجوا فيما بينهم قالوا ان هذان ابسا حرا وهذه لغة لبعض
العرب جاءت هذه القراءة على اعراسهم ومن قرأ ان هذين اسحاران وهذه اللغة المشهورة وقد توسع الخفاف في الجواب عن
القراءة الاولى بما ليس هذامرضه والغرض ان السحرة قالوا فيما بينهم تعلمون ان هذان الرجل وأخاه يعقوب موسى وهرون
ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم ان يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتبعضهما العامة
وبما تلاقان فرعون وجنوده فينصر اعليه ويخرجواكم من ارضكم (٢٤٩) وقوله ويذهب بطريقكم المثل أي ويستبدوا

بهم هذه الطريقة وهي السحر فانهم
كانوا عظمين بسببها لهم أموال
وأرزاق عليها يقولون اذا غلب
هذان أهلنا كماكم وأخرجواكم من
الارض وتفرودوا بذلك وتعضت
لهم الياسة بهادونكم وقد تقدم
في حديث الفتون أن ابن عباس
قال في قوله ويذهب بطريقكم
المثل يعني ملكهم الذي هم فيه
والعيش وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبي حدثنا عن بن جاد حدثنا
هشيم عن عبد الرحمن بن اسحق
سمع الشعبي يحدث عن علي في
قوله ويذهب بطريقكم المثل
قال يصرفوا جوده الناس اليهم
وقال مجاهد ويذهب بطريقكم
المثل قال أولو الشرف والعقل
والاسنان وقال أبو صالح
بطريقكم المثل أي أشرفكم
وسروركم وقال عكرمة بن خضير
وقال قتادة وطريقكم المثل أي
بنو امرائكم وكانوا أكثر القوم
عددا وأموالهم أكثر عددا والله

الراغب السامري الليل المظلم وقرئ هرا وسما ورويت هذه عن ابن عباس قال الراغب
وقال سامر وسما ورويت هرا وسما ورويت هرا وسما ورويت هرا وسما ورويت هرا وسما
بالفتح الهذيان أي هذين في شأن القرآن أو من الهجر بالضم وهو الفعش وقرئ
تهجرون من أخير أي أخش في منطقة ومن هجر بالتشديد ومن الهجران وهو الترك ومن
الهجر يسكون الجحيم وهو القطع والصدأ تهجرون آيات الله ورسوله وترهضون فيما
فلا تلوهم ما قرئ بالحكمة وفيه التفات قال ابن عباس تهجرون حول البيت وتقولون
هجرا وكانت قرئش يعلقون حلقاتهم حول البيت وعنه قال كان المشركون
تهجرون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القول بسمرهم وعنه قال انما كره السمر حين
زلت هذه الآية أخرجه النسائي (أفلم يدبروا القول) بين سبحانه ان سبب اقدامهم على
الكفر هو أحد هذه الامور الاربعة الاول عدم التدبر في القرآن فانهم لم يتدبروا معانيه
لأنهم لم يصدقوا وأمنوا به وبما فيه والهزة لانكاروا الفاء العطف على مقدر أي فعلوا
ما فعلوا في تدبروا والمراد بالقول القرآن ومنه أفلا يتدبرون القرآن والثاني قوله (أم
جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين) أم هي المقطوعة أي بل أجاءهم من الكتاب فكان ذلك سببا
لأسبكارهم للقرآن والمقصود تقرير انه لم يأت آباءهم الاولين رسول فلذلك أنكروه ومنه
قوله لا تذروهم ما أنذر آباؤهم وقيل انه أتى آباءهم الاقدمين رسل أرسل الله اليهم كما هي سنة
الله سبحانه في إرسال الرسل الى عباده فقد عرف هؤلاء ذلك فكيف كذبوا هذا القرآن
وقيل المعنى أم جاءهم من الاثن من عذاب الله ما لم يأت آباءهم الاولين كما جعل ومن بعده
والثالث قوله (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) وفي هذا اضراب وانتقال من
التوبيخ بما تقدم الى التوبيخ بوجه آخر أي بل لم يعرفوه بالامانة والصدق فانكروه
ومعلوم انهم قد عرفوه بذلك عن أبي صالح قال عرفوه ولكنهم حسدوه والرابع قوله (أم
يقولون به حنثا) هذا أيضا انتقال من توبيخ الى توبيخ أي بل يقولون به جنون مع انهم قد

(٢٥٠ - فتح البيان سادس) يريدان أن يذهباهما انفسهما وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقكم المثل أي بالذي انتم عليه وقوله
فاجعوا كيدكم ثم اتوا صفنا الى اجتماعكم كلكم صفنا واحدا والقوام في ايديكم مرة واحدة تلتهموا الابصار وتغلبوا اعداءوا
ونفذوا فيهم من استعلى اي منا ومنه انا نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل وأما خوف قتال الياسة العظيمة (قالوا يا موسى
امان تاني وامان نكون اول من اتى قال بل ألقوا فاذ احبالهم وعصمهم بخيل اليم من سحرهم انما نسعى فاجوس في نفسه خيفة
بوس فلنا لا تخف انك انت الاعلى وأنت ما في عينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فالتى السحرة
تجعدوا قالوا امنا رب هرون وموسى يقول تعالى تخبرنا عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام انهم قالوا لموسى امان
لنا أي أنت أولا وامان نكون أول من أتى قال بل ألقوا أي انتم ولا يري الناس ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جليلة

امرهم فاذا احب اليهم وعصمهم بخيل اليه من حرهم فانه اتقى وفي الآية الاخرى انهم لما اتوا في الزمان فزعروا اننا نحن الغالبون وقال تعالى وسحر وأعين الناس واستر سحرهم وبارك اسمر عظيم وقال شيئا فاذ احب اليهم وعصمهم بخيل اليه من حرهم فانه اتقى وذلك انهم اودعوا من السحر ما كانت تحزن له بسببه وفيه طرب وتجد بحيث يخيل للناس انها اتقى باختيارها وانما كانت حيلة وكذا وجدنا في اوجعنا كثيرا في كل منهم عصا وحيلة حتى صاروا الوادي ملآن حبات يركب بعضها بعضا وقوله فاعوجس في نفسه خيفة موسى أي خاف على الناس ان يقتلوا بسحرهم ويغتروا بهم قبل ان يلقي ما في بيته فاعوجس الله تعالى البع في الساعة انراخته ان اللق ما في عينك يعني عصاها فاذ اناهي لتلف ما عنده واراد ان يهاضرت تنبأ عظماءه فلا ذواتهم وعقروا رأس وأضراس فخلت تتبع ذلك الحبال والعصى حتى لم يبق منها شيئا (٢٥٠)

نهارا وضوء فقامت المعجزة وانفزع البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى انما صنعوا كد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا محمد بن موسى الشيعاني حدثنا جاد بن خالد حدثنا ابن معاذ أحسبه الصائغ عن الحسن بن جندب بن عبد الله الجبلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أخذتم بعني الساحر فاتلوه ثم قرأ ولا يفلح الساحر حيث أتى قال لا بد من حيث وجد وقد روى أصم الترمذي موقوفا ومرفوعا فلما عين السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوه علموا علم الباقين ان هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وانه حق لا مزية فيه ولا يقدر على هذا الا الذي يقول الشيء كمن فيكون فعند ذلك وقعوا بسجد الله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ولهذا قال ابن عباس

علاؤ الله أرح الناس عقلا وانقيهم ذمنا ووجههم لاولئك جعما يخلف هواهم فدفعوه ووجدوه تعصبا ووجهه وسبقي خامس في قوله ام تسألهم خر جاثما أضرب سبحانه عن ذلك كله فقال (بل جاءهم بالحق) أي ليس الامر كما زعموا في حق القرآن والرسول بل جاءهم متلبسا بالحق والحق هو الدين القويم والقرآن المشتدل على التوحيد وشرائع الاسلام وعن أبي صالح قال اخذ حوائطه عز وجل (وأكثرهم للعين كارهون) لما جيلوا عليه من التعصب والانحراف عن الصواب والبعد عن الحق فذلك كرهوا عند الحق الواضح الظاهر والمراد بالحق هنا نعم من الاول فاذ ذلك أتى به فظهر في مقام المضمر وظاهر النظم أن قرأتهم ان أقلهم كانوا اليكروا الحق ولا يكرهون الحق ولا يفتخروا بالامانة خوفا من الكارثة لانه اولئك قطعهم وعدم فكرتهم لا كراهة الحق (ولو اتبع الحق أهواءهم) مستأنفة لبيان انه لو اجاب الحق على ما هو عليه ويريد من الشريك والوالد لله تعالى لكان ذلك مستلزما للنسب العظيم وخرج نظام العالم عن الصلاح بالكلية وهو معنى قوله (لقد سد السموات والارض) قال ابن جرير ومقاتل والسدي اخذ حوائطه والمعنى لو جعل الله مع نفسه كما يحبون شره كما قد سد شي (ومن فهمين) وقال القرطبي والزجاج الحق القرآن أي لو نزل لقرآن بما يحبون من الشر لانسد نظام العالم وقيل المعنى لو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الالهة مع الله لاختلقت الالهة ومثل ذلك قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لانسدت الوجودات لاختلعت التي عمادة عند تعدد الحاكم وقد ذهب الى القول الاول الا كثرون ولكنه مرد عليه ان المراد بالحق هنا هو الحق المذكور قبله من قوله بل جاءهم بالحق ولا يصح ان يكون المراد به هناك الله سبحانه فالاولى تفسير الحق هنا وخصه بالصدق الصحيح من الدين الخالص من شرع الله والمعنى ولو ورد الحق متباعلا لاهوائهم موافقا لافساد ما بعدهم فحصل الفساد والمراد من في السموات والارض مقيم ما من المخالقات وخص العقلا بما لا يزالان غيرهم تبع وقرأ ابن مسعود وما ينهوا وسبب فساد

وعبيد بن عمر كانوا اول النهار سحرة في آخر النهار شهدا بيرة قال محمد بن كعب كانوا اثنين ألفا وقال القاسم بن أبي برة كانوا سبعين ألفا وقال السدي بعضه وثلاثين ألفا وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي عمارة كان سحرة مرفوعة ثمانية عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن علي بن حمزة حدثنا علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النخعي عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلا أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا المسيب بن واضح بمكة حدثنا ابن المبارك قال قال الرازي لما سحر السحرة مجد اذ رعت لهم الجنة حتى تقطروا اليها قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا اسمعيل بن عبد الله بن سلمان عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قوله وأتاني السحرة بهذا قال رأوا منازلهم من يومهم وشعروا بحسرتهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي برة (قال اسمعيل بن جبير قبل أن أدن لكم انه لكبير كم الذي علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من

المكافئين

المكافئين

خلاف ولا صلبتكم في جذوع الخلل ولعلنا أننا شأنا سعدنا وأبقي قالوا لن نؤثر لك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا أننا آمننا بنبأ يغفر لنا خطايانا وما أكرهنا عليه من السحر والله خير وأبقي يقول تعالى يخبرنا عن كفر فرعون وعنده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأى الذي قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل القلب شرع في المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة فهددهم وتوعدهم وقال أنتم له أي صدقتموه قبل أن آذن لكم أي وما أمرتكم بذلك وافتتتم على في ذلك وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب أنه لكبريكم الذي علمكم السحرا أي أنتم أنما أخذتم السحر عن موسى وافتتتم أنتم وباه على وعلى رعيته لظهوره كما قال تعالى في الآية الأخرى أن هذا المكر مكرتموه في (٢٥١) المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون

ثم أخذتهم مددهم فقال لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبتكم في جذوع الخلل أي لا جعلتكم مثله لاقتلتكم ولا شمرتكم قال ابن عباس فكان أول من فعل ذلك رواه ابن أبي حاتم وقوله ولعلنا أننا شأنا سعدنا وأبقي أي أنتم تقولون أني وقوي على ضلالة وأنتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هات عليهم أنفسهم في الله عز وجل وقالوا لن نؤثر لك على ما جاءنا من البينات أي لن نختار لك على ما حصل لنا من الهدى واليقين والذي فطرنا يحتمل أن يكون قسما ويحتمل أن يكون معطوفا على البينات يعنون لا تختار لك على فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم المبدئ خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لأنك أنت قاض ما أنت قاض أي فافعل ما شئت وما

المكلف من بني آدم ظاهر وهو ذووهم التي من جعلنا الهوى المخالف للعق واما فساد ما عداهم فعلى وجه التمع لانهم مدبرون في الغالب بذوى العقول فلما فسدوا فسدوا ثم ذكر سبحانه أن نزول القرآن عليهم من جله الحق فقال (بل أنبئناهم بذلك) اضطراب وانتقال عن قوله واكثرهم الحق كارهون أي كيف يكرهون الحق مع أن القرآن اتاهم بنشر يفهمهم وتقطعهم فالأدق فيهم الانقياد فالمراد بالذكر هنا القرآن أي أنبئناهم بالكتاب الذي هو خفهم وشرفهم لان الرسول منهم والقرآن بلغتهم ومثله قوله وإنه ذكر لك ولقوله ما حصل المعنى بل أنبئناهم بفقرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم أن يقبلوه ويقبلوا عليه وقال قتادة المعنى بذكرهم الذي ذكر فيه ثوابهم وعقابهم وقيل المعنى بذكر ما لهم به حاجة من أمر الدين وقرئ أنبئهم بآلهم واتهم بآلهم الخطاب أي أنبئهم بالحمد وقرئ بذكرهم وبذكرهم بصيغة التثنية من التذكير وقيل الذكروا لفظ وقيل الذي كانوا يفتنون به يقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين وقال ابن عباس أنبئناهم بآلهم (فهم) بما فعلوا من الاستكبار والتكبر (عذركهم) المختص بهم (معرضون) بسوء اختيارهم لا يفتنون اليه بحال من الأحوال وأتى بذكرهم مظهر للتوكيد والتشجيع عليهم وفي هذا التركيب ما يدل على أن اعراضهم مختص بذلك لا يتجاوز إلى غيره ثم بين سبحانه أنه دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم ليست مشوبة باطماع الدنيا فقال (أم) منقطعة والمعنى لكنهم يزعمون أنك (تسألهم خراجا) تأخذهم على الرسالة والخروج الاجر والجعل فتروا الاميان بك وما جئت به لاجل ذلك مع أنهم يعلمون أنك لم تسألهم ذلك ولا طلبته منهم (خارج) أي رزق (ربك) الذي يرزقك في الدنيا واجر الذي يعطيك في الآخرة (خير) لك وقرئ خراجا والخروج هو الذي يكون مقابلا للدخل يقال لكل ما خرجته الى غيرك خرجا والخروج غالب في الضريبة على الأرض قال المبرد والخروج المصدر والخراج الاسم وقال ابو عمرو بن العلاء الخراج ما لم يترك والخروج ما تبرعت به وروى عنه ايضا الخرج من الرقاب والخراج

وصات البهية انما تقضي هذا الحياة الدنيا أي انما لك تسلط في هذه الدار وهي دار الزوال ونحن قدر غنينا في دار القرار انا آمننا بنبأ يغفر لنا خطايانا أي ما كان منا من الآثام خصوصا ما أكرهنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا نعمين بن حماد حدثنا سفيان بن عيينة عن أي سعيد عن عبد مرقع عن ابن عباس في قوله تعالى وما أكرهنا عليه من السحر قال أخذ فرعون أربعين غلاما من بني اسرائيل فامر أن يعلموا السحر بالقرما وقال علموهم تعليمنا ليعلمه احد في الأرض قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا أنما بنبأ يغفر لنا خطايانا وما أكرهنا عليه من السحر وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقوله والله خير وأبقي أي خير لنا منكم وأبقي أي أدوم ثوابنا كما كنت وعدتنا وميتنا وهو رواية عن ابن أبي حاتم رحمه الله وقال محمد بن كعب القرظي والله خير أي لنا منكم أن اطيع وأبقي أي منك عذابا إن عصي وروى شيوخه عن ابن

احق أيضا والظاهر ان فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف اصحوا
 بحرأه وسوانهدها (انهم يأتون بدججهم فاذن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياتهم مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم
 الدرجات العلى جئات عدن بحري من تحتها الأنهم ارحالدين فيها وذلك جزا من تركي) الظاهر من السلام ان هذا من تسلم ما وعظه
 الصخرة لتسرعون يحذرونه من قسمة الله وعذابه الدائم السرمدي ويرغبونه في ثوابه الا يبى الخالد فقالوا انه من يأت ربه بحجر ما أتى
 بلى الله يوم القيامة وهو جرم فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى كقولنا لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك
 تحزى كل كنوزهم وقال ويحبهم الاشقى الذي يصل النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى وقال تعالى ونادوا يا مالك انقض عيسى
 ربك قال انكم ما تكونون وقال الامام أحمد (٢٥٢) بن حنبل حدثنا المعجل اخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد

الخدري قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أما أهل النار الذين
 هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا
 يحيون ولكن أناس تصيبهم النار
 بذنوبهم فيميتهم اماتة حتى اذا
 صاروا حيا أذن في الشفاعة حتى
 بهم ضمائر تضائر فمشوا على أنهار
 الجنة فيقال يا أهل الجنة أفصخوا
 عليهم فيمتون نبات الجنة تكون
 في جيل السيل فيقال رجل من
 القوم كأن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم كان بالبادية وهكذا
 أخرجه مسلم في كتابه الصحيح من
 رواية شعبة وبشر بن المفضل
 كلاهما عن أبي سفيان سعيد بن زيد
 وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد
 الوارث بن عبد الصمد بن عبد
 الوارث قال حدثنا أبي حدثنا
 حبان سمعت سليمان التيمي عن أبي
 نضرة عن أبي سعيد ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم خطب فأتى
 على هذه الآية انه من يأت ربه
 بحجر ما فان له جهنم لا يموت فيها ولا

من الارض فالخرج أخص من الخراج تقول خراج القرية وخرج الكوفة فزيادة اللفظ
 لزيادة المعنى (وهو خير الازنين) أي أفضل العطين والجله مقرر لما قبلها من كون
 خراجهم سبحانه خيرا ثم لما أثبت سبحانه لرسوله من الأدلة الواضحة المقضية لقبول ما جاءه
 به ونفى عنه أضداد ذلك قال (وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم) أي الى طريق واضحة
 تشهد العقول بانهم مستقيمة غير معوجة والصراط في اللغة الطريق فيسمى الدين طريقا
 لانها تؤدى اليه ثم وصفهم سبحانه بانهم على خلاف ذلك فقال (وان الذين لا يؤمنون
 بالآخرة عن الصراط لنا يكون) يقال نكب عن الطريق شكب نكوبا اذا عدل عنه
 ومال الى غيره والنكوب والنكب العدول والميل ومنه النكباء للريح بين ريحين سميت
 بذلك لعدولها عن المهاب والمه في ان هؤلاء الموصوفين بعدد الايمان بالآخرة أي البعث
 والثواب والعقاب لعادلون عن ذلك الصراط أو عن جنس الصراط ثم بين سبحانه انهم
 مصرون على الكفر لا يرجعون عنه بحال فقال (ولورخصناهم وكشفنا ما بهم من ضرر)
 أي من قسط وجذب (الجواني طغيانهم) أي لتمدادوا في ضلالهم وأصل الجاح القمادي
 في العناد ومنه اللجة بالقبح لتردد الصوت ولجة البحر تردد أمواجه ولجة الليل تردد ظلامه
 وقيل المعنى لورد دنائهم الى الدنيا ولم يندخلهم النار وأختناهم للجواني طغيانهم (بعمهون)
 أي يترددون ويتذبذبون ويخبطون (ولقد أخذناهم بالعذاب) تأكيد للشرطية مسوق
 لتقريرها والعذاب قيل هو الجوع الذي أصابهم في سنى القحط وقيل المرض وقيل القتل
 يوم بدروا اختاره الزجاج وقيل الموت وقيل المراد من أصابه العذاب من الامم الخالية
 (فما استكفوا) أي ما خضعوا ولا نذلوا (لربهم) بل أقاموا على ما كانوا فيه من التردد على
 الله والانهم مائل في معاصيه (وما يتضرعون) أي وما يخشعون لله في الشدة اذ عدا صابها
 لهم ولا يدعون له رفع دلائل أخرج الترمذي والطبراني والحاكم وصححه وغيرهم عن ابن عباس

يحيى قال النبي صلى الله عليه وسلم أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون وأما الذين
 ليسوا من أهلها فان النار تسهم ثم يقوم الشفاعة فيشفعون فيجعل الضمائر رفوفهم ثم يريقال له الحياة أو الحيوان فينبئون
 كما يثبت الغضب في جيل السيل وقوله تعالى ومن ياتهم مؤمنا قد عمل الصالحات اى ومن يأت ربه يوم المعاد مؤمن القلب قد صدق
 ضميره بقوله وعمله فأولئك لهم الدرجات العلى اى الجنة ذات الدرجات العاليات والغرف الآمنات والمسكن الطيبات قال الامام
 احمد حدثنا عفان ابنا ناهاهم حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عباد بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة
 مائة درجة ما بين كل درجتين كابين السماء والارض والقردوس اعلاها درجة ومنها تخرج الانهار الاربعه والعرش فوقها فاذا
 سألتهم الله فاسأوه القردوس ورواه الترمذي من حديث يزيد بن هرون عن همام بن وهب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن

أفأمر موسى عليه السلام حين أنى فرعون أن يرسل معه بنى إسرائيل أن يسرى بهم في الليل ويذهب بهم من قضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام في غيره من السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج بنى إسرائيل أصحابوا وليس منهم من لا داع ولا حجب فغضب فرعون غصبا شديدا وأرسل في المداثر حاشرين أى من يجمعه هو الله الجند من بلدانه رسالتيه يقول أن هؤلاء أشردمة للبلدان وأنهم لنا غاثلون ثم لما بع جنده واستوق له جيشه ساق طلبهم فابعه هوهم مشرقين أى نفسه طلوع الشمس فلما تراءى للجعان أى نظركل من الفريقين إلى الآخر قال احبب موسى أنا مدركون قال كلا أن معى بنى سيمدين ووقف موسى بنى إسرائيل الجبرأماهم وفرعون راءهم فعند ذلك أوحى الله إليه أن اضرب لهم طريقا في البحر

ميساف ضرب البحر بهاء وقال انقلب على باذن الله فانقلب فكان كل فرق كالطود العظيم أي الجبل العظيم فارسل الله الرمح على أرض البحر فافتحه حتى صار يابسا كوجه الارض فلهذا قال فاضرب لهم طرقا في البحر ميسالا تخاف درك أي من فرعون ولا تخشى يعني من البحر أن يعرق قومك ثم قال تعالى فأتبعهم فرعون مجنوده فغشيهم من الهمم أي البحر ما غشيهم أي الذي هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الامر المعروف المشهور كما قال تعالى والموتى في الآخرة فغشاها ما غشى وقال الشاعر

فانا والبحر وشعري شعري أي الذي يعرف وهو مشهور وكما تقدمهم فرعون فسلك بهم في البحر فاضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد كذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود (يا بني اسرائيل قد نجيتكم من عدوكم وواعدناكم بجانب الطور الا نحن نزلنا عليكم المن والسواي كما وامن طيبات ما رزقناكم ولا تشقوا فيه فيحمل عليكم غصبي ومن يحمل علي غصبي فقد

هوى واتى لغفار بن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) يذ كرتعالى نعمه على بنى اسرائيل العظام ومنته الجسم حيث انجأهم من
عدوهم فرعون وأقربهم منه وهم يظنون اليه والى جند قد غرقوا فى صبيحة واحدة لم يبق منهم احد كذا قال واغرقنا آل فرعون
وانتم تنظرون وقال البخارى حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا روح بن عباد حدثنا شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس قال لما اندم رسول الله صلى الله عليه وسلم اندى من جدد اليه ودنصوا ثم قالوا فقتلوا هذا الزم الذى أنظر الله فيه
موسى على فرعون فقتل نحن أولى بترسى قصومهم ورواه مسلم أنصافا صحيحه ثم انه تعالى واغمر موسى بنى اسرائيل بعد خلالة
فرعون الى جانب التوراة واليمن وهو الذى كلمه الله تعالى عليه وسأله الرب و أعطاه التوراة فقال وفى غيوب ذلك عبد بنى اسرائيل
الجليل كما يقصه الله تعالى تريا وأما المني والسليوى (٢٥٤) فقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة البقرة وغيره فالمن حذى كانت

تزل عليهم من السم والساوى
طائر يسقط عليهم فيأخذون من
كل قدر الحاجة الى الغد لئلا يفسا
من الله ورجه بينهم واحسانا اليهم
ولهذا قال تعالى كلوا من طيبات
ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيعمل
عليكم غضبي أى كلوا من هذا
الرزق الذى رزقكم ولا تطغوا فى
رزقي فتأخذوه من غير حله
وتخالفوا ما أمرتكم به فيحصل
عليكم غضبي أى أغضب عليكم
ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى
قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس
رضي الله عنهم ما أى فقد شق وقال
شفي بن مانع ان فى جهنم قصر يرمى
الكافر من أعلاه فهو فى جهنم
أربعين خريفا قبل أن يبلغ الصلصال
وذلك قوله ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى رواه ابن ابى حاتم وقوله
واتى لغفار بن تاب وآمن وعمل
صالحا أى كل من تاب الى تبت
عليه من اى ذنب كان حتى انه تاب

على ان من لم يعمل هذه الاعضاء فياخذت له فهو بمنزلة عادهم (وهو الذى ذرأ كرمي
الارض) أى بشكم فيما بالنسل كما ثبت الجود وقد تقدم تحقيقه (واليه تتشرون) أى
تجمعون يوم القيامة بعد تفريقكم (وهو الذى يحيي) التسم بالانشاء ونفخ الروح فى المصغرة
(ويحيي) التسم بالافناء على جهة الانقراض والاستقلال وفى هذا تذكير بنعمة الحياة
وبيان الاستقلال منها الى الدار الآخرة (وله اختلاف الليل والنهار) خلقوا وابتدأنا
قال الفراء هو الذى جعلهم ما مختلفين يتعاقبان ومختلفان فى السواد والياض وقيل
اختلافها نقصان أحدهما وزيادة الآخر وقيل تكرارهما يوما بعد يوم ويليها بعدلية
(أفلا تعقلون) كنه قدرته وتذكركون فى ذلك ثم بين سبحانه انه لا شبهة لهم فى انكار البعث
الا لتثبت بحيل التخليد الذى على مجرد الاستبعاد فقال (بل قالوا لعلنا نرجع الى الارلون)
أى أبواهم والموافقون لهم فى دينهم من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم ثم بين ما قاله الارلون
فقال (قالوا أنذنا منكم أنذرنا بآياتنا وعظما أنما علموا نوثون) فهذا مجرد استبعاد لم يتعلقوا فيه
بشيء من الشبه ثم كما واذك القول بقولهم (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل) أى وعدنا
هذا البعث الآن ووعدنا آباؤنا الكائنون من قبلنا فلم صدقه كما لم يصدقوه ثم صرحوا
بالتكذيب وفروا الى مجرد الزعم الباطل فقالوا (ان هذا الاساطير الاولين) أى ما هذا
الا كاذب الاوين التى سطر وحافى الكتب جمع أسطورة كاحدونه والاساطير الاباطيل
والترحات والكذب وقيل جمع أسطار وخرج سطر والاول أوفق والمعنى لم تر هذا النوع
شيئا وانما أساطير الاولين ثم أمر الله سبحانه بنبيه صلى الله عليه وسلم ان يسأل أهل
مكة عن أمور لا عذر لهم من الاعتراف فيها فقال (قل لمن الارض ومن فيها) المراد
بن الخلق جميعا وعبر عنهم بن نغليسا لاله قلاء ولبن خبر مقدم والارض مبتدأ مؤخر
(ان كنتم تعلمون) شيا من العلم وجواب الشرط محذوف أى فاخبروني وفى هذا تلويح

تعالى على من عبد الجبل من بنى اسرائيل وقوله تعالى تاب اى رجع عما كان فيه من كفر وأشر
أو معصية أو نفاق وقوله وآمن اى قلبه وعمل صالحا اى بجوارحه وقوله ثم اهتدى قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس اى
ثم لم يشك وقال سعيد بن جبير ثم اهتدى اى استقام على السنة والجماعة وروى شيوخه عن مجاهد والبخارى وغير واحد من السلف
وقال قتادة ثم اهتدى أى لم الاسلام حتى عوت وقال سفيان الثوري ثم اهتدى أى علم ان لهذا اثوابا وثم ختمنا لترتيب الخبر على
تخير كقوله ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات (وما أعلم عن قومك يا موسى قال هما ولا على اترى وجمعت اليك رب
لترضى قال فاذا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم بعدكم ثم بكم وعدا
جسنا أطفال عليكم العهد ادم ارددتم ان يحل عليكم غضبي من ربكم فاخلفتم موعدى قالوا ما اخلفنا موعدك بل كلوا وكأنا جاسنا

أوزار من زينة القوم فقد فشاها فكذلك التي السامري فأخرج لهم مجلا جسده له خوارا فقالوا هذا الهكم واله موسى فنبى
أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) لماسار موسى عليه السلام بنى إسرائيل بعده هلاك فرعون وأتوا على
قوم يعكفون على أصنامهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلهة كالآلهة التي كان آباؤنا يعبدون فقلنا يا قوم انتم تعلمون اني هؤلاستبرماهم فيه وباطل ما كانوا
يعملون واعدته ربنا ثلاث ليلة ثم اتبعها عشر اقيمت أربعين ليلة أي بصومهم بالارواح وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك
نابع موسى عليه السلام بادر الى الطور واستخفى على بنى إسرائيل أخاه هرون ولهذا قال تعالى وما أعجلك عن قولك يا موسى قال
هم اولا على أترى أي قادمون ينزلون قريسا من الطور ويحلبت البكرب لترضى أي لتزاد عن رضا قال فاناد قننا قوم من بعدك
وألمهم السامري أخبر تعالى بنبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بنى (٢٥٥) إسرائيل وعبادتهم الجبل الذي عمله لهم ذلك

السامري وفي الكتب الاسرائيلية
انه كان اسمه هرون أيضا وكتب
الله تعالى له في هذه المدة الألواح
المتضمنة للتوراة كما قال تعالى
وكننا في الألواح من كل شيء
موعظوة فوصل لكل شيء أخذها
بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها
سار يكهم دار الفاسقين أي عاقبة
الشارجين عن طاعتي المخالفين
لاهمري وقوله فرجع موسى الى
قومه غضبان أسفاى بعد ما أخبره
تعالى بذلك في غاية الغضب والخفق
عليهم هو فيها وفيه من الاعتناء
بأمرهم وتسليم التوراة التي فيها
شرعهم وفيها شرف لهم وهم قوم
قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له
لب وحزم بطلان ما هم فيه وسخافة
عقولهم وأذهانهم ولهذا قال
رجع اليهم غضبان أسفاى وأسف
شدة الغضب وقال مجاهد غضبان
أسفاى أي حزما وقال قتادة والسدى
أسفاى شاعلى ما صنع قومه من

بجهلهم وفرط غباوتهم (سيقولون لله) أي لا بد أن يقولوا ذلك لانه معلوم سدا هذه العقل
وهذا الخبر من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه ثم أمره سبحانه أن يقول لهم بعد
اعتراقهم (قل أفلا تدرون) ترغب اليهم في التدبر وامعان النظر والفكر فان ذلك مما
يقوده إلى اتباع الحق وترك الباطل لان من قدر على ذلك استأذ قدر على احياء الموقر
(قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله) جاء سبحانه باللام نظرا
الى معنى السؤال فان قولك من ربه وإن هو في معنى واحد كقولك من رب هذه الدار فقال
زيدو بقال زيدا وقرئ لله بغير لام نظرا الى ان السؤل هو ذا وأضع من الاولى ولكنه
يؤيد بها انهم مكتوبون في جميع المصاحف باللام بدون الالف (قل أفلا تتقون) عبادة غيره
أو تحذرون عقابه أو قدرته على البعث فلا تتركوا فيه وفيه قنسه على ان انقضاء عذاب الله
لا يحصل الا بترك عبادة الاوثان والاعتراف بجواز الاعادة فهذا الختم أبلغ من ختم الآية
الاولى لاستثائه على الوعيد الشديد ولما ذكر الارض والاولا السماء تأييدهم الحكم ههنا
فقال (قل من يبدد مسكوت كل شيء) المسكوت الملك وزيادة التاء المبالغة نحو جبروت
ورجوت ورهوت وقال مجاهد يعنى خزائن كل شيء (وهو يحجر) أي انه يغيث غيره اذا شاء
وعنه (ولا يحجر عليه) أي لا يمنع أحدا من عذاب الله ولا يقدر على نصره واثامته
يقال أجز فلانا اذا استعانت بك فخصيته وأجزت عليه اذا جيت عنه والمعنى يحصى ولا
يحصى عليه ان كنتم تعلمون) فأجيبوا (سيقولون لله) قرئ باللام نظرا الى معنى السؤال
كاسان وقرئ بغير لام نظرا الى ان السؤل (قل فاني تسبحون) قال الفراء والواجب أي
نصفون عن الحق وتحذعون والمعنى ككف يحمل اليكم الحق باطلا والاصح فاسدا
والخادع لهم هو الشيطان والهوى او كلاهما ثم بين الله سبحانه انه قد بالغ في الاحتجاج
عليهم فقال (بل أئنيأهم بالحق) أي بالامر الواضح الذي يحق اتباعه (وانهم لكانون) فيما
ينسبونه الى الله تعالى من الولد والشر يك ثم تفاهاه عن نفسه فقال (ما اتخذ الله من ولد)

بعده قال يا قوم ألم بعدكم كرم بكم وعد احسن أي أمارعكم على لسانى كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما قد شاهدتم من
نصرته يا كرم على عدوكم وادبها كرم عليه وغير ذلك من أيادى الله عندكم أطفال عليكم العهد أي في انتظار ما وعدكم الله ونسيان ما سلف
من نعمه وما بالهذه من قدم أم أردتم أن يجعل عليكم غضب من ربكم أم هم يتابعون بل وهى للاضراب عن الكلام الاول وعدول الى
الثاني كانه يقول بل اردتم بصنيعكم هذا أن يجعل عليكم غضب من ربكم فاخلقتم موعدى قالوا أي بنو اسرائيل في جواب ما أتأبأهم
موسى وفرعهم ما أخلقتم وعدك بل كذا أي عن قدرتنا واختيارنا ثم شرعوا يعتذرون بالعدو البار ويجيبونه عن تورعهم عما كان
يأيدهم من حل القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من مصر فقد فشاها أي ألقيناها عنا وقد تقدم في حديث الفتون
ان حرون عليه السلام هو الذي كان أمرهم بالقاء الحلى في حفرة فيها نار وهى في رواية السدى عن أبي مالك عن ابن عباس انما أراد

هرون ان يجتمع الخلق كله في تلك الحفيرة ويجعل مجرى واحد حتى اذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء من جاهد ذلك السامري
فأتى عليهم تلك القضية التي أخذها من أئمة الرسول وسأل من هرون ان يدعو الله ان يتجيب له في دعوة قد عاله هرون وهو لا يعلم
ما يريد فأجيب له فقال السامري عند ذلك أسأل الله أن يكون عجله خواراً في صوت استداراً جوارها والاحتدة
واختباراً ولهذا قال فكذلك التي السامري فأخرج لهم عجل جسد الخوار وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عباد بن الجعفي
حدثنا بن يدين هرون أخبرنا جاد عن سمك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان هرون حرى بالسامري وهو يثب العجل فقال له
ما صنعت فقال أصنع ما يضر ولا ينفع فقال هرون اللهم أعظمه أسأل على ما في نفسه ومضى هرون وقال السامري اللّهم اني أسألك
أن يخون خافركان اذا خار جسدوا له واذا خار (٢٥٦) رفقوا رؤسهم ثم رواه من وجه آخر عن جاد وقال أعمل ما يندفع ولا يضر

وقال السدي كان يخور ويثني
فقالوا أي الضلال منهم الذين
افتنونا بالعجل وعبده هذا الهكم
واله موسى فثني أي نسيبه ههنا
وذهب يطالبه كذا تقدم في
حديث القتون عن ابن عباس وبه
قال مجاهد وقال سالك عن عكرمة
عن ابن عباس فثني أي نسي أن
يدركهم ان هذا الهكم وقال محمد بن
اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس فقالوا هذا
الهكم واله موسى قال ففكروا
عليه وأحجوه حبالاً ينجوا شيئاً قط
يعني يئله يقول الله فثني أي ترك
ما كان عليه من الاسلام يعني
السامري قال الله تعالى رد اعليهم
وتقرعوا اليهم وبنا الفضيحة
وجعالة عقولهم فيمادهم اليه
أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولاً ولا
ملك لهم ضرراً ولا نفعاً أي العجل
أفلا يرون انه لا يجيبهم اذا سألوه
ولا اذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرراً

لانه منزعه عن النوع والجنس وولد الرجل من جنسه (وما كان معه من اله) شريك في
الالهية ومن في الموضعين زائدة لتوكيد النبي ثم بين سبحانه ما يستلزمه ما بدعه الكفار
من اثبات الشريك فقال اذ الذهب كل اله بما خلق وفي الكلام حذف أي لو كان مع الله
آلهة أخرى لا تفرد كل اله بخلقه واستبدبه واستلزمه عن ملكه الآخر ووقع بينهم
التطابق والتعارب والتغالب (ولعل بعضهم على بعض) أي ولعل القوي على الضيف
وقهره وأخذ ملكه كعادة المالك من بني آدم وحيداً فذلك الضيف المغلوب لا يستحق
أن يكون الها واذا تقرر عدم امكان المشاركة في ذلك وانها لا يقوم به الا واحدة من ان يكون
هذا الواحد هو الله سبحانه وهذا الدليل كجادل على فثني الشريك فانه يدل على نفى الولدان
الولد ينافع أباه في ملكه ثم نسي سبحانه نفسه فقال (سبحان الله عياصفون) من الشريك
والولدوا اثبات ذلك لله عز وجل (عالم الغيب والشهادة) أي هو مختص بعلم غائب وما هو
وأما غيره سبحانه فهو وان علم الشهادة لا يعلم الغيب وهذا دليل آخر على الوحدة اية بواسطة
مقدمة أخرى كانه قيل الله علمها وغيره لا يعلمها فغيره ليس باله وهذا من قبيل الشكل
الثاني وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف أي هو الله وقرئ بالجر على انه صفة لله عز
وجل أو بدل منه وروى عن يعقوب انه كان يتخفص اذا وصل ويرفع اذا ابتدأ (فتعاني)
الله (عباسه كون) عطف على معنى ما تقدم كانه قال علم الغيب فتعاني أو أقول فتعاني
والعني انه سبحانه متعال عن ان يكون له شريك في الملك (قل رب امارتني ما وعدون)
أي ان كان ولداً ان ترى العذاب المستأصل لهم (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) قال
الزجاج أي ان أترأت بهم التهمة يارب فاجعلني خارجاً عنهم يعني ان النداء معتز وذكر
الرب مرتين قبل الشرط وبعد ما الغنى انتصرع والتهلل وأمره الله ان يسأله ان
لا يجعلني في القوم الظالمين مع ان الانبياء لا يكونون معهم أبداً تعليمه صلى الله عليه وسلم
من ربه كيف يتواضع ويهضم نفسه أولئك كون شوم الكفر قد يلحق من لم يكن من أهله

ولا تنفعني في دينها ولا في اخرها قال ابن عباس رضى الله عنهم الا والله ما كان خواره الا ان يدخل الرمح كقول
في دبره فيخرج من فيه سمع له صوت وقد تقدم في متون الحديث عن الحسن البصري ان هذا العجل اسمه مومت وحاصل ما اعتذر
به هؤلاء الجهلة انهم نورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبداً والعجل فتورعوا عن الحفيرة وفعلا الامر الكبير كما جاء في الحديث
الصحيح عن عبد الله بن عمر انه سأل رجل من أهل العراق عن دم البعوض اذا أصاب الثوب يعني هل يضر فيه أم لا فقال ابن عمر
رضي الله عنهما انظر والى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الحسين وهم يسألون عن دم البعوضة (ولقد
قال لهم هرون من قبل يا قوم اعاقبتم به وان ربكم الرحمن فاسعوا وطيعوا امرى قالوا ان تبرح عليه عا كفن حتى يرجع
البناموسى) يخبر تعالى عما كان من نهى هرون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل واخباره اياهم انما هذ أقسم لكم وان ربكم

الرحمن الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً والعرش المجيد الفعال لما يريد فاتبعتني وأطيعوا أمرى أي فيما أمركم به وائرثوا ما فيهاكم عنه قالوا ان نرح عليه ما كفنا حتى يرجع الياسموسى أى لا تترك عبادته حتى تسبح كلام موسى فيه وخالفوا هرون في ذلك وحاربوه وكادوا ان يقتلوه (قال ياهرون مامنعك ادرايتهم ضلوا ان لا تبعن افعصيت أمرى قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى) يجتبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع الى قومه فراى ما قد حدث فيهم من الامر العظيم فامتلا عند ذلك غضبا واثقى ما كان في يده من الاواح الالهية وأخبر أس أخيه ييمره اليه وقد قدما في سورة الاعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث ليس اخبرك كالمعاينة وشرع بالهم اخاه هرون فقال مامنعك ادرايتهم ضلوا ان لا تتبعن أى فتجترى بهذا الامر اول ما وقع افعصيت أمرى أى فيما (٢٥٧) كنت قدمت اليك وهو قوله اخلفني في قومي

وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قال يا ابن أم ترقله بذكر الام مع انه شقيقه لا يوبى له لان ذكر الام ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ولهذا قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسى الآية هذا اعتذار من هرون عند موسى في سبب تأخره عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم قال انى خشيت أن أتبعك فأخبرك بهذا فتقول ان لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم ولم ترقب قولى أى وماراعتى ما أمرتك به حيث استخلفك فيهم قال ابن عباس وكان هرون هائبا مطيعا له (قال فما خطبك يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى قال فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعد ان نجعله وانظر الى الهلك الذى ظلت عليه عما كفالتحرقة ثم لتسقنه

كقولاه واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ثم لما كان المشركون ينكرون العذاب ويسخرون من النبي صلى الله عليه وسلم اذ اذكر لهم ذلك اكد سبحانه وقوعه بقوله (وانالى ان تريكم ما نعدهم لقادرون) يعنى ان الله سبحانه قادر على ان يرى رسوله عذابهم ولكنه يؤخره لعلهم يان بعضهم سيئ من أولكون الله سبحانه لا يعذبهم والرسول فيهم وقيل قد اراه الله سبحانه ذلك يوم بدرو يوم فتح مكة ثم أمره سبحانه بالصبر الى ان ينقضى الاجل المضروب فقال (ادفع بالى هي أحسن البيئته) أى ادفع بالخصله التى هي أحسن من غيرها وهي الصفح والاعراض عما يفعله الكفار من الخصله السيئه وهي الشر قليل وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل هي في حق هذه الامة فيما بينهم منسوخة في حق الكفار قال مجاهد أى اعرض عن اذاهم اياك وقال عطاء ادفع بالسلام وعى انس قال هو قول الرجل لاخيه ما ليس فيه فيقول ان كنت كاذبا فاسأل الله ان يغفر لك وان كنت صادقا فاسأل الله ان يغفر لى (نحن اعلم بما يصفون) اياك به عما انت على خلافه او بما يصفون من الشر والالكذب وفي هذا وعيد لهم بالعقوبة ثم علمه سبحانه ما يقويه على ما ارشده اليه من العقو والصفح ومقابله السيئه بالسيئه فقال (وقل رب اعوذ بك) أى أعصم (من همزات الشياطين) جمع همزة وهي في اللغة الدفعة باليد وبغيرها يقال همزه ولمزه ونحسه أى دفعه وقيل الهمز كلام من وراء القفا والمزاوجة والمراد بها هنا خطراته التى يخطر بها قلب الانسان ووساوسه وقيل تفهمهم وتفهمهم والجمع للدرات أولنوع الوسواس أو لتعدد المضاعف اليه وفي الآية ارشاد لهذه الامة الى التعوذ من الشيطان ومن همزات الشياطين وهي سورات الغضب التى لا يملك الانسان فيها نفسه (وأعوذ بك رب ان يحضرون) أمره الله سبحانه ان يتعوذ بالله من حضور الشياطين بعد ما أمره ان يتعوذ من همزاتهم وعيد كل من العامل والتداعى بالعقول زيادة اعتناء بهذه الاستعاذه والمعانى وأعوذ بك ان يكونوا معى في حال من الاحوال فانهم اذا حضروا

(٣٣ - فتح البيان سادس) فى الميم نسفا انما الهلكم الذى لا اله الا هو وسع كل شيء عذلى يقول موسى عليه السلام للسامرى ما جعلك على ما صنعت وما الذى عرض لك حتى فعلت ما فعلت قال محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان السامرى رجلا من أهل باجر وما كان من قوم يعبدون الممر وكان حب عبادة البقرة فى نفسه وكان قد أظهر الاسلام مع بنى اسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفى رواية عن ابن عباس انه كان من كرمات وقال قتادة كان من قرية اسمها سامرا قال بصرت بما لم يبصروا به أى رأيت جبريل حين جاء ليهلاك القرعون فقبضت قبضة من أثر الرسول أى من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين وأما كثرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحرث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن السدى عن أبي بن عمار عن علي بن رضى الله عنه قال ان جبريل عليه السلام لما نزل فصعد بموسى عليه السلام الى السماء بصير به السامرى

من بين الناس قبض قبضة من اثر الفرس قال وجعل جبريل موسى عليه السلام خلقه حتى اذا نام من باب السماء فعد وكنت الاله
الالواح وهو يسبح صرير الاقلام في الالواح فلما اخبرته ان قومه قد قتلوا من بعده قال نزل موسى فاخذ العجل فاخره غرب وقال
مجاهد فقتضت قبضة من اثر الرسول قال من تحت حافر فرس جبريل قال والقبضة مل الكف والقبضة باطراف الاصابع قال
مجاهد بن السامري اى التي ما كان في يده على حلية بنى اسرائيل فانه ملك عجل خرد له خوار حفيف الى فيه فهو خواره وقال
ابن ابي حاتم حدثنا محمد بن يحيى اخبرنا علي بن المدينى حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سماعة حدثنا سماعة عن ان السامري رأى الرسول
فأتى في روعه انك ان اخذت من اثر هذا الفرس قبضة فالتفتها في شيء فقلت له كن فكان قبضة قبضة من اثر الرسول فبست
أصابه على القبضة فلما ذهب موسى للميقات (٢٥٨) وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حلى آل فرعون فقال لهم السامري انما

أصابكم من أجل هذا الخلق فأجمعوه
فجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فرأه
السامري فألقى في روعه انك لو
قدفت هذه القبضة في هذه فقلت
كن فكان قد صدف القبضة وقال
كن فكان عجل خرد له خوار فقال
هذا الهكم والله موسى ولهذا قال
فبستها أى التفتها مع من ألقى
وكذلك سولت لنفسى اى
حسنه وأعجبها انذ البقال فاذهب
فان لك في الحياة ان تقول لامساس
اى كما اخذت ومسست
مالم يكن لك اخذه ومسه من اثر
الرسول ففقدت نفسك في الدينان
تقول لامساس اى لامساس الناس
ولا يمسونك وانك لا موعد اى يوم
القيامة ان تخلقه اى لا تحيدك
عنه وقال قتادة ان تقول لامساس
قال عقوبة لهم وبقاياهم اليوم
يقولون لامساس وقوله وانك لا
موعد ان تخلقه قال الحسن وقتادة
وأبوهمك ان تغيب عنه وقوله

الانسان لم يكن له عمل الا الوسوسة والاعراض على الشر والصرف عن الخير وفي قراءة أخرى وقيل
رب عائدك وأخرج احمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والبيهقي عن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا كتابات تقولان عند
التوم من الفزع بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن
همزات الشياطين وان يحضرون قال فكان ابن عمر ويعلمان من بلغ من أولاده ان يقولها
عندومه ومن كان منهم صغيرا ليعقل ان يحفظها كتبها فعلقها في عنقه وفي اسماءه
محمد بن اسحق وفيه مقال معروف وأخرج احمد بن الوليد بن الوليد قال قال رسول الله
انى أجدو حشة قال اذا أخذت مضجعتك فقل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه
وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون فانه لا يحضره وبالجرى لا يضرك
(حتى اذا جاء أحدهم الموت) حتى هي الابتدائية دخلت على الشريعة وهي مع ذلك غاية
لما قبلها متعلقة بقوله لكاذبون وقيل يصفون والمراد بمجيء الموت مجيى علاماته أى رأى
مقعد من النار ومقعد من الجنة لو آمن (قال) أى ذلك الاحمد الذى حضر الموت
تتجسس او يتجسس على ما فرط منه (رب ارجعون) أى ردوني الى الدنيا وانما قال بضمه الجاءة
للتعظيم المخاطب وقيل هو على معنى تكبر بالفعل أى ارجعنى ارجعنى ارجعنى ارجعنى فانه
أبو البقاء ومثله قوله تعالى ألقيا في جهنم قال المازنى معناه ألقى ألق وهكذا قيل في قول
امرئ القيس * ففانك من ذرى حبيب ومنزل * ومثله قول الخنجر يا حنجرى اضربا
عنقه وقول الآخر الإفارجون يا الله محمد * وقيل انهم لم يستأخوا بالله قال فأنلهم رب
ثم رجع الى مخاطبة الملائكة فقال ارجعون (لعل أعمل) عجل (صالحا) فى الدنيا اذا
رجعت اليها من الايمان وما يتبعه من أعمال الخير أخرج ابن ابي الدنيا وابن ابي حاتم عن
أبي هريرة قال اذا دخل الكافر قبره فمعه من مقعده من النار قال رب ارجعون أوتوب
وأعمل صالحا فقال له قد عرفت ما كنت معصيا فبصق عليه قبره فهو كالمهوش تنازع

وانظر الى الهلأى معبودك الذى ظلت عليه عاكفا ائت على عبادته يعنى العجل لخرقه قال الضحاك
عن ابن عباس والسبى سجد بالمباردوا لفساه على النار وقال قتادة استعمل العجل من الذهب لحاود ما خرقه النار ثم ألقى رماده
في البحر ولهذا قال لم تنسقه في ايم نسقا وقال ابن ابي حاتم حدثنا ابي حدثنا عبد الله بن رباح انما ناسر ائيل عن ابي اسحق عن
عمار بن عبد الله وأبي عبد الرحمن عن علي رضى الله عنه قال ان موسى لما جعل الى ربه عبد السامري فجمع ما قدر عليه من حلى
نساء بنى اسرائيل ثم صور عجلا قال فعند موسى الى العجل فوضع عليه النار فبرده هو هو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك
الماء من كان بعد العجل الا ضروره وجهه مثل الذهب فقالوا لموسى ما نرى بقنا قال يقتل بعضكم بعضا وهكذا قال السدى وقد تقدم
في تفسير سورة البقرة ثم في حديث القنون بسط ذلك وقوله انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شيء علما يقول لهم موسى عليه

السلام ليس هذا الهكم انما الهكم الله الذي لا اله الا هو اى لا يستحق ذلك على العباد الا هو ولا تنبغي العبادة الا له فان كل شئ فقير
 اليه مدله وقوله وسع كل شئ علمنا ص على القبر اى هو عالم بكل شئ آحاط بكل شئ علمنا وحصى كل شئ عبدنا فلا يعزب عنه
 مثقال ذرة وما تنسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وما من دابة فى الارض
 الا على الله رزقها ويعلم مستورها ومستودعها كل فى كتاب مبين والايات فى هذا كثيرة جدا (كذلك نقص عليك من انباء
 ما قد سبق وقد آتيناك من لئذا كرامن اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حلالا) يقول تعالى
 لئن لم يجد الله عليه وسلم كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجبله والا امر الواقع كذلك انقص
 عليك الاخبار الماضية كما وقت من غير زيادة ولا نقص هذا وقد آتيناك (٢٥٩) من لئنا اى من عندنا كرا وهو القرآن

العظيم الذى لا ياتيه الباطل من
 بين يديه ولا من خلقه تترى من
 حكيم جيد الذى لم يعط نبى من
 الانبياء منه بشوا الى ان خفقوا
 بعهد صلى الله عليه وسلم كما كتابته
 ولا كمل منه ولا أجمع خبر ما سبق
 وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين
 الساس منه ولهذا قال تعالى من
 اعرض عنه اى كذب به واعرض عن
 اتباعه امر او طلبا باقى الهدى
 من غيره فان الله بضله ويهديه الى
 سواء السبيل ولهذا قال من اعرض
 عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اى
 انما كما قال تعالى ومن يكفر به من
 الاحزاب فالتارى موعده وهذا عام
 فى كل من بلغه القرآن من العرب
 والحجم أهل الكتاب وغيرهم كما
 قال لاندركه ومن بلغ فكل من
 بلغه القرآن فهو نذير له وداع فـ
 اتبعه هدى ومن خالقه وأعرض
 عنه ضل وشقى فى الدنيا والنار
 موعده يوم القيامة ولهذا قال
 من أعرض عنه فانه يحمل يوم

ويقرع عنهم اى الهى حيات الارض وعقاربها وعن ابن جرير قال زعموا ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال لعائشة ان المؤمن اذا عاين الملائكة قالوا ان رجلك الى الدنيا فيقول الى دار
 الهه وم والآخر ان بل قدم الى الله وأما الكافر فيقولون له نري جعك فيقول رب ارجعون
 لعل اعمل صالحا وهو مرسل وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اذا حضر الانسان الوفاة يجمع له كل شئ ينفعه عن الحق فيجعل بين عينيه عند ذلك يقول
 رب ارجعون الآية وعن ابن عباس فى قوله أعمل صالحا قال أقول لا اله الا الله (فيما تركت)
 أى فى الموضع الذى ضيعت أو منعت وقيل خلفت من التركة وهو الدنيا لانه ترك الدنيا
 وصار الى العقبى قال قتادة ماتنى ان يرجع الى أهله وعشيرته ولا يجمع الدنيا ويضى
 الشهوات ولكن عفى ان يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ أعمل فيما تنه الكفار اذا
 رأى العذاب ولما تفى ان يرجع ليعمل رد الله عليه ذلك بقوله (كلا انها كلمة هو قائلها)
 فجاء بكلمة الرد والجزو الضعيفى انها يرجع الى قوله رب ارجعون أى ان هذه الكلمة
 هو قائلها لا محالة لا يجملها ولا يستكت عنها الاستيلاء الحسرة والتدم عليه وليس الامر كما
 يظنه من انه يجاب الى الرجوع الى الدنيا والمعنى انما لو أجب الى ذلك لما حصل منه الوفاء
 كما فى قوله ولورد والعداد والمائم واغنه وقيل ان الضعيفى هو يرجع الى الله أى لا خلف
 فى خبره وقد أخبرنا به لا يؤخر نفسا اذا جاء أجلها (ومن ورائهم) أى من أمامهم وبين
 أيديهم والضعيف لا احد والجمع باعتبار المعنى لانه فى حكم كلهم كما ان الافراد فى الضم
 الاول باعتبار اللفظ (برزخ) هو الحاجز بين الشيئين قاله الجوهري واختلف فى معنى
 الاية فقيل الضحالة ومجاهد وابن زيد حاجز بين الموت والبعث وقال الكلبى هو الاجل
 بين الفتحين وبينهما أربعون سنة وقال السدى هو الاجل وقيل بينهم وبين الرجوع الى
 الدنيا (الى يوم يعثون) اى يوم القيامة وهو اقاط كل من الرجوع الى الدنيا لما علم انه
 لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون فى الآخرة عن عائشة

القيامة وزرا خالدين فيه أى لا محيد لهم عنه ولا انقضاء وساء لهم يوم القيامة حلالا أى بس الخلل لهم يوم يتفخ فى الصور
 ونحشر الجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عسرا نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طر بقية ان لبثتم الا يوما
 ثبت فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصور فقال قرن يتفخ فيه وقد جاء فى حديث الصور من رواية أبى
 هريرة انه قرن عظيم الدائرة منه بقدر السموات والارض يتفخ فيه اسرافل عليه السلام وجاء فى الحديث كيف أنعم وصاحب
 القرن قد لبثتم القرن وحنى جهته وانتظار يؤذنه فقالوا يا رسول الله كيف تقول قال قولوا احسبنا الله ونعم الوكيل على انه
 لو كنا نوقله ونحشر الجرمين يومئذ زرقا قيل بعناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الاحوال يتخافتون بينهم قال ابن عباس
 يتسارون بينهم أى يقول بعضهم لبعض ان لبثتم الا عشر أى فى الدار الدنيا لقد كان لبثكم فيها قليل عشرة أيام وأنشوها قال الله

تعالى نحن أعلم بما يقولون اى فى حال تنابحهم بينهم اذ يقول أمثلهم طرقة أى العاقل الكامل فهم ان لبثتم الايام اى القصر مدة الدنيا فى انفسهم يوم المعاد لان الدنيا كلها وان تكررت اوقاتها وتعبت ليلها ونهارها وساعاتها كلها ما يوم واحد واذا استقصى الكافرون مدة احياء الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم فى ذلك رد خيام الحجة عليهم اقصر المدد ولهذا قال تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة الى قوله ولكنكم كنتم لا تعلمون وقال تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكريه كم النذر الا انما وقال تعالى كم لبثتم فى الارض عدسنتين قالوا البتة يوم اأو بعض يوم فاسأل العادين قال ان لبثتم الا قليلا لوانكم كنتم تعلمون أى انما كان لبثكم فيه اقل من ان كنتم تعلمون لا تحترق الداعي على الفانى ولكن تصرفه فاسأتم التصرف قدمنه الحاضر الفانى على الدائم الباقى (ويسألوئك عن الجبال فقل ينفخ فيها نفا (٢٦٠) فيدبرها فاعاضقه فما لا ترى فيها عرجا ولا أمتا يريد يتبعون الداعي

قالت ويل لاهل المعاصى من أشل القبور يدخل عليهم فى قبورهم حيات سود حية عند رأسه وحية عند صدره جلبيه تقرضانه حتى تلتقيانى وسطه فذلك العذاب الذى قال الله ومن وراءهم برزخ الى يوم يسعون (فاذا نفخ فى الصور) قيل هذه هى النفخة الاولى قاله ابن عباس وقيل الثانية قاله ابن مسعود وهذا أولى وهى النفخة التى بين البعث والتشور وقيل المعنى فاذا نفخ فى الاجساد وأوحى على ان الصور جمع صورة لا القرن وقد قرئ بها وبضم الصاد وسكون الواو اقترن الذى ينفخ فيه (فلا انساب بينهم يومئذ) يتفخرون بها أو تنفخهم زوال التراحم والتعاطف أى لا يذكرهم الملامم فيه من فرط الحيرة واستيلاء الدخلة وهو جمع نسب وهو القرابة (ولا يتساءلون) أى لا يسأل بعضهم بعضا فاما لهم اذ انشغلوا شاغلا ومنه قوله يوم يقرئ المؤمن من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وقوله ولا يسألهم جمعا ولا شافى هذا ما فى الآية الاخرى من قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فان ذلك محمول على اختلاف المواقف يوم القيامة فالانساب باعتبار بعضها والنسب باعتبار بعض آخر كقريش فى نظام هذا مما أثبت تارة ونفى اخرى وعن ابن عباس فى الآية قال حين ينفخ فى الصور فلا يبقى سى الله وعنه انه سئل عن هذه الآية وقوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال انهم امواقف فاما الموقف الذى لا انساب بينهم ولا يتساءلون فعند الصعقة الاولى لا انساب بينهم فيها اذ صعقوا فاذا كانت النفخة الاخرى فاذا هم قيام يتساءلون وعنه انه سئل عن الاثنين فقال هذا فى النفخة الاولى حين لا يبقى على الارض شئ وذلك لادخال الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين وفى لفظ يؤخذ بين العبد والامة يوم القيامة على رؤس الاولين والآخرين ثم نادى مناد الا ان هذا فلان بن فلان فن كان له حق قبله فليأت الى حقه وآخر ج أحدهم الطبرانى والحاكم والبيهقى فى سننه عن المسور بن مخرمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الانساب تحقطع يوم القيامة غير

لا عوج له وخشعت الاصوات للرجن فلا تسمع الا همسا يقول تعالى ويسألوئك عن الجبال اى هل تبقى يوم القيامة أو تزول فقل ينفخها رى نفا أى يذهبها عن أما كتبها جمعها ويسر حاسيرا فيذرها أى الارض فاعاصقضا أى بسطا واحدا والقاع هو المستوى من الارض والصفصف ثا كيد المعنى ذلك وقيل الذى لا نبات فيه والاول أولى وان كان الاخر مرادا انساب باللازم ولهذا قال لا ترى فيها عرجا ولا أمتا أى لا ترى فى الارض يومئذ اديا ولا راية ولا مكانا مخفضا ولا مرتعا كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصرى والضحاك وقادة وغير واحد من السلف يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له أى يوم يرون هذه الاحوال والاهوال يستحيون مسارعين الى الداعي حيث ما أمر وبادروا اليه ولو كان هذا فى الدنيا لكان

أنتع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى أسمع بهم وأبصر يوم يأتوا وقال مهطعين الى الداع وقال مجاهد نسي كعب القرظى يحشر الله الناس يوم القيامة فى ظلمة ويطوى السماء وتتناثر النجوم وينهب الشمس والقمر وندى مناد فينبع الناس الصوت يومئذ فذلك قوله يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وقال قتادة لا عوج له لا يميلون عنه وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله وخشعت الاصوات للرجن قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدى فلا تسمع الا همسا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعنى روطه الاقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقادة وابن زيد وغيرهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا الصوت الخفى وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبير فلا تسمع الا همسا الحديث وسره ووطء الاقدام فقد جمع سعيد كلا القولين وهو محتمل اما ووطء الاقدام فالمراد سعى الناس الى الخسر وهو مشبه بهم

سكون وخضوع وأما الكلام النحوي فقد يكون في حال دون حال فقد قال تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس الا بانه فم شقي وسعيد
(يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) وعنت الوجوه للحى
القيوم وقد خاب من جل ظلمها ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظملا ولا هضمًا يقول تعالى يومئذ أي يوم القيامة
لا تنفع الشفاعة أى عند الامن اذن له الرحمن ورضي له قولا كقولهم من ذا الذى يشفع عنده الا بانه وقوله وكفى من ملك فى
السوات لا تنفع شفاعته شيا الامن بعد ان يأذن الله ليشاء ويرضى وقال ولا يشفعون الا من ارتضى وهم من خشيته مشفقون
وقال ولا تنفع الشفاعة عند الا من اذن له وقال يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
وفى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وكرم (٢٦١) الخلائق على الله عز وجل انه قال أتى

تحت العرش وأمر الله سبحانه
ويفتح على بحمد لا احصها الا ان
فدعى ماشاء الله ان يدعى ثم يقول
يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع
تشفع قال فيحدثلى حدا فاذا دخلهم
الجنة ثم اعود فذكر أربع مرات
صلوات الله وسلامه عليه وعلى
سائر الانبياء وفى الحديث ايضا
يقول تعالى اخرجوا من النار
من كان فى قلبه مثقال من ايمان
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول
اخرجوا من النار من كان فى قلبه
نصف مثقال من ايمان اخرجوا
من النار من كان فى قلبه ما وزن ذرة
من كان فى قلبه ادنى ادنى مثقال
ذرة من ايمان الحديث وقوله يعلم
ما بين ايديهم وما خلفهم أى يحيط
علمه بالخلائق كلهم ولا يحيطون
به علمه كقوله ولا يحيطون بشئ
من علمه الا بما شاء وقوله وعنت
الوجوه للحى القيوم قال ابن عباس
وغرو واحد خضعت وذلت واستسلمت
الخلائق لخبارها الحى الذى لا يموت

نسبى ونسبى وصهرى وأخرج البزار والطبرانى وأبو نعيم والحاكم والضياع فى المختارة عن
عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول كل سبب ونسب
منقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى وأخرج ابن عساکر عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم كل نسب وصهر يقطع يوم القيامة الا نسبى وصهرى وأخرج أحمد
عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر ما بال
رجال يقولون ان رحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنفع قومه بلى والله ان رحى
موصولة فى الدنيا والاخرة وائى أئمة الناس فرط لكم (فمن تقلت موازينه) أى موازينه
من اعماله الصالحة فال موازين جمع موازن ومعوزة كونه جمع ميزان ومع وحده جمعه لتعدد
الموزون (فاولئك هم المفلحون) أى الفائزون عطاهم المحبوبة الناجون من الامور التى
يحافونها (ومن خفت موازينه) وهى اعماله الصالحة (فاولئك الذين خسروا أنفسهم)
أى ضيعوها وهاوئ كواما ينفعها (فى حين خالدون) قد تقدم الكلام على هذه الآية
مستوفى فلا نعيد (فانهم وجوههم النار) أى تحرقها مستنفذة وأحاطة وأخبرنا ولئلك
والأنبياء أشد النفع لانه الاصابة بشدة النفع الاصابة بطلق كفى قوله تعالى ولئن مستهم
نقمة من عذاب ربك وقيل اللعن الاخر اى يقال لنقمة النار اذا أحرقتة ولنقمة بالسيف
اذا ضرب به وخص الوجوه لانها أشرف الاعضاء وقيل تسفع قال ابن عباس تلفح تسفع
أخرج ابن مردويه والضياع عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فى الآية تلنحهم لنقمة فتسيل لحومهم على اعقابهم وعن أبي مسعود قال تلنحهم لنقمة فها
اقت لجاع على عظم الا لنتهم على اعقابهم (وهم فيها كالحون) حاليق والكالح الذى قد
شمرت شفتاه وبدت اسنانه قاله الزجاج ودر كالح أى شديد قال أهل اللغة الكلوح تكشر
فى عبوس وبابه خضع ومنه كلوح الاسد أى تكشيره عن آثابه وقيل الكلوح تقطع
الوجه وكلهم الرجل يكلى كواحوا وكلا حوا عن أن مسعود قال كلوح الرأس النضج

القيوم الذى لا ينام وهو قىم على كل شئ يدبره ويحفظه فهو الكامل فى نفسه الذى كل شئ مقهور اليه لا قوام له الا به وقوله وقد خاب
من جل ظلمها أى يوم القيامة فان الله سيؤدى كل حق الى صاحبه حتى يقتصر للشاة الجماعة من الشاة القرناء وفى الحديث يقول الله عز
وجل وعزنى وجلا لى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم وفى الصحيح اياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة والخبيسة كل الخبيسة من لى الله
وهو به مشرك فان الله تعالى يقول ان الشرك الظلم عظيم وقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظملا ولا هضم الماذكر
الظالمين وعيدهم بنى بالمقبي وحكمهم وهوانهم لا يظلمون ولا يهضمون أى لا يزدنى سياهم ولا يقتصر من حسناتهم قاله ابن عباس
ومجاهد والضحك والاحسن وقنادة وغير واحد فانظلم الزيادة بان يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص (وكذلك انزلناه قرآنا عربيا
وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يلقى اليك وحيه وقل

رب زدني علما يقول تعالى ولما كان يوم المعاد والجزايات ليروا الشر وأفعال المحالة انزلنا القرآن بشرا واذنر بلسان عربي مبين فصح
 لاليس فيه ولا يحى وصرفنا فيهم من الوعيد لعلهم يتقون أي يتركون الما ستم والحجرات والقوا خشن أو يحدث لهم ذكرا وهو إيجاد
 الطاعة وفعل القربى بات فتعالى الله الملك الحق أي يترده وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعدته حق ووعدته حق ورسوله حق والجنة
 حق والنار حق وكل شئ منه حق وعدل تعالى ان يعذب احدا قبل الانذار وبثثة الرسل والانذار الى خلقه فلا ينبغي لاحد خيعة ولا
 شبهة وقوله ولا تجعل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه بقوله تعالى في سورة لا أقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لم يجعل به
 ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتح سمع قرآنه ثم ان علينا يانه ونبت في الصحيح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
 يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك (٢١٢) به لسانه فانزل الله هذه الآية يعني انه عليه السلام كان اذا جاءه جبريل بالوحي كلما

قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على تحفظ القرآن فأرشده الله تعالى الى ما هو الأسهل والأخف في حقه ثلاثين عليه فقال لا تحرك به لسانك لم يجعل به ان علينا جمعه وقرآنه أي ان نجتمع في صبرك ثم تقدر على الناس من غير ان تنسي منه شيئا فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا يانه وقال في هذه الآية ولا تجعل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه أي بل انصت فاذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأ بعدوه وقل رب زدني علما أي زدني من ذلك علما قال ابن عيينة رحمه الله ولمزل صلى الله عليه وسلم في زيادة حتى نوافه الله عز وجل ولهذا جاء في الحديث ان الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن ماجه حديثنا ابو بكر بن أبي

بنت اسنانهم وقد لصت شفاههم وعن ابن عباس قال كانوا أي عابسون وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال تشبه النار فتبطل شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتستريح شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد ورد في صفة أهل النار وما يقولونه وما يقال لهم أحاديث كثيرة معروفة (ألم تكن آياتي تأتي على كل من تخوفون فيها ويقال لهم ذلك تو يخافون ربنا فكنتم بها تكذبون) وترجمون انهم اليست من الله تعالى (فالوار بنا غلبت علينا شدة موتنا) مستأنفة والمعنى غلبت علينا الذنوب وشهواتنا فسمى ذلك شقوة لانه يقول الى الشقاء وقرئ شقاوتنا وبها قرأ ابن مسعود والحسن وهما مصدران بمعنى سوء العاقبة والشقاء ضد السعادة والشدة والعسر (وكذا قروا ما بين) بسبب ذلك عن الهدى فانهم ضلوا عن الحق والصواب بتلك الشقوة ثم طلبوا ما لا يجابون اليه فقالوا (ربنا أخرجننا منها) أي من النار (فان علينا) الى ما كمل به من الكفر والتكذيب وعدم الايمان (فانا ظالمون) لانفسنا بالعود الى ذلك (قال) تعالى لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا صرحتين قبل هوسه آة آلاف سنة بعد الكواكب السيارة وقيل اثنا عشرة آلاف سنة بعد الروح وقيل ثمانمائة ألف سنة وستون بعد ذابام السنة ذكره القرطبي في التذكرة والتحقيق فيه ما ذكرناه في لقطه الجلال (اخسوا فيها) أي اسكنوا في جهنم سكوت هوان قال المرداوي اخسوا بعبادكم ورواه قال الزجاج ما عبدوا اتباعه سخط وأبعدوا وبعد الكلب فالعني أبعادوا في جهنم كما يقال للكلب اخسأ أي ابعده وخرأ الكلب طرده (ولا تكلمون) في اخر اجكم من النار وجوعكم الى الدنيا اوفى رفع العذاب عنكم وقيل المعنى لا تكلمون رأسا قال الحسن هو آخر كلامهم به اهل النار وما بعد ذلك الا الزفير والشهيق وعواء الكلاب ثم علل ذلك بقوله (انه) تعليل لما قبلها من الزجر عن دعائهم بالخروج منها (كان فرقتي من عبادي) وهم المؤمنون وقيل

شبه حديثنا عبد الله بن عمر عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انفعني بما علمتني وعلى ما ينفعني وزدني علما والحمد لله على كل حال وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن عبد الله بن غيرة وقال غريب من هذا الوجه ورواه البراء بن عمرو بن علي القلاس عن ابي عاصم عن موسى بن عبيدة وزاد في آخره وأعوذ بالله من حال أهل النار (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فتنى ولم نجده عزماء) واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أي فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولز وجعل فلابحرج جنك من الجنة فقتلني ان لك أن لا تجوع فيه ولا تعرى وابك لا تطمأ فيها ولا تحي فوسوس اليه الشيطان قالنا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلامه فبذلت لهم ما سئلوها وما وطفا بخصه فان علم ما من ورق الجنة وعني آدم ربه فغوى ثم اجتنبه ربه فتاب عليه وهدى قال ابن أبي حاتم حديثنا أحمد بن سنان

الصحابة

حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن سعد بن جبير عن ابن عباس قال انما سمى الانسان لانه عهد اليه نفسي وكذا رواه علي بن ابي طلحة عنه وقال مجاهد والحسن تركوه وقوله واخذ قلنا الدلائكة اسجدوا لآدم يدرك تعالى تشرىف آدم وتكريمه وفاضله به على كثير من خلقه تفضيلا وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الاعراف وفي الحجر والكهف وسياق في آخر سورة ص يذكر تعالى فيها خلق آدم وامره الملائكة بالسجود له تشرىفا وتكراما وبين عداوة ابليس لبنى آدم ولا يهتم قديا ولهذا قال تعالى فسجدوا الا ابليس اى أى الامتنع واستكبر فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجه بك يعنى حواء عليها السلام فلا يختر حضاك من الجنة فتشقى اى اياك ان تسعى فى اخر اجل منها فتعب وتعنى وتشتقى فى طلب رزق فانك ههنا فى عيش رغيد ههنا بلا كلفة ولا مشقة ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى انما قرن بين الجوع والعري لان الجوع (٢٦٣) ذل الباطن والعري ذل الظاهر وانك لا تظلم فيها ولا تنقص فيها ولا تنقص ههنا انما

العصاة المهاجرون ومنهم بلال وصهيب وعمار وخباب (يقولون ربنا آت فاقفر لنا وارحنا
وات خير الراجين) ومخط التعليل قوله (فاتخذوهم سخرى) بكسر السين وبضغها
سبعينان وقرق بينهما أو عرو فجعل الكسر من جهة الهمزة والضم من جهة الأخرى قال
الخاص ولا يعرف هذا الفرق الخليل ولا سيويه ولا الكسائي ولا الفراء وحكي عن
الكسائي أن الكسر بمعنى الاستهزاء أو السخرية بالقول والضم بمعنى التسخير والاستبعاد
بالفعل (حتى أنسوكذ كرى) أى اتخذوهم سخرى إلى هذه الغاية فإنهم نسوا ذكر الله
لشدته اشتغالهم بالاستهزاء (وكنتم منهم تضحكون) فى الدنيا والمعنى حتى نسيتم ذكرى
باشتغالكم بالسخرى بقوا الضحك فنسب ذلك إلى عبادة المؤمنين لكونهم السبب (إلى
برز يومهم اليوم بمصبروا) مستأنفة للترديد ماسبق إيمان حسن حالهم وبالباء للسببية (أنهم
هم الفائزون) بفتح الهمزة مفعول ثان لجزيتهم وقرئ بكسر هاءى الاستئناف والمعنى
جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة قال الله عز وجل تذكر الهم بأن ما ظنوه طوبى بلادنا فما هو
قليل بالاضافة إلى ما أنكره وقرئ قل على صيغة الامر والمعنى قل يا محمد لا كندار أو يكون
أمر الملأ بسؤالهم أو التقدير قولوا فأخرج الكلام مخرج الامر لا واحد والمراد الجماعة
(كم لبتم فى الارض) التى طلبتم الرجوع اليها والغرض من هذا السؤال التبكيت والتوبيخ
لأنهم كانوا ينكرون اللبث فى الآخرة أصلا ويحتمل أن يكون السؤال عن جميع ما لبثوا
فى الحياة الدنيا وفى القبور وقيل هو سؤال عن مدة لبثهم فى القبور لقوله فى الارض ولم يقبل
على الارض ورد بمن قوله تعالى ولا تفسدوا فى الارض (عدد سنين) أى لبتم كم عددا من
السنين بفتح النون على أنها نون الجمع ومن العرب من يحذفها ونونها (قالوا البشايروما
أولعض يوم) استعصروا مدة لشهيم وشكوا فى ذلك اعظم ما هم فيه من العذاب الشديد
وقيل أن العذاب رفع عنهم بين النفتين فساوما كانوا فيه من العذاب فى قبورهم وقيل
انساهاهم الله ما كانوا فيه من العذاب من النفتة الاولى إلى النفتة الثانية ثم ما عرفوا

اشكباك حدثنا علي بن عاصم عن سعد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم رجلا طولا كثيرا شعر الرأس كأنه نخلة تتحرق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعرة شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم مني تشر فلما سمع كلام الرحمن قال رب لا ولكن استخياء أريت ان تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة قال نعم فذلك قوله قلني آدم من ربك كذبت فتاب عليه وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظرا أيضا وقوله وطفقا يخضعان عليهما من ورق الجنة قال مجاهد يرفعان كههيئة الثوب وكذا قال قتادة والسدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعد بن جبيرة عن ابن عباس وطفا يخضعان عليهما من ورق الجنة قال نزعان ورق التين فيجعلانه على سواهما ووقولا وعصى آدم ربه فغوى ثم

اختاره فتاب عليه وهدي قال الجاري حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا أبو بوب بن الجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال طاح موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة فبئس وأسيقتهم قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالة الله وبكلامه أنا موسى على أمر كره الله علي قبل أن يخلقني أو قدره الله علي قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في آدم موسى وهذا الحديث لا طريق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أن أخبارنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحرث بن أبي ذئب عن يزيد بن هرم قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى عند ربهما في آدم موسى أنت الذي خلقك الله بسببه ونفخ فيه من روحك واسجدوا له فاستغفركم (٢٦٤)

أنت موسى الذي اصطفاك الله
برسالته وكلامه وأعطاك الألوام
فيا أقباني كل شيء وقربك نجيا فبك
وجدت الله كتب التوراة قال
موسى باربعين عاما قال آدم فهل
وجدت فيها وعصى آدم ربه فعوى
قال نعم قال أنت لحنوني على
إن علمت علا كتب الله على أن
أعجله قبل أن يخلقني باربعين سنة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجى آدم موسى قال الحزن وحدثني
عبد الرحمن بن هرم بن ذلك عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
(قال أخطأ منها جعاً بعضكم
لبعض عدواً فاما ما بينكم مني هدى
فمن أبع هدى فلا يضل ولا يشقى
ومن أعرض عن ذكري فإن له
معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
أعني قال رب لم نحشر تني أعني
وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك
آياتنا فبيناها وكذلك اليوم تنبى
يقول تعالى لا آدم وحواء واليس

ما أصابهم من النسيان لشدة ما هم فيه من الهول العظيم أخطأوا على غيرهم فقالوا (فاسأل
 العادين) جمع عادم من العدد أي المتكئين من معرفة العدد ودم الملائكة لانهم الحفظة
 العارفين بأعمال العباد وأعمارهم وقيل المعنى فاسأل الحاسبين العارفين بالحساب من
 الناس (قال ان لبتم الاقبلا) قرئ على انصب وقرئ قل كإني الآية الأولى وقد تقدم
 توجيه القراءةين أي ما لبتم في الارض الا زنا قليلا أو لبنا قليلا قال تعالى ذلك لمن
 مالك تصديقها لهم وتقر يعاوبو بها (وانكم كنتم تعلمون) شيأ من العلم والجواب محذوف
 أي لعلمكم اليوم قل لبسكم في الارض أوفى القبور وأوفى ما فكل ذلك قليل بالنسبة إلى لبتم
 في النار ثم زادني وبهم على عبادهم في العقلة وتركهم النظر الصحيح فيما يدل على حقيقة
 البعث والقيامة فقال (أخسيت انما خلقناكم عبنا) لا الحكمة والهمزة للتوبيخ
 والتقريرو الناء للعطف على مقدر أي أنتم تعلموا شيأ خبئتم أو غفتم ولا هيمن وتعاميت
 خبئتم والمعنى عابثين أو لاجل العتب قال بالاول سيميو وهو قطرب والثاني أبو عبيدة
 والعبث في اللغة اللعب وما لافاته فيه يقال عبث لعبت عبثا فهو عابث أي لاعب وأصله
 من قولهم عبث الاقط أي خلطه والمعنى أخسيت انما خلقناكم للاهمال كما خلقت البهائم
 ولا ثواب ولا عقاب (وانكم اليسالنا ترجعون) بالعبث والنشور فحازيكم بما عملكم
 قرئ ترجعون مبنيا للفاعل وللمفعول وقدم النعال على الفعل لاجل التواصل ثم تز سجانة
 نفسه فقال (فتعالى الله) أي تز عن الاولاد والشركاء أو عن ان يخلق شيأ عبثا أو عن
 جميع ذلك وهو (المالك) الذي يحق له الملك على الاطلاق إيجادا واعدة مابدا واعادة
 واحياء واما نعتو عقابا واثابة وكل ما سواه محلوله بالاذات مقهور للملكية مالكة بالعرض من
 وجهه دون وجهه وفي حال دون حال (الحق) في جميع أفعاله وأقواله وهذا استعظام له
 تعالى ولشؤنه (لا اله الا هو رب العرش الكريم) فكيف لا يكون الهازر بالما هو دون
 العرش الكريم وما تحتهم من الخلقات وما أحاط بهمن الموجودات كائنات ما كان ووصف

أنت موسى الذي اصطفاك الله
برسالته وكلامه وأعطاك الأجر
فيما اتينان كل شيء وقربك نجيا فكم
وجحدت الله كتب التوراة قال
موسى يارب عني عما قال آدم فهل
وجحدت فيها وعصى آدم ربه فغوى
قال نعم قال أنت لومني على
إن علمت فلا كتب الله علي إن
أعلم قيل أن يخلقني يارب عني سنة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجح آدم موسى قال الخمر وحديثي
عبد الرحمن بن حزم بذلك عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
(قال أبطأ منها جعاً بعضكم
لبعض عدو فاما يا بنيكم مني هدي
فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
ومن اعرض عن ذكري فإن له
معيشة ضنكا وتحشره يوم القيامة
أعني قال رب لم تحشرني أعني
وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك
آياتنا فدميت بها وكذلك اليوم تنبى)
يقول تعالى لا آدم وحواء وابليس

اجتبطوا منها جميعاً من الجنة كلهم وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة بعضكم لبعض
عدو قال آدم وذريته وابليس وذريته وقوله فاما يا بنيكم مني هدى قال ابو العالية الانبياء والرسل والبيان فمن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن أعرض عن ذكرى أي خالف أمرى وما أنزله على رسولى
أعرض عنه وتأساه وأخذ من غيره هذه فان له معيشة ضنكاً أي ضنكاً في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدده بل صدره ضيق
خرج لضلاله وان تمنع ظاهره وبس مأساه وأكل مأساه وسكن حيث شاء فان قلبه مالم يحصل الى اليقين والهدى فهو في قلق
وحيرة وشك فلا يزال في ريبه يتردد فهذه من ضنك المعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان له معيشة ضنكاً قال الشفاء
وقال العوفي عن ابن عباس فان له معيشة ضنكاً قال كلباً أعطته عمداً من عبادي قل أو كبراً فلا يتقنى فيه فلا خوفه وهو

الضئف في المعيشة وقال أيضا ان قوما ضللا كانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكاثت معيشتهم ضنكا وذلك انهم كانوا يرون ان الله ليس محققا لهم معايشهم من سوء نظنهم بالله والتكذيب فاذا كان العبد يكذب بالله وبسوء الظن به والمثوبة اشتدت عليه معيشته فذلك الضئف وقال الضحاک هو العمل السيئ والرزق الخيبت وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفيان بن عيينة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه فيه قال أبو حاتم الرازي البعير بن أبي عباس يكنى أبا سلمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أن أبا الوليد أبا عبد الله بن الهيثم عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فان له معيشة ضنكا قال ضمة القبر له والموقوف أصح وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الربيع بن سليمان (٢٦٥) حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن الهيثم عن دراج أبو الهيثم عن أبي سعيد عن أبي حنيفة عن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المؤمن في قبره في روضة خضراء ويقعح له في قبره سبعون ذراعا في نور له قبره كالمقبر ليله البدر إذا تدرؤن فيها أنزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا تدرؤن ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده انه ليساط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرؤن ما التسعين تسعة وتسعون حبة لكل حبة تسعة وتسعون يسبحون في جسمه ويسبحونه ويخشدونه الى يوم يبعثون رفعة منكره جدا وقال البراز حدثنا محمد بن يحيى الرازي حدثنا محمد بن عمرو حدثنا هشام ابن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حنيفة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل فان له معيشة ضنكا قال المعيشة الضنك الذي قال الله انه ليساط عليه تسعة وتسعون حبة

العرش بالكرام لنزول القرآن أو الرحمة أو الخير منه أو باعتبار من استوى عليه كما يقال يت كرم إذا كان ساكنوه كراما أو لئلا ينسبته الى أكرم الأكرمين من حيث انه أعظم مخلوقاته وقرئ الكريم بالرفع على انه تعلق بآخراج الحكيم الترمذي وأبو يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن السني في عمل اليوم واليلة وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود انه قرأ في آذنه مصاب أخسبتم حتى ختم السورة فبرئ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا عبد الله ما عذرا أتيت في آذنه فآخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا ربه على جبل لزال وأخرج ابن السني وابن منده وأبو نعيم قال السوطي بسند حسن عن ابراهيم التيمي قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سرية وأمرنا ان نقول إذا مسينا أو أصبنا أو خببتم الخ فقراناها فغفنا وسلبنا ثم زيف ما عليه أهل الشرك فو بخلهم وتقر يعاف قال (ومن يدع مع الله الها آخر) بعده مع الله أو يعبد وحده (لا برهان له) صفة كاشنة لقوله اله الا مفهوم لها أو هي صفة لازمة بحى بها لئلا كيد كقوله يطير بجناحيه والبرهان الجناحة الواضحة والدليل الواضح وجواب الشرط قوله (فانما حسابه عند ربه) أي فهو مجاز له بقدر ما يستحقه وجواب لا برهان له به معترضة بين الشرط والجزاء وقيل ان جواب الشرط قوله لا برهان له به (انه) قرئ الكسر على الاستئناف المقابلة له وبالقبح على التعليل (لا يفلح الكافرون) قرئ من أفلح وقرئ بفتح السين مضارع فلفح بمعنى أفلح فيه مرعاة معنى من وفيه الاظهار في مقام الاخبار للنداء عليهم بهذا الوصف القبيح جعل فاتحة السورة قد أفلح المؤمنون واختتمها الله لا يفلح الكافرون فستان ما بين الفاتحة والخاتمة ثم ختم هذه السورة بتعليم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ان يذعوا بالمغفرة والرحمة فقال (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين) أمره سبحانه بالاستغفار ليقدي به أمته وقل أمره بالاستغفار لامته وقد تقدم بيان كونه أرحم الراحمين وفي الرحمة زيادة على المغفرة وهي ايصال الاحسان

(٢٦٥ - فتح البيان سادس) ينشون له حتى تقوم الساعة وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا جاد بن سادة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر اسنادا جدي وقوله ونحشرهم يوم القيامة أعني قال بمجاهد وأبو صالح والسدي لا تحمله وقال عكرمة عني عليه كل شيء الاجهة ويحتمل أن يكون المراد انه يبعث أو يحشر الى النار أعني البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عيانا وبكود ما وأهم جهنم الآية ولهذا يقول رب لم حشرتني أعني وقد كنت بصيرا أي في الدنيا قال كذلك أنتك آياتنا نفسيتم أو كذلك اليوم تنسى ألى ما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذعوا بها بل اغفلت أو أعرضت عنها أو غفلت كما ذلك اليوم نعامك معاملة من نساك فالأمر نساكهم كما نسا القاء يومهم هذا فان الجزاء من جنس العمل فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه

والتي بام عقبة فليس داخل في هذا الوعيد الخاص وان كان متوعدا عليه من جهة اخرى فانه قد وردت السنة بالنهي الاكيد والوعيد الشديد في ذلك قال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد بن زيد بن ابي زياد عن عيسى بن قاذع عن رجل عن سعد بن عباد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل قرأ القرآن فأنسى نفسه الا في الله يوم يلقاه وهو اخذ من خزوء الامام احمد من حديث زيد بن ابي زياد عن عيسى بن قاذع عن عباد بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قد كرم له سواء (وكذلك يجزي من اسرف يوم يومين يايات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) يقول تعالى وهكذا يجازي المسرفين المكذبين يايات الله في الدنيا والآخرة لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق ولهذا قال ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أي أشد الممان عذاب الدنيا وأدوم (٢٦٦) عليهم فهم مخلدون فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين

ان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة (أفلم يلهيهم كذبهم) أهله كآبائهم من القرون يشون في مساكنهم ان في ذلك لايات لاولي النهي ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمدي ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آتاه الليل فسيحوا طراف النهار له ان ترضى) يقول تعالى أفلم يهد لهؤلاء المكذبين عاجتهم به يا احمد كم أهلكم من الأمم المكذبين بالرسول فباعدوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالصة التي خلقوهم فيها يعيشون فيها ان في ذلك لايات لاولي النهي أي العقول الصحيحة والالاب المستقيمة كما قال تعالى أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانهم لا تعمى الابصار واسكن تعمي القلوب التي في الصدور وقال في سورة ألم السجدة

زيادة على غفر الذنب وأيضا الغفران قد يكون من غير احسان الذي هو بمعنى الرحمة ووجه اتصال هذا بما قبله انه سبحانه لما شرح أحوال الكفار أمرهم بالانقطاع اليه والالتجاء الى غفرانه ورجته لان رجته اذا أدركت أحد اغتته عن رحمة غيره ورجة غيره لا تغنيه عن رحمة

(سورة النور هي مدينة وآياتها أربع وستون آية)

وبه قال ابن عباس وابن الزبير عن عائشة مرفوعا قال لا تنزلوهن الغرف ولا تعالوهن الكعبة يعني النساء وعلموهن الغزل وسورة النور أخرجه البيهقي والحاكم وابن مردويه وعن مجاهد مرفوعا قال علوا رجالكم سورة المائدة وعلموا النساء كم سورة النور رواه البيهقي وابن المنذر وسعيد بن جبيرة وهو مرسل

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة) هي في اللغة اسم المنزلة الشريفة والثلث سميت بالسورة من القرآن سورة ومنه قول زهير ألم تر أن الله اعطاك سورة * قوى كل ملك ذنوبا تنذيب أي منزلة وقرئ بالرفع ووجهان أحدهما ان يكون خبر المستأخذوف والتقدير هذه سورة ووجه الزجاج والقراء والمبرد قالوا الا انه انكره ولا يستد بها في كل موضع والثاني ان يكون مبتدأ وجازا ابتداء بالانكسار لكونها موصوفة بقوله (أترنناها) وانظر الزانية والزاني والى هذا انما ان عطية والمعنى السورة المنزلة المفروضة كذا وكذا اذا السورة عبارة عن آيات مسرودة لها مبدأ ومختتم وهذا معنى صحيح ولا وجه لما قاله الاولون وقيل التقدير فها أوحينا اليك سورة وردنا من مقتضى المقام شأن شأن هذه السورة الذكرمة لا يسان ان في جملة ما أوحى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سورة شأنها كذا وكذا وقرئ بالنصب أي اتل سورة أو اقرأ وأترننا سورة أو أدونك سورة فانه انما يخشى الله من عباده الجنان وقيل أترننا الاحكام حال كونها سورة من سور القرآن (وفرضناها) قرئ بالخفيف

أول يهد لهم كم أهلكم من قبلهم من القرون يشون في مساكنهم الآية ثم قال تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى أي لولا الكلمة السابقة من الله وهو الله لا يعذب أحد الا بعد قيام الحجة عليه والاجل المسمى الذي ضربه الله تعالى لهؤلاء المكذبين الى مدة معينة لحاءهم العذاب بغتة ولهذا قال لئني مبسلا له فاصبر على ما يقولون أي من تكذيبهم للرسول بحمدي ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة التهجيز وقيل غروبها يعني صلاة العصر كما جاء في التفسيرين عن جرير بن عبد الله الجلي رضي الله عنه قال كما قالوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فظنر الى القبر ليله اليه فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استعصم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فاقه فأنتم قرأه الاية وقال الامام احمد حدثنا شافعيان بن عيسى عن عبد الملك بن عمير عن عمار بن رؤبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان يلج

النار احدثني قبل طواع الشمس و... من حديث عبد الملك بن عمرو في المسند والسند عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسرة ألفي سنة ينظر الى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى الله تعالى في اليوم مرتين وقوله ومن آتاه الليل فسيح أي من ساعته فتهجد به وحده بعضهم على المغرب والعشاء واطراف النهار في مقابلة آتاه الليل لعلك ترضى كما قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وفي الصحيح يقول الله تعالى يا اهل الجنة فيقولون ليس ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ربنا وما الا نرضى وقد أعطينا ما لم نعط أحد من خلقك فيقول اني اعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضواني فلا أخط عليكم بعده أبدا وفي الحديث الآخر يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجز كوه (٢٦٧) فيقولون وما هو الميعد وسو هذا وثقل موازيننا ويزحزحنا عن النار

والتشديد ومعنى المشددة قطعناها في الانزال نجما مجيما والقرض القطع والتشديد للتكثير ولله بالغه اولما كيد الايجاب والكمية القراض فيها كازناو القذف واللعان والاستئذان وغض البصر وغير ذلك ومعنى الخفف أوجناها وجعلناها مقطوعة وقيل الزمان كالعجل بها وقيل قدرنا ما فيها من الحدود والقرض التقدير ومنه ان الذي قرض عليك القرآن وقيل ينالها قاله ابن عباس وقيل أوجنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايدان بغاية وكادة القرضية ما لا يحصى (وأزلفنا فيها آيات بينات) أي أثرنا في غصونهم وتضاعفها آيات واضحة الدلالة على مدلولها وتكرارها لتلك الكمال العناية بانزال هذه السورة وشأنها لما اشتملت عليه من الاحكام المنروضة قال الرازي ذكر الله في أول السورة أنواعا من الاحكام والحدود وفي آخرها دلائل التوحيد فقوله فرضناها اشارة الى الاحكام وقوله هذا الى ما بين فيها من دلائل التوحيد ويؤيده قوله (لعلكم تذكرون) فان الاحكام لم تكن معلومة حتى نؤمن بتدكرها ما دلائل التوحيد فقد كانت كالمعلومة لهم لظهورها فامرنا بتدكرها قيل والمعنى تتعطلون وقيل قوله (الزانية والزاني) تفصيل ما أجل من الآيات البينات والزنا هو وطء الرجل المرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح وقيل هو ادراج فرج في فرج مشتهى طبعاً محرماً شرعاً والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كائني غنم الصيغة لا المكروه وكذلك الزاني وتقدم الزانية على الزاني لأنها الاصل في الفعل لتكون الداجية فيها أو فلولاً تخمينها منه لم يقع قاله أبو السعود وانما قدمت المرأة هنا وحرت في آية حد السرقة لان الزنا انما يتولد بشهوة الوفاق وهي في المرأة أقوى وأكبر والسرقة انما تولد من الجسار والقوة والجرأة وهي في الرجل أقوى وأكثر قاله الكرخي وقيل وجه تقديم الزانية على الزاني ههنا ان الزاني في ذلك الزمان كان في النساء أكثر حتى كان لمن رايات تنصب على أبوابهن ليعرفهن من أراد الفاحشة منهن وقيل لان العار فيهن أكثر اذ موضوعهن الخيبة والصيانة فقد مذكر الزانية تعليظاً واهتماماً

ووجدنا الجنة فيكشف الخجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم خيراً من النظر اليه وهي الزيادة (ولاعلمن عنيك الى ما تمنعنا به أزواجهم سم زهرة الحياة الدنيا لنتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهالي بالصلاة واضطر عليها لاسأل ربك فاحسن رزقك والعاقبة للمتقون) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تنظر الى ما هو لاء المترفون وأشهباهم وطرأوهم فيسه من العيم فانما هو زهرة الدنيا وولعة حائلة ليجتبرهم بذلك وقيل من عبادي الشكور وقال مجاهد أزواجهم سم يعني الاغنياء فقد أتاه خبراً عما آتاهم كما قال في الآية الاخرى ولقد أتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لآتدن عنيك الآية وكذلك ما أخره الله تعالى

لرسوله صلى الله عليه وسلم في الآخرة أمر عظيم لا يحسد ولا يوصف كما قال تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى ولهذا قال ورزق ربك خير وأبقى وفي الصحيح ان عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين أتى منهن فرأته وسداً مضطجعا على رمال حصيد وليس في البيت الا صبرة من قرط واهبة معلقة فابتدرت عينا عمر بالبكاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال يا رسول الله ان كسرى وقبصر فيما هما فيه وأنت صفة الله من خلقه فقال أو في شك أنت يا ابن الخطاب أو لئن قوم جعلت لهم طيباتهم في حياتهم لم يكن الله صلى الله عليه وسلم أرشد الناس في الدين ام القدرة عليها اذ حصلت له ينفعها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئاً لئلا يظن اني حاتم أو يا أيونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم ما يشق الله

لكن من زهرة الدنيا قالوا ما زهرة الدنيا رسول الله قال ركبت الارض وقال قتادة والسدي زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وقال قتادة لنتقمت فيه لنتقلم وقوله وأمر أهل الصلاة واصطبر علم أي استقدم من عذاب الله ما قام الصلاة واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر بن الخطاب كان يبيت عنده ناور فأوقاه ساعة من الليل يصلي فيه افرع علم بقم فذوق لاقوم الليلة كما كان يقوم وكان اذا استيقظ اقام يعني أهله وقال وأمر أهل الصلاة واصطبر علم اوقوله لانسألك رزقا فحين نرزقك يعني اذا اوقت الصلاة انك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ورزقا من حيث لا يحتسب وقال تعالى وما خلقت (٢٦٨) الجن والانس الا ليعبدون الى قوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ولهذا

قال لانسألك رزقا فحين نرزقك وقال الثوري لانسألك رزقا أي لانكافك الطيب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص بن غياث عن هشام عن أبيه انه كان اذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فادار جمع الى أهله فدخل الدار قرأ ولما تمدن عينك الى قوله فحين نرزقك ثم يقول الصلاة الصلاة رحكهم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطراني حدثنا شماس حدثنا جعفر عن ثابت قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهله صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبياء اذا نزل بهم أمر فزعو الى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوالي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(فاجلدوا) الجلد الضرب يقال جلده اذا ضرب جلده مثل بطنه اذا ضرب بطنه ورأسه اذا ضرب رأسه ودخول الفاء لتضمن المتبدا معنى الشرط على مذهب الاخفش وعلى مذهب سيبويه التقدير فيما يتلى عليكم حكم الرابسة ثم بين ذلك بقوله فاجلدوا واخطاب في هذه الآية الكريمة ثلاثه ومنهم من قام مقامهم وقيل للمسلمين أجمعين لان اقامة الحدود واجبة عليهم جميعا والامام يوب عنهم اذا لم يكن اجتماع على اقامة الحدود (كل واحد منهما مائة جلدة) هو حد الزاني الحر البالغ المبرور وكذلك الزانية وثبت بالنسبة زيادة على هذا الجلد وهو تغريب عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب الى رأى الامام والحديث برده وقال مالك يجلد الرجل ويغرب وتجلد المرأة ولا تغرب واما المملوك والمملوكه فجلد كل واحد منهما خمسين جلدة لقوله سبحانه فان أتينا فاحسنة فعلمين نصف ما على المحصنات من العذاب وهذا نص في الاماء والحق بهن العبد لعدم الفارق واما من كان محصنا من الاحرار فعليه الرجم بالسنة الصحيحة المتواترة وباجماع أهل العلم بل وبالقرآن المنسوخ لفظه الباقي حكمه وهو الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة وزاد جماعة من أهل العلم مع الرجم جلدة مائة وقد أوضح الشوكاني ما هو الحق في ذلك في شرحه للمنتقى وقد مضى الكلام في حد الزنا مستوفى وهذه الآية ناجية لآية الحبس وآية الاذى اللتين في سورة النساء وزاد النسفي والتغريب منسوخ بالآية وليس بصحيح فقد أثبتته السنة الصحيحة كما أشرنا اليه (ولا تأخذكم) بالتأنيث مراعاة للفظ وبالياء لانه مجازي ولللفظ بالمفعول والجار (مما زانته) يقال رأى رأفة على وزن فعلة ورأفة على وزن فعالة مثل النساء والنساء وكلاهما بمعنى الرقة والرقة وقيل هي أرق الرحمة وأشدّها (في دين الله) أي في طاعته وحكمه كما في قوله ما كان لياخذنا خافه دين الملك أي لياخذكم الذين في استيفاء الحدود فمطعوا بها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد ابن جبير والخصي والشعبي وقيل تخففوا الضرب وهو قول سعيد بن المسيب والحنن قال

يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى وأسد فقرك وان لم تفعل ملائت صدرك شغلا ولم أسد فقرك وروى ابن ماجه من حديث الضحاك عن الاسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من جعل الهيموم هيموا واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهيموم أحوال الدنيا لم يال الله في أي أودته ذلك وروى أيضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبيان عن أبيه عن زيد بن ثابت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة تهمة جمع له أمره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقوله والعاقبة للتقوى أي وخس العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ياب الليلة كافي دار عقبه بن رافع وانا بئنا برطب من رطب ابن طاب فأولت

الزهرى

ذلك ان العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وان ذيننا قاطب (وقالوا لا يتنبأ به من ربه اول ما تم منه ما في الصحف الاولى ولوانا
 اهلكهم بعد اب من قبله لقولنا ربنا لولا ارسلت اليك النار لولا انك من قبل ان ندل ونخزي كل متر بص فترصوا صفيتعلون
 من احباب الصراط السوي ومن اهتدى) يقول تعالى مخبر عن الكفار في قولهم لولا اي هلا يا تنجيد يا بمن ربه اي بعلامة
 دالة على صدقه في انه رسول الله قال الله تعالى اول ما تم منه ما في الصحف الاولى يعني القرآن العظيم الذي انزل عليه الله وهو اى
 لا يحسن الكتابة ولم يدرس اهل الكتاب وقد جاء فيه اخبار الاولين بما كان منهم في سالف الدهور بما وافقه عليه الكتب
 المتقدمة الصحيحة منها فان القرآن مهين عليهما اصدق الصحيح وبين خطأ المكذوب فيها وعليها وهذا الآية كونه تعالى في سورة
 العنكبوت وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه لانا آيات عند الله وانما (٢٦٩) آيات مبين اول يكفهم اننا انزلنا عليك

الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة
 وذكري لقوم يؤمنون وفي الصحيحين
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 انه قال ما من نبي الا وقد اوتي من
 الآيات ما آمن على مثله البشر
 وانما كان الذي اوتيه وحيا واما
 الله الى فارحوا ان تكون اكثرهم
 تابعايوم القيامة وانما ذكرهنا
 اعظم الآيات التي اعطيهما عليه
 السلام وهو القرآن والا فله من
 المعجزات ما لا يحصى ولا يحصر كما هو
 مودع في كنهه ومعرفة بوضعه
 ثم قال تعالى ولوانا اهلكهم بعذاب
 من قبله لقولنا ربنا لولا ارسلت
 النار لولا اي لوانا اهلكنا هؤلاء
 المكذبين قبل ان نرسل اليهم هذا
 الرسول الكريم وتنزل عليهم هذا
 الكتاب العظيم لكانوا قالوا ربنا
 لولا ارسلت اليك النار لولا ان
 تهلكنا حتى نؤمن به وتبعه كما قال
 فتتبع آياتك من قبل ان ندل ونخزي
 بين تعالى ان هؤلاء المكذبين
 متعتون بمعادون لا يؤمنون ولو

الزهرى يجتهد في حد الزنا القرية أى القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد
 الزنا ويخفف دون ذلك في حد القذف ودونه في حد الشرب ثم قال مشتبا للمأمرين ومهيجا
 لهم (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) أى ان كنتم تصدقون بالتوحيد والبعث
 الذى فيه جزاء الاعمال فلا تعطوا الحدود وفيه الهاب الغضب لله ولدينه وذلك لان
 الايمان بهما يقتضى التجلدى طاعة الله وفى اجراء احكامه وذكر اليوم الآخر لتذكير
 ما فيه من العقاب فى مقابلته المسامحة فى الحدود وتعطيلها والحاصل ان الواجب على
 المؤمنين ان يتصلوا فى دين الله ويستعملوا الحث والمسانة ولا يأخذهم اللين والهوان
 فى استيفاء حدود الله وكفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسوة فى ذلك حيث قال لو
 سرق فاطمة بنت محمد لقطع يدها (واشهد عذابهما) أى المحضر الجاد اذا اقيم عليهما
 زيادة فى التنكيل بهما وشروع العار عليهما واشتهر فضحهما (طائفة من المؤمنين) نبا
 والطائفة القرية السقى تكون حافة حول الشئ من الطوف واقلها ثلاثة لانه اقل الجمع
 وقيل اثنان قاله عكرمة وقيل واحد قاله مجاهد وقيل أربعة لانهم عدد شهد الزنا وقيل
 عشرة قال ابن عباس الطائفة الرجل فاقوه ولا يجب على الامام حضورهم ولا على
 الشهود لانه صلى الله عليه وآله وسلم امر برجم ماعز والغامدية ولا يحضر رجمهما وانما
 خص المؤمنين بالحضور لان ذلك افضح والناسق بين صلحاء قومه امحجل وتسمية الجلد
 عذابا لدليل على انه عقوبة ثم ذكر سبحانه شيئا يختص بالزاني والزانية فقال (الزاني لا يشك
 الزانية او مشركة والزانية لا يشكها الا ازان او مشرك) يعنى ان الغالب ان المائل الى
 الزنا لا يرغب فى نكاح الصالح والزانية لا يرغب فيما اهل الصلحاء فان المشاكاة على الالفه
 والتضام والمخالفة سبب للنزق والافتراق وقد اختلف اهل العلم فى معنى هذه الآية على
 أقوال الاول ان المقصود منها تشجيع الزنا وتشجيع أهلها وانه محرم على المؤمنين ويكون
 معنى الزانى لا يشك الزانية الوطء والعقد أى الزانى لا يرى الزانية والزانية لا ترى الا

باعتهم كل اية حتى يروا العذاب الاليم كما قال تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا العلمكم ترجون الى قوله بما كانوا
 يصدون وقال واقصموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم الآية وقال واقصموا بالله جهد ايمانهم
 لئن جاءهم آية ليوثن بها الآيتين ثم قال تعالى قل اي يا محمد لى كذلك وخالفك واسقر على كفره وعنده كل متر بص اى منا ومنكم
 فترصوا اى فانتظروا فاستعملون من احباب الصراط السوي أى الطريق المستقيم ومن اهتدى الى الحق وسبيل الرشاد وهذا
 كقوله تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا وقال سمعوا من الكذاب الاشر آخر تفسير سورة طه
 وله الحمد والمنة * (تفسير سورة الانبياء عليهم السلام وهى حكيمة) * قال البخارى حدثنا محمد بن بشر حدثنا شعبة عن ابي اسحق
 عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال بنو اسرائيل والكهف وحرهم وطه والانبياء هن من العاقب الاول وهن من تлады

(نسم الله الرحمن الرحيم) اقرب الناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يعلمون لاهية قلوبهم واسر التجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحرة وانتم تبصرون قال ربي يعلم القول في السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضعنا احلام بل اقتراب اهل هوسا عرفنا ما تنادي به كما أرسل الاولون ما نمت قلوبهم من قربة اهل كذا اقم يومنون هذا تنبيه من الله عز وجل على اقرب الساعة ودونها وان الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها وقال النسائي حدثنا جده نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعشى عن أبي صالح عن ابن سبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في غفلة معرضون قال في الدنيا وقال تعالى أي أمر الله فلا تستبجلوه وقال اقرب الساعة وانشتي القمرون (٢٧٠) رواية يعرضوا الآية وقدروى الحافظ بن عساكر في ترجمة الحسن بن هاني

أي نواس الشاعر انه قال أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حديث قول الناس في غفلاتهم

ورحamna تطعن فتسبله من أين أخذ هذا قال من قول الله تعالى اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون وروى في ترجمة عاصم بن ربيعة من طريق موسى بن عبد الله الهدي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عاصم بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فآثرهم عاصم مشوا وكام فنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل فقال اني استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا في العرب وادفضل منه وقد أردت ان أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك فقال عاصم لا حاجة لي في قطعك نزلت اليوم سورة آذنتنا عن الدنيا اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ثم أخبر تعالى انهم لا

يزان وزاد ذكر المشرك والمشرک أعظم في المعاصي من الزنا وردها الزناج وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا يعني التزويج وردها الزناج النكاح بمعنى الوطء ثابت في كتاب الله سبحانه ومنه قوله حتى تنكح زوجا غيره فقد بينه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بان المراد به الوطء ومن جملة القائلين بان معنى الآية الزاني لا الزانية البرائة سعد بن جبيرة وابن عباس وعكرمة كما حكاه ابن جرير عنهم وعن ابن عباس قال ليس هذا النكاح ولكن الجماع لا زني بها حين زنى الا زان أو مشرك الثاني ان الآية هذه نزلت في امرأة خاصة فتكون خاصة بها كما قال الخطابي عن ابن عمر وقال كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح وتشرط ان ينق عليها فاراد رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوجها فأنزل الله هذه الآية أخرجه أحمد والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم الثالث انها نزلت في رجل من المسلمين فتكون خاصة به قاله مجاهد وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال كان رجل يقال له امرئ ثيب عمل الاسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت امرأة بني عكرمة يقال لها عناق وكانت كرقصة وفيها فانت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا فإني ردي شيئا حتى نزلت الزاني لا ينكح الزانية الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا امرئ ثيب انك لا ينكح الزانية أو مشرك والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين فلا تنكحها أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والنسائي والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم الرابع انها نزلت في أهل الصفة فتكون خاصة بهم قاله أبو صالح الخامس أن المراد بالزاني والزانية المحسد ودان حكام الزناج وغيره عن الحسن قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محسد ودان يتزوج المحسدة وروى نحوه عن ابراهيم الخفي وبه قال بعض أصحاب الشافعي قال ابن العربي وهذا لا يصح نظرا كما لا ثبت نقلا السادس ان هذه الآية منسوخة بقوله سبحانه وانكحوا الايالي منكم قال الخاس وهذا القول عاميه أكثر العلماء

يصفون الى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث أي جديد انزاله الاستمعوه وهم يعلمون كما قال ابن عباس مالكم تسألون أهل الكتاب عما يابدهم وقد حرقوه وبلوه وزادوا فيه ونقصوا منه وكابكم أحدث الكتب بالله تقرؤنه فخصام بسب رواه البخاري بنحوه وقوله وأسروا التجوى الذين ظلموا أي قائلين فيما بينهم خفية هل هذا الا بشر مثلكم يعلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعدون كونه نبيا لانه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال افتأتون السحرة وانتم تبصرون أي اقتبعوبه فتكفونون كن يأتي السحرة وهو يعلم انه سحر فقال تعالى مجيبا لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب قال ربي يعلم القول في السماء والارض أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتهر على خبر الاولين والآخرين الذي لا يستطيع احد أن يأتي بخلافه الا الذي يعلم السر

في السموات والأرض وقوله وهو السميع العليم أي السميع لاقوا الكرم العليم بأحوالكم وفي هذا تمديد لهم وعيد وقوله بل قالوا
اضغات احلام بل افترأ هذه الاخبار عن تعنت الكفار والحادهم واختلافهم فيما يصفون به القرآن وحجرتهم فيه وضلالهم
عنه فمارة يجعلاونه سحرا وتارة يجعلاونه اضرغات احلام وتارة يجعلاونه مقترى كما قال انظر ضروا لك الامثال
فضلا فلا يستطعون سبيلا وقوله فليأتنا به كما أرسل الاولون يعنون كثافة صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله وما من معنات
نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون الآية ولهذا قال تعالى ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها انهم يؤمنون أي ما آتنا قرية
من القرى الذين يعترفونهم الرسل آية على يديهم فآمنوا بها بل كذبوا فاهلكناهم بذلك انهم يؤمنون بالآيات لورا وهادون
اولئك كلاب ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل (٢٧١) آية حتى يروا العذاب الالم هذا كله

وقد شاهدوا من الآيات الباهرات
والجج القاطعات والدلائل
البيانات على يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما هو اظهر وأجلى
واجهر واقطع وأقهر مما شوهدهم مع
غيره من الانبياء صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين قال ابن أبي
حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الخطاب
حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن
زيد الحضرمي عن علي بن رباح
الخمعي حدثني من شهد عبادة بن
الصامت يقول كافي المسجد ومعنا
أبو بكر الصديق رضي الله عنه
يقرا بعض القرآن فجاء عبد الله بن
سائل ومعه مئرة وزريرة فوضع
واثكا وكان صديقا فصاحا جديلا
فقال يا أبا بكر قل ل محمد يا نينا بآية
كجاء الاولون جاء موسى بالالواح
وجاء داود بالزبور وصالح بالناقصة
وجاء عيسى بالانجيل والمائدة فبكي
أبو بكر رضي الله عنه فخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو

والسابع ان هذا الحكم مؤسس على الغالب العلم والمعنى ان غالب الزنا لا يرغب الا في
الزواج بزانية مثله وغالب الزواني لا يرغب الا في الزواج بزانية مثله قال ابن
الفاوق الخبيث الذي من شأنه الزنا لا يرغب في نكاح المرأة الصالحة وانما يرغب في نكاح
فاسقة مثله أو في مشركة والناسافة لا ترغب في نكاح الرجل الصالح بل تنفر عنه وانما
تربغ فين هو من جنسهما من النسقة والمشركون فهذا على الاعم الاغلب كما يقال لا يفعل
الخبيث الا بالرجل النقي وقد يفعل الخير من ليس بنقي فكذلك اهلنا والفرق بين قوله الزاني لا
ينكح الا زانية ومشركة وقوله والزانية لا ينكحها الا زان ومشركة ان الكلام يدل على
أن الزاني لا يرغب الا في نكاح الزانية بخلاف الزانية فقد ترغب في نكاح غير الزاني فلا
جرم بين ذلك بالكلام الثاني والمقصود جرم المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن
الزنا وهذا ارجح الاقوال وسبب الترويل بشهده كما تقدم وعن شعبة مولى ابن عباس قال
كنت مع ابن عباس فأتاه رجل فقال اني كنت اتبع امرأ فتفأصبت منها ما حرم الله علي وقد
رزقني الله منها ثوبه فارتدت ان أتزوجها فقال الناس الزاني لا ينكح الا زانية أو مشركة
فقال ابن عباس ليس هذا موضع هذه الآية انما كن نساء يغامتنه البائتات يجعلن على
أبوابهن رايات يأتين الناس يعرفن بذلك فأزل الله هذه الآية تزوجها فما كان فيهما من
أنتم فلي وعسى أن يهريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينكح الزاني المجلود
الامثلة أخرجه ابوداود وابن المنذر والحاكم وابن أبي حاتم وغيرهم وعن علي أن رجلا تزوج
امراة ثم انه زنى فاقبم عليه الحد فأتوا به الى على ففرق بينهما بين امرأ أنه وقال لا تزوج الا
بمجلودة مثلك وعن مجاهد قال كن نساء في الجاهلية بغيات فكانت منهن امرأ آتجبله
تدعى أم جميل فكان الرجل من المسلمين يتزوج احداهن لتتفق عليه من كسبها فنهى الله
سبحانه أن يتزوجهن أحد من المسلمين وهو مرسل وعن ابن عباس انهم انزلت في بغايا
معلنات كن في الجاهلية وكن زواني مشركات فحرم الله نكاحهن على المؤمنين وعنه قال

بكر قوما بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسئعت به من هذا المتأفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يقام لي انما
يقام لله عز وجل فقلنا يا رسول الله اننا لقينا من هذا المتأفق فقال ان جبريل قال لي اخرج فأخبر بغير الله التي أنعم بها عليك وفضيلته
التي فضلت بها قبشرني اني بعثت الى الاجر والاسود وأمرني ان أنذر الجن وأتاني كما بقوا أنا أي وعفروا بذي ما تقدم وما تأخر وذكر
اسمي في الاذان وأمدني بالملائكة وآتاني النصر وجعل العرب امامي وآتاني الكوثر وجعل حوضي من أعظم الحياض يوم
القيامة ووعدني المقام المحمود والناس مهطعون مقنعون رؤسهم وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوق أحد الا الملائكة
الأنعام أمتي الجنة بغير حساب وآتاني السلطان والملائكة جعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوق أحد الا الملائكة
الذين يحسدون العرش واحل لي ولا متي الغنائم ولم تحل لاحد كان قبلنا وهذا الحديث غريب جدا (رواه أسلمنا قبلنا الارجالا

نوح اليهم فاسألوا أهل الذكركان كنتم لتعلمون وما جعلناهم جسدا لآيأ يكون الطعام وما كانوا خالدين ثم ضيقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نساء وأهلكنا المسرفين يقول تعالى راداعلى من أنكر بعنة الرسل من البشر وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم أى جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال فى الآية الأخرى وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى وقال تعالى قل ما كنت بدعاً من الرسل وقال تعالى وحكى عن تقدم من الامم لانهم أنكروا ذلك فقتلوا البشرهم دونوا ولهذا قال تعالى فاسألوا أهل الذكركان كنتم لتعلمون أى اسألوا أهل العلم من الامم كالهند والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أنوهم بشراً أو ملائكة وانما كانوا بشرا وذلك من تمام نعمة الله على خلقه اذ بعث فيهم رسلا منهم فيكون من تناول البلاغ منهم والاختذعهم وقوله (٢٧٢) وما جعلناهم جسدا لآيأ يكون الطعام أى بل قد كانوا أجسادا لا يكون

كانت بغايا فى الجاهلية بغايا آل فلان وبغايا آل فلان فقال الله الزانى لا يشك الزانية فأحكم الله ذلك فى أمر الجاهلية وروى نحو هذا عن جماعة من التابعين وعن الضحاك قال اتعاضنى بذلك الزا ولم يعن به الترويح وعن ابن عباس فى هذه الآية قال الزانى من أهل القبلة لا يرثى إلا برزائة مثله من أهل القبلة أو مشركه من غير أهل القبلة والزانية من أهل القبلة لا ترثى إلا برزائة مثله من أهل القبلة أو مشركه من غير أهل القبلة وحرم الزنا على المؤمنين وقد اختلف فى جواز تزويج الرجل بامرأة قد زنى خوفا فقال الشافعى وأبو حنيفة يجوز ذلك وروى عن ابن عباس وعمر وابن مسعود وجابر أنه لا يجوز قال ابن مسعود اذ زنى الرجل بالمرأة ثم نكحها بعد ذلك فيهما زنايان أبدا وبه قال مالك (وحرم ذلك) أى الزنا ونكاح الزواني لما فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للفتنة والظن فى السبب والتبأس به والمقالة وغير ذلك من المفاسد ومجالات الخطيئة كم فيها من التعرض لاقتراف الآثام فكف بجزأ واحدة. غايا والقباب وقيل هو مكر ومقصد وعبر بالنصر من كراهة التزييف بالغنى فى الزجر (على المؤمنين) الاختيار لا يرفع المؤمن أن لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقد تمت الزانية على الزانى وأولاً تقدم عليها فأنسا لان تلك الآية سميت لعقوبتهم على ما حياها والمرأة هى المدة التى منها نشأت تلك الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم يوقض له ولم تشك لم يطمع ولم يتمكن فلما كانت أصلا فى ذلك بدى ذكرها وأما الثانية فقد ذكرنا نكاح الرجل أصل فيه لأنه انحطاط ومنه به الطلب (والذين يرمون) استعار الرمي للشم بفاحة الزنا لكونه جناية بقول ويسمى هذا الشتم بهذه الفاحشة الخاصة قد فاقى يشتمون (المحصنات) أى النساء المعصيات بالزنا وكذا المحصنات وانما خصهن بالذكر لان قد فوجئ أشنع وألما رفقن أعظم ويلحق الرجال بالنساء فى هذا الحكم بلا خلاف بين علماء هذه الامة وقد جع الشوكا فى ذلك رسالة ردها على بعض المتأخرين من علماء القرن الحادى عشر لما نازع فى ذلك

الطعام كما قال تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم لآ يكون الطعام وعشون فى الاسواق أى قد كانوا بشرا من البشر لآ يكونوا بشرى مثل الناس ويدخلون الاسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بنصار لهم ولا ناقص منهم شيأ كما توهمه المشركون فى قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذير أو يلقى اليه كبر أو تكون له جنه يأتى كل منها الآية وقوله وما كانوا خالدين أى فى الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون وما جعلنا البشر من قبل الخلد وخصهم انهم يوحى اليهم من الله عز وجل تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكمه فى خلقه مما يأمر به وينهى عنه وقوله ثم صدقناهم الوعد أى الذى وعدهم به لم يكن الغافلين صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال فانجيناهم

ومن نساء أى أتباعهم من المؤمنين وأهلكنا المسرفين أى المكذبين بما يأمرون به الرسل لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وقيل أولا تعلمون ولم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعد ذلك ما آخرين فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها برضون لآ تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه وساء كنتم لعلكم تستلثون قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا حامدين يقول تعالى منها على شرف القرآن حمزها لهم على معرفة قدره لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم قال ابن عباس شرفكم وقال بجاء حديثكم وقال الحسن دينكم أولا تعلمون أى هذه النعمة وتلقونها بالقول كما قال تعالى وإنه لكرام لقوم وسوف تستلثون وقوله ولم قصصنا من قرية كانت ظالمة عنه صيغة تكثير كما قال ولم أهلككم فى القرون من بعد نوح وقال تعالى وكان من قرية أهلكنا واهى ظالمة فى خاوية على عروشها الآية وقوله وأنشأنا بعد ذلك ما آخرين أى أمة أخرى بعدهم فلما أحسوا بأسنا أى

يتقنوا ان العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم اذ اهامهم منها راي كضوء أي يشرقون هار بين لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه
ومساكنكم هذا تنكمهم هم نرمز اى قيل لهم نرمز لا تركضوا هار بين من نزول العذاب وارجعوا الى ما كنتم فيه من النعمة
والسرور والمعيشة والمسكن الطيبة قال قتادة استترعهم لعلكم تسألون أي عما كنتم فيه من ادا شكر النعم قالوا يا ربنا
انا كنا ظالمين اعترفوا بذنوبهم حين لا يشفعهم ذلك فزال تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا لخاصدين اي ما زالت تلك المقالة وهي
الاعتراف بالظلم لجهنم حتى حصدناهم حصدا ووجدت حر كاهم وأصواتهم خودا (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما الا عين
لأوردنا ان نتخذها ولا نتخذنا من لدنا ان كافا عليا بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون وله
من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستخسرون (٢٧٣) يسبحون الليل والنهار لا يفترون) يخبر تعالى
انه خلق السموات والارض بالحق

وقيل ان الآية تعم الرجال والنساء والتقدير الانفس المحصنات ويؤيد هذا قوله في
آية أخرى والمحصنات من النساء فان البيان بكونهن من النساء يشعر بان لفظ المحصنات
يشمل غير النساء والام يكن للبيان كثير معنى وقيل أراد بان المحصنات القروبج كما قال والتي
أحصنت فرجها فاشتد لاول الآية الرجال والنساء وقيل ان لفظ المحصنات وان كان للنساء
لكنه ههنا يشمل النساء والرجال تغليبا وفيه ان تغليب النساء على الرجال غير معروف
في لغة العرب وقدم في سورة النساء ذكر الاحصان وما يحتل من المعاني وللعلماء في
الشروط المعبرة في المقدوف والقاذف أبحاث مطولة مستوفاة في كتب الفقه منها ما هو
ما عوذ من دليل ومنها ما هو مجرد رأي بحث قرئ المحصنات بفتح الصاد وكسر هاء ذهب
الجمهور من العلماء انه لا حد على من قذف كافرا أو كافرة وقال الزهري وسعيد بن المسيب
وابن أي ميسلي يجب عليه الحد وذهب الجمهور أيضا الى ان العبد يجلد أربعين جلدة
وقال ابن مسعود ومخر بن عبد العزيز وفيه صفة يجلد ثمانين قال القرطبي وأجمع العلماء
على ان الحر لا يجلد للعبد اذا اقترى عليه لثمانين مرتبة ما وقد ثبت في الصحيح عنه صلى
الله عليه وآله وسلم ان من قذف مملوكا فإنا نأقم عليه الحد يوم القيامة الا ان تكون
كافرا قال وشرايط الاحصان خمسة الاسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من
الزنا والمحصنة في وجوب حد القذف وبسط الكلام في هذا في كتب الفروع
ثم ذكر سبحانه شرطا لقامة الحد على من قذف المحصنات فقال (ثم بانوا ثار بعة شهدا)
يشهدون عليهن بوقوع الزنا منهن برؤيتهن ولفظ ثم يدل على أنه يجوز أن تكون شهادة
الشهود في غير مجلس القذف وبه قال الجمهور وخالف في ذلك مالك وظاهر الآية انه
يجوز أن تكون الشهود مجتمعين ومفترقين وخالف في ذلك الحسن ومالك واذن يمكن
الشهود أربع بعة كانوا قذفه فيحدون حد القذف وقال الحسن والشعبي انه لا حد على
الشهود ولا على المشهود عليه وبه قال أحمد وأبو حنيفة ومحمد بن الحسن ويرد ذلك ما وقع

(٣٥ - فتح البيان سادس) مطلقا واسما بما يقولون من الافك والباطل من اتخذ عيسى أو العزيز أو الملائكة سبحانه الله
عما يقولون علوا كبيرا وقوله ان كافا عليا قال قتادة والسدي وبرايم النخعي وغيره من مفسري ما كافا عليا وقال مجاهد كل
شي في القرآن ان فهو انكار وقوله بل نقذف بالحق على الباطل أي نين الحق فيدحض الباطل ولهذا قال فيدمغه فاذا هو زاهق أي
ذاهب مضاعف ولكم الويل أي أيها القائلون لله ولمعاصفون أي تقولون وتفترون ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودايمهم
في طاعته لئلا يولوا فقال وله من في السموات والارض ومن عنده يعني الملائكة لا يستكبرون عن عبادته أي لا يستنكفون
عنه كما قال لن يستنكف المسبح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقررون ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فيضربهم الله
جميعا وقوله ولا يستخسرون أي لا يستعبرون ولا يملكون يسبحون الليل والنهار لا يفترون فهم دائبون في العمل لئلا يولوا ثم ارامطعون قصدا

وعلموا قاديون عليه كاذل تعالى لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامية البغدادي
 أن أبا عبد الوهاب بن عطاء محدثنا سعيد بن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال يئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بين الخصبة إذ قال لهم هل سمعوا ما أسمع قالوا ما نسمع من شيء فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاصح أطفأ السجاة
 وما تلام أن تلتل وما فيها موضع شبر الا ذو عليه من ساجد أو قائم غرب ويخبر جوده ثم وادعني ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن أبي
 زريع عن سعيد بن قتادة مرسلًا وقال محمد بن إسحق عن حسان بن محافر عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال جلست الى
 كعب الأبيار وأنا غلام فقلت له أرايت قول الله تعالى للملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون أمأما تخليهم عن التسبيح الكلام
 والرسالة والعدل فقال من هذا الغلام (٢٧٤) فقباؤنا من بني عبد المطلب قال فقيل رأيي ثم قال يا بني

انه جعل لهم التسبيح ليجعل لكم
 النفس أليس تسلكم وانت تنفسي
 وأنت تشي وأنت تنفسي (أم
 اتخذوا آلهة من الأرض هم يشرون
 لو كان فيهم آلهة الا الله لفسدنا
 فسبحان الله رب العرش عما
 يشكون لا يسئل عما يعمل وهم
 يشكون) ينكر تعالى على من اتخذ
 من دونه آلهة فقال أم اتخذوا آلهة
 من الأرض هم يشرون أي أهم
 يحبون الموتى ويشرونهم من
 الأرض أي لا يقدررون على شيء
 من ذلك فكيف جعلوا له ندا
 وعبدواهم ثم اخبر تعالى ان لا يكون
 في الوجود آلهة غيره لفسدت
 السموات والأرض لو كان يقال فيهم
 آلهة أي في السموات والأرض
 لفسدنا كقوله تعالى ما اتخذ الله
 من ولد وما كان معه من الاله اذا
 انذهب كل الاله باخلاق ولعل بعضهم
 على بعض سبحانه الله عما يصفون
 وقال ههنا سبحانه الله رب العرش
 عما يصفون أي عما يقولون ان له ولدا وأشركوا سبحانه وتعالى وتقدس وتبرزه عن الذي يشفرون وبأفكون علوا

واو
 كبيرا وقوله لا يسئل عما يفعل وهم يشكون أي هو الخالق الذي لا يعقب حكمه ولا يعرض عليه احد لغفتمته وجلاله وكبريائه
 وعلمه وحكمته وعدله ولطفه وهم يشكون أي وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله فويل للذين كفروا من اجل لغفتمته وجلاله وكبريائه
 كقوله تعالى وهو حي ولا يجار علىه (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل اكثروا لا يعلمون
 الحق فهم معرضون وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدن) يقول تعالى أم اتخذوا من دونه آلهة
 قل يا محمد هاتوا برهانكم أي دليلكم على ما تقولون هذا ذكر من معي يعني القرآن وذكر من قبلي يعني الكتب المتقدمة على خلاف
 ما تقولونه وترسمون فكل كتاب انزل على كل نبي ارسل ناطق بانه لا اله الا الله ولكن انتم أم المشركون لا تعلمون الحق فانتم معرضون

عنه ولهذا قال وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كما قال واسأل من ارسلنا من قبلك من ارسلنا
اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون وقال ولقد بعنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فكل نبي بعثه الله يدعو
الى عبادة الله وحده لا شريك له والظفر شهادة بذلك ايضا والمشركون لا يبرهان لهم ويجهنهم داخضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم
عذاب شديد وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم باهين دعاءهم يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم
ولا يشفعون الا لمن ارضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني الله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
يقول تعالى راد اعلى من زعم ان له تعالى وتقدس ولدا من الملائكة كمن قال ذلك من العرب ان الملائكة بنات الله فقال سبحانه
بل عباد مكرمون أي الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات (٢٧٥) سامية وهم له في غاية الطاعة قولا وفعل
لا يسبقونه بالقول وهم باهين دعاءهم يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم

يعلمون أي لا يتقدمون بين يديه
باهين ولا يخالفونه فيما أمرهم به بل
يسادرون في فعله وهو تعالى عليه
تخبط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وقوله
ولا يشفعون الا لمن ارضى كقوله
من ذا الذي يشفع عنده الا بذنه
وقوله ولا تنفع الشفاعة عند الله الا
لمن أذن له في آيات كثيرة في معنى
ذلك وهم من خشيته أي من خوفه
ورهبته مشفقون ومن يقل منهم
اني الله من دونه أي من ادعى منهم
انه الله من دون الله أي مع الله فذلك
نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين
أي كل من قال ذلك وهذا شرط
والشرط لا يلزم وقوعه كقوله قل
ان كان للرحمن ولد فانا أول العابدين
وقوله لمن أشرك ليحبطن عمله
ولتكونن من الخاسرين (أولم ير
الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا
من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون

وأوضحه في هذا الاستثناء يعود الى جله الحكم بالفسق لا الى جله عدم قبول الشهادة
فترفع آثاره عن القاذف وصف الفسق ولا تقبل شهادة أهله وذو القربى الشافعي
والضحاك الى التفصيل فقال لا تقبل شهادة وان تاب الآن يعترف على نفسه بأنه قد
قال البهتان فحينئذ تقبل شهادته وقول الجمهور هو الحق لان تخصص التقييد بالجله
الآخر دون ما قبلها مع كون الكلام واحدا في واقعة شرعية من متكام واحد خلاف
ما تقتضيه لغة العرب وأولوية الجله الاخره المتصلة بالقديم بكونه قيد الهالاتي كونه قيدا
لما قبلها غاية الامر ان تقييد الاخره بالقديم المتصل بها أظهر من تقييد ما قبلها به ولهذا
كان مجمعا عليه وكونه أظهر لا ينافي كونه فيما قبلها ظاهرا وقد أطال أهل الأصول الكلام
في التقييد الواقع بعد جمل بما هو معروف عند من يعرف ذلك الفن والحق هو هذا
والاحتجاج بما وقع تارة من القيد عندنا الى جميع الجمل التي قبله وتارة الى بعضها لا تقوم
به حجة ولا يصلح للاستدلال فانه قد يكون ذلك الدليل كما وقع هنا من الاجماع واتفاق الأئمة
الاربعة على عدم رجوع هذا الاستثناء الى جله الجمله فالقاذف يجلد عند الجميع سواء
تاب أو لم يتب ومما يؤيد ما قرناؤه ويقويه ان المنع عن قبول الشهادة وهو الفسق المتسبب
عن القذف قد زال فلم يبق ما يلزم من دلل الشهادة واختلاف العلماء في صورة توبة القاذف
فقال عرب الخطاب والسعي والضحاك وأهل المدينة ان توبته لا تكون الا بان
يكذب نفسه في ذلك القذف الذي وقع منه وأقيم عليه الحد بسببه وقالت فرقة منهم مالك
وغيره ان توبته تكون بان يحسن حاله ويصلح عمله ويتم على ما قرط منه ويستغفر الله
من ذلك ويعزم على ترك العود الى مثله وان لم يكذب نفسه ولا يرجع عن قوله وقد أجمعت
الامة على أن التوبة تفيح الذنب ولو كان كفرا فتحوم ما هو دون الكفر بالاولى حكى هذا
الاجماع القرطبي قال أبو عبيد الاستثناء يرجع الى الجمل السابقة وليس من رضى غير ما رنا
باغظم جرمان من تكذب الزنا والرائي اذا تاب قبلت شهادته لان التائب من الذنب كمن

وجعلنا في الارض رواسي ان يمد بهم وجعلنا فيها جبالا لعلهم يتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون
وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون يقول تعالى منها على قدرته التامة وسلطانها العظيم في خلقه الاشياء
وقوله بجميع الخلق قال أولم ير الذين كفروا أي الجاحدون لاهلته العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق
المستبد بالبدن وكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ما سواه ألم يروا أن السموات والارض كانتا رتقا أي كان الجميع متصلا
بعضه ببعض متلاق متراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الامر ففتق الله هذين ههنا فعل السموات سبع والارض سبعاء وفصل
بين السماء الدنيا والارض بالهواء فامتطرت السماء وأثبتت الارض ولهذا قال وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون أي وهم
يشاهدون الخلقات تحدث شيئا فشيئا تاو ذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء

أن تعبد لهم أي ثلاث عبيد بهم وقوله وجعلنا فيها جبالاً سلاسل أي تغرافي الجبال بلسكون فيم اطرقا من قطر إلى قطر واقلع إلى اقلع
 كما هو المشاهد في الأرض يكون الجبل هائلين هذه البلاد وهذه البلاد فجعل الله فيه قوة تفرغ ليلك الناس فيها من جهنم إلى
 ههنا ولهذا قال لعلمهم به تدون وقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا أي على الأرض وهي كالقبة عليها كما قال والسما بيننا هابيد
 والناجسون وقال والسما وما بناها فلم ينظروا إلى السما فوقهم كيف بيناها وزيناها وما لها من قروح والبناء هو اصاب القبة
 كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام على خمس أي خمسة دعائم وهذا لا يكون الا في الحسام كما تعبد العرب بحفظ وظاي
 عايلهم وسانينال وقال مجاهد مرفوعا وقال ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا احمد بن عيسى الرحمن الدمشقي حدثني ابي
 عن ابيه عن اشعث يعني ابن اسحق القمي عن جعفر بن ابي المغيرة عن (٢٧٧) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال رجع
 يا رسول الله ما هذه السما قال
 هذا ما ج مكفوف عنكم اسناده
 غريب وقوله وهم عن آياتها
 معرضون كقوله وكان من آية
 في السموات والأرض يترون عليها
 وهم عنها معرضون أي لا يتفكرون
 فيما خلق الله فيها من الاتساع
 العظيم والارتفاع الباهر وما زينت
 به من الكواكب الثوابت
 والسيارات في ليلها وفي نهارها من
 هذه الشمس التي تقطع الفلك
 بكاله في يوم وإيله فتسري غاية لا يعلم
 قدرها الا الله الذي قدرها وسخرها
 وسهرها وقد ذكر ان أي الدنيا رجه
 الله في كلبه التفكير والاعتبار ان
 بعض عباد بني اسرائيل تعبد ثلاثين
 سنة وكان الرجل منهم اذا تعبد
 ثلاثين سنة أظلمت عمامته فلم يزد ذلك
 الرجل شيئا مما كان يحصل لغیره
 فشكى ذلك إلى أمه فقالت له يا بني
 فلعلك أذنبت في مدة عبادتك هذه
 فقال لا والله ما علمه قالت فلعلك
 هسممت قال لا ولا هممت قالت

هذه القصة أبو داود الطيالسي وعبد الرزاق واحد وعبد بن جبير وأبو داود وابن جرير
 وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس مطولة وأخرجه البخاري
 ومسلم وغيرهما لم يسموا الرجل ولا المرأة وفي آخر القصة ان النبي صلى الله عليه وآله
 وسلم قال له اذهب فلا سبيل لك عليها فقال يا رسول الله مالي قال لا مال لك ان كنت
 صدقت عليها فهو مما استحكمت من فرجها وان كنت كذبت عليها فذلك بعدد لسانها
 وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد قال جاء عوف بن عاصم بن عدي فقال
 سل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتلها أي قتل به
 أم كيف يصنع فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقاب رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم المسائل فقال عوف رسول الله لا تبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 ولا شأنه فاتاه فوجدته قد انزل عليه فدعا به ما فلا عن بينهما قال عوف عير ان انطلقت بها
 يا رسول الله لقد كذبت عليها فافارقها قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فصارت سنة للتعلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبصروها فان جاءت به
 أمهم ادعهم العيين عظيم الاليتين فلا تراه الا قد صدق وان جاءت به أحمه كانه وحة فلا
 أراه الا كأنها جفات به مثل النعت المكروه وفي الباب أحاديث كثيرة وفيها ذكرنا كفاية
 وأخرج عبد الرزاق عن عمر بن الخطاب وعلي بن مسعود قالوا لا يجتمع المتلعنان أبدا
 ثم ذكر سبحانه بعد ذلك حكم القذف على المسموم حكمه نوع من أنواع القذف وهو
 قذف الزوج للمرأة التي تحتها بعقد النكاح فقال (والذين يرمون أزواجهم) جمع زوج
 بمعنى الزوجة فان حذف الناء منها أقصم من اثباتها الا في القرأض ولم يقيد هذا بالمحصنات
 اشارة إلى ان اللعان بشرع في قذف المحصنة وغيره فهو في قذف المحصنة يسقط الحد عن
 الزوج وفي قذف غيره يسقط التعزير كان كانت ذميمة أو أمة أو صغيرة تحتل الوطاء
 بخلاف قذف الصغيرة التي لا تحتمل له وبخلاف قذف الكبيرة التي ثبت زناها بينة أو اقرار

فلهذا رفعت بصرك إلى السماء ثم رددت به غير فكر فقال نعم كثيرا قالت فن ههنا أتيت ثم قال منها على بعض آياته فقال وهو الذي
 خلق الليل والنهار أي هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضائه وانسه يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه الاخر الشمس والقمر
 هذه لها نور يختصها وفلك بدأه زمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا بشور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر وكل في فلك
 يسبحون أي يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل في الفلكة قال مجاهد فاليدور والمغزل الابالفلكة ولا الفلكة الابالمغزل
 كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون الا به ولا يدور الا بهن كما قال تعالى فائق الامسيح وجعل الليل سكارا والشمس والقمر
 حسبا با ذلك تقدير العزيز العليم (وما جعلنا البشر من قبل ان يخلد آفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت وبأوكم بالشر
 والغير فتنه والبنات رجعون) يقول تعالى وما جعلنا البشر من قبل أي بما جعلنا الخلد أي في الدنيا بل كل من عليها فان ويبقى وجهه

ربك والجلال والاكرام وقد استدلت بهذه الآية الكريمة من ذهب من الغلباء الى أن الخضر عليه السلام مات وليس يحيى الى الآن لانه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولا وقد قال تعالى وما جعلنا للشر من قبل الخلد قوله أفأن مت أى بمحمد فهم الخالدون أى يوملون أن يعيشوا بعد ذلك لا يكون هذا بل كل الى الفتنة ولهذا قال تعالى كل نفس ذائقة الموت وقد روى عن الشافعى رحمه الله أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين

تمنى رجال أن أموت وإن أمت * فكل سبيل لست فيها باوحد

فقل الذى يبنى خلاف الذى مضى * تها الأثرى مثلها فكان قد

وقوله ونبلوكم بالشئ والخير فتنة أى تختبركم بالمصائب تارة وبالنعيم أخرى فنظروا من يشكروا من يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس والغنى والفقر والجلال والكرام

والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله والنسأ تخرجون

أى فنجاز بكم بأعمالكم (وأذأركم)

الذين كفروا أن يتخذوا لكم الأهلزوا

أهذا الذى يذكر آلهتكم وهو

بذكر الرحمن هم كفارون خلق

الإنسان من مجل سائر بكم آياتى فلا

تستجيبون يقول تعالى لنبيه

صلوات الله وسلامه عليه وأذأركم

الذين كفروا يعنى كفار قريش كآبى

جول وشابهاه أن يتخذوا لكم الأهلزوا

أى يستهزؤن بك وينقصونك

يقولون أهذا الذى يذكر آلهتكم

يعنون أهذا الذى يسب آلهتكم

ويسفه أحلامكم قال تعالى وهم

بذكر الرحمن هم كفارون أى وهم

كفارون بالله ومع هذا يستهزؤن

برسول الله كما قال فى الآية

الأخرى وأذأركم ولأن يتخذونكم

الأهلزوا أهذا الذى بعث الله

رسولا إن كاذب ليلفتنا عن آلهتنا

لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون

فإن الواجب فى قدفعهما التعزير لكنه لا يلاعن لدفعه كما فى كتب القروع وقد وقع قدف

الزوجة بالزنا لجماعة من الصحابة كهلالة أمية وعويمر الجعاني وعاصم بن عدي

(ولم يكن لهم شهداء) يشهدون بما رموه من الزنا (الأن تقسم) بالرفع على البسمل

من شهداء أولئك الرزخى غيره وقيل ألفت له على أن الإجماعى غيروا بالنصب على

الاستثناء على الوجه المرجوح ولم يفهم لهذا القسديل يلاعن ولو كان واحدا للشهود

الذين يشهدون بزنا النقي ولد ولد دفع العقوبة حدا أو تعزيرا (فشهدا أحدهم) أى

الشهادة التى تزيل عنه حدا القذف أو فالواجب شهادة أحدهم أو فشهدا أحدهم كآنة

أو واجبة وقيل فعلمهم أن يشهد أحدهم (أربع شهادات بالله أنه لمن الصادقين) فبما رماها به

من الزنا وهى المشهود به (و) الشهادة (الخامسة أن لعنة الله عليه أن كان من الكاذبين)

فبما رماها به من الزنا قرأ الجمهور أن بالتشديد ونافع بتخفيفها (ويدراً) أى يدفع (عنها)

أى عن المرأة (العذاب) الدينوى وهو الحد والمعنى أنه يدفع عن المرأة الحد (ان تشهد)

أى شهادتها (أربع شهادات بالله أنه) أى الزوج (من الكاذبين) فبما رماها به من الزنا

(و) تشهد الشهادة (الخامسة أن غضب الله عليها أن كان) الزوج (من الصادقين) فبما

رماها به من الزنا وتخصيص الغضب بالمرأة للتغليظ عليها لكونها أصل الفجور وما ذنبه

ولأن النساء يكثرن اللعن فى العادة ومع استكثران من منه لا يكون له فى قلوبهن كبير

موقع بخلاف الغضب (ولو لا فضل الله عليكم) فيه التفات عن الغيبة والخطاب لكل من

الفر يقين أى القاذفين والمذوفات فى الكلام تغليب صيغة الذكور على صيغة الإناث

حيث لم يقل عليكم وعليكن (ورحمته) نال الكاذب منهما عذاب عظيم قاله الزجاج

أولعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد بالعان أو لفضحككم بخواب

لو محذوف ثم بين سبحانه كثيرون بتم على من تاب وعظيم حكمته البالغة فقال (وأن الله

نواب) أى يعود على من تاب إليه ورجع عن معاصيه بالتوبة عليه والمغفرة له فى ذلك وغيره

حين يرون العذاب من أجل سيلا وقوله خلق الإنسان من عجل كما قال فى الآية الأخرى وكان الإنسان

عجولا أى فى الأمور قال مجاهد خلق الله آدم بعد كل شئ من آخر النهار من يوم خلق الخلاق قلباً أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه

ولم يبلغ أسفله قال يارب استجلب جناحى قبل غروب الشمس وقال ابن أبى حاتم حدثنا أجدين سنان حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا

سمعون بن علقمة بن وقاص الليثى عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس

يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهيأ مناهوق فيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن بصلى وقضى

أصابعه بقلها فسأل الله خيرا الأتعطاء أنه قال أو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هى آخر ساعات النهار من

يوم الجمعة وهى التى خلق الله فيها آدم قال الله تعالى خلق الإنسان من عجل سائر بكم آياتى فلا تستجيبون والحكمة فى ذكر

عجلة الإنسان هي أنه لما ذكر المستهزؤين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وقع فى النفوس سرعة الانتقام منهم واستجلبت

(حكيم)

ذلك فقال الله تعالى خلق الانسان من عجل لانه تعالى على الظالم حتى اذا اخذهم لبقته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر وهذا قال
سار يكيم اتاني ابي يعقبي وحكي واقتدري على من عساني فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين لو يعلم الذين
كفر واحدا ينكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيتهم بغتة فتحببهم فلا يستطيعون ردها ولا هم
ينظرون يخبر تعالى عن المشركين انهم يستعجلون ايضا بوقوع العذاب بهم تكذبا وجحودا وكفرا وعنادا واستبعادا فقال
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قال الله تعالى لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم
ويقيمون الله واقع بهم لا محالة استعجلوا بل يعلمون حين يعصاهم العذاب من فوقهم ومن تحت آرجلهم لهم من فوقهم ظلم من
النار ومن تحتهم ظلم لهم من جهنم مهادومن فوقهم غواش (٢٧٩) وقال في هذه الآية حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم وقال سار يلهم

(حكيم) فصار ع ل عبادهم من الله ان وفرض عليهم من الحدود (ان الذين جاؤا بالاflك) هذا
شروع في الآيات المتعلقة بالاflك وهي ثمانية عشر تنتهي بقوله اولئك مبزون والاflك
أسوء الكذب وأفسه وأفحبه وهو مأخوذ من أفلك الشيء اذا قلبه عن وجهه فالاذن هو
الحديث المقلوب ليكون مصر فاعن الحق وقيل هو الهتان وأجمع الملبون على ان المراد
بما في الآية ما وقع من الاflك على عائشة أم المؤمنين وانما وصفه الله بأنه افلك لان المعروف
من حالها رضى الله عنها خلاف ذلك قال الواحدى ومعنى القلب في هذا الحديث الذى
جاء به اولئك القرآن عائشة كانت تستحيى النابى كانت عليه من الحصانة والشرف
والعقل والديانة وعلا السب والسب والعقوبة لا تقذف فالذين رموا بها بالسوء قلبوا الامر
عن وجهه فهو افلك فقيح وكذب ظاهر (عصبة منكم) العصبة الجماعة من العشرة الى
الاثربعين والمراد بهم هنا عبد الله بن أبى رأس المنافقين وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت
ومسطح بن أثانة وحنيفة بنت جحش ومن ساعدتهم وقيل العصبة من الثلاثة الى العشرة
وقيل من عشرة الى خمسة عشر وأصلها في اللغة الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض وقد
أخرج البخارى ومسلم وأهل السنن وغيرهم حديث عائشة الطويل في سبب نزول هذه
الآيات بالفاظ متعددة وطرق مختلفة حاصله ان سبب النزول هو ما وقع من أهل الاflك
الذين تقدم ذكرهم في شأن عائشة وذلك انها خرجت من هودجها اتقى عقد اهلها
انقطع من جزع فرحاوا وهم ينظرون انها فى هودجها افرجت وقد ارتحل الجيش
والهودج معهم فقامت فى ذلك المكان ومر بها صقوان بن العطل وكان متأخرا عن
الجيش فاناخرا حمله وجعلها عليها فلما رأى ذلك أهل الاflك قالوا ما قالوا فبرأها الله بما قالوا
هذا حصل القصة مع طولها وتشعب أطرافها فلا تطول بذلك وجعله (لا تحسبوه
شرا لكم) ان كانت خبر الان فظاهروا ان كان الخبر عصبة ففى مستأنفة خوطب بها النبى
صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة وأبو بكر وصقوان بن العطل الذى قذف مع عائشة

من قطران وتغشى وجوههم النار من
فالعذاب يحيط بهم من جميع
جهاتهم ولا هم ينصرون أى لا ناصر
لهم كما قال وما لهم من الله من واق
وقوله بل تأتيتهم بغتة أى تأتيتهم
النا ربقة أى فجأة فتحببهم أى
تذعرهم فيستعجلون له احاطرين
لا يدرون ما يصنعون فلا يستطيعون
ردها اى ليس لهم حيلة فى ذلك
ولا هم ينظرون اى لا يؤخرون عنهم
ذلك ساعة واحدة (ولقد استزرى
برسل من قبلك خاق بالذين محروا
منهم ما كانوا به يستزرون قل من
يكلو كمال الليل والنهار من الرحمن بل
هم عن ذكر ربهم معرضون ام لهم
الهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون
نصر أنفسهم ولا هم منا يعصون)
يقول تعالى مسليلا الرسول عما ذاهبه
المشركون من الاستهزاء والتكذيب
ولقد استزرى برسل من قبلك خاق
بالذين محروا منهم ما كانوا به يستزرون
يعنى من العذاب الذى كانوا

يسمعون وقوعه كما قال تعالى ولقد كذب برسل من قبلك قصص را على ما كانوا يؤذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لسمات الله
ولقد جاءنا من نبأ المرسلين ثم ذكر تعالى نعمته على عبده فى حفظهم لهم بالليل والنهار وكلامه وحراستهم بعينه التى لا تنام فقال
قل من يكلو كمال الليل والنهار من الرحمن أى يدل الرحمن يعنى غيره كما قال الشاعر
جارى لم تلبس المرققا * ولم تنق من البقول الفستقا
أى لم تنقذ من البقول الفستق وقوله تعالى بل هم عن

ذكر ربهم معرضون أى لا يعرفون سمعة الله عليهم واخذ الله عليهم بل معرضون عن آياته وآلائه ثم قال أم لهم الهة تمنعهم من
دوننا استهزاء من انكار وتقرير وتوبيخ أى لهم الهة تمنعهم وتكادهم غيرنا ليس الامر كما قالوا ولا هذا قال لا يستطيعون
نصر أنفسهم أى هذه الالهة التى استندوا اليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم وقوله ولا هم منا يعصون
ابن عباس ولا هم منا يعصون أى يجابرون وقال قتادة لا يعصون من الله بخير وقال غيره ولا هم منا يعصون يعصون (بل منعنا

دولاً وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أن تأتي الأرض تنقصهم من أطرافها أقوم الغالبون قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ولئن مسهم نعمة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا أنا كنا ظالمين ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتيناكم أو كفى بنا حاسيين يقول تعالى مخبراً عن المشركين اتعزهم وسخروهم على ما هم فيه من الضلال أنهم متعوفى الحياة الدنيا ونعموا وطال عليهم العمر في ما هم فيه فاعتقدوا أنهم على شيء ثم قال واعظاً إليهم أفلا يرون أن تأتي الأرض تنقصهم من أطرافها اختلف المفسرون في معناه وقد أسلفناه في سورة الزمر وأحسن ما فسر بقوله تعالى ولقد أعلنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون وقال الحسن البصري يعني بذلك ظهور الإسلام على الكفر والمعنى أفلا يعتبرون بتصر الله لوليائه على أعدائه وإهلاكه الأمم (٢٨٠) المكذبة والقرى الظالمة وإنجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال أفهم

الغالبون يعني بل هم المفلحون الاستغفار من الآخرين الذين وقوله قل إنما أنذركم بالوحي أي إنما أنا مبلغ عن الله ما أنذر تكلم به من العذاب والهلاك ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إلي ولكن لا يجدي هذا عن أعمى الله بصيرته ويختم على سمعه وقلبه ولهذا قال ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون وقوله ولئن مسهم نعمة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا أنا كنا ظالمين أي ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى شيء من عذاب الله ليعترفن بذنوبهم وأنهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا وقوله ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً ونضع الموازين العدل ليوم القيامة ألا كثر على أنه أفاضل ميزان واحد وإنما جاع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه وقوله فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتيناكم أو كفى بنا حاسيين كما قال تعالى ولا يظلم ربك أحداً وقال

أم المؤمنين وتسلية إليهم والضمير المنسوب للأفك والشرك ما زاد ضرده على نفعه (بل هو خير لكم) خير مما زاد نفعه على ضرره وأما الخير الذي لا شر فيه فهو الجنة والشكر الذي لا خير فيه فهو الشكر ووجه كونه خير إليهم أنه يحصل لهم به الثواب العظيم مع بيان براة أم المؤمنين عائشة وصيرورة قصتها حجة شرعاً ما هو ذا غاية الشرف والفضل وفيه تمثيل للوعد لمن تكلم فيهم والثناء على من ظن بهم خيراً (لكل امرئ منهم) أي من العصبية الكاذبة (ما كتب من الإثم) بسبب تكلمه بالأفك (والذي تولى) أي تحمل (كبره) أي معظمه (منهم) فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو أبى قرأ جاعاً يعض الكف قال القراء وهو وجه جيد لأن العرب تقول فلان تولى عظم كذا أو كذا أي أكرهه وقرئ بكسر هاء قيل هما لغتان وقيل هو بالضم معظم الأفك وبالكسر البداهة وقيل هو بالكسر الإثم فالمعنى أن الذي تولى معظم الإثم من العصبية (له عذاب عظيم) في الدنيا وفي الآخرة وأنهم ما اختلف في هذا الذي تولى كبره من عصبية الأفك من هو منهم فقيل هو عبد الله بن أبي وقيل هو حسان والأول هو الصحيح وقدرى محمد بن إسحق وغيره أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلد في الأفك رجلين وامرأة وهم مسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحنة بنت جحش وقيل جلد عبد الله بن أبي وحسان وحنة ولم يجلد مسطحاً لأنه لم يصرح بالقدف ولكن كان يسمع ويسمع من غير نصريح وقيل لم يجلد أحد منهم قال القرطبي المشهور ومن الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذين جلدوا وحسان ومسطح وحنة ولم يسمع جلد لعبد الله بن أبي ويؤيد هذا ما في سنن أبي داود عن عائشة قال لما نزل عذري قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضر بواحدهم وسامهم حسان ومسطح وحنة واختلفوا في جلد تركه صلى الله عليه وآله وسلم جلد عبد الله بن أبي فقيل لتوفير العذاب العظيم له في الآخرة وحسن عده ليكون ذلك تكفيراً لذنوبهم كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الحدود أنه قال أنها كفارة ولكن

أن الله لا يظلم مثقال ذرة وأن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجر عظيماً وقال لقمان يا بني إن الله أنزل مثقال حبة من آفيم خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله أن الله لطف خبير وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتمان خفيقتان على اللسان ثقيلتان في الميزان خبيبتان إلى الرحمن سبحانه الله ويحمده سبحانه الله العظيم وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن اسحق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن ليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الجبلي قال سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رأس الخلائق يوم القيامة فينشره عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول أأنكر من هذا شيئاً أظنك كذبى الحافظون قال لا يارب قال أقل عذراً وحسنة قال فبهت الرجل فيقول لا يارب فيقول بلى إنك عندنا نحسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم ففجر ح له بطاقة فيها

اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فيقول أحضره وفية قال نارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تعلم قال
 الترمذي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد قال الترمذي حسن غريب وقال الامام أحمد حدثنا يونس بن جابر عن ابن جابر عن
 ابن جابر عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الموازين يوم القيامة
 فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيما يلي به الميزان قال فيعتمد به الى البار قال فإذا أدبره إذا صاح بهم من عند الرحمن
 عز وجل يقول لا تتجملوا فإنه قد بينى له فيؤتى ببطاقة فيها لا اله الا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان وقال الامام أحمد
 أيضاً حدثنا أبو نوح فزاد أن أبا ناليث بن سعد عن مالك بن أنس عن (٢٨١) الزهري عن عروة عن عائشة ان رجلا من
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم جلس بين يديه فقال يا رسول الله
 ان لي على كل من يكذبونني ويخونونني
 ويعصونني وأضرهم وأشدّهم
 فكفأ أمهم فقال له رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بحسب ما خاولك
 وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم
 فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم
 كان كفأ فالالك ولا عليك وان كان
 عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا
 لك وان كان عقابك اياهم فوق
 ذنوبهم اقتص لهم من الفضل
 الذي بقي قلبك بفعل الرجل يبكي بين
 يدي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ويهتف فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ماله ما يقرأ كتاب الله
 ويضع الموازين القسط ليوم القيامة
 فلا تظلم نفس شأوا وان كان مثقال
 حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا
 حاسبين فقال الرجل يا رسول الله
 ما أجدهم أسأخرا من قرأ هؤلاء
 يعني عبيدهم أتى أشهدك أنهم أحرار
 كلهم (واقداً تينا وسى وهرون

أقيمت عليه وقيل تركه حده ثأله القوه واحتراما لابنه فإنه كان من صالحى المؤمنين
 وأطفا لثأرة الفتنة فقد كان ظهرت مبادئهم من سعد بن عباد بن قيس معه كافي صحيح
 مسلم وأخرج البخاري وابن المديني والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن
 الزهري قال كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال الذى تولى كبره منهم على قتل
 لآحنى سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلمته بن وقاص وعبد الله بن عبد الله بن
 عتبة بن مسعود كلهم مع عائشة تقول الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبي قال فقال لى فما
 كان جرهم قلت حدثني شيخنا من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وأبو بكر بن
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنهم ما معا عائشة تقول كان مسافرا فى أخرى وقال يعقوب
 ابن شيبة فى مسنده دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك فقال له يا سليمان الذى
 تولى كبره من هؤلاء ابن أبي قال كذبت هو على قال أمير المؤمنين أعلم بما يقول فدخل
 الزهري فقال يا ابن شهاب من الذى تولى كبره فقال ابن أبي قال كذبت هو على قال أنا
 أكذب لا أبال الله والله لو زادى منادى من السماء ان الله قد أحل الكذب ما كذبت حدثني
 عروة وسعيد وعبد الله وعائشة عن عائشة ان الذى تولى كبره عبد الله بن أبي وأخرج
 البخاري وسلم وغيرهما عن مسروق قال دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال
 حصان رزان ماترن بريية * رتبهم غرني من لحوم الغوافل

فالت لكنا است كذلك قلت تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله فيه والذى تولى
 كبره منهم له عذاب عظيم فقالت وأنى عذاب أشد من العصى ثم صرف سبحانه الخطاب عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه الى المؤمنين بطريق الالتفات فقال (لولا)
 تخصم بغيره أى هلا (أنهم مع موطن المؤمنين والمؤمنات بانفسهم خيرا) ما كيدوا
 للتوبيخ والتقريع ومبالغة فى معابنتهم وشرو وعنى توبيخهم وتعييرهم ونحرهم بتسعة
 زواجر الاول هذا والثاني لولا جازا عليه والثالث ولولا فضل الله والرابع اذ تلفونه

(٢٦ - فتح البان سادس) الفرقان وضياؤ كرامتهم الذين يحشون بهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون
 وهذا كرمبارك أنزلناهم أناسهم له مشكرون قد تقدم التنبيه على ان الله تعالى كثير ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات
 الله وسلامه عليه ما بين كلاميه ما لولهذا قال ولقد أتينا موسى وهرون الفرقان قال مجاهد يعنى الكتاب وقال أبو صالح التوراة
 وقال قتادة التوراة حلالها وحرامها وما فرق الله بين الحق والباطل وقال ابن زيد يعنى النصر وجامع القول فى ذلك ان الكتب
 السماوية مشقة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال والحق والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراني القلوب
 وهذا به وخروفا واثابة وخشبة ولهذا قال الفرقان وضياؤ كرامتهم اي تذكريهم وعظة ثم وصفهم فقال الذين يحشون بهم
 بالغيب كقوله من خشى الرحمن بالغيب وجاء بطلب سبب وقوله ان الذين يحشون بهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وهم من
 (٢) قوله مع بسم الله الرحمن الرحيم هكذا فى الاصل وانظره مع ما قبله وحروا رواية اهـ

الساعة مشفقون أي خائفون وجلون ثم قال تعالى وهذا ذكر مما لا يحصى القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فنزل من بين حكمه جدياً فأنتهم لم يذكروا أي أفتنكروا وهو في غاية الحلاوة والظهور (ولقد أتينا إبراهيم ورشده من قبل وكنا به عالين إذ قال لا يلهي وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا أبائنا عليها عاكفين قال لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين قالوا أجبنا بالحق أم أنتم السالكون قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين) يخبر تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام أنه أتاه ورشده من قبل أي من صغره ألهمه الحق والحق على قومه كما قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه وما يدعي من الإخبار عنه في ادخال آية له في السرب وهو وضعه وأنه خرج بعد أيام فنظر إلى الكوكب والخلوقات فتبصر فيها وما قصه كثير (٢٨٢) من المفسرين وغيرهم فعمتها أحاديث بنى إسرائيل فساووا فيها الحق بما

بأيد ساعن المعصوم قبلنا ولو افقته
 الصحيح وما خاف شامس ذلك رددناه
 وما لبث فيه موافقة ولا مخالفة
 لاصدقه ولا نكذبه بل نجعله وقفاً
 وما كان من هذا الضرب منها فند
 رخص كثير من السلف في روايتها
 وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا
 حاصل له بما يتفقد به في الدين ولو كانت
 فائدة تعود على المكلفين في دينهم
 لبيته هذه الشريعة الكاملة
 الشاملة والذي نسلكه في هذا
 التفسير الأعراض عن كثير من
 الأحاديث الأمر إسماعيلياً بما فيها من
 تضيق الزمان ولما اشغل عليه كثير
 منها من الكذب المروج عليهم فإنهم
 لا تعرفه عندهم بين صحة ما وسعها
 كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون
 من هذه الأمة والمتصود ههنا أن
 الله تعالى أخبر أنه قد أتى إبراهيم
 ورشده من قبل أي من قبل ذلك
 وقوله وكنا به عالين أي وكان أهلاً
 لذلك ثم قال إذ قال لا يلهي وقومه
 ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون

هذا هو الرشد الذي أوتيه من صغره الانتكار على قومه في عبادة الأصنام من دون الله عز وجل فقال
 ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون أي معتكفون على عبادتها قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو
 معاوية الضرير حدثنا سعيد بن طريف عن الأصمعي بن سنان قال مر على قوم يلعبون بالسطرنج فقال ما هذه التماثيل التي
 أنتم لها عاكفون لأن يس أحدكم جراحتي بطفأ خير له من أن يمسيها قالوا وجدنا أبائنا عليها عاكفين لم يكن لهم حجة سوى صنيع
 آبائهم الضلال ولهذا قال لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين أي الكلام مع آبائكم الذين استحجبتهم صنيعهم كالكلاب معكم فأنتم
 وهم ضلال على غير الطريق المستقيم فلما سقاهم أحلامهم وضل أممهم واحقر آلهتهم قالوا أجبنا بالحق أم أنتم السالكون قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن
 يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لأعباء ومحققه فأنتم تسمع به قبل أن يبل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن

أي ربكم الذي لا اله غيره هو الذي خلق السموات والأرض وماحوت من الخلق الذي

سبح

واناعلي ذلك من الشاهدين أي أنا أشهد أنه لا اله غيره ولا رب سوا (ومآله لا يدين أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فخلعهم
هذا إذا اكبر الله لهم أعلمهم اليهم يرجعون قالوا من فعل هذا يا كهنتا إله من الظالمين قالوا سمعنا في ذلكهم يقال له إبراهيم قالوا فافوا
به على أعين الناس لعلهم يشهدون قالوا أنت فعلت هذا يا كهنتا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون ثم
اقسم الخليل قسما أجمع بعض قومه لكي يدن أصنامهم أي يحرق على أذهامهم وتكسبهم بعد أن تولوا مدبرين أي إلى عديدهم
وكان لهم عيد يخرجون إليه قال السدي لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبو يعين لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبناك ديننا فنخرج
معهم فلما كان ببعض الطريق أتى نفسه إلى الأرض وقال اني سقيم (٢٨٣) فجعلوا يمررون عليه وهو صريع فيقولون مه

فيقول اني سقيم فلما جاز عامتهم

وفي ضعنواهم قال تالله لا كيدن

أصنامكم فسمعوا أولئك وقال ابن

الحق عن أبي الأحوص عن عبد

الله قال لما خرج قوم إبراهيم إلى

عديدهم مروا عليه فقالوا يا إبراهيم

ألا تخرج معنا قال اني سقيم وقد كان

بالأمس قال تالله لا كيدن

أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين

فسمعوا ناس منهم وقوله فجعلهم

جذاذا أي عظاما كسرهما كلها

الأكبر الله بهم يعني الإله الصنم الكبير

عندهم كما قال فراغ عنهم ضربا بالهين

وقوله أعلمهم إليه يرجعون ذكروا

أنه وضع أقدمهم في يد كبيرهم أعلمهم

يعتقدون أنه هو الذي غارت نفسه

وأقف أن تعبد معه هذه الأصنام

الصغار فكسرها قالوا من فعل هذا

يا كهنتا إله من الظالمين أي حين

رجعوا وشاعدا وما فعله الخليل

بأصنامهم من الأهانة والأذلال

الدال على عدم الهيئتها وعلى سخافة

عقول عابديها قالوا من فعل هذا

الأفك (هذا أفك مبین) أي كذب بين ظاهر مكشوف لا حقيقة له وقوله (تولوا جابوا
عليه) من تمام ما يقوله المؤمنون أي هاجلا الخائفون في الأفك (باربعة شهادته)
يشهدون على ما قالوا (هاذلم يا أوليا شهداء فاولوا) أي الخائفون في الأفك (عند
الله) أي في حكمه وقضائه الأولى أو شرعه المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة (هم
الكاذبون) أي القاذفون الكاذبون في الكذب وهذا من باب الزاجر (وتولوا فضل الله
عليكم ورجعهم في الدنيا والآخره) هذا خطاب للسامعين وفيه زجر عظيم ولولا هذه هي
الاستعانة التي لوجوده وبره والمعنى لولا أني قضيت عليكم بالنضل في الدنيا بالنعم التي من
جلها الإمهال للتوبة والرجح في الآخره بقابل الغفو (لمسكم فيما أفضتم) أي بسبب ما أفضتم
فيه من حديث الأفك والاباءم لتحويل أمره يقال أفاض في الحديث والتدفع وخاص
بمعنى (عذاب عظيم) أي أعاجلناكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الأفك وقيل
المعنى لولا فضل الله عليكم لمسكم العذاب في الدنيا والآخرة معا ولكن برحمته ستر عليكم
في الدنيا ويرجئهم في الآخره من أن يأتوا بآيات (اذن تقربوا بالستكم) من التلقى والاصل
تلقونه قال مقاتل ومجاهد المعنى يرويه بعضكم عن بعض قال الكلبي وذلك أن
الرجل منهم بلى الرجل فيقول بلغني كذا وكذا أو تليقونه تليقا قال الزجاج معناه يلقيه
بعضكم إلى بعض وقرئ من الاتفاق ومعناها واضح وقرئ يفتح التاء وكسر اللام وضم
القاف وهي مأخوذة من قول العرب اتق الرجل بلى ولفظا كذب قال ابن سيده جابوا
بالمعنى شاهدوا على غير المتعدي قال ابن عطية وعندى أراد يلقونه فيه فخذ حرف
الخرفا فصل الضهير وقال الخليل وأبو عمر وأصل الولى الأسراع يقال جات الأبل تلقى
أي تسرع وعن ابن جرير مثله وزاد الولى هو الأسراع بالشيء بعد الشيء كمدد في أثر عدد
وكلام في أثر كلام وقرئ تألقونه من الاتى وهو الكذب وقرئ تليقونه وهو مضارع
ولقى بكسر اللام والتلقى والتلقن معان متقاربة خذلان في الأول معنى

يا كهنتا إله من الظالمين أي في صنعه وهذا قالوا سمعنا في ذلكهم يقال له إبراهيم قال من سمعه يحلف أنه لا كيدنهم بمعنا
في أي شأنا يد كرههم يقال له إبراهيم قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن
قائوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما بعث الله نبيا إلا شابوا ولا أوى العلم عالم إلا وهشاب وتلاه هذا الآية قالوا سمعنا في
ذلكهم يقال له إبراهيم وقوله قالوا فافوا أي أعين الناس أي على رؤس الأشهاد في الملا لا كبر يحضرة الناس كاهنهم وكان
هذا هو المقصود لا كبر لإبراهيم عليه السلام إن بين في هذا الخلق العظيم كبره جعلهم وقلة عقولهم في عبادة هذه الأصنام التي
لا تدفع عن نفسها شررا ولا تملك لها ناصر فكيف يطلب منها شيء من ذلك قالوا أنت فعلت هذا يا كهنتا إبراهيم قال بل فعله
كبيرهم هذا يعني الذي ترك لم يكسرهم فاسألوهم أن كانوا ينطقون وإنما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعرفوا أنهم

لا يظنون وان هذا لا يصدر عن هذا الضم لان هذا وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابراهيم عليه السلام لم يكن غير ثلاث ثنتين في ذات الله قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
اني سقيم قال وينهاؤ بسير في أرض جبار من الجبارة نوعه سارة اذ نزل نزل في الجبار رجل فقال انه قد نزل ههنا رجل بارضك
معه امرأه حسن الناس فارس الله جاء فقال ماهذه المرأة منك قال هي أختي قال فاذهب فارسل بها الى فاطمى الى السارة فقال
ان هذا الجبار قد سأنى عنك فاختبرته انك أختي فلا تكذبي عنده فانك أختي في كتاب الله والله ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك
فاظلم بها ابراهيم ثم قام يصلي فلما ان دخلت عليه فقرأها أهوى اليها فقتلوا لها فخذوا خذاشدا فخذ اشدا فقال ادعى الله لي ولا أضرك
فدعت له فأرسل فأهوى اليها فقتلوا لها (٢٨٤) فاختبئها وأشد فقبل ذلك الثالثة فاختبئ فذكر مثل المرتين الاولتين

الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الخدق والمهاجرة
وقال الراغب في التلقن الخدق في التناول وفي التلقف الاحتيال فيه (وتقولون
بأفواهكم ما ليس لكم به علم) معناه ان قولهم هذا مختص بالأفواه من غير أن يكون واقعاً
في الخارج معتقداً في القلوب وقيل ان ذكر الأفواه للتأكيد كما في قوله بطبرستان حاجة
ونحوه (وتحسبونه) أي الحديث الذي وقع الخوض فيه والاذاعة (هيناً) أي شيئاً
يسير الا يلحقكم فيه اثم (وهو عند الله عظيم) ذنبه وعقابه والجمله في محل الحال قيل جزع
بعضهم عند الموت فقيل له في ذلك فقال أخاف ذنباً لم يكن على بال وهو عند الله عظيم
(ولولا انهم سمعوه قتلهم ما يكون لئسان تنكلم بهذا) هذا عتاب لجميع المؤمنين أي هلا
اذ سمعتم حديث الافك قلتم تكذباً للتعاضين فيه المقتربين له بمجرد اول السماع ما ينبغي لنا
ولا يمكن ان تنكلم بهذا الحديث ولا يصدر ذلك منا بوجه من الوجوه (سبحانك هذا
بهتان عظيم) التعجب من أوئ الذين جاؤا بالافك وأصله التنزيه لله سبحانه ثم كبر حتى
استعمل في كل مستحب منه والبهتان هو ان يقال في الانسان ما ليس فيه أي هذا كذب
عظيم لكونه قيل في أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وصدوره مستحيل شرعاً من مثلها ثم
وعظ سبحانه الذين خاضوا في الافك فقال (به ظمكم الله ان تعودوا لمثله أبداً) أي
ينحكمكم أو يخرج الله عليكم قاله ابن عباس أو يحرم عليكم أو ينهاكم كراهة أن تعودوا
أو من ان تعودوا أو في أن تعودوا لمثله هذا القذف أو إسقاط حديثه مدة حياتكم (ان
كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضى عدم الوقوع في مثله مادامتم أحياء وفيه تهيج عظيم
وتقريع بالغ (وبين الله اليكم الآيات) في الامر والنهي لتعملوا بذلك وتتأدبوا بأدب
الله وتزجر وامن الوقوع في محارمه (والله عليم) بما تدبرونه وما تخفون به وأمر عائشة
وصفوان (حكيم) في تدبيره انطلقه وفي حكمه براءتهم ما عهد هذا سبحانه القذوب
ومن اراد ان يتسامع الناس بعيوب المؤمنين ونفوسهم فقال (ان الذين يحبون ان تشيع

فقال ادعى الله ولا أضرك فدعت
له فأرسل ثم ادعى في حجاب فقال انك
لم تأتني بالناس ولكنك أتيتني
بشيطان أخرجهوا أعطها هاجر
فاخرجت وأعطيت هاجر فاقبلت
فلما أحس ابراهيم بجهيم القتل من
صلاته وقال مهم قالت كفى الله
كيد الكافر الناجر وأخدمني هاجر
قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة
اذا حدث بهذا الحديث قال تلك
أمكم يا بني ماء السماء (فرجعوا الى
أنفسهم فقالوا انكم أنتم أظالمون
ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون قال أنتم مدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا
يضركم أف لكم ولما تعبدون من
دون الله أفلا تعقلون) يقول تعالى
مخبر عن قوم ابراهيم حين قال لهم
ما قال فرجعوا الى أنفسهم أي
بالملامة في عدم احترامهم وحراسهم
لأنهم فقالوا انكم أنتم الظالمون
أي في ترككم لهامهم له لاحظظ

عندها ثم نكسوا على رؤوسهم أي ثم اطرقوا في الأرض فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وقال السدي ثم نكسوا على رؤوسهم أي في القبة وقال ابن زيد أي في الرأي وقول قتادة
خبره موه فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون وقال السدي ثم نكسوا على رؤوسهم أي في القبة وقال ابن زيد أي في الرأي وقول قتادة
أظهر في المعنى لانهم انما فعلوا ذلك خيرة ومحزاً ولهذا قالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تقول للناس لوهم ان كانوا ينطقون
وانت تعلم انها لا تنطق فعندها قال لهم ابراهيم لما اعترفوا بذلك أف تعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أي اذا كانت
لا تنطق وهي لا تتنفع ولا تضر فلم تعبدوها من دون الله أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون أي أفلا تتدبرون ما أنتم فيه
من الضلال والكفر الغليظ الذي لا يروى الا على جاحل ظالم فاجر فاقام عليهم الحجة وألهمهم بها ولهذا قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم على قومه الآية (قالوا حر قومه انصاروا الكافرين) كتم فاعلين قلنا يا ابراهيم كتم في بر داوسلا ما على ابراهيم وأرادوا به

كذلك جعلناهم الاخسرين) لما حضت حجتهم وبان عجزهم وظهور الحق وان دفع الباطل عدلوا

وانصر واليه تستكم ان كنتم فاعلين فجمعوا احطبا كثيرا قال السدي حتى ان كانت المرافق ترض فتندران عوقبت ان تحمل حطب الخريق ابراهيم ثم جعلوا في جوفه من الارض واضرموها نارافكان لها شر عظيم ولهب صر تقلع ثم قد نارقط مثلها واجعلوا ابراهيم عليه السلام في كفة الميزان في النار رجل من اعراب فارس من الاكراد قال شعيب الجبائي اسمه هزن تخسف الله به الارض فهو يتجمل فيها الى يوم القيامة فلما القوه قال حسبي الله ونعم الوكيل كلارواه البخاري عن ابن عباس انه قال حسبي الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القى في النار وقال الحمد لله ما السلام حين قالوا ان الناس قد جعوا لكم فاشوههم فزادهم ايمانا وقالوا لو احسننا الله ونعم الوكيل وروى الحافظ ابو يعلى حدثنا ابن هشام حدثنا الصحيح بن (٢٨٥) سليمان عن ابي جعفر عن عاصم عن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم لما القى ابراهيم عليه السلام في النار قال اللهم انك في السماء واحد وان في الارض واحد اعبدوا ربهم اثم لم يجعلوا نوبة وانه قال لا اله الا انت سبحانك اللهم انك الحمد ولك الملك لا شريك لك قال شعيب الجبائي كان عمره اذ ماتت عشرة سنة قاله اعلم وذ كبر بعض السلف انه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال لك حاجة فقال اما اليك فلا واما من الله فلي وقال سعيد بن جبير ويروي عن ابن عباس ايضا قال لما القى ابراهيم المطر يقول متى امرى بالمطر فارسله قال فكان امر الله اسرع من امره قال الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال لم يبق نار في الارض الا طفت وقال كعب الاحبار لم ينفع احد يومئذ نار ولم تحرق النار من ابراهيم سوى وثاقه وقال الثوري عن الاعشى عن شيخ عن

الفاحشة) هي فاحشة الزنا والقول السيى أى يحبون ان تنفسوا الفاحشة وتتسمرن قولهم شاع الشيء يشيع شيوعا وشيعا اذا ظهر وانتشر والمراد بشيوعها شيوع خبرها قال علي بن ابي طالب قاتل الفاحشة والذي يشيع بها في الائمة سواء (في الذين آمنوا) أى المحسنين العفيفين أو كل من اتصف بصفة الايمان (لهم عذاب اليم في الدنيا) باقامة الحد عليهم (والآخرة) بعذاب النار (والله يعلم) جميع المعلومات (وانتم لا تعلمون) الاما علمكم به وكشفه لكم ومن جله ما يعلم الله عظم ذنب القذف وعقوبة فاعله (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وان الله روف رحيم) لما جعلكم بالعقوبة ومن رافقه لعباده ان لا يعاجلهم بذنوبهم ومن رحمته لهم ان يتقدم اليهم عثل هذا الاعتذار والانداز وهو تكرر لما تقدم من ذكر الامنة منه سبحانه على عبادته بترك المعالجة لهم (بايها الذين آمنوا) لا تتبعوا خطوات الشيطان) جمع خطوة وهي ما بين القدمين والخطوة بالفتح المصدر أى لا تتبعوا مسالك الشيطان ومذاهبه وآثاره ولا تسلكوا طرائقه التي يدعوكم اليها اقرأ الجوهر وخطوات يفتح انشاء والطاء وترى بضم الخاء والطاء وبساكن الطاء وهما سبعيتان (ومن يتبع خطوات الشيطان) جواب الشرط مخدوف تقديره قد غوى وقيل جزء الشرط مخدوف أقيم مقامه ما هو عليه أعنى قوله (فانه يأمر بالفتنة والمنكر) أى فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه ان يسمّر أمر الفتنه بهما أو صار فيه خاصية الشيطان وهي الامر بهما والفحشاء ما أفرط فيه والمنكر ما ينكره الشرع وخبره انه للشيطان وقيل للسان والاولى ان يكون عائدا الى من لان من اتبع الشيطان صار مقتديا به في الامر بالفحشاء والمنكر والاية عامة في حق كل واحد لان كل مكلف ممنوع من ذلك (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته) قد تقدم بيانه وجواب لولا هو قوله (مازكى منكم من احدا) أى لولا الفضل والرحمة من الله ما طهر احد منكم نفسه من دنسها مادام حيا قري زكى مخففنا وشدداى ما طهره الله وقال مقاتل ما صلح

على بن ابي طالب فلما يار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال لا تضربه وقال ابن عباس وأبو العباس لولا ان الله عز وجل قال وسلاما لاذى ابراهيم بردها وقال جوير عن الضحاك كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأسفلوا فيه النار من كل جانب فاصبح ولم يصبه منها شيء حتى أخذها الله قال ويذ كرون ان جبريل كان معه يسبح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وقال السدي كان معه فيها ملك الظل وقال علي بن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف ابو موسى حدثنا مهرا بن حدثنا اسمعيل بن أبي خالد عن المنهال بن عمر قال أخبرنا ابن ابراهيم القى في النار قال فكان فيها اما خمسين واما أربعين قال ما كنت ابا وما لى لى قط أطيب عيشا اذ كنت فيها وددت ان عيشي وحياى كلها مثل عيشي اذ كنت فيها وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال ان أحسن شئ قال أبو ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجد به ريح

من الصالحين فاعطاه الله اسحق وزاده يعقوب نافله وكلما جعلنا صالحين اى الجميع اهل خير وصلاح وجعلناهم امة اى بقتدى بهم
يهدون يا امرنا اى يدعون الى الله باذنه ولهذا قال واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوات واتوا الزكاة من باب عطف انخاص
على العام وكانوا الناعبدن اى فاعلين لما امر من الناس به ثم عطف به كرلوط وهولوط بن هاران بن آزر كان قدما من ابراهيم عليه
السلام واتبعوه وهاجر معه كما قال تعالى فامر له لوط وقال اناي مهاجر الى ربنا ما الله حكيم وعلم الاوحى اليه وجعله نبيا وبعثه الى
سدم واورعها فكنذوه وخالقه فاهلكهم الله ودمر عليهم ما قص خبرهم في غير ما موضع من كتابه العزيز ولهذا قال ونجينا هـ
القرية التي كانت تعمل الخبايا منهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلنا في رحمتنا هـ من الصالحين (وفو حال نادى من قبل فاستجيبنا له
فنجينا هـ وأدله من الكرب العظيم ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا هـ كانوا (٢٨٧) قوم سوء فاغرقتناهم اجمعين) يخبر تعالى عن

استجابته لعهده ورسوله نوح عليه
السلام حين دعا على قومه لما كذبوه
دعاه به الى مغلوب فانتصر وقال
نوح رب لا تذر على الارض من
الكاثرين ديارا انت ان تذرهم
يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا ولهذا قال ههنا الذنادى من
قبل فاستجيبنا له فنجينا هـ وأدله اى
الذين آمنوا به كما قال وأهلك الامن
سبق عليه القول ومن آمن وما آمن
معه الا قليل وقوله من الكرب
العظيم اى من الشدة والتكذيب
والاذى فانه لبث فيهم الفسنة الا
نجين عاما يدعوه الى الله عز وجل
فلم يؤمن به منهم الا القليل وكانوا
يتصددون لذهابهم وتواصون قربا
بعد قرن وحيا بعد جيل على
خلافه وقوله ونصرناه من القوم
اى ونجينا هـ وخاصة هـ منتصر من
القوم الذين كذبوا بآياتنا هـ
كانوا قوم سوء فاغرقتناهم اجمعين
اى اهلكهم الله بعباده ولم يبق على

لا والله اني لا يحسنوا على ان لا يحسنوا الى المستحقين للاحسان من (أولى القرى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) الجامعين لتلك الاوصاف وعلى الوجه الآخر
يكون المعنى لا يقصر وافي ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحنة الذنب اقتروه
وقرى بقاء الخطاب على الالتفات ثم عليهم سبحانه أذا آخر فقال (وليعفوا) عن ذنبهم
الذي اذنبوه عليهم وجنايتهم التي اقتروها من عقاب الرب اى درس والمراد عفو الذنب حتى
يهدوا كما يفوض الرب (وليعفوا) باغضاء عن الجاني والاعراض عن جنائيه
والاعراض عن لومه فان العفو ان تجاوز عن الجاني والصفح ان يتسامى جرمه وقيل
العفو بالفعل والصفح بالقلب وقرى في الفعلين جميعا بالقوية ثم ذكر سبحانه تربية اعظمها
لن عقاب صريح فقال (الأتجبون ان يعفو الله لكم) بسبب عفوكم وصحتكم عن الفاعلين
للاساءة عليكم قال أبو بكر بن انا أحب ان يعفو الله لي ورجع الى مسطح ما كان ينسقه
عليه (والله عفو رحيم) اى كثير المغفرة والرحمة لعباده مع كثرة ذنوبهم فكيف لا يقدر
العاد بهم في العفو والصفح عن المسيئين اليهم (ان الذين يرون) بالزنا (المحصنات)
الصفائف قد هم قدامهم يراهن ان الاجماع على ان حكم المحصنات من الرجال حكم
المحصنات من النساء في حسد القذف (الغافلات) اى اللاتي غفلن عن الفاحشة
بحيث لا تخطر ببالهن ولا يفتن لهن وفي ذلك من الدلائل على كمال التزاهة وطهارة الحبيب
ما لم يكن في المحصنات وقيل هن السلمات الصدور والفتيات القلوب اللاتي ليس
فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الاحوال فلا يفتن لما تطلن له المجربات
والرافات وكذلك البلاء من الرجال الذين غلب عليهم سلامة الصدور وحسن الظن بالناس
لانهم اغفلوا امر دنياهم فخلوا واحذف التصرف فيها واقبلوا على آخرتهم فغفلوا عن دنسهم
بها (المؤسات) بالله ورسوله وقد اختلف في هذه الآية هل هي خاصة وعامة فقال
سعيد بن جبيرة هي خاصة فمن روى عائشة وقال مقاتل هي خاصة بعباد الله بن أبي رأس

وجبه الارض منهم أحد كما دعا عليهم منهم (وداود وسليمان اذ يحكما في الحرت اذ نقت فيه عن القوم وكل حكمهم شاهدان
فنهما هـ سليمان وكلما اتنا حكما وعلمنا وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكفا عليل وعلمناه صنعة لبوس لكم لنحصبكم
من بآسكم فهـ انتم تشاكرن وسليمان الرعي عاصفة تجري بامرنا الى الارض التي باركنا فيها وكما بكل شئ عالمين ومن الشياطين
من يغو صوره ويعملون عملا دون ذلك وكلهم حافظين) قال ابن اسحق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحرت كرم اذ نقت
عناقيد وكذا قال شريح وقال ابن عباس النفس الرعي وقال شريح والزهرى وقادة النفس لا يكون الا بالليل زاد قتادة
والهمل بالهار وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهرون بن ادريس الاصم قال لا يحدثنا المحاري عن أشعث عن أبي اسحق عن
مرة عن ابن مسعود في قوله وداود وسليمان اذ يحكما في الحرت اذ نقت فيه عن القوم قال كرم قد انبت عناقيد فاستدبه

قال نقض داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا بني الله قال وما ذلك قال تدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبه اذ ذلك قوله فذهبها سليمان وهكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال جابر بن سلمة عن علي بن زيد حدثني خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لاجباب الحرث فخرج الرعا معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم فاستخبروه فقالوا لو ليت امركم لم نصبت بغير هذا فاخبر بذلك داود فدعا له فقال كيف تقضى بينهم قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث فيكون لهم اولادها والباقي لاولادها ومنافعتها ويندر أصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حزنهم فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه اخذها أصحاب الحرث وردوا الغنم الى أصحابها وقال ابن أبي حاتم (٢٨٨) حدثنا أي حدثنا عيسى بن سليمان حدثنا شيخنا جابر بن أي

الحق عن مرة عن مسروق قال الحرث الذي نفشت فيه الغنم انما كان كرمًا فلم تدفع فيه ورنه ولا عقودا من غنم الأكمة فانوا داود فاعتطاهم رقابا فقال سليمان لا بل تؤخذ الغنم فيعطاهم أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها ويعطى أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه حتى يعود كالذي كان لئلا نفشت فيه الغنم ثم يعطى أهل الغنم غنهم وأهل الكرم كرمهم وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد بن هرون أنبا ناسع عيل عن عامر قال جابر جملان الى شريح فقال أحدهما ان شاء هذا قطع غنولنا فقال شريح نعم نأرا أم ليسا فان كان نهارا فسد برئ صاحب الشياه وان كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ داود وسليمان اذ يجحكن في الحرث الآية وهبذا الذي قاله شريح يشبهه بما رواه الامام احمد وأبو داود وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن الزهري عن حرام بن محيصة ان ناقة البراء بن عازب دخلت حائطا فأنسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أنسدت الحوائط بالليل ضامن على اهلها وقد عدل هذا الحديث وقد بطن الكلام عليه في كتاب الاحكام وبالله التوفيق وقوله فذهبها سليمان وكذا آتينا حكما وعلمنا قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا جابر عن جمدان اناس من معاوية لما استقضى انما الحسن فبكي فقال ما يكيك قال يا أبا سعيد بلغني ان القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن البصري ان فيها ناص الله من يبادر وسليمان عليه السلام والانبياء محكم برء قول هؤلاء الناس عن قولهم قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يجحكن في الحرث اذ نفشت فيهن الغنم وكما حكمهم شاهد بن قاضي الله على

المنافقين وقال الضحاك والكبي هي في عائشة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم دون سائر المؤمنين والمؤمنات فن قدف إحدى امهات المؤمنين فهو من أهل هذه الآية قال الضحاك ومن أحكام هذه الآية انه لا يبه لمن روى إحدى أزواجه صلى الله عليه وآله وسلم ومن قدف غيرهن فقد جعل الله له التوبة كما تقدم في قوله الا الذين بانوا وقيل ان هذا الآية خاصة بمن أصغر على القدف ولم يتب وقيل انها خاصة بمن شركى مكة لانهم كانوا يقولون لامرأة اذا خرجت مهاجرة انما خرجت لتعجز وقيل انها تعم كل قاذف ومقدوف من الحصنات والمحصنين واختاره النحاس وهو الموافق لما قرره أهل الأصول من ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال أهل العلم ان كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القدفة فالمراد باللعنة في قوله (لعنوا في الدنيا والاخرة) الا بعدا عن الثناء الحسن على السنة أهل الايمان وضرب الحد وهو سائر المؤمنين لهم وزوالهم عن رتبة العدالة واستباحة أهل الايمان منهم وان كان المراد بهم من قدف عائشة خاصة كانت هذه الامور في جانب عبد الله بن أبي رأس المنافقين وان كانت في مشركى مكة فانهم ملعونون في الدنيا والاخرة (ولهم عذاب عظيم) على ذنب عظيم وجلة (يوم تشهد عليهم انهم) مقرر قبلما قبلها مسينة طاول وقت ذلك العذاب بهم وتعيين اليوم لزيادة التهور بل بما فيه من العذاب الذي لا يحيط به وصف قرئ تشهد بالذوقية وبالخشعة وهما سبعمان والمعنى تشهد السنة بعضهم على بعض في ذلك اليوم وقيل تشهد عليهم انهم في ذلك اليوم بما تكلموا به (وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أي بما عملوا في الدنيا من قول أو فعل وان الله سبحانه ينطقها بالشهادة عليهم والمشهود به مخذوف وهو ذنوبهم التي اقترفوها أي تشهد هذه عليهم بذنوبهم التي اقترفوها ومعاصيهم التي عملوها اخرج الطبراني وأبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وحاصم فيقال احلفوا فيخلقون ثم

وأبو داود وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن الزهري عن حرام بن محيصة ان ناقة البراء بن عازب دخلت حائطا فأنسدت فيه فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل الحوائط حفظها بالنهار وما أنسدت الحوائط بالليل ضامن على اهلها وقد عدل هذا الحديث وقد بطن الكلام عليه في كتاب الاحكام وبالله التوفيق وقوله فذهبها سليمان وكذا آتينا حكما وعلمنا قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا جابر عن جمدان اناس من معاوية لما استقضى انما الحسن فبكي فقال ما يكيك قال يا أبا سعيد بلغني ان القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن البصري ان فيها ناص الله من يبادر وسليمان عليه السلام والانبياء محكم برء قول هؤلاء الناس عن قولهم قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يجحكن في الحرث اذ نفشت فيهن الغنم وكما حكمهم شاهد بن قاضي الله على

سليمان ولم يذم داود ثم قال يبنى الحسن ان الله اتخذ على الحكيم ثلاثا لا يشترها به ثمنًا قليلا ولا يتبعوا فيه الهوى ولا يخشوا فيه أحدا ثم تلا يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضالك عن سبيل الله وقال فلا تخشوا الناس واخشوني وقال ولا تشتروا بآثاقكم ثمنًا قليلا قلت أما الانبياء عليهم السلام فكلمهم معصومون مؤيدون من الله عز وجل وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء المحققين من السلف والخلف وأما من سواههم فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمرو بن العاص انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر فهذا الحديث يرد نصا ما توهمه اياس من أن القاضي اذا اجتهد فأخطأ فهو في النار والله أعلم وفي السنن القصاة ثلاثة أقاص في الجنة وقاضيان في النار رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق (٢٨٩) وقضى بخلافه فهو في النار ورجل يب من

(فخ البيان سادس) عباس فذ كرقصة مطوقة ملحفها ان احمر أه حسنا في زمان بني اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من منهم فانتفقوا فيما بينهم عليها فشهدوا عليها عند داود عليه السلام انها مكنت من نفسها كالهاقد عودته كان عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فأتى صبحا كما وترا بأربعة منهم بزي أولئك منهم أقامر برجها فلما كان عشية ذلك اليوم مكنت من نفسها كالهاقد فقال سليمان فرقوا بينهم فسأل أولهم ما كان لون الكلب فقال اسود واستدعي بالآخر فله عن لونه فقال الأحمر وقال الآخر أعقب وقال الآخر أخضر فأمر عند ذلك بقتلهم شكا ذلك داود عليه السلام فاستدعي من فورهما أولئك الاربعة فسألهم مستقرقين عن لون ذلك الكلب فاختلقوا عليه فأمر بقتلهم وقوله وسخرنا مع داود الجبال بسجن والطير الآتية وذلك لطيب صوته بلاوة كتابه الزبور وكان اذا ترنم به تنقف الطير في الهواء فنجاب به وترد عليه

الجبال تأويها ولهذا المناهر التي صلى الله عليه وسلم على أي موسى الأشعري وهو ينزل القرآن من الليل وكان له صوت طيب جدا فوقف واستمع لقراءته وقال لقد أوتي هذا من مارا من من امير آل داود قال يا رسول الله لو علمت انك تتبع لغيري لك التحير اوت قال أبو عثمان النهدي ما جعت صوت صبي ولا ربط ولا من مار مثل صوت أي موسى رضي الله عنه ومع هذا قال عليه السلام لقد أوتي من مارا من من امير آل داود وقوله وعلمناه ضمة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم يعني صنعة الدروع قال قتادة انما كانت الدروع قبله صفاة وهو أول من سريها خلقا كما قال تعالى وآتاه الله الحنيدان أعمل سابعات وقدر في البرد أي لا توسع الحلقة فتقلق المشاة ولا تغطط المشاة فتقذف الحلقة ولهذا قال لتحصنكم من بأسكم يعني في القتال فهل أتممت شاكرون أي نعم الله عليكم بما ألهم به عبيده داود فعمله ذلك من أحلكم وقوله وسلمان (٢٩٠) الريح عاصفة أي وسخر السليمان الريح العاصفة فبحري بأمره إلى

الأرض التي بارك فيها يعني أرض الشام وكذا بكل شيء عالمين وذلك انه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج اليه من أمور المملكة والظيل والجلال والخيام والجند ثم يأمر الريح ان تحمله فتدخل تحته ثم تحمله فترفعه وتسير به وتطيه الطريقه الحار إلى حيث يشاء من الأرض فينزل وتوضع آلاؤه وحشمه قال الله تعالى فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب وقال تعالى غدتوها شهر ورواها شهر قال ابن أبي حاتم ذكر عن سفيان بن عيينة عن أبي سنان عن سعد بن جبير قال كان يوضع لسليمان سقاة ألف كرسى فيجلس مما يليه مؤمنو الآتس ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ثم يأمر الطير فتطيرهم ثم يأمر الريح فتحمله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن عبد بن عمر كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم

ومر به بانفاق ولها عايشة به هذه الأسي العظام في كتابه المعجز المتلوه على وجه الدهر به هذه البساعات فانظر كم بينهما بين ثبوت أولئك حيث لم يرض لها بقاء عصى ولا نبي حتى برأها بكلامه من القذف والبهتان وما ذاك الا لظهار عاونه منزلة رسوله والتبعية على أمانة محله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه أجمعين ثم ختم سبحانه الآيات الواردة في أهل الأوث بكلمة جامعة فقال (الحيثات) من النساء (الحيثين) من الرجال أي مختصات بهم لا يكدن يتجاوزهم إلى غيرهم كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الإلهية الحار به فيما بين الخلق على موجب ان الله تعالى ملكا يسوق الأهل إلى أهلها (و) كذا (الحيثون) (الحيثات) أي مختصون بهم لا يتجاوزهم لان الجحاشنة من دواعي الانضمام (و) هكذا (الطيمات) (الطيين) (الطيمات) قال مجاهد وسعيد بن جبير وعطاء وأكبر المفسرين المعنى الكلمات الحيثات من القول الخيثن من الرجال والحيثون من الرجال للحيثات من الكلمات والكلمات الطيمات من القول الطيين من الناس والطيون من الناس للطيمات من الكلمات وعن ابن عباس مثله وزاد نزل في الذين قالوا في زوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قالوا من البهتان وعن قتادة نحوه وكذا روى عن جماعة من التابعين قال النخاس وهذا أحسن ما قيل قال الزجاج ومعناه لا يتكلم بالحيثات الا الخيثن من الرجال والنساء ولا يتكلم بالطيمات الا الطيب من الرجال والنساء وهذا من الذين قد ذوقوا عايشة بالحب ومدح الذين برؤها وقيل ان هذه الآية تبينه على قوله الزاني لا يتكلم الا زانية فانحيثات الزواني والطيمات العفائف وكذا الخيثنون والطيون وعن ابن زيد قال نزلت في عائشة حين رماها المنافقون بالبهتان والفرقة فبرأها الله من ذلك وكان ابن أبي هو الخيثن وكان هو أولى بأن تكون له الخيمنة ويكون هو لها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيبا فكان أولى ان تكون له الطيبة وكانت عائشة الطيبة وكانت أولى بأن يكون لها الطيب (أولئك مبرؤن مما يقولون) الإشارة إلى الطيبين والطيمات أي هم

كالحبل ثم يأمر به بفرشه فيوضع على أعلى مكان منها يدعو بفرس من ذوات الاجنحة فترفع حتى تضعه على فراشه ثم يأمر الريح فترفع به كل شرف دون السماء وهو مطا على رأسه ما يلتفت عينا ولا شمعا لا تعظمها الله عز وجل وشكر لما بدله من صغرها هو فيه في ملك الله تعالى حتى تضعه الريح حيث شاء ان تضعه وقوله ومن الشياطين من يعصون له أي في الماء يستخرجون اللائي والجواهر وغير ذلك بعدا عن غلادون ذلك أي غير ذلك كما قال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد وقوله وكالهم قاطنين أي يحرسه الله ان ياله احد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته ويحت قهره لا تجاسر احد منهم على الذنوب والقرب منه بل هو يحكمهم فهم ان شاء أطلق وان شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال وآخرين مقرنين في الاصفاد (وأوب) اذا نادى به أي مسمى الضمير أو أشاء أرحم الراحمين فاستجيب له فكشفنا ما به من ضرر وأيناه أهل وسئلهم معهم

رجسه من عند نادر كرى العادين) يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان له من الدواب والأنعام والحراث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرصية قاتلي في ذلك كله وذهب عن آخره ثم ابتلى في جسده يقال بالجدام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكرهما الله عز وجل حتى عافاه المجلس وأفرده في ناحية من المبدولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته كانت تقوم بإمره ويقال إنها احتاجت فصار تخدم الناس من أجله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل وفي الحديث الآخر يبتلى الرجل على قدر دينه فإن كان في دينه صلابة زد في بلاءه وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في ذلك وقال ابن زيد بن مسرقة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام ومات الأهل والمال والولد لم يبق شيء له أحسن (٢٩١) الذي

أحسن إلى أعطيني المال والولد فلم يبق من قلبي شعبة الا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفزع قلبي فليس يحول بيني وبينك شيء لو به لم عدوى ابليس بالذي صنعت حسدني قال فلني ابليس من ذلك منكرًا قال وقال أيوب عليه السلام يارب انك أعطيني المال والولد فلم يقم علي باني أحد يشكرني لظلم ظلماته وأنت تعلم ذلك وأنه كان يوطأ الفراش فأتزكها وأقول لنفسى يا نفس انك لم تخلفي لوطه الفراش ما تركت ذلك الا ابتغاء وجهك رواه ابن أبي حاتم وقد روى عن وهب بن منبه في خبره قصة طويله ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين وفيها غرابة تركها لحال الطول وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة ثم اختلفوا في السبب المهيج له على هذا الدعاء فقال الحسن وقيادة

مبرون عما يقوله الخبيثون والخبيثات وقيل الاشارة الى أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة وصفوان بن المعطل وقيل الى عائشة وصفوان فقط قال القراء جمع قال فان كان له اخوة والمراد اخوان قال ابن زيد ههنا رثت عائشة (اللهم مغفرة) عظيمة لما لا يحصى عنه البشر من الذنوب (ورزق كريم) هو رزق الجنة روى ان عائشة كانت تتغنى بأشياء لم تعطها امرأة غيرها منها ان جبريل اتي بصورته في خرقة قرير وقال هذه زوجتك ومنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرها في يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في العاف وزلت برائتها من السماء وانما انبأه الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عائشة يقول حدثني الصديقة ائمة الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المبرأة من السماء وقال حسن مذكرا في حقها حصان رزان ما تزق بريسة * وتصيح غرثي من لحوم الغواف حليلة خير الناس دينها ومنصبا * نبي الهدي والمكر مات الفواضل عقيلة تحي من لوى بن غالب * كرام المساعي مجدها غير زائل مهذبة قد طيب الله خيها * وطهرها من كل شين وباطل وما فرغ سبحانه من ذكر الزجر عن الزنا والمقدف شرع في ذكر الزجر عن دخول البيوت بغير استئذان لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء فرمى بما يؤدى الى أحد الأمرين المذكورين وأيضاً فان الانسان يكون في بيته ومكان خلوة على حالة فلا يحب ان يراه عليها غيره فنهى الله سبحانه عن دخول بيوت الغير فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) أي التي لستم تملكونها ولا تستكثونها وليس لكم عليها يد شرعية أما المكثري والمستعير فكمل منه ما يدخل بيته والمعنى لا تدخلوها الى غاية هي قوله (حتى تستأثروا) الاستئناس الاستعلام والاستخبار أرى حتى تستعملوا من في البيت والمعنى حتى تعملوا أن

ابن أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهر املتي على كفاية أسراييل يختلف الدواب في جسده ففرج الله عنه وأعظم له الاجر وأحسن عليه الثناء وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدي تساقط لحم أيوب حتى لم يبق الا العصب والعظام فكانت امرأة تقوم عليه وتأتيه بالماذيكون فيه فقالت له امرأة لها مال طال وجعه يا أيوب لو دعوت ربك يدرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله ان أصبر له سبعين سنة فخرعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالاجر وتأتيه باصبع فتطعمه وان ابليس اطلق الى رجلين من أهل فلسطين كانا يدين له وأخوين فأتاهما فقال أخوكما أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأتياه ووزراهما وجمعا من خراجكم فانه ان شرب منه برئ فأتياه فلما انظر اليه بكى فقال من انا فأتاه فقال نحن فلان وفلان فحربهم بما وقال امر حبا من لا يجفوني عند البلاء فقالا يا أيوب لعلك كنت تسر شيئا وتظهر غيره فلذلك ابتلانا

الله فرفع رأسه إلى السماء فقال هو يعلم ما السررت شمساً أظهرت غيره ولكن ربي أسألك لينظر أوصبر أم أخرج فقال ألهما أيوب
 اشرب من خمرنا فإنك إن شربت منه برأت قال فغضب وقال جاءك الخبيث فأمر بك هذا كما لو طعمنا كوكراً بك على حرام فقاما
 من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فغزت لأجل بيت لهم صبي فجعلت لهم قرضاً وكان أبنتهم ناعماً فذكر هو أن يوقظوه فوهموه
 لها فأتت به إلى أيوب فأنكره وقال ما كنت أتنبئ بهذا قال اليوم فأخبرته الخبر قال فعل الصبي قد استعطف قلب القرص فلم
 يجده فهو يبكي على أهله فأنطقني به إليه فأقبلت حتى بلغت درجة القوم فطعمت أشاء لهم فقالت تعس أيوب الخطاء فلما صعدت
 وجدت الصبي قد استعطف وهو يطلب القرص ويبكي على أهله لا يقبل منهم شيئاً غيره فقالت رجسه الله يعني أيوب فدفعته إليه
 القرص ورجعت ثم إن أليس أناها في صورة (٢٩٢) طيب فقال لها إن زوجك قد طال سقمه فان اراد أن يبرأ فليأخذ ناياباً

صاحب البيت قد علم بكم وتعلموا أنه قد أذن بدخولكم فإذا علمت ذلك دخلتم ومنه قوله فان
 آتست منهم رشداً أي علمت قال الخليل الاستئناس الاستكشاف من أنس الشيء إذا
 أبصره وكهولته أي أنست ناراً أي أبصرت وقال ابن جرير أنه يعني قوتسوا أنفسكم قال ابن
 عطية وتصريف الفعل يأتي أن يكون من أنس ومعنى كلام ابن جرير هذا أنه من
 الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لأن الذي بطرق باب غيره لا يدري أن يؤذن له أم لا
 فهو كالمتوحش حتى يؤذن له فإذا أذن له استأنس فهي سبحانه عن دخول تلك البيوت
 حتى يؤذن للدخول وقيل هو من الأنس وهو أن يعرف هل ثم إنسان أم لا قال الواحدي
 قال جماعة المفسرين حتى تستأذنا ويؤيده ما حكاه القرطبي عن ابن عباس وأبي سعيد
 ابن جبير أنهم قرأوا حتى تستأذنا قال مالك في أحكامه ابن وهب الاستئناس فيأمرني
 والله أعلم الاستئذان وعن ابن عباس قال أخطأ الكاتب حتى تستأذنا (وتعلموا على
 أهلها) وفي مصحف عبد الله حتى تسلموا على أهلها وتستأذنا وعن عكرمة نحوه أخرج
 ابن أبي شيبة والطبراني وغيرهما عن أبي أيوب قال قلت يا رسول الله أريت قول الله حتى
 تستأذوا وتسلموا على أهلها هذا التسليم قد عرفناه فما الاستئناس قال يسلمكم الرجل
 بتسبيحة وتكبيرة ومحمدية يتخير فيؤذن أهل البيت قال ابن كثير هذا حديث غريب
 وأخرج الطبراني عن أبي أيوب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الاستئناس أن تدعو
 الخادم حتى يستأنس أهل البيت الذين تسلم عليهم وفي الصحيحين وغيرهما من حديث
 سهل بن سعد قال أطلع رجل من بحري حجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه مدري
 يحك به رأسه قال لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل
 النظر وفي لفظ إنما جعل الأذن من أجل البصر وعن أنس قال قال رجل من المهاجرين
 لقد طلبت عري كاه في هذه الآية فما أدركتها إن استأذنت على بعض أخواني فيقول أرجع
 فأرجع وأنا مغتبط لقوله وإن قيل لكم أجمعوا فارجعوا أو أركبكم وعن ابن عباس

فليذهب باسم صمبني فلان فانه
 يبرأ أي يبرأ بعد ذلك فقالت ذلك
 لأيوب فقال قد أتاك الخبيث لله
 عني إن برأت أن أجلبد مائة
 جلدة فخرجت تسعى عليه فظفر
 عنها الرزق فجعلت لا تأتي أهل
 بيت فريدونها فلما اشتد عليها ذلك
 وحافت على أيوب الجوع خلقت
 من شعرها قزفاً عساه من صبية
 من بنات الأشراف فاعطوها
 طعاماً طيباً كثيراً فأتته أيوب
 فلما رآه أنكره وقال من أين لك
 هذا قالت علمت أناس فاطعموني
 فأكل منه فلما كان الغد خرجت
 فطلبته إن تعمل فلم يجده خلقت
 أيضاً قزفاً عساه من ذلك الجارية
 فاعطوها أيضاً من ذلك الطعام
 فأتته أيوب فقال والله لا أطعمه
 حتى أعلم من أين هو فوضعت
 نخارها فلما رأى رأسها محمولا
 جزع حزناً شديداً فعند ذلك دعا
 الله عز وجل فقال رب اني مسني

الضر وأنت أرحم الراحمين قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسمعيل حدثنا جاد حدثنا أبو عمران قال
 الجوني عن نوف البكالي أن الشيطان الذي عرج في أيوب كان يقال له منسوط قال وكانت امرأته أيوب تقول ادع الله فيشفيك
 فجعل لا يدعوه حتى مر به فمر من بني إسرائيل فقال بعضهم لبعض ما أصابها ما أصابها إلا بدت عظيم أصابه فعند ذلك قال رب اني
 مسني الضر وأنت أرحم الراحمين وحدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كان لأيوب عليه
 السلام أخوان فأخو ما فم يستطيعان يدنو منه من ريحه فقاما من بعيد فقال أحدهما للآخر لو كان الله يعلم من أيوب خيرا
 ما ابتلاه بهذا فخرج أيوب من قوله ما جرحناكم ببعض عن شيء فط فقال اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة قط شعبان وأنا أعلم مكان جانع
 فصددني فصددني من السماء وهما يتبعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم يكن لي قيصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصددني

السماء وهم ما يسهان ثم قال اللهم بعزتك ثم خر ساجدا فقال اللهم بعزتك لا ارفع رأسي ادا حتى تكشف عني فزارفع رأسه حتى كشف عنه وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر من فروعا يخبر هذا فقال اخبرنا يوسف بن عبد الأعلى اخبرنا ابن وهب اخبرني نافع بن ربيعة عن عقيل عن الزهري عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نبي الله أيوب ليشبه بالذئبان عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الارجلين من اخوانه كانا من اخصى اخوانه له كانا يغذوان اليه ويروان فقال احدهما لصاحبه تعلم والله لقد اذنب أيوب ذنبا ما اذنبه احد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك قال منذ غاني عشرة سنة لم يرجه الله فكشف ما به فلما راحا اليه لم يبصر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب عليه السلام ما درى ما تقول غير ان الله عز وجل يعلم الى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكر ان الله فارجع الي يتي فأكفر عنهما كراهية ان يذكر الله الا (٢٩٣) في حق قال وكان يخرجني حاجته فاذا قضاهما

اسمكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم انطأت عليه فأوحى الله الي أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا فمغتسل باردا وشراب رفع هذا الحديث غريب جدا وروى ابن أبي حاتم حديثا في حديثنا موسى بن اسمعيل حديثنا جاد أخبنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وأبسه الله حلة من الجنة فتعشى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله أين ذهب هذا المبلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئاب فعملت تكلمه ساعة فقال ويحك أنا أيوب قالت أنسخر مني يا عبد الله فقال ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي وبه قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم وقال وهب بن منبه أوحى الله الي أيوب قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء

قال نسخ واستثنى من ذلك فقال ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة قياما متاع لكم اخرج احمد والبخاري في الادب وابوداود والترمذي والنسائي والبيهقي من طريق كذا أن صفوان بن أمية بعثه في الشح بلبا وضغائيس والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأعلى الوادي قال فدخات عليه ولم أسلم ولم استأذن فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ارجع فقل السلام عليكم أأدخل قال الترمذي حسن غريب لا نعرفه الا من حديثه واخرج احمد والبخاري في الادب وابوداود والبيهقي في السنن من طريق ربي قال حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في بيت فقال أألج فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخادمه اخرج الي هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أأدخل وأخرج ابن جرير عن عمر بن سعد النقي نحوه من فروعا ولكنه قال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأمة له يقال لها روضة قومي الي هذا فعليه واخلفوا هل يقدم الاستئذان على السلام أو العكس فقصيل يقدم الاستئذان فيقول أأدخل سلام عليكم انقديم الاستئناس في الآية على السلام وقال الاكثرون انه يقدم السلام على الاستئذان فيقول السلام عليكم أأدخل وهو الحق لان البيان منه صلى الله عليه وآله وسلم للآية كان هكذا وقيل ان وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستئذان (ذلكم) اي الاستئناس والتسليم اي دخولكم مع الاستئذان والسلام (خير لكم) من التهجيم بغير اذن ومن الدخول بغتة (اعلمكم تذكرون) ان الاستئذان خير لكم وهذه الجملة متعلقة بمقدري امرهم بالاستئذان والمراد بالند كالاتعاظ والعمل بما أمروا به (فان لم تجدوا فيها) اي في البيوت التي لغيركم (احدا) ممن يستأذن عليه ويصلح للادان او كان ولكنه لم ياذن أولم يكن فيها احدا صلا (فلاتدخلوها حتى يؤذن لكم) بدخولها من جهة من تلك الاذن فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يحفظه الناس عادة مع ان التصرف في ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق

فان فيه شدا عك وقرب عن محابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك رواه ابن أبي حاتم عمرو بن مَرْزُوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن خنيك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراد من السماء ففعل بأخذه يده ويجعله في ثوبه قال فقيل له يا أيوب امان شبع قال يارب ومن يشبع من رحمتك اصله في الصحيحين وسيأتي في موضع آخر وقوله وأتيناها له ومثلهم معهم قد تقدم عن ابن عباس انه قال ردوا عليه بأعيانهم وكذا رواه العوفي عن ابن عباس ايضا وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن وقتادة وقد زعم بعضهم ان اسم زوجته رجة فان كان اخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد التبعة وان كان اخذه من نقل اهل الكتاب وصح ذلك عنهم فهو مما لا يصدق ولا يكذب وقد سماها ابن عساكر في تاريخه رجة الله تعالى قال ويقال اسمها لابلت منشاب يوسف بن يعقوب بن اسحق

ابن ابراهيم قال ويقال لي انبت يعقوب عليه السلام زوجة ايوب كانت معه بارض الشنية وقال مجاهد قيل له يا ايوب ان اهلك لك في الجنة فان شئت آتيناك بهم وان شئت تركاهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل اتركهم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا وقال جابر بن زيد عن ابي عمران الجوني عن نوف البكالي قال اوتي اجرهم في الآخرة واعطي مثلهم في الدنيا قال فحدثت بمطرقا فقال ما عرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روى عن قتادة السدي وغير واحد من السلف والله اعلم وقوله رجسة من عندنا في فعلناه ذلك رجسة من الله وذكرى للعابدين اى وجعلناه في ذلك قدوة لئلا ينظر اهل البلاء انما فعلناهم ذلك ليوهمهم علينا وليأسوا لله في الصبر على مقدورات الله وتلاوته لعباده بما يشاء وله الحكمة البالغة في ذلك (واسمعيل وادريس) وهذا الكفل كل من الصابرين وأدخلناهم (٢٩٤) في رجستانهم من الصالحين) اما اسمعيل فالمراد به ابن ابراهيم الخليل عليهم

السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا ادريس عليه السلام واما ذوالكفل فالظاهر من السياق انه ما قرن مع الانبياء الا وهوني وقال آخرون انما كان رجلا صالحا وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا ونوقف ابن جرير في ذلك فالتة اعلم قال ابن جرير عن مجاهد في قوله وذا الكفل قال رجل صالح غيبرني تكفل لني قومه ان يكفيه الله قومه ويقهيمهم ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمى ذا الكفل وكذا روى ابن ابي نجيج عن مجاهد ايضا وروى ابن جرير حدثنا محمد بن المنذر حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليسع قال لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل فنجح الناس فقال من يتقبل مني ثلاثا استخلفه

يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب قال فقام رجل تدرية العين فقال انا فقال انت تصوم النهار وتقوم الليل ولا تغضب قال نعم قال فردهم ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه قال فعمل ابليس يقول للشياطين عليكم بفلان فاعياهم ذلك فقال دعوني واياه فانه في صورة شيخ كبير فقيرا ناه حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك التومة ففقد الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم مظلوني وفعالوني وفعالوني وجعل يطول عليه حتى خضر الراج وذهب القائلة فقال اذا رحت فاني اخذك بجحشك فانطلق وراح فكان في مجلسه فجعل ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام بشيعة فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فآخذ مضجعه فانه فقد الباب فقال من هذا قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال

مسكونة

أما قل لك اذا قصدت فأتني قال انهم أحببت قوم اذا عرفوا انك قاعد فالواحقن تعطيك حقك واذا اقتبجدوني قال فانطلق فاذا رحت فأتني قال فقامت الساعة ففعل ففعل ولا يراه وشق عليه العاس فقال لبعض أهله لا تدع أحدا يقرب هذا الباب حتى أتم فأتني فشدق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراي لورا قال أتني قد أتيتك أمس وكنت له أمرى فقال لا والله لقد أمرنا ان لا ندع أحدا يقرب به فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال واستنقظ الرجل فقال لا فلان لم آمر لك قال أما من قبلي والله فم تزوت فانظر من أين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فغمره فقال أعدوا والله قال نعم أعيتني في كل شيء ففعلت ما ترى لا أعصيت ففهم الله ذا الكفل لانه تكفل بأمر فوفى به وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير بن اسحق عن (٢٩٥) داود عن مجاهد بن عبد الله قال ابن أبي حاتم حدثنا

أبي حدثنا أحمد بن يونس حدثنا أبو بكر بن عباس عن الاعمش عن مسلم قال قال ابن عباس كان قاض في بني اسرائيل فغضه الموت فقال من يقوم مقامى على أن لا يغضب قال فقال رجل أنا قسسى ذاك الكفل قال فكان ليله جميعا يصلى ثم أصبح صائما فيقتضى بين الناس قال وله ساعة فيقبلها قال فكان كذلك فأتاه الشيطان عند نومته فقال له اصحابه مالك قال انسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما انت حتى يستيقظ قال وهو فوق ناظم قال فجعل يصيح عمدا حتى يوقظه قال فسمع فقال مالك قال انسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أتى قال اذهب أنت اليه قال فذهب ثم جاء من الغد فقال مالك قال ذهبت اليه فلم يرفع بكلامك رأسا قال اذهب اليه فقل له يعطيك حقا قال فذهب ثم

مسكين (فيمامناع لكم) المتاع المنفعة عند أهل اللغة فيكون معنى الآية فيما منفعة لكم كما يستكن من الحر والبرد وايقوا الرجال والسلع والشراء والبيع ومنه قوله ومنعوهن وقولهم أتبع الله بك وقد فسر الشعبي المتاع في كلامه المتقدم بالاعيان التي تباع قال جابر بن زيد وليس المراد بالمتاع الجهاز ولكن ما سوا من الحاجة قال النحاس وهو حسن موافق اللغة (والله يعلم ما تدون وما تكتمون) أي ما تظهرون وما تخفون وفيه وعبد لمن لم يتأدب بأداب الله في دخول بيوت الغير ويدخل الخربات والدور الخالية من أهل الرية ولما ذكر سبحانه حكم الاستئذان أتبعه بذلك حكم النظر على العموم فقال (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) فيندرج تحته غض البصر من المستأذن كما قال صلى الله عليه وآله وسلم إنما جعل الأذن من أجل البصر وخض المؤمنين مع تحريمه على غيرهم لكون قطع ذرائع الزنا التي منها النظر هم أحق بها من غيرهم وأولى بذلك ممن سواهم وقيل ان في الآية دليلا على ان التكفير غير مخاطبين بالشريعات كما يقوله بعض أهل العلم وفي الكلام حذف والتقدير قل للمؤمنين غضوا بغضوا ومعنى غض البصر اطباق الجفن على العين بحيث يمنع الرؤية ومن هي التعمية واليه ذهب الاكثرون وعليه اقتصر القاضي كالكشف وشبهه ان المعنى غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وقيل وجه التبعيض انه يعني المناظر أول نظرة تقع من غير قصد وقال الاخفش انها زائدة وأنكر ذلك سيبويه وقيل انها بيان الجف من قاله أبو البقاء اعترض عليه بأنه لم يتقدم بهم حتى يكون مفسرا عن وقيل انها ابتداء الغاية قاله ابن عطية وعليه اقتصر أبو حنبل في النهي وقيل الغض نقصان يقال غض فلان من فلان أي وضع منه فالبصر اذا لم يكن من عمله فهو مغضوض منه ومنه ومنقوص فتكون من صلة للغض وليست بمعنى من تلك المعاني الاربعة وفي هذه الآية دليل على تحريم النظر الى غير من يحل النظر اليه قال ابن عباس يغضوا أبصارهم يعني من شؤناهم عما يكبره الله وأخرج أبو داود والترمذي والبيهقي في سننه عن بريدة قال

جاء من الغدسين قال قال فقال له اصحابه اخرج فقل الله بك فحي كل يوم حين شام لا تدعه شام قال فجعل يصيح من اجل اني انسان مسكين لو كنت غنيا قال فسمع ايضا فقال مالك قال ذهبت اليه فغض بي قال انش حتى أجي معك قال فهو مسك بيده فلما راذهب معه تثر به منه ففتر وهكذا روى عن عبد الله بن الحارث ومحمد بن قيس وابي جبيره والاكبر وغيرهم من السلف نحو هذه القصة والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو الجاهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كاتبة بن الاخنس قال سمعت الاشعري وهو يقول على هذا المنبر ما كان ذوال الكفل يعني ولكن كان يعني في بني اسرائيل رجل صالح يصلى كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذوال الكفل من بعده فكان يصلى كل يوم مائة صلاة فسمي ذالك الكفل وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر بن قتادة قال قال أبو موسى الاشعري قد كرمت قطعوا والله أعلم وقد روى الامام أحمد حديثا غير ما نقلنا سبياط بن محمد حدثنا

الاعشى عن عبد الله بن عبد الله عن سعد بن أبي طه عن ابن عمر قال سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً قالوا لم أسمعه إلا مرة واحدة حتى عذب سبع مرات ولكن قد سمعته أكثر من ذلك قال كان الكفل من بني إسرائيل لا يؤزع من ذنب عبد إلا فاته امرأته فأعطاهما ستم ديناراً على أن يطأها فلما أقدمتهما مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما بك أكرهتك قالت لا ولكن هذا عمل لم أعلم قط وإنما جئني عليه الحاجة قال ففعلين هذا ولم تفعلينه قط ثم زل فقال ادعيني بالدنانير لك ثم قال والله لا يعصى الله الكفل أبداً فأتى من ليلته فأصبح مكتوباً على يابه قد غفر الله لكفل هذا فوقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم وهذا الحديث لم يحضره أحد من أصحاب الكتب الستة واسناده غريب وعلى كل تقدير فليقتل الحديث إن كان الكفل ولم يقل ذوالكفل فلهذا لرجل آخر والله أعلم (٢٩٦) وهذا القول اذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجيبنا له ونجينا به من الغم وكذلك تنجي المؤمنين هذه القصة المذكورة ههنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن وذلك ان يونس بن متى عليه السلام بعثه الله الى اهل قرية يتنصرون وهى قرية من ارض الموصل فدعاهم الى الله تعالى فابوا عليه وعنادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضباً لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا ان النبي لا يكذب خرجوا الى الصحراء باطفا لهم وانعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الامهات وأولادهن ثم تضرعوا الى الله عز وجل وجأروا اليه ورغبت الابل وفصلانها وخارت البقر وأولادها وتعت الغنم وحالها فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى فلولاً كانت قرية آتت فنقضنا ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا وكشفنا عنهم عذاب

الآن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يتبع النظرة النظر فان الاولى لك وليست لك الاخرى وفي مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن جرير بن العجلي قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن نظرة النجاة فأمرني ان أصرف وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياكم والجلوس على الطرافات قالوا يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها فقال ان ايتهم فاعطوا الطريق حقه فالووا ما حقه يا رسول الله قال غص البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ويحفظوا فروجهم) أى يجب عليهم حفظها عما يحرم عليهم ولا يجزى لهم وقيل المراد ستر فروجهم عن ان يراه من لا يحل له رؤيتها ولا مانع من ارادة المعنيين فالكل يدخل تحت حفظ الفرج وقيل وجه المجيى من في الابصار دون الفرج انه موسع في النظر فانه لا يحرم منه الا ما استثنى الا ترى ان المحارم لا بأس بالنظر الى شعورها وصدورها وكذا الاماء المستعرضات للبيع بخلاف حفظ الفرج فانه مضيق فيه فانه لا يحل منه الا ما استثنى وقبل الوجه ان غص البصر كله كالتعذر بخلاف حفظ الفرج فانه ممكن على الاطلاق قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا اما في هذا الموضوع فانه أراد به الاستئثار حتى لا يقع بصر الغير عليه (ذلك) أى ما ذكر من الغص والحفظ (أزكى) أى أظهر (لهم) من دنس الرية وأطيب من التلبس بهذه الدنبة (ان الله خير بما يصنعون) لا يخفى عليه شئ من صنعهم فيجازيهم عليه وفي ذلك وعيد لمن لم يرض بصره ويحفظ فرجه (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) خص سبحانه الاناث بهذا الخطاب على طريق التاكيد لادخالهن تحت خطاب المؤمنين تعليمياً كما في سائر اخطابات القرآنية وظهر التضعيف في بغضض ولم يظهر في بغضوا لان لام الفعل من الاول متحركة ومن الثانى ساكنة وهما في موضع جر من جواب الامر وبدأ سبحانه بالغض في الموضوعين قبل حفظ الفرج لان النظر وسيلة الى عدم حفظ الفرج والوسيلة مقدمة على المتوسل اليه وعن

الآخرى في الجنة الدنيا ومتعناهم الى حين واما يونس عليه السلام فانه ذهب فركب مع قوم في سفينة فطجبت بهم وخفوا أن يغرقوا فأتوا رجلاً يلقونهم فيمنهم يتحققون منه فوقع القرعة على يونس فابوا أن يلقوه ثم أعادوا فوقع عليه ايضا فابوا ثم أعادوا فوقع عليه ايضا قال الله تعالى فأنجاهم فكان من المدحسين اى وقعت القرعة فقام يونس عليه السلام ويخبر من نبأه ثم اتى نفسه في البحر وقد ارسل الله سبحانه من البحر الاخر فمما قاله ابن مسعود وجواب نبيك الجار حتى جاء القوم يونس حين اتى نفسه من السفينة فارتضى الله الى ذلك الخوف ان لا تأكل له الجوارح ثم سلمه عظماء فان يونس ليس لك رزقا وإنما بطنت تكون له سبحانه وقوله وهذا القول يعنى الخوف حتى الاضافة اليه بهذه النسبة وقوله اذهب مغاضباً قال الضحاك لقومه فظن ان لن نقدر عليه أى نصيق عليه في بطن الخوف يروى نحو هذا عن ابن عباس وبجاءه الضحالك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد

مقاتل
وخفا أن يغرقوا فأتوا رجلاً يلقونهم فيمنهم يتحققون منه فوقع القرعة على يونس فابوا أن يلقوه ثم أعادوا فوقع عليه ايضا فابوا ثم أعادوا فوقع عليه ايضا قال الله تعالى فأنجاهم فكان من المدحسين اى وقعت القرعة فقام يونس عليه السلام ويخبر من نبأه ثم اتى نفسه في البحر وقد ارسل الله سبحانه من البحر الاخر فمما قاله ابن مسعود وجواب نبيك الجار حتى جاء القوم يونس حين اتى نفسه من السفينة فارتضى الله الى ذلك الخوف ان لا تأكل له الجوارح ثم سلمه عظماء فان يونس ليس لك رزقا وإنما بطنت تكون له سبحانه وقوله وهذا القول يعنى الخوف حتى الاضافة اليه بهذه النسبة وقوله اذهب مغاضباً قال الضحاك لقومه فظن ان لن نقدر عليه أى نصيق عليه في بطن الخوف يروى نحو هذا عن ابن عباس وبجاءه الضحالك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد

عليه بقره تعالى ومن قدر عليه رزقه فليمتق محاماه الله الآية وقال عطية العوفي أي فظن أن لن نقدر عليه أي نقضى عليه كانه
 جعل ذلك بمعنى التقدير فان العرب تقول قدر وقدرا المعنى واحد قال الشاعر
 فلا عائد للزمان الذي مضى * تباركت ما تقدر يكن ذلك الامر ومنه قوله تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر رأى قدر وقوله
 فتبادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا
 روى عن ابن عباس وعمر بن ميمون وسعيد بن جبيرة ومحمد بن كعب والفضائل والحسن وقتادة وقال سالم بن أبي الجعد ظلمة حوت في
 بطن حوت آخر في ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك انه ذهب إلى الحوت في البحار يشقهها حتى انتهى به إلى قرار
 البحر فسمع يونس تسبيح الحمصى في قراره فعند ذلك وهنالك قال لا اله الا أنت (٢٩٧)

الاعرابي لما صار يونس في بطن
 الحوت ظن انه قد مات ثم حركه
 رجله فلما تحركت صعد مكانه
 ثم نادى يارب انجذت لك مسجدا
 في موضع لم يبلغه أحد من الناس
 وقال سعيد بن أبي الحسن
 البصري مكث في بطن الحوت
 أربعين يوما واهما ابن جرير
 وقال محمد بن اسحق بن يسار عن
 حديثه عن عبد الله بن رافع مولى
 أم سلمة سمعت أباه يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
 أراد الله حبس يونس في بطن
 الحوت أوحى الله إلى الحوت أن
 خذه ولا يتخذ شلحما ولا تكسر
 له عظما فلما انتهى به إلى أسفل
 البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه
 ما هذا فأوحى الله إليه وهو في
 بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب
 البحر قال وسبح وهو في بطن
 الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه
 فقالوا ياربنا انجع صوتا ضعيفا
 بارض غريبة قال ذلك عيسى

مقاتل قال بلغنا والله أعلم ان جابر بن عبد الله الانصاري حدث ان أسماء بنت زيد كانت
 في قبيل لها باني حارثة فجعل النساء يدخلن عليها غير مترات فيسود ما في أرجلهن يعني
 الخلاخل وتبصروا وهرن وذوائهن فقالت أسماء ما أقبج هذا فأقرن الله في ذلك وقال
 للمؤمنات بعض من أبصارهن الآية وبالجمله أمر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات
 بغض الابصار فلا يحل للرجل ان ينظر إلى المرأة ولا للمرأة أن تنظر إلى الرجل فان علاقتها
 به كعلاقته بها وقصدها منه كقصده منها وقال مجاهد اذا قبلت المرأة جالس ابليس على
 رأسها فينظر إليها ينظر واذا أدبرت جالس على عجزها فينظر فيها لمن ينظر وقد أشقت هذه
 الآية الكريمة على خمسة وعشرين ضيقا لا ناث ما بين مرفوع ومجروح ولم يوجد لها نظير
 في القرآن في هذا الشأن (و) كذلك ويحفظن فروجهن أي يجب عليهن حفظ فروجهن
 على الوجه الذي تقدم في حفظ الرجال لفروجهن أخرج البخاري وأهل السنن وغيرهم عن
 بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قلت يا رسول الله عورتا ما تأتي فيهما وما تذر قال احفظ
 عورتك الا من زوجك أو ما ملك يمينك قلت يا بني الله اذا كان القوم بعضهم في بعض
 قال ان استطعت ان لا يراها أحد فلا ينهاها اذا كان أحدنا خاليا قال فالتة أحق ان
 ينجما منه من الناس وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم كتب الله على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لالحالة فزنا العين النظر
 وزنا اللسان النطق وزنا الاذن السماع وزنا المدين البطش وزنا الرجلين الخطو والنفس
 تنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وأخرج الحماكم وصححه عن حذيفة قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وآله وسلم النظر تسهام من سهام ابليس مسموقة فنزكها من خوف الله
 أثابه الله أي ما لا يجيد حلاوته في قلبه والا حادث في هذا الباب كثيرة (ولا يدين زينتهن)
 أي ما يتزين به من الخلية وغيرهما مثل الخنخال والخصاب في الرجل والسوار في المعصم
 والقرط في الاذن والفسل في العنق فلا يجوز للمرأة ان تظهرها ولا يجوز للرجل ان يظفر

(٢٨ - فتح البيان سادس) يونس عصا في خبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه
 في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فسقوا له عند ذلك فأمر الحوت فقتله في الساحل كما قال الله تعالى وهو سقيم ورواه ابن جرير
 ورواه البرزقي في مسنده من طريق محمد بن اسحق (١) بنحوه ثم قال لا نعلم يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه بهذا
 الاسناد وروى ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي حديثه قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم الا ان اسير فع الحديث إلى رسول الله صلى الله
 (١) قوله من طريق محمد بن اسحق وجدي بعض النسخ زياد بعد قوله من طريق محمد بن اسحق وهي عن عبد الله بن مسلم عن علي
 مرفوعا لا ينبغي لعبد ان يقول أنا خير من يونس بن متى سجد الله في الظلمات وقد روى هذا الحديث بدون هذه الزيادة من حديث ابن
 عباس وابن مسعود وعبد الله بن جعفر ورواها أسيد هاشمي أسيد هاشمي سورة ن وقال ابن أبي حاتم حديثنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن ابن
 أخي ابن زهيب حدثني عمي حدثني أبو بصير اه

عليه وسلم ان يونس النبي عليه السلام حين بدله ان يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال اللهم لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاقبلت هذه الدعوة فتح بالعرش فقالت الملائكة يا رب صوت ضعيف معروف من بلاد مدية فقال اما تعرفون ذلك قالوا يا رب ومن هو قال عبيدي يونس قالوا عبيدك يونس الذي لم يرفع له عمل لم يقبل ودعوة نجاة قالوا يا رب ولا ترحم ما كان يصعد في الرخاء فتجيبه من البلاء قال بلى فامر الحوت فترحم في العراء وقوله فاستجيب له ونجينا من الغم أي آخر جناحه من بطن الحوت وتلك الظلمات وكذلك نجى المؤمنين أي اذا كانوا في الشدة اذ يدعوننا بمدين النيا ولا سيما اذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء فقد جاء الترغيب في الدعاء بها عن سيد الانبياء قال الامام احمد حدثنا اسمعيل بن عمر حدثنا يونس بن أبي اسحق الهذلي حدثنا ابراهيم بن محمد بن سعد حدثني (٢٩٨) والذي محمد عن أبيه سعد هو ابن أبي وقاص رضى الله عنه قال مررت بعثمان

بن عفان رضى الله عنه في المسجد فسلمت عليه فلا عنيه مني ثم لم يرد علي السلام فانت عمن الخطاب فقلت يا امير المؤمنين هل حدث في الاسلام شيء مرتين قال لا وما ذلك قلت لا الا اني مررت بعثمان آتيا في المسجد فسلمت عليه فلا عنيه مني ثم لم يرد علي السلام قال فامرسل عمر الى عثمان فدعاه فقال ما منعك ان لا تكون رددت علي احبك المسلم قال لم ما فعلت قال سعد قلت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم ان عثمان ذكر فقال بلى واستغفر الله واوتوب اليه انك مررت بي انفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله ما ذكرت قط الا فغشي بصري وقلبي غشاوة قال سعد فانا اُبشدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لنا اول دعوة ثم جاء اعرابي فشد عليه حتى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فابعثه فلما

اليها ثم استثنى سبحانه من هذا النبي فقال (الاماظهر منها) أي ما جرت العادة والنجاة على ظهوره واختلاف الناس في ظاهر الزينة ما هو فقال ابن مسعود وسعيد بن جبير والسياب وزاد سعيد الوجه وقال عطاف والاوزاعي الوجه والكفان وقال ابن عباس وقادة والمسور بن مخزومة هو الكحل والخاتم والسوار والخضاب في الكف الى نصف الساق ونحو ذلك فانه يجوز للمرء ان يتدبه وقال ابن عطية ان المرأة لا تبدى شئ من الزينة وتحتي كل شيء من زينتها ووقع الاستثناء فيما يظهر منها بحكم الضرورة ولا يخفى عليك ان ظاهر النظم القرآني النبي عن ابداء الزينة الاماظهر منها كالكحل والجلاب والخنار ونحوهما مما في الكف والقديمين من الخلية ونحوها وان كان المراد بالزينة مواضعها كان الاستثناء راجعا الى ما يشق على المرأة ستره كالكتفين والقديمين ونحو ذلك وهكذا اذا كان النبي عن اظهار الزينة يستلزم النبي عن اظهار مواضعها بغير الخيط فانه يحتمل الاستثناء على ما ذكرناه في الموضعين وأما اذا كانت الزينة تشمل مواضع الزينة وما تزين به النساء فالامر واضح والاستثناء يكون من الجميع قال القرطبي في تفسيره الزينة على قسمين خلقية ومكتسبة فالخلقية وجهها فانه أصل الزينة والمكتسبة ما نحاوله المرأة في تحسين خلقها كالتياب والحلي والكحل والخضاب ومنه قوله تعالى خذوا زينةكم وعن ابن مسعود قال الزينة السوار والدمج والخلخال والقرط والقلادة الاماظهر منها قال السياب والجلاب وعنه قال الزينة ثيابان زينة ظاهرة وزينة باطنة لا يراها الا الزوج فاما الزينة الظاهرة فالتياب وأما الزينة الباطنة فالكحل والسوار والخاتم وفي لفظ فالظاهرة منها الثياب وما خفي الخللان والقرطان والسواران وعن ابن عباس في الآية قال الكحل والخاتم والقرط والقلادة وعنه قال هو خضاب الكف والخاتم وعن ابن عمر قال الزينة الظاهرة الوجه والكفان وقال ابن عباس الاماظهر منها أي وجهها وكفها والخاتم وعنه قال رقة الوجه وبطن الكف وعن عائشة أنها سئلت عن الزينة الظاهرة فقالت القلب

وأشفت ان يسبقني الى منزله ضربت بقدمي الارض فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا أو اسحق قال قلت نعم يا رسول الله قال فقه قلت لا والله الا انك ذكرت لنا اول دعوة ثم جاء هذا الاعرابي فشغلنا قال نعم دعوة ذي النون اذ هو في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فانه لم يدع عنهم اسلم ربه في شيء قط الاستحباب له ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد بن عبد الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد الأحمر عن كثير بن زيد عن المطلب بن حنطب قال أبو خالد أحسب ان مصعب بن عبد الله عن سعد بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا دعاء يونس استجيب له قال أبو سعيد ربه وكذا نجي المؤمنين وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار للكلابي حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد

عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعيد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به
أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يؤنس بن متى قال قلت يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال هي ليونس بن متى خاصة
ولجماعة المؤمنين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قول الله عز وجل فتدعى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين
فاسم تحييه الله ونحييه من النعم وكذلك نفي المؤمنين فهو شرط من الله لمن دعاه به وقال ابن أبي حاتم حدثنا شاذان بن عبد بن أبي
شريح حدثنا داود بن المغيرة بن محمد بن العرش عن كثير بن عبد الله قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به
أجاب واذا سئل به أعطى قال ابن أبي عمير أم تقرأ القرآن قول الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى قوله وكذلك نفي المؤمنين
ابن أبي هذا اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجب واذا سئل به أعطى (٢٩٩)

(وروي عن ابن أبي عمير ان ابن أبي حاتم حدثنا شاذان بن عبد بن أبي حاتم حدثنا داود بن المغيرة بن محمد بن العرش عن كثير بن عبد الله قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به
أجاب واذا سئل به أعطى قال ابن أبي عمير أم تقرأ القرآن قول الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى قوله وكذلك نفي المؤمنين
ابن أبي هذا اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجب واذا سئل به أعطى (٢٩٩)

والفخ وضمت طرف كلها وأخرج أبو داود والبيهقي وابن مردويه عن عائشة ان أسماء بنت
أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال
يا أسماء ان المرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح ان يرى منها الا هذا وأشار الى وجهه وكفه وهذا
مرسل لانه من طريق خالد بن دريك عن عائشة ولم يسمع منها واعمار خص في هذا القدر
للرأة ان تبديه من بدنها لان المرأة لا تجذب من مزاول الاشياء يدها ومن الحاجة الى
كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات
وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن قال الحلي فيجوز نظره أى نظرها يظهر منها الاجنبى
ان لم يخف فتنة في أحد وجهيها والثاني يحرم لانه مظنة الفتنة ورجح حسنه الباب انتهى
أى باب النظر عن تفاصيل الاحوال كالخلوقة الاحنية (وليضرب بن بخر من على جوب من)
البحر جمع خمار وهو ما تغطى به المرأة رأسها ومنه اختمت المرأة وتختمرت والجوب جمع
جب وهو موضع القطع من الدرع والقميص مأخوذ من الجوب وهو القطع وقيل المراد
بالجب هنا محمله وهو العنق والافهوفى الاصل طوق القميص وعدى الضرب بعلى
لتنضيه معنى الالتقاء والبازائدة أو تبعيضية وقال المفسرون ان نساء الجاهلية كن
يسدن خمرهن من خلفهن وكانت جوبهن من قدام واسعة فكان ينكشف شعورهن
وقلائدهن فأمرن ان يضربن مقانعهن على الجيوب ليست بذلك ما كان يبدونها وفى
لفظ الضرب مبالغة فى الالتقاء الذى هو الاصاق وقرئ خمرهن بفتح كيم وبكسر ها
وكثير من متقدمى النحويين لا يجوزون الكسر قال الزجاج يجوز ان تسدل من الضمة
كسرة أو ما ماروى عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر فعال لا يقدر الانسان ان يتكلم
به الا على الائمة وقد فسر الجهور والجوب بما قد منا وهو المعنى الحقيقي وقال مقاتل ان
معنى على جوبهن على صدورهن فالضاف محذوف أى على مواضع جوبهن وقد
أخرج البزارى فى صحيحه وأبو داود والنسائى والبيهقى وغيرهم فى سننهم عن عائشة قالت

فأصلها الله وهكذا قال محمد بن كعب والسدى والظاهر من السياق الاول وقوله انهم كانوا يسارعون فى الخيرات أى فى عمل
القربات وفعل الطاعات ويدعون تارعبا ورها قال الثورى رغبيا فاعندنا ورها ما عندنا وكانوا لما شاع بن علي بن أبي طلحة
عن ابن عباس أى مصدين بما أنزل الله وقال مجاهد مؤمنين حقا وقال أبو العالية حافين وقال أبو سنان انشوع هو الخوف
اللازم للقلب لا يفارق أبدا وعن مجاهد أيضا شاعين أى متواضعين وقال الحسن وقادرو الضحالك شاعين أى مذللين لله عز
وجل وكل هذه الاقوال متقاربة وقال ابن أبي حاتم حدثنا شاذان بن عبد بن أبي حاتم حدثنا داود بن المغيرة بن محمد بن العرش عن كثير بن عبد الله قال سألت الحسن فقلت يا أبا سعيد اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به
أجاب واذا سئل به أعطى قال ابن أبي عمير أم تقرأ القرآن قول الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الى قوله وكذلك نفي المؤمنين
ابن أبي هذا اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به أجب واذا سئل به أعطى (٢٩٩)

الهم كانوا يسارعون في الشهادة ويدعون تارعبا وروعبا كانوا الناحشين (والتي أحصت فرجها ففتحتنا فيمن رزقنا وجعلنا لها
 وانما آية العالمين) فكذلك ذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام بقراءة قصته ذكرها وابنها يحيى عليهما السلام فذكر
 أولا قصته ذكرها ثم تبعها بقصة مريم لان تلك مربوطه بهذه فانما العباد ولهم شيخ كبير قد طعن في السن ومن امره ان يحوز غافل
 تكن تلد في حال شابه ما يذكر قصة مريم وشي أعجب فانما العباد ولهم انبي بلذكر هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة مريم
 وعنه ذكر قصة زكريا ثم تبعها بقصة مريم بقوله والتي أحصت فرجها يعني مريم عليهما السلام كما قال في سورة التهم مريم
 انما عرنا التي أحصت فرجها فتفتنا من روحنا وقوله وجعلناها وابنا آية للعالمين أي دلالة على ان الله على كل شيء قدير
 وانما يتخطى ما يشاء وانما أمره اذا اراد شيان (٢٠٠) يكون له كن فيكون وهذا كقوله ولجعله آية للناس قال ابن أبي حاتم

حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي
 حدثنا أبو عاصم الضحاك بن
 مخلد عن شعيب بن عبد الله بن بشير
 عن عكرمة عن ابن عباس في قوله
 للعالمين قال العالمين الجن والناس
 (ان هذه أمكم) أمه واحدة وأنا
 ربكم فاعبدون وتقطعوا أمرهم
 بينهم كل مناراجعون فمن يعمل
 من الصالحات وهو مؤمن فلا
 كفر ان له عليه وآله كاتون قال
 ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير
 وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن
 أسلم في قوله ان هذه أمكم أمه
 واحدة يقول دينكم دين واحد
 وقال الحسن البصري في هذه الآية
 بين لهم ما يتقون وما يأتون ثم
 قال ان هذه أمكم أمه واحدة
 أي ستكم سنة واحدة فقوله
 ان هذه ان واسمها وأمكم خير
 ان أي هذه شر بعثكم التي بينت
 لكم ووضعت لكم وقوله أمه
 واحدة نصب على الحال ولهذا

رحم الله نساء المهاجرات الاولات لما أنزل الله وليضربن بجرمهن على جرمهن مشتقين
 أكفرهم ووطنين فاختربن به وأخرج الحاكم وصححه وابن جرير وغيرهما عنها بلقطا أخذ
 النساء أزهرن فشقتهن من قبل الخواشي فاختربن بها (ولا يدين رزقهن) أي مواضع
 الزينة الباطنة وهي ماعد الوجه والكفين كالصدر والساق والرأس ونحوها قال
 الخطيب أي الزينة الخفية التي لم يبع لهن كشفها في الصلاة ولا الجانب وقال أبو السعود
 صكر الزينة لاستثناء بعض مواضع الرخصة باعتبار الناظر بعدما استثنى بعض موارد
 الضرر باعتبار المنظور قال (الابوعولتين) أي لا يدين عن الجلباب والخمار ولا زواجهن
 والبلع خوارج الزوج والسيد في كلام العرب وقدم البعول لانهم المقصودون بالزينة ولان
 كل بدن الزوجة والسر به دلالة لهم ومثله قوله سبحانه والذين هم لزوجهم حافظون
 الاعلى أزواجهم وأما ملكة أميائهم فانهم غير ملوئين ثم استثنى الله سبحانه الزوج
 اتبعها يستثناء نوى المحارم فقال (أو آبائهن أو آبائهن بعولتين أو آبائهن أو آبائهن بعولتين
 أو أخواتهن أو أقرى أخواتهن أو بنى أخواتهن) فجوز للنساء أن يدينن عن خشيعة النفس من قبلهن لما في
 لهول لا لكثرة المخالطة الضرورية فيهن وبينهن وعدم خشية النفس من قبلهن لما في
 الطباع من التفرقة عن عامة القراب وقد روى عن الحسن والحسين رضي الله عنهما أنهما
 كانا لا ينظران إلى أمهات المؤمنين ذهابا منهما إلى ان آتت البعولة لم يذكر في الآية التي
 في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي قوله لا جناح عليهن في آباتهن والمراد بآباء
 بعولتهن ذكور أولاد الأزواج ويدخل في قوله أو آبائهن أو أولاد الأولاد أو أولاد
 بناتهن وإن سفلوا وكذلك آباء العولة وآباء الآباء والأمهات وأن علوا وكذلك آباء
 البعولة وإن سفلوا وكذلك أبناء الأخوة والأخوات وذهب الجمهور إلى أن العلم والخال
 كسائر المحارم في جواز النظر إلى ما يجوز زيارته وقال الشعبي وعكرمة ليس العلم والخال من
 المحارم قال الكرخي وعنده ذكر الأعمام والأخوال المان الاحوط ان يقتربن منهم حدثا

قال رأنا ربكم فاعبدون كما قال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعلموا اصلها إلى قوله وآنا
 ربكم فائقون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين معشر الانبياء أولاد علات فمناو احد يعني ان المقصود هو عبادة الله وجده
 لا شريك له بشر انما مشروعة لرسوله كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله وتقطعوا أمرهم بينهم أي اختلفت الامم
 على رسوله فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال كل مناراجعون أي يوم القيامة فتجاري كلاب محبب له ان خيرا خيرا وان شرا
 فشر ولهذا قال فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن أي قلبه مضيق وعمل عا صا لحافلا كفر ان له عليه كقوله انما النصيح آخر من
 أحسن عملا أي لا يكفر سبعة وهو عليه بل يشكر فلا ينظم مقابل ذوقه هذا قال وان الله كاتون أي يكتب جميع عمله فلا يصح عليه
 منه شيء (وحرلم على نرية أهلك كما هاتهم لا يرجعون حتى اذا فحت يا جوج وما جوج وهم من كل صلب ينسبون وايقون الوعد

الحق فإذا هي شاحصة أنصار الذين كذبوا وياويلنا قد كذبت عقولهم هذا بل كذا قال ابن عباس وجب يعني قد قدر أن أهل كل قرية أهل كذا منهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة هكذا أمر به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقادة وغير واحد وفي رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون أي لا يتوبون والقول الأول أظهر والله أعلم وقوله حتى إذا فحمت بأجوج ومأجوج قد قدمنا أنهم من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من أولاد نوح أي آل الترك والترك شريعة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين وقال هذا رجة من ربي فإذا جاء وعد ربي حقا وتركتهم لمؤذنين في بعض الآية وقال في هذه الآية الكريمة حتى إذا فحمت بأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون أي يسرعون في المشي إلى الفساد والحذب هو المرتفع من (٣٠١) الأرض قال ابن عباس وعكرمة وأبو صالح والنوري وغيرهم وهذه صفة هم في

حال آخر وجههم كأن السامع مثله لذلك ولا ينشك مثل خبير هذا الخبر عالم ما كان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والأرض لا اله الا هو وقال ابن جرير حدثنا محمد بن منشى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن يزيد قال رأى ابن عباس صبيانا ينزوي بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس هكذا يخرج بأجوج ومأجوج وقد ورد ذكر خروجهم في آحاد من عدة من السنة النبوية فالحديث الأول قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحق عن عاصم بن عمرو ابن قتادة عن محمد بن أبي سعدة الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفتح بأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حذب ينسلون فيخرجون

من ان يصفوهن لأنهم والمعنى ان سائر القربان تشترك مع الاب والابن في المحرمية الابن العم والخال وهذا من الدلالات البليغة في وجوب الاحتياط عليهن في النسيب وليس في الآية ذكر الرضاع وهو كالنسيب (أونسانهم) أي المختصات بهن من جهة الاشتراك في الايمان الملايسات لهن بالخدمة أو العبيدة ويخرج من ذلك نساء الكفار من أهل الذمة وغيرهم فلا يحل لهن ان يبدن زينتهن لهن لأنهن لا يتكرجن عن وصفهن للرجال وفي هذه المسئلة خلاف بين أهل العلم قال ابن عباس هن المسلمات لا تبديها ليهودية ولا نصرانية وهو النحر والقرط والوشاح وما يحرم من ابراه الاحرم وأخرج سعد بن منصور البيهقي وابن المنذر عن عمر بن الخطاب انه كتب إلى أي عبيدة أمأه بصفاته بلغني ان نساء من نساء المؤمنين يدخلن الحمامات مع نساء أهل الشرك فانه من قبلك عن ذلك فانه لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان ينظر إلى عورتها الا أهل ملتها (أولمأه) أي عبياتها فيجوز لهم نظرها الاما بين السرة والركبة فيحرم نظرها غير الاذن واج قاله الخليل وظاهر الآية يشمل العبيدة والامام من غير فرق بين أن يكونوا مسلمين أو كافرين وبه قال جماعة من أهل العلم واليه ذهب عائشة وأم سلمة وابن عباس ومالك وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم هذه الآية انما عني بها الاماء ولم يعن بها العبيد وكان الشعبي يكره أن ينظر المملوك إلى شعر مولاه وهو قول عطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وروى عن ابن مسعود وبه قال أبو حنيفة وابن جريج وقال ابن عباس لا بأس ان يرى العبد شعر سيده وأخرج البيهقي وأبو داود وغيرهما عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعد قد وهب لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنع به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما نلقى قال انه ليس عليك بأس انما هو أبوك وغلماك وهو ظاهر القرآن وأخرج عبد الرزاق وأحمد عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان لاحدا كن مكاتب

الناس وينجز المسلمون عنهم إلى مدائهم وحصولهم ويضعون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الارض حتى ان بعضهم أير بالزهر فشر بون ما فيه حتى يتركوه ما ساحت ان من بعدهم ليرينك الزهر فيقول قد كان ههنا ما مرة حتى اذا لم يبق من الناس احد الا احدي حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم بقاء أهل السماء قال ثمز أحد هدم حربه ثم يرحيهم إلى السماء فترجع اليه مخضبة دما بالبلاء والفتنة فيمنهم على ذلك بعث الله عز وجل دودا في أعناقهم كغف الجراد الذي يخرج في أعناقه فيصحبون موثقين لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا أنفسه فينظر ما فعل هذا العدو وقال فيمنع رجل منهم محتسبا نفسه قد أوطئها على ان يقتول فينزل فيجدهم موثقين بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أنبشروا ان الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائهم وحصولهم ويسرحون مواشيهم فيأكلون الهاربي الاطعمهم فتشكر عنه كالحسن

ما شكرت عن شيء من الثبات أصامة قط ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن ابي عمير به الحديث الثاني قال الامام
 أحمد أيضا حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حص
 حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه أنه سمع التماس بن سميان الكلبي قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الدجال ذات غداة فخص فيه ورفع حتى فتننا في ناحية الخلق قال غير الدجال أخوفني عليكم فإن يخرج وأنا فيكم فانا نجمة دونه
 وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ ينجح نفسه والله خليفتي على كل مسلم وأنه شاب جسد قط عينه طافية وأنه يخرج خلة
 بين الشام وال عراق فعاتبنا وشمالا يعباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله ما له في الأرض قال أربعين يوما ومائة سنة ويوم كشمس
 ويوم كجمعة ومائة سنة كما يأمكم قلنا (٣٠٢) يا رسول الله فذلك اليوم الذي هو كسنة أي كسنة صلاته يوم وليلة قال

لا اقدر ولا اقدره قلنا يا رسول الله
 غدا سر عني الأرض قال كالتيف
 استدبرته بالريح قال فير بالحي
 فدهرهم فيسحبون له فأمس
 السماء فقطر والأرض فنبت
 وتروح عليهم سارحتهم وهي
 أطول ما كانت ذراوا مده خواصر
 وأسبغهم ضروعا وتيسر بالحي
 فيدهرهم فيردون عليه قوله فتبعه
 أموالهم فيجرون محلين ليس
 لهم من أموالهم شيء ويمر بالحرية
 فيقول لها اخرجي كنوزك فتبعه
 كنوزها كعاسيب النحل قال
 ويأمر برجل فيقتل فيضربه
 بالسيف فيقطعه جرتين رمية
 الغرض ثم يدعوه فيقبل إليه
 فيبتهلهم على ذلك اذ بعث الله عز
 وجل المسيح بن مريم فينزل عند
 المنارة البيضاء شرقي دمشق بين
 مهرودين واضع يديه على أجنحة
 ملكين فيتهب فيسديك فيقتله
 عند باب الدار الشرقي قال فينبههم

وكان له ما يودى فلقب من
 ما عساه ما بين السر والركبة ويجوز للعبيد أيضا أن ينظر والده وان بكته والهن من
 أبدانهم ما عدا ما بين السر والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين
 (أو التابعين غير أولى الأربعة من الرجال) أصل الأربة والارب والمرأة بالحاجة والجمع
 ما رآه أي حواشي ومنه قوله سبحانه وفيه ما رآه من غير الذي قبيل المراد بغير أولى الأربعة من
 الرجال الحقاء الذين لا حاجة لهم في النساء وقيل البلوقيل المعين وقيل النصى وقيل
 الخنثى وقيل الشيخ الكبير وقيل هو الخنثى ولا وجه لهذا التخصص بل الجواب الذي
 بقي أنباء والنصى الذي بقي ذكره والعين والخنثى وهو للتشبه بالنساء والشيخ الهرم
 كالخنثى كذا أطلق الاكثرون وقال في الشامل لا يحصل للنصى النظر إلى أن يكبر ويهرم
 وتذهب شهرته وكذا الخنثى وبه قال شيخه القاضي أبو الطيب وأطلق أبو محمد البصري
 في النصى والخنثى وجهين والمراد بالاية ظاهرهما وهم من يتبع أهل البيت في فصول
 الطعام ولا حاجة له في النساء ولا يحصل منه ذلك في حال من الأحوال فدخل في هؤلاء من
 هو بهذه الصفة ويخرج من عداه قال ابن عباس في الآية هذا الذي لا يتبعي منه النساء
 وعنه قال هذا الرجل يتبع القوم وهو مغفل في عقله لا يكثر النساء ولا يتهنى النساء
 وعنه قال كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الاول لا يعار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع
 خمارها عنده وهو الاجت الذي لا حاجة له في النساء وعنه قال هو الخنثى الذي لا يقوم
 زبه وأخرج مسلم وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن عائشة قالت كان رجل يدخل
 على أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحشاوا يدعونه من غير أولى الأربعة فدخل
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو نعت امرأه قال إذا أقبلت
 أقبلت باربوع وإذا أدبرت أدبرت بشان قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يرى هذا
 يعرف ما هيئنا لا يدخلن عليكم فحجبوه (أو الطفل الذين لم يظهر واعلى عورات النساء)

كذلك إذا وحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم عليه السلام أني قد أخرجت
 عبادا من عبادي لا يدان لك بقتالهم فخرج عيسى إلى الطور فبعث الله عز وجل بأجوح ومأجوح كما قال تعالى وهم من كل
 حذب ينسلون فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل عليهم نغفا في رقابهم فيصيحون فرسي كوفت نفس واحدة فيهبط
 عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض ميتا الا تملأ زعمهم وتنهم فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل فيرسل عليهم طيرا
 كاعناق الخنث فيحلمهم فطر حهم حيث شاء الله قال ابن جابر حدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب وغيره قال فطر حهم
 بالمهيل قال جابر فقلت يا ابن زيدوا إن المهيل قال مطلع الشمس قال ويرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوما
 فيغسل الأرض حتى يتركها كالرغعة ويقال للأرض أنتي غرك ودرى بركك قال فيومثديا كل النور من الرمانه ويستظاين

الطفل

بقهفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقمة من الابل لتكني القنظام من الناس واللقمة من البقرة تكني القنذوالثاء من الغنم تكني اهل البيت قال فيناهم على ذلك ادبنا الله عز وجل ويحاطبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم او قال مؤمن ويبقي شرار الناس يتهارجون تهارج الحروب عليهم تقوم الساعة انقربنا خراجهم مسلم دون البخاري فروا مع بقية اهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح الحديث الثالث قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خاتمه قالت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب اصبعه من لدغة عقرب فقال انكم تقولون لا عدو لكم وانكم لاتزالون تقتلون عدوا حتى يأتي بأجوج ومأجوج عراض الوجوه صفارا العيون صهب الشعاف من كل حذب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة وكذا روى ابن أبي حاتم من حديث (٢٠٣) محمد بن عمرو عن خالد بن عبد الله بن حرملة

المدلجي عن خاتمه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره مثله سواء. * الحديث الرابع قد تقدم في آخر تفسير سورة الاعراف من رواية الامام أحمد عن هشيم عن العوام عن جهم بن سفيان عن مرثد بن عوف عن ابن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقيت ليلة أسري بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام قال فذا كروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا أعلم لي بها فردوا أمرهم الى موسى فقال لا أعلم لي بها فردوا أمرهم الى عيسى فقال اما وجبتا فلا يعلم بها أحد الا الله وفيما عهد الى ربى ان الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله اذا رآني حتى ان الحجر والشجر يقول يا مسلم انت حق كافر افعال فاقله قال فيهلكهم الله ويرجع الناس

الطفل يطلق على المفرد والمثنى والمجوع أو المراد به هنا الجنس الموضوع موضع الجمع بدلالة وصفه بوصف الجمع وفي مصنف أبي أو الاطفال على الجمع قاله ابن قتيبة قبل معناه لم يبلغوا حد الشهوة قاله القراء الجاج يقال ظهرت على كذا اذا غلبته وقهرته والمعنى لم يبلغوا على عورات النساء ويكشفوا عنهن الجماع أو لم يبلغوا حد الشهوة للجماع وقيل لم يعرفوا العورة من غيرهما من الصغر وقيل لم يبلغوا أو ان القدرة على الوطء من ظهر على فلان اذا قوى عليه وقيل لم يحتمل قرا الجمهور عورات يسكنون الواو تخفيفا لحرف العلة وهى لغة جمهور العرب وعامتها وقرئ بفكها وهى لغة هذيل بن مدركة والعورات جمع عورة وهى ما يريد الانسان ستره من بدنه وغلب في السواكين واختلف العلماء في وجوب سترها عدا الوجه والكفين من الاطفال فقيل لا يلزم لانه لا تكليف عليه وهو الصحيح وقيل يلزم لانها قد تشبه المرأة وهكذا اختلف في عورة الشيخ الكبير الذى قد سقطت شهوة به الاولى بقاء الحُرمة كما كانت فلا يحل النظر الى عورته ولا يحل له ان يكشفها وقد اختلف العلماء في حد العورة قال القرطبي أجبع المسلمون على ان السواكين عورة من الرجل والمرأة وان المرأة كلها عورة الا وجهها وبديها على خلاف في ذلك وقال الاكثران عورة الرجل من سترته الى ركبتيه قال ابن عباس الزينة التى تبديها الهولاء قرطها ولا بدتها وسوارها قاما خلتها وما معصدها ونحرها وشعرها فانها لا تبديها الا زوجهما ومجموع هذه المستثنيات الثا عشر نوعا (ولا يضر بن بارجلون ليعلم ما يخفين من زينتهن) أى لا تضرب المرأة برجلها اذا مشى لسمع صوت خفها لهما من يسمعه من الرجال فيعلمون انها ذات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهن ان لهم ميلا الى الرجال وهذا سد باب المحرمات وتعليم للاحوط والافصوت النساء ليس بعورة عند الشافعي فضلا عن صوت خفها لهن وقال الزجاج وسماح هذه الزينة أشد تحريكا للشهوة من ابدائها قال ابن عباس في الآية وهو ان تفرع الخلل بالآخر عند الرجال او تكون في رجلها اخلاخل فتعكرهن عند

الى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج مأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيطؤون بلادهم لا يؤتون على شئ الا أهلكوه ولا يبرون على ماء الا شربوه قال ثم يرجع الناس الى أوطانهم يسكنونهم فأدعوا الله عليهم فهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نثر بيحهم وينزل الله المطر فيجترأ أجسادهم حتى يقدفهم في البحر فبقيا عهدا الى ربى ان ذلك اذا كان كذلك ان الساعة كالحامل المملى لا يدري أهلها متى تقبضهم يولدها بالاء ونهارا ورؤاه ابن ماجه عن محمد بن بشارة عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب بنحوه وزاد قال العوام وجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل حتى اذا قطعت مأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون ورؤاه ابن جرير ههنا من حديث ابن جهم بن هلال عن أبي الصيف قال قال كعب اذا كان عند نحر ورج مأجوج ومأجوج وابن أبي حاتم من حديث معمر بن غير واحد عن جهم بن هلال عن أبي الصيف قال قال كعب اذا كان عند نحر ورج مأجوج ومأجوج

حقر وأحق يسمع الذين يلوهم قرع فوسهم فاذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول نبي عذافخرج فعبده الله كما كان
 فيحيثون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحقرونه حتى يسمع الذين يلوهم قرع فوسهم فاذا كان الليل ألقى الله على لسان
 رجل منهم يقول نبي عذافخرج ان شاء الله فيحيثون من الغد فيجدونه كما تركوه فيحقرون حتى يخرجوا فتر الزمرة الاولى بالبحيرة
 فيشر بون ماء هاتم ثم الزمرة الثانية فيحسبون طينها ثم الزمرة الثالثة فيقولون قد كان هاتم مة ما فبقير الناس منهم فلا يقوم
 لهم شيء ثم يرحلون بها منهم الى السماء فترجع اليهم مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الارض وأهل السماء فيقيد عليهم عيسى
 ابن مريم عليه السلام فيقول اللهم لا طاقة ولا يد لنا بهم فاكفناهم عما شئت فيسلط الله عليهم دود ايقال له النعف فيقرس رقابهم
 ويبعث الله عليهم طيرا تأخذهم عن اقربها (٣٠٤) فتلقهم في الجبر ويعث الله عينا يقال لها الحيا يطهر الله الارض ويثبتها

الرجال فنبى الله عن ذلك لانه من عمل الشيطان وسماع صوت الزينة كاظهارها ومنه
 سمى صوت الحلي وسوا ساقبه به على ان الذي لا جله نبي عنه ان يعلم ما عليهم من الحلي
 وغيره وفي القرطبي من فعل ذلك من فرح بجليهم فهو مكرود ومن فعل ذلك منهم تبرجا
 وتعرض للرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب بعله الارض من الرجال ان فعل
 ذلك يجبر حرام فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرج عالم يحرم انتهى ثم ارشد سبحانه عباده
 الى التوبة عن المعاصي فقال (ووبوا الى الله جميعا اية المؤمنين) مما وقع لكم من
 النظر الممنوع منه ومن غير وفيه الامر بالتوبة ولا خلاف بين المسلمين في وجوبها وانها
 فرض من فرائض الدين قيل العبد لا يتخلص من سهو ويقصر في أوامره ونواهيه وان
 اجتهد فلذا واصلها جميعا بالتوبة وقد تقدم الكلام على التوبة في سورة النساء وقيل
 ان المراد بالتوبة هنا هي عما كانوا يعملونه في الجاهلية والاول اولى لما تقرر في السنة
 ان الاسلام يجب ما قبله وقد وردا حديث في الامر بالتوبة والاستكثار من ما قبله وأجوج
 الناس الى التوبة من فوهم ان ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان
 لا ينافي الايمان ثم ذكر ما يرغهم في التوبة فقال (اعلمكم تفعلون) أي تفوزون
 بسعادة الدنيا والاخرة أو تتجنبون من ذلك القبول التوبة منه وفي الآية تغليب الذكور
 على الاناث ولما أمر سبحانه بغض الابصار وحفظ القروج ارشد بعد ذلك الى ما يحل للعباد
 من التكاثر الذي يكون به قضاء الشهوة وسكون دواي الزنا ويسمل بعده غرض البصر
 عن جميع المحرمات وحفظ الفرج عما لا يحل فقال (واستكبروا الايامي منكم) الايام
 بالثبوت الى لا زوج لها ومن ليس له زوجة فيشغل الرجل والمرأة الغير المتزوجين والجمع
 أي ايامي والاصل ايام قال أبو عمرو والكسائي اتفق أهل اللغة على ان الايام في الاصل هي
 المرأة التي لا زوج لها بكرة كانت أو ثيبا قال أبو عبيد قال رجل أيم واهة أيم وأكثر
 ما يكون في النساء وهو كالمستعار في الرجال والخطاب في الآية للاولياء والسادة وقيل

الرجال فنبى الله عن ذلك لانه من عمل الشيطان وسماع صوت الزينة كاظهارها ومنه
 سمى صوت الحلي وسوا ساقبه به على ان الذي لا جله نبي عنه ان يعلم ما عليهم من الحلي
 وغيره وفي القرطبي من فعل ذلك من فرح بجليهم فهو مكرود ومن فعل ذلك منهم تبرجا
 وتعرض للرجال فهو حرام مذموم وكذلك من ضرب بعله الارض من الرجال ان فعل
 ذلك يجبر حرام فان العجب كبيرة وان فعل ذلك تبرج عالم يحرم انتهى ثم ارشد سبحانه عباده
 الى التوبة عن المعاصي فقال (ووبوا الى الله جميعا اية المؤمنين) مما وقع لكم من
 النظر الممنوع منه ومن غير وفيه الامر بالتوبة ولا خلاف بين المسلمين في وجوبها وانها
 فرض من فرائض الدين قيل العبد لا يتخلص من سهو ويقصر في أوامره ونواهيه وان
 اجتهد فلذا واصلها جميعا بالتوبة وقد تقدم الكلام على التوبة في سورة النساء وقيل
 ان المراد بالتوبة هنا هي عما كانوا يعملونه في الجاهلية والاول اولى لما تقرر في السنة
 ان الاسلام يجب ما قبله وقد وردا حديث في الامر بالتوبة والاستكثار من ما قبله وأجوج
 الناس الى التوبة من فوهم ان ليس له حاجة الى التوبة وظاهر الآية يدل على ان العصيان
 لا ينافي الايمان ثم ذكر ما يرغهم في التوبة فقال (اعلمكم تفعلون) أي تفوزون
 بسعادة الدنيا والاخرة أو تتجنبون من ذلك القبول التوبة منه وفي الآية تغليب الذكور
 على الاناث ولما أمر سبحانه بغض الابصار وحفظ القروج ارشد بعد ذلك الى ما يحل للعباد
 من التكاثر الذي يكون به قضاء الشهوة وسكون دواي الزنا ويسمل بعده غرض البصر
 عن جميع المحرمات وحفظ الفرج عما لا يحل فقال (واستكبروا الايامي منكم) الايام
 بالثبوت الى لا زوج لها ومن ليس له زوجة فيشغل الرجل والمرأة الغير المتزوجين والجمع
 أي ايامي والاصل ايام قال أبو عمرو والكسائي اتفق أهل اللغة على ان الايام في الاصل هي
 المرأة التي لا زوج لها بكرة كانت أو ثيبا قال أبو عبيد قال رجل أيم واهة أيم وأكثر
 ما يكون في النساء وهو كالمستعار في الرجال والخطاب في الآية للاولياء والسادة وقيل

عليه وسلم ليحجن هذا البيت وليعقرن بعد دخرج بأجوج ومأجوج انشربا خراج الجحاري وقوله
 واقترب الوعد الحق يعني يوم القيامة اذا حصلت هذه الاحوال والازلال والبلابل أنزلت الساعة واقتربت فاذا كانت وقعت
 قال الكافرون هذا يوم عسر ولهذا قال تعالى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا أي من شدة ما يشاهدونه من الامور العظام
 يا ولنا أي يقولون يا ولنا قد كفى غفلة من هذا أي في الدنائل كآطامين يعترفون بظلمهم لانفسهم حيث لا يتقنعهم ذلك
 (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انهم لها واردون) لو كان هؤلاء الهة ما وردوا وكل فيها خالدون لهم فيها نعيم وهم
 فيها لا يسمعون ان الذين سبقوا لهم من الجنة أولئك عندهم ابعدون لا يسمعون نجيبها وهم فيها اشبهت انفسهم خالدون
 لا يخزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون يقول تعالى مخاطبا لاهل مكة من مشركي قريش

ومن دان بدنيهم من عدة الاصنام والاوربان انكم وما تعبدون من دون الله خصب جهنم قال ابن عباس أي وقودها يعني كقولها وقودها الناس والحجارة . وقال ابن عباس أيضا خصب جهنم يعني شجر جهنم . وفي رواية قال خصب جهنم يعني خصب جهنم بالنخبة . وقال مجاهد وعكرمة وقادة حطموها . وكذلك في قراءة علي وعائشة رضي الله عنهما . وقال الضحاك خصب جهنم أي ما يرمى به فيها وكذلك قال غيره والجيع قريب . وقوله أنتم لها واردون أي داخلون . لو كان هؤلاء آلهة ما وردوا يعني لو كانت هذه الاصنام والابدان التي اتخذوها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار وما دخلوها كل فيها خالدين أي العابدون ومعبوداتهم . كلهم فيها خالدين لهم فيها زفير فكما قال تعالى لهم فيها زفير وشهيق والزفير خروج أنفاسهم والشهيق ولوح أنفاسهم وهم فيها لا يسعون قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا علي بن محمد (٣٠٥) الطنافسي حدثنا ابن فضال حدثنا عبد الرحمن يعني المسعودي عن أبيه قال قال

ابن مسعود اذ بقي من يتكلم في النار جعلوا في نوايت من نار فيها مسلمين نار فلا يرى أحد منهم انه يعذب في النار غيره ثم تلا عبد الله لهم فيها زفير وهم فيها لا يسعون ورواه ابن جرير من حديث حجاج ابن محمد عن المسعودي عن يونس ابن حبان عن ابن مسعود فذكره وقوله ان الذين سمعت لهم منا الحسنى قال عكرمة الرحة وقال غيره السعادة أولئك عنهما سعدون لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شرهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سمعت لهم من الله السعادة واسلفوا الاعمال الصالحة في الدنيا كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقال هل جزاء الاحسان الا الاحسان فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله ما بهم وثوابهم ونجىهم من العذاب وحصل لهم جزيل

للزواج والاول أربع وفيه دليل على ان المرأة لا تنكح نفسها عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال أيا امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا آخره أبو داود والترمذي . وعندهما عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نكاح الا بولي وقد خالف في ذلك أبو حنيفة فجوز للمرأة تزويج نفسها واختلف أهل العلم في هذا النكاح هل هو مباح أو مستحب أو واجب فذهب إلى الاول الشافعي وغيره وإلى الثاني مالك وأبو حنيفة وإلى الثالث بعض أهل العلم على تفصيل لهم في ذلك فقالوا ان خشى على نفسه الوقوع في المعصية وجب عليه والا فلا والظاهر ان القائلين بالاباحة والاستحباب لا يخالفون في الوجوب مع تلك الخشية وبالجملة فخرج مع عدم ممانعة من السنن المؤكدة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح بعد تزويجه في النكاح ومن رعب عن سني فليس مني ولكن مع القدرة عليه وعلى مؤنه . وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء آخره البخاري ومسلم قال ابن عباس أمر الله سبحانه بالنكاح وزعمهم فيه وأمرهم ان يزوجوا أحرارهم وعبيدهم وعندهم في ذلك الغنى كما سيأتي وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال أطبعوا الله فيما أمركم من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى وعن قتادة قال ذكر لنا ان عمر بن الخطاب قال ما رأيت كرجل لم يلقس الغنى في الباءة وقد وعد الله فيها ما وعد فقال ان يكونوا فقراء الآية وعن ابن مسعود نحوه . وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انكحوا النساء فانهم يأتينكم بالمال آخره الزاوي والدارقطني وأخرجه أبو داود في مسنده عن عروة عن فروعا وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف والمكاتب يريد الاداء والغارر في سبيل الله . وقد ورد في التعقيب في مطلق النكاح أحاديث كثيرة وليس هذا

(٢٩ - فتح البيان سادس) الثواب فقال أولئك عنهما سعدون لا يسعون حسيهما أي يحرقهما في الاجساد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفا بن حاتم حدثنا جادين سلمة عن أبيه عن أبي عثمان الجوري (٣) عن أبي عثمان لا يسعون حسيهما قال حيات على الصراط تلسعهم فاذا سعتهم قال حسن حسن وقوله وهم فيما اشبهت أنفسهم خالدين فسلمهم من المجدور والمرفوب وحصل لهم المطاوب والمحجوب قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن ايوب بن أبي سلمة عن ابن عم النعمان بن بشير قال وسمر عن علي ذات ليلة تقرأ ان الذين سمعت لهم منا الحسنى أولئك عنهما سعدون قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم وطخمة منهم وعبد الرحمن منهم وقال سعد منهم قال وأقيم الصلاة وقام وأطبع عيونه وهو يقول لا يسعون حسيهما أو قال شعبة عن أبي بشر عن يوسف المكي وعن محمد بن حاطب (٣) قوله عن أبي عثمان الجوري عن أبي عثمان الخبيذ في الأصل وجرر ٥١

قال سمعت علياً يقول في قوله ان الذين سبقت لهم من الحسنى قال عثمان وأصحابه ورواه ابن أبي حاتم أيضاً ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد وليس بابن جابر عن محمد بن حاطب عن علي فذكره واقتضه عثمان منهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ان الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عندهم بعدون فاولئك أولياء الله يعمرون على الصراط هم عزير والمسيح كما قال حجاج الكفاري اجنبا فهدى امطابق لما ذكرناه وقال آخر بن زل استثنى من المعبودين وخرج منهم عزير والمسيح كما قال حجاج ابن محمد الا عور عن جرير وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون ثم استثنى فقال ان الذين سبقت لهم من الحسنى فيقال لهم الملائكة وعيسى ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل وكذا قال عكرمة والحسن وابن جرير وقال (٢٠٦) النخعي عن ابن عباس في قوله ان الذين سبقت لهم من الحسنى قال نزلت

موضع ذكرها والمراد بالايها ههنا الاخر اروا الحارث وأما المالك فقد بين ذلك بقوله (والصالحين من عبادكم وامائكم) وقرئ عبيدكم والصلاح هو الايمان وقيل القيام بحقوق النكاح حتى يقوم العبد بما يلزمه واطاعة الامة بما يلزمه لا لزوم والمراد بالصلاح ان لا تكون صغيرة لا تحتاج الى النكاح وخسر الصالحين بالذكري حصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين منهم هم الذين ما اليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في المودة وكاؤامطة التوصية والاهتمام بهم ومن ليس بصالح حاله على العكس من ذلك وذكريه الصلاح في الممالك دون الاخر لان الغالب في الاخر اراصلاح بخلاف الممالك وفيه دليل على ان المملوك لا تزوج نفسه وانما تزوج وجهه يتولى تزويجه ماله وسيدوه وقد ذهب الجمهور الى انه يجوز للسيد ان يكرمه عبده وامته على النكاح وقال مالك لا يجوز ثم رجع سبحانه الى الكلام في الاخر فقال (ان يكونوا فقرا يغنيهم الله من فضله) أي لا تمتنعوا من تزويج الاخر اربسب فقد الرجل والمرأة أو احدهما ما لانهم ان يكونوا فقرا يغنيهم الله سبحانه ويتفضل عليهم بذلك فان في فضل الله غنية عن المال فانه قادر رائج قال الزجاج حدث الله على النكاح وأعلم انه سبب النقي الفقر ولا يزال ان يكون هذا حاصل لكل فقير اذا تزوج فان ذلك مقيد بالمسئمة وقد وجد في الخارج كثير من الفقراء لا يحصل لهم النقي اذا تزوجوا وقيل المعنى انه يغنيهم بغنى النفس أي التناعه وقيل المعنى ان يكونوا فقرا الى النكاح يغنيهم الله من فضله بالاحلال لئلا يفقوا عن الرنا والوجه الاول اولى ويدل عليه قوله سبحانه وان خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فيجمل المطلق هنا على المقيد هناك وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج والزوجة وقيل ان الله وعد الغنى بالنكاح بالفرق وهو قوله وان يتفرقا يغني الله كلاما من سمعته وجله (واقه واسع عليهم) مقرر لما قبلها ومؤكدة والمراد انه سبحانه ذو سعة لا ينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه من عبادهم بمصالح خلقه يغني من يشاء ويفقر من يشاء ثم

في عيسى بن مريم وعزير عليه السلام وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن عيسى بن ميمونة حدثنا أبو زهير حدثنا سعد بن طريف عن الاصمغ عن علي في قوله ان الذين سبقت لهم من الحسنى قال كل شيء يعبد من دون الله في النار الا الشمس والقمر وعيسى بن مريم اسناداه ضعف وقال ابن أبي شيحة عن مجاهد أولئك عندهم بعدون قال عيسى وعزير والملائكة وقال الضحاك عيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر وكذا روى عن سعيد بن جبيرة وأبي صالح وغير واحد وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا غير ما جادا فقال حدثنا الفضل بن يعقوب الرضائي حدثنا سعد بن مسلم بن عبد الملك حدثنا الليث بن أبي سليم عن مغيث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عنها

بعدون قال عيسى وعزير والملائكة وذكر بعضهم قصة ابن الزبير ومناظرة المشركين قال أبو بكر ابن مردويه حدثنا محمد بن علي حدثنا سهل حدثنا محمد بن حسن الخطاطبي حدثنا ابراهيم بن محمد عن عروة حدثنا يزيد بن أبي حكيم حدثنا الحكم يعني ابن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن الزبير الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم ان الله أنزل عليك هذه الآية انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال ابن الزبير قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا فزلت ولم اضرب ابن مريم مثلاً اذ قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ماض بوهك الاجد لا بل هم قوم خصمون ثم نزلت ان الذين سبقت لهم من الحسنى أولئك عندهم بعدون ورواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الاحاديث المختارة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قيس بن عبيد حدثنا سفيان يعني الدوري

ذكر

عن الاعمش عن افعابه عن ابن عباس قال لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون قال المشركون فاما تلك وعزير وعيسى يعبدون من دون الله فزلت لو كان هؤلاء الالهة ما وردوا التي يعبدون الالهة وكل فيها خالدون وروى عن ابي كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فزلت ان الذين سبقتم لهم منا الحسنى اولئك عنكم ما يعبدون وقال محمد بن اسحق بن يسار رحمه الله في كتاب السير وقول جالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة في المسجد فشاء النضر بن الحرث حتى جالس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرض له النضر بن الحرث فقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخذمه وتلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون الى قوله وهم (٣٠٧) فيها لا يسمعون ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبل عبد الله بن الزبير

السهمى حتى جلس معهم فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير وعيسى والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب انما ولا قد قد زعم محمد انا وما نعبدهم الهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبير عيسى اموال الله ووجدته لخصه ففسدوا محمد كل ما يعبدون دون الله في جهنم مع من عبده فحينئذ يعبد الملائكة واليهود تبعه عزير والنصارى تبعه المسيح عيسى بن مريم فحبب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبير ورواه الله قد احب وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كل من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشيطان ومن امرهم بعبادته وانزل الله ان الذين سبقتم لهم من الحسنى اولئك عنكم ما يعبدون

ذكر سبحانه حال العاجزين عن النكاح بعد بيان جوازنا حكمهم ارشاد الهيم الى ما هو الاول فقال (وليست تعتق الذين لا يجدون نكاحا) يقال استعفا اذا طلب ان يكون عفا اي لطيب العفة عن الزنا والحرام من لا يجد سبب نكاح وهو المال وقيل النكاح هنا ما يشك به المرأة من المهر والنفقة كالخفاف اسم لما يلحف به واللباس اسم لما يلبس قال ابن عباس ليتزوج من لا يجد فان الله سيغنيه وقد سبحانه هذا النبي بملك الغاية وهي (حتى يغنيهم الله من فضله) أي رزقهم رزقا يستغنون به ويتمكنون بسببه من النكاح وفي هذه الآية ما يدل على تقدير الجلة الاولى وهي ان يكونوا اقرا يغنيهم الله بالمشيئة كما ذكرنا فانه لو كان وعدا احتمالا لكان في حصوله لكان الغنى والزواج متلازمين وحينئذ لا يكون للأمر بالاستعفاء مع النقص كغير فائدة فانه يستغنى عند تزوجه لا لانه لا يحصل في تزوجه مع فقره فتحصل للغنى الآن يقال ان الأمر بالاستعفاء للعاجزين عن تحصيل مبادئ النكاح ولا ينافي ذلك وقوع الغنى لمن بعد ان ينكح فانه قد صدق عليه انه لم يجد نكاحا اذا كان غير واجدا لسببه التي يتحصل بها واعظمها المال وانظر كيف رتب هذه الاوامر فامر اولها بما يصعب من الفتنه ويبعد عن موافقة المعصية وهو غرض البصر ثم بالنكاح المحصن للدين الغنى عن الحرام ثم بعزة النفس الامارة بالسوء عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح الى ان يقدر عليه ثم لما رغب سبحانه في تزويج المؤمنين من العبيد والاماء ارشد المساكين الى طريقة يصير بها المولود من جلة الاحرار فقال (والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايما نكاحكم) من العبيد والاماء والكتاب مصدر كتاب كالمكتوبة يقال كاتب يكتب كتابا ومكتوبة كما يقال قاتل يقتل قتالا ومقاتله وقيل الكتاب ههنا اسم عين للكتاب الذي يكتب فيه الشيء وذلك لانهم كانوا اذا كتبوا لعبد كتبوا عليه وعلى انفسهم بذلك كتابا فيكون المعنى الذين يطلعون كتاب المكتوبة ومعناها في الشرع ان يكتب الرجل عبده على مال يؤديه مخجما فاذا اداه فهو حر عن عبد الله بن

لا يسمعون حسيبها وهم فيما اشتهت انفسهم خالون أي عيسى وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين رضوا على طاعة الله فاتخذهم من يعبدونهم من أهل الضلالة اربابا من دون الله ونزل فيما يذكر انهم يعبدون الملائكة وانهم بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الى قوله ومن يقل منهم الى الامن دونه فذلك شجر يهيجهم كذلك تجزى الظالمين ونزل فبما ذكر من امر عيسى وانه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حبه وخصومة ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خيرة أم هو ما ضربه له الاجدل بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد انما نعنا عليه وجعلناه مثلا لابي اسراييل ولونشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخفون وانه لم يعلم للساعة فلا تعترن بها أي ما وضعت على يديه من الايات من احياء الموتى وبراء الاسقام فكفي به دليلا على علم الساعة يقول فلا تعترن بها واتبعوه هذا صراط مستقيم وهذا الذي قاله ابن

الزبيرى خطأ كبيراً إلا أن الآية انفردت بخطاب الأهل مكة في عبادتهم الأصنام التي هي جاد لا يعقل ليكون ذلك متبرعاً وتوابعاً لعابديها ولينذا قال أنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فيكفكم يورد على هذا المسجع والزهري وشيوخه ما عن له على صالح ولم يرض بعبادة من عبده وعول ابن جرير في تفسيره في الجواب على أن ما لم لا يعقل عند العرب وقد أسلم عبد الله بن الزبير بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين وقد كان يهاجى الملمين أولاً ثم قال معتزلاً يا رسول الله إن لسانى * راقى ما فقت اذا تأبور اذا جرى الشيطان فى سنن السقي ومن مال به مشهور وقوله لا يحزنهم القرآن الكبر قيل المراد بذلك الموت روى عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة عن عطاء وقيل المراد بالقرآن الكبر النخعة في الصور قاله العوفي عن ابن عباس وابوستان سعيد بن سنان الشيباني واختاره ابن جرير في تفسيره وقيل حين يؤمر (٣٠٨) بالعبادة التي تارة قاله الحسن البصري وقيل حين تطلق النار على أهلها قاله

[illegible]

الحسين ان السجل ملك وقال السدي في هذه الآية السجل ملك موكل بالضعف فاذا مات الانسان رفع كتابه الى السجل فطواه ورفعه الى يوم القيامة وقيل المراد به اسم رجل يحياى كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم الوحي قال ابن ابي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا فوخ بن قيس عن عمرو بن مالك عن ابي الجوزاء عن ابن عباس يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب قال السجل هو الرجل قال فوخ واخبرني يزيد بن كعب هو المعوذى عن عمرو بن مالك عن ابي الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم وهكذا رواه ابو داود والنسائي كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن فوخ بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن ابي الجوزاء عن ابن عباس قال السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم ورواه ابن جرير عن نصر بن علي الجهضمي كما تقدم ورواه ابن عدى من رواية يحيى بن عمرو بن مالك التكري عن ابيه (٣٠٩) عن ابي الجوزاء عن ابن عباس قال كان

لرسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يسمى السجل وهو قوله يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب قال كطي يطوى السجل للكتاب كذلك نطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ وقال الخطيب البغدادي في تاريخه ائنا نا أبو بكر الرقاني ائنا نا محمد بن محمد بن يعقوب الخجاسي ائنا نا أحمد بن الحسن الكرخي أن جده ابن سعيد حدثهم عن عبد الله بن نمير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا منكر جده من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلا وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضا وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وان كان في سنن أبي داود منهم شيخنا الحفاظ الكبير أبو الخجاج المزني فسمع الله في عمره ونسأ في أجله

كثير ان اسناده صحيح وعن يحيى بن كثير قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان علمهم فيهم حرفه ولا ترساوهم كالأعلى الناس أخرجه أبو داود في المراسيل والبيهقي في سننه ولا يجوز الكتابة على أقل من نجمين عند الشافعي وجمهورها أبو حنيفة الى نجم واحد وقيل ان الأمر طلق فيقولون لا يؤجل ولا يؤججما وغيرهم ثم أمر سبحانه المولى بالاحسان الى المكاتب فقال (واؤنهم من مال الله الذي آتاكم) في هذه الآية الأمر للمالكين باعانة المكاتبين على مال الكتابة اما بان يعطوهم شيئا من المال أو بان يحطوهم بما كتبوا عليه وظاهر الآية عدم تقدير ذلك بتقدير وقيل الثلث وقيل الربع وقيل العشر ولعل وجه تخصيص المولى بهذا الأمر هو كون الكلام فيهم وسياق الكلام معهم فانهم هم المأمورون بالكتابة وقال الحسن والخضري بزيادة ان الخطاب بقوله وأؤنهم لجميع الناس وقال يزيد بن أسلم ان الخطاب للولايان يعطو المكاتبين من مال الصدقة حظهم كافي قوله سبحانه وفي الرقاب وللمكاتب أحكامهم وعرف قد اذ وفي بعض مال الكتابة قال ابن عباس أي ضعوا عنهم من مكاتبهم وعن نافع قال كان ابن عمر يكره ان يكتب عبده اذا لم تكن له حرفه يقول لضعه مني من أوصاخ الناس وعن ابن عباس في الآية قال أمر الله المؤمنين ان يعينوا في الرقاب وعن علي بن أبي طالب أمر الله السيدان يدع للمكاتب الربع من ثمنه وهذا تعلم من الله ليس بفرصة ولكن فيه أجر وقال صاحب الجلال ان الأمر للوجوب وعن يزيد في الآية قال حدث الناس على ان يعطوهم ثم انهم سبحانه لما أرشد المولى الى نكاح الصالحين من المماليك نهي المولى عما كان يفعله أهل الجاهلية من اكرامهم على الزنا فقال (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء) المراد بالفتيات هنا الاماء وان كان الفتى والفتاة قد يطلقان على الآخر ارفى مواضع آخر والفتى الشاب والفتاة الشابة والبغاء بالكسر والمد مصدر بغت المرأة تبغي بغاء اذا زنت وفحرت وهذا مختص بزنا النساء فلا يقال لارجل اذا زنى انه بغي قاله الاخرى والجمع البغايا والبغى القيسة وان كانت

ونتم له صالح عاقد وقد أوردت لهذا الحديث جزءا على حديثه والله الجرد وقد تصدى الامام أبو جعفر ابن جرير لا نكار على هذا الحديث ورده أتم وقد لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكاب النبي صلى الله عليه وسلم معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكاره هذا الحديث وأما من ذكره في أسماء الصحابة فانما اعتد على هذا الحديث لاعلى غيره والله أعلم والصحيح عن ابن عباس ان السجل هو الصحيفة قاله علي بن أبي طلحة والعوفي عنه ونص عن ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لانه المعروف في اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام يوم نطوى السماء كطي السجل للكتاب أي على الكتاب بمعنى المكتوب كقوله فلما أسلموا دولة للبعين أي على الجبين وله نظائر في اللغة الله أعلم وقوله كابدنا أول خلق نعبده وعدا علينا انا كفاحا ليعني هذا كاش لا محالة يوم يعبده الله الخلاق خلقا جديدا كابدهم هو القادر على اعادتهم وذلك واجب الوقوع لان من جله وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على ذلك ولهذا قال انا كفاحا ليعني وقال الامام حنبل وكعب وابي جعفر

وعفان المعنى قالوا أحدنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قالهم فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرغوة فقال انكم محشورون الى الله عز وجل حذقة مراة غرا كما بدأنا اول خلقه نعمه وعدا علينا انا كفافا عين وذ كرتام الحديث اخرجاه في الصحاح من حديث شعبة كره البخاري عنده هذا الاية في كتابه وقد روى ليث بن ابى سليم عن مجاهد عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ذلك وقال العوفي عن ابن عباس في قوله كما بدأنا اول خلقه نعمه قال هلاك كل شيء كما كان أول مرة (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذ كر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا بلاغا لقوم عابدين وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) يقول تعالى مخبرا عما احق به وقضا له اعباده الصالحين من السعادة في الدنيا وال الآخرة ورئاسة الا رض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى ان الارض لله يومئذ يمشاء (٢١٠)

الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقال
وعد الله الذين آمنوا وامنكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الارض
كما استخلف الذين من قبلهم وليكنن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم وأخبر
تعالى ان هذا مسطور في الكتب
الشرعية والقدرية وهو كائن
لاحالة ولهذا قال تعالى واقد
كتبنا في الزبور من بعد ذلك قال
الاعمش سألت سعيد بن جبيرة عن
قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور
من بعد ذلك **كر** فقال الزبور
التوراة الانجيل والقرآن وقال
مجاهد الزبور الكتاب وقال ابن
عباس والسجعي والحسن وقتادة
 وغير واحد الزبور الذي انزل على
داود **والذکر** والتوراة وعن
ابن عباس **الذکر** القرآن وقال سعيد
بن جبيرة **الذکر** الذي في السماء وقال
مجاهد الزبور الكتاب بعد **الذکر** والذکر
أم الكتاب عنده الله واختار ذلك
ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد

عقيقة لثبوت الغفورها في الأصل قاله الجوهري ولا يراد به الشتم لأنه اسم جعل كالقاب
والامة تسمى أي ترافى وشرط الله سبحانه هذا النبي بقوله (ان أردن تحصنا) لان الاكراه
لا يتصور ولا يكون الاعتد ارادتهن للتحصن فان لم ترد التحصن لا يصح أن يقال لها
مكرهه على الزنا والمراد بالتحصن هنا التعفف والتزويج وقيل ان هذا التقدير راجع الى
الاباحي قال الزجاج والحسن بن الفضل في الكلام تقديم وتأخير أي وأنتكفوا الاباحي
منكم والصالحين من عبادكم وما أنتمكم ان أردن تحصنا وقيل ان هذا الشرط ملغى وقيل
ان هذا الشرط باعتبار ما كانوا عليه فانهم كانوا يكرهون ومن يردن التعفف وادس
للتخصيص النبي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا وقيل ان هذا الشرط خرج مخرج
الغالب لان الغالب ان الاكراه لا يكون الاعتد ارادة التحصن فلا يلزم منه جواز الاكراه
عند عدم ارادة التحصن وهذا الوجه أقوى من هذا الوجه فان الامة قد تكون غير مريدة
للجلال ولا الحرام كفاين لا رغبة لها في النكاح والصغيرة قد وصف بانها مكرهه على الزنا منع
عدم ارادتها التحصن فلا يتم ما قيل من انه لا يتصور الاكراه الاعتد ارادة التحصن الا أن
يقال ان المراد بالتحصن هنا مجرد التعفف وان لا يصح ذلك على من كانت تريد الزواج انها
مريدة للتحصن وهو بعد فقد قال الجبر بن عباس ان المراد بالتحصن التعفف والتزويج
وبالعنه على ذلك غيره أخرج مسلم وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وغيرهم عن جابر بن
عبد الله قال كان عبد الله بن أبي يقول لجارية له اذهبي فابغيني شاة يا وكانت كارهة فأنزل
الله هذه الآية وذ كرسلم في صحبه عن جابر ان جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسكة
أخرى يقال لها أمية وكان يدهما على الزنا فشكل ذلك الى النبي صلى الله عليه وآله
رسلم فأنزل الله هذه الآية وأخرج البرز وغيره عن أنس نحو حديث جابر الاول وعن
علي بن أبي طالب قال كان أهل الجاهلية يبعين اماءهم فنهوا عن ذلك في الاسلام وعن ابن
باس قال كانوا في الجاهلية يكرهون اماءهم على الزنا يأخذون أجورهن فزلت الآية

ابن أسلم هو الكتاب الاول وقال النورى هو للروح المحفوظ وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم
 الزبور الكتب التى أنزلت على الانبياء والذكر كرام الكتاب الذى يكتب فيه الاشياء قبل ذلك وقال علي بن أبى طلحة عن ابن عباس
 اخبر الله سبحانه وتعالى فى التوراة والى زبور سابق علمه قبل ان تكون السموات والارض ان يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم
 الارض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون وقال مجاهد عن ابن عباس ان الارض ينزلها عبادى الصالحون قال أرض الجنة وكذا قال
 أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقنادة والسدى وأبو صالح والرياح بن أنس والنورى وقال أبو الدرداء نحن الصالحون
 وقال السدى هم المؤمنون وقوله ان فى هذا البلاغ قوم عابدين أى ان فى هذا القرآن الذى أنزلنا على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم
 لبلاغ النعمة وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بمائمه وأوجبهم رضىه وأثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات

أنفسهم وقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين بخبر تعالى أن الله جعل محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم كلهم
 في قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وبخدها خسر الدنيا والآخرة قال تعالى أترى
 الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونهم أبو نؤس القرار وقال تعالى في صفة القرآن قل هو للذين آمنوا
 هدى وشفاعة الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عني أولئك ينادون من مكان بعيد وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر
 حدثنا مروان القزاري عن يزيد بن كيسان عن ابن حازم عن أبي هريرة قال قيل لرسول الله ادع على المشركين قال اني لم أبعث
 لعاباً وانما بعثت رحمة انفراداً بخراجه مسلم وفي الحديث الآخر انما أنا رحمة مهداة رواه عبد الله بن أبي عوانة وغيره عن وكيع عن
 الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً قال ابراهيم الحري وقد رواه (٢١١) غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة وكذا
 قال البخاري وقد سئل عن هذا

الحديث فقال كان عند حفص بن
 غياث حرسلاً قال الحافظ بن
 عساكر وقد رواه مالك بن سعيد بن
 الجهم عن الأعمش عن أبي صالح
 عن أبي هريرة مرفوعاً ثم ساقه من
 طريق أبي بكر بن المقرئ وأبي
 أحمد الحاكم كلاهما عن بكر بن
 محمد بن ابراهيم الصوفي حدثنا
 ابراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي
 أسامة عن اسمعيل بن أبي خالد عن
 قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة
 قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم انما أنا رحمة مهداة ثم أورده
 من طريق الصلت بن مسعود عن
 سفيان بن عيينة عن مسعر عن
 سعيد بن خالد عن زحل عن ابن
 عمر قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ان الله بعثني رحمة مهداة
 بعثت برفع قوم وخفض آخرين
 قال أبو القاسم الطبراني حدثنا
 أحمد بن محمد بن نافع الطحان حدثنا

وقد ورد النبي منه صلى الله عليه وآله وسلم عن مهر النبي وكسب الجاهم وحلوان الكاهن
 ثم عمل سبحانه هذا النبي بقوله (لتنفخوا عرس الحياة الدنيا) وهو ما تكسبه الامة
 بشرحها وهذا التعليل أيضاً خارج مخرج الغالب والمعنى ان هذا الغرض هو الذي كان
 يحمله على اكراه الاماء على المغايرة الغالب لان اكراه الرجل لامته على المغايرة لافئدة
 له اصلاً لا يصدر مثله عن العقل فلا يدل هذا التعليل على انه يجوز له ان يكرهها اذا لم
 يكن مبتغياً باكراهها عرس الحياة الدنيا وقيل ان هذا التعليل للاكراه هو باعتبار ان
 عادتهم كانت كذلك لأنه مدار للنهي عن الاكراهين وهذا يلاق المعنى الاول ولا يخالف
 (ومن يكرهه فأن الله من بعد اكراهه غفور رحيم) هذا مقرر لما قبله وهو كذا
 والمعنى ان عقوبة الاكراه راجعة الى المكرهين لا الى المكرهات كان دل عليه قراءة ابن
 مسعود وغيره فان الله غفور رحيم لهن قيل وفي هذا التنفس بر بعد لان المكره على الزنا
 غير آمنة واجيب بانهم وان كانت مكرهة ربما لا تتفاوت في الضاعف الزنا عن شائبة مطوعة
 اما بمحرم الجمل البشري اذا لم يكون الا كراه قاصر عن حد الانجاء المنزل للاختيار بالنزوة
 واما لما قبله ويل امر الزنا وحث المكرهات على التثبت في التصافي عنه والتشديد في
 تحذير المكرهين ببيان انهم حيث كن عرضة للعقوبة لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة
 مع قيام العذر في حقهن فاحال من يكرههن في استحقاق العقاب وقيل ان المعنى غفور
 رحيم لاسم امامنا لئلا يوشط التوبة ولم يفرغ سبحانه من بيان تلك الاحكام شرع في
 وصف التران بصفات ثلاث فقال (وانذرنا اليكم آيات مبينات ومن لا من الذين خلوا
 من قبلكم وموعظة للستين) فالارادة آيات مبينات أي وانذرت في أنفسهم تصديقها
 الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة وموعظة ومبينات فيدخل فيها الآيات
 المذكورة في هذه السورة ودخولها اولها والصفة الناشئة كونه مثلاً من الذين خلوا من قبل
 هؤلاء أي خبر انجسباً كأنه من جهة أمثال الذين مضوا من القصص العجيبة والأمثال

أحمد بن صالح قال وجدت كتاباً لم يذعن عبد العزيز الدراوردي و ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عمرو بن عوف
 عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال أبو جهل حين قدم مكة متصرفه عن خبر ما معشر قريش
 ان محمد انزل يثرب وأرسل طلحة وطلحة وعمار بن عبد الله بن عمرو واطر يقد وعتار يقد فانه كالاسد الضاري انه
 حتى عليكم لانكم تنفرونني القردان عن المناسم والله ان له لبحرة مآراً يته قط ولا أحد من أصحابه إلا رأيت معهم الشياطين
 وانكم قد عرفتم عداوتي قبله يعني الاوس والخزرج فهو وعد واستباحت بعدو فقال له مطعم بن عدي يا أبا الحكم والله ما رأيت
 أحداً اصدق لساناً ولا أصدق موعداً من أخيكم الذي طردتم واذهب إليهم فاعلمتم فكونوا كيف الناس عنه قال ابو سفيان بن
 الحرث كونا أشد ما كنتم عليه ابني قيس له ان تلحقوا بكم لم يرقبوا فيكم الا ولادته وان أطلعتموني الجاهل بهم حير كانه

أوتخروا محمد ابن بن ظهر اتيهم فيكون وحيداً مطروداً واما السابقون فوالله ما دعوا وأهل دحلث في المذلة الاسواء وسأ كفيكم
 حدهم وقال سأمنح جابني غليظاً * على ما كان من قرب وبعد رجال الخزرجية أهل ذل * اذا ما كان عزول بعد جند
 فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي نفسي بيده لا قتلهم ولا صلبيهم ولا خديهم وهم كارهون اني رجة بعثني الله
 ولا توفاني حتى يظهر الله دمه على خمسة احماء أنا محمد وأحمد وأنا المالحى الذى يعز الله به الكفر وأنا الخاشع الذى يحشر الناس
 على قدمي وأنا العاقب وقال أحمد بن صالح أروى أن يكون الحديث صحيحاً وقال الامام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة
 حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أيقرة الكندي قال كان حذيفة بالمدينة فكان يذكّر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خفاء حذيفة الى سلمان فقال سلمان يا حذيفة (٢١٢) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب فقال أيعارجل مسيبة في غضبي

أولعنته لعنة فأخأ أنزل جل من
 وإد آدم أغضب كما تغضبون وانما
 بعثني رجة للعالمين فأجعلني صلاة
 عليه يوم القيامة ورواه أبو داود
 عن أحمد بن يونس عن زائدة فان
 قيل فأي رجة حصلت لمن كفر به
 فاجواب ما رواه أبو جعفر بن جرير
 حدثنا السفي بن شاهين حدثنا
 اسحق الأزرق عن المسعودي عن
 رجل يقال له سعيد عن سعيد
 ابن جبير عن ابن عباس في قوله وما
 أرسلناك الا رجة للعالمين قال من
 آمن بالله واليوم الآخر كتب له
 الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم
 يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب
 الامم من الخسف والقذف وهكذا
 رواه ابن أبي حاتم من حديث
 المسعودي عن أبي سعد وهو سعيد
 ابن المربان يقال عن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس فذكره
 بخروه والله أعلم وقد رواه أبو القاسم
 الطبراني عن عبد بن أحمد عن
 عيسى بن يونس الرمي عن أيوب

ابن سويد عن المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وما أرسلناك الا رجة
 بالعالمين قال من تبعه كان له رجة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفي مما أصاب الامم من الخسف والمسخ والقذف
 رقل انما يوسى الى انما الحكم اله واحد فهل أنتم مسلمون فان تولوا فقل أذنتكم على سواء وان أدركت اقر بأم بعد ما وعدون
 انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وان أدركت لعلة قسمة لكم ومناع الى حين قال رب احكم بالحق وريما الرحمن المستعان
 على ما تصنعون شول تعالى أمر ارسوله صلوات الله وسلامه عليه ان يقول للمشركين انما يوسى الى انما الحكم اله واحد فهل أنتم
 مسلمون أى متبعون على ذلك مستسلمون متقادون فان تولوا أى تركوا وما دعوتهم اليه فقل أذنتكم على سواء أى أعطيتكم
 اني سرب لكم كما انكم حرب لي برى منكم كما انتم برآء مني كقوله وان كذبوك فقل لي على ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل

وأما يرى عما تملكون وقال وأما تخافون من قوم خيانة فأنذركم الله على سواه أي ليكن علمك وعلمهم تنبذ العهد وعلى السواه وكذا
 هي نفاق أولوا ففضل أذ تسكن على سواء أي اعلمكم بمرآة منكم وبرأتكم مني لعلي بذلك وقوله وان أدري أقرب أم بعيد
 ما يؤعدون أي هو واقع لا محالة ولكن لأعلم على بقره ولا يعده الله يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون أي ان الله يعلم الغيب جميعه
 ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد علموا في أجهارهم واسرارهم وسيجزيهم
 على ذلك القليل والخليل وقوله وان أدري لغل غفلة لكم ومتاع إلى حين أي وما أدري لعل هذا اقنعة لكم ومتاع إلى حين قال ابن
 جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنه لكم ومتاع إلى أجل مسمى وحكامه عن ابن عباس قال الله أعلم قال رب احكم بالحق أي افضل
 بيننا وبين قومنا المكدنين بالحق قال قتادة كانت الانبياء عليهم السلام يقولون ربنا افق بيننا وبين
 قومنا بالحق وأنت خير الفاضلين (٣١٣)

وقومنا بالحق وأنت خير الفاضلين
 وأمر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان يقول ذلك وعن مالك عن
 زيد بن أسلم كان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم اذا شهد غزاة قال
 رب احكم بالحق وقوله وربنا الرحمن
 المستعان على ما تصفون أي على
 ما يقولون وينفثون من الكذب
 ويتنوعون في مقامات التشكيب
 والافك والله المستعان عليكم في
 ذلك آخر تفسير سورة الانبياء عليهم
 السلام والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الحج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
 الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل
 كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل
 ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
 وما هم بسكارى ولكن غذاب الله
 شديد) يقول تعالى أمر عباده
 بقواه ومخبر الهام بما يستقبلون من

بالنبات والاشجار وقيل معناه ان الانوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على طريق المدح
 كما قال الشاعر

اذا سار عبد الله من مري وليلة * فقد سار عن نورها ووجهها
 وعن ابن عباس يذبر الامر فيهم ما نجوهمها وشمسها ما قرهما (مثل نوره) مبتدأ وخبره
 (كشكاة) أي صفة نوره الفاضل عنه الظاهر على الاشياء كشكاة وهذه الجملة ايضاح
 لما قبله او تفسير فلا محل لها وضم مضاف محذوف أي كشل متكاذه وهي الكوة في الحائط
 التي لا ينفذ لها كذا احكامه الواحدى عن جميع المفسرين وحكاه القرطبي عن جهورهم
 قيل هي لغة حبشية وقيل عربية وسميت بالو كالمصلاة والزكاة وأصل المشكاة الوعاء
 يجعل فيه الشيء وقيل هي عمود القنديل الذي يجعل فيه القنيلة وقيل هي الانبوبة في
 وسط القنديل وقيل هي الحديدة أو الرصاصة التي يوضع فيها الزيت وقيل هي العمود
 الذي يوضع على رأسه المصباح وقيل ما يعلق فيه القنديل من الحديدة وقال مجاهد
 القنديل والاول أولى ووجه تخصيص المشكاة انها أجمع للضرورة الذي يكون فيها من
 مصباح أو غيره وعن ابن عباس قال في الآية مثل نوره أي هذه في قلب المؤمن كشكاة
 يقول موضع القنيلة وفي اسناده مقال وعن أبي بن كعب قال هو المؤمن الذي قد جعل
 الايمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال الله في السموات والارض مثل نوره وبدأ
 بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فصدر المؤمن المشكاة وعن ابن عباس مثل نوره الذي اعطى
 المؤمن كشكاة وفي قراءة أي مثل نور المؤمن وفي لفظ نور من آمن به كشكاة وعن ابن
 عباس ايضاً مثل نور من آمن بالله كشكاة وهي الكوة وعنه قال هي خطا من الكاتب
 هي أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة بل مثل نور المؤمن كشكاة وقيل المعنى
 مثل نور الله عز وجل في قلب المؤمن وهي النور الذي بهتدي به وقيل أربابها نور القرآن
 وقيل أراد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو الطاعة سمي الله طاعته نوراً وأضاف

(٤ - فتح البيان سادس) أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة هل هي بعد قيام الناس
 من قبورهم يوم نشورهم الى عرصات القيامة أو ذلك عبارة عن زلزلة الارض قبل قيام الناس من اجسادهم كما قال تعالى اذا زلزلت
 الارض زلزالها وأخرجت الارض ابقاعها وقال تعالى وجلت الارض والجبال فذكر كذا كذا واحدة فيومئذ وقعت الواقعة الآية
 وقال تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وبست الجبال بساً الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنه في آخر عمر الدنيا وأول أحوال الساعة
 وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى بن سعيد بن شبيب عن الامش عن ابراهيم عن علقمة في قوله ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال
 قبل الساعة ورأه ابن أبي حاتم من حديث الثوري عن منصور والاعمش عن ابراهيم عن علقمة قد كره قال وروى عن الشعبي
 وابراهيم وعبيد بن عمير نحو ذلك وقال أبو كريمة عن عطاء بن عاصم الشعبي يأبى الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال

حدثنا في الدنيا قبل يوم القيامة وقد أورد الإمام أبو جعفر بن جرير مستقداً من قال ذلك في حديث الصور من رواية إسماعيل بن زافع
فاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاها من أرقيل فهو واضع على فيه شاخص يصبره
إلى العرش ينظر متى يؤمر قال أبو هريرة قال رسول الله وما الصور قال قرن قال فكيف هو قال قرن عظيم ينفع فيه ثلاث نفحات
الأولى تنفخه الفزع والثانية تنفخه الصعق والثالثة تنفخه القيام لب العالمين يأمر الله أرقيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ نفخة
الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض الآمن شاء الله وأمره فيمدها ويوطئ لها ولا يقترهوي التي يقول الله تعالى وما ينظر
هو إلا الأصحية واحدة ما لها من فوق فتسر (٣١٤) الجبال فتكون تراباً وترج الأرض بأعلىها رجاء وهي التي يقول الله

بشيء من ذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه حين يقول ففزع من في السموات ومن في الأرض الا من شاء الله قال أولئك شجرة الشهداء وانما يصل الفزع الى الأحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ووقاهم الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول الله يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وهذا الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم وغيره واحمد مطولا جدا والقرص منه انه على ان هذه الزلزلة كاتمة قبل يوم الساعة أضيق الى الساعة لقرنها منها كما يقال اشراط الساعة ونحو ذلك والله أعلم وقال آخرون بل ذلك هول وقع وزلازل وبلال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا باحاديث الأول قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن هشام حدثنا قتادة عن الحسن عن

عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في بعض اسقاره وقد تقارب من اصحاب السبر رفع بها ثينين صورة
يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها اذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس
سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فلما سمع اصحابه ذلك حشوا المطى وعرفوا الله عند قول بقوله فلما نادوا احوله قال
اتدرون اى يوم ذلك اذالم يوم ينادى آدم عليه السلام فيناديه ربه عز وجل فيقول يا آدم ابعت بعثك الى النار فيقول يا رب
وما بعث النار فيقول من كل امة تسعة وتسعة وتبعون في النار وواحد في الجنة قال فابلس اصحابه حتى ما ونحوا ايضا حكمه
فلما رأى ذلك قال ابشر واوعلو فوالذي نفس محمد بسده انكم لمع خلقتم ما كاتمتم شي قط الا كنتم اياه يا جوج وما جوج ومن
هلك من بنى آدم وبنى ابليس قال فسرى عنهم ثم قال اعملوا وابشروا فوالذي (٣١٥) نفس محمد بيده ما انتهي الناس الا كالشامة

شجرة منبتت بعد الطوفان ونبتت في منازل الانبياء ودعاهم اسعون نيا بالبركة منهم ابراهيم
ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي شجرة لا يسقط ورقها وعن اسيد بن ثابت اوابى اسيد
الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة
مباركة اخرجه الترمذى (الشرقية ولا غريبة) صفة لشجرة ودخلت لالتقيمت التي وقرئ
بالرفع اى لاهى شرقية ولاهى غربية وقد اختلف المفسرون في معنى هذا الوصف فقال
عكرمة وقتادة وغيرهم ما ان الشريعة هي التي تصيبها الشمس اذا شرفت ولا تصيبها اذا
غربت لان لها ستر او الغريسة هي التي تصيبها اذا غربت ولا تصيبها اذا شرفت وهذه
الزيتونة هي في صحراء وفيها ما تكشف من الارض بحيث لا يسترها ولا نورها عن الشمس
شيء لاني حال شرقها ولا في حال غربها وما كانت من الزيتون هكذا فخرها اجد
وانتج وزيتها اصنى وقيل ان المعنى انها شجرة في دوحه قد اطاعتها فهي غير منكسفة
من جهة الشرق ولا من جهة الغرب حكى هذا ابن جرير عن ابن عباس قال ابن عطية
وهذا لا يصح عنه لان الشجرة التي بهذه الصفة يفسد جناها وذلك مشاهد في الوجود
ورجح القول الاول الزا والزايج وقال الحسن ليست هذه الشجرة من نجر الدنيا وانما
هو مثل شجرة الله لنورده ولو كانت في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية قال النعيلي قد
افصح القرآن بانها من شجر الدنيا لان قوله زيتونة يدل من قوله شجرة قال ابن زيد انها
من شجر الشام فان الشام لشرقية ولا غربية والشام هي الارض المباركة وشجرها فضل
وقيل معناها انها ليست في قناة لتصيبها الشمس ولا في مضحلة لا يصيبها الظل فهي
لا تنيرها شمس ولا ظل وقيل معناها انها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في
غرب يضرها البرد قال ابي قتادة كمل شجرة التفت بها الشجر فهي خضراء ناعمة لا تصيبها
الشمس على اى حال كانت لا اذ اطلعت ولا اذا غربت فكذلك هذا المؤمن قد اجبر من ان
يظلم شي من الفتن ثم وصف الزيتون بوصف آخر فقال (يكاد اى يقرب) زيتونها بضى ن

قط الا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية فان ثبت والا كملت من المتافقين وامثلهم ومثل الامم الا كملت
الرقعة في ذراع الدابة او كالشامة في جنب البعير ثم قال اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجو ان تكونوا
ثلث اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجو ان تكونوا نصف اهل الجنة فكبروا ثم قال ولا أدري اهل المؤمنين ام لا وكذا رواه
الامام احمد عن سفيان بن عيينة بن محمد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن والعلاء بن زياد العدوي عن عمران بن الحصين
وقدر واه ابن ابي حاتم من حديث سعيد بن ابي عروبة عن قتادة عن الحسن والحسين بن عمران بن الحصين فذكره
وكذا روى ابن جرير بن بشار عن غندر عن عوف عن الحسن قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قيل من غزوة
العسيرة وقعة اخطب بعد ما شارف المدينة قرأ يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم وذكر الحديث فذكر نحو سياق

ابن جعدة والله أعلم الحديث الثاني قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو سفيان يعني بالمعمر عن معمر
 عن قتادة عن أنس قال نزلت ان زلزلة الساعة عني عظيم وذكر يعني نحو سباق الحسن عن عمران غبرانه قال ومن هلك من كثرة
 الجن والأنس ورواه ابن جرير بطوله من حديث معمر الحديث الثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان
 حدثنا عباد يعني ابن العزم حدثنا خلاد بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية
 فذكرهم وقال فيه اني لارجو ان تكونوا ربيع أهل الجنة ثم قال اني لارجو ان تكونوا ثلث أهل الجنة ثم قال اني لارجو
 ان تكونوا شطر أهل الجنة فقرأوا ذلك أيضاً وانما أنتم جزء من ألف جزء الحديث الرابع قال البخاري عند تفسير هذه الآية
 حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا (٢١٦) الاعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد قال قال النبي صلى الله

عليه وسلم يقول الله تعالى يوم
 القيامة يا آدم فيقول لبيك ربنا
 وسعديك فينادي بصوت ان الله
 يأمرك ان تخرج من ذريتك بعنا
 الى النار قال يارب وما بعث النار
 قال من كل ألقاه قال تسعمائة
 وتسعة وتسعون فيشتد تضع
 الحامل حملها ويشتد الوليد وترى
 الناس يركضون وما هم بسكارى
 ولكن عذاب الله شديد فتق ذلك
 على الناس حتى تغيرت وجوههم
 قال النبي صلى الله عليه وسلم من
 يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة
 وتسعون ومنكم واحد أتم في
 الناس كالشجرة السوداء في جنب
 الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء
 في جنب الثور الأسود اني لارجو
 ان تكونوا ربيع أهل الجنة فكبرنا ثم
 ثم قال ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم
 قال شطر أهل الجنة فكبرنا وقد روى
 البخاري أيضاً في غير هذا الموضع
 وسلم والنسائي في نفسه من طرق

عن الاعمش به الحديث الخامس قال الامام أحمد حدثنا عمار بن محمد بن أحمد سفيان الثوري وعبيدة يعني كلاهما عن ناز
 ابراهيم بن مسلم عن أبي الاحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة مائدا يا آدم ان الله
 يأمرك ان تبعث بعنا ذريتك الى النار فيقول آدم يارب من هم فيقال له من كل مائة تسعة وتسعون فقال رجل من القوم من هذا
 التابع ضابدها يا رسول الله قال هل تدرون ما أتم في الناس الا كالشامة في صدر البعير انفرجها هذا السنو وهذا السباق الامام
 أحمد الحديث السادس قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن حاتم بن أبي صخرة حدثنا ابن أبي مليكة ان القاسم بن محمد أخبر عن
 عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انكم تحشرون الى الله يوم القيامة حفاة عراة غر لا قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء
 ينظر بعضهم الى بعض قال يا عائشة ان الامر أشد من انهم منهم ذلنا أخرجه في الصحيحين الحديث السابع قال الامام أحمد

حدثنا يحيى بن اسحق حدثنا ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت قلت يا رسول الله هل يدرك الحبيب
 حبيبه يوم القيامة قال يا عائشة اما عند ثلاث فلا اما عند الميزان حتى يشقل أو يخف فلا واما عند تطاير الكتب اما يعطى بميئه واما
 يعطى بشماله فلا وحين يخرج عني من النار فيطوى عليهم ويتغبط عليهم ويقول ذلك العنق وكنت ثلاثة وكنت بثلاثة وكنت
 بثلاثة وكنت بن ادعى مع الله الها آخر وكنت بن لا يؤمن بيوم الحساب وكنت بكل جبار عند قال فيطوى عليهم ويرمهم
 في غمرات جهنم ويظهرهم جسر ارق من الشعر واحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله والناس عليه كالبرق
 وكالطرف وكالريح وكاجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون رب سلم فنام مسلم ومخدوش مسلم ومكور في النار على وجهه
 والاجاد في أهوال يوم القيامة والآخر كثيرة جداله الموضع (٣١٧) آخر ولهذا قال تعالى ان زلزلة الساعة شيء

نار قال ابن العربي قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهذا في قلب المؤمن كما تكاد الزيت
 الصافي يضيء قبل ان تسمه النار فان سمته النار زاد ضوهه كذلك قلب المؤمن يكاد يعمل
 بالهدى قبل ان ياتيه العلم فاذا جاء العلم زاد هدى على هدى ونورا على نور كقلب ابراهيم
 من قبل ان يحبه ما عرفه قال هذا ربي من قبل ان يصبره أحد بان له ربا فلما أخبره الله انه ربه
 زاد هدى اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين وأقول ان تفسير النظم القرآني بهذا
 ونحوه مما تقدم عن أبي بن كعب وابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم ليس على
 ما يقتضيه لغة العرب ولا ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يجوز العبدول عن
 المعنى العربي الى هذه المعاني التي هي شبهة بالغاز والعمية ولكن هؤلاء الصحابة ومن
 وافقهم ممن جاء بعدهم استبعدوا تمثيل نور الله سبحانه بنور المصباح في المشكاة ولهذا قال
 ابن عباس هو أعظم من ان يكون نوره مثل نور المشكاة كما قدمنا عنده ولا وجه لهذا
 الاستبعاد فان اذ قد قدمنا في أول البحث ما رفع الاشكال ووضع ما هو المراد على أحسن
 وجه وأبلغ اسلوب وعلى ما تقتضيه لغة العرب وبشيده كلام الفخهاء فلا وجه للعبدول عن
 الظاهر لامن كتاب ولا من سنة ولا من لغة وأما ما حكى عن كعب الاحبار في هذا كما قدمنا
 فان كان هو سبب عدول أولئك الصحابة والاجلاء عن الظاهر في تفسير الآية فليس مثل
 كعب رحمه الله ممن يقتدى به في مثل ذلك وقد ثبتنا ذلك فيما سبق ان تفسير الصحابي اذا كان
 مستنده الرواية عن أهل الكتاب كما يقع ذلك كثيرا فلا تقوم به الحجة ولا يسوغ لاجل
 العبدول عن التفسير العربي نعم ان تحت قراءة أبي بن كعب كانت هي المستندة لهذه
 التفسير الخالصة للظاهر وتكون كل زيادة الميضة لاهل مراد وان لم تصح فالوقوف على
 ما تقتضيه قراءة الوجه ومن السبعة وغيرهم من قبلهم ومن بعدهم هو المتعين (بهدي الله
 لنوره) هداية خاصة موصلة الى المطلوب وليس المراد بالهداية ههنا مجرد الدلالة قال ابن
 عباس انوره الدين الاسلام وهو نور البصيرة (من يشاء) من عباده لان الاسباب دون

عظيم أي أمر عظيم وخطب جليل
 وطارق مقطع وحادث هائل وكان
 عجب وزلزاله هو ما يحصل للنفوس
 من الرعب والفرزع كما قال تعالى
 هنالك ابتي المؤمنين وزلزلة الزلا
 شديدا ثم قال تعالى يوم ترونهم اهذا
 من باب خير الشائن ولهذا قال
 مفسر الله تذهيل كل مرضعة عما
 أرضعت أي فتشغل لهول ما ترى
 عن أحب الناس اليها والتي هي
 أشفق الناس عليه تدهش عنه في
 حال ارضاعهاله ولهذا قال كل
 مرضعة ولم يقل مرضع وقال عما
 أرضعت أي عن رضيعها قبل
 فطامه وقوله وتضع كل ذات حمل
 حملها أي قبل غنائه لشدة الهول
 وترى الناس سكارى وقرئ سكرى
 أي من شدة الامر الذي قد صاروا
 فيه قد دهشت عقولهم وغابت
 اذهانهم فمن رأيهم حسب انهم
 سكارى وما هم بسكارى ولكن
 عذاب الله شديد (ومن الناس من

مجادل في الله يغفر عل ويبيع كل شيطان من يريد كتب عليه انه من نوله فانه يضل به يهديه الى عذاب السعير) يقول تعالى ذامان
 كذب بالبعث وأنكر قدرة الله على احياء الموتي معرضا عما انزل الله على انبيائه متبعين قولة وانكاره وكفره كل شيطان مر يد من
 الانس والجن وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبعين للباطل يتركون ما انزل الله على رسوله من الحق المدين
 ويتبعون أقوال رؤس الضلالة الدعاة الى البدع بالاهواء والإراء ولهذا قال في شأنهم واشباههم ومن الناس من يجادل في الله بغير
 علم أي علم صحيح ويتبع كل شيطان مر يد كتب عليه قال مجاهد يعني الشيطان يعني كتب عليه كناية بقدرية انه من نوله أي اتبعه
 وقلمه فانه يضل به يهديه الى عذاب السعير أي يضل به في الدنيا ويوقده في الآخرة الى عذاب السعير وهو الحار المولم الملقق المزعم وقد
 قال السدي عن أبي مالك نزلت هذه الآية في النضر بن الحرث وكذا قال ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن مسلم

البصرى حدثنا عمرو بن الصخرى أوثقاده حدثنا المعمر حدثنا أبو كعب المكي قال قال خيث من خثما قر يش أخبرنا عن ربكم من ذهب هو ومن فضة هو ومن نحاس هو فحققت السماء حقيقة والحققة في كلام العرب الرعد فإذا رآه ساقط بين يديه وقال ليت من أي سلم عن مجاهد جاء به روى فقال بالمجد أخبرني عن ربك من أي شيء هو من ذرام من ناقوت قال فجاءت صاعقة فآخذته (يا أيها الناس) إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم فخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض جامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو العزيز الحكيم (٣١٨)

مستبته لا غيبة انما لها (ويضرب الله الامثال للناس) أي بين الاشياء بأشياءها وتظايرها تقر بها اليها الى الافهام وتهيلها لادراكها لان ابراز المعقول في هيئة المحسوس وتصويره بصورة يزيد وضوحها وبينا (والله بكل شيء عليم) لا يغيب عنه شيء من الاشياء معقولا كان أو محسوسا ظاهرا كان أو باطنا ومنه ضرب الامثال (في بيوت) أي ذلك المصباح وقد في بيوت وقيل متعلق بما قبله أي كشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كأنه قيل مثل نوره مجاري في المسجد نور المشكاة التي من صفها كيت وكيت وقيل صفة لزجاجة وقال ابن الانباري سمعت أبا العباس يقول هو حال المصباح والزجاجة والكوكب كأنه قيل وهي في بيوت وعلى هذه الاقوال لا يوقف على عليم وقيل متعلق بما بعده وهو يسبح الا في أي يسبح رجال في بيوت وعلى هذا يكون قوله فيها تكبرا للتوكيد والتذكير والاذان بأن التقديم للاختتام لا لقصر التسبيح على الوقوف في البيوت فقط وقيل متعلق بمحذوف أي سجدوه في بيوت وعلى هذين القولين يوقف على علم فبهذه ستة وأجود ذكرها السمين وغيره وقيل انه منقصل عما قبله كأنه قال تعالى الله في بيوت اذن الله ان ترفع قال الحكيم الترمذي وبذلك جاء الخبر انه من جلس في المسجد قائما يجالس ربه وقد قيل على تقدير تعلقه بشكاة أو بمصباح أو بوقدما الوجه في توحيد المصباح والمشكاة وجمع البيوت ولا تكون المشكاة الواحدة ولا المصباح الواحد الا في بيت واحد وأجب بأن هذا من الخطاب الذي يفتح أو له التوجه به ويحتم بالجمع كقوله سبحانه يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فحقوه وقيل معنى في بيوت في كل واحد من البيوت فكأنه قال في كل بيت وفي كل واحد من البيوت واختلف الناس في البيوت على أقوال الاول انها جميع المساجد وروى مجاهد والحسن وغيرهما قال ابن عباس بيوت الله في الارض تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض الثاني ان المراد بها بيوت بيت المقدس روى ذلك عن الحسن الثالث انها بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم روى

القبور) لما ذكر تعالى المخالف للبعث المنكر للامعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدنه الناطق فقال يا أيها الناس ان كنتم في ريب أي في شك من البعث وهو المعاد وقيام الارواح والاجساد يوم القيامة فإنا خلقناكم من تراب أي أصل برئه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام ثم من نطفة أي ثم جعل نسله من سلاله من مائهين ثم من علقه ثم من مضغة وذلك انه اذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوما كذلك يضاف اليه ما يجتمع اليها ثم ينقلب علقه جمر اذ ان الله فكث كذلك أربعين يوما ثم تسحيل فتصير مضغة قطعة من لحم لاشكل فيها ولا تخطيط ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيه وترمها رأس ويدان وصدرو بطن وغضنان ورجلان وسايرا لعضاء فتارة

تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقى وقد صارت ذات شكل وتخطيط ولهذا قال تعالى ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة أي كما تشاهدون السنين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى أجل مسمى أي وارة تستقر في الرحم لتلقها المرأة ولا تسقطها كما قال مجاهد في قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة قال هو السقط مخلوق وغير مخلوق فاذا ضي عليها أربعين يوما وهي مضغة أرسل الله تعالى اليها ملكا فتنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر أو أنثى وكتب رزقها وأجلها وشي أو سعيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الامام عن زيد بن زهير عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق آدم كجميع في بطن أمه أربعين ليلة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك فيومر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشي أو سعيد ثم تنفخ فيه الروح وروى ابن أبي حاتم ابن

جر من حديث داود بن هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله قال النطفة اذا استقرت في الرحم جاءها ملك بكفة فقال يا رب مخلقة أو غير مخلقة فان قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقد قتها الارحام وما وان قيل مخلقة قال أي رب ذكرا أو أنثى شئ أو بعد ما الاجل وما الاثر وبأى أرض يموت قال فيقال للنطفة من ربك فتقول الله فيقال من رازقك فتقول الله فيقال له اذهب الى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فتخلق فتعيش في أجلها وتأتى رزقها وتطأ أثرها حتى اذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك ثم تلا عامر الشعبي يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة فاذا بانغت مضغة تكسرت في الخلق الرابع فكانت نسمة وان كانت غير مخلقة قد قتها الارحام وما وان كانت مخلقة تكسرت نسمة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ (٣١٩) حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن

هذا عن مجاهد الرابع هي البيوت كلها قاله عكرمة الخالص انها المساجد الاربعة الكعبة ومسجد قباء ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس قاله ابن زيد والقول الاول أظهر لقوله يسبح له فيها بالغدو والآصال والسامن بيوت تضم وتكسر كل ذلك ثابت في اللغة ومعنى (أذن الله) أمر وقضى ومعنى (ان ترفع) تبني قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما ومنه قوله سبحانه واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن البصري وغيره معنى ترفع تعظم فلا يذكر فيها الخناس القول ويرفع شأنها وتظهر من الانحسار والاقدار ورجحه الزجاج وقيل المراد بالرفع هنا مجموع الامر بن (و) معنى (يد كرفها اسمه) كل ذكر لله عز وجل وقيل هو التوحيد وقيل المراد تلاوة القرآن والاول أولى وفي القرطبي قد كره بعض أصحابنا تعليم الصبيان في المساجد لانهم لا يتكبرون عن الاقدار والاسواخ فيؤدى ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد ورد في تعظيم المساجد وتزيينها عن القدر واللغو وتنظيفها وتطييبها أحاديث ليس هذا موضع ذكرها (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) قرئ يسبح مبني للفاعل وللمافعول فعلى الثانية يكون رجال مرفوعا بفعل مقدر كأنه قيل من يسبحه فقيل يسبحه رجال وعلى الاولى يكون رجال فاعل يسبحه وقرئ تسبيح بالقوية وكسر الموحدة وعلى هذا يكون الفاعل أيضا رجال وانما أنت الفعل لكون جمع التكسير يعامل معاملة المؤنث في بعض الاحوال واختلف في هذا التسبيح ما هو فلا تكثر على الصلاة المفروضة قالوا الغدوة صلاة الصبح والآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لان اسم الآصال يشملها والمعنى يصلى له فيها بالغداة صلاة الصبح وبالاصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين وانما وحد الغدوة لان صلاته واحدة وفي الآصال صلوات والآصال جمع أصل جمع أصيل وهو العشي وقيل صلاة الصبح والعصر وقيل المراد صلاة الضحى قاله ابن عباس وعنه في الآية قال هي المساجد تكرم وينهى عن اللغو فيها ويد كرفها اسم الله يتلى فيها كتابه يسبح له فيها بالغدو والآصال صلاة

وهو الشيخوخة والهزم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الاحوال من الخرف وضعف الفكر ولهذا قال لكيلا يعلم من بعد علمي كما قال تعالى الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير وقد قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المنى الموصلي في مسنده حدثنا منصور بن أبي حازم حدثنا خالد الزيات حدثني داود أبو سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الانصاري عن أنس بن مالك رفع الحديث قال المولد حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتبت له والدماء والديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فإذا بلغ الحنث جرى عليه القلم أمر الملك اللذان كانا معه ان يحفظا وان يشددوا فإذا بلغ أربعين سنة في الاسلام آمنه الله من البلاء الثلاث الحنث والجدام والبرص فإذا بلغ الخمسين خفف الله حسابه فإذا بلغ ستين رزقه الله الأمانة اليه بما يحب فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين

كتب الله حسنة و تجاوز عن سيئته فاذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته وكتب أمين الله ركن أسرار الله في أرضه فاذا بلغ أربل العمر اكمل يعلم من بعد علم شيا كتب الله له مثل ما كان يعمل في حقته من الخير فاذا عمل سيئة لم تكتب عليه هذا الحديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة ومع هذا قد رواه الامام أحمد بن حنبل في مسنده وموقر فوافر فوافر احسننا أبو النضر حدثنا القرح حدثنا محمد بن عامر عن محمد بن عبد الله العاملي عن عمرو بن جعفر عن أنس قال اذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة أئمنه الله من أنواع البلاء من الجنون والبرص والجذام فاذا بلغ الخمسين ابن الله حسابه واذا بلغ الستين رزقه الله انابة يحبه عليه واذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء واذا بلغ الثمانين تقبل الله حسنة ومخاضه سيئا واذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع في أهل

(٢٢٠)

ثم قال حدثنا هشام حدثنا القرح حدثني محمد بن عبد الله العامري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ورواه الامام أحمد أيضا حدثنا أنس ابن عياض حدثني يوسف بن أي دورا الانصاري عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من معمير يعمر في الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء الجنون والبرص والجذام وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء ورواه الحافظ أبو بكر البرزعي عن عبد الله بن شبيب عن أبي شيبة عن عبد الله بن عبد الملك عن أبي قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يعمر في الاسلام أربعين سنة الا صرف الله عنه أنواعا من البلاء الجنون

الغداة وصلاة العصر وهما أول ما فرض الله من الصلاة فأحب ان يذكرهما ويذكرهما عباده وعنه قال ان صلاة الضحى لتي القرآن وما يغوص عليها الاغوص في هذه الآية وقيل المراد بالسبع هذا معناه الحقيقي وهو تربه الله سبحانه عملا باليقين في ذاته وصفاته وافعاله ويؤيد هذا ذكر الصلاة والزكاة بعده وهذا أريح بما قبله لكونه المعنى الحقيقي مع وجود دليل يدل على خلاف ما ذهب اليه الاولون وهو ما ذكرناه قيل وخص الرجال بالذكر في هذه المساجد لان النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا لجمعة (لا تلهمهم تجارة ولا بيع) هذه صفة رجال أي لا يشغلهم التجارة في السفر والبيع في الحضر وخص التجارة بالذكر لانها أعظم ما يشتغل به الانسان وقال الفراء التجارة لاهل الجلب والبيع ما باعه الرجل على يديه وخص قوم التجارة ههنا بالشرائع ذكر البيع بعدهما ويشمل قول الفراء قال الواقدي فقال التجار هم الجلب المسافرون والباعة هم المقيمون وعني (عن ذكر الله) هو ما تقدم في قوله يذكر فيها اسمه أي باللسان والقلب وقيل المراد الاذان وقيل ذكر باسمائه الحسنی أي بوحده وبمجده وقيل المراد الصلاة ويرد ذكر الصلاة بعد الذكر هنا وأخرج ابن ابى حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الآية قال هم الذين يضرئون في الارض يتبعون من فضل الله وأخرج ابن مردويه والديلمي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال هم الذين يتبعون من فضل الله وعن ابن عباس قال كانوا رجالا يتبعون من فضل الله يشتررون ويبيعون فاذا سمعوا النداء بالصلاة ألقوا ما في أيديهم وقاموا الى المسجد فصلا وعنه في الآية قال ضرب الله هذا المثل قوله كشكوة لا وله ذلك القوم الذين لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وكانوا تجار الناس وبيعهم ولكن لم تكن تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وعنه قال عن ذكر الله عن شهود الصلاة وعن ابن عمر أنه كان في السوق فاقيت الصلاة فاغلظوا حوائثهم ثم دخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزل رجال لا تلهمهم تجارة

والجذام والبرص فاذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الابانة اليه بما يحب ولا فاذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمى أسير الله في أرضه وشفع في أهل بيته وقوله وترى الارض هامدة هذا دليل آخر على قدرته تعالى على احياء الموتي كما يحيي الارض الميتة الهامدة وهي المقعدة التي لا تبت فيها ولا شئ قال قتادة غيرا متشمة وقال السدي ميتة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج أي فاذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أي تحركت بالنبات وحييت بعد موتها وربت أي ارتفعت لما سكن فيها الثرى ثم أنبتت ما فيها من الالوان والفنن من ثمار وزروع واشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها واشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى وأنبتت من كل زوج

بهمج اى حسن المنظر طيب الريح وقوله ذلك بان الله هو الحق اى الخالق المدبر الفعال لما يشاء وانه يحيى الموتى اى كما يحيى الارض الميتة وانبت منها هذه الانواع ان الذى احياها يحيى الموتى وانه على كل شئ قدير فانما امره اذا اراد شئ ان يقول له كن فيكون وان الساعة آتية لا ريب فيها اى كائنة لا شك فيها ولا قرية وان الله يبعث من فى القبور اى بعد موتهم بعد ما صاروا فى قبورهم ربما يوبخهم بعدا لعدم كمال تعالى وضرب لنا مثالا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحيى الذى انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون والايات فى هذا كنىزة وقال الامام احمد حدثنا به زحيد ثنا جاد بن سلمة قال انبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس عن عمه ابى رزين العقيلي واسمه لقيط بن عامر انه قال يا رسول الله اكلنا ريبه عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك فى خلقه فقال (٣٢١) رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس كلكم

يظن انى القمر مخلصا به قلنا بلى قال قاله اعظم قال قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه قال انا امرت بواى اهلك عملا قال بلى قال ثم مرت به به تتر خضر اقال بلى قال فكذلك يحيى الله الموتى وذلك آية فى خلقه ورواه ابو داود وابن ماجه من حديث جاد ابن سلمة به ثم رواه الامام احمد ايضا حدثنا يعلى بن اسحق انبأنا ابن المبارك انبأنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر عن سليمان بن موسى عن ابى رزين العقيلي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى قال امرت بأرض من ارضك مجذبة ثم مرت بها مخضبة قال نعم قال كذلك النشور وقال ابن ابى حاتم حدثنا اى حدثنا عيسى بن مرحوم حدثنا بكير بن السميط عن قتادة عن ابى الجراح عن معاذ بن جبل قال من علم ان الله هو الحق المبين وان الساعة آتية لا ريب فيها

ولا يسع عن ذكر الله وعن ابن مسعود انه رأى ناسا من أهل السوق سمعوا الاذان فتركوا أمتعتهم فقال هؤلاء الذين قال الله فيهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فأخرج البيهقي وابن أبي حاتم وغيرهما عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجمع الله يوم القيامة الناس في صعيد واحد يسعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد فينادى أين الذين صدقوا بآية محمد بن الله فى السراء والضراء فاقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادى أين الذين كانت تجارة في جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يعود فينادى ليقم الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يقوم سائر الناس فيحاسبون وأخرجهم الحاخا كم وصحبه وابن مردويه عن عتبة بن عامر مرفوعا نحوه (واقام الصلاة) أى أقامته المواقيت من غير تأخير أو أدائها فى وقتها جماعة لان مؤخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقبى الصلاة وحذفت التاء لان الاضافة تقوم مقامها فى ثلاث كلمات جمعها الشاعر فى قوله

ثلاثة تحذف تأتيا * مضافة عند جميع النحاة

وهى اذا شئت أبوعذرها * ولبت شعري واقام الصلاة

وقبل الرابع بعد الامر أى عدة الامر وقيل فى توجيهه حذفها غير ذلك وقد احتاج من حمل ذلك على الصلاة المقرضة ان يحمل أقام الصلاة على تأديتها فى أوقاتها فرارا من التكرار ولا ملجئ الى ذلك بل يحمل الذكر على معنى الحقيقى كما قدمنا (وايتاء الزكاة) المقرضة وقيل المراد طاعة الله والاخلاص اذ ليس لكل مؤمن مال (يتخافون يوما) أى يوم القيامة والصب على انه مفعول للشغل لا ظرف له يعنى ان هؤلاء الرجال وان بالغوا فى ذكر الله تعالى والطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بانهم ماعبدوا الله حق عبادته ثم وصف هذا اليوم بقوله (تقلب فيه القلوب) أى تضطرب وتحول من الهول

(٤١ - فتح البيان سادس) وان الله يبعث من فى القبور يدخل الجنة (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليعزل عن سبيل الله له فى الدنيا خزي وينذبه يوم القيامة عذاب الحر بوق ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد) لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلدين فى قوله ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ذكر فى هذه حال الدعاة الى الضلال من رؤس الكفر والبدع فقال ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا عدى ولا كتاب منير أى بلا عقل صحيح ولا نقل صحيح بل بمجرد الرأى والهوى وقوله ثانى عطفه قال ابن عباس وغيره مستكبر عن الحق اذا دعى اليه وقال مجاهد وتنادى ومالك عن زيد بن أسلم ثانى عطفه أى لاوى عطفه وهى رقبته يعنى يعرض عما يدعى اليه من الحق ويثني رقبته استكبارا كقوله وفى موسى اذا أرسلناه الى فرعون بساطان مين فتولى بركته الآية وقال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما نزل الله

والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا وقال تعالى واذا قيل لهم تعالوا يصالحوا الله ما إنهم إلا قوم مبغضون وقال تعالى ان لا اله الا الله وحده لا شريك له قال بعضهم هذه لام العاقبة لانه قد لا يقصد ذلك ويحصل ان تكون لام التعليل ثم لما ان يكون المراد به المعلنون أو يكون المراد به ان هذا الفعل لابد ان يتابعه الله على هذا الخلق الذى خلقهم من نسل عن نسل الله ثم قال تعالى فى الدنيا خزي وهو الاذنة والنذل كانه استكبر عن آيات الله فقام الله المذنب فى الدنيا عاقبه فيها قبل الاخرة لانهم اكبر حمة مما يبلغه وينفقهم يوم القيامة عذاب الخزي فذك عنى قدمت على الله تعالى فقال له هذا نقر يعاونون بها وان الله ليس بضالام للعباد كقولهم تعالى

(٢٢٢)

والفرع وقيل المراد انهما من آما كنهما الى الخباير فلا ترجع الى آما كنهما ولا تخرج (و) فتخص (الابصار) من هول ذلك اليوم وقيل المراد بتقلبها وان تصير عما بعد ان كانت مبصرة وقيل المراد بتقلب القلوب انهما تكون متقلبة بين الطمع فى النجاة والخوف من الهلاك وأما قلب الابصار فهو ونظرهما من أى ناحية يؤخذون وان أى ناحية يصيرون وقيل المراد بتحول قلوبهم وابصارهم عما كانت عليه من الشك الى اليقين وشكهم فوكفت عنك غطاء فبصرك اليوم حديد فكلان يراه فى الدنيا غير ابدى الاخرة رشدا وقيل المراد بالتقلب على جرحهم وقيل غير ذلك (ليجزهم الله أحسن مما عملوا) الام لام العاقبة والصبرورة للام العلة الباقية أى يفعلون ما يفعلون من التسليم والذكر وقام الصلاة وابناء الزكاة ليجزهم الله أحسن جزاء عما عملهم حسبا وعدهم من تضعيف ذلك الى عشرة أمثاله والى سبعة ضعف وقيل المراد بتقلب الائمة بما يتفضل به سبحانه عليهم زيادة على ما يستحقونه الاول اولى بقوله (ويريدهم من فضله) فان المراد به التفضل عليهم بما فوق الجزاء الموعود به أى يتفضل بأشياء لم يعد لهم بخصوصياتهم أو بقدراير حاولت محضريالهم كيفياتهم ولا يكتمها بل انما وعدت بطريق الاجال فى مثل قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وقوله عليه السلام حكايته عنه عز وجل أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التى من بطنها قوله تعالى (واالله يرزق من يشاء بغير حساب) فانه تذييل مقر للزيادة ووعد كرمه بانه تعالى يعطيهم غير ما جاورأعمالهم من الخيرات بما لا يثنى به الحسب والمغنى من غير ان يحاسبهم على ما أعطاه وان اعطاه سبحانه لانهاية له قال الكرخى وضع الموصول موضع خبرهم تنبيه على حيز الصلاة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئة تعالى لا أعمالهم الحسكية وذلك تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة احسانه ولما ذكر سبحانه حال المؤمنين وما يؤمل اليه أمرهم ذكر مثلا

الحجيم ذى النكأ أنت العزيز الكريم ان هذا ما كتبته ختبرون وقال ابن أبى عمير حدثنا فى حديثنا أحد ابن الصباح حدثنا يزيد بن هرون أنبا نادشام عن الحسن قال بلغنى ان أحدكم يحرق فى اليوم سبعين ألف مرة (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وان أصابه شدة انقلب على وجهه خبر الدنيا والاخرة ذلك هو انظر ان المؤمنين يدعون دون الله ما لا يبصره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد يدعون ضرة أقرب من نفعه لبس الموتى ولبس العشير) قال مجاهد وقبادة وغيرهما على حرف على شك وقال غيره على طرف ومنه حرف الجبل أى طرفه أى دخل فى الدين على طرف فان وجد ما يحبه استقر والا انشمر وقال البخارى حدثنا ابراهيم بن الحارث حدثنا يحيى بن أبى بكر حدثنا اسرائيل عن أبى حصين عن سعيد

ابن جبير عن ابن عباس ومن الناس من يعبد الله على حرف قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولنت امرأته غلاما وتجت حبسه قال هذا بن صاخر وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا بن سوء وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحد بن عبد الرحمن حدثنى أبى عمير عن أشعث بن إسحق القصبى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كن ناس من الاعراب يأبون النبي صلى الله عليه وسلم فيسلمون فاذابرجعوا الى بلادهم فان وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا ان ديننا هذا صالح فتمسكوا به وان وجدوا عام جدوى وعام ولاد سوء وعام غط قالوا ما فى ديننا هذا خير فانزل الله على نبيه ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به الاية وقال العوفى عن ابن عباس كن أحدكم اذا قدم المدينة وهم أرض دونه فان صحبها جسدته ونجت فرسهم بها احسانا ولبت امرأته غلاما مرضى به واطمان اليه وقال ما أصبت منه كتب

على ديني هذا الاخر وان اصابته فتنة والفتنة البلاء اي وان اصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة فأنابه
السلطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا الاشر والفتنة وهكذا ذكر قتادة والضحك وابن جرير وغير واحد
من السلف في تفسير هذه الآية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو المساق ان صلحت له دنياه أقام على العبادات وان فسدت عليه
دنياه فأنقلب فلا يقيم على العبادات الا لما صلح من دنياه فان اصابته فتنة أو شدّة واختيار أو ضيق ترك دينه ورجع الى
الكفر وقال مجاهد في قوله انقلب على وجهه أي ارتد كافرا وقوله خسّر الدنيا والآخرة أي فلا هو حصل من الدنيا على شيء
واما الآخرة فقد كفر بالله العظيم فهو فيها في غاية الشقاء والاهانة ولهذا فان تعالى ذلك هو الخسران المين أي هذ هي الخسارة
العظيمة والصفقة الخسارة وقوله يدعو من دون الله ما لا يضره (٣٢٣) وما لا ينفعه أي من الاصنام والانداد يستغيث

للكافرين فقال (والذين كفروا أعمالهم) التي هي من أعمال الخير كالصدقة والعق
والوقف والصلاة وفك العاني وعمارة البيت وسقاية الحاج (كسراب) هو ما يرى
في المناظر من لمعان الشمس عند اشتداد حر النهار على صورة الماء في ظن من يراه وهي
سر ابلا لا يدرك أي يجري كلما يقال سرب الفحل أي ضى وسار في الارض ويسمى
الآل وقيل الآل هو الذي يكون ضحى كلما لأنه يرتفع عن الارض حتى يصير كأنه
بين السماء والارض (بتيعة) أي تها فالباء بمعنى في وهو جمع فاع وهو الموضع المنخفض
الذي يستقر فيه الماء مثل حيرة وجار قاله الهروي وقال أبو عبيدة قيعه وقاع واحد
حكاها النحاس قال الجوهري القاع المستوى من الارض والجمع اقوع واقويعان
صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والقيعه مثل القاع قال وبعضهم يقول هو جمع والقاع
ما انبسط من الارض واتسع ولم يكن فيه نبت وفيه يكون السراب وقرئ بفتح الباء
مدورة كما يقال رجل عزها وقعات بتاء مبسوطة وقيل الاثنتي عشرة من اشباع العين
على الاول وجمع قيعه على الثاني (بحسبه الظمان ماء) الظمان العطشان وقرئ
الظمان بغير همز والمشهور عنهم الهمز وتخصيص الظمان بالحسان مع كون الزان يراه
كذلك لتحقيق التشبيه المبني على الطمع ولأنه أحوج اليمن غيره فالتشبيه به أتم (حتى
إذا جاءه) أي إذا جاء العطشان ذلك الذي حسبه ماء أو جاءه موضعه (لم يجد شيئا) مما قدره
وحسبه وظنه ولا من غيره والمعنى ان الكفار يقولون على أعمالهم التي يظنونهم امن
الخبر ويدهون في ثوابها فاذا قدموا على الله سبحانه لم يجدوا من امنها شيئا لان الكفر أحبطها
ومحاذرها عن ابن عباس قال هو مثل شر به الله كرجل عطش فاشتد عطشه فرأى
سرايا حسبه ما فظلمه فظن أنه قد رعى عليه حتى أتى فلما أتاه لم يجد شيئا أو قبض عند ذلك
يقول الكافر كذلك إذا أتاه الموت لم يجد عليه نفعي عنه شيئا ولا ينفعه الا كما نفع السراب
العطشان (ووجد الله عنده) بالمصاد وقيل وجد وعد الله بالخزاع على عمله وقيل وجد

بقلوبهم وصدقوا اعانهم فاعلموا الصالحات من جميع أنواع القربات وتركوا المنكرات فاورثهم ذلك سكنى الدرجات
العاليا في ربوات الجنات ولما ذكر تعالى أنه أضل أولئك وهدي هو لآله قال ان الله يفعل ما يريد (من كان يظن أن لن ينصره الله
في الدنيا والآخرة فليمدد برب السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ وكذلك أنزلنا آياتنا بينات وان الله سيهدي
من يريد) قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصره الله محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فليمدد برب أي يجبل الى
السماء أي سمايته ثم ليقطع يقول ثم ليختبره وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم وقال عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم فليمدد بسبب الى السماء أي ليتوصل الى باوغ السماء فان النصر انما يأتي بمحمد من السماء ثم ليقطع ذلك عنه
ان قدر على ذلك وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التكميم فان المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمد

وكاتبه ودينه فليذهب فليقتل نفسه ان كان ذلك عاقبته فان الله ناضره لا يحمله قال الله تعالى ان الناصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا يوم يقوم الاشهاد الاية ولهذا قال فليظنزل يذهب كنده ما يعطى قال السدي يعني من شأن محمد صلى الله عليه وسلم وقال عطاء الخراساني فليظنزل هل يشي ذلك ما يحسد في صدره من القبط وقوله وكذلك أثر لناه أي القرآن آيات بينات أي واضحات في لفظها ومعناها حاجة من الله على الناس وان الله يهدي من يريد أي يفصل من يشاء ويهدي من يشاء وله الحكمة التامة والخلق القاطعة في ذلك لا يستل عما يفعل وهم يشاؤون أما هو فليحسبته ورجته وعده وعمله وقهره وعظمته لا يعقب حكمه وهو سميع الخساب ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شئ شهيد) يخبر تعالى عن أهل هذه الاديان (٣٢٤) المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصابئين وقد قدمنا في سورة

البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين أشركوا فاعلموا مع الله غيره فانه تعالى يفصل بينهم يوم القيامة ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فانه تعالى شديد على افعالهم حفيظ لاقوالهم عليهم يسائرهم وماتكن ضماثرهم (الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن هين الله فحاله من مكرم ان الله يفعل ما يشاء) يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فانه يسجد لعظمته كل شئ طوعا وكرها وسجود كل شئ كما يختص به كما قال تعالى أولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفوق ظلاله عن البين والشمال سجد الله وهم داخرون وقال ههنا ألم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض أي من الملائكة في أقطار السموات والحيوانات في جميع الجهات من الانس والجن والدواب والطيور وان شئ الا يسجد بحمده وقوله والشمس والقمر والنجوم اعناد كرهذه على التخصيص لانها قد عبدت من دون الله فيبين انها تسجد لخالقها وانما ربوبية مسخرة لتسجدوا للشمس ولا للقمرة واسجدوا لله الذي خلقهن الاية وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري أين تذهب هذه الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانهما تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوش أن يقال لها الرجعي من حيث جئت وفي المسند وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه في حديث الكسوف أن الشمس والقمر خلقان من خلق الله وانهما لا ينكسها ان لموت أحد أو لحياته ولكن الله عز وجل اذا ينجي لشي من خلقه خشع له وقال أبو العباس ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع الله ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى

أمر الله عند حشره وقيل حكمه وقضاه عند الحشر وقيل قدم على الله وقيل عند العمل والمعنى مقارب (فوقاه حسابه) أي أعطاه ما وافيا كاملا حساب عمله المذكور جزاءه فان اعتقاده لنفعه بغير ايمان وعمله بوجهه كفر على كفره وجب للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا وما لا ارادة الجنس كاقطعا ان الواقع في التمثيل واما للعمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى أعمالهم (والله سر يع الحساب) لعباده من آمن منهم ومن كفر عن السدي عن أبيه عن أعجاب التي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الكفار يعثبون يوم القيامة ورد اعطاش فيقولون أين الماء فيمثل لهم السراب فيحسبون ماء فينطلقون اليه فيجدون الله عنده فيؤفونهم حسابهم والله سر يع الحساب أخرجه ابن أبي حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر وفي اسناده السدي عن أبيه وفيه مقال معروف (أو كظلمات) معطوف على كسراب ضرب الله سبحانه مثلا لعمال الكفار أي كأنها تشبه السراب الموصوف بتلك الصفات فهي أيضا تشبه الظلمات قال الزجاج أعلم الله سبحانه أن أعمال الكفار ان مثلت بما وجد فعلها كمثل السراب وان مثلت بما يرى فهي كهذه الظلمات التي وصفت وقال أيضا ان شئت مثلت بالسراب وان شئت مثلت بهذه الظلمات فأوللا باحثة والتخيير حسبا تقدم من القول في أو كصيب قال الجرجاني الاية الاولى في ذكر أعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسوا الكفر على أعمالهم لانه انما من أعمالهم قال القرطبي في عند الزجاج التمثيل وقع لأعمال الكفار وعند الجرجاني لكفر الكفار وقيل اولالتقسيم باعتبار وقتين فانها كالسراب في الدنيا والظلمات في الآخرة وقيل اولالتنويه يعني ان أعمالهم ان كانت حسنة فهي كسراب وان كانت سيئة فهي كظلمات (في بحر طبعي) الجملة معظم الماء والجمع لجمع وهو الذي لا يدرك عمقه ثم وصف سبحانه هذا البحر بصفة أخرى فقال (بغشاء) أي بعلوه هذا البحر (موجب) فيستره ويغطيه بالكمية والموج ما ارتفع من الماء ثم وصف هذا الموج بقوله (من فوقه)

أي

يؤذنه فيأخذ ذات العين حتى يرجع الى مطالعه وأما الجبال والشجر فسجدوا في ظلها من الجن والشياطين وعن ابن عباس قال جاز رجل فقال يا رسول الله أخيرا أتيت الليلة وأنا نائم كلني أصل خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودى فسجدت وهي تقول اللهم اكتب لي بها عندك أجر اوضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلها من عبدك داود قال ابن عباس فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدة ثم سجدة وسجدت معه وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة رواء الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقوله والدراب أي الحيوانات كلها وقد جاء في الحديث عند الامام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر قرب مراكب بخير أو أكثر ذكر الله تعالى من ركبها وقوله وكثير من الناس أي يسجد لله طوعا محتارا متعبدا بذلك وكثير حق عليه (٣٢٥) العذاب أي بمن امتنع وأبى واستكبر

ومن بين الله فخاله من مكره ان الله يفعل ما يشاء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن شيبان الرمي حدثنا القحاح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال قيل لعلي ان ههنا رجلا يتكلم في المشيئة فقال له علي ابعده الله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت قال بل كما شاء قال فرفضك اذا شاء وأذا شئت قال بل اذا شاء قال فبشيئك اذا شاء وأذا شئت قال بل اذا شاء قال فبشيئك اذا شاء وأذا شئت أو حيث شاء قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرته بالسجود فابتنى في النار رواه مسلم وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم وأبو

أي من فوق هذا الموج (موج) ثانياً كما فيه إشارة الى كثرة الامواج وتراكم بعضها فوق بعض ثم وصف الموج الثاني فقال (من فوقه صحاب) فيجتمع حينئذ جوف البحر وامواجه والصحاب المرتفعة فوقه وقيل ان المعنى يغشاه موج من بعده موج فيكون الموج يتبع بعضه بعضا حتى كان بعضه فوق بعض والبحر اخوف ما يكون اذا توالى أمواجه فاذا انضم الى ذلك وجود الصحاب من فوقه زاد الخوف شدة لاننا نستر الجحوم التي يهدى بها من في البحر ثم اذا مطرت تلك الصحاب وهبت الريح المستادة في الغالب عند نزول المطر تكاثفت الهوموم وتراقت الغيوم وبلغ الامر الى الغاية التي ليس وراءها غاية ولهذا قال سبحانه (ظلمات بعضها فوق بعض) أي ظلمات او هذه ظلمات متتالفة متردفة ففي هذه الحالة بيان لشدة الامر وتعاضله وبلغه النهاية القصوى ووجه الشبه ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة الصحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة التوكل وظلمة العمل وقال أبي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومقصده الى ظلمات يوم القيامة في النار قرئ صحاب ظلمات بالاضافة ووجهها ان الصحاب ترتفع وقت هذه الظلمات فانضيف اليها هذه الملابس وقرئ بالقطع والتو ومن غرائب التفاسير ان ابنه سبحانه اراد ان الظلمات اعمال الكافر وبالبحر اللجج قلبه وبالموج فوق الموج ما يغشى قلبه من الجهل والسهو والخيرق بالصحاب الرز والحم والطبع على قلبه وهذا تفسيره عن لغة العرب بمكان بعيد وعن ابن عباس قال يعني بالظلمات الاعمال وبالبحر اللجج قلب الانسان يغشاه موج يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسع والبصر ثم بالغ سبحانه في هذه الظلمات المذكورة بقوله (اذا أخرج) أي الناظر وألحاض في هذه الظلمات وامن ابتلى بها (يده) مع انها أقرب شئ اليه (لم يكدرها) أي لم يقرب من رؤيتها قال الزجاج وأبو عبيدة المعنى لم يرها ولم يكدر وقال الفراء ان كذا كذا المعنى اذا

عبد الرحمن المقرئ قال احدثنا ابن لهيعة قال حدثنا مشر بن هانان أبو مصعب المعافري قال سمعت عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفضت سورة الحج على سائر القرآن بسجدة تن قال نعم فمن لم يسجد بهما فاقبلها فقرأهما ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن أبيه عنه وقال الترمذي ليس بقوى وفي هذا نظر فان ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع وأكثروا ثم أقاموا عليه تدليسه وقد قال أبو داود في المراسيل حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن عامر بن جشيب عن خالد بن معدان رجه الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدة تن ثم قال أبو داود وقد أسند هذا يعني من غير هذا الوجه ولا يصح وقال الحافظ أبو بكر الاسماعيلي حدثني ابن أبي داود حدثنا يزيد بن عبد الله حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا حفص بن غياث حدثني نافع قال حدثني أبو الجهم أن عمر مسجدتين في الحج وهو بالجديبة وقال ان هذه

فصلت بسجدة تين وروى ابو داود وابن ماجه من حديث الحرث بن سفيان عن عبد الله بن مسعود عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في الفصل وفي سورة الحج سجدة واحدة وشاهد بسجدة بعضها (هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كما رآدوا ان يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وكذا ذاقوا عذاب الحريق) ثبت في الصحيحين من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر انه كان يقسم قهما ان هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في سجرة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم رزوا في بدر لفظ البخاري عند تفرعها ثم قال البخاري حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن قيس بن (٣٢٦) عباد عن علي بن أبي طالب انه قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للصلاة يوم

القيامة قال قيس وفهم نزلت هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحشة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة انفرده البخاري وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله هذان خصمان اختصموا في ربهم قال اختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب ينبغي ان يقبل نبيكم وكما قبل كتابكم فحين أولي بالله منكم وقال المسلمون كئنا يفتنى على الكتب كلها ونسأخاتم الانبياء فحين أولي بالله منكم فافلج الله الاسلام على من نأواه وأنزل هذان خصمان اختصموا في ربهم وكذا روى العوفي عن ابن عباس وقال شعبة عن قتادة في قوله هذان خصمان اختصموا في ربهم قال مصدق ومكذب وقال ابن أبي شبيب عن مجاهد في هذه الآية مثل الكافر المؤمن اختصما في البعث وقال في رواية جوه وعطاء في هذه الآية هم المؤمنون

آخر حجة لبرها كما تقول ما كنت أعرفه وقال المبردين في لبرها الامن بعد الجهد للشدّة الظلة قال النحاس أصح الاقوال في هذان المعنى لم يقارب رؤيتها فاذن لبرها رؤية بعدة ولا قرينة (ومن لم يجعل الله له نورا فله نور) مقررة لما قبلها من كون اعمال الكفرة على تلك الصفة قال الزجاج ذلك في الدنيا والمعنى من لم يهده الله لم يهده وقيل ان المعنى من لم يجعل له نورا عيش به يوم القيامة فله من نور يهدي به الى الجنة وقيل من لم يجعل له ديناً وإيماناً فلا دين له وقيل المعنى من لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فله من نور خلاف الموفق الذي له نور على نور والآية عامّة في حق جميع الكفار وقيل خاصة فيمن نزلت فيه وهو عتبة بن ربيعة كان يلمس الدين في الجاهلية ولم يلبس المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعادوا الاول أولى (ألم تر ان الله يسجد له من في السموات والارض) قد تقدم تفسير مثل هذه الآية في تفسير سورة سبحان والخطاب لكل من له أهلية النظر والرسول صلى الله عليه وآله وسئل وقد علمه من جهة الاستدلال ومعنى ألم تر ألم تعلم والهمز قلت قرر رأي قد علمت علمانياً شيئاً بالمشاهدة والوثاق بالروى وظاهره انه استعارة ومقتضى كلام النحويين أن رأى العلمية حقيقة قاله الشهاب والتبسيط التنزيه في ذاته وأفعاله وصفاته عن كل ما لا يليق به ومعنى من في السموات والارض من هو مستقر فيهما من العقلاء وغيرهم وتبسيط غير العقلاء ما يجمع من أصواتها ويصاها من أثر الصنعة البديعية فيا وقيل ان التبسيط هنا هو الصلاة من العنقاء والتنزيه من غيرهم وقد قيل ان هذه الآية تشمل الحيوانات والجمادات وان آثار الصنعة البديعية الالهية في الجمادات ناطقة ومخيرة فانصاف سبحانه بصفاته الجلال والكمال وتنزهه عن سمات النقص والزوال وفي ذلك تقريب للكفار وتوبيخ لهم حيث جحدوا الجمادات التي شأنها التسبيح لله سبحانه شكره له بعدد ما كعبادته عز وجل وبالجملة فانه ينبغي حل التبسيط على ما يليق بكل نوع من أنواع المخلوقات على طريقة عموم المجاز

والكافرون وقال عكرمة هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هي الجنة والنار قالت النازج عن العقوبة (والظلمة) وقالت الجنة اجعلني للراحة وقول مجاهد وعطاء ان المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الاقوال كلها وينظم فيه قصة يوم بدر وغيرها قال المؤمنون يديون نصره قدين الله عز وجل والكافرون يديون اظفان نور الايمان وخذلان الحق وظهور الباطل وهذا اختبار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار رأى فصلت لهم مقطعات من النار قال سعيد بن جبير من نحاس وهو أشد الاشياء حرارة اذ اجثى يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به مافي بطونهم والجلود أي اذا صب على رؤسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة قال سعيد بن جبير هو النحاس المذاب اذاب مافي بطونهم من الشحم والامعاء قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم وكذلك تدوب جلودهم وقال ابن عباس وسعد بن ساقط وقال ابن جرير حدثني محمد بن المنذر حدثني ابراهيم

أبو الحق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن زيد عن أبي المسمع بن ابن حجرية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 أن الجحيم ليصعب على رؤسهم فينفذ الجمجمة حتى يتخلص إلى جوفه فينبت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه وهو ابصر ثم يعاد كما كان
 ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح وهكذا رواه أبي حاتم عن أبيه عن أبي نعيم عن ابن المبارك به ثم قال ابن
 أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا جدي أبي الحواري قال سمعت عبد الله بن السري قال يأتني الملك يحمل الأناة بكيتين من
 حراره فاذا أدناه من وجهه تكبره قال فيرفع مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيخرب دماغه ثم يفرغ الأناة من دماغه فيوصل إلى
 جوفه من دماغه فذلك قوله ليصبر به ما في بطونهم والجاود وقوله ولهم مقام من حديد قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى
 حدثنا ابن لهيعة حدثنا إدراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله (٢٢٧) صلى الله عليه وسلم قال لو أن مقمعا من حديد
 وضع في الأرض فاجتمع له النعلان

(والطير صافات) أي باسطات اجتمعت في الهواء وخص الطير بالذ كرمع دخولها تحت من
 في السموات والأرض لعدم استقرارها في الأرض وكثرة لبثها في الهواء وهو ليس
 من السما ولا من الأرض ولمافيها من الصنعة البديعة التي يقدربها تارة على الطير
 وتارة على المشي بخلاف غيرهما من الحيوانات وذكر حاله من حالات الطير وهي كون
 صدور التسبيح منها حال كونها صافات لا تحتها لأن هذه الحالة هي أغرب أحوالها فان
 استقرارها في الهواء مسبوحة من دون تحريك لا تحتها ولا استقرار على الأرض من أعظم
 صنع الله الذي اتقن كل شيء ثم زاد في البيان فقال (كل قد علم صلاته وتسبيحه) أي كل واحد
 من هذه المسبحات لله قد علم صلاة المصلي وتسبيح المسبح وقيل إن المعنى أن كل مصلي ومسبح
 قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه قال السمين وهذا أولى لتوافق الضمائر قيل والصلاة
 هنا بمعنى التسبيح وكررت لأكد والصلاة قد تسمى تسبيحا وقيل المراد بها هذا الدعاء أي
 علم دعاءه وفائدة الأخبار بأن كل واحد قد علم ذلك أن صدور هذا التسبيح هو عن علم قد
 علمها الله ذلك والله ما البسلا لأن صدورهم منها على طريقة الاتفاق بالاروية وفي ذلك
 زيادة دلالة على بديع صنع الله سبحانه وعظم شأنه من كونه جعلها مسبوحة لعالمه بما يصدر
 منها غير جاهلة له وقال السدي الصلاة للإنسان والتسبيح لمساوي ذلك من خلقه وقيل
 إن ضرب أجنحة الطير صلاته وتوصوته تسبيحا والمعنى كل واحد من هذه المسبحة قد علم الله
 صلاته وتسبيحه أي أنه لا يرجح اتفاق القراء على رفع كل ولو كان الضمير لله لكان
 نصب كل أولى وقيل المعنى علم كل صلاة الله وتسبيحه أي الذين أمرهم بما وبأن يفعلوا
 كضافة الخلق إلى الخالق والاولى أولى وقرئ علم على البناء للمفعول (والله عليم بما
 يفعلون) مقرر لما قبله أي لا يخفى عليه طاعتهم ولا تسبيحهم ولا يعزب عن علمه شيء
 ثم بين سبحانه أن المبدأ منه والمعاد له فقال (ولله) لأنه (ملك السموات والأرض) أي
 خزائن المطر والرزق والنبات لأنه خالقهما ولا يعلمهما أي أحد سواهم ومن ملك شيئا فبملكه

الفيل بن عياض والله ما طمعو في النروج أن الأرجل لمقيدة وإن الأيدي لموثقة ولكن يفهم لهمها وتردهم مقامها وقوله
 وذوقوا عذاب الحريق كقوله وقيل لهم وذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ومعنى الكلام أنهم هم أن يذوقوا عذاب النار
 (أن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيهاحرير
 وهندوا إلى الطبيب من القول وهذا إلى صراط الحميد) لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عذابا ما لله من حالهم وما هم فيه من العذاب
 والتكال والحريق والغلل وما أعد لهم من الثواب من النار ذكر حال أهل الجنة نسأل الله من فضله وكرمه فقال أن الله يدخل
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار أرى تخبرني في كافتها وأرجاؤها وجوانبها وتحت أشجارها وقصورها
 بصرف فوجها حيث شاؤوا أين أرادوا يحلون فيها من الحلية من أساور من ذهب ولؤلؤا أي في أيديهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم

في الحديث المتفق عليه تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وقال كعب الاحبار ان في الجنة ملكا لو شئت ان اسميه سميته يصوغ لاهل الجنة الحلى منذ خلقه الله الى يوم القيامة لو ابرز قلب منها أى سوار منها لرشعاع الشمس كما تراد الشمس نور القمر وقوله ولباسهم فيها حر يرى مقابله ثياب اهل النار التي فصأت لهم لباس هؤلاء من الحر راسه بقرقه وسندسه كما قال عالمهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم بهم شراب طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكن سعيكم مشكورا وفي الصحيح ان ثياب السوا الحر رولا الديباخ في الدنيا فانه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قال عبد الله بن الزبير ومن لم يلبس الحر في الدنيا لا تحرق له يدخل الجنة قال الله تعالى ولباسهم فيها حر روى وقوله وهذا الى الطيب من القول كقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم يتخيمون فيها سلام وقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قسمة عسى الدار وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قولا سلاما سلاما فهذا الى المسكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب وقوله ويطعون فيها تحية وسلاما لا يكبان اهل النار بالكلام الذي يوجعون به ويقرعون به يقال لهم ذوقوا عذاب الحر يق وقوله وهذا الى صراط الجحيد أى الى المكان الذي يحمدون فيه بهم على ما أحسن اليهم وانتم به وأسده اليهم كما جاء في الحديث الصحيح انهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وقد قال بعض المفسرين في قوله وهذا الى الطيب من القول أى القرآن وقيل لا الله الا الله وقيل الاذكاء المشروعة وهذا الى صراط الجحيد أى الطريق المستقيم في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه

(٢٢٨)

تعالى اياه (والى الله) لا الى غيره (الصبر) أى الرجوع بعد الموت وقد تقدم تفسيره من هذه الآية في غير موضع ثم ذكر سبحانه قليلا لا آخر من الآثار العالوية فقال (ألم تر أن الله يرحم السحاب) الانباء السوق قليلا قليلا والمعنى أنه ينسوق السحاب سوفافريقا الى حيث يشاء يقال ربحى الشيء ترجمته دفعه برفق وترجى بكذا اكتبني به وانجى الابل ساقها والمرجى الشيء القليل وبضاعة مزاجه قليلة والمرجى السحاب والبقرة تربي ولدها أى تسوقه (ثم يؤلف بينه) أى بين اجزائه فيضم بعضها الى بعض ويجمعه بعد تفرقه ليقوى ويصل ويكتف والاصل في التأليف الهمز وقرئ يواف بالواو وتحذف الفاء والسحاب واحد في اللفظ ولكن معناه جمع ولهذا دخلت بين عليه لان اجزائه في حكم المفردات له قال القراء ان الضمير في ينفه راجع الى جلة السحاب كما تقول الشجر قد جلست بينه لانه جمع وافرد الضمير باعتبار اللفظ (ثم يجعله ركاما) أى مترا كما يركب بعضه بعضا والركم جمع الشيء يقال ركم الشيء يركمه كما يجمعه والقي بعضه على بعض وبابه نصر وارتكمت الشيء وترأمت اذا اجتمع والركعة الطين المجموع والركم الرمل المتراكم والسحاب وشجوه (فترى الودق) هو المطر عند سبجه والمفسرين بقال ودقت السحاب فهي وادقة وودق المطر يدق أى قطر يقطر وقيل ان الودق المطر ضيقا كان او شديدا والروى هنا بصريه (يخرج من خلاله) أى من فوقه وفروجه التي هي مخارج القطر منه قال كعب ان السحاب غربال المطر لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لافسد ما يقع عليه من الارض وقرئ من خلله على الافراد وقد وقع الخلاف في خلال هل هو مفرد كجبال أو جمع كجبال (و ينزل من السماء) أى من عال لان السماء قد يطلق على جهة العلو (من جبال) أى من قطع عظام تشبه الجبال (فيها من برد) من التبعية وهو مفعول ينزل قيل التقدير من برد بردا وقيل ينزل من السماء قدر جبال أو مثل جبال من برد الى الارض قال الاخفش ان من زائدة في الموضعين أى ينزل من السماء بردا يكون كالجبال

باب سلام عليكم بما صبرتم قسمة عسى الدار وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قولا سلاما سلاما فهذا الى المسكان الذي يسمعون فيه الكلام الطيب وقوله ويطعون فيها تحية وسلاما لا يكبان اهل النار بالكلام الذي يوجعون به ويقرعون به يقال لهم ذوقوا عذاب الحر يق وقوله وهذا الى صراط الجحيد أى الى المكان الذي يحمدون فيه بهم على ما أحسن اليهم وانتم به وأسده اليهم كما جاء في الحديث الصحيح انهم يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وقد قال بعض المفسرين في قوله وهذا الى الطيب من القول أى القرآن وقيل لا الله الا الله وقيل الاذكاء المشروعة وهذا الى صراط الجحيد أى الطريق المستقيم في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه

بالحاد يظلم بقدره من عذاب أليم) يقول تعالى منكر على الكفار في صدقهم المؤمنين عن آيات المسجد الحرام وقضاء والحاصل مناسكهم فيه ودعواهم انهم أولياؤه وما كانوا أولياءه الا المتقون الآية وفي هذه الآية دليل على أنهم امة دينية كما قال في سورة البقرة يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به المسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله وقال ههنا ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أى ومن صفته انهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أى ويصدون عن المسجد الحرام من أرادهم من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الامر وهذا الترتيب في هذه الآية كقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب أى ومن صفته انهم تطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد أى العاكف فيه والباد أى يتبعون الناس عن الوصول الى المسجد الحرام وقد جعل الله شرا عاياه

لا فرق فيه بين المقيم فيه واثاني عند الجعد البرد منه سواء العاكف فيه والباد ومن ذلك استواء الناس في رباع مكة وسكناها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله سواء العاكف فيه والباد قال ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام وقال مجاهد سواء العاكف فيه والباد أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد وقال عبد الرزاق عن معمر بن قتادة سواء فيه أهلهم وغير أهلهم وهذه المسئلة هي التي اختلف فيها الشافعي واصلح بن زاهو به بسجدة الخيف واجد بن حنبل حاضرة أيضا فذهب الشافعي رحمه الله إلى أن رباع مكة تلك وثور وثور واحتج بحديث الزهري عن علي ابن الحسن عن عمرو بن عثمان عن اسماء بن زيد قال قلت يا رسول الله أنزل غدا في دارك بمكة فقال وهل ترك لنا عقيل من رباع ثم قال لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر وهذا الحديث مخرج (٢٢٩) في الصحيحين ومما ثبت أن عمر بن الخطاب اشترى

والخاصل أن من في من السماء لا ابتداء للغاية باتفاق المفسر من الاختلاف وفي من جبال ثلاثة أوجه الأول أنها لا ابتداء للغاية والثاني أنها لا لبعض كأنه قال وينزل بعض جبال الثالث أنها زائدة أي ينزل من السماء جبالا وأما من في من برد فمجموع الاربعة أوجه الثلاثة المتقدمة والاربعة أنها البيان الجنس قاله الحوفي والبخاري أي وينزل من السماء بعض جبال التي هي البرد فالنزل برذلان بعض البرد برد قال الزجاج معني الآية وينزل من السماء من جبال برد فيها وذلك إبقاء البقاء التقدير شيأ من جبال قيل أن في السماء جبالا من برد كما في الأرض جبال من حجر وقيل المراد بذكر الجبال الكثرة كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقضية (فيصيب به) أي بما ينزل من البرد كما في البضاوي والخازن (من يشاء) أن يصيهم من عباده (ويصرفه عن يشاء) منهم أو يصيب به مال من يشاء ويصرفه عن مال من يشاء وقد تقدم الكلام على مثل هذا في البقرة (يكاد سنا بقره) العامة على قصر سنا وهو الضوء وهو من ذوات الزوا يقال سنا يسنا سنا أي انشاء بضئ وبالمدالرفة كذا قال المبرد وغيره قرئ سنا بقره بالمدعى المبالغة في شدة الضوء والصنفاء فاطمى عليه اسم الرفعة والشرف وقرئ يضم الباء من برقه وفتح الراء هي على هذه جمع برق وقال النحاس البرقة المقتدر من البرق والبرقة الواحدة والمعنى بكاد ضوء البرق الذي في السحاب (يذهب بالابصار) من شدة برقه ويزيد ثلثه لانه وهو كقوله يكاد البرق يخطف ابصارهم وقرئ يذهب من الاذهاب ويذهب من الذهاب والابصار جمع بصراى الناطرة والباء للاتصاف وقيل للتعدية وقيل هي بمعنى من والمفعول محذوف تقديره يذهب النور من الابصار فجاء من يخرج الماء النور والنور والظلمة من شيء واحد وقيل زائدة (يتلأ الله الدين والنهار) أي يعاقب بينهما فبأن الليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى يؤذي ابن آدم يرب الدهر وأما الدهر يسدى الأمر قلب الليل والنهار

من صفوان بن أمية دار بمكة فجعلها سجنابا ربعة آلاف درهم وبه قال طاوس وعمر بن دينار وذهب اصمعي ابن زاهو به إلى أنها لا نور ولا تور وهو مذهب طائفة من السلف ونص عليه مجاهد وعطاء السلف واصمعي بن زاهو به بما رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن حسين عن عثمان بن أبي سليمان عن علقمة بن نضلة قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وماتدى رباع مكة الا لسواها من احتاج سكن ومن استغنى أسكن وقال عبد الرزاق عن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو انه قال لا يستل يسع دور مكة ولا كراؤها وقال أيضا عن ابن جريج كان عطاء يهوى عن الكراء في الحرم وأخبرني أن عمر بن الخطاب كان يهوى عن تبويب دور مكة لأن ينزل الحاج في عرصاتهما

(٤٢ - فتح البيان سادس) فكان أول من بوب دارهم بل بن عمرو فأرسل السهم عمر بن الخطاب في ذلك فقال انظر في يأمر المؤمنين في كنت امرأتا جرافرت أن اتخذنا بين حبسان في ظهري قال فذلك ذلك اذا وقال عبد الرزاق عن معمر بن جهماد عن عمر بن الخطاب قال بال أهل مكة لا تتخذوا الدور كرم أو بابا ينزل البادية حيث يشاء قال واخبرنا معمر عن سمع عطاء يقول سواء العاكف فيه والباد قال ينزلون حيث شاؤوا وروى الدارقطني من حديث ابن أبي شبيب عن عبد الله بن عمرو وهو وقوف من أهل كرايموت مكة كل نار أو توسط الامام أحمد فقال تلك وثور وثور ولا تور جرجع ما بين الأدلة والله أعلم وقوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذمن عذاب آليم قال بعض المفسرين من أهل العربية الباء هنا زائدة كقوله تنبت بالدهن أي تنبت الدهن وكذا قوله ومن يرد فيه بالحاد تقديره الحاد كما قال الاعشى خمنت برزق عيالنا ارمحننا * بين المراحل والبرج الاجرد

وقال الأسخري

بواعد ابن نبت الشصردو * وأما له بالمرخ والشهان

والاجود انه ضمن الفعل هتاء معنى بهم ولهذا عدم الباء يقال ومن يرد فيه الخاد أي بهم فيه بأمر فطيع من العاصي الكبار وقوله
بظلم أي عايد أقصدا انه لم ينس يتناول كما قال ابن جرير عن ابن عباس هو التعمد وقال علي بن أبي طالب عن ابن عباس بظلم
بشره وقال مجاهد ان يعبد فيه غير الله وكذا قال قتادة وغير واحد وقال لعوفي عن ابن عباس بظلم هو ان تسجل من الحرم ما حرم
الله عليك من اسائة أو قتل قطعتك من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فاذا فعل ذلك فقد وجب العذاب الاليم وقال مجاهد بظلم يعمل
فيه عدلا ساء وهذا من خصوصية الحرم انه يعاقب البادي فيه الشر اذا كان عازا ما عليه وان لم يوقعه كما قال ابن أبي حاتم في تفسيره
حدثنا أحمد بن سنان حدثنا زبد بن هرون (٢٣٠) أنبا ناسية عن السدي انه سمع من يحدث عن عبد الله يعني ابن مسعود

في قوله ومن يرد فيه بالحد بظلم
قال لو ان رجلا اراد فيه الخادا
بظلم وهو بعدن أبي لاذقه الله من
العذاب الاليم قال شعبة هو رفعه
لنا وانالنا لرفعكم لكم قال يزيد بن
قدره ورواه أحمد عن يزيد بن
هرون به قالت هذا الاسناد صحيح على
شرط البخاري ووقفه أنشبه من
رفعه ولهذا صهم شعبة على وقفه
من كلام ابن مسعود وكذا رواه
أسباط وسفيان الثوري عن
السدي عن مرة عن ابن مسعود
موقوفا والله أعلم وقال الثوري
عن السدي عن مرة عن عبد الله
قال ما من رجل بهم بنية فكذب
عليه ولو ان رجلا بعدن أبيهم
ان يقتل رجلا بهذا البيت لاذقه
الله من العذاب الاليم وكذا قال
الضحاك بن مزاحم وقال سفيان
الثوري عن منصور عن مجاهد الخاد
فيه لا والله وبلى والله وروى عن
مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن مسعود

أخرجه البخاري ومسلم وقيل يزيد في أحدهما ونقص الآخر وقيل بقلهما باختلاف
ما يقدره فيه ما من خير وشرو ونفع وضر وقيل بالخر والبرد وقيل المراد بالث تغيير النهار
بظلمة السحاب مرة وبضوء الشمس أخرى وتغيير الليل بظلمة السحاب تارة وبضوء القمر
أخرى (ان في ذلك) إشارة الى ما تقدم من نزجاء السحاب وانزال الودق والبرد وتقلب
الجديدين (عبارة) أي دلالة واضحة يكون بها الاعتبار (الاولى الابصار) أي لكل من له
بصري يصير به في براهين لا تحته على وجوده ودلائل واضحة على صفاته فان نظروا تدبر ثم
ذكر سبحانه دلائل الثامن بحجاب خلق الحيوان وبنوع صنعة نقول (والله خلق كل دابة)
وقرى خالق والعنسان صحيحان والدابة كل ما دب على الارض من الحيوان يقال دب
يدب فهو داب والهاء الهمزة والمغلة ومعنى (من ماء) من نقطة وهي الماء كذا قال ابن جرير ثم
خالف بين المخلوقات من النطفة فتم احوام ومنها جامات وقال جماعة ان المراد الماء المعروف
لان آدم خلق من الماء والطين قيل وخلق كل دابة من نطفة انما هو بحسب الغلب في
خلق حيوانات الارض المشاهدة والافلاك كخلقها من نوردهم أكثر المخلوقات عددا
والجان خلقوا من نار ودهم بقدر تسعة أعشار الانس كما قيل وادم خلق من الطين وعيسى
من الريح التي نفثها جبريل في جيب مريم وخلق الدود من نحو القمحة والعفونات
ثم فصل سبحانه أحوال كل دابة فقال (فمنهم من يشي على بطنه) وهي الحيات والهوام
والحوت والدود ونحو ذلك وسوى الزحف على البطن مشيا استعارة كما سمعنا في المشفر
للشفق بالعكس كما يقال في الامر المسفر قد مشى هذا الامر وفلان ما يشي له امر أو على
طريق المشاكلة لذكر الزحف مع المشي (ومنهم من يمشي على رجلين) وهم الانسان
والطيور والنعام (ومنهم من يشي على أربع) كالبهايم وسائر الحيوانات وقدم ما هو اعرف في
القدرة وهو المشي بغير آله المشي من أرجل أو غير فأم المشي على رجلين ثم المشي على
أربع وقال من ولم يقل ما تغلب المان يعقل على ما لا يعقل لان جعل النفس اصلا وانفيس

وقال سعيد بن جبير شتم الخادم ظلم فافوقه وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن عطاء عن معوية بن مهران

عن ابن عباس في قوله ومن يرد فيه بالحد بظلم قال تجارة الامير فيه وعن ابن عمر بيع الطعام بمكة الخاد وقال حبيب بن أبي ثابت
ومن يرد فيه بالحد بظلم قال المحسكر بمكة وكذا قال غير واحد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن اسحق الجوهري
أنبا نأبوعاصم عن جعفر بن يحيى عن عمارة بن نويرة عن حدثني موسى بن باذان عن يعلى بن أمية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال احتكر الطعام بمكة الخاد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن ليعة حدثنا عطاء بن
دينار حدثني سعيد بن جبير قال قال ابن عباس في قول الله ومن يرد فيه بالحد بظلم قال نزلت في عبد الله بن أنيس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثه مع رجلين أحدهما باجر والآخر من الانصار فاقتروا في الانساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل

الانصارى ثم ارتد عن الاسلام ثم هرب الى مكة فتركت فيه ومن يرد فيه بالحاد بظلم يعنى من لحا الى الحرم بالحاد يعنى عيل عن الاسلام وهذا لا ثار وان دلت على ان هذه الاشياء من الاحاد ولكن هو أهم من ذلك في اعتبارها على ما هو أعظم منها ولهذا لما هم أصحاب القيل على تخريب البيت أرسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كدصف مأكول أى دمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراد منهم سوء ولذلك ثبت في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا بيدها من الارض خسف بأولهم وآخرهم الحديث وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن كاسم حدثنا اسحق بن سعيد عن أبيه قال أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير فقال ابن الزبير يا أبا عبد الله صلى الله عليه وسلم فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيلج فيه رجل من قريش لو توزن ذنوبه بذنوب الثقيلين لم يجت (٢٣١) فانظر لا تكن هو وقال أيضا في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص حدثنا هشام بن سعد حدثنا سعيد بن اسحق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو بن عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير وهو جالس في الحجر فقال يا ابن الزبير يا أبا عبد الله صلى الله عليه وسلم فاني أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحلها ويحل به رجل من قريش لو توزن ذنوبه بذنوب الثقيلين لو تزنها قال فانظر لا تكن هو لم يخبر به أحد من أصحاب الكتب من هذين الوجهين (واذبوأنا لبراهيم مكان البيت أن لا تشركوا بشيئا وطهر بيتي للطائفتين اللواتي هن والركع السجود وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) هذا فيه تقرير ولو يخلف عبد غير الله وأشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فذكر تعالى انه لوأبراهيم مكان البيت أى ارشده اليه

تعالى قال ابن عباس كل شيء يسمى على أربع الا الانسان واقول هذه الطيور على اختلاف أنواعها تعيش على رجلين وهكذا غيرها كالنعامة فانها تعيش على رجلين وليست من الطيور هذه الكمية المروية عنه رضى الله تعالى عنه لا تصح ولم يتعرض سبحانه لما يسمى على اربعة لقلته وقيل لان المشى على اربع فقط وان كانت القوائم كثيرة وقيل لعدم الاعتداد بما يسمى على اكثر من اربع ولا وجه يكون لهذا فان المراد التنبية على بدع الصنع وبكال القدرة فكيف قال لعدم الاعتداد بما يسمى على اكثر من اربع وقيل ليس في القرآن ما يدل على عدم المشى على اكثر من اربع لانه لم ينف ذلك ولا جاء بما يقتضى الحصر وفي مصحف أبي ومنهم من يسمى على اكثر من اربعة هذه الزيادة جميع ما يسمى على اكثر من اربع كالسرطان والعناكب والحيتان المعروف بام اربع واربعين وكثير من خشاش الارض كالعقارب وقيل انما لم يتعرض لهذا القسم لدخوله في قوله (يخلق الله ما يشاء) أى عما ذكره هنا وما لم يذكره كالحاديات مركبها وبسببها نامية وغير نامية على اختلاف الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطباع والقوى والانفعال مع اتحاد العنصر عقضى شبيهته (ان الله على كل شيء قدير) لا يجهز شيء ولا يمنع مانع بل الكل من محالوفاته داخل تحت قدرته سبحانه (لقد أنزلنا آيات مبينات) بكسر الهمزة وفتحها سبعين وكذا في كل ما جاء من هذا الجمع في القرآن والمراد بها القرآن فانه قد اشغل على بيان كل شيء ما فرطنا في الكتاب من شيء وفيه التفات قد تقدم مثل هذا في غير موضع (والله يهدي من يشاء) بتوفيقه للنظر الصحيح وارشاده الى التأمل الصادق (الى صراط مستقيم) أى طريق مستو لا عوج فيه فيتموصل بذلك الى الخير التام وهو نعيم الجنة ثم شرع سبحانه في بيان احوال من لم يحصل له الهداية الى الصراط المستقيم فقال (ويقولون آمنا بالله وبالرسل واطعنا) وهؤلاء هم المنافقون الذين يظهرون الايمان ويطنون الكفر ويقولون يا فواهمهم ما ليس في قلوبهم فانهم كاحكى الله بهمهم هما ينسبون الى

وسلمه وأذن له في شأنه واستبدل به كثير من قال ان ابراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وانما بين قوله كائنت في الصحيح عن أبي ذر قال يا رسول الله أى مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت أى قال بيت المقدس قلت كئيب ما قال أربعة سنه وقد قال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا واثبتين وقال تعالى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفتين والعاكفين والركع السجود وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والاشعار اغنى عن اعادته ههنا قال تعالى ههنا أن لا تشركوا بشيئا وسمى وحسدى وطهر بيتي قال قتادة ومجاهد عن الشريك للطائفتين والتائمين والركع السجود أى اجعله خالصا للصلاة الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فانما يطبق به معروف وهو أخص العبادات عند البيت فانه لا يفعل ببقعة في الارض سواها والتائمين أى في الصلاة ولهذا قال والركع السجود فقرن بالطواف بالصلاة لانهما

وسلمه وأذن له في شأنه واستبدل به كثير من قال ان ابراهيم عليه السلام هو أول من بنى البيت العتيق وانما بين قوله كائنت في الصحيح عن أبي ذر قال يا رسول الله أى مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت أى قال بيت المقدس قلت كئيب ما قال أربعة سنه وقد قال الله تعالى ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا واثبتين وقال تعالى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفتين والعاكفين والركع السجود وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والاشعار اغنى عن اعادته ههنا قال تعالى ههنا أن لا تشركوا بشيئا وسمى وحسدى وطهر بيتي قال قتادة ومجاهد عن الشريك للطائفتين والتائمين والركع السجود أى اجعله خالصا للصلاة الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فانما يطبق به معروف وهو أخص العبادات عند البيت فانه لا يفعل ببقعة في الارض سواها والتائمين أى في الصلاة ولهذا قال والركع السجود فقرن بالطواف بالصلاة لانهما

لا يشترع الاختصاص بالبيت فالطواف عند الصلاة اليه في غالب الاحوال الاما استغنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النكافة في السفر والله أعلم وقوله وأذن في الناس بالحج أي نادى الناس داعياهم الى الحج الى هذا البيت الذي أمرنا بآيائنا فذكر أنه قال يارب كيف أبلغ الناس وصوتي لا يتدغم فقال نادو علينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس وقال يأياها الناس ان ربكم قد اتخذ ذبيحة لغيره فيقال ان الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الارض وأسمع من في الارحام والاصلاب وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدبر وشجر ومن كتب الله أنه يحج الى يوم القيامة تلبسك اللهم لهذا مضى ما روى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعد بن جبلة وغير واحد من السلف والله أعلم اوردها ابن جرير وابن أبي حاتم موطوءة وقوله يأوتك رجالا (٢٣٢) وعلى كل ضامر الآية قد يستدل بهذا الآية من ذهب من العلماء

الى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا لانه قد مضى في الذكر فدل على الاهتمام بهم وقوة همهم وشدة عزمهم وقال وكيع عن أبي العباس عن أبي حنيفة عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال ما أساء علي شيء الا اني وددت اني كنت حججت ماشيا لان الله يقول يأوتك رجالا والذي عليه الاكثرون ان الحج راكبا أفضل اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه حجرا يكاسع كالقوة عليه السلام وقوله يأتين من كل فج يعني طريق كما قال وجعلنا منها فجاً جابلا وقوله عميق اي بعيد قاله مجاهد وعطاء السدي وقتادة وهما ثل بن حيان والثوري وغير واحد وهذه الآية كقولته تعالى اخبرنا عن ابراهيم حيث قال في دعائه فاجعل اقتدة من الناس تهوى اليهم فليس أحد من أهل الاسلام الا وهو يحسن الرؤية

أنفسهم الا عان بالله وبالرسول والطاعة لله ولرسوله نسبة بغير الدال لان اعتقاد صحيح وعن قتادة قال اناس من المنافقين اظهروا الايمان والطاعة وهم في ذلك يصدون عن سبيل الله وطاعته وجهاده مع رسوله (ثم يتولى) أي يعرض (فربق منهم) أي من هؤلاء المنافقين القائلين هذه المقالة (أي من بعد ذلك) أي من بعد ما صدر عنهم مما نسبوه الى انفسهم من دعوى الايمان والطاعة ثم حكم عليهم سبحانه وتعالى بعدم الايمان فقال (وما اولئك) القائلون بهذه المقالة (بال مؤمنين) على الحقيقة الموافق قلوبهم لانهم لا يستعمل الحكم بنفي الايمان جميع القائلين ويتدرج تحتهم من تولى ان يراجأ ولما قيل ان الاشارة بقوله اولئك راجع الى من تولى والاول اولى والكلام مشتمل على حكمين الحكم الاول على بعضهم بالتولى والحكم الثاني على جميعهم بعدم الايمان وقيل اراد بن تولى من تولى عن قبول حكمه صلى الله عليه وآله وسلم وقيل اراد بذلك رؤساء المنافقين وقيل اراد بتولى هذا الفريق رجوعهم الى السابقين ولا ينافي ما تضمنته هذه الآية باعتبار افظها ورودها على سبب خاص فهو وصف هؤلاء المنافقين بان فريقا منهم يعرضون عن اجابة الدعوة الى الله والى رسوله في خدومتهم فقال (واذا دعوا الى الله ورسوله) المبلغ عنه (ليحكم بينهم) أي الرسول فالضريح راجع اليه لانه المباشر للحكم وان كان الحكم في الحقيقة لله سبحانه وتعالى ذلك قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه (اذا فريق منهم معرضون) اذا هي النتيجة أي فاجأ فريق منهم الاعراض عن الحاكمة الى الله والرسول أو عن الاجابة والحي الى الله وهذا شأن مقلدة المذاهب بعينه اليوم يعرضون عن اجابة الداعي الى الله ورسوله وعن التحاكم اليه ما الى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكر سبحانه ان اعراضهم انما هو اذا كان الحق عليهم واما اذا كان لهم فانهم يذعنون لعالمهم بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يحكم الا بالحق فقال (وان يكن لهم الحق) أي اذا كان للحكم لهم على غيرهم (ياؤا اليه مذعنين) مطيعين متقادين لحكمه طابا لحقهم لارضاء بحكم رسولهم قال

الكعبة والطواف فالناس يقتدون بها سائر الجهات والاقطار (ليشهدوا) وامنافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام الزجاج معلومات على ما رزقهم من بركة الانعام فكلموا منها وأطعموا الناس الفقير ثم ليقتضوا نفعهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قال ابن عباس ليشهدوا وامنافع لهم قال منافع الدنيا والآخرة اما منافع الآخرة فرضوان الله وأمانافع الدنيا فاصيبون من منافع البدن والذنايب والتجارات وكذا قال مجاهد وغير واحد ان منافع الدنيا والآخرة كقوله ليس عليكم جناح ان تبغوا فضلا من ربكم وقوله ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بركة الانعام قال شعبة وهشيم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس الايام المعلومات أيام العشر وعلمته البخاري عنه بصيغة الجزم ويرى مثله عن أبي موسى الاشعري ومجاهد وقتادة وعطاء وسعيد بن جبلة والحسن والحكة وعطاء الخراساني وابراهيم التميمي وهو مذهب الشافعي والمشيور عن أحمد بن حنبل

وقال البخاري حدثنا محمد بن عروة حدثنا شعبة عن سليمان عن مسلم البطين عن سعد بن جابر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما العمل في أيام أفضل منها في هذه قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل يخرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ ورواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر قلت وقد نصبت هذه الطرق وأفردتها جازاً على حدة فمن ذلك ما قال الامام أحمد حدثنا عثمان أنبأنا أبو جعفر أن عمن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه العمل فيهن من هذه الايام العشرة فذكر وافين من التلليل والتكبير والتحميد وروى من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر بنحوه وقد روى أحمد عن جابر مرفوعاً عن هذا (٢٣٣) هو العشر الذي أقسم الله به في قوله والفجر

وليس العشر وقال بعض السلف انه المراد بقوله وأتمناها بعشر وفي سنن أبي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم هذا العشر وقال البخاري وكان ابن عمر وأبو هريرة يجلسان الى السوق في أيام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم عرفة فقال أحسب على الله ان يكفر السنة الماضية والآتية وتشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر وقد ورد في حديث انه أفضل الايام عند الله وبالجملة فهذا العشر قد قيل انه أفضل أيام السنة كما ذكروا به الحديث وفضله كثير على عشر رمضان الاخير لان هذا اشهر فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره ويمتاز هذا باختصاصه

الزجاج الاذعان الاسراع مع الطاعة يقال اذن لي بحق أى طاعة أى لما كنت التمس منه وصار يسرع اليه وبه قال مجاهد وقال الاخفش وابن الاعرابي مذعنين مقرين وقال النقاش خاضعين والماء في انهم لم يعرفهم انه ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يستمعون عن المحكمة البت اذا ركبهم الحق ثلاثتة عنهم احد اقامهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم الحق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكمومتك لتناخذهم ما روجب لهم في ذمة الخصم وما صدق هذه الآية على القلدين في صنعهم مع أهل القرآن واصحاب الحديث ثم قسم الامر في اعراضهم عن حكمته اذا كان الحق عليهم فقال (أفي قلوبهم مرض) هذه الهمزة تلتو بجي والتقرع لهم والمرض النفاق أى كان هذا الاعراض منهم بسبب النفاق الكائن في قلوبهم وقيل مرض أى كفر وميل الى الظلم (أم ارتابوا) وشكوا في امر نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعدله في الحكم وأورأ وامته تهمة فقال نقتهم وقيمهم به (أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكومة والحيف الميل الى الحكم يقال حاف في قضيته أى جارف بما حكم به ثم اضرب عن هذه الامور التي صدرها بالاستفهام الانكارى فقال (بل أولئك هم الظالمون) أى ليس ذلك شئ مما ذكر بل لعنادهم وظلمهم فاندلجوا في الاعراض لشيء مما ذكر كما قالوا اليه مذعنين اذا كان الحق اذم وقيل اضرب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخل فيهم أو في الخاتم والثاني امان يكون محققاً عندهم أو متوقعاً كلاهما باطل لان من صب نبوة وفطر أمانته صلى الله عليه وآله وسلم يلتمعه فتعين الاول وظلمهم بعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الخيف وضيق الفصل لتفي ذلك عن غيرهم سيما المدعى الى حكمه قاله المضاوى وفي هذه الآية دليل على وجوب الاجابة الى القاضي العالم بحكم الله العادل في حكمه لان العلماء ورثة الانبياء والحكم من قضاء الاسلام العالمين بحكم الله العارفين بالكتاب والسنة العاديين في القضاء هو حكم بحكم الله ورسوله فالداعي الى

باداء فرض الحج فيه وقيل ذلك أفضل لاشتماله على ليلة التدرالى هي خير من أنفس شهر توسط آخره فقالوا أيام هذا أفضل وليالى ذلك أفضل وبهذا يجتمع شمل الأدلة والله علم قول ثان في الايام المعلومات قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس الامام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده وروى هذا عن ابن عمر وابراهيم النخعي واليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه قول ثالث قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن المديني حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن عجلان حدثني نافع عن ابن عمر كان يقول الايام المعلومات يوم النحر ويومان بعده والايام المعدادات ثلاثة ايام بعد يوم النحر هذا الاستناد صحيح اليه وقاله السدي وهو مذهب الامام مالك بن انس ويعضد هذا القول والذي قبله قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام يعنى يذكركم الله عند ذبحها قول رابع

انما يوم عرفه ويوم النحر ويوم آخر بعده وهو مذهب ابي حنيفة وقال ابن وهب حدثني ابن زيد بن اسلم عن ابيه انه قال المعلومات يوم عرفه ويوم النحر ايام التشريق وقوله علي مازرقيهم من جملة الانعام يعني الابل والبقر والغنم كما فعلها تعالى في سورة الانعام ثمانية اروج الابه وقوله فكلوا منها واطعموا البائس الفقير استدل بهذه الآية من ذهب الى وجوب الاكل من الاضاحي وهو قول غريب والذي عليه الاكثرون انه من باب الرحمة والاستحباب كما ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شرع فيه امر من كل بدنه يضعه قطع فاكل من لجها وحامن مرقها قال عبد الله بن وهب قال لي مالك احب ان تأكل من ضحيته لان الله يقول فكلوا منها قال ابن وهب وسألت الليث فقال لي مثل ذلك وقال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم فكلوا منها قال كان فرخص للمسلمين فمن شاء اكل ومن لم يشأ لم يأكل وروى عن مجاهد المشركون لا يأكلون من ذبائحهم (٢٣٤)

المشركون لا ياكفون من ذنابهم

التهامكم اليهم قد دعوا الى الله والى رسوله اى الى حكمهما قال ابن خوارزمه قد ادوا واجب
 على كل من دعى الى المجلس الخاكم ان يجيب ما لم يعلم ان الخاكم فاسق قال القرطبي في هذه
 الاية دليل على وجوب اجابة الداعى الى الخاكم لان الله سبحانه قد مضمّن دعى الى رسوله ليحكم
 بينهم وبين خصمه فأعرض بأقبح ذم فقال أنى قالوا هم مرض الآفة انتهى فان كان القاضي
 مقصر الا يعلم بأحكام الكتاب والسنة ولا يعقل حجج الله ومعاني كلامه وكلام رسوله بل
 كان جاهلا جاهلا بسياطا وهو من لاعلمه بشئ من ذلك أو جهلا به كما وهو من لاعلمه عنده
 بما ذكرنا ولكنه قد عرف بعض اجتهادات المجتهدين واطلع على شئ من علم الرأى فهذا
 فى الحقيقة جاهل وان اعتقده انه يعلم بشئ من العلم فاعتقاده باطل فمن كان من القضاة هكذا
 فلا تجب الاجابة اليه لانه ليس ممن يعلم بحكم الله ورسوله حتى يحكم به بين المتخاصمين اليه
 بل هو من قضاة الطاغوت وحكام الباطل فان ما عرفه من علم الرأى انما رخص فى العمل
 به للمجتهد الذى هو منسوب اليه عند عدم الدليل من الكتاب والسنة ولم يخصص فيه لغريم
 ممن باقى بعده واذا تقرر رايك هذا وفهمته حتى يفهمه علمت ان التقليد والانتساب الى عالم
 من العلماء دون غيره والتعمد بجمع ما جاء به من روايتو رأى وإهمال ما عداه من أعظم
 ما حدث فى هذه الأمة من البدع المضلة والقوافر الموحشة فان الله وانا اليه
 راجعون وقد أوضحت هذا فى كتابي الخصة وأوضحه الشوكاني فى القول المفيد وأدب
 الطب وغيره فى غيرهما فمن أراد ان يقتدى على حقيقة هذه البدعة التى طبقت الاقطار
 الاسلامية فليرجع اليها وعن الحسن فى الآية قال ان الرجل كان يكون بينه وبين الرجل
 خصومة أو منازعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا دعى الى النبي صلى الله
 عليه وآله وسلم وهو محق أدع عن وعلم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيقضى له بالحق وإذا
 أراد ان يظلم فدعى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعرض وقال انطلق الى فلان فانزل
 الله سبحانه وإذا دعى الى الله ورسوله الى قوله هم الظالمون فقال رسول الله صلى الله عليه

وعطاء نحو ذلك قال هشيم عن

من دخل الحج فعليه من العمل فيه الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وعرفة ومن دلفه ورمى الجمار على ما امر به وروى عن مالك أنه قال في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال مجاهد يعني الطواف الواجب يوم النحر وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا جاد عن أبي حمزة قال قال لي ابن عباس أنه قرأ سورة الحج يقول الله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فان آخر الناس الطواف بالبيت العتيق قلت وهكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما رجع الى متى يوم النحر بدأ برمي الجمره فمرهاها بسبع حصيات ثم نحرهديه وحلق رأسه ثم أقاض فطاف بالبيت وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت لطواف الآلهه خفف عن المرأه الخاض وقوله بالبيت العتيق فيه مستدل لمن ذهب الى انه يجب الطواف من وراء الجمره لانه من أصل البيت الذي بناه ابراهيم وان كانت (٢٣٥) قرش قد أخرجوه من البيت حين قصرت بهم النفقة ولهذا طاف رسول الله

وآله وسلم من كان بينه وبين أخيه شيء فدعاه الى حكم من حكم المسلمين فلم يجب فهو وظالم لاحقه أخرجه عبد بن جبر وابن المنذر وابن أبي حاتم قال ابن كثير بعد أن ساق هذا المتن ما لفظه وهذا حديث غريب وهو مرسل وقال ابن العري هذا حديث باطل فأما قوله فهو وظالم فكلام صحيح وأما قوله فلاحقه فلا يصح ويحتمل أن يرده انه عن غير الحق انتهى وأقول وأما كون الحديث مرسلًا فظاهر وأما دعوى كونه باطلا فمحتاجه الى برهان فقد أخرجه ثلاثة من أئمة الحديث كذا كرنا ويعد كل البعدان يتفقوا على ما هو باطل وليس في استناده عند ابن أبي حاتم كذاب ولا وضاع ويشهد له ما أخرجه الطبراني عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعى الى سلطان فلم يجب فهو وظالم لاحقه انتهى ولا يخالف ان قضاء العدل وحكم الشرع الذين هم على الصفة التي قد مضت قريهاهم سلطان الدين المتزوجون عن الكتاب والسنة المدينون للناس منازل إليهم ثم لما ذكرنا كان عليه أهل التفاف أتبعه بما يجب على المؤمنين ان يفعلوا ما اذا دعوا الى حكم الله ورسوله فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله) أي الى كتاب الله العزيز وسنة رسوله المطهرة (ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أي هذا القول لا قول آخر وهذا وان كان على طريقة الخبير فليس المراد به ذلك بل المراد به تعليم الادب الشرعي عنده هذه الدعوة من أحد المتخاصمين للآخر والمعاني التي ينبغي للمؤمنين ان يكونوا هكذا اذا سمعوا الدعاء المذكور فاقبلوا بالطاعة والاذعان والاجابة قال مقاتل وغيره يقولون سمعنا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأطعنا أمره وان كان ذلك فيما بكرهه وبضرهم وقد قدمنا الكلام على الدعوة الى الله ورسوله للحكم بين المتخاصمين وذكرنا من يجب الاجابة اليه من القضاة ومن لا تجب وهذه الآية على ايجازها حاوية لكل ما ينبغي للمؤمنين ان يفعلوا ثم أفنى سبحانه عليهم بقوله (وأولئك) المؤمنون الذين قالوا هذا القول (هم المفلحون) أي الناجحون الفائزون بخيري الدنيا والآخرة ثم أرفد

صلى الله عليه وسلم من وراء الجمر وأخبر أن الجمر من البيت ولم يستلم الركبتين الشاميتين لانهم سألوا يقيموا على قواعد ابراهيم العتيقة ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير العدني حدثنا شعيبان عن هشام بن جبر عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية وليطوفوا بالبيت العتيق طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراءه وقال قتادة عن الحسن البصري في قوله وليطوفوا بالبيت العتيق قال لانه أول بيت وضع للناس وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وعن عكرمة انه قال انما سمي البيت العتيق لانه أعتق يوم الفرق زمان فوح وقال خضيف انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار قط وقال ابن أبي شيبة وابتع عن مجاهد أعتق من الجبابرة أن يسלטوا عليه وكذا قال قتادة وقال جاد بن سلمة عن

جبر عن الحسن بن مسلم عن مجاهد لانه لم يرد أحد بسوء الا هلك وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن الزبير قال انما سمي البيت العتيق لان الله أعتقه من الجبابرة وقال الترمذي حدثنا محمد بن اسمعيل وغير واحد حدثنا عبد الله بن صالح أخبرني في الحديث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن عروة عن محمد بن عروة عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي البيت العتيق لانه لم يظهر عليه جبار وكذا رواه ابن جبر عن محمد بن سهل الحضاري عن عبد الله بن صالح به وقال ان كان صحيحا وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسل (ذلكم من يعظم حرمان الله فهو خير له عند ربه واحل لكم الانعام الا ما ينزل عليكم فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور وخفوا الله غير مشركين به ومن بشره بالله فكأنما خسر من السماء فخططه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) يقول تعالى هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك

ومما اعلمنا من الثواب الجزيل ومن يعظم حرمان الله أي ومن يستحب معاصيه ومخارمه ويكون ارتكابه اعظما في نفسه فهو
 خيرة عند ربه أي ذله على ذلك خير كبير وثواب جزيل فكل على فعل الطاعات ثواب جزيل وأجر كبير كذلك على ترك الحرامات واجتناب
 المنظورات قال ابن جرير قال مجاهد في قوله ذلك ومن يعظم حرمان الله قال الحرمة محكمة والنجس والعمر وما من الله عنه من
 معاصيه كما وكذا قال ابن زيد وقوله واحل لكم الانعام الا ما تبلى عليكم أي احلنا لكم جميع الانعام وما جعل الله من بحيرة
 ولا سائمة ولا رصيلة ولا حام وقوله الا ما تبلى عليكم أي من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من الخنثى الا ما قال
 ذلك ابن جرير وحكاة عن قتادة وقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور من جهة البيان الجنس أي اجتنبوا
 الرجس الذي هو الاوثان وقرن الشرك بالله (٣٣٦) يقول الزور كقوله قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها

وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان
 تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان
 تقولوا على الله ما لا تعلمون ومنه
 شهادة الزور وفي الصحيحين عن
 أبي بكر ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ألا أنبئكم يا كبراء الكبار
 قلنا بلى يا رسول الله قال الاشرار
 بالله وعقوب الوالدين وكان متكبنا
 جنس فقال ألا أقول الزور الا وشهادة
 الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته
 سكت وقال الامام أحمد حدثنا
 مروان بن معاوية الفزاري أنبأنا
 سفيان بن زياد عن فاذل بن فضالة
 عن أيمن بن خريم قال قام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال يا أيها
 الناس عدلت شهادة الزور واشرا
 بالله نلانا ثم قرأ فاتحته والرجس
 من الاوثان واجتنبوا قول الزور
 وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن
 منيع عن مروان بن معاوية به ثم
 قال غريب انما نعرفه من حديث
 سفيان بن زياد وقد اختلف عنه في
 الشاء عليهم شاء آخر فقال (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقنه) هذه الجلة
 مقترنة لاقبالها من حسن حال المؤمنين وترغب من عداهم الى الدخول في عدادهم
 والمتابعة لهم في طاعة الله ورسوله في كتابه وسنته والخشية من الله عز وجل فيامضى
 والتقوى لفيما يستقبل وفي يقنه قرأت من الجزم والكسر (فأولئك) أي الموصوفون
 بمآذ كرم من الطاعة والخشية والتقوى (هم الفائزون) بالنعيم الدنيوي والاخروي لامن
 عداهم وعن بعض المأول انه سأل عن آية كافية فقلت له هذه الآية وهي جامعة
 لاسباب الفوز والفلاح الكاملة الشاملة وبالله التوفيق وهو المستعان ثم حكى سبحانه
 عن المتأقين انهم لما كرهوا حكمه أقسموا بأنه لو أمرهم بالخروج الى الغزو لخروا فقال
 (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) المعنى يجهدون أيمانهم جهدا ومعناه طاقة مقدر وأن
 يحلفوا ما يؤمنون قولهم جهد نفسه اذا بلغ طاقة وأقصى وسعها وقيل التقدير
 يجتهدون في أيمانهم كقولهم افعل ذلك جهدا وطاقتك وقد خلط الزخشي الوجهين
 فجعلهما واحدا وقيل جهد العين ان يحلف بالله ولا يزعم على ذلك شيئا (لئن أمرتهم)
 بالخروج الى الجهاد (لخرجن) وليلغزون ولما كانت مقالتهم هذه كاذبة وأيمانهم فاجرة
 رد الله عليهم زاجرا فقال (قل لا أقسموا) أي لا تحلفوا على ما تزعمون من الطاعة والخروج
 الى الجهاد ان أمرتهم به وهم نائمون الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) أي طاعتهم
 طاعة معروفة بأنهم طاعة تنافية لم تكن عن اعتقاد وقيل طاعة معروفة أولى بكم من
 أيمانكم وقيل لتكن منكم طاعة أو لتوجد في هذا ضعف لان الفعل لا يحذف الا اذا
 تقدم ما يشعر به وقيل أمرهم طاعة بل قال الواسطي انه الاولى لان الخبر يحذف الفائدة
 وعليه فالمعنى أمرهم الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرباب وقرئ
 طاعة بالنصب أي أطيعوا طاعة (ان الله خير بما تعملون) من الطاعة بالقول وما

رواية هذا الحديث ولا نعرف لاي بن خريم سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد أيضا
 حدثنا محمد بن عبيد حدثنا سفيان العنبري عن أبيه عن حبيب بن النعمان الاسدي عن خريم بن فاذل الاسدي قال صلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فلما انصرف قام قائما فقال عدلت شهادة الزور والاشراك بالله عز وجل ثم تلا هذه الآية
 فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفا لله غير مشركين به وقال سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن
 وائل بن ربيعة عن ابن مسعود انه قال تعدل شهادة الزور والاشراك بالله ثم قرأ هذه الآية وقوله حنفا لله أي مخلصين له الدين
 منخرفين عن الباطل قصد الى الحق ولهذا قال غير مشركين به ثم ضرب للمشرك مثلا في ضلاله وهلاكه وبعبءه عن الهدي
 فقال ومن يشرك بالله فكأنما خسر من السماء أي سقط منها فاحتطفه الطير أي تقطعه الطير وفي الهواء انتهى به الى حيث في مكان

صَحِيحٌ أَيْ بَعِيدٌ مَهْلِكٌ لِمَنْ هَوَى فِيهِ وَلِهَذَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الرَّاءِ أَنَّ الْكَافِرَ إِذَا تَوَقَّعَ سَلَاكُهُ الْمَوْتَ وَصَعِدَ وَابْرَحَ إِلَى السَّمَاءِ فَلَا تَفْتَحُ
 أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِيُطَارِحَ رُوحَهُ طَرَحًا مِنْ هُنَا ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ بِحُرُوفِهِ وَالْفَاظُ هُوَ وَطَرَقَهُ وَقَدْ
 ضَرَبَ تَعَالَى لِلْمُشْرِكِ مَثَلًا آخَرَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ وَهُوَ قَوْلُهُ قُلْ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ شَيْئَانِ اللَّهِ فَإِنَّ أَهْوَاءَ شَيْئَانِ اللَّهِ هِيَ الْأَهْوَاءُ
 هَذَا إِلَهُ اللَّهِ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْبَاقِي (ذَلِكَ)
 وَمِنْ يَعْظُمُ شَعْرُ اللَّهِ فَانْهَمْنِ تَقْوَى الْقُلُوبِ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ لَحْجَلْهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ يَقُولُ تَعَالَى هَذَا وَمِنْ
 يَعْظُمُ شَعْرُ اللَّهِ أَيْ أَوَامِرُهُ فَانْهَمْنِ تَقْوَى الْقُلُوبِ وَمِنْ ذَلِكَ تَعْظِيمُ الْهُدَايَا وَالْبَدَنِ كَمَا قَالَ الْحَكِيمُ عَنْ مَقْسَمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
 تَعْظِيمُهَا اسْتِمْسَاكُهَا وَاسْتِحْسَانُهَا وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الْأَشْجَعِيُّ حَدَّثَنَا (٢٣٧) حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ ابْنِ أَبِي لَيْلَى عَنْ

ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ جَبَّارٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ذَلِكَ وَمِنْ يَعْظُمُ شَعْرُ اللَّهِ
 عَبَّاسٌ قَالَ الْاسْتِمْسَانُ وَالْاسْتِحْسَانُ
 وَالْاسْتِعْظَامُ وَقَالَ أَبُو إِمَامَةَ عَنْ
 سَهْلِ بْنِ كَثِيرٍ عَنْ الْأَخْضَعِيِّ بِالْمَدِينَةِ
 وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْمَعُونَ رَوَاهُ
 الْبُخَارِيُّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ دَمُ
 عَنُرَاهُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ دَمِ سُودَاوِينَ
 رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهٍ قَالُوا
 وَالْعَنُرَةُ هِيَ الْبِضَاءُ يَبَاضُ الدِّسُّ
 بِنَاصِعٍ فَالْبِضَاءُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهَا
 وَغَيْرُهَا يَجْزِي أَيْضًا الْمُنَاسَبُ فِي صَحِيحِ
 الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمِي بِكَبْشَيْنِ
 أَمْحَلَيْنِ أَقْرَنَيْنِ وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمِي
 بِكَبْشٍ أَقْرَنٍ كَيْلِيًا كُلِّي سَوَادٍ
 وَيَنْتَظِرُ فِي سَوَادٍ وَيُغْشَى فِي سَوَادٍ
 رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ
 أَيْ فِيهِ بَلَقُ سَوَادٍ فِي هَذِهِ الْأَمَّا كُنْ
 فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهٍ عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ

تَضَرُّعٌ مِنْهُ مِنَ الْخَالِفَةِ بِالْفِعْلِ وَهَذَا تَمْلِيلٌ لِمَا قَبْلُهَا مِنْ كَوْنِ طَاعَتِهِمْ طَاعَةً تَتَّفَقُ ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ
 سَجْدَةَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَالَ (قُلْ أَطِيعُوا
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) طَاعَةُ ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ خَالُوصٌ أَعْتَادُ وَحَقَّةٌ وَهَذَا التَّكْرِيرُ مِنْهُ
 سَجْدَةً لِنَا كَيْدُ وَجُوبِ الطَّاعَةِ عَلَيْهِمْ فَإِنْ قَوْلُهُ قُلْ لَا تَتَّبِعُوا طَاعَةَ مَعْرِفَةٍ فِي حُكْمِ الْأَمْرِ
 بِالطَّاعَةِ وَقِيلَ أَنْهُ مَخْتَلِفَانِ فَالْأَوَّلُ نَهَى بِطَرِيقِ الرَّدِّ وَالتَّوْبِ وَالثَّانِي أَمَرَ بِطَرِيقِ
 التَّكْلِيفِ لَهُمْ وَالْإِجَابِ عَلَيْهِمْ (فَإِنْ قَوْلُوا) خُطَابُ الْمَأْمُورِينَ وَفِيهِ رَجُوعٌ مِنَ الْخُطَابِ
 مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْخُطَابِ لَهُمْ لِنَا كَيْدُ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ وَبِالْمُتَالِفَةِ فِي
 الْعُنَايَةِ بِهَا يَتِمُّ إِلَى الطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ وَجَوَابُ الشَّرْطِ قَوْلُهُ (فَاطِيعَا عَلِيٍّ) أَيْ عَلَى النَّبِيِّ
 (مَاجِل) مِمَّا أَمَرَ بِهِ مِنَ التَّبْلِيغِ وَقَدْ فَعَلَ (وَعَلَيْكُمْ مَا حَلَمْتُ) أَيْ مَا أَمَرْتُ بِهِ مِنْ
 الطَّاعَةِ وَالْإِجَابَةِ وَهُوَ وَعِيدٌ لَهُمْ كَمَا نَهَى قَالَهُمْ فَإِنْ قَوْلُهُمْ فَقَدْ صَرَّحَ بِحَامِلِينَ لِلْعَمَلِ الثَّقِيلِ
 وَفِيهِ الْمَشَاكَلَةُ (وَأَنْ تَطِيعُوهُ) فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ (تَهْتَدُوا) إِلَى الْحَقِّ وَتُرْشَدُوا
 إِلَى الْخَيْرِ وَتَقْوُوا بِالْإِجْرَاءِ خَرَجَ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا عَنْ عُلُقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرِيِّ
 عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَدِمَ زَيْدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ
 عَلَيْنَا أَمْرٌ أَوْ أَخَذُوا مِنْهُ الْحَقُّ وَلَا يَعْطُونَا قَالَ فَاطِيعَا عَلِيٍّ هُمْ مَاجِلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حَلَمْتُ وَعَنْ
 جَابِرٍ أَنَّهُ سَأَلَ إِنْ كَانَ عَلَى إِمَامٍ فَاجِرٍ فَلَقِيتُ مَعَهُ أَهْلَ ضَلَالَةٍ أَمْ قَاتِلْ أَمْ لَا قَالَ قَاتِلْ أَهْلَ
 الضَّلَالَةِ أَيْ نَاصِبِي وَجَدْتُهُمْ وَعَلَى الْإِمَامِ مَاجِلٌ وَعَلَيْكُمْ مَا حَلَمْتُ (و) جَلَّةُ (مَا عَلَى الرَّسُولِ
 إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) مُقَرَّرَةٌ لِمَا قَبْلُهَا وَالْإِمَامُ الْعَلِيٌّ فَدَابَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
 وَالْمُجْتَنِبُ فَيَرَادُ كُلُّ رَسُولٍ وَبِالْبَلَاغِ الْمُبِينِ التَّبْلِيغُ الْوَاضِعُ وَالْمَوْضِعُ وَالْمَعْنَى أَنَّ الرَّسُولَ
 قَدْ أَدَّى الْبَلَاغَ فَأَدَّى أَيْضًا أَنْتُمْ مَا عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَتِهِ (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ) الْخُطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَنْصَحْهُ مِنَ الْبَيَانِ وَقِيلَ لِلتَّبْعِيضِ

(٤٣ - فتح البيان سادس) رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَمِي بِكَبْشَيْنِ عَظِيمَيْنِ مِثْلَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْحَلَيْنِ مُوجُوعَيْنِ وَكَذَارِي
 أَوْدَادٍ وَابْنُ مَاجَهٍ عَنْ جَابِرٍ ضَمِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ أَمْحَلَيْنِ مُوجُوعَيْنِ قِيلَ قِيلَ هُمَا الْخَصِيَانِ وَقِيلَ اللَّذَانِ
 رَضَ خَصْمَاؤُهُمَا وَلَمْ يَنْقَطِعْهُمَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَمَرَ نَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَنْتَشِرَ فِي الْعَيْنِ
 وَالْأَذْنِ وَأَنْ لَا تَضْحَى بِعَذَابِهِ وَلَا مَدْرَةٍ وَلَا شَرَفًا وَلَا خَرَفًا وَلَا أَهْلَ السُّنَنِ وَصَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ وَفَهُمْ عَنْهُ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَضْحَى بِأَعْضَابِ الْقُرْنِ وَالْأَذْنِ قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَبِّبِ الْعُضْبُ النِّصْفُ فَكُثُرَ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ
 أَنْ كَسَرَ قُرْنَهَا الْأَعْلَى فَهِيَ قَصْعُهَا فَأَمَّا الْعُضْبُ فَهُوَ كَسْرُ الْأَسْفَلِ وَعُضْبُ الْأَذْنِ قَطْعُ بَعْضِهَا وَعَنْ عَبْدِ الشَّافِعِيِّ أَنَّ الْأَخْضَعِيَّةَ بِذَلِكَ
 مِجْزُؤَةً لَكِنْ نَكَرَهُ وَقَالَ أَجْدَلُ لَا تَجْزِي الْأَخْضَعِيَّةَ بِأَعْضَابِ الْقُرْنِ وَالْأَذْنِ هَذَا الْحَدِيثُ وَقَالَ مَالِكٌ كَانَ الدَّمُ يَسِيلُ مِنَ الْقُرْنِ

لم يجزئوا الا بآراء الله أعلم وأما المقابلة فهي التي قطع مقدم أذنوا المداير من مؤخر أذنوا الشرف فاهي التي قطعت أذنهم
 طولا قاله الشافعي والاصحبي وأما الخرافة فهي التي خرفت السمعة أذنهم آخر فامدوروا الله أعلم عن البراء قال قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أربع لا تجوز في الاضاحي العوراء البين عورها والمرضة البين من ضمها والعرجاء البين ضلعها والكسيرة التي
 لا تتجزأ رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وهذه العيوب تنقص اللحم لضلعها وبجزءها عن استكمال الرمي لان الشاة
 يسبقونها الى المرمى فلذلك لا تجزئ التنحية بها عند الشافعي وغيره من الائمة كما هو ظاهر الحديث واختلاف قول
 الشافعي في المارضة مرضا يسير اعلى قولين وروى أبو داود عن عتبة بن عبد السلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
 الماهقرة والمسايلة والبقاء والمشيعة (٢٣٨) والكسيرة فالله فقرة قيل الهزلة وقيل المسايلة الاذن والمسايلة مكسورة

القدرة والبقاء هي العوراء
 والمشيعة هي التي لا تزال تشيع
 خفاف الغنم ولا تتبع لضلعها
 والكسيرة العرجاء فهذه العيوب
 كلها مانعة من الاجزاء فاما ان
 طرأ العيب بعد تعين الاضحية
 فانه لا يضر عند الشافعي خلافا
 لابي حنيفة وقدرى الامام أحمد
 عن أبي سعيد قال اشترت كبشا
 أضحي به ففقد الذنب فاخذنا الالة
 فالت النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال ضح به ولهذا في الحديث
 أمرنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ان نستشرف العين والاذن
 أى ان تكون الهدية أو الاضحية
 سمينة حسنة متممة كإرواء الامام
 أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر
 قال أهدى عمر نجيبا فاعطى بها
 ثلثائة دينار فالت النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
 الى أهديت نجيبا فاعطيت بها
 ثلثمائة دينار فأعياها وأستري بتمنها

ولجله مقرة لما قبلها من ان طاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبب لهدايتهم
 وهذا وعد من الله سبحانه على آمن بالله وعمل الاعمال الصالحة بالاستخلاف لهم كما قال
 سبحانه (ليستخلفنهم في الارض) بدلا عن الكفار وعو وعذبهم جميع الامة وقيل هو
 خاص بالعصابة ولا وجه لذلك فان الايمان وعمل الصالحات لا يختص بهم بل يمكن وقوع
 ذلك من كل واحد من هذه الامة ومن عمل بكتاب الله وسنة رسوله فقد أطاع الله ورسوله
 واللام في ليستخلفنهم جواب لقسم محذوف أو جواب للوعد وتزيله منزلة القسم لانه باخر
 لا محالة والمعنى ليعلمتهم فيها خلقا يتصرفون فيها تصرف الماثل في ملوكهم وقد أبعد
 من قال انها مختصة بالخلقاء الاربعة أو بالمهاجرين أو ان المراد بالارض أرض مكة وقد
 عرفت ان الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال ابن العربي انه بلاد العرب
 والعجم وهو الصحيح لان أرض مكة محرومة على المهاجرين ففي الحديث لكن الناس سعد
 ابن خولة يرى انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان توفي بحكة وقال في الصحيح أيضا مكث
 المهاجر عكة بعد قضاء مكة ثلاثا وظاهر قوله (كما استخلف الذين من قبلهم) كل من
 استخلفه الله في أرضه فلا يخص ذلك بنى اسرائيل ولا يمتن من الامة دون غير ما قرئ على
 البناء للفاعل والمفعول (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) معطوفة على ليستخلفنهم
 داخله تحت حكمه كأنهم جلة الخواص والمراد بالدين هنا التثبيت والتقرير رأى يجعله
 الله ثابتا مقرا وبوسع لهم في البلاد فله كوا هو يظهر دينهم على جميع الاديان والمراد
 بالدين هنا الاسلام كما في قوله ورضيت لكم الاسلام دينا ذكر سبحانه وتعالى الاختلاف
 لهم أولا وهو جعلهم ملوكا وذكر التمكن ثانيا فاذ ذلك ان هذا الملك ليس على وجه
 العروض والطريق بل على وجه الاستعارة وان الثبوت بحيث يكون الملك لهم ولعقبهم من
 بعدهم (وليسلظنهم من بعد خوفهم أمنا) معطوفة على التي قبلها قرئ من أمنا ومن بدل
 وعسا لقنا وزيادة البناء يدل على زيادة المعنى فقراءة التشديد أخرج من التخفيف وزعم

تعل

بدنا قال لا انخر داباها وقال الضحالة عن ابن عباس البدن

من شعائر الله وقال محمد بن أبي موسى الوقوف ومن دلفة والجوار والرمي والخلق والبدن من شعائر الله وقال ابن عمر أعظم الشعائر
 البيت وقوله لكم فيها منافع اي لكم في البدن منافع من لبنها ووصوفها وأوبارها وأشعارها وركوبها الى أجل مسعى قال
 مقسم عن ابن عباس في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسعى قال ما لم نسم بدنا وقال مجاهد في قوله لكم فيها منافع الى أجل مسعى
 قال الركوب واللبن والولد فاذا أصبحت بدنة أو هديا ذهب ذلك كله وكذا قال عطاء والضحالة وبتادة وعطاء الخراساني وغيرهم
 وقال آخر وبل ان يتفجع بها وان كانت هديا اذ الحجاج الى ذلك كما ثبت في الصحيحين عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم رأى رجلا يسوق بدنة قال اركبها قال انها بدنة قال اركبها ويحك في الثانية والثالثة وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم انه قال اركبها بالمعروف اذا ألجئت اليها وقال شعبة عن زهير بن أبي ثابت الاغمي عن المعيرة عن خندف عن علي
انه رأى رجلاً يسوق بدنة ومعها ولدها فقال لا تشرب من لبنها الا ما فضل عن ولدها فاذا كان يوم الخرفاذ بجها ولدها وقوله
ثم حملها الى البيت العتيق أى محل الهدى وانتهأه الى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة وقال والهدى
معكوفان يبالغن محله وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق قريبا والله الحمد وقال ابن جرير عن عطاء قال كان ابن عباس يقول
كل من طاف بالبيت فقد حل قال الله تعالى ثم حملها الى البيت العتيق (ولكل أمة جعلنا منسكاً لذكر اسم الله على ما رزقهم من
بهيمة الانعام) قال الحكم الله واحد فله أسلوا وبشر الخبيثين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة
وعمارتها هم يتفقون) يخبر تعالى انه لم ينزل ذبح المتاسك وارقة الدماء على اسم (٣٣٩) الله مشر وعافى جميع الملل وقال على

ابن أبي طلحة عن ابن عباس ولعل
أمة جعلنا منسكاً قال عبداً وقال
عكرمة ذبحاً وقال زيد بن أسلم في
قوله لكل أمة جعلنا منسكاً
مكة لم يجعل الله لامة قط منسكاً
غيرها وقوله ليس ذكر واسم الله
على ما رزقهم من بهيمة الانعام كما
ثبت في الصحيحين عن أنس قال
أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بكبشين أحمرين فسمي وكبر
ووضع رجله على صفاحهما
وقال الامام أحمد بن حنبل
حدثنا يزيد بن هرون أن أناساً
ابن مسكين عن عائذ الله الجاشعي
عن أبي داود وهو نفع من الحارث
عن زيد بن أرقم قال قلت أوفالوا
يا رسول الله ما هذه الاضاحي قال
سنة أيكم ابراهيم قالوا
ما لنا منها قال بكل شعرة حسنة
قال فالصوف قال بكل شعرة من
الصوف حسنة وأخرجه الامام
أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه

نعلب ان ينه ما فرقاً والله يقال ببدلة أى غيره وأبدلته أرزته وجعلت غيره مكانه قال
النحاس وهذا القول صحيح والمعنى انه سبحانه يجعل لهم مكان ما كانوا فيه من الخوف من
الاعداء أمنوا ويذهب عنهم أسباب الخوف الذي كانوا فيه بحيث لا يخشون الا الله سبحانه
ولا يرجون غيره وقد كان المسلمون قبل الهجرة وبعدة ما يقلل في خوف شديد من
المشركين لا يخرجون الا في السلاح ولا يصحون الا على تركب لتزول المضرة بهم
من الكفار ثم صاروا في غاية الامن والدعة وأذل الله لهم شياطين المشركين وفتح عليهم
البلاد ومهد لهم في الارض ومكهم منها فله الحمد وعن البراء قال فمنازلت ونحس في
خوف شديد وعن أبي العباس قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه يحكمه نحو
من عشر سنين يدعون الى الله وحده والى عبادته وحده لا شريك له سر اوهم خائفون
لا يؤمرون بالقتال حتى أمروا بالهجرة الى المدينة فقدموا المدينة فآمرهم الله بالقتال
وكانوا هم خائفين يسعون في السلاح ويصحون في السلاح فقهر وبذلك ما شاء الله ثم ان
رجلانا أصحابه قال يا رسول الله ما أتى علينا يوم تأمن فيه ونضع السلاح فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تغربوا والاسير حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتجباً
ليست فيه حميدة فازل الله وعد الله الذين آمنوا الى آخر الآية فأظهر الله نبيه على جزيرة
العرب فأمنوا ووضعوا السلاح ثم ان الله قبض نبيه فكانوا كذلك آمنين في زمان أبي بكر
وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم حتى وقعوا فموا وقعوا وكفروا النعمة فادخل الله عليهم
الخوف الذي كان رفع عنهم واتخذوا الحرج والشرط وغروا فغير ما بهم وعن أبي بن كعب
قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وآتهم الانصار رزمهم العرب عن
قوس واحد فكانوا لا يبيتون الا في السلاح ولا يصحون الا فيه فقالوا أترون انا نعيش
حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف الا الله فزلت هذه الآية وأعجز الله وعدة وأظهرهم
على جزيرة العرب واقتحروا بعد بلاد المشرق والمغرب ومن قوامك الا كسرة وملكو

في سنة من حديث سلام بن مسكين به وقوله قال الحكم الله واحد فله أسلوا أى يعبدوكم واحد وان تنوعت شرائع الانبياء ونسخ
بعضها بعضاً فالجميع يدعون الى عبادة الله وحده لا شريك له وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون
ولهذا قال فله أسلوا أى اخلصوا واستسلموا لحكمه وطاعته وبشر الخبيثين قال مجاهد للطمثين وقال الضحاک وقتادة
المتواضعين وقال السدي الوجيلين وقال عرو بن أسوس الخبيثين الذين لا يظلمون واذا ظالم ينتصر واوقال الثوري وبشر الخبيثين
قال الطمثين الراضين بقضاء الله المستسلمين له وأحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خافت منه
قلوبهم والصابرين على ما أصابهم أى من المصائب قال الحسن البصري والله لتصبرن وأولتم لكن والمقيمي الصلاة قرأ الجمهور
بالاضافة السبعة وبقية العشرة أيضاً وقرأ ابن السميع والمقيمين الصلاة بالنصب وعن الحسن البصري والمقيمي الصلاة وانما حذف

النون هيمن تخففوا ولو حذفت الاضافة لوجب تخفف الصلاة ولكن على سبيل (٣) القرب فثبت أي المؤمن حتى انه فجا أو جبت عليهم من أدعوا فأنه ومارقناهم يتقون أي يتقون ما أتاهم من طيب الرزق على أهلهم وأقاربهم ونقراتهم ومخاويجهم ويحسنون الى الخلق مع محافظتهم على حدود الله وحذو بخلاف صفات المنافقين فانهم بالعكس من هذا كما انهم تقسم نفسهم في سورتين براءة (١) والبدن جعلناهم لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف ذكروا جبت جنوبها فكنوا منها وأطعموا الطائع والمعبر كذلك صراها لكم علىكم فمكتفون يقول تعالى مناعني عبده فيها خلق ليوم من الدين وجعلوا من شعائرهم وذواته جلعياهم ذى الى منه الحرام بل حتى أفضل ما يهدي اليه كما قال تعالى لا تأخذوا شعائر الله ولا الشهر والحرام ولا الهدى ولا القتلة ولا أمين (٢٤٠) البيت الحرام الآية قال ابن جرير قال عطاء في قوله والله ذن جعلناهم لكم من شعائر الله قال البقرة والبعر وكذا روى عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري وقال مجاهد انما البدن من الابل قلت أما اطلاق البدنة على البعير فتنتي عليه واختلفوا في صحة اطلاق البدنة على البقرة على قولين أحسب ما نه يطلق عليه ذلك شرعا كاصح الحديث ثم جهور العلماء على انه يجزى البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كائنت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نترك في الاضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وقال اسحق بن راويه وغيره بل تجزى البقرة والبعير عن عشرة وقد ورد به حديث في مسند الامام أحمد وسنن النسائي وغيرهما فانه أعلم وقوله لكم فيها خير أي ثواب في الدار الآخرة وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن

خزائنهم واستولوا على الدنيا وفي الآية أوضح دليل على صحة خلافة أبي بكر الصديق وانطلاق الرايين بعده لان المستقلين الذين استأمنوا وعملوا الصالحات هم هم في أيامهم كانت الفرحان العظيمة وقت كنوز كسرى وغيره من الملوكة وحاصل الامن والتحكم وظهور الدين وعن نسخة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال أسند خلافة أبي بكر سنتين وخلافة عمر عشرين وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وعلى سنا قال علي قلت لجندب القائل لعد أسد سقينة قال نعم أخرجه أبو داود الترمذي قلت وفيه اجمال تفصيل ان خلافة أبي بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وستة أشهر وعلى هذا تكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وكلت ثلاثين سنة بخلافة الحسن وكانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم وجعله (يعبدوني) حلية أو سائنتهم وقد علمهم وفيه أوجه سبعة ذكرها الحسين (المبشر كرون في شيئا) أي يعبدوني غير بشر كين في العبادت شيئا من الاشياء وقيل معناه لا يرأون بعبادتي أحد او قيل معناه لا يحقون أحد غيري قال ابن عباس وقيل معناه لا يحبون غيري (ومن كفر) هذه النعم (يعتدني) الوعد المديح أي من استمر على الكفر ومن كفر بعد الايمان (فأولئك هم الفاسقون) أي الكاملون في النفاق وهو ان يفرج عن الطاعة والظمان في الكفر وعن مجاهد قال الفاسقون العاصون وعن أبي العالية قال الكفر بهذه النعمة ليس الكفر بالله وإنما قال الفاسقون ولم يقل الكافرون قال اهل التفسير أول من كفر بهذه النعمة ويحدها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوا غير الله عليهم من الامن وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يشتلون بعد أن كانوا اخوانا قصة معروفة (وأقربوا الله) أي قاتلوا واعلموا الصالحات وأقربوا الصلاة (وأأنوا الزكوة وأطيعوا الرسول) فقد تقدم الكلام على

شعائر الله قال البقرة والبعر وكذا روى عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري وقال مجاهد انما البدن من الابل قلت أما اطلاق البدنة على البعير فتنتي عليه واختلفوا في صحة اطلاق البدنة على البقرة على قولين أحسب ما نه يطلق عليه ذلك شرعا كاصح الحديث ثم جهور العلماء على انه يجزى البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كائنت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نترك في الاضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة وقال اسحق بن راويه وغيره بل تجزى البقرة والبعير عن عشرة وقد ورد به حديث في مسند الامام أحمد وسنن النسائي وغيرهما فانه أعلم وقوله لكم فيها خير أي ثواب في الدار الآخرة وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن

هشام بن عروة عن أبي عبيد عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن آدم يوم القدر عملا أحب الى الله من احراق دم ولم يأت في يوم القيامة بقرينه أو أطاف به أو أشعار غلوان اسم يتبع من الله سبحانه قبل ان يقع من الارض فطيبوا بها نفسا رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه وقال سفيان الثوري كان أبو حزم كان يسند بن يوسف الميزني فقبل ان يسند بن يوسف الميزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنفقت الزورق في شيء أفضل من فخره في يوم عدر رواه الدارقطني في مسنده وقال مجاهد لكم فيها خير قال ابن جرير وسافع وقال ابن جرير النخعي ربها ويصلها اذا احتاج إليها وقوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وعن المطلب بن عبد الله عن جابر بن عبد الله قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الاضيي فلما انصرف في أبي بكيش فذبح فقال بسم الله والله أكبر اليوم هذا عني وعمه لم يرضه (٢) قوله القرب حتى في بعض النسخ وفي بعض آخر محليا ياض وعلى كل خير اذ

من أمي رواه أحمد وأبو داود والترمذي وقال محمد بن اسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر قال سئى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبش في يوم عيد فقال حين وجهها وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض خنيقا وما آمن من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمه ثم سبى الله وكبر وذبح وعن علي بن الحسين عن أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نجي اشترى كبش بن ميمنين فجمعهم ان شهداء التوحيد وشهداء البلاغ ثم بؤى بالآخر فيذبحه بنفسه ثم يقول هذا عن محمد وآل محمد فيعطيهم سما جعجا للساكنين وبأكل هو وأهله منهم رواه أحمد وابن ماجه وقال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله فاذا كروا اسم الله عليها صواف قال قيساما على ثلاث قوائم معقولة يدها السري يقول بسم الله والله أكبر لا اله الا الله اللهم منك ولك وكذلك روى عن مجاهد وعل بن أبي طحمة والعوفي عن ابن عباس نحوه واذا قال ابنت عن مجاهد اذا عقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث وروى ابن أبي نجيح عنه نحوه وقال الخليل يعقل رجلها واحدة فتكون على ثلاث وفي الصحيحين عن ابن عمر انه أتى على رجل قد اناخ بدنة وهو يضرها فقال ابعتها قماما معقولة سنة الى القاسم صلى الله عليه وسلم وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا يخرجون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها رواه أبو داود وقال ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار ان سالم بن عبد الله قال لاسلمان بن عبد الملك قف من شقهها الأيمن وانخر من شقهها الأيسر وفي صحيح مسلم عن

اقامة الصلاة ابتداء الزكاة كذا في الامر بطاعة الرسول للتأكيد وخصه بالطاعة لان طاعته طاعة الله ولم يذكر ما يطيعونه فيه لقصد التعميم كما يشعر به الحذف على ما تقرر في علم المعاني من ان مثل هذا الحذف مشعر بالتعميم (لعلكم ترجون) أي افعلا وما ذكرنا من ان يرجعكم الله سبحانه (للتحسين) بالوقية أي لتحسين يا محمد وقرئ بالتحسين (الذين كفروا ويحجزون) فائتين وقال قتادة سابقين (في الارض) وقد تقدم تفسيره وتفسير ما بعده (ومأواهم النار) عطف خبر على انشاء أو على مقدار أي بل هم مقهورون مدركون ومأواهم (ولبئس المصير) أي المرجع النار ولما فرغ سبحانه من ذكر ما ذكره من دلائل التوحيد رجع الى ما كان فيه من الاستئذان فذكره ههنا على وجهه أخص فقال (يا أيها الذين آمنوا) الخطاب للهمومين ويدخل المؤمنات فيه تغليبا كما في غيره من الخطابات قال العلماء هذه الآية خاصة ببعض الاوقات واختلفوا في المراد بقوله (ليستأذنكم) على أقوال الاول انها منسوخة قاله سعيد بن المسيب وقال سعيد بن جبير ان الامر فيها للندب لا للوجوب وقيل كان ذلك واجبا حيث كانوا الأبواب لهم ولوعاد الحال لعاد الوجوب بحكم المهدوي عن ابن عباس وقيل ان الامر ههنا للوجوب وان الآية محكمة غير منسوخة وان حكمها ثابت على الرجال والنساء قال القرطبي وهو قول أكثر العلماء وقال السبكي انها خاصة بالنساء وقال ابن عمر هي خاصة بالرجال دون النساء والمراد بقوله (الذين ملكتم أعنانكم) العبيد والاماء وعن مقاتل بن حيان قال بلغنا ان رجلا من الانصار واهمه ان يسمي بنت مرشدته صنع الله صلى الله عليه وآله وسلم طعاما فقات اسمها يا رسول الله ما أقبح هذا انه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد غلاما بغير إذن فانزل الله في ذلك هذه الآية يعني بها العبيد والاماء وعن السدي قال كان أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحجمهم أن

جابر في صفة حجة الوداع قال فيه فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثا وستين بدنة جعل يطعن بها بحربة في يده وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال في حرف ابن مسعود صواف أي معقولة قماما وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد من قرأها صواف قال معقولة ومن قرأها صواف قال تصف بين يديها وقال طاوس والحسن وغيرهما فاذا كروا اسم الله عليها صواف يعني خالصا لله عز وجل وكذا رواه مالك عن الزهري وقال عبد الرحمن بن زيد صواف ليس فيها شرك كسرك الخاهلية لاصنامهم وقوله فاذا وجبت جنوبها قال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني سقطت الى الارض وهو رواية عن ابن عباس وكذا قال مقاتل بن حيان وقال العوفي عن ابن عباس فاذا وجبت جنوبها يعني فخرت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فاذا وجبت جنوبها يعني مات وهذا القول هو مراد ابن عباس ومجاهد فانه لا يجوز الاكل من البدنة اذا فخرت حتى تموت وتبرح كتمها وقد جاء في حديث مرفوع

لا تعلق النفوس ان ترحق وقد رواه الثوري في جامعه عن ابي عن ابي عن كثير عن فراقصة الحنفى عن عمر بن الخطاب انه قال ذلك ويؤيد حديث شداد بن اوس في صحيح مسلم ان الله كتب الاحسان على كل شئ اذ قلتم فاحسنوا القتلة واذا جئتم فاحسنوا النجبة وليجد أحدكم شفرة ولرحم ذبيحته وعن ابي واقد السبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قطع من البهمة وهى حية فهو ميتة رواه احمد وابوداود والترمذى وصححه وقوله فكوا وامنوا واطعموا القانع والمعتز قال بعض السلف قوله فكوا وامنوا امر اباحه وقال مالك يجب ذلك وقال غيره يجب وهو وجه لبعض الشافعية واختلفوا فى المراد بالقانع والمعتز فقال العوفي عن ابن عباس القانع المستغنى بما عطية وهو فى بيتة والمعتز الذى تعرض للثوب لئلا ينقطع من اللحم ولا يسأل وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي (٢٤٢) وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس القانع المتعفف والمعتز السائل وهذا قول

قنادة وارايم الضبي ومجاهد في رواية عنه وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن اسلم والكبي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك ابن انس القانع هو الذى يقنع بالسك ويسأل والمعتز الذى يعتريك يتضرع ولا يسأل وهذا لفظ الحسن وقال سعيد بن جبير القانع هو السائل قال اما سمعت قول الشيخ

لمال المرتضى فيغنى

مما قرأه عن من القنوع قال يعنى من السؤل وبه قال زيد وقال زيد بن اسلم القانع المسكين الذى يطوف والمعتز الصديق والضعيف الذى يزور وهو رواية عن ابنه عبد الرحمن بن زيد ايضا وعن مجاهد ايضا القانع جارك الغنى الذى يصير ما يدخل بيتك والمعتز الذى يعتريك من الناس وعنه ان القانع هو الطامع والمعتز هو الذى يغتر بالدين من غنى أو فقر وعن

يواقعوا نساءهم فى هذه الساعات لمعتساوا ثم يخرجوا الى الصلاة فامرهم الله ان يأمروا المملوكين والغلمان ان لا يدخلوا عليهم فى تلك الساعات الا بذن فلا يردكف امرهم الله بالاستئذان مع انهم غير مكلفين ولو كان المقصود امرهم بالذات لما كان تخصيص البداء وانطاب بالؤمنين وجه (والذين لم يلفوا الحلم منكم) أى الصبيان والمراد الاخر ارقى الحلم يسكون اللام وبضها قال الاخفش الحلم من حلم الرجل بفتح اللام ومن الحلم حلم انضم اللام بحلم بكسر هوا اتفقوا على ان الاختلام بالوهم واختلفوا فيما اذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحلم فقال ابو حنيفة لا يكون بالغ حتى يبلغ عاشر سنة ويستكملها والحاربة سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد فى الغلام والحاربة بخمس عشرة سنة يصير مكلفا وتجري عليه الأحكام وان لم يحلم (ثلاث مرات) أى ثلاثة أوقات فى اليوم واليلة وعبر عن الاوقات بالمرات لان اصل وجوب الاستئذان هو بسبب مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين بالخططين لانتفى الاوقات وانتصاب ثلاث مرات على المصدرية أى ثلاث استئذانات ورجع هذا أبو حيان وقال لان اذا قلت ضربتك ثلاث مرات لاقه منه الا ثلاث ضربات أو منصوب على الظرفية أى ثلاث أوقات ثم فسر تلك الاوقات بقوله (من قبل صلاة الفجر) وذلك لانه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب البقطة ورجعنا بيت عزانا وعلى حالة لا يجب ان يراهم فيها (وحين تضعون ثيابكم) التى تلبسونها فى النهار (من) شدته (الظاهرة) وذلك عند اتصاف النهار فانه قديم قد دون عن الثياب لأجل القيلولة ومن البيان أو يعنى فى أو يعنى اللام ثم ذكر سبحانه الوقت الثالث فقال (ومن بعد صلاة العشاء) وذلك لانه وقت العبادة ثياب البقطة والخلافة بالاهل والالتصاف بثياب النوم ثم أجل سبحانه هذه الاوقات بعد التفصيل بقوله (ثلاث عورات لكم) أى أوقات ثلاث عورات وقبل جعل نفس ثلاث مرات نفس ثلاث عورات مبالغة وقبل هو ثلاث وقال

عكرمة نحوه وعنه القانع أهل مكة واختار ابن جرير ان القانع هو السائل لانه من أقنع يده اذارفها للسؤل والمعتز من الاعتراء وهو الذى يتعرض لكل اللحم وقد اخرج هذه الآية الكريمة عن ذهب من العلماء الى ان الاضحية تجزأ ثلاثة أجزاء فثلث لصاحبها كله وثلث يديه لأصحابه وثلث يتصدق به على الفقراء لانه تعالى قال فكوا وامنوا واطعموا القانع والمعتز وفى الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس انى كنت تهتمكم عن ادخال لحم الاضحية فوق ثلاث فكوا وادخروا ما بدا لكم وفى رواية فكوا وادخروا وتصدقوا وفى رواية فكوا واطعموا وتصدقوا والقول الثانى ان المضحى يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله فى الآية المتقدمة فكوا وامنوا واطعموا والبائس الفقير ولقوله فى الحديث فكوا وادخروا وتصدقوا فان كل الكلى يقتل لايضن شيأ وبه قال ابن شريح من الشافعية وقال بعضهم يضنها كلها بعلها وأقيتها وقيل يضمن نصفها وقيل عنها وقيل أدنى جزء منها وهو المشهور من مذهب الشافعي وأما الجلود

ففي مسند أحمد عن قتادة بن النعمان في حديث الاضاحي فكوا ويصدقوا واستمعوا بحياؤها ولا يبيعونها ومن العلماء من رخص في بيعها ومنهم من قال يقاسم الفقراء فيها والله أعلم (مسند) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما نبأ به في يومنا هذا ان صلى ثم رجع ففتح قبر فعمل قدماً أصاب ستمنا ومن ذبح قبل الصلاة قائماً هو لحق قد مهلاً له ليس من التمسك في شيء آخر جاءه فلذا قال الشافعي وجماعت من العلماء ان أول وقت ذبح الاضاحي اذا طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العبد والخطيبين زادوا أن يذبح الامام بعد ذلك لما جاء في صحيح مسلم وان لا يذبحوا حتى يذبح الامام وقال أبو حنيفة وأما أهل السودان والقرى وشيوخها فلهي ان يذبحوا بعد طلوع الفجر اذا لصلاة عيدهم ثم ع عندهم وأما أهل الامصار فلا يذبحوا حتى يصلي الامام والله أعلم ثم قيل لا يشرع الذبح الا يوم النحر (٣٤٣) وحده وقيل يوم النحر لاهل الامصار

لتيسر الاضاحي عنده وأما أهل القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده وبه قال سعيد بن جبير وقيل يوم النحر ويوم بعده للجميع وقيل ويومان بعده وبه قال الامام أحمد وقيل يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده وبه قال الشافعي لحديث جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيام التشريق كلها ذبح رواه أحمد وابن حبان وقيل ان وقت الذبح عندنا آخر ذى الحجة وبه قال ابراهيم النخعي وأبو سلمة بن عبد الرحمن وهو قول غريب وقوله كذلك سخرنا لاهلكم لعلمكم تشكرون يقول تعالى من أجل هذا سخرنا لاهلكم أي ذلناها لكم وجعلناها منقاداً لكم خاضعة ان شئتم ركبتهم وان شئتم حلقتهم وان شئتم ذبحتم كما قال تعالى أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعامهم لاهل مالكون انى قوله

أبو حاتم النصب ضعيف مردود وقال الشراء الرفع أحب الى قال الكسائي العورات الساعات التي تكون فيها العورة قال الزياح المعنى ليستأذنكم أوقات ثلاث عورات وعورات جمع عورة وهي في الاصل الخلل ثم غلب في الخلل الواقع فيما لم يحفظه ويهين ستره أي هي ثلاث أوقات يحتمل فيها الستر وقرئ عورات بفتح الواو وهي لغة هذيل وتقيم فانهم يفتخون عين فعلات سواء كان واو أو يا أو جلة مستأنفة مسوقة لبيان علته وجوب الاستئذان عن عبد الله بن سويد قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن العورات الثلاث فقال اذا أنا وضعت ثيابي بعد الطهيرة لم يبلغ على أحد من الخدم من الذين لم يباغوا الحلم ولا أحد لم يبلغ الحلم من الأسرار الا باذن واذا وضعت ثيابي بعد صلاة الغشاء ومن قبل صلاة الصبح أخرجه من مردويه وعن ابن عباس قال انه لم يؤمن بها أكثر الناس يعني آية الاذن واى لا تمر جاري هذه بجارية قصيرة فغفلة على رأسه ان تستأذن على وعنه قال ترك الناس ثلاث آيات لم يعلموا من هذه الآية والآية التي في سورة النساء واذا حضر النسبة الآية والآية التي في الحجرات ان أكرمكم عند الله أتقاكم وعنه قال اذا خلا الرجل بآله بعد الغشاء فلا يدخل عليه صبي ولا خادم الا باذنه حتى يصلى الغداة واذا خلا بآله عند الغشاء فدخل ذات ورحل لم يؤمن في الدخول فيما بين ذلك بغير اذن وهو قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فاما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأحد الا باذن على كل حال وهو قوله واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم وعنه ان رجلاً سأل عن الاستئذان في الثلاث العورات التي أمر الله في القرآن فقال ان الله ستمير يحب الستر وكان الناس لهم متور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم فمرعاجاً الرجل خادماً أو ولداً أو يتيماً فيجرد وهو على أهله فأمرهم الله أن يستأذوا في ثلاث العورات التي هي الله ثم جاءه الله بعد الستر فبسط عليهم في الرزق فأنفذوا السور ورائعوا الخال فرأى الناس ان ذلك قد كفاههم من الاستئذان الذي

أفلا تشكرون وقال في هذه الآية الكريمة كذلك سخرنا لاهلكم لعلمكم تشكرون (ان) ينال الله لحومها ولادها وأولادها ولكن يناله القدوى منكم كذلك سخرنا لاهلكم لتكبروا والله على ما همدا لهم بشار الحسنيين) يقول تعالى انما شرع لكم فخر هذه الهدايا والفضايا لتذكروا ذنوبكم ان الله الخالق الرازق لا اله الا الله يناله شيء من لحومها ولادها فانه تعالى هو الغنى عما سواه وقد كانوا في جاهليتهم اذا ذبحوها لاهلكهم وضروا عليها من لحوم قريتهم ومن ذبحوا عليها من دماها فقال تعالى لن ينال الله لحومها ولادها وما قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد بن أبي حماد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريح قال كان أهل الجاهلية يذبحون البيت بلحوم الابل ودماها فاقبال انجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فحين أحق ان ننضح فانزل الله لن ينال الله لحومها ولا دماها ولكن يناله القدوى منكم أي يتقبل ذلك ويميز عليه كما جاء في التذبح ان الله لا يتقبل الى صوركم ولا الى أموالكم

ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وطاعات الحديث ان الصدقة لتقع في يد الرحمن قبل ان تقع في يد السائل وان الله يقيم عن الله
 بمكان قبل ان يقع الى الارض كما تقدم في الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه عن عائشة رضي الله عنها انه سئل عن تحقيق
 القول من الله لمن اخلص في عمله وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا والله أعلم وقال وكيع عن يحيى بن مسلم بن
 الخصال سألت عامر الشعبي عن جلود الاضحية فقال لمن سأل الله لحومها ولادماؤها وان شئت فقل فامسك وان شئت
 فصدق وقوله كذلك سخرها لكم أى من أجل ذلك سخر لكم السيد لتكبروا الله على ما عداكم ثم أى تعظموه كما عداكم كما لديه
 وشعره وما يحبوه ويزهونه كما نحن فعل ما يكرهه ويأباه وقوله وبشر المحسنين أى وبشر بالجنة المحسنين أى في علمهم القائلين
 بحدود الله المتبعين ما شرع لهم (٣٤٤) المصدقين الرسول فيما بلغهم وجعلهم به من عند ربهم عز وجل (مسئله) وقد

ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري
 الى القول بوجوب الاضحية على
 من ملك نصابا وزاد أبو حنيفة
 اشتراط الإقامة أيضا واحتج لهم
 بما رواه أحمد وابن ماجه باسناد
 رجاله كلهم ثقات عن أبي هريرة
 رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال لا يضحية لمن
 لم يهاجر الى الله عز وجل
 واستنكره أحمد بن حنبل وقال
 ابن عمر أقر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عشرين بضحية رواه
 الترمذي وقال الشافعي وأحمد
 لا تضحية بل هي مستحبة
 لما جاء في الحديث ليس في المال
 حق سوى الزكاة وقد تقدم انه
 عليه الصلاة والسلام ضحى عن
 أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم
 وقال أبو هريرة كنت جارا لابي
 بكر وعمر فكانا لا يضحيان بخضبة
 ان يقتدى الناس بهما وقال
 بعض الناس الاضحية سنة
 كفاية اذا قام به واحد من أهل

أمر واه وعن ابن عمر في الآية قال هي على الذكور دون الاناث ولا وجه لهذا التخصيص
 فالاطلاع على العورات في هذه الاوقات كما يكرهه الانسان من الذكور يكرهه من
 الاناث وعن السلمي قال هي في النساء خاصة والرجال يستأذنون على كل حال بالليل والنهار
 وعن ابن مسعود قال عليكم اذن على أمهاتكم وعنه قال يستأذن الرجل على أبيه وأمه
 وأخيه وأخته أخرجه البخاري في الادب وعن جابر بن جهم وسئل الشعبي عن هذه الآية
 أمسوخة هي قال لا والله قال السائل ان الناس لا يعملون بها قال والله المستعان وقال
 سعيد بن جبيرة ان ناسا يقولون ان هذه الآية نسخت والله ما نسخت ولكنها عمتها ومن به
 الناس وقال سعيد بن المسيب انها منسوخة والاولى أولى (ليس عليكم ولا عليهم جناح
 بعدهن) أى ليس على المالك ولا على الصبيان اثم في الدخول بغير استئذان لعدم
 ما وجبه من مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعد كل واحدة من هذه العورات
 الثلاث وهي الاوقات المخلية بين كل اثنين منها وبالجملة مستأنفة مقرر للامر بالاستئذان
 في تلك الاحوال خاصة وقال أبو البراء بعد ان استأذنها فبين ما وردت به الحاجة
 الى هذا التقدير الذي ذكره بل المعنى ليس عليكم جناح ولا عليهم أى العبيد والاماء
 والصبيان في عدم الاستئذان بعد هذه الاوقات المذكورة (طوافون) أى هم طوافون
 (عليكم) وبالجملة مستأنفة مينة للعدول عن الخوض في ترك الاستئذان والمعنى يطوفون
 عليكم ومنه الحديث في الهرطقة انما هي من الطوافين عليكم أو الطوافات أى هم خدمكم
 فلا بأس ان يدخلوا عليكم في غير هذه الاوقات بغير اذن (بعضكم) يطوف أو طواف
 (على بعض) وبالجملة بدل بما قبلها أو مؤكدة لها والمعنى ان كلامكم يطوف على صاحبه
 العبيد على المولى والمولى على العبيد وانما أباح سبحانه الدخول في غير تلك الاوقات
 الثلاثة بغير استئذان لانها كانت العادة انهم لا يكشفون عوراتهم في غيرها (كذلك)

داروا بحمل أو بيت سقطت عن الباقي لان المقصود اظهار الشعار وقد روى الامام
 أحمد وأهل السنن وحسنه الترمذي عن مخنف بن سليم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعرفات على كل أهل بيت في
 كل عام اضحاة وغيره هل تدرون ما العترة هي التي تدعونها الرجمية وقد تكلم في اسنادها وقال أبو أيوب كان الرجل يجلس في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته فبأى كلون ويضعون حتى ينالها الناس قصار كما ترى رواه
 الترمذي وصححه وابن ماجه وكان عبد الله بن هشام يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله رواه البخاري وأما قد ارسن الاضحية
 فقد روى مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تدبجوا الامسية الا ان تعسر عليكم فتدبجوا اجذعة من الضأن
 ومن ههنا ذهب الزهري الى ان الجذع لا يجزى وقابله الاوراعي فذهب الى ان الجذع يجزى من كل جنس وهما غريبان والذي عليه

الجهور وانما يجزئ النبي من الابل والبقر والمعز والجذع من الضأن فاما النبي من الابل فهو النبي له خمس سنين ودخل في السنة ومن البقر ماله ستان ودخل في الثالثة وقيل ماله ثلاث ودخل في الرابعة ومن المعز ماله ستان واما الجذع من الضأن فقيل ماله سنة وقيل عشرة أشهر وقيل ثمانية وقيل ستة أشهر وهو أقل ما قيل في سنه ومادونه فهو رجل والفرق بينهما ان الحمل شعر ظهره قائم والجذع شعر ظهره نائم قد انفرق صدغين والله أعلم (ان الله يدفع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور) يحجب تعالى ابنه يدفع عن عباده الذين يؤكروا عليه وآباءه البشر الاشرار ويكيد الفجار ويحفظهم (٢٤٥) ويكوثهم وينصرهم كما قال تعالى اليس

الله بكاف عبده وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره قد جعل الله لكل شي قدرا وقوله ان الله لا يحب كل خوان كفور أي لا يحب من عباده من اتصف بهم ذاهوا ولطمانه في اليهود والمواثيق لا يفي بما قال والكفر الجدل للمع فلا يعترف بها (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين آمنوا آخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا رسالته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت صوامع وينتع وصلاوات وساجدة كثر فيها اسم الله كثيرا لينصرن الله من نصره ان الله لقوي عزيز) قال العوفي عن ابن عباس نزلت في محمد وأصحابه حين آخر حوامن المدينة وقال غير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم وقائل بن حبان وقتادة وغيرهم هذه أول آية نزلت في الجهاد واستبدل بهذه الآية بعضهم على ان السورة مدنية وقاله مجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد وقال ابن جرير حدثني يحيى بن داود الواسطي حدثنا اسحق بن

أي مثل ذلك التبيين (بين الله لكم الآيات) الدالة على ما شرعه لكم من الاحكام (والله عليم) أي كثير العلم بالعلوم (حكيم) كثير الحكمة في أفعاله (واذا بلغ الاطفال منكم الحلم) بين سبحانه ههنا حكم الاطفال الاحرار اذا بلغوا الحلم بعد ما بين فيما شرع حكم الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم في انه لا جناح عليهم ترك الاستئذان فيما عدا الاوقات الثلاثة فقال (فليس تأذنوا) اذا دخلوا عليكم في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) الموصول عبارة عن الذين قبل لهم لا تدخلوا بغير بيوتكم حتى تستأسوا الآية والمعنى استأذنا كما استأذن الاحرار الكفار الذين أمر وانا بالاستئذان من غير استئناء قال عطاء واجب على الناس ان يستأذنوا اذا احتلوا احرارا كانوا أو عبيدا وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والده قال نعم ان لم تفعل رأيت منها ما تكره وقال الزهري وسعيد بن المسيب يستأذن الرجل على أمه وفي هذا المعنى نزلت هذه الآية (كذلك بين الله لكم آياته والله عليم) بأمر وخلقه فيما بين من الاحكام (حكيم) بما دبر وشرع من مصالح الانام (والقواعد من النساء) المراد من المجاز التي قد عدت عن الحيض أو عن الاستمتاع أو عن الولد من الكبير فلا يلدن ولا يحضن واحدهما قاعدة بلاهه ليدل حذنها على انه يعود الكبير كما قالوا امرأة حامل ليدل حذف الهاء على انه جل جلاله ويقال قاعدة في بيتها وحامله على ظهرها قال الزجاج هن اللاتي قد عدت عن التزويج وهو معنى قوله (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يطمعن فيه لكبرهن وقال ابو عبيدة اللاتي قد عدت عن الولد وليس هذا يستقيم لان المرأة تعد عن الولد وفيه استمتاع وقيل هن المجازات اللواتي اذا رآهن الرجال استعذروهن فاما من كانت فيها بنية جلال وهي محل الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية ثم ذكر سبحانه حكم القواعد فقال (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن التي تكون على ظاهر البدن كالجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار ونحوها لا الثياب التي على العورة الخاصة والخمار وانما جازا لهن ذلك لانصراف الانفس عنهن الا لارغبة للرجال فيهن فباح الله سبحانه لهن ما لم يبعه لغيرهن وعن ابن عباس في الآية قال هي المرأة لا جناح عليها ان تجلس في بيتها تدرع وخمار وتضع عنها الجلباب ما لم تبرز بمكروه الله وعنه انه كان يقرأ ان يضعن من

(٤٤ - فتح البيان سادس) يوسف عن سفيان عن الاعش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر آخر حوائثهم والله وانا اليه راجعون لم يمكن قال ابن عباس فانزل الله عز وجل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فعرفت انه سيكون قتال ورواه الامام أحمد عن اسحق بن يوسف الارزوقي وزاد قال ابن عباس وهي أول آية نزلت في القتال ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من سنينهما وابن أبي حاتم عن حديث اسحق بن يوسف زاد الترمذي ووكيع كلاهما عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حديث حسن وقدر وما غير واحد عن الثوري وليس فيه ابن عباس وقوله وان الله على نصرهم لقدير أي هو قادر على نصر عباده المؤمنين

من غير قتال ولكن هو يريد من عبادته ان يواجدهم في طاعته كما قال فاذا القيمت الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى اذا اخذتموه
فشدوا الوناق فامانبا بعدوا فامانبا حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن لسبوا بعضهم وبعض الذين
قتلوا في سبيل الله فلن يضل اعمالهم سبيهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقال تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم سمى الله على من يشاء والله عليم حكيم وقال ام
حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين (٣٤٦) جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا مؤمنين وليجة والله

خير عبادهم ولون وقال ام حسبتم
ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
وقال ولنبليكم حتى تعلموا ما كانت
منكم والصابرين ونبأوا اخباركم
والايات في هذا كثيرة ولهذا قال
وان الله على نصرهم لقدير ولهذا
قال ابن عباس في قوله وان الله
على نصرهم لقدير وقد فعل وانما
شرع تعالى الجهاد في الوقت الاول
به لانهم لما كانوا امة كان
المشركون اكثر عددا من المؤمنين
المسلمين وهم اقل من العشرة بقتال
الباقين اشق عليهم ولهذا لما بايع
أهل يثرب ليله العقبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية
وعشرين قالوا يا رسول الله لا نعمل
على أهل الوادي يعنون أهل منى
لما لم يمتى ففقتلهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لم أومر بهذا
فلما بايع المشركون وأخرجوا النبي
صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم
وهو ما بقتله وشردوا أصحابه شذر
مذروا فذهب منهم طائفة الى
الحديثة وآخرون الى المدينة فلما
استقروا بالمدينة ووفاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم واجتمعوا

عليه وقاموا بخبره وصارت لهم دار اسلام ومعة لا يجئون اليه شرع الله جهادا لاعداء فكانت هذه الآية أول
ما نزل في ذلك فقال تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغريتهم قال العوفي عن
ابن عباس أخرجوا من مكة الى المدينة بغريتهم يعني بمحمد وأصحابه الا ان يقولوا ربنا الله أي ما كان لهم الى قومهم اساءة ولا كان لهم
ذنب الا أنهم وجدوا الله وعبدوه لا مشرك له وهذا استثناء منقطع بالنسبة الى ما في نفس الامر وأما عند المشركين قال أكبر الذنوب
كما قال تعالى يخرجون الرسول وابائكم ان تؤمنوا بالله ربكم وقال تعالى في قصة أصحاب الاخدود وما نطقوا منهم الا ان يؤمنوا
بأنه العزيز الجيد ولهذا لما كان المسلمون يرتجون في بناء الخندق ويقولون لاهل لولاء أنت ما هتديت ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينه علينا * وثبت الاقدام ان لا قينا ان الالى قد بغوا علينا * اذا ارادوا قتنة اينا

فيوافقههم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول معهم اخرج كل قافية فاذا قالوا اذا ارادوا قتنة اينا يقول اينا عديم صوته ثم قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم بعضا لكانت الارض فلاة وما لعلنا الا لولا انه يدفع عنهم عن قوم ويكفر شرورنا عن غيرهم بما خلقه وبقدره من الاسباب لفسدت الارض ولا هلك القوي الضعيف لهدمت صوامع وهي المعابد الصغار للربها ان قاله ابن عباس ومجاهد وابو العالية وعكرمة والضحاك وغيرهم وقال قتادة هي معابد الصائين (٣٤٧) وفي رواية عنه صوامع الجوس وقال مقاتل

يخرجون ان يا كوافي بيوت اقرارهم فترت ليس على الاعى يعنى في الاكل مع الاعى وعن مقسم بنحوه وعن مجاهد قال كان الرجل يذهب بالاغى أو الأعرج أو المريض الى بيت أمه أو بيت أخيه أو بيت عمه أو بيت خاله أو بيت خالته فكان الرضى يخرجون من ذلك يقولون انما يذهبون بنا الى بيوت غيرهم فترت هذه الآية رخصة لهم وعن عائشة قالت كان المساكين يرغبون في التفرغ مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيدفعون مفاتيحهم الى زناهم ويقولون لهم قدأ حللنا لكم أن تأكلوا مما احببتم اليه فكانوا يقولون انه لا يحل لنا أن تأكلوا من أنفسكم أن تأكلوا الى قوله أو ما ملكتم مفاتيحه كما سبأى وعن ابن عباس قال لما نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال المساكين ان الله قدفنا اننا كل أموالنا بيننا بالباطل والطعام هو أفضل الأموال فلا يحل لأحدنا أن يأكل عند أحد ففكف الناس عن ذلك فانزل الله ليس على الاعى حرج الى قوله أو ما ملكتم مفاتيحه وهو الرجل يوكل الرجل بضعته والذي رخص الله يا كل من ذلك الطعام والتمر وشرب اللبن وكانوا أيضا يخرجون أن يأكل كل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره فخص الله لهم فقال ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا واشتبا وعن الضحاك قال كان أهل المدينة قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل لهم في طعامهم أعمى ولا مريض ولا أعرج لا يستطيع المزاوجة على الطعام فترت رخصة في مؤاكلتهم وعن الزهري انه سئل عن قوله ليس على الاعى حرج ما بال الاعى والاعرج والمريض ذكروا فقال اخبرني عبد الله بن عبد الله ان المسلمين كانوا اذا غزوا خلفوا زمانهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح أبوابهم يقولون قدأ حللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا وكانوا يخرجون من ذلك يقولون لا ندخلها وهم غيب فانزل الله هذه الآية رخصة لهم (ولاعلى أنفسكم) أى عليكم وعلى من عيالكم من المؤمنين وهذا ابتداء كلام مستأنف أى ولا عليكم أيها الناس والحاصل ان رفع الحرج عن الاعى والاعرج والمريض ان كان باعتبار مؤاكلة الاحياء أو دخول بيوتهم فيكون ولاعلى أنفسكم متصلا بما قبله وان كان رفع الحرج عن أولئك باعتبار التكليف التي يشترط فيها وجود البصر وعدم العرج وعدم المرض فقوله ولاعلى أنفسكم ابتداء كلام غير متصل بما قبله

اسم الله كثيرا وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان وبيع النصارى وصلوات اليهودى كآتهم ومساجد المسلمين التي يذكرونها اسم الله كثيرا لان هذا هو المستعمل المعروف في كلام العرب وقال بعض العلماء هذا ترق من الاقل الى الاكثر الى ان انتهى الى المساجد وهي أكثر عمارا وأكثر عبادا وهم ذوو القصد الصحيح وقوله ولا ينصرن الله من ينصره كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله وتنصرتم وينبت اقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل اعمالهم وقوله ان الله اقوى عز يزوفا نفسه بالقوة والعز وقوته خلق كل شيء فقدره تقديرا وبعزته لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب بل كل شيء خاضع لديه فقير اليه ومن كان القوى العزيز ناصره فهو المنصور وعده هو المقهور قال الله تعالى ولقد سمعنا كثيرا العبادان المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم

الغالبون وقال تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز (الذين أن مكاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) قال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو اسيد الزهراني حدثنا جابر بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال قال عثمان بن عفان فينازلت الذين أن مكاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهوا عن المنكر فأخرجنا من ديارنا بغير حق إلا أن قلنا ربنا الله ثم مكنا في الأرض فأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة (٢٤٨) الأمور فهي لي ولاصحابي وقال أبو العالية هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

وقال الصباح بن سوار الكندي سمعت عمار بن عبد العزيز يخطب وهو يقول الذين أن مكاهم في الأرض الآية ثم قال ألا انهم ليست على الوالي وحده ولكنهم على الوالي والمولى عليه ألا أنبئكم عيالكم على الوالي من ذلكم وعيال الوالي عليكم منه أن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم وإن يأخذ بعضكم من بعض وإن يهديكم إلى هي أقوم ما استطاع وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبرورة ولا المستكراه بها ولا الخائف سرها على لانتها وقال عطية العوفي هذه الآية كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض وقوله ولله عاقبة الأمور كقوله تعالى والعاقبة للمتقين وقال زيد بن أسلم ولله عاقبة الأمور وعند الله أبواب ما صنعوا (وإن يكذبوا فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدین وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير فكل من قرينة

(أَنْ تَأْكُلُوا) أَنْتُمْ وَمَنْ مَعَكُمْ (مِنْ بَيْوتِكُمْ) أَيْ الْبُيُوتِ الَّتِي فِيهَا مَتَاعُكُمْ وَأَعْلَانُكُمْ فَيَدْخُلُ بُيُوتَ الْأَوْلَادِ كَمَا قَالَ الْمَفْسُورُونَ لِأَنَّهُ إِذَا خَلَعَ فِي بَيْتِهِمْ لَمْ يَكُنْ يَتِ ابْنَ الرَّجُلِ بَيْتَهُ فَلَا يَدْخُلُ كَرِسِيَّاهُ بُيُوتَ الْأَوْلَادِ وَكَرِسِيَّاتُ الْبُيُوتِ الْأَمْهَاتُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ قَالَ النُّحَاسُ وَتَارِضُ بَعْضُهُمْ هَذَا فَقَالَ هَذَا تَحْكُمُ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ سَجَانَهُ بِلِ الْأُولَى فِي الظَّاهِرِ أَنْ يَكُونَ الْإِبْنُ مُخَالَفًا لَهُ وَلَا يَجِبُ عَنْ هَذِهِ الْمَعَارِضَةِ بَابُ رُسْمَةِ الْأَوْلَادِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْآيَةِ لَا تَقْصُصُ عَنْ رُسْمَةِ الْآيَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْأَوْلَادِ بِلِ الْأَيَّامِ خُصُوصًا فِي أَمْوَالِ الْأَوْلَادِ لَمْ يَثْبُتْ أُنْتِ وَمَالُ الْإِبْنِ وَحَدِيثُ زَيْدِ الرَّجُلِ مِنْ كَسْبِهِ وَقَدْ كَرِسِيَّاهُ بُيُوتَ الْأَخُوَّةِ وَالْأَخْوَاتِ بِلِ بُيُوتِ الْأَعْمَامِ وَالْعَدَاتِ بِلِ بُيُوتِ الْأَخْوَالِ وَالْخَالَاتِ فَكَيْفَ يَنْبَغِي سَجَانَهُ الْمَرْحُومِ عَنِ الْأَكْلِ مِنْ بُيُوتِ هَؤُلَاءِ لَا يَنْبَغِي عَنْ بُيُوتِ الْأَوْلَادِ وَالْمَعْنَى مِنْ بُيُوتِ أَزْوَاجِكُمْ لِأَنَّهُ يَتِ الْمَرْأَةَ كَيْتَ الزَّوْجِ وَلَا يَزُوجُ مِنْ صَارَا كَنْفَسٍ وَاحِدَةٍ وَقِيلَ أَرَادَ مِنْ أَمْوَالِ عِيَالِكُمْ وَالْعُمُومِ أَوَّلَى فَيَسْهَلُ الْكُلُّ (أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ) وَقَدْ قِيدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ جَوَازَ الْأَكْلِ مِنْ بُيُوتِ هَؤُلَاءِ لِأَنَّ مِنْهُمْ لَنْ الْأَذْنَ ثَابِتٌ دَلَالَةً وَقَالَ آخَرُونَ لَا يَشْتَرِطُ الْأَذْنَ قَبْلَ هَذَا إِذَا كَانَ الطَّعَامُ مَذْبُوحًا فَكَانَ حَرَجًا زَادَ مِنْهُمْ لَمْ يَجِزْ لَهُمْ أَكْلُهُ قَالَ الْخَطِيبُ وَهَؤُلَاءِ يَكْنَى فِيهِمْ أَدْنَى قَرِينَةٍ بَلِ يَنْبَغِي أَنْ يَشْتَرِطَ فِيهِمْ أَنْ لَا يَغْلِبَ عَدَمُ الرِّضَا بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَجَانِبِ فَلَا يَدْخُلُ فِيهِمْ مِنْ صَرْحِ الْأَذَنِ وَأَقْرَبُ سَقْوَةٍ هَذَا مَا ظَهَرَ لِي وَلَمْ أَرْمَنْ تَعَرُّضَ لِذَلِكَ ثُمَّ قَالَ سَجَانَهُ (أَوْ مَالِكُمْ مَفَاتِحَهُ) أَيْ الْبُيُوتِ الَّتِي تَعْلُكُونَ النَّصْرَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهَا مِنْ ذَلِكَ كُلُّوْا كَلَامَهُ وَخَازِنَ فَاتْنَهُمْ يَكُونُ النَّصْرُ فِي بُيُوتِ مَنْ إِذْنُ لَهُمْ بِدُخُولِ بَيْتِهِ وَاعْطَانُهُمْ بِمَقْبَحَاتِهِ وَقِيلَ الْمُرَادُ بِبُيُوتِ الْمَالِكِ قَسْرَى مَلِكِهِمْ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَتَحْقِيفِ اللَّامِ وَبُضْمِ الْمِيمِ وَكُسْرِ اللَّامِ مَعَ تَشْدِيدِهَا وَقُرْئُ مَفَاتِيحَهُ وَمَفَاتِحُهُ عَلَى الْفُرَادِ وَالْمَفَاتِيحُ جَمْعُ مِفْتَاحٍ (أَوْ صَدِيقِكُمْ) أَيْ لِأَجْنَحِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِ صَدِيقِكُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ فَإِنَّ الصَّدِيقَ فِي الْغَالِبِ يَسْمَحُ لَصَدِيقِهِ بِذَلِكَ وَتَطِيبُ بِهِ نَفْسَهُ وَالصَّدِيقُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَمِثْلُهُ الْعَدُوُّ وَالْخَلِيطُ وَالطَّيْنُ وَالْعُسْبُ قَالَ قَتَادَةُ إِذَا ذُخِّلَتْ يَدُ صَدِيقِكَ مِنْ غَيْرِ مَوَازِيرِهِ ثُمَّ أَكَلْتَ مِنْ طَعَامِهِ بَغِيرِ إِذْنِهِ لَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ بَاسًا وَعَنْ ابْنِ زَيْدٍ

أَخَذَ كَاهُوِي ظِلْمَةً فِي خَاوِيَةٍ عَلَى عَرُوشِهَا وَبَرْمَعُهَا وَقَصْرُ مَشِيدٍ أَقْلَمُ سِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا وَأُذُنَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَأَقَامَ الْأَعْمَى الْبَصَارَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ يَقُولُ تَعَالَى سَلِمَاتُ اللَّهِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَكْذِيبِ مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَأَنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمَ نُوحٍ إِلَى أَنْ قَالَ وَكَذَّبَ مُوسَى أَيْ مَعَ مَا جَاءَهُ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَالْأَدْلَالِ الْوَاضِحَاتِ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ أَيْ أَظْهَرْتُمْ وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ أَخَذَتْنَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ تَكْبِيرُكَ فِي كَيْفَ كَانَ انْكَارُ عَلَيْهِمْ وَمَعَاذِي قَبْلَهُمْ وَكَرْبُ السَّيْفِ أَنَّهُ كَانَ يَنْقُولُ قَوْلَهُ قَوْمُهُ أَنْزَلَكُمْ مِنَ الْأَعْلَى

وبين ادلائك الله له اربعون سنة وفي الصحيحين عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لي لي الظالم حتى اذا اخذته لم يقبله ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذها بشديد ثم قال تعالى فكاي من قرية اهلكناها أي كمن قرية اهلكتموها أي ظالمة أي مكذبة لرسولها فهي خاوية على عروشها قال الضحاك سقوها أي قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها وبئر معطلة أي لا يستقي منها ولا يردها احد بعد كثرة وادبها والازدحام عليها وقصر مشيد قال عكرمة يعني المبيض بالخص وروى عن علي بن ابي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبيرة وأبي المليح والضحاك (٣٤٩) ثم ذلك وقال آخرون هو المنيف المرتفع

وقال آخرون المشيد المنيع الحصين وكل هذه الاقوال متقاربة ولا منافاة بينها فانه لم يحتمل اهل شدة بنيانه ولا ارتفاعه ولا احكامه ولا حصاته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى ايما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وقوله أفلم يسيروا في الارض أي بآياتهم وتفكرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التذكر والاعتبار حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام ان يا موسى اتخذن علي من حديد وعصا ثمع في الارض ثم اطلب الاثاموا العبرتي يخترق النعلان وتنكسر العصا وقال ابن ابي الدنيا قال بعض الحكماء احس قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكير وموته بالزهد وقوة باليقين وذلما بالموت وقسده بالفناء وبصره بخفايع الدنيا وحذره صولة الدهر وخش قلبه الايام وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما اصاب من كان قبله وسيرته في ديارهم وآثارهم

قال هذا شيء قد انقطع انما كان هذا في أوله ولم يكن لهم أبواب وكانت الستور مخرجة فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله أن يأكله وقال ذهب ذلك اليوم البيوت فيها أهلها فاذا خرجوا أغلقوا قال التسي في اما الان فقد غلب الشخ على الناس فلا يؤكل الا باذن انتهى قال المحلى المعنى يجوز الاكل من بيوت من ذكر وان لم يحضروا أي الاصناف الا احد عشر اذا علم رضاهم ببصره صريح اللفظ او بالقرينة وان كانت ضعيفة وخصوصا هو لا يزال لان العادة جارية بالتبسط بينهم وقيل ان هذا كان جائزا في صدر الاسلام ثم نسخ والاول أولى ثم قال سبحانه (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا واثماتا) أي مجتمعين او مرة تفرق جمع شت وهو المصدر بمعنى التفرق يقال شت القوم أي تفرقوا وهذا كلام مستأنف مشتمل على بيان حكم آخر من جنس ما قبله وقد كان بعض العرب يهرج أن يأكل وحده حتى يجدها كيلا يؤا كاه فبأكل معه وبعض العرب كان لا يأكل الا مع ضيف قال قتادة كان هذا الحلي من بني كنانة بن خزيمه يرى أحدهم ان عليه حزمة أن يأكل وحده في الجاهلية حتى ان كان الرجل يسوق الذود الحفل وهو جائع حتى يجده من يؤا كاه ويشار به فانزل الله هذه الآية وعن عكرمة وأبي صالح قال كانت الانصار اذا نزل بهم الضيف لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم فنزلت رخصة لهم وعن ابن عباس قال خرج الحارث غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخاف على أهله خالد بن زيد فخرج أن يأكل من طعامه وكان مجهودا فنزات وقد ترجم البخاري في صحيحه باب قوله تعالى هذا وصوده فيما قال أهل العلم في هذا الباب اباحة الاكل جميعا وان اختلف أحوالهم في الاكل فقد سوغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فصار سنة في الجماعات التي تدعى الى الطعام في الهند والوالا ثمرا لاملق في السفر وما ملكت مفاتيحه بامانة وقربا او صداقة فلأن تأكل مع القريب أو الصديق ووجدت الهند ما يجمعهم الرفاه من مال او طعام على قدر تقهتهم بنقونه بينهم قال ابن دريد يقال من ذلك شاهد القوم الشيء بينهم قال الهزلي وفي حديث الحسن أن أخرجوا منه كم قانه أعظم للبركة وأحسن لاخلقكم والهند ما تخرج الرقة عند المناهة وهو اسقسام النفقة بالسوية بالسفر وغيره (فاذا دخلتم بيوتا) هذا شروع في بيان أدب آخر أدب به عبادة أي اذا دخلتم بيوتا غير البيوت التي تقدم ذكرها (فسلموا على أنفسكم) أي على

وانظر ما فاعلوا وابتدعوا من اهلهم بالامم المكذبة من النجوم والكال فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو اذان يسمعون بها الى فيعتبرون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي ليس العمى عى البصر وانما العمى عى البصيرة وان كانت القوة الباصرة سليمة فانها لا تتعدى الى العبر ولا تدري ما الخبر وما احسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن جبار الاندلسي التستري وقد كانت وفاته سنة مبيع عشرة وخسمائة يامن يصبح الى داعي الشقاء وقد نادى به النابعان الشيب والكبر

ان كنت لاتسمع الذكري فقيمتارى * في رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعشى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبق ولا الدنيا ولا الفلاك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرجل عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

(٣٥٠) الله وعده وان يؤمنا عند ربك كاف سنة مما تعدون وكان من قرية أمليت

ويستعملونك بالعباد وان يخاف
ايها وهي ظالمه ثم أخذتهم اولى
الخير) بقول تعالى لنبيه صلوات
الله وسلامه عليه ويستعملونك
بالعذاب أي هؤلاء الكفار المخذون
المكذبون بالله وكابه ورسوله واليوم
الآخر كما قال تعالى واذا قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا بحجارة من السماء أو
التي نابعذاب أليم وقالوا ربنا جعل لنا
قطنا قبل يوم الحساب وقوله ولن
يخلف الله وعده أي الذي قد وعد
من إقامة الساعة والانتقام من
أعدائه والاولياءه قال
الاصمعي كنت عند أبي عمرو بن العلاء
فيما هم يروون عن عبيد فقال يا أبا عمرو
هل يخلف الله الميعاد فقال لا فذكر
أبو عبيد فقال له أأمن الجهم أنت
ان العرب تعد الرجوع عن الوعد
لؤما وعن الابعاد كما ما سمعت
قول الشاعر

ليهرب ابن الم والجاسطوقى
ولأثنى عن سطوة المهتدد
فأنى وان أوعده أو وعده

لخلف ايعادى ومنجز موعدى
وقوله وان يؤمنا عند ربك كاف
سنة مما تعدون أي هو تعالى

أهلها الذين هم غزلة أنفسكم وقيل المراد البيوت المذكورة سابقا وعلى القول الاول
فقال الحسن والتخفى هي المساجد والمراد سلوا على من فيها من صنفكم فان لم يكن في
المساجد أحد فقيل يقول السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل يقول
السلام عليكم مریدا للملائكة وقال باقر الشافعي انما البيوت المذكورة سابقا
جماعة من الصحابة والتابعين وقيل المراد بالبيوت هنا كل البيوت المسكونة وغيرها
فيسلم على أهل المسكونة وأما غير المسكونة فيسلم على نفسه بان يقول السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين قال ابن العربي القول بالمعوم في البيوت هو الصحيح ولا دليل على
التخصيص وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان لغيرا أو لنفسه فإذا
دخل بيتا لغيره استأذن (تحية) أي في واجبة ثابتة صادرة مشروعة (من عند الله)
أي من جهته ومن لده يعني ان الله حيا كما هو قال الفراء ان الله أمركم أن تفعلوها طاعة
له ثم وصف هذه التحية فقال (مباركة) أي كثيرة البركة والخير إذ غنم ما شاب عليها (طيبة)
أي تطيب بها نفس المستمع وقيل حسنة جميلة وقال الزجاج أعلم الله سبحانه ان السلام
مباركة تطيب لقلبه من الاجر والثواب قال ابن عباس في الآية وهو السلام لانه اسم الله
وهو تحية أهل الجنة وعن جابر بن عبد الله قال اذا دخلت على اهلك فسلم عليهم تحية من
عند الله مباركة طيبة أخرجه البخاري وغيره وعن ابن عباس قال هو المسجد اذا دخلته
فسلم السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن ابن عمر قال اذا دخلت البيت غير
المسكون او المسجد فقل السلام الخ (كذلك بين الله لكم الايات) أي يفصل لكم معالم
دينكم تا كيد المسبق وقد قدمنا ان الاشارة بذلك الى مصدر الفعل (لعلكم تتقون)
تعليل لذلك التبيين بوجاهة تعقل آيات الله سبحانه وفهم معانيها (انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله) حسنة أنفة مسوقة ليعتبر بها ما تقدمها من الاحكام وانما من صيغ الحصر
والمعنى لا يتم ايمان ولا يكمل حتى يؤمن بالله ورسوله (واذا كانوا معكم) أي مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم هو صلة ثانية ونحو الكمال (على أمر جامع) أي طاعة بجمعة
عليها اشخو الجمعة والجماعة والتخرو والقطر والجهاد أو تشاور في أمر واشبهه ذلك وسمى
الامر جامعاً للاحقة وفيه اسناد مجازي لان الامر لما كان سبباً في جمعهم نسب الجمع اليه

لا يجعل فان مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عند ما النسبة الى حبله لعلها يانه على الانتقام قادر وأنه
لا يقوته شيء وان أجبل وأتظرو وأمل ولهذا قال بعده هذا وكان من قرية أمليت لها وهي ظالمه ثم أخذتها الى المصير قال ابن
أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبيد بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم خمسة عام ورواه الترمذي والنسائي من حديث الثوري عن محمد بن
عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح وقد رواه ابن جرير عن أبي هريرة موقوفاً فقال حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه حدثني سعيد

الجري عن أبي نصر عن حماد بن نهار قال قال أبو هريرة يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء مقعداً نصف يوم قلت وما مقعداً نصف يوم قال أو ما قرأ القرآن قلت بلى قال وإن يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون وقال أبو داود في آخر كتاب الملاحم من سننه حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إني لأرجو أن لا تجزأمتي عند ربك أن يؤخرهم نصف يوم قيل لعدو ما نصف يوم قال خمس مائة سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهيدي عن أسباط بن محمد (٣٥١) عن عكرمة عن ابن عباس وأن يوماً عند ربك كالف سنة مما تعدون

بجاءوا وقرئ على أمر جميع والحاصل أن الأمر الجامع والجميع هو الذي يعم فعمدوا ضرره وهو الأمر الجليل الذي يحتاج إلى اجتماع أهل الرأي والتجارب (لم يذهبوا) أي يتصرفوا عنه ولم يصرفوا عما أحقوا له لعروض عذرهم (حتى يستأذنه) واعتبار هذا في كمال إيمانهم لأنه كالصداق للجنة والمديل للعقل فيه عن المتأفق فإن دينه وعادته التسليم والقرار وتعليم الحرم في الذهاب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغرابة قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا بعد المني يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لأجدة أو لعذر لم يخرج حتى يقوم بجمل الذي صلى الله عليه وآله وسلم حيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليس لأذن فمأذون لمن شاء منهم قال مجاهد وأذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده قال الزجاج أعلم الله أن المؤمنين إذا كانوا مع نبيهم فيها يتألف فيه إلى الجماعة لم يذهبوا حتى يستأذنه وذلك ينبغي أن يكونوا مع الإمام لا يتأذنون له ولا يرجعون عنه في جميع من جوعهم إلا بأذنه ولا إمام أن يأذن له أن لا يأذن على ما يرى لقوله فأذن لمن شئت منهم قال العلماء كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بأذن ثم قال سبحانه هو كذا على أساليب يبلغ معظمها هذا الأمر (ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فبين سبحانه أن المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كالحكم والابان المؤمنين الكاملين الأعيان هم الجامعون بين الأيمان بهما وبين الاستئذان وإن الذهاب بغير إذن ليس كذلك (فأذا استأذنتهم لبعض شأنهم) أي لأجل بعض الأمور التي همهم بها وقع لسيدها نمرحين خرج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك حيث استأذن الرسول في الرجوع إلى أهل فاذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال له أرجع فقلت بمن أذن فاذن لمن شئت منهم) فانه يأذن لمن شاء منهم ويتبع من شاء على حسب ما تقتضيه المصلحة التي يراها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفيه رفع شأنه صلى الله عليه وآله وسلم واستدلال به على أن بعض الأحكام مفضولة إلى رأيهم ومن منع ذلك قيد المشيئة بأن تكون تابعة لعلمه بصدقته أي فاذن لمن علمت أن له عذراً ثم أشرده الله سبحانه إلى الاستغفار لهم فقال (واستغفر لهم الله) بعد الأذن فيه إشارة إلى أن الاستئذان وإن كان لعذر مرسوم فلا يخلو عن شأبه ما تبارأمر الدنيا على الآخرة لأن اعتناءهم بحالهم أو في من الاستئذان (إن الله غفور رحيم) أي

لهم مغفور وورق كريم والذين سوغوا في آياتنا معاجز من أولئك أصحاب الجحيم) يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستجوابه قل يا أيها الناس إنما أنا نذير مبين أي إنما أرسلني الله إليكم نذير لكم بني عدى عذاب شديد وليس إلى من حسابكم من شيء أصرمكم إلى الله أن شاء جعل لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم وإن شاء تاب على من توب إليه وإن شاء ابتل من كتب عليه الثقاوة وهو الفعال لما يشاء ويريد يختار لا يعقب لحكمه وهو مبرع الحساب وإنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات أي آمنتم قلوبهم وصدقوا أيمانهم بأعمالهم لهم مغفرة ورزق كريم أي مغفرة فلسلاف

من سيئاتهم ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم قال محمد بن كعب القرظي إذا دعيت الله تعالى يقول ووزق كريم فهو الجنة وقوله والذين سعوا في آياتنا معاجزين قال مجاهد يقيطون الناس عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال عبد الله بن الزبير منطبقين وقال ابن عباس معاجزين مرغمين أولئك أصحاب الجحيم وهي النار الخارة الموجهة الشديدة عذابا ونكالها أجزاها الله منها قال الله تعالى الذين كفروا صدوا عن سبيل الله فذناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا فسدون (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا أتى ألقى الشيطان ٢٥٢) في أميته فيمنع الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم

أصل ما يلقي الشيطان فستة الذين في قلوبهم مرض والفاصلة في قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ولعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتحت له قلوبهم وأن الله لهادي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم فذكر كثير من المفسرين هينا نقصه الغرائق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشرك قريش قد أسلموا ولكنهم من طرق كلها مرسله ولم أرها مستندة من وجه صحيح والله أعلم قال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمة النجم فلما بلغ هذا الموضع أقرأ يثم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال فأتى الشيطان على لسانه تلك الراء التي العلى وإن شفاعتهم ترجى قالوا ما ذكر آية تنجز قبل اليوم فوجد وجدوا فأنزل الله عز وجل هذا الآية وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا أتى ألقى الشيطان في أميته فيمنع الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم

كثير المغفرة لتزطات العباد والرحمة باليسير عليهم بالغ فيه ما إلى الغاية التي ليس وراءها غاية (لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) مستأنفة مقررة لما قبلها أي لا تجعلوا لدعوتهم أي كما كدعاهم من بعضكم بعضا في التساقل في بعض الأحوال عن الإجابة بل أجيبوه فوراً وإن كنتم في الصلاة أو الرجوع بغير استئذان أو رفع الصوت وقال سعيد بن جبير ومجاهد المعنى قولوا يا رسول الله برق ولين ولا تقولوا يا محمد تبجهم وعلى هذا جماعة كثيرة وقال قتادة أمرهم أن يشر فوه ويفضوه وقيل المعنى لا تعرضوا للدعاء الرسول عليكم يا ضابطه فإن دعوتهم موجبة وقيل المعنى يجب عليكم المبادرة لأمره واختاره أبو العباس ويؤيد قوله فلما ذكر الذين يحضرون عن أمره وقيل معناه لا تجعلوا دعاء الرسول به مثل ما يدعوا صغركم كوكيمكم بغيركم وغيبكم بسأله حاجته فترى عجايب دعونه ورجاء لتجيب فإن دعوات الرسول مدعوة مستجابة وعن سعيد بن جبير في الآية قال يعني كدعاء أحدكم إذا دعاه أخاه باسمه ولكن وقرره وقولوا يا رسول الله يا نبي الله قال لا تصحوا به من بعيد يا أبا القاسم ولكن كما قال الله في الحجر أن الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله والاول أوى (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) أي يخرجون ويتسللون من المسجد في الخطبة واحدا بعدوا أحد من غير استئذان خفية يستترين بشيء وقد للتحقيق والتسلل الخروج من البيت في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من بينهم والواو من الملازمة وهو أن تستتر بشيء تخافون من رؤاؤه أصله أن يلوذ هذا بذال وذال هذا واللوا ما يطيف بالجليل وقيل اللوا ذو الروغان من شيء إلى شيء في خفية أي متلاوذين يلوذ بعضهم بعض ويضم اليه وقيل يلوذون لوذاً وقرئ لوذاً بفتح اللام وفي الآية بيان ما كن يقع من المنافقين فأنهم كانوا يتسللون عن صلاة الجمعة متلاوذين ينضم بعضهم إلى بعض استناراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كان يوم الجمعة انقل يوم على المنافقين لما يرون من الاجتماع للصلاة والخطبة فكانوا يفرعون عن الحضور ويتسللون في خفية ويستتر بعضهم بعض ويضم اليه وقيل اللوا ذو الروغان من الجهاد وبه قال الحسن عن مقاتل قال كان لا يخرج أحد لعاف أو أحد أعمى حتى يسمأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشير اليه بيده أو يسمأذن له النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه الخطبة والجلوس في المسجد

ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة بن خنيس عن وهب عن سلمة بن كهيل عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الثالث في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بحكمة سورة النجم حتى انتهى إلى أقرأ يثم اللات والعزى وذكر بقية ثم قال البراء لا نعلمه يروي متصلاً إلا بهذا الاستناد تفرد به أبو أمية بن خالد وهو نفسه مشهور وأما يروي هذا من طريق الكشي عن أبي صالح عن ابن عباس عن رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالقة وعن السدي عن سلاو وكنهه أن رواه ابن جرير فكان

عن محمد بن كعب القرظي ومحمد
ابن قيس مرسلًا أيضًا وقال قتادة
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي
عند المقام إذ نغمس فالتى الشيطان
على لسانه وإن شفاعتها ترتجي
وانهم الملعونون العلى في حفظها
المشركون واجترأ الشيطان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد
قرأها فذلت بها أسنهم فانزل الله
وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا بقدر حذر الله الشيطان
ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا موسى
ابن أبي موسى الكوفي حدثنا
محمد بن اسحق الشيباني حدثنا محمد
ابن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن
شهاب قال أنزلت سورة النجم وكان
المشركون يقولون لو كان هذا
الرجل يذكر آلهتنا بخير أقر زمانه
وأصحابه ولكنه لا يذكر من خالف
دينه من اليهود والنصارى يمثل الذي
يذكر آلهتنا من الشتم والنسب وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
استدعاه ما ناله وأصحابه من أذاهم
وتكذيبهم وأحزنه ضلالهم فكان
يغنى هداهم فلما أنزل الله سورة
النجم قال أقرأ بآيات اللات والعزى
ومناة الثالثة الأخرى **الكم**
الذكر وله الأني ألقى الشيطان
عندها كلمت حين ذكر الله
الطواغيت فقال وانهم من لهن
الغرائبي العلى وإن شفاعتهم لهن
التي ترتجي وكان ذلك من تصحيح
الشيطان وقتته فوقعت هاتان
الكلمات في قلب كل مشرك بمكة
وذلت بها أسنهم وتبأسوا بها

فكان إذا استأذن رجل من المسلمين قام المسافر الى جنبه يستريح حتى يخرج فانزل الله
هذه الآية أخرجه أبو داود في مسنده (فلحذر الذين يخالفون عن أمره) الفاء ترتب
ما بعدها على ما قبلها أي يخالفون أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بترك العمل بمقتضاه
ويذجون سمًا خلاف سمته وعدى فعل المخالفة يعن مع كونه متعديًا بنفسه لتضمينه معنى
الاعراض أو الصدوقيل الضمير لله سبحانه لانه الأمر بالحقيقة قال أبو عبيدة والاختش
عن زائدة شاعر قال الخليل وسيدي به ليست بزائدة بل هي بمعنى بعد كقوله ففسق عن أمر
ربه أي بعد أمر ربه والأولى ما ذكرنا من التضمين (ان تصيهم فتنة) أي فلحذر المخالفون
عن أمر الله أو أمر رسوله أو أمرهما جميعا أصابه فتنة لهم والفتنة هنا غير مقيمة بنوع
من أنواع الفتنة وقبل هي القتل وقبل الزلازل وقبل تسلط سلطان جائر وقبل الطبع على
قلوبهم وقبل اسبغ النعم استدراجاً ومحنة في الدنيا (أو يصيهم عذاب أليم) أي في
الآخرة كما كان الفتنة التي حذرهم من أمر آية الهيم هي في الدنيا وكلمة ألمنع الخلق قال
القرطبي احتج الفقهاء على ان الأمر لا وجوب به هذه الآية بوجه ذلك ان الله سبحانه
حذرهم من مخالفة أمره ولو عذب بالعقاب عليهم بقوله ان تصيهم فتنة الآية فيجب امتثال
أمره ويحرم مخالفتهم والآية تشمل كل من خاف أمر الله وأمر رسوله ويدخل فيها
الجامعون على ضلالة التقليد من بعد ما تبين لهم الهدى وظهر الصواب من الخطأ (الان
الله تنبيه على أن لا يخالفوا أمر الله) (ما في السموات والأرض) من المخالقات بأسرها فهي
ملكه وخلقه وعبيده (قد بعلم ما أنتم عليه) أيها العباد من الأحوال التي أنتم عليها
فيجازيكم بحسب ذلك ويعلم ههنا معنى علم وادخل قد ليدل على كد علمهم عليه من مخالفة
عن الدين الحق ويرجع نو كيد العلم الى نو كيد الوعيد (ويوم) أي ويعلم يوم (يرجعون
اليه) فيجازيهم فيه بما عملوا وفيه التفات عن الخطأ وتعليق على سبحانه بيوم الرجوع
لأنفس رجعهم لزيادة تحقق علمه لان العلم بوقت وقوع الشيء يستلزم العلم بوقوعه على
أبلغ وجه (فيصيبهم بما عملوا) من الأعمال التي من جعلها مخالفة الأمر والطاهر من السباق
ان هذا الوعيد للمنافقين (والله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وغيرها عن
عقبة بن عامر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ هذه الآية في خاة
سورة النور وهو جالس أصبعه تحت عينيه يقول بكل شيء بصير أخرجه الطبراني وغيره قال
السيوطي بسند حسن

* (سورة الفرقان سبع وسبعون آية) *

وهي مكية كلها في قول الجمهور نزلت قبل الهجرة وبه قال ابن الزبير قال القرطبي وقال ابن
عباس وقسادة الا ثلاث آيات منها فانزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله الها
آخر الايات وأخرج البخاري ومسلم ومالك والشافعي وابن حبان والبيهقي في سننه عن عمر
ابن الخطاب قال سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حيازة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فاستعت القراءة فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى

وقالوا ان محمدا قد رجع الى دينه
 الاول ودين قومه فلما بلغ رسول
 الله صلى الله عليه وسلم آخر النجم
 سجد وسجد كل من حضره من مسلم
 أو مشرك غير ان الوليد بن المغيرة كان
 رجلا كبيرا فرفع يده كنه ترابا
 فسجد عليه فجبج البقرقان
 كلاهما من جماعتهم في السجود
 لسجود رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فاما المسلمون فجبجوا وسجدوا
 المشركين معهم على غير ايمان ولا
 يقين ولم يكن المسلمون سمعوا
 الذي أتى الشيطان في مسامع
 المشركين فاطمأنت أنفسهم لما
 أتى الشيطان في أمانة رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وحدثهم به
 الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قد قرأها في السورة فسجدوا
 لتعظيم آلهتهم ففتشت تلك الكلمة
 في الناس وأظهرها الشيطان حتى
 بلغت أرض الحبشة ومن بهامن
 المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه
 وتحدوا ان أهل مكة قد أسلموا
 كلهم وصالوا مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وبلغهم سجود الوليد بن
 المغيرة على التراب على كنه وحدثوا
 ان المسلمين قد آمنوا بكم فاقبلوا
 سرا و قد نسخ الله ما أتى الشيطان
 وأحسبكم آياته وحدثهم من
 القرية وقال الله وما أرسلنا من
 قبلك من رسول ولا نبي الاذناقنى
 أتى الشيطان في أمنيته فينسخ الله
 ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته
 والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي
 الشيطان فتنة للذين في قلوبهم

الله عليه وآله وسلم فكذبت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلبسته بردائه فقلت من
 أقرأ هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطأقت
 به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت اني سمعت هذا بقراءة الفرقان
 على حروف لم تقرأ بها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرسل أقرأها بشام فقرأ عليه
 القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا أنزلت ثم قال أقرأ
 يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذا أنزلت ان
 هذا القرآن انزل على سبعة أحرف فأقرأ ما نيسرته

*(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك الذي نزل الفرقان) تكلم سبحانه في هذه السورة على التوحيد لانه أقدم وأهم ثم في
 النبوة لانه الواسطة ثم في المعاد لانه الخاتمة وأصل تبارك مأخوذ من البركة وهي النماء
 والزيادة حسنة كانت أو عتية قال الزجاج تبارك تفعل من البركة وبه قال ابن عباس
 قال ومعنى البركة الكثير من كل ذي خير وقال الفراء ان تبارك وتقدس في العربية واحد
 ومعناها العظمة وقيل المعنى تبارك عطاؤه أي زاد وكثر وقيل دام وبث قال النحاس
 وهذا أولاها في اللغة والاشتقاق من برك الشيء اذا ثبت ومنه برك الجبل أي دام وثبت
 واعترض ما قاله القرأمان التقديس انما هو من الطهارة وليس من ذاتي شيء قال العلماء هذه
 اللفظة لاتستعمل إلا الله سبحانه ولا تستعمل الا بلفظ الماضي والمعنى تعالى الله عما سواه
 في ذاته وصفاته وأفعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المجزئ الناطق بعلمه شأنه تعالى
 وبموصفاته وابتناء أفعاله على أساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية
 والفرقان القرآن وسعى فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل باحكامه أو بين الحق والمبطل
 قال قتادة هو القرآن فسمه حلالا وحراما وشراعه ودينه وقيل لانه نزل من راقى أو فوات
 كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لكثير التثنية (على عبده) محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 ثم عمل التنزيل بقوله (ليكون للعالمين نذيرا) فان النذارة هي الغرض المقصود من
 الانزال والمراد بالعالمين هنا الاناس والجن لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسل اليهما
 قال المحلى دون الملائكة ولم يكن غيره من الانبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام مرسلا
 الى الثقلين والتذير المنذرا أي ليكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم مذكرا ونذيرا أو
 ليكون انزال القرآن منذرا أو ليكون ازاله انذارا أو ليكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم
 انذارا وجعل الضمير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى لان صدور الانذار منه حقيقة ومن
 القرآن مجاز والمحل على الحقيقة أولى أو لكونه أقرب مذكور قال قتادة بعث الله محمدا
 صلى الله عليه وآله وسلم نذيرا من الله لينذر الناس بأس الله ووقائعه عن خلاقكم وقيل
 ان رجوع الضمير الى الفرقان أولى لقوله تعالى ان هذا القرآن هدى للناس اقوم ويصم
 رجوعه للمبطل وهو الله وقوله للعالمين متعلق بنذير اقدم عليه لرعاية الفاصلة ثم انه سبحانه
 وصف ذاته الكريمة بصنات أربع الاولى (الذي له ملك السموات والارض) دون غيره

لا استعلا ولا تباعف والمقتصر فيهما وفيه تنبيه على اختصار الكل اليه في الوجود
 وبإبعاده عن البقاء وغيره (و) الصفة الثانية (لا يتخذ ولدا) فيه رد على اليهود والنصارى
 (و) الثالثة (لا يمكن لشريك في الملك) فيه رد على طوائف المشركين من الثنوية والوثنية
 وعباد الأصنام وأهل الشرك الخلق فثبت له الملك بجميع وجوهه ثم نفي ما يوجب مقامه
 فيه ثم بيده على ما يدل عليه فقال (وخلق كل شيء) من الموجودات مما أطلق عليه صفة
 الخلق وهي الصفة الرابعة (فقدرة تقدير) أي قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما أراد
 وهما لما يصلح له وسواء تسوية لا أعوجاج فيه ولا زيادة على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
 ولا نقصان ذلك في بابي الدنيا والدين وقيل أحدهما إحداثه أي فيه التقدير حسب
 إرادته كخلق الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة فقدره وهما لما أراد منه
 من الخصاص والافعال أو فقدره للبقاء إلى أجل مسمى قال قتادة بين الله لكل شيء من
 خلقه صلاحه وجعل ذلك بقدر معلوم قال الواحدي قال المفسرون قدر له تقدير من
 الاجل والرزق بقدر المقدار على ما خلق وقيل أريد بالخلق هنا مجرد الاحداث والايجاد
 مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه في نفس الامر فيكون المعنى أوجد
 كل شيء فقدره للتلازم التكرار وهذا أوضح دليل على المعتزلة في خلق افعال العباد ثم
 صرح سبحانه في تزييف هذا ذهب عبدة الاوثان فقال (واتخذوا من دونه) الضمير للكفار
 أو المندرين أو للمشركين وان لم يتقدم لهم ذلك لدلالة العالين ونفي الشريك والذير عليهم
 أي اتخذ المشركون لانفسهم متجاوزين الله (آلهة) قال قتادة هي الاوثان التي تعبد من
 دون الله (لا يحقون شيئا) أي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء وغلب العقلاء على
 غيرهم لان في معبودات الكفار الملائكة وعزير والمسيح (وهم يحقون) أي يخلقهم الله
 سبحانه قال قتادة أي هو الله الخالق الرازق وهذه الاوثان تخلق ولا تخلق شيئا ولا تضر ولا
 تنفع وقيل عبر عن الآلهة بضمير العقلاء على اعتقاد الكفار انها تضر وتنفع وقيل
 المعنى عبدتهم يصورونهم ويختونهم ثم لما وصف سبحانه نفسه الكريمة بالقدرة الباهرة
 وصف آلهة المشركين بالجزال البالغ فقال (ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا) أي
 لا يقدرون على ان يجلبوا لانفسهم نفعا ولا يدفعوا عنهم اضرارا وقد مذكرنا لئلا دفعه
 أحدهم من جلب النفع وإذا كانوا بحيث لا يقدرون على الدفع والنفع فيما يتعلق بانفسهم
 فكيف يمكن ان يكون ذلك ان يعبدهم وهذا يدل على غاية تجزؤهم ونهاية ضعفهم ثم زاد في بيان
 تجزؤهم فنص على هذا الامر فقال (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) أي لا يقدرون
 على ائمة الاحياء ولا احياء الموتى ولا بعثهم من القبور لان النشور هو احياء بعد الموت
 يقال أشر الله الموتى فنشروا وقدم الموت لما سببه للضرر المتقدم ولما فرغ سبحانه من بيان
 التوحيد وتزييف هذا ذهب المشركين شرع في ذكر شبهة من كبرى النبوة فالشبهة الاولى
 ما حكاه عنهم بقوله (وقول الذين كفروا) أي مشركو العرب (ان هذا) أي ما هذا القرآن
 (الافك) أي كذب (اقراء) أي اختلقه محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وأنعاه عليه) أي على
 الاختلاق (قوم آخرون) يعنون من اليهود قيل وهم أبو فكيهة يسار مولى الحضرمي

مرض والقاسمية قلوبهم وان
 الظالمين لاني شاقا بعيدا بين الله
 قضاء ووبرأ من جميع الشيطان
 انقلب المشركون بضاللتهم
 وعداوتهم للمسلمين واشتدوا عليهم
 وهذا أيضا مرسل وفي تفسير ابن
 جرير عن الزهري عن أبي بكر بن
 عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه
 وقدر واه الحافظ أبو بكر البيهقي
 في كتابه دلائل النبوة فلم يجزه موسى
 ابن عقبة ساقه من مغازيه نحوه
 قال وقدر وسأعن أبي اسحق هذه
 القصة (قلت) وقد ذكرها محمد بن
 اسحق في السيرة بنحو من هذا وكأها
 مرسلات ومنقطعات والله أعلم
 وقد ساقها البخوي في تفسيره مجموعة
 من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب
 القرظي وغيرهما بنحو من ذلك ثم
 سأل ههنا سؤالا كيف وقع مثل
 هذا مع العصمة المضمونة من الله
 تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه
 ثم حكى أجوبة عن الناس من ألقاها
 ان الشيطان أوقع في مسامع
 المشركين ذلك فتوهوا أنه صدر عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
 كذلك في نفس الامر بل انما كان
 من صنيع الشيطان لاعتزال رسول
 الرحمن صلى الله عليه وسلم والله
 أعلم وهو كذا تنوعت أجوبة
 المتكلمين عن هذا بتقدير حجة
 وقد تعرض القاضي عياض رجه
 الله في كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما
 حاصله انما كذلك لتوهمها وقوله الا
 اذا غنى ألقى الشيطان في أمثله
 هذا فيه تسليمه من الله لرسوله صلاة

الله وسلامه عليه أى لا يهين ذلك
فقد أصاب مثل هذا من قبلنا من
المرايين والأنبياء قال البخاري
قال ابن عباس فى أميته إذا حدث
ألقى الشيطان فى حديثه فيسطل
الله ما بين الشيطان ثم يحكم
الله آياته قال على بن أبى طلحة عن
ابن عباس إذا غنى ألقى الشيطان
فى أميته يقول إذا حدث ألقى
الشيطان فى حديثه وقال مجاهد
إذا غنى بعضى إذا قال ويقال
أمنته قراءته الامانى يقرؤن
ولا يكتبون قال البغوى وأكثر
المفسرين قالوا معنى قوله غنى أى
تلاوفاً كتاب الله ألقى الشيطان
فى أميته أى فى تلاوته قال
الشاعر فى عثمان حين قتل
غنى كتاب الله أول له

وأخره ألقى حمام المقادر
وقال الضحاك إذا غنى إذا تلا قال
ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل
الكلام وقوله فينسخ الله ما بين
الشيطان حقيقة النسخ لغة
الازالة والرفع قال على بن أبى طلحة
عن ابن عباس أى فيسطل الله
سجانه وتعالى ما ألقى الشيطان
وقال الضحاك نسخ جبريل بأمر
الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله
آياته وقوله والله أعلم أى بما يكون
من الأمور والحوادث لا تخفى عليه
خافية حكيم أى فى تقديره وخلقه
وأمره الحكمة السامة والحة
البالغة ولهذا قال يجعل ما بين
الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم
مرض أى شك وشبهة وكفر

وعداس مولى حبيب بن عبد العزى وجبر مولى ابن عامر وكان هؤلاء الثلاثة من اليهود
وقدر الكلام على مثل هذا فى سورة النحل ثم رداً الله سبحانه عليهم فقال (فقد جاؤا ظالمين
وزوراً) أى فقد قالوا بما هموا به من الكذب والظلمة والافتراء والافتراء على ما قبله السكت
لا على أنهم ما هم من تغايران حقيقة بل على أن الثانى هو عين الاول حقيقة وإنما الترتيب
بحسب التغاير الاعتبارى وقد تحقق ما جاؤا به من الظلم والزور واتصبا بظلم الجاؤا
فإن جاء قد تستعمل استعمال أى وتعدى تعديته وقال الزجاج الأصل جاؤا بظلم وقيل
على الحال وإنما كان ذلك منهم ظلماً لأنهم نسبوا القبيح إلى من هو مبرأ منه فقد وضعوا
الشيء فى غير موضعه وهذا هو الظلم وقيل هو جعل الكلام المجزأ كما يختلفا متلفاً من
اليهود وأما كون ذلك منهم وزوراً فظاهر لأنهم قد كذبوا فى هذه المقالة ثم ذكر الشبهة الثانية
فقال (وقالوا أساطير الاولين) أى أحاديثهم وماسطوره من الاخبار مثل خبر رسم
واسفنديار قال الزجاج واحداً الاساطير أسطورة مثل أحاديث وأحدثة وقال غيره جمع
أساطير مثل أقاويل وأقوال (اكتبها) أى استكتبها أو كتبها لنفسه أو للمعنى جمعها من
الكتب وهو الجمع لأمراء الكتابة بالقلم والاولى ومجمل اكتبها النصب على الحال أو الرفع
على أنه خبر ثان وقرأ اكتبها أمية بالمفعول والمعنى اكتبها لأنه كان أمياً
لا يكتب ولا يقرأ (فهى على عليه) أى تلقى عليه ذلك الاساطير بعدما اكتبها ليحفظها من
أفواه من يعلمها عليه من ذلك المكتتب ~~بكونه~~ أمياً لا يقدر على ان يقرأها من ذلك
المكتوب بنفسه أو للمعنى أراد اكتبها ففى على عليه لأنه يقال أملت عليه فهو يكتب
(بكرة وأصيل) أى غدوة وعشيا كأنهم قالوا ان هؤلاء يعلمون محمد صلى الله عليه وآله
وسلم طرق النهار وقيل معنى بكرة وأصيل دائماً فى جميع الاوقات فأجاب الله سبحانه عن
هذه الشبهة بقوله (قل أنزلته الذى يعلم السر فى السموات والارض) أى ليس ذلك مما
يفترى ويتعل بأنماة قوم وكذا آخر من الاحاديث الملفقة وأخبار الاولين بل هو أمر
سماوى أنزلته الذى يعلم كل شئ لا يغيب عنه شئ من الأشياء فلماذا انجزتم عن معارضته ولم
تأولوا بوردته وخص السر للإشارة إلى انطواء ما أنزلته سبحانه على أسرار بدعية لا يبلغ
إليه بقول البشر والسر الغيب أى يعلم الغيب الكائن فيهما (أنه كان غفورا رحيماً)
تعليل لتأخير العقوبة أى أنكم وإن كنتم مستحقين لتعجيل العقوبة بما تفعلونه من
الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والظلم فإنه لا يعجل عليكم بذلك لأنه كثير
المغفرة والرحمة ثم لما فرغ سبحانه من ذكر ما طعه نواهيه على القرآن ذكر ما طعه نواهيه على
الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقال (وقالوا مال هذا الرسول) فى الإشارة هنا
تصغير شأن المشار إليه وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وسخرية وحاصل ما ذكرهنا ستة قبائح والآخره هى قوله لا أرجل مسجورا وقد رداً الله
عليهم هذه الستة أجا لافى البعض وتقصي لافى البعض والمعنى أى شئ وأى سبب حصل
لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه (يا كل الطعام) كأننا كاه (ويعشى فى الاسواق)
ويتردد فيه الطلب المعاش كما تردد زعموا أنه كان يجب أن يكون الرسول مذكراً مستغنياً

عن الطعام والكسب والاستغناء لانكاره ويرجع الى السبب مع تحقق السبب وهو
الاكل والمشى ولكنه استبعد تحقق ذلك لانتهاء سببه عندهم كما واستزاه والمعنى انه
ان صح ما يدعيه من النبوة فبالله يختلف حاله حالنا (ولاً) للخصيص هذا المستظهره
ابن هشام بعد نقله عن الهروي انها لا تستغنى عن أى هلا (أنزل الله ملك فيكون معه
نذيراً) طلبوا أن يكون النبي مصحوباً بملك يعضده ويساعده تنزوا عن اقتراح كون الرسول
ملكاً مستغنياً عن الاكل والكسب الى اقتراح أن يكون معه ملك يصدقه ويشهده
بالرسالة (أولى اليه كثر) تنزلوا من مرتبة نزول الملك معه الى اقتراح أن يكون معه
كثير يلقى اليه من السماء يستغنى به عن طلب الرزق (أوتوا جنة بأكل منها) قرأ
الجمهور بالقوية وقرئ بالتحسية لان تأنيث الجنة غير حقيقى وقرئاً نأ بالنون أى بستان
نأ كل شخص من غماره وبالتحسية أى كل هو وحده منه ليكون له بذلك منزلة علينا حيث
يكون أكله من جنته قال التماس والقراءتان حسنتان وان كانت القراءة بالسأبب لانه
قد تقدم ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحده فعود الضمير اليه أبين عن ابن عباس
قال ان عتبة بن ربيعة وأبى سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبى البختري والأسود بن عبد
الطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبى جراح بن هشام وعبد الله بن أبى أمية وأميرة
ابن خلف والعاص بن وائل ومنه بن الحجاج اجتمعوا فقال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد
وكلموه وخصموه حتى تعذروا منه فبعثوا اليه ان اشرف قومك فدا جنة والملك ليكم مولك
قال فخاءهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لتعذرنا فان
كنت انا جئتم به هذا الحديث فطلب به ما لا جنة لك من أموالنا وان كنت تطلب به
الشرف فيخسر نسودك وان كنت تريد به ملكاً كاملاً فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ما لي بماتقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك
عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولاً وأنزل على كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً
فبلغتكم رسالته الربى ونصحت لكم فان تقبلوا منى ما جئتمكم به فهو حفظكم في الدنيا
والآخرة وان تردوه على أنفسى لا امر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا يا محمد فان كنت
غير قابل مناشياً معارضنا عليك أو قالوا فاذا لم تفعل هذا فسل لنفسك رسول ربك أن
يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله أن يجعل لك جناناً وقصوراً من
ذهب وفضة يغنيك عما تراد فتبغى فانك تقوم بالاسواق وتلقس العاش كالتحس حتى
تعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولاً كما تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ما أنا بفاسل ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعث اليكم به مذلول لكن الله
يعثنى بشيراً ونذيراً فانزل الله في ذلك هذه الآية أخرجه ابن اسحق وابن جرير وابن المنذر
(وقال الظالمون) المراد بهم هنا هم القائلون بالمقالات الاولى وانما وضع الظاهر موضع
الضمير مع الوصف بالنظم للتخيل عليهم به (ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً) أى مخدوعاً
مغلوباً على عقلي بالهوى وقيل ذاهباً وهو الرئة أى بشر الهرة لاملحكا فالمراد بالسحر هنا
لانزله وهو اختلال العقل وقد تقدم بيان مثل هذا في سجن (أنظر كيف) استعظام

ونفاق كالمشركين حين فرحوا
بذلك واعتقدوا انه صحيح من عند
الله وانما كان من الشيطان قال
ابن جرير الذين في قلوبهم مرض
هم المنافقون والفاقسة تلوهم هم
المشركون وقال مقاتل بن حيان
هم اليهود والظالمين لى شقاق
بعد أى فى ضلال ومخالفة أو عناد
بعيد أى من الحق والصواب وليعلم
الذين أنووا العلم انه الحق من ربك
فيؤمنوا به أى وليعلم الذين أنووا
العلم النافع الذين يقرءون به بين
الحق والباطل والمؤمنون بالله
ورسوله انما أحسنه اليك هو الحق
من ربك الذى أنزله ليعلم وحفظه
وحرسه ان يختلط به غيره بل هو كتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولامن خلفه تنزل من حكيم حميد
وقوله فيؤمنوا به أى يصدقوا
ويتقوا واه ويتثبت له قلوبهم أى
تخضع وتذل له قلوبهم وان الله
لهادى الذين آمنوا الى صراط
مستقيم أى فى الدنيا والآخرة
أما فى الدنيا فيرشدهم الى
الحق وتباعداه ويوقفهم لمخالفة
الباطل واجتنابه وفى الآخرة
يهديهم الصراط المستقيم الموصل
الى درجات الجنات وينزحهم
عن العذاب الاليم والذركات (ولاً)
يراد الذين كفروا فى مرتبة منه حتى
تأنيهم الساعة بقتله أو تأنيهم عذاب
يوم عقيم الملك يومئذ الله يحكم بينهم
فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فى
جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين

بقول تعالى محير اعن الضغائر انهم
لا يرون في مربة أى في شئ ويرى
من هذا القرآن قال ابن جرير
واختاره ابن جرير وقال سعيد بن
جبلة و ابن زيد منه أى مما ألقى
الشیطان حتى تأتيتهم الساعة بغتة
قال مجاهد فجاءة وقال قتادة بغتة
بغت القوم أمر الله وما أخذ الله
توما قط الا عند سكونهم وغرتهم
ونعهم فلا تغترو بالله انه لا يغتر
بالله الا القوم الفاسقون وقوله
أولياهم عذاب يوم عقاب قال
مجاهد قال أبى بن كعب هو يوم بدر
وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد
ابن جبلة وقتادة وغير واحد واختاره
ابن جرير قال عكرمة ومجاهد في
رواية عنهما هو يوم القيامة لا ليل
له وكذا قال الضحاك والחסن
البصري وهذا القول هو الصحيح
وان كان يوم بدر من جهل ما وعدوا
به لكن هذا هو المراد ولهذا قال
المالك يومئذ يحكم بينهم كقوله
مالك يوم الدين وقوله الملك يومئذ
الحق للرحمن وكان يومنا على
الكافر ين عسيرا فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات أى آمنت قلوبهم
وصدقوا بالآلة ورسوله وعملوا بمقتضى
ما علموا فوافق قلوبهم وأقوالهم
واعمالهم في جنات النعيم أى لهم
النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول
ولا يبسد والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أى كثرت قلوبهم بالحق
وتخذته وكذبوا به وخالفوا الرسل
واستكبروا عن آياتهم فأولئك
لهم عذاب مهين أى مقابلة

للاناطيل التى اجتروا على النفوس منها وتجب منها أى انظر كيف (ضربوا لك الامثال)
وقالوا فى حقل تلك الاقاول الحبيبة الخارجة عن العقول الخيالية تجري الامثال
واختاروا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع ليه وصالها الى
تكذيبك والامثال هى الاقوال النادرة والاقوال الغريبة وهى ما ذكره همام بن
المقتري والملى عليه والمنصور (فقلوا) عن الصواب فلا يجدون طريقا له ولا
وصولا الى شئ منه بل جاؤا بهذه المقالات الزائفة التى لا تصدر عن أدنى العقلاء وأقلهم
تمييزا ولهذا قال (فلا يستطيعون سبيلا) يعنى لا يجدون الى القدر فى قوة هذا النبى
طريقا من الطرق (ساركا) أى تكاثرا خير (الذى ان شاء جعل لك) فى الدنيا وما فيها
(خير من ذلك) الذى اقترحوه من الكثر والبستان ثم فرغوا من قولهم (خبايا تجري
من تحت الانهار) أى فى الدنيا لانه تعالى شاء أن يعطيه اياها فى الآخرة (ويجعل لك
قصورا) قد تقررى علم الاعراب ان الشرط اذا كان ماضيا جازى جوابه الجزم والرفع
فجعل ههنا فى محل جزم ورفع فيجوز فيما عطف عليه ان يجزم بكافرا بالجهور وان رفع
بكافرا ابن كثير والقصر البيت من الحارة لان الساكن به مقصود عن ان يوصل اليه
وقيل هو بيت الطين ويوت الصوف والشعر عن خيمة قال قيل للنبى صلى الله عليه
وأله وسلم ان شئت أعطيتك من خزائن الارض ومقاتيها ما لم يعط نبى قبلك ولا تعطيها
أحد بعدك ولا تنقص ذلك مما لك عند الله شيئا وان شئت جعلتها لك فى الآخرة فقال
اجعوهالى فى الآخرة فأبزل الله سبحانه هذه الآية أخرجه القرطابى وابن أبى شيبه وابن
جرير وغيرهم ثم أضرب الله سبحانه عن ربيحهم عنا كاه عنهم من الكلام الذى
لا يصدر عن العقلاء فقال (بل كذبوا بالساعة) أى بل أنابا يحب من ذلك كما هو
تكذيبهم بالساعة فلهذا لا تنفعون بالدلائل ولا تأملون فيها ثم ذكر سبحانه ما أعد لمن
كذب بالساعة فقال (وأعدنا) أى والحال اننا أعدنا وهيا نأول خلقنا (من كذب بالساعة
سعيها) قال أبو مسلم أى جعلنا عتيد او معد لهم انتهى والسعي هى النار المتسعة
المتشعبة والنار موجودة اليوم لهذه الآية كما أن الجنة كذلك لقوله تعالى أعدت للمتقين
ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة فى التشيع وأعداد السعي لهم وان لم يكن
لخصوص تكذيبهم بالساعة بل لأى تكذيب بشئ من الشريعة لكن الساعى ما كانت
هى العتيد القريبة لدخولهم السعي اقتصر على ترتيب الأعداد على التكذيب بها (إذا
راءهم) قيل معناها اذا ظهرت لهم فكانت يرى الناظر فى البعد وقيل المعنى اذا رآتهم
خزنتها وقيل ان الرؤية ههنا حقيقة وكذلك التغيط والرفير ولا مانع من أن يجعلها الله
سجانه مدركة هذا الإدراك وهو الارج ومعنى (من مكان بعيد) انه أراهم وهى بعيدة
عنهم قيل بينها وبينهم مسيرة خمسمائة عام وقيل عام وعن ابن عباس قال من مسيرة مائة عام
وذلك اذا أتى بجهنم تقادس سبعين ألف زمام يشد بكل زمام سبعون ألف ملك لو تركت
لا تبت على كل يرفاجر فترى تفر زفرة لا تبتى قطرة من دمع الابد ثم تفر الشياطين فتقطع
القلوب من أمانها كها وتبلغ القلوب الخناجر وعن رجل من الصحابة قال قال النبى صلى الله

عليه وآله وسلم من يقل على مالم أقل أو ادعى إلى غير والديه أو اتقى إلى غير مواليه فليتبوأ
بين عيني جهنم مقعدا قيل يا رسول الله وهل لها من عيينين قال نعم أما سمعت الله يقول إذا
راتهم من مكان بعيد آخرجه سعد بن جبر من طريق خالد بن دريك ونحوه عند
رزين في كتابه وصححه ابن العربي في قبسه وله لفظ بعناه وأخرج الترمذي من حديث أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له
عينان يصبران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول اني وكنت بثلاث بكل جبار عسيف
وبكل من دعاه الله الها آخره بالمصورين وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى هذا
حديث حسن غريب صحيح (سمعوها تغظا) أي غلبا ناكضا غضبا إذا غلبت عليه صدره
من الغضب يعني ان الهاصو تابدل على التغيط على الكفار أو غلبا ناكضا صوتا يشبه صوت
الغناط (ورقيرا) هو الصوت أي سمعوها صوتا يشبه صوت المتغيط وقال قطرب أراد
علموا الها تغيطا وسمعوها الهازيرا وقيل المعنى فيها تغيطا وورقيرا للمعذبين كما قال لهم في الزفير
وشيق وفي اللام متقاربان بان تقول هذا الله وفي الله (وإذا ألقوا منها) أي طرحوا
(مكنا مضيقا) وصف المكان بالضيق للدلالة على زيادة الشدة وتناهي البلاء عليهم وعن
يحيى بن أسيد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما سئل عن هذه الآية قال والذي
نفسى بيده أنهم لم يستكروهم في النار كما يستكروا التوفى المطاط وعن ابن عباس أنه
يضيق عليهم كما يضيق الريح في الرمح (مقرنين) أي حال كونهم قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم
بالجوامع مصفدين بالديد وقيل مكثفين وقيل قروا مع الشياطين أي قرن كل واحد منهم
إلى شيطانه وقد تقدم الكلام على مثل هذا في سورة إبراهيم (دعوا ههناك) أي في ذلك
المكان الضيق (ثورا) أي هلاكاً كما قال الزجاج وقال ابن عباس ثورا أي ويلا وقيل
ثبرا ثورا وقيل منعول له والمعنى أنهم يتنون ههناك الهلاك وينادونه لما حل بهم من
البلاء يقولون يا ثورا أي احضر فهذا أو انك لنكنهم لايهلكون وأجيب عليهم بقوله
(لا تدعوا اليوم ثورا واحدا) والقائل لهم هم الملائكة خزنة جهنم أي اتركوا دعاء
ثورا واحدا (وادعوا ثورا كثيرا) والثور مصدر يقع على القليل والكثير فلهذا لم
يجمع ومثله ضربته ضربا كثيرا وقد قدعوا وطولوا بالافلاكثرة ههناهي بحسب كثرة الدعاء
المتعلق به لا بحسب كثرة في نفسه فانه شيء واحد والمعنى لا تدعوا على أنفسكم بالثبور
دعوا واحدا ودعوه أدمية كثيرة فان ما أنتم فيه من العذاب أشد من ذلك لطول مدته
وعدم تناهيه وقيل هذا غميل وتصوير حالهم بحال من يقال له ذلك من غير أن يكون
هناك قول وهو خلاف ظاهر القرآن وقيل ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثورا كم فيه
واحدا بل هو ثور كثير لان العذاب أنواع كثيرة كل نوع منها ثور لشدة أولائه يتجدد
لقوله تعالى كلما انفجرت ابودهم بدلناهم جلودا غيرها ليدفوا العذاب أولائه ينقطع فهو
في كل وقت ثور والاولى ان المراد بهذا الجواب عليهم الدلالة على خلود عذابهم واقطاعهم
عن حصول ما يننونه من الهلاك المنجي لهم مما هم فيه أخرج أحمد والبراز والبيهقي
 وغيرهم قال السيوطي بسند صحيح عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

استكبرهم وابائهم عن الحق كقول
تعالى ان الذين يستكبرون عن
عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
أي صاغرين (والذين هاجروا في
سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم
الله رزقا حسنا وان الله لهو خير
الرازقين ليدخلهم مدخلا يرضونه
وان الله لعليم حلِيم ذلك ومن عاقب
بمثل ما عوقب به ثم اتى عامه لينصرته
الله ان الله لعفو غفور) يخبرنا على
عن خرج مهاجرا في سبيل الله
استغاهر ضاه وطلبا الماعنده وترك
الوطن والاهلين والخلان وفارق
بلاده في الله ورسوله ونصره لدين
الله ثم قتلوا أي في الجهاد أو ماتوا
أي خسف أنفسهم من غير قتال على
فرشهم فقد حصلوا على الأجر
الجزيل والثناء الجليل كما قال تعالى
ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله
ورسوله ثم يدره الموت فسد وقع
أجره على الله وقوله ليرزقهم
الله رزقا حسنا أي اجرين عليهم
من فضل ورزقه من الجنة ما تقربه
أعينهم وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلهم مدخلا يرضونه أي
الجنة كما قال تعالى فاما ان كان من
المقربين فروح وريحان وجنة نعيم
فاخبرنا يحصل له الراحة والرزق
وجنة النعيم كما قال ههنا ليرزقهم
الله رزقا حسنا ثم قال ليدخلهم
مدخلا يرضونه وان الله لعليم أي
عن مهاجرو ويجاهدين في سبيله وعن
يستحق ذلك حلِيم أي يحل ويصفح
ويعفو لهم الذنوب ويكفرها عنهم
فهو عزهم اليه ونوكلهم عليه فاما

ان أول ما يبكي حلة من النار ابليس فيضعها على حاحيه ويسبحهم امن خلفه ودرسه
من بعده وهو سادى يابورا وه يقولون يابورهم حتى يقف على الناس فيقول يابورا
ويقولون يابورهم فيقال لهم لادعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا ثم يخبرهم
الله سبحانه ويخاطبنا على لسان رسوله فقال (قل أذللأت أى السعير المتصفه بتلك الصفات
العظيمة خير أم جنة الخلد) وفي اضافة الجنة الى الخلد اشار بدوام نعيمها وعدم انقطاعه
والجنى بالفظ خير هنا مع انه لا خير في النار أصلا لان العرب قد تقول ذلك ومنه ما حكاه
سيبويه عنهم انهم يقولون السعداء أحب اليك أم الشقاوة وقد علم ان السعادة أحب اليه
وقيل ليس هذان باب التفضيل وانما هو كقولك عنده خبر قال النحاس وهذا قول
حسن (التي وعد) أى وعدها (المتقون) فالراجع الى الموصول محذوف ثم قال سبحانه
(كانت) أى تلك الجنة (لهم) أى للصديقين (جزاء) على اعمالهم (ومصيرا) يصرون اليه
وهذا في علم الله أوفى الاوح المحفوظ ان قبل خلقهم بأزمنة مطاوله وقال ذلك لان ما وعد الله
به وفي تحقيقه كانه قد كان (لهم فيها) أى فى الجنة (ما يشاؤون) أى ما يشاؤون من النعم
وضروب الملائك كفى قوله ولكم فيها ما تشتهون أنفسكم ولعله تقصير ههنا كل طائفة على
ما يليق برتبها لان الظاهر ان الناقص لا يدرك شيئا مما هو الكمال بالثبوت وفيه تنبيه على
ان كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة قال الشهاب والله تعالى لا يلقى فى خواطرهم ان ينالوا
رتبة من هو أشرف منهم ولا يلتفتوا الى حال غيرهم (طالدين) أى فى نعيم الجنة ومن
تمام النعم ان يكون دائما الذلوا انقطع لكان مشوبا بضرب من النعم وقد تقدم تحقيق معنى
الخلود (كان) أى ما يشاؤون وقيل كان الخلود وقيل الوعد المدلول عليه بقوله وعد
المتقون (على ربك وعدا مسؤولا) أى الوعد الحقيقى بان يسئل ويطلب كفى قوله ربنا
وأنتما وعدتنا على رسلك وقيل ان الملائكة تسأل لهم الجنة كقوله وأدخلهم جنات
عدن التى وعدتهم وقيل المراد به الوعد الواجب وان لم يسئل وقال ابن عباس بقول تعالى
سألوا الذى وعدكم فنجزوه (ويوم يحشرهم) أى اذكر وتعلق التذكير باليوم مع ان
المقصود ذكر ما فيه للمبالغة والتأكيده كما مر ارا (وما بعدون من دون الله) غلب غير
العقلاء من الاصنام والوثان ونحوها على العقلاء من الملائكة والجن والمسبح تسبيحا
على انها جميعا مشتركة فى كونها غير صالحة لكونها آلهة أولان من يعبدون لا يعقل أكثر
من يعبدون يعقل منها فغلبت اعتبارا بكثره من يعبدها وقال مجاهد وابن جرير المراد
الملائكة والانس والجن والمسبح وعز بر دليل خطابه وجوابهم فجا بعد وقال الضحاك
وعكرمة والكلبي المراد الاصنام خاصة وانما وان كانت لانه مع ولا تسلم فان الله سبحانه
يجعلها يوم القيامة سامعة ناطقة وقيل عام وما يتناول العقلاء وغيرهم لانه أريد به الوصف
كانه قيل ومعبودهم (فيقول) الله تعالى اثباتا للجهة على العابدين وتقريعا بتركها
(أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والمعنى ان كان ضلالا لهم
بسببكم وبعدوتكم لهم الى عبادتكم (أهم ضلوا السبيل) أى طريق الحق بانفسهم
لعدم التفكير فيما يستدل به على الحق والتدبر فيما يوصل به الى الصواب (فالوا) أى

من قتل فى سبيل الله من مهاجر أو غير
مهاجر فانه حتى عند ربه برزق كما قال
تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى
سبيل الله أمواتا بل أحياء عند
ربه مبرزقون والاحاديث فى هذا
كثيرة كما تقدم وأما من توفى فى سبيل
الله من مهاجر أو غير مهاجر فقد
نصحت هذه الآية الكريمة مع
الاحاديث الصحيحة بأجر الرزق
عليه وعظيم احسان الله اليه
قال ابن أبي حاتم حدثنا أى حدثنا
المسيب بن واضح حدثنا ابن
المبارك عن عبد الرحمن بن شرح
عن ابن الحارث يعنى عبد الكريم
عن ابن عتبة يعنى أباعبيدة بن
عتبة قال قال شرحبيل بن السوط
طال ربنا طنا وأقامتنا على حصن
بأرض الروم فمرى سلمان يعنى
الفارسي رضى الله عنه فقال انى
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من مات من أبطأ أجرى الله
عليه من مثل ذلك الأجر وأجرى
عليه الرزق وأمر من القتلى
واقرأ وان شئت والذين هاجر واقتل
سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا البرزق
الله رزقا حسنا وان الله لهو خير
الرازقين ليدخلهم من مدخلا
يرضونه وان الله لعليم حلیم وقال
أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا زيد بن
بشر أخبرني حماد انه سمع أبا قبيل
وربيعة بن سيف الغفاري يقولان
كأبرودس ومعن فضالة ابن عبيد
الانصاري صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فربما نازلنا احداهما

قيل والاخرى متوفى فقال الناس
على القليل فقال فضالة ما لى ارى
الناس ما لوامع هذا وترى
هذا فقالوا هذا القليل فى سبيل
الله فقال والله ما بأبى من أى
حفر تيمم ما بعثت الله وكتب
الله والذين هاجر وفى سبيل الله
ثم قتلوا أو ماتوا حتى بلغ آخر الآية
وقال أيضا حدثنا أى حدثنا
عبد بن سليمان أنبأنا ابن المبارك
أنبأنا ابن لهيعة حدثنا سلامان
ابن عامر الشيباني ان عبد الرحمن
ابن جهم الخولاني حدثه أنه
حضر فضالة بن عبيد فى البحر مع
جنازتين أحدهما أصيب فبحنه
والآخر توفى فجلس فضالة بن
عبيد عند قبر المتوفى فقيل له نركت
الشهيد فلم تجلس عنده فقال
ما بأبى من أى حفر تيمم ما بعثت ان
الله يقول والذين هاجر وفى سبيل
الله ثم قتلوا أو ماتوا البرزخهم الله
رزقا حسنا الآتين فأتيت أى
العبد اذا دخلت مدخل رضاه
ورزقت رزقا حسنا والله ما بأبى
من أى حفر تيمم ما بعثت ورواه ابن
جرير عن يونس عن عبد الله
عن وهب أخبرني عبد الرحمن بن
سريح وسلامان بن عامر قال كان
فضالة برودنس أميرا على الارباع
فخرج بجنازتي رجلين أحدهما
قيل والاخر متوفى فشد كرخو
ما تقدم وقوله ذلك ومن عاقب
بجل ما عوقب به الآية كرمقاتل
ابن حيان وابن جرير انما فى
سرية من العصابة لقوا جمعاً من
المشركين فى شهر محرم فمناشدهم

المعبودون مستأنسة مجواب سؤال المقدور ومعنى (سجائك) التعجب مما قيل لهم
لكونهم ملائكة أو أنبياء معصومين أو جادات لا تعقل أى تنزهها لك (ما كان ينبغي)
وقرى ينبغي منبئاً للمعول قال ابن خلدون زعمهم سيمويه الخ لغة أى ماصح ولا استقام (لنا)
أن نتخذ من دونك أى متجاوزين مالك (من أولياء) فعبدهم فكيف ندعو عبادك
الى عبادتنا نحن مع كونهنا لا نعبد غيرك والولى يطلق على التابع كما يطلق على المتبوع هذا
معنى الآية على قراءة الجمهور نتخذ منبئاً للفاعل وقرى منبئاً للمعول والمعنى ان نتخذنا
المشركون أو أليامس دونك وقال أبو عبيدة لا تجوز هذه القراءة بـ قال أبو عمرو بن الهاء
وعيسى بن عمر لأنه سبحانه ذكر من مرتين ولو كانت صحيحة لقال ان نتخذ من دونك أولياء
أى لحذف من الثانية وقيل انما أزيدة ثم حكى عنهم سبحانه بأنهم بعد هذا الجواب ذكروا
سبب ترك المشركين للإيمان فقال (ولكن من متهمة وآياتهم حتى نسوا الذكر) وفى هذا ما يدل
على أنهم هم الذين ضلوا السبيل ولم يصلهم غيرهم والمعنى ما ضلناهم وليس لك يارب متهمة
ومتعت آياتهم بالتم ووسعت عليهم الرزق واطلت لهم العمر حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا
موعظتك والتدبر لكاتب والنظر فى عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك وجعلوا ذلك ذريعة
الى ضلالهم عكس القضية وقيل المراد بنسيان الذكر ههنا حذر ترك الشكر (وكافوا)
هؤلاء الذين أشركوا بك وعبدوا غيرك فى قضائك الأزل (قوما يورأ) أى هلكى قاله ابن
عباس مأخوذ من البوار وهو الهلاك يقال رجل بال يورقوم يورب توى فيه الواحد والجماعة
لأنه مصدر يطلق على القليل والكثير أوسع بأر وقيل البوار الفساد يقال بارت بضاعتها
فسدت وأمر بأر أى فاسدها لغة الأزد وقيل المعنى الآخريهم مأخوذ من بوار الارض
وهو تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير وقيل ان البوار الكساد ومنه بارت السلعة اذا
كسدت وهذا كله يرجع الى معنى الهلاك والفساد ثم يقال لا كفار بطريق الخطاب
عدولاً عن الغيبة (فقد كذبوكم) وفى الكلام حذف والتقدير فقال الله عند تبرى المعبودين
مخاطباً للمشركين العابدين لغبر الله فقد كذبكم المعبودون وقرى نخفنا أى كذبوكم فى
قولهم (عما تقولون) أى فى قولكم أنهم آلهة وهذه المفاجأة بالاحتجاج والالزام حسنة
رائعة وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونظيره أيا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا بين لكم على فترة من الرسل الى قوله فقد جاءكم بشريون روفول القائل
قالوا اخر اسان أفضى ما رادنا * ثم القبول فقد حدثنا خراسانا
وقال ابن زيد المعنى فقد كذبوكم أي المؤمنون هؤلاء الكفار بما جاء به محمد صلى الله عليه
وآله وسلم وعلى هذا المعنى عما تقولون عما تقولونه من الحق وقرى فقد كذبوكم كخفوا بما
يقولون بالتحية أى كذبوكم فى قولهم (فان استطعنا) أيها الكفار (سرفاً) أى دفعاً
للعذاب عنكم بوجه من الوجوه وقيل حيلة (ولا تنصرا) أى نصركم وقرى بالتحية فالمعنى
فان استطعنا آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب أو نصروكم وقيل المعنى فاني استطع
هؤلاء الكفار ما كذبهم المعبودون سرفاً لله الذى عذبهم الله به ولا تنصرا من الله
وقال أبو عبيد المعنى فاني استطعنا لكم سرفاً عن الحق الذى هذاكم الله اليه ولا تنصرا

المسلمون ثلاثا تناولهم في الشهر الحرام فإني المشركون الاقتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فبصرهم الله عليهم ان الله لعفو غفور (ذلك بان الله يوجب الليل في النهار ويوجب النهار في الليل وان الله يبعث بصير ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل وان الله هو العلي الكبير) يقول تعالى مني ما على انه الخالق المتصرف في خلقه عياشه كما قال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتزعج الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير يوجب الليل في النهار ويوجب النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ومعنى ايلاجسه اللات في النهار والنهار في الليل ادخاله من هذا في هذا ومن هذا في هذا فتارة يطول الليل ويقتصر النهار كما في الشتاء وتارة يطول النهار ويقتصر الليل كافي الصيف وقوله وان الله سميع بصير أي سميع باقوال عباده بصير بهم لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكاتهم ولما تبين انه المتصرف في الوجود الحاكم الذي لا معقب لحكمه قال ذلك بان الله هو الحق أي الاله الحق الذي لا يتبع العبادة الاله لانه ذو الساطن العظيم الذي ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء فقير اليه ذليل لديه وان ما يدعون من دونه هو الباطل أي من الاصنام والاثناد والوثان وكل ما عبد من دونه تعالى

لأنفسهم بما ينزلهم من العذاب بتكذيبهم اياكم ومن يظلم منكم بذنبا كبيرا هذا وعيد لكل ظالم ويدخل تحتهم الذين فهم الساق دخولاً وأولوا العذاب الكبير عذاب النار وفسر بالظن فيها وهو يلحق بالمشركون القاسق الاعلى قول المعتزلة والخوارج وقرئ يذقه بالتحمية وهذه الآية وأمثالها مقيدة بعدم التوبة وعن الحسن قال الظالم هو الشرك وقال ابن جرير يظلم بشرك ثم رجع سبحانه الى خطاب رسوله موضحا بطلان ما تقدم من قولهم يأكل الطعام ويشقى في الاسواق فقال (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لما يكون الطعام وعشون في الاسواق) قال الزجاج الجلاء الواقعة بعد الاصفاء وصور محذوف والمعنى ما أرسلنا قبلك أحدنا منهم الا كلين وما شئت فأت مثلهن في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك وقال القراء لا يحمل له امن الاعراب انما هي صلة ما وصور محذوف والتقدير الامن انهم كافي قوله الا وادها أي الامن يرداها به قال الكسائي وقال الزجاج هذا خطأ لان من الموصولة لا يجوز حذفها وقال ابن الاساري التقدير الا وانهم وقرئ انهم يكسر ان لوجود اللام في خبرها وهو مجمع عليه عند النحاة وقال المبرد يجوز فيه الفتح قال النحاس وأحسبه وهما وقرئ يشون مخففة ومثقالا قال قتادة يقول ان الرسل قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا بهذه المتزلة بما كانوا وعشون (رجعنا لبعضكم بعض فتنه) هذا الخطاب عام للناس وفيه تسلية صلى الله عليه وآله وسلم أيضا فإنه أشرف الاشرف وقد ابتلى بأخس الاخساء وقد جعل سبحانه بعض عباده فتنه لبعض فالتصحيح فتنة للمريض والغنى فتنة للفقير وقيل المراد البعض الاول كفار الامم والبعض الثاني الرسل ومعنى الفتنة الابتلاء والخنة والاول أوفى فان البعض من الناس معتنق ببعض مبتلى به فالريض يقول لم أجعل كالصحيح وكذا صاحب كل آفة والصحيح مبتلى بالمرض فلا يضر مرضه ولا يهتجره والغنى مبتلى بالفقير بواسييه والفقير مبتلى بالغنى بحسده ونحوه فانه لا يقول المراد بالآية انه كان اذا أراد الشرب أن يسلم ويرأى الوضع قد أسلم قبله أنف وقال لا أسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره فذلك اثنان بعضهم بعض واختار هذا القراء والزجاج ولا وجه اقتصر الآية على هذا فان هؤلاء ان كانوا سبب التزول فلا اعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقال الحسن في الآية يقول الفقير لو شاء الله لعلني غنيا مثل فلان ويقول السقيم لو شاء الله لعلني صحيحا مثل فلان ويقول الاعمي لو شاء الله لعلني بصيرا مثل فلان وعن أبي الدرداء أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للضعيف من الضعيف وويل للضعيف من الشديدين وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضهم لبعض فتنه وهو قوله تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أسندة النعالي ثم قال سبحانه بعد الاخبار يجعل البعض فتنة لبعض (أتصبرون) هذا الاستفهام للتقريع والتقدير أتصبرون على ما ترون من هذه الحالة الشديدة والابتلاء العظيم فتوجروا أم لاتصبرون فيزداد عذابكم وعليه جرى الاكثرون وقيل معنى أتصبرون اصبر وامثل قوله فهل أنتم

فهو باطل لانه لا يملك شرا ولا نفعاً
وقوله ان الله هو العلي الكبير كما
قال وهو العلي العظيم وقال وهو
الكبير المتعال فكل شيء تحت
قهره وسلطانه وعظمته لا اله الا هو
ولا رب سواه لانه العظيم الذي
لا أعظم منه العلي الذي لا أعلى منه
الكبير الذي لا أكبر منه تعالى
وقدس وتنزه عز وجل عما يقول
الظالمون المعتدون علواً كبيراً الأم
تران الله أنزل من السماء ماء فتصبح
الأرض مخضرة ان الله لطيف خبير
لعمري السموات وما في الأرض وان
الله هو الغني الجيد الأم ان الله يحضر
لكم ما في الأرض والقلوب تجري في
البحر بأمره ويسك السما أن تقع
على الأرض الا أنه ان الله بالأس
رور رحيم وهو الذي أحياناكم ثم يميتكم
ثم يحكمكم ان الانسان لَكفور
وهذا أيضاً من الدلالة على قدرته
وعظم سلطانه وان يرسل الرياح فتثير
سحاباً فيطير على الأرض الجرز التي
لانبات فيها وهي هامة تلبس سوداء
قلعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت وقوله فتصبح الأرض مخضرة
النماء ههنا لا تعقب وتعقب كل شيء
بحسبه كما قال تعالى خلقتنا نطفة
علقة خلقتنا العلقة مضغة الآية وقد
ثبت في الصحيحين أن بين كل شيئين
أربعين يوماً ومع هذا هو معقب
بالقضاء وهكذا ههنا قال فتصبح الأرض
مخضرة أي خضراء بعد يساها
وطولها وقد كرر عن بعض أرض
الحجاز أنهم أصبح عقب المطر خضراء
فأله أعلم وقوله ان الله لطيف خبير
أي عليم بما في أرجاء الأرض

منتهون أي انتهوا روى الجناري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال انظروا
إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدرا وانهمة الله
عليكم ثم وعد الله الصابرين بقوله (وكان ربك بصيراً) أي بكل من يصبر ومن لا يصبر
فجأزي كالنسيم ما يستحقه (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) هذه المقالة من جملة
شبههم التي قد حواهم في النبوة أي وقال المشركون الذين لا يبالون بلقاء الله وقيل
المعنى لا يخافون لقاء ربهم بالشروط هي لغة تهامة وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه
الرؤية فأنهم وصول إلى المرتبة والمراد به الوصول إلى جزائه ويمكن أن يراد به الرؤية على
الأول قال القراء موضع الرجاء موضع الخوف وقيل لا يبالون لقاءنا بالخبر لكنهم
بالبعث والحل على المعنى الحقيقي أولى فالمعنى لا يبالون لقاء ما وعدنا على الطاعة من
الثواب ومعالم أن من لا يرجو الثواب لا يخاف العقاب (ولولا) هلا (أنزل علينا
الملائكة) فيخبروننا أن محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادق وأهلنا رسلنا
يرسلهم الله (أو نرى ربنا) عما نأخبرنا بأن محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسول ثم أجاب الله
سبحانه عن شبهتهم هذه فقال (لقد استكبروا في أنفسهم وعصوا عما كبر) أي أنهم
الاستكبار عن الحق والعناد في قلوبهم كما في قوله تعالى ان في صدورهم الاكبر ما هم به الغي
والعتو مجاوزة الحد في الطغيان والباوغ إلى اقصى غاياته قال ابن عباس عصوا أي شدة
الكفر ووصفه بالكبر لكون التكلم بمعاتبكم وابهن هذه المقالة التنيعة في غاية الكبر
والعظم فانهم لم يكتفوا بإرسال البشر حتى طلبوا ارسال الملائكة اليهم بل جاوزوا ذلك إلى
التخيير بينه وبين مخاطبة الله سبحانه ورؤيته في الدين من دون ان يكون بينهم وبينه ترجمان
ولقد بلغ هولاء الذلة بأنفسهم مبلغاً غاي أحقر وأقل وأذل من أن تكون من أهله
أو تعد من المستعدين له وهكذا من جعل قدر نفسه ولم ينف عنه مدحه ومن جعلت
نفسه قدره رأى غيره منه مالا يرى (يوم) أي اذ كروم (يرون الملائكة) أي ملائكة
العذاب رؤيتهم ليست على الوجه الذي طلبوه والصورة التي اقترحوها بل على وجه آخر
وهو يوم طهرهم لهم عند الموت أو عند الحشر قال مجاهد يوم القيامة وعن عطية العوفي
نحوه (لا يشرى يومئذ للعجمين) أي ينعون البشرى يوم يرون اولادهم جدهم بشرى
فيه فأعلم سبحانه بان الوقت الذي يرون فيه الملائكة وهو وقت الموت او يوم القيامة قد
حرمهم الله البشرى بخلاف المؤمنين فلم يشرى بالبشرى بالخسنة قال الزجاج الجرمون في هذا
الموضع الذين اجتمعوا الكفرة بالله وهو ظاهر في موضع مضمرة أعوام يتناولهم بعمومهم وهم
الذين احترموا الذنوب والمراد الكفار لان مطلق الاسماء يتناول اكل السمات
(ويقولون) عند مشاهدتهم للملائكة (حجراً) حراماً (محجوراً) هذه كلمة كانوا
يتكلمون بها عند لقاء عدو وهجوم نازلة هائلة يصعوب موضع الاستعاذة يقال للرجل
أن تفعل كذا فيقول حجراً محجوراً أي حراماً عليك التعرض لي والمعنى يطلبون من الله أن
يمنع المكره فلا يلحقهم أي نأله أن يمنع ذلك منعاً ويجبره حجراً وقيل ان هذا من قول
الملائكة أي يقولون الكفار حراماً محجوراً ما يدخل أحد منكم الجنة وأن تكون

صنعت لا يخفى عليه خافية فهو يصل إلى كل منه قطرة من الماء فينبته به كما قال لقمان يا بني إن من تلك منقال حبة من خردل فتكفي في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير وقال الأبيجد والله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض وقال تعالى وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وقال ويعزب عن ربك من مقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ولهذا قال أمية بن أبي الصلت أوزيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته وقولاه من بنبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل ثم تزييا ويخرج منه حبة في رؤسه

ففي ذلك آيات لمن كان واعيا وقوله ما في السموات وما في الأرض أي ملكه جميع الأشياء وهو غني عما سواه وكل شيء فقير إليه عبد لديه وقوله ألم تر أن الله يفتكركم في صدوركم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه أي من اجسادهم وفضلهم وامتنانهم والفلأ تبحري في البحر بأمره أي بتسخيره وتسييره أي في البحر العجاج وتلاطم الأمواج تجرى الفلك بأجلها برح طيبة ورفق وتؤدة فيصمبون فيها ما شاؤوا من تجائر وبضائع ومنافع من بلد إلى بلد وقطر إلى قطر ويأتون بها عتداً ولؤلؤاً

البشري في اليوم الالأمؤمنين وقال أنوسعيد النلدري خراما حرم ما أن نبشركم بما نبشره المتقين وعن الحسن وقتادة قال لا هي ككة كانت العرب يقولون اغند الشدايد وقال مجاهد أي عودا معاذ الملائكة تقولوه والجر صدمعني الاستعاذة والكسر والفتح لغتان وقرئ جـه وقرئ الضم وهو لغة قبيصة وهو من حجره إذا منعته وقد ذكر سيبويه في باب المصادر المنصوبة بآفة ال متروكة أظهرها هذه الكاء وقصره لها من جملتها وبه قال السمين والبيضاوي والجر العقل لأنه يمنع صاحبه ومحجورا صفة مؤكدة للمعنى كقولهم ذبل ذائل وموت ماتت (وقد ما إلى ما عاوا من عمل) هذا وعيدا آخر وذلك أنهم كانوا يعملون أعمالا لها صور النحر من صله الرحم وأغاثه الملهوف واطعام الطعام وامثالها ولم يمنع من الإثابة عليهم إلا الكفر الذي هم عليه فخلت حالهم وأعمالهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستصوا عليه فقدم إلى ما معهم من المتاع فأفسده ولم يترك منه شيئا والأفلا قدومهم هنا أو هو من الصفات كالجني والنزول فيجب الإيمان به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تنسيه ولا تمثيل كما هو مذهب السلف الصالحاء وهو الحق قال الواحدى معنى قدما عدا نواقصه ذبا يقال قدم فلان إلى أمر كذا إذا قصده أو عده وقيل هو قدوم الملائكة أخبر به عن نفسه تعالى والقصد في حق الله يرجع لمعنى الإرادة (جعلناه حبا منثورا) أي باطلا لأتوابه لأنهم لم يعملوا لله عز وجل ومنه الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه أمر نافع أو ربه واليهامته واحدة هيئة والجمع أهواء قال المنصور بن شهاب الهباء التراب الذي يطير في الريح كانه دخان وقال الزجاج هو ما يدخل من الكوة مع ضوء الشمس شبه الغبار وكذا قال الخليل والأزهري وقال ابن عرفة الهباء والهوية التراب الدقيق وقيل هو ما يسقط من حوافر الدواب عند السير من الغبار وعن علي قال الهباء شعاع الشمس الذي يخرج من الكوة وعنه الهباء وهو الغبار يسقط ثم يذهب فلا يبقى منه شيء وعن ابن عباس قال الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت بطير منها الشمر مرة إذا وقع لم يكن شيئا وعنه قال هو ما تنسفي الريح وتبسه من التراب وسطام الشجر وعنه هو الهباء المهرق والمعنى الأول هو الذي تنسفي لغة العرب ونقله العارنون بها والمنصور بالمفرق والمعنى إن الله سبحانه أحبط أعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور لم يكنف سبحانه بتشبيه علمهم بالهباء حتى وصفه بأنه متفرق متبدد وبالجمله هو استعارة عن جهله بحيث لا يقبل الاجتماع ولا يقع به الانتفاع إذا تواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه في الدنيا ثم يزججه حال الأبرار من حال الفجار فقال (أحباب الجنة يومئذ) أي يوم القيامة (خير من تقرا) أي أفضل منزلا في الجنة من الكافرين في الدنيا (وأحسن مقيلا) أي موضع قائله فيها أو هم خير منهم في الآخرة لو فرض أن يكون لهم ذلك أو أفعلى لجرد الوصف من غير مفاضلة عن ابن عباس قال في الغرف من الجنة قال الحسن والكوفيون يحجزون العسل أحلى من الخيل قال ابن مسعود لا ينتصف التمر من يوم القيامة حتى يقبل أحلى الجنة في الجنة وأهل النار النار وقال الأزهري القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وإن لم يكن مع ذلك يوم لأن الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة

الى هؤلاء كما ذهبوا عما ساء من دهر ولا

الى أولئك مما يحتجون اليه
و يطلبونه ويريدونه ويسكن السماء
أن تقع على الأرض الا باذنه أى لو شاء
لاذن السماء فسقطت على الأرض
فهلاك من فيها ولكن من اظفنه
ورحمته وقدرته يسكن السماء أن
تقع على الأرض الا باذنه ولهذا قال
ان الله بالناس لرؤوف رحيم أى مع
ظلمهم كما قال فى الآية الأخرى
وان ربك لذو مغفرة للناس على
ظلمهم وان ربك لشديد العقاب
وقوله وهو الذى أحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم ان الانسان لكتنور كقوله
كف تكفرون بالله وكنتم أمواتا
فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم
الم ترجعون وقوله قل الله يحييكم
ثم يميتكم ثم يحييكم الى يوم القيامة لا
ريب فيه وقوله فالوارثنا أمنا الاثنين
وأحييتنا الاثنين ومعنى الكلام كيف
تجعلون لله أندادا وتعبدون معه
غيره وهو المستقل بالخلق والرزق
والتصرف وهو الذى أحياكم كأمى
خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا يذكر
فأوجدكم ثم يميتكم ثم يحييكم أى
يوم القيامة ان الانسان لكفور
أى بخود (لكل أمة جعلنا منسكا
هم ناسكوه فلا ينزاعنك فى الامر
وادع الى ربك انك لعلى هدى
مستقيم وان جادلوك فقل الله أعلم
بما تعملون الله يحكم بينكم يوم
القيامة فيما كنتم فيه تختلفون)
يخبر تعالى أنه جعل لكل قوم منسكا
قال ابن جرير يعنى لكل أمة نبي
منسكا قال وأصل المنسك فى كلام
العرب هو الموضع الذى يعتمده

لا يؤم فيها وقال ابن عباس الحساب فى ذلك اليوم فى أول وزى ان يوم القيامة يقصر على
المؤمنين حتى يكون كايام العصر الى الغروب والاية أشارت الى أن كل امة من أهل الجنة
واهل النار قد قالوا أى استقر واني وقت القيامة وان كل امة استقر المؤمنين فى راحة
واستقرار الكافرين فى عذاب فيكون الحساب لجميع الخلق قد انقضى فى هذا الوقت
(و يوم تشقق السماء بالغمام) وصف سبحانه ههنا بعض حوادث يوم القيامة وتشقق
التفخ قرئ بتخفيف الشين وأصله تشقق وقرئ شدد على الادغام والمعنى انها تشقق
عن الغمام لان السماء وعن تتعاقبان كما تقول رمية بالقوس وعن القوس قال أبو علي
الفارسي تشقق السماء وعليها غمام كما تقول ركب الامير بسلاحه أى وعليه سلاحه وخرج
بشابه أى وعليه شيا به روى أن السماء تشقق عن سحب رقيق أبيض مثل الضباب
ولم يكن الا لبي اسرائيل في تهيمه وقل ان السماء تشقق بالغمام الذى ينها وبين الناس
والمعنى انه يشقق السحاب بتشقق السماء وقيل انها تشقق لتزول الملائكة كما قال
سبحانه (ونزل الملائكة تنزيلا) وقيل الباء للسببية يعنى بسبب طلوع الغمام منها
كأنه الذى يشقق به السماء وقيل أى متلبسة بالغمام وقرئ تنزل مخففة من الانزال
مضارع أنزل وقرئ نزل مشددا مضاعفيا للمفعول وقرئ مبني للفاعل وقاعله الله سبحانه
والملائكة منصوبة على المفعولية وقرئ أنزل وقرئ تنزلت الملائكة وتنا كده هذا
الفعل به قوله تنزل باليد على أن هذا التنزيل على نوع غريب ومغيب قال أهل العلم
هذه التنزيل رضا ورجة لا تنزل بسخط وعذاب وعن ابن عباس قال فى الآية يجمع الله
الخلق يوم القيامة فى صعيد واحد الجن والانسان والبهائم والسباع والطيور جميع انطلق
فتشقق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم كثر من فى الأرض من الجن والانسان وجميع
الخلق فيحيطون بالانسان والجن وجميع الخلق فيقول أهل الأرض أفيكم ربنا فيقولون
لا ثم تفتح السماء الثانية وذكر مثل ذلك ثم كذلك فى كل سما الى السماء
السابعة وفى كل سما أكثر من السماء التى قبلها ثم ينزل ربنا فى ظلل من الغمام وحوله
الكبر ويؤمنون وهم أكثر من أهل السموات السبع والانسان والجن وجميع الخلق لهم قرون
ككعبون القنار وهم تحت العرش لهم زجل بالنديج والتحليل والتقدير لله تعالى ما بين
انخص قدم أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن ركبته الى خذله مسيرة خمسمائة
عام ومن خذله الى تزوته مسيرة خمسمائة عام ومافوق ذلك مسيرة خمسمائة عام أخرجه
الحاكم وابن أبي الدنيا وابن جرير وغيرهم (الملك يومئذ الحق للرجن) أى الملك الثابت
الذى لا يزول ولا يشرك فيه أحد للرجن يومئذ لان الملك الذى يزول وينقطع ليس بملك
فى الحقيقة ولان السلطان الظاهر والاستيلاء الكلى العام الثابت صورة ومعنى ظاهرا
باطنا بحيث لا زوال له أصلا لا يكون الا لله تعالى فالملك متدا والحق صفته والرجن خبره
ويومئذ يتعلق بالملك وفائدة التقييد بالظرف ان ثبوت الملك المذكور له سبحانه خاصة فى
هذا اليوم وأما فيما ساء من أيام الدنيا فغيره أيضا ملك فى الصورة وان لم يكن حقيقيا
وقيل ان خبر المبتدأ هو الظرف والحق نعت للملك والمعنى الملك الثابت للرجن خاصة فى

الانسان ويردد اليه اسلحه

نتر قال ولي هذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس اليها وكوفهم عليها فان كان كما قال من أباد المراد لكل أمة نبي جعلنا منسكا فيكون المراد بقوله فلا ينازعك في الامر أي هؤلاء المشركون وان كان المراد لكل أمة جعلنا منسكا جعلنا قدرها كما قال ولكل وجهة هو موليها ولهذا قال ههنا هم ناسكوه أي فاعلموه فالضمة يههنا عائد على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرا أي هؤلاء انما يفعلون هذا عن قدر الله وارادته فلا تنازع بنازعهم لك ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق ولهذا قال وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم أي طريق واضح مستقيم موصل الى المقصود وهذه كقوله ولا يصدك عن آيات الله بعد اذ أنزلت اليك وادع الى ربك وقوله وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون كقوله وان كذبوك فقل لي حجلي ولستم بحكمكم أنتم برون مما أعلم وأنا باري مما تعملون وقوله الله أعلم بما تعملون تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله هو أعلم بما تقرضون فيه كني به شهيد ابني وينكم ولهذا قال الله يحكم بينكم يوم القيامة فما كنتم فيه تختلفون وهذه كتوبة نعالى فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقال أمنت عما أنزل الله من كتاب الآية (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير) يخبر تعالى عن كمال

هذا اليوم وقبل الملك مبتدأ والحق خبره والرجن متعلق بالحق (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أي وكان هذا اليوم مع كون الملك فيه الله وحده شديدا على الكفار لمصابون به فيه وينالهم من العقاب بعد تحقيق الحساب وأما على المؤمنين فهو يسير غير عسير لما ينالهم فيه من الكرامة والبشرى العظيمة وجاء في الحديث انه يوم القيامة على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا (و) اذكر (يوم بعض الظلم على يديه) الظاهر ان العوض هنا حقيقة ولا مانع من ذلك ولا موجب لتأويله قال عطائيا كل الظالم يديه حتى يأكل من رقيقه ثم يأتى كاهما وهكذا كاهما انتبت بداهة كاهما تحسرا على ما فعل ذكرنا الخازن وقيل هو كناية عن الغيظ والحسرة والاولى أولى والمراد بالظالم كل ظالم يرد ذلك المكان وينزل ذلك المنزل ولا نافية ورودا لا بتعدي سبب خاص فالاعتبار بعدم اللفظ لا بخصوص السبب وعن ابن عباس قال في الآية هو أبي بن خلف وعنه بن أبي معيط وهذا الظليم لان في جهنم (يقوليا) قوم (اليتى اتخذت مع الرسول سبيلا) أي طريقا وهو طريق الحق ومشيت فيه حتى أخلص من هذه الامور المضلة والمراد اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به يعنى ليتى اتبعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم واتخذت في الدنيا معه طريقا الى الهداية (يا ويلى) وقرئ يا ولى بالياء الصريحة وقرئ باللام لا وزكها أحسن (اليتى لم اتخذ فلانا خليلا) دعا على نفسه بالويل والشور على مخاللة الكافر الذى أضله في الدنيا وفلان كناية عن الاعلام قال النيسابورى زعم بعض أئمة اللغة انه لم يثبت استعمال فلان في الفصحى الاحكامية لا يقال جاني فلان ولكن يقال قال زيد جاني فلان لانه اسم اللفظ الذى هو علم الاسم وكذلك في كلام الله وقيل فلان كناية عن علم كور من يعقل وفلان عن علم انانهم وهو منصرف وقيل كناية عن نكرته من يعقل من الذكور وفلان عن يعقل من الاناث وأما الفلان والفلانة بالالف واللام فكناية عن غير العقلاء وفل يتخصص بالذات الا في ضرورة الشعر وليس فل مر جاني فلان خلافا للقرآن زعم أبو حيان ان ابن عصفور وابن مالك وهما في جعل فلان كناية عن يعقل وفي لاه وجهان أحدهما انه واو والثاني انه ايا هو حكم الآية عام في كل خليتين ومحتاجين اجتمع على ههنا الله عز وجل وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل أخرجه أبو داود والترمذي وله ما عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتصاحب المؤمنا ولا تأكل طعامك الا تاتي وروى الشيخان عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال مثل المجلس الصالح وجلس السوء كخامل المسك ونافع الكبر كخامل المسك اما ان يحذيك واما ان يتباع منسه واما ان يتجده من يحاط به ونافع الكبر اما يحرق شيابك واما ان يتجده منسه ريحا خبيثة (انقد) أي والله لقد (أضاني) هذا الذى اتخذته خليلا لتميل لفتنه المذكور وتوضح لنعلة وتصديره باللام القسمية للبالغة في بيان خطئه واظهار ندمه وخسرتة (عن الذكر) أي الترتان وكاب الله أؤذ كرهه والموعظة أو كلمة الشهادة أو مجموع ذلك

عليه مخلقه وأنه يحيط بمافي السموات
ومافي الارض فلا يعزب عنه مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء ولا
أصغر من ذلك ولا أكبر وأنه تعالى
علم الكائنات كلها قبل وجودها
وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ
كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله
ابن عمر وقال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله قد مرقداير
الخلايق قبل خلق السموات
والارض بخمسين ألف سنة وكان
عرشه على الماء وفي السنين من
حديث جماعة من الصحابة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال أول
ما خلق الله القلم قال له اكتب
قال وما أكتب قال اكتب ما هو
كائن فخرى القلم بما هو كائن الى يوم
القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثني ابن
لهيعة حدثني عطاء بن دينار حدثني
سعيد بن جبير قال قال ابن عباس
خلق الله اللوح المحفوظ كبرية مائة
عام وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق
وهو على العرش تبارك وتعالى
اكتب فقال القلم وما أكتب قال
علي في خلقي الى يوم تقوم الساعة
فخرى القلم بما هو كائن في علم الله الى
يوم القيامة فذلك قوله للنبي صلى
الله عليه وسلم ألم تعلم أن الله يعلم مافي
السماء والارض وهذا من تمام علمه
تعالى انه علم الاشياء قبل كونها
وقدرها وكتبها أيضا فالعباد عاملون
قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه
الذي يقولونه فيعلم قبل الخلق ان هذا
يطمع باختياره وهذا يعصى باختياره
وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شيء

(بعد اذ جاني) وعكنت منه وقد رتب عليه بأن ردني عن الايمان به (وكان الشيطان
للانسان خذولا) بأن تركه وبشرا منه عند البلاء والخذل ترك الاغانة ومنه خذلان
ابليس للمشركين حيث يوالفه ثم يتركهم عند استغاثتهم به وهذه الجملة مقررة لمضمون
ما قبلها ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى أو من تمام كلام النظام وأنه سمي خلقه شيطانا
بعد ان جعله مضلا أو أراد بالباطل طان ابليس لكونه الذي جعله على مخاللة المضلين (وقال
الرسول) أي يقول في يوم القيامة بنا وشكايته لله عما صنع قومه وهو حكاية لقوله صلى
الله عليه وآله وسلم في الدنيا (يا رب انقضي اتخذوا هذا القرآن) الذي جئت به اليهم
وأمرني قيا بالاغواء واستثنى به (مفسورا) أي تركوا ما يؤمنوا به ولا قابوه بوجه من الوجوه
أول يعملوا به وقيل من هجر اذ هذى والمعنى انهم اتخذوه هجرا وهذا بنا وقيل المعنى
مهجورا فيه وهجرهم فيه قولهم انه هجر وشعر وأساطير الاولين (وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من الجرمين) هذا سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ان الله جعل
لكل نبي من الانبياء الداعين الى الله عدوا يعاديهم من مجرى قومه فلا تجزع يا محمد فان هذا
دأب الانبياء قبلنا وأصبر كما صبروا قال ابن عباس في الآية كان عدو النبي صلى الله عليه
وآله وسلم أبوجهل وعدوه موسى فارون وكان فارون ابن عم موسى (وكفى ربك) الباء
زائدة (ههنا) أي مدى عبادته الى مصالح الدين والدنيا (ونصرا) ينصرهم على الاعداء (وقال
الذين كفر والولانزل عليه القرآن جملة واحدة) ههنا من جملة اقتراساتهم وتعتاتهم
أي ههنا أنزل الله عليه الكتاب دفعة واحدة غير منجم كما أنزل التوراة على موسى والإنجيل
على عيسى والزيور على داود عليهم السلام واختلف في قائل هذه المقالة فقيل كفار
قر يش وقيل اليهود قالوا ههنا لا فتنا بالقرآن جملة واحدة وهذا زعم باطل ودعوى داحضة
فان هذه الكتب نزلت مفروقة كما نزل القرآن ولكنهم معاندون أو جاهلون لا يدرون
بكيفية نزول كتب الله سبحانه على أنبيائه واعتراض منهم لا طائل تحته لان الامجاز
لا يختلف بنزوله جملة أو مفترقا مع أن استمرارية فوائده منها أن نزوله بحسب الوقائع يوجب
مزيد بصيرة وغوص على المعنى ولانه اذا نزل منجما وهو يتحدى بكل فحج فيعجزون عن
معارضته زاد ذلك في قوة قلبه ومنها انقسام القرآن الى الحالية الى الدلالات اللفظية فانه
يعين على البلاغة ثم ردا لله سبحانه عليهم فقال (كذلك) اشارة الى ما يفهم من كلامهم أي
مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قد حوافيه واقترحو اخلافه نزله (انثبت بالقوى) أي
بهذا التنزيل على هذه الصفة (فوائد) فان انزاله مفترقا مجتمعا على حسب الحوادث أقرب
الى حفظ له وفهمه لمعانيه وذلك من أعظم أساليب التثبيت وقرأ النبي بالحقبة أي
الله سبحانه وقيل قوله كذلك هي من تمام كلام المشركين والمعنى كذلك أي كالتوراة
والإنجيل والزيور فيوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ بقوله لنثبت به فؤادك على معنى أنزلناه
عليك متفرقا لهذا الغرض قال ابن التباري وهذا أجود وأحسن قال التماس وكان
ذلك أي انزال القرآن منجما من اعلام النبوة لانهم لا يسألونه عن شيء إلا جيبوا عنه

علما وهو سهل علمه يسر له به ولو هذا
 قال تعالى ان ذلك في كتاب ان ذلك
 على الله يسير (ويعبدون من دون
 الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم
 به علم وما للظالمين من نصير واذ اتلى
 عليهم اياتنا بينات تعرف في وجوه
 الذين كفروا والمنكر يكادون
 بسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا
 قل انا نبشكم بشر من ذلك المآل
 وعد عدا الله الذين كفروا وبأس
 المصير) يقول تعالى مخبرا عن
 المشركين فيما جهلوا وكفروا
 وعبدوا من دون الله مالم ينزل به
 سلطانا يعني محجوبين عن ايات الله
 ومن يدع مع الله الها آخر لا يرهان
 له به فاتحاه سبحانه عنده انه لا يفلح
 الكافرون ولهذا قال ههنا مالم
 ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم أي
 ولا علم لهم فيما اختلقوه واتفقوه
 وانما هو أمر تلقوه عن اياتهم
 واسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله
 مما سألهم الشيطان وزينه
 لهم ولهذا نوه عدهم تعالى بقوله
 وما للظالمين من نصير أي من ناصر
 ينصرهم من الله فيما يحيل بهم من
 العذاب والنكال ثم قال واذ اتلى
 عليهم اياتنا بينات أي واذ اذكرت
 لهم ايات القرآن والنجيب والدلائل
 الواضحات على توحيد الله وأنه
 لا اله الا هو وان ربه الكرام حق
 وصديق يكادون بسطون بالذين
 يتلون عليهم اياتنا أي يكادون
 يسادرون الذين يحتاجون عليهم
 بالدلائل الصالحة من القرآن
 وبسطون اليهم أيديهم وألسنتهم
 بالنسبة وقل أي يا محمد لهؤلاء انا نبشكم

وهذا لا يكون الا من نبى فكان ذلك تنبيها للقوادد وأقندتهم قال ابن عباس اي لنشد به
 قواددك وزبط على قلبك والمعنى أنزلناه فقرأت عليه وتحفظه فان الكتب المتقدمة تنزلت
 على أنبياء يكفون ويقرؤون وأنزل القرآن على نبي أي لا يكتب ولا يقرأ ولا من القرآن
 الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب سؤال عن أمور تحدث في الاوقات المختلفة فقرأناه
 ليكون أدعى (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيسر على العالم به (ورتلناه وترتيلنا)
 بدعيا لا يقادر قدره ومعنى الترتيل أن تكون آية بعد آية قاله النخعي والحسن وقادة وقيل
 ان المعنى شناه تبيينا وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال ابن عباس رسلنا ترسبيل يقول
 شيأ بعد شيأ وقال مجاهد به في امر بهض قال ابن الاعرابي ما أعلم الترتيل الا التحقيق
 والتبيين وقيل قرأناه عليك بلدان جبريل شيأ بعد شيأ في عشر من أو ثلاث وعشرين سنة
 على تودد وقيل لتيسر فهمه وحفظه ثم ذكر سبحانه انهم محجوبون في كل أو ان مدفوع
 قولهم بكل وجه وعلى كل حالة فقال (ولا ياتونك) أي لا ياتونك يا محمد المشركون (بمثل)
 من أمثالهم التي من جملتها اقتراحتهم المعتصية بإبطال أمرك (الآية تنالك) في مقابلة
 مثالبهم (بالحق) أي بالحجوب الحق الثابت الذي يبطل ما جاؤوا به من النبل ويدفعه
 فلم يرد بالنبل خنا السؤال والاقتراح والحق جوابه الذي يقطع ذريعته ويبطل شبهته
 ويحسم مادته والاستثناء مفرغ من أهم الاحوال والجلية في محل الحال أي لا ياتونك بمثل
 في حال من الاحوال الا في حال اياتنا إليك ذلك (وأحسن تفسيراً) أي حجتناك باحسن
 تفسير بياننا وتفصيلنا وما أحسن معنى ومورد من مثالبهم أي من سؤالهم وانما حذف
 من مثالبهم لأن في الكلام دليلا عليه ثم أودع هؤلاء الجلهة وذمهم فقال (الذين يحشرون)
 كائنين (على وجوههم) ومعنى الحشرون على الوجود انهم يحشرون على أوطون الارض
 على رؤسهم مع ارتفاع اقدامهم بقدر الله ويساقون ويجرون عليها (الى جهنم أولئك
 شر مكانا) أي منزلا ومصبرا ومسكوا وجوههم (وأضل سبيلا) واخطأ طريقا من
 غيرهم وهو كفروهم وذلك لانهم قد صاروا في النار وهو من الاسناد البخاري وقد تقدم
 تفسير مثل هذه الآية في سورة بجنان وقد قيل ان هذا متصل بقوله أصحاب الجنة يومئذ
 خير مما تتقروا أحسن مقبلا (ولقد) أي والله لقد (آتيناهم موسى الكتاب) أي التوراة كما
 آتيناك القرآن ذكر سبحانه طرفا من قصص الاولين فليح له صلى الله عليه وآله وسلم بان
 تكذيب قوم أنبياء الله لهم عادة للمشركين بالله وأيس ذلك بخاص جمعة مذل الله عليه
 وآله وسلم (وجعلنا معه أخاه هرون وزيرا) أي تنوا وعرضنا في الدعوة واعلاء الكرامة
 قاله قتادة وقال الزجاج الوزير في اللغة الذي يرجع اليه ويعمل برأيه والوزير ما يعصم به
 ومنه كلالا وز وقد تقدم تفسير الوزير في طه والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يعث في
 الرمز الواحد أنبياء يؤمرون بان يوازي بعضهم بعضا وقد كان هرون في أول الامر وزيرا
 لموسى عليه ما السلام أولا شرا كهما في النبوة لان المتشركين في الامر متوازيان عليه
 (فقلنا اذهب الى القوم الذين كذبوا) وهم فرعون وقومه يعني القبط (بآياتنا) هي التسع

المذكورة التي تقدم ذكرها وان لم يكنوا قد كذبوا بها عند أمر الله لموسى وهرون بالذهاب
 فيحمل الماضي على معنى الاستقبال أى سيكذبونها وقيل انما وصفوا بالكذب عند
 الحكيم بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا نباله استحقاقهم للعذاب وقيل يجوز ان
 يراد بالقوم الذين آل حالهم الى ان كذبوا وقيل ان المراد بوضعهم بالكذب عند
 الارسل انهم كانوا مكذبين للآيات الالهية وليس المراد آيات الرسالة قال القشيري وقوله
 تعالى في موضع آخر اذهب الى فرعون انه طغي لا ينافي هذا لانهم اذا كانوا مومنين فكل
 واحد مأمور وعين ان يقال ان تخصص موسى بالخطاب في بعض المواطن لكونه الاصل
 في الرسالة والجمع بينهم ما في الخطاب لكونهم مأمورين جميعا (فدعهم انهم تدميرا) في الكلام
 حذف أى فذهب اليهم فكذبوهم فاعلمناهم ان ذلك التكذيب اهل كاعظمها فاقصر
 على حاشيتي القصص اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الخلة ببعثة الرسل واستحقاق
 التدمير بتكذيبهم وقيل ان المراد بالتدمير هنا الحكيم به لانه لم يحصل عقاب بعث موسى
 وهرون اليهم بل بعده عدة (و) اذكر (قوم نوح لما كذبوا الرسل) أى كذبوا نوحا وانما جع
 لظول لبسه فيهم فكأنه رسل في المعنى أو كذبوه وكذبوا من قبله من رسل الله لاشتراكهم
 في الحى بالتوحيد وقال الزجاج من كذب نبياً فقد كذب جميع الانبياء (أغرقتهم)
 بالطوفان كما تقدم في هود (وجعلناهم) أى جعلنا اغرقهم (أوقصمهم) الناس كلهم بعدهم
 (آية) أى عبرة تعظ بها كل مشاهد لها وسامع خبرها (واعثنا) في الآخرة (لظالمين)
 الكافرين أى قوم نوح خاصة فيكون وضعه للظاهر موضع الضمير تسمية لعلهم يوصف
 الظلم ويجوز ان يكون المراد كل من سلك مسلكهم في التكذيب (عذابا أليما) هو عذاب
 الآخرة سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (و) اذكر (عادا) قوم هود (وعدود)
 قوم صالح وقصم ما قد ذكر في سابق وعود بالصراف على معنى الحى وتركه على تأويله
 بالقبيلة قراءتان سبعيتان (وأحباب الرس) هو في كلام العرب البئر التي تكون غير
 مطوية أى لم تبني بالحجارة والجمع رسام كذا قال أبو عبيدة وقيد هاهنا هل اللغة كصاحب
 القاموس بانها التي طويت أى بنيت بالحجارة فيؤخذ من مجموع الثقلين ان الرس يطلق
 على البئر مطلقا أى سواء طويت أم لا وفي القاموس الرس ابتداء الشيء ومنه رس الحى
 ورسيها والبئر المطوية بالحجارة انتهت قال السدي هى بئر بانطا كمنعوا فيها حبيب
 التجار فنسبوا اليها وهو صاحب يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين وكذا قال مقاتل
 وعكرمة وغيرهما وقيل هم قوم باذر يمان قتلوا انبياءهم فحقت أشجارهم وزرعهم فأنوا
 جوعا وعطشا وقيل كانوا يعبدون النجير وقيل كانوا يعبدون الاصنام فارسل الله اليهم
 شعيبا عليه السلام فكذبوه وأذوه وقيل بئر بئج اليمامة قرية عظيمة بناحية اليمن
 وموضع البئج من مساكن عاد وهم قوم أرسل الله اليهم نبياً فأكفروا وقيل هم أحباب
 الأخدود وقيل ان الرس هى البئر المعطلة التي تقدم ذكرها وأحبابها أهلها وقال
 في الصحاح الرس اسم بئر كانت ببيعة عود وقيل الرس من ماء وضل لبنى أسد وقيل هو النبل

بشرعن ذلكم النار وعدها الله
 الذين كفروا أى النار وعدها
 ونكالها أشد وأشق وأطعم وأعظم
 مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين
 في الدنيا عذاب الآخرة على
 صنيعكم هذا أعظم مما تأنون منهم
 ان تلتمز بزعيمكم وأرادتكم وقوله
 وبئس المصير أى وبئس النار قبلا
 ومنزلنا وجرعنا وموتلا ومقاما
 انهم سمعوا مستقرا ومقاما (يا أيها
 الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان

الذين تدعون من دون الله لن
 يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسألهم
 الذباب شألا لستنقدوه ومنه ضعف

الطالب والمطلوب ما قدره الله

حق قدره ان الله لقوى عزيز) يقول
 تعالى منها على حقارة الاصنام
 وخفافة قول عابدينها أيها الناس
 ضرب مثل أى لما يعبدوا الخاطلون
 بالله للمشركون به فاستمعوا له أى

المتركم في الجبال أو الراس اسم واد قريب من البصرة قاله ابن كثير والرأس أيضا
 الاصلاح بين الناس والافاديين منهم فهو من الاضداد وقيل الراس نهر بالشرق وقيل
 هم قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي ذسوه في بئر فيضياهم حول الراس وهي البئر الغدير المطوية
 فانهارت فذهب بهم وبمنازلهم وديارهم وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان وهم
 الذين ابتلاهم الله بالطائر المعروف بالعنقاء قال ابن عباس الراس قرية من قوم ودعته
 بئر ياذر بجان وعنه انه سأل كعب بن الأشجع أصحاب الراس قال صاحب يس وورد عن محمد بن
 كعب القرظي في صاحب الراس خبر طويل مرفوع فيه فكاكة وغرابه ولعل فيه
 ادراجا كما قال ابن كثير في تفسيره والحديث أيضا مرسل (وقروا بين ذلك كثيرا)
 القرون جمع قرن أي أهل قرون بمعنى واذا ذكر أقواما والقرن مائة سنة قاله قتادة
 وقيل مائة وعشرون سنة قاله زرار بن أوفى وقيل أربعون سنة وقيل سبعون سنة
 قاله قتادة أيضا وقد روي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال القرن مائة سنة
 وقال القرن خمسون سنة وقال القرن أربعون سنة وما أظنه يصح شي من ذلك وقد سمي
 بالجماعة من الناس قرنا كما في الحديث الصحيح خبر القرون قرني وأخرج الحاكم في المستدرك
 ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا انتهى إلى مدعين عدنان أمسك
 ثم يقول كذب التساوي قال الله وقرنا بين ذلك كثيرا والاشارة بقوله بين ذلك إلى ما تقدم
 ذكره من الامم أي بين عاد وأصحاب الراس وهم جماعات فلذلك حسن دخول بين عليه وقد
 يذكر الزاكر أشياء مختلفة ثم يثير اليها بذلك ويحسب الحاسب أعدادا متكاثرة ثم يقول
 فذلك كيت وكيت أي ذلك المحسوب أو المعدود (وكلا) أي كل الامم (ضربناه الامثال)
 أي القصص الجسيمة من قصص الاولين التي تشبه الامثال في الغرابة وتبيننا لهم الحجة فلم
 ينلحهم الا بعد الانذار ولم تضرب لهم الامثال الباطنة كما يفعل هؤلاء الكفرة (وكلا تريا
 تقيرا) التبرير الاهلاك بالعذاب قال الزجاج كل شيء كسره وقتته فقد تيرته ومنه التبر
 لغفات الذهب والنضة وقال المؤرج والاحفش معناه دمر نادمرا أبدلت التاءو الباء من
 الدال والميم (ولقد أوألى القرية) مستأنفة مسنة مشاهدتهم لا تارها لك بعض الامم
 وضمن أتي معنى مر لأنه يستعمل متعديا بنفسه أو بالي والمعنى ولقد أتي مشرككم في
 أسفارهم إلى الشام على قرية قوم لوط وهي مذموم وهي أعظم قرى قومه وكانت خسا
 أهلك الله أربعامع أهلها وبقيت واحدة وهي أصغرهما وكان أهلها لا يعمل الخبائث
 (التي أمطرت مطرا سوء) وهو الحجارة قاله ابن عباس والامطار معناه الرمي أي هلك
 بالحجارة التي أمطروا بها ورميت رمي الحجارة والمعنى أعطيتا وأوليتها مطر سوء أي
 امطار امثل مطر سوء وقد تقدم تفسير سوء في براءة (أظلم يكونوا يومئذ) الاستفهام
 للقرية والتوبيخ أي يرون القرية المذكورة عند سفرهم إلى الشام للتجارة فانهم يرون
 بها امرأ أي برون آثارها وأمارها محل أهلها وقيل للتوبيخ أي جل الخطاب على الاقرار
 بما يعرفه وهو ما بعد التي أي ليقروا بانهم رأوها حتى يعتبروا بها وأفعال العطف على مقدر
 أي لم يكونوا يتفكرون اليها فلم يكونوا يرونها أو كانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها في مرات

انفتروا وتقوموا والذين تدعون
 من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو
 اجتمعوا له أي لو اجتمع جميع
 ما تعبدون من الاصنام والانداد
 على ان يقدروا على خلق ذباب
 واحد ما قدروا على ذلك كما قال
 الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر
 حدثنا شريك عن عمار بن القعقاع
 عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعا
 قال ومن أظلم ممن ذهب يخلق
 كفتي فليخلقوا مشل خافي ذرة أو
 ذبابة أو حبة وآخرجه صاحب الصحيح
 من طريق عمار عن أبي زرعة عن
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال قال الله عز وجل ومن
 أظلم ممن ذهب يخلق كفتي فليخلقوا
 ذرة فليخلقوا شعيرة ثم قال تعالى أيضا
 وان يسلمهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
 منه أي هم عاجزون عن خلق ذباب
 واحد بل أبلغ من ذلك عاجزون

مروهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالتكرفى الاول ترك النطق
 وعدم الرؤى به معاو المتكرفى الثانى عدم الرؤى بمع تحقيق النظر الموجب لها (بل كانوا
 لا يرجون) أى لا يأملون (نشورا) أى بعثنا أضرب سبحانه عما سبق من عدم رؤيتهم ثلاث
 الآثار الى عدم رجاء البعث منهم المسخر لهم لعدم رجائهم للجزاء ومعنى يرجون يخافون
 على اللغة التهامية (واذا رأوا أن) أى ما (يتخذون الاهزوا) أى مهزوا بك قصر
 معاملة لهم على اتخاذهم اياه مهزوا قيل نزلت فى أنى جهل كان اذا مر مع أصحابه قال
 مستمزا (أخذ الذى بعث) أى بعثه (الله رسولا) أى مر سلا فى دعواه وفى اسم الإشارة
 دلالة على احتقارهم له وبهمكهم به (ان كاد) أى قالوا انه كاد هذا الرسول (ليضلنا)
 ليسرفنا (عن آهنا) فنترك عبادتها بقرط اجتناده والدعاء الى التوحيد وكثرة ما ورد
 مما يسبق الى الذهن انه حجب ومعجزات (لولا أن صبرنا عليها) أى جنبنا أنفسنا على عبادتها
 ثم انه سبحانه أجاب عليهم بقوله (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) عيانا أى عذاب يوم
 القيامة الذى يستحقونه ويستوجبونه بسبب كفرهم (من اضل سبيلا) أى أبعد طريقا
 عن الحق والهدى أهم أم المؤمنون ثم بين لهم سبحانه انه لا تسلك لهم فيما ذهبوا اليه سوى
 التقليد واتباع الهوى فقال معجبال رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (أرايت من اتخذ الهه
 هواه) قدم المفعول الثانى للناية به كما تقول علمت منطلقا زيدا قاله الزمخشري أى اطاع
 هوا طاعة كطاعة الاله أى انظر اليه بما يحب وتعجب منه والوجه الآخر انه لا تقديم ولا
 تأخير لاستواء ما فى التعريف قاله السمين فادعاء القلب ليس بجديد لانه من ضروريات
 الشعر وقال أبو السعود بالوجه الاول ثم قال ومن توهم انهم على الترتيب بناء على
 تساويهم فى التعريف فقد غاب عنه أن المفعول الثانى فى هذا الباب هو المتلبس بالحالة
 الحادثة أى أرايت من جعل هواه الهه نفسه من غير أن يلاحظه وبني عليه أمر دينه
 معرضا عن استماع الحجج الباهرة والبرهان البير بالكيعة عن ابن عباس قال كان الرجل
 يعبد الحجر الأبيض زمانا من الدهر فى الجاهلية فاذا وجد حجرا أحسن منه رمى به وعبد
 الآخر فانزل الله الآية وعنه قال ذلك الكافر لا يهوى شيئا الا اتبعه وعن الحسن مثله
 (أفانت تكون عليه وكلام) أى حفيظا وكفيلا حتى ترده الى الايمان وتخبرهم من الكفر
 وتحفظهم من اتباع الهوى وعبادة ما به واه من دون الله والاستعظام لانتكار والاستبعاد
 فاعنى لست تقدر على ذلك ولا تطقه فليست الهداية والضلالة موكلتين الى حيث تنك
 وانما عليك البلاغ وقد قبل ان هذه الآية منسوخة بآية القتال قاله الكلبي ثم انتقل
 سبحانه من الانتكار الاول الى انتكار آخر فقال (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون)
 ما تناول عليهم من آيات القرآن ومن المواعظ سماع تنهيم واعتبار (أو يعقلون) معانى ذلك
 ويقهمنه حتى تعنى بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وليسوا كذلك بل هم بمنزلة من لا يسمع ولا
 يعقل وتخصيص الاكثر بالذكر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا
 وخوفا على الرياسة ثم بين سبحانه حالهم وقطع مادة الطمع فيهم فقال (انهم) أى ما هم

عن مقاومته والانتصار منه لوسيلها
 شيأ من الذى عليه امن الطبيب
 ثم ارادت ان تستنقذه منه لما قدرت
 على ذلك هذا الذباب من أضعف
 مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال
 ضعف الطالب والمطلوب قال ابن
 عباس الطالب الصنم والمطلوب
 الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر
 السياق وقال السدى وغيره
 الطالب العابد والمطلوب الصنم
 ثم قال ما قدره الله حتى قدره اى
 ما عرفوا قدر الله وعظمته حين
 عبدوا معه غيره من هذه القى
 لا تقاوم الذباب لضعفها ومعجزها
 ان الله لقوى عزير اى هو القوى
 الذى بقدرته وقوته خلق كل شئ
 وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو
 أهون عليه ان يطش ريك لشديد
 انه هو يسدئ ويعيد ان الله هو
 الرزاق ذو القوة المتين وقوله

في الانتفاع بما يعمونه (الانعام) التي هي مساوية العقل والفهم فلا تطمع فيهم فان
 فائدة السمع والعقل مفقودة وان كانوا يسمعون ما يقال لهم ويعقلون ما يتلى عليهم
 وانهم لم يمتنعوا بذلك كانوا كالفائدة ثم اضر بسماعهم عن الحكم عليهم بانهم كالانعام
 الى ما هو فوق ذلك فقال (بل هم اضل) من الانعام (سيدا) أي طريقا قال مقاتل
 اليها ثم تعرف ربهما ثم تدى الى مراعيها ومشاربها وانتقاد لا ربا لها وهؤلاء لا ينقادون
 ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم والمعنى انهم انتقاد لمن يتعبدوا وتغيز من يحسن
 اليها بمن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم
 ولا يعرفون احسانه من اساءة السطبان ولا يطلعون النوايا الذي هو اعظم المنافع
 ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار ولان جهالهم لا تضرب باحد وجهه هؤلاء تؤدى
 الى تهيج الفتن وصد الناس عن الحق ولا نهى غير ممكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها
 ولا ذم عليها وهؤلاء مقصرون ومستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم وقيل انما كانوا
 اضل من الانعام لانه لا حساب عليها ولا عقاب لها وقيل انما كانوا اضل لان البهائم اذ لم
 تعقل حكمة التوحيد والنسوة لم تعتقد طلال ذلك بخلاف هؤلاء فانهم اعتقدوا الصلوات
 عند ايام مكابرة وقصبا وخطا للحق وقيل ان الانعام تسجد وتسبح والكلاب لا يفعلون ذلك
 وقيل الملاذكروا وعقل والبهائم نفس وهوى والا دعى مجمع الكل ابتلاء فان غلبته
 النفس والهوى فضله الانعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملاذكروا الكرام ولما
 فرغ الله سبحانه من ذكر بهيمة الجاهلين وضلائهم اتبعه بذكر كطرف من دلائل التوحيد
 مع ما فيها من عظيم الانعام وحاصل ما ذكر منها خمسة فالاول الاستدلال باحوال الظل
 فقال (ثم اترى الى ربك كيف) أي على أي حالة وعلى أي وجه (مد الظل) هذه الرؤية اما
 بصريّة والمراد بها ألم تبصر الى صنعت ربك وألم تبصر الى الظل كيف مدده ربك واما قلبية
 بمعنى العلم فان الظل متغير وكل متغير حادث واسكن حادث موجد قال الزجاج ألم ترى ان الظل
 وهذا من رؤية القلب قال وهذا الكلام على القلب والتقدير ألم ترى الظل كيف مدده
 ربك بمعنى الظل من وقت الاسفار الى وقت طلوع الشمس هو ظل لشمس معه وبه قال
 الحسن وقسادة وقيل هو من غيمو به الشمس الى طلوعها قال القرطبي والاول اصح
 والدليل على ذلك انه ليس من ساعة أطيب من تلك الساعة فان فيها يجد المريض راحة
 والمسافر وكل ذي علة وفيها تزد نفوس الاموات والارواح منهم الى الاجساد وتطيب
 نفوس الاحياء فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب وقال أبو العالية ثم ارجعنا هكذا
 وأشار الى ساعة المصلين صلاة الفجر قال أبو عبيدة الظل بالغة والقي بالغيث لانه يرجع
 بعد زوال الشمس سمي قيا لانه قام من المشرق الى جانب المغرب وقال ابن السكيت الظل
 ما نحتته الشمس والتي ما نسخ الشمس وعن رؤية قال كل ما كانت عليه الشمس فزال
 عنه فهو في مظل والم تكتن عليه الشمس فهو ظل انتهى وحقيقة الظل انه امر متوسط
 بين الضوء والظلمة الخاصة وهذا المتوسط هو العدل من الطرفين وأطيب
 الاحوال لان الظلمة الخاصة يكرها الطبع ويفر عنها الحس والضوء الكامل لقوته يبه

عز زاي قد عز كل شيء فقهه
 وغلبه فلا يناع ولا يغالب لعظمته
 وسلطانه وهو الواحد القهار (الله)
 يصطفي من الملاذكروا رسلا ومن
 الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين
 أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع
 الامور يخبر تعالى انه يختار من
 الملاذكروا رسلا فيما يشاء من شرعه
 وقدره ومن الناس ان لا غرسانه ان
 الله سميع بصير أي سميع لا قوال
 عباده بصير بهم عليهم بمن يستحق
 ذلك منهم كما قال الله أعلم حيث
 يجعل رسالته وقوله يعلم ما بين أيديهم
 وما خلفهم والى الله ترجع الامور
 أي يعلم ما يفعل برسله فيما أرسلهم به
 فلا يخفى عليه شيء من أمرهم كما
 قال عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
 أحدا الى قوله وأحصى كل شيء
 عددا فهو سبحانه رقيب عليهم
 شهيد على ما يقال لهم حافظ لهم

الحس البصري ويؤذى بالتسخين ولذلك وصفت به الجنة في قوله وظل عمدود قال ابو
 السعود واما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس فغير سديد اذ
 لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه
 فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه
 وبين الشمس جسم كشيء محال في جوانبه من مواقع ضح الشمس وما ذكر وان كان
 في الحقيقة ظلالا لا في الشرف لكنهم لا يعدونه ظلالا لا يصفونه باوصافه المعهودة انتهى
 وعن ابن عباس قال كيف مد الظل أي بعد الفجر قبل أن تطلع الشمس وعنه قال ألم تر أنك
 اذا صليت الفجر كان ما بين مطلع الشمس الى مغربها ظلا ثم بعث الله عليه الشمس دليلا
 فقبض الظل وعنه قال ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبه قال الجمهور واعتراض
 عليه بأنه لا يسمى ظلالا لأنه من بقايا الليل واقع في غير النهار ومعنى الآية كيف انشأ ظلا
 لا يظل كان من جبل أو بناء أو شجر عند ابتداء طلوع الشمس ثم دأب الله تعالى مدد بعد
 أن لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح يكون نفسه
 بانشاءه تعالى واحداً له ياباه سباق الظلم الكريم (ولو شاء) سكونه (لجعل لها سكا)
 ثابثا دائماً لا يزول ومستقراً لا يتغيره الشمس ولا يذهب عن وجه الارض وقيل المعنى لو
 شاء لمنع الشمس الطلوع فلا يزول أو جعلها مساوية الضوء والاول أولى والتعبير بالسكون
 عن الإقامة والاستقرار شائع ومنه قولهم سكن فلان بلد كذا اذا قام به واستقر فيه
 (ثم جعلنا الشمس عليه) أي على الظل بنسخها اياه عند مجيئها (دليلاً) أي بحجة وبرهان
 ولما يستدل بالحواله على احواله وذلك لان الظل يتبعها كما يتبع الدليل في الطريق
 من جهة انه يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص والمعنى انه لو لم تكن الشمس لما عرف الظل
 ولولا النور لما عرفت الظلمة فالاشياء تعرف باضدادها ولم يؤت الدليل وهو صفة للشمس
 لانه في معنى الاسم كما يقال الشمس برهان والشمس حق (ثم قبضناه) أي ذلك الظل
 الممدود ومحوناه عن ايقاع شعاع الشمس موقعه بالتدريج حتى انتهت تلك الاظلال الى
 العدم والاضمحلال ومعنى (البيان) أن مرجعه اليه سبحانه كأثر حدوثه منه وجاء به
 استعارة تبعية لتفاضل ما بين الامور الثلاثة ثم مد الظل وجعل الشمس عليه دليلاً وقبضه
 يسيراً فكان الثاني أعظم من الاول والثالث أعظم من الثاني شبه تبعاده ما بينه في الفضل
 بتبعاده ما بين الحوادث في الوقت او لتفاضل مبادئ اوقات ظهورها وقيل المراد في الآية
 قبضه عند قيام الساعة بقض اسبابه وهي الاجرام النيرة والاول اولي وقيل المعنى ان الظل
 يبقى في هذا الجو من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس صار الظل
 مقبوضاً جزأً فجزأً وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فانشرت على الارض وعلى الاشياء
 الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هنالك ظل انما ذلك بقية نور النهار وقال قوم قبضه
 بغروب الشمس لانها اذا لم تغرب فالظل فيه بقية وانما يتم زواله لحيي الليل ودخول الظلمة
 عليه وقيل ان هذا القبض وقع بالشمس لانها اذا طلعت اخذ الظل في الذهاب شيئاً شيئاً
 قاله مالك وابراهيم التيمي وقيل المعنى ثم قبضنا ضياء الشمس بالنفي (قبضاً يسيراً) أي قليلاً

ناصر لجناهم بها أي بالرسول بلغ
 ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل
 فما بلغت رسالته والله يعصم
 من الناس الآية (يا أيها الذين آمنوا
 اركعوا واسجدوا واعبدوا
 ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون
 وجاهدوا في الله حق جهاده هو
 اجتباكم وما جعل عليكم في الدين
 من حرج مسأله أيكم ابراهيم هو
 سماكم المسلمين من قبل وفي هذا
 ليكون الرسول شهيداً عليكم
 وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا
 الصلاة واتوا الزكاة واعصوا ما ناهى
 هو مولاً ثم نفع المولى ونعم النصير
 اختلف الائمة رجحهم الله في هذه
 السجدة الثانية من سورة الحج هل
 هي مشروع السجود فيها ام لا على
 قولين وقد قدمنا عند الاولى حديث
 عقيب بن عامر عن النبي صلى الله
 عليه وسلم فقلت سورة الحج

قيل على تدريج بقدر ارتفاع الشمس لتنظم بذلك مصالح الكون ويحصل به ما لا
يحصى من منافع الخلق وقيل بغير أى سر يعاقله الضحاك وقيل المعنى بغير اعلى ليس
بغير وقال قتادة أى خفياً كلما قبض جزء منه جعل مكانه جزء من الظلمة وليس بزل
دفعه واحدة وهو قول مجاهد (وهو الذى جعل لكم الليل لباساً) شبه سجانه ما يستمر من
ظلام الليل باللباس الساتر قال ابن جرير وصف الليل باللباس تشبيهاً من حيث أنه يستر
الاشياء ويغشاها (و) جعل (النوم سباتاً) أى راحة لكم لانكم تقطعون عن
الاشتغال وأصل السبات التمدد يقال سبت المرأة شعرها أى نقضته وأرسلته ورجل
مسيبوت أى محدود الخلقه وقيل للنوم سبات لانه بالتمديد يكون وفي التمدد معنى الراحة
وقيل السبات القطع فالتنوم انقطاع عن الاشتغال ومنه سبت اليهود لانقطاعهم عن
الاشتغال قال الزجاج السبات النوم الخفيف وهو أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه
أو ابتدأه في الرأس حتى يبلغ القلب أى جعلنا نومكم راحة لكم وقال الخليل السبات
نوم ثقيل أى جعلنا نومكم ثقيلاً ليكمل الاجام والراحة وقيل السبات الموت
والمسيبوت الميت لانه مقطوع الحياة وهو قوله تعالى وهو الذى يتوفىكم بالليل ويعضده
ذكر التنوير في مقابلته ذكره الزحشمى والنسقى (وجعل النهار شوراً) أى ذات شور
وانتشار ينتشر فيه الناس للمعاش أى جعله زمان يعش من ذلك السبات شبه اليقظة
بالحياة كما شبه النوم بالسبات الشبيه باللمات وهذه الامة مع دلالتها على قدرة الخالق فيها
اظهار لعظمته على خلقه لان في الاحتجاب بستر الليل فواند دينية ودينية وفي النوم
واليقظة المشبهين بالموت والحياة عبرة لمن اعتبر قال القسمان لانه كاتمام فتوقظ كذلك
تموت فتتشر (وهو الذى أرسل الرياح بشراً) جمع بشور وقرئ نشر بالنون (بين يدي
رجسه) أى متفرقة قدام المطر لانه ربح ثم حباب ثم مطر وهذه استعارة لمجيء والمراد
بالرياح الجفنس وهي الصبا والجنوب والشمال بخلاف الدبور فانها ربح العذاب التي
أهلك بها عاد والشمال تأتي من ناحية الشام والجنوب تقابلها وهي اليمانية والصبا
تأتي من مطاع الشمس وهي القبور أيضاً والدبور تأتي من ناحية المغرب والريح مؤنثة
على الأكثر فيقال هي الريح وقد تذكروا على معنى الهواء فيقال هو الريح وهب الريح مثله
أبوزيد وقال ابن الأنباري انها مؤنثة لعلامتها فيها وكذلك سائر اسمائها الا الاعصار
فانه مذكور وقد تقدم تفسير هذه الآية مستوفى في الاعراف (وأزلفنا من السماء ماء
طهوراً) وصف الماء به اشعاراً بالعممة وتيمناً للجنة بما بعده فان الماء الطهور أى
وأنتفع مما خلقه ما ينزل طهوراً فيه وفيه تنبيه على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن
يطهروا فاقبوا طهراً وأولى بذلك قال الأزهري الطهور في اللغة الطاهر المطهر قال وفعول
في كلام العرب لمعان منه ففعول لما يتعمل به مثل الطهور لما يتطهر به والوضوء لما يتوضأ
به قال ابن الأنباري الطهور بفتح الطاء الاسم وكذلك الوضوء والوقود وبالضم المصدر
هذا هو المعروف في اللغة وقد ذهب الجهور إلى ان الطهور هو الطاهر المطهر ويؤيد ذلك
كونه بناءً بالغة ويدل له ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في البحر هو

بمسجدتين فمن لم يسجد هماً قلاً
يقرأ هماً وقوله وجاهدوا في الله حق
جهادهم أى باموالكم وأاستحكم
وأنفسكم كما قال تعالى اتقوا الله
حق قفاته وقوله هو اجتنابكم أى
بأهذه الامة الله اصطفاكم واختاركم
على سائر الامم وفضلكم وشرفكم
وخصكم يا كل رسول واكمل شرع
وما جعل عليكم في الدين من حرج
أى ما صلكم ما لا تطيقون وما
أزكم بشئ رشق عليكم الاجعل
الله لكم فرجاً وخيراً يا قاصلة
التي هي أكبر اركان الاسلام بعد
الشهادتين بحسبى الحضر أربعا وفي
السفر تنصرت الى اثنين وفي الخوف
يصلها بعض الائمة ركعة كما ورد به
الحديث وتصلى رجالاً وركباً
مستقبلي القبلة وغير مستقبليها
وكذا في النافلة في السفر الى القبلة
وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر

الظهور ماؤه الحل ميتته أخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وروى عن أبي خنيفة
 انه قال الظهور هو الطاهر واستدل بذلك بقوله تعالى وسقاهم ريم شهر بابا ظهورا يعنى
 طاهر او على كل حال فقد ورد الشرع بان الماء طاهر في نفسه مطهر لغيره قال الله تعالى
 وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خلق الماء
 طهورا واخرج اهل السنن واجد وغيرهم من حديث ابي سعيد قال قيل يا رسول الله
 أتتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر تلقى فيه الخبيث ولحوم الكلاب والتين فقال ان الماء طهور
 لا ينجسه شيء وفي اسناد هذا الحديث كلام طويل قد استوفاه الحافظ ابن حجر في التلخيص
 وتبعه الشوكاني في شرحه على المنتقى ثم ذكر سبحانه علة الانزال فقال (لكن به) أى
 بالماء المنزل من السماء (بلدة ميتة) وصف البلدة بالميت وهي صفة للمذكر لانها بمعنى
 البلد قال الزجاج أراد بالبلد المكان أو يستوى فيه المذكر والمؤنث والمراد بالاحياء
 هنا الخراج النبات من المكان الذي لا نبات فيه (ونسقيه) بضم النون وقرئ بفتحها
 والضمير المنصوب راجع الى الماء (مما خلقنا أنعاما) أى بهائم أى ابله وبقر وغنم وقدم
 تقدم الكلام عليها وخصها بالذكور لانها خيرتنا ومدار معاش أكثر أهل المدرو لذلك قدم
 سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانها سبب لحياتها وتعيشها فقدم ما هو سبب
 حياتهم ومعاشهم (وأنا ناسي كثيرا) جمع انسان على ما ذهب اليه سيبويه وهو الراجح
 وقال المبرد والقراء والزجاج انه جمع انسى أى بياه النسب وفيه ان ماهى فيه لا يجمع على
 فعلى وللغراء قول آخر انه جمع انسان والاصل على الاول اناسين مثل سرعان وسر احين
 وبستان وبساتين فجعلوا الياء عوضا من النون (ولقد صرفناه بينهم ليدكروا) أى كرونا
 احوال الاطلاق وذكر انشاء السحاب وانزال المطر في القرآن وفي سائر الكتب السماوية
 لتفكروا ويعتبروا وقرئ صرفناه مثقلا ومخففا وكذلك كروا مخففة من الذكور
 ومثقلة من السد كرو قيل ضمير صرفناه يرجع الى اقرب المذكرات وهو المطر أى
 صرفناه المطر بينهم في البلدان المختلفة والافات المتغيرة وعلى الصفات المتفاوتة من ابل
 وطش وطل وجود ورذاذ ديمية فزيد منه في بعض البلدان ونقص في بعض آخر منها
 وقيل الضمير راجع الى القرآن وقد جرى ذكره في أول السورة حيث قال تبارك الذي
 نزل الفرقان على عبده وقوله لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وقوله اتخذوا هذا
 القرآن مهجورا والمعنى ولقد كرونا هذا القرآن بانزال آياته بين الناس ليدكروا به
 ويعتبروا بما فيه وقيل هو راجع الى الريح وعلى رجوع الضمير الى المطر فقد اختلف
 في معناه فقيل ما ذكرناه وقيل تصرفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات
 والظهارات عن ابن عباس قال ما من عام بأقل مطرا من عام ولكن الله يصرفه حيث يشاء
 ثم قرأ هذه الآية (فأبى أكثر الناس الا كفورا) أى كفران النعمة وبخودها وقلة
 الاكثرات لها قال عكرمة ان المراد هو قولهم في الانواء مطرنا بنوء كذا قال النحاس ولا
 نعلم بين أهل التفسير اختلافان ان الكفر هنا قولهم مطرنا بنوء كذا والنوء كافي المختار
 سقوط شحيم من المنازل في المغرب وطلوع رقبته من المشرق في ساعته في كل ثلاثة عشر يوما

المرض فيصلها المريض جالسا
 فان لم يستطع فعلى جنبه الى غير
 ذلك من الرخص والتخفيفات
 في سائر الفرائض والواجبات
 ولهذا قال عليه السلام بعثت
 بالحنيفية السمجة وقال لمعاذ
 وأبي موسى حين بعثهما أميرين الى
 العين بشر ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا
 والاحاديث في هذا كثيرة ولهذا
 قال ابن عباس في قوله وما جعل
 عليكم في الدين من حرج يعنى
 من ضيق وقوله ملة أبيكم
 ابراهيم قال ابن جرير نصب على
 تقدير ما جعل عليكم في الدين من
 حرج أى من ضيق بل وسعه
 عليكم كله أبيكم ابراهيم قال
 ويحتمل أنه منصوب على تقدير الزموا
 ملة أبيكم ابراهيم قلت وهذا المعنى
 في هذه الآية كقوله قل انى
 هداني ربى الى صراط مستقيم
 دينا قيامه ابراهيم خنيفا الآية

ما خلا الجهة فان له اربعة عشر يوما كانت العرب تضيغ الامطار والرياح والحر والبرد
الى الساقطة منهما وقيل الى الطالع لانه في سلطانه والجمع اقراء ولوشنا لعننا) أى في
زمنك (كل قريه نذرا) أى رسول لا يندرحم ليكون الرسل المبعوثون معارنين لك فتحت
عليك انبياء النبوة كما فتحنا المطر بينهم ولكالم تفعل ذلك بل جعلنا نذر او احدا وهرأت
يا محمد وقصرنا الامر عليك اجل ثلاث وتعتليا ثا لك وتضيغ لى على سائر الرسل
وليعظم اجره فقال بل ذلك بشكر النعمة واليات والاجتهاد فى الدعوة واطياري الحق (فلا
نطع الكافرين) فيما يدعونك اليهم اتباعا لهم بل هم اجتهد في الدعوة واثبت فيها ولا
تضجر (وجاهد هديه) اى بالقرآن واقل عليهم ما فيه من القوارع والنواذر والازواج
والاوامر والنواهي وقيل الضمير يرجع الى الله والاسلام او الى السيف والاول اولى
وهذه السورة مكية والامر بالقتال انما كان بعد الهجرة وقيل راجع الى ترك الطاعة
لله وهم من قوله فلا تطع الكافرين وقيل الضمير يرجع الى ما دل عليه ولوشنا لعننا في كل
قريه نذرا من كونه نذر كافة القرى لانه سبحانه لو بعث في كل قريه نذرا لم يكن على كل
نذير الا مجاهدة القرية التى ارسل اليها وحين اقتصر على نذير واحد لكل القرى وهو محمد
صلى الله عليه وآله وسلم فلا جرم اجتمع عليه كل المجاهدات فكبر حواذيه وعظم فكاهه
قال له وجاهد هم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا لجامع الكل مجاهدا ولا يخفى ما في
هذين الوجهين من البعد (جهادا كبيرا) أى شديد اعظم موقعه عند الله لما
يحتل فيه من المشاق لان مجاهدة الفقهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسوف
وأريد بهذا تهيجهم وتهيج المؤمنين وتحريرهم ثم ذكر سبحانه دليلا رابعا على التوحيد
فقال (وهو الذى مرج البحرين) أى ارسلهما متجاورين أو خلاهما متلاصقين بحيث
لا يتأخران من مرج أى خلى وخلط وأرسل يقال مرجت الدابة وأمرجتا اذا أرسلتها
في المرحى وخليتها تذهب حيث تشاء قال مجاهد ارسلهما وأفاض أحدهما الى الآخر
وقال ابن عرفة خلط هـ فهما يلتقان يقال مرجتا اذا خلطت هـ ومرج الدين والآخر
اختلط واضطرب ومنه قوله تعالى فى أمر مرج وقال الأزهري مرج البحرين خلى
بينهما لا يلتصق أحدهما بالآخر يقال مرجت الدابة اذا خلطتا نرجى وقال ثعلب
المرج الاجراء فالعنى أجزأهما وقال الاخفش ويقول قوم أمرج مثل مرج فعل
وأفعل يعنى (هذا عذب فرات) هو البليغ العذوبة المائل الى الخلاوة والنجاسة مستأنفة
كأنه قيل كيف مرجهما فقل هذا عذب الخ أحوال تقديره وقولنا فهم قيل سمى الماء
الخالو فراتا لانه يشرب العطش أى يقطع ويشفقه ويكسره ولا يجمع الا نادرا على فراتان
كفراتين (وهذا ملح أجاج) أى بليغ الملوحة وقيل البليغ في الحرارة وقيل البليغ
في المارة وقرئ ملح بفتح الميم وكسر اللام قال ابن عباس خلع أحدهما على الآخر
فليس يفسد العذب المالح وليس يفسد المالح العذب وهذا من أحسن المقابله حيث قال
عذب فرات وملح أجاج (وجعل بينهما رزقا) هو الحليز والحائل الذى جعله الله
بينهما من قدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازح ولا يحمس (وجزا محجورا) أى ستر

وقوله هوسا كم المسلمين من قبل
وفى هذا قال الامام عبد الله بن
المبارك عن ابن جرير عن عطاء عن
ابن عباس فى قوله هوسا كم المسلمين
من قبل قال الله عز وجل وكذا
قال مجاهد وعطاء والضحالة
والسدى ومقاتل بن حيان وقادة
وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
هوسا كم المسلمين من قبل يعنى
ابراهيم وذلك لقوله ربنا واجعلنا
مسلمين المؤمنين ذريتنا أمة مسلمة
لك قال ابن جرير وهذا الوجه له
لانه من المعاصم ان ابراهيم لم يسم
هذه الامة فى القرآن مسلمين وقد
قال الله تعالى هوسا كم المسلمين
من قبل وفى هذا قال مجاهد الله
سما كم المسلمين من قبل فى الكتب
المتقدمة وفى الذكر وفى هذا يعنى
القرآن وكذا قال غيره قلت وهذا هو
الصواب لانه تعالى قال هو اجتبى كم

مستورا يمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر فلا ينفى أحدهما على الآخر ولا يفسد
 الملح العذب فالبرزخ الحار والحر المانع وقيل معناه هو تقدم من أنها كلمة يقولها
 المتعود كأن كل واحد من البحر ينبت عود من صاحبه ويقول له هذا القول وهو استعارة
 تمثيلية وقيل حداً محدوداً وقيل المراد من البحر العذب الانهار العظام كالنيل والفرات
 وجيكون ومن البحر الأجاج البحار المشهورة والبرزخ بينهما الحائل من الأرض
 وقيل معناه حرماناً بحرمان يعذب هذا الملح بالعذب أو يبلغ هذا العذب بالمالح ومثل هذه
 الآية قوله سبحانه في سورة الرحمن مريح البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وعن
 ابن عباس قال حجراً أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه ثم ذكر سبحانه حالة من أحوال خلق
 الإنسان من الماء فقال (وهو الذي خلق من الماء بشراً) أي خلق من ماء الطفة أنساناً
 وقيل المراد بالماء الماء المطلق الذي يراد في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل هو الماء
 الذي نزل به طينة آدم عليه السلام وجعله جزءاً من مادة البشر ليجتمع ويتسلسل
 ويستعد لقبول الأشكال والهيئات بسموله قاله أبو السعود (بجعله نسباً وصهراً) أي
 جعله ذات نسب وصهر وقيل المراد بالنسب هو الذي لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه
 قاله القراء والزجاج واشتقاق الصهر من صهرت الشيء إذا خلطته وسبب النكاح صهر
 لا اختلاط الناس بها وقيل الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجية هم الاختان وقرابة
 الزوج هم الإجماع والاصهار تعمهما قاله الأدهي وفي القاموس الصهر بالكسر
 القرابة والتختن وجمعه أصهار وفي المصباح قال الخليل الله مرأهليت المرأة قال ومن
 العرب من يجعل الإجماع والاختان جميعاً أصهاراً وقال الأزهري الصهر يشتمل على
 قرابات النساء ذوى المحارم وذوات المحارم كالأبوين والأخوة والأولادهم والأعمام والأخوال
 والأخالات فهؤلاء أصهار وزوج المرأة ومن كان من قبل الزوج من ذوى قرابته المحارم فهم
 أصهار المرأة أيضاً وقال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه
 فهم الإجماع ومن كان من قبل المرأة فهم الاختان ويجمع الصنفين الاصهار وصاهرت لهم
 واليهم وفيهم صهرت لهم صهر انتهى وفي القرطبي النسب والصهر معنيان يعمان كل قريب
 تكون بين آدميين قال الواحدى قال المفسرون النسب سبعة أصناف من القرابة
 يحكمها قوله حرمت عليكم أمهاتكم إلى قوله وأمهات نسائكم ومن هنا إلى قوله وإن
 يحكمها بين الاختان تحريم بالصور وهو الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم
 للنكاح وقد حرم الله سبعة أصناف من النسب وسبعة من جهة الصهر أي السبب قد
 اشتملت الآية المذكورة على ستة منها والدابعة قوله ولا تنكحوا أمهاتكم أبواكم من النساء
 وقد جعل ابن عطية والزجاج وغيرهما الرضاع من جهة النسب ويؤيده قوله صلى
 الله عليه وآله وسلم لا يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب أراد سبحانه تقسيم البشرية
 ذوى النسب أي ذكوراً ينسب إليهم فيقال فلان بن فلان وفلان بنت فلان وذوات صهر
 أي أنا بنابصارهم من كقوله تعالى يجعل منه الزوجين الذكور والأنثى وسئل عن الخطاب
 عن نسب وصهر فقال ما أراكم الا وقد عرفتم النسب وأما الصهر فالاختان والعجابه

وما جعل عليكم في الدين من حرج ثم
 حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول
 صلوات الله وسلامه عليه بانه مله
 ايهم ابراهيم الخليل ثم ذكر تعالى

(وكان ربك قدرا) أي بلغ القدرة عظمى وأمن جلال قدرته الباهرة خلق الإنسان من
 العظيمة الواحدة وتقسيمه إلى القسمين المذكورين ولما ذكر سبحانه دلائل التوحيد عاد
 إلى ذكر قبائح الكفار وفضائح سيرتهم فقال (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم) أن
 يعبدوه (ولا يضرهم) أن تركوه (وكان الكافر على ربّه ظاهريا) هو المظاهر أى
 المعان على ربّه بالشرّ والعداوة والمظاهرة على الرب هي الظاهرة على رسوله أو على دينه
 قال الزجاج لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله لأن عبادتهم للأصنام معاونة
 للشيطان وقال أبو عبيدة المعنى وكان الكافر على ربّه خيما مهيما ذليلا من قول العرب
 ظهرت به أى جعلته خلف ظهرى لم ألتفت إليه ومنه قوله تعالى واتخذتموه وراءكم
 ظهريا وقيل أن المعنى وكان الكافر على ربّه الذى يعبدوه وهو الصمّ قويا غابا يعمل به
 ما يشاء لأن الجهاد لا قدرة له على دفع ونزع ويجوز أن يكون الظاهر جمعا كقوله
 والملائكة بعد ذلك ظهير أى والمعنى أن بعض الكفرة مظاهرين على رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم أو دين الله والمراد بالكفر هنا الخس ولا ينافيه كون سبب التزول هو كفرا
 معينا كما قيل أنه أبو جهل وقال ابن عباس يعنى أبابا الحكم الذى سماه رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم أباجهل بن هشام فلا يصح أنعامه فى كل كافر (وما أرسلناك) فى حال
 من الأحوال (إلا) حال كونك (مبشرا) للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) للكافرين بالنار
 فلا تحزن على عدم إيمانهم واقتصر على صيغة المبالغة فى الإنذار تخصيصه بالكافرين
 إذا الكلام فيهم والإنذار الكامل لهم ولو قيل أن المبالغة باعتبار الكم أشمول للعصاة
 جاز (قل) يا محمد (ما أسألكم عليه) أى على القرآن أو على تبليغ الرسالة المدلول عليها
 بالارسال أو على ما أدعوكم إليه (من أجر) أى عرض من عرض الدنيا قاله ابن عباس
 والاستثناء فى قوله (الامن شاء أن يتخذ إلى ربّه سبيلا) منقطع أى لكن من شاء فليفعل
 وقيل هو متصل والمعنى الامن شاء أن يتقرب إليه سبحانه بالطاعة وصور ذلك بصورة
 الأجر من حيث أنه مقصود الحصول ولما بين سبحانه أن الكفار مظاهرون على رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم وأمره أن لا يطلب منهم أجر البتة أمره أن يتوكل عليه فى دفع
 المضار وجلب المنافع فقال (وتوكل) فى استكفائهم وروهم والاستغناء عن أجورهم
 (على الخى الذى لا يموت) فإنه الحقيقى بأن يتوكل عليه وخص صفة الحياة إشارة إلى أن
 الخى الدائم هو الذى يتوكل به فى المصالح والمنافع ودفع المضار ولا حياة على الدوام إلا الله
 سبحانه دون الأحياء المتقطعة حياتهم فانهم إذا ما تواضع من يتوكل عليهم وقرأ أحياه
 الصالحين فقال لا يصح لى عقل أن يثق بعد ما يتخلو والتوكل اعتماد العبد على الله
 فى كل الأمور والأسباب وسائط أمرهم من غير اعتماد عليها (وسبح) أى نزهه عن صفات
 نقصان مقترنا (بحمده) وقبل معنى سبح منل والصلاة تسمى تسبيحا (وكفى به ذنوب
 عباده خيرا) أى حسبك وهذه كلمة رادها المبالغة كقولك كفى بالله ربا والخير المطاع على
 الأمور بحيث لا يخفى عليه منها شئ فلا يلزم عليك أن آمنوا وكذروا وقيل بعنايه أنه لا يحتاج

منته تعالى على هذه الأمة بما توبه
 من ذكراها والنساء عايم فى سالف
 الدهر وقديم الزمان فى كتب
 الانبياء يتلى على الاحبار والرهبان

معه الى غيره لانه خير عالم قدبر على مكافاتهم وقبسه ويميدشديد كانه قال اذا قدمتم على
 محالته تأمره كفاكم علمه في مجازاتكم عما تستحقون من العقوبة ثم زاد في المبالغة فقال
 (الذي خلق السموات والارض) لعل ذكره زيادة تقرر لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من
 حيث انه الخالق لكل والمتصرف فيه (وما بينهما) ولم يقل بينهما لانه اراد النوعين والمعنى
 خلقهما (في ستة ايام) خلق الارض في يومين والاسمان وما بينهما في يومين الثلاثة
 والاربعة والسموات في يومين الخسيس والجمعة وفورغ من آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل في
 مقدار هذه المدة لانه لم يكن حينئذ ليل ولا نهار وانما خلقها في ستة ايام وهو يقدر على ان
 يخلقها في لحظة تعلم ان خلقه الرقى والتثبت وانتفى في الامر والتؤدة والتسدرج فان قيل
 يلزم ان يكون خلق العرش بعد خلق السموات والارض كما يفيد قوله (ثم استوى على
 العرش) فيقول ان كلمة ثم لم تدخل على خلق العرش بل على علوه على السموات والارض
 والعرش في اللغة سرير الملك والمراد هنا الجسم العظيم المحيط بالعالم كائن فوق
 السموات السبع والاسواء صنية لله سبحانه معنا ما يتبعه عن الخلق وكونه على الذات
 وفوق العالم وقد تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف واخواتها قال الشوكاني رحمه الله
 تعالى اعلم ان الكلام في الايات والاحاديث الواردة في الصفات قد طالت ذيله وقشعبت
 اطرافه وتباينت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق وتختلف النحل وسبب هذا عدم
 وقوف المتتبعين الى العلم حيث وقفهم الله ودخلهم في ابواب لم يأذن الله لهم بدخولها
 ومحاوالتهم لعلم شيء استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا فرقا وتشعبوا شعبا وصاروا حزابا وكافوا في
 البداية ومحاولة الوصول الى ما يتصورونه من العامة محتاجي المقاصد متبايني المطالب
 فطائفة وهي أخف هذه الطوائف المتكلمة علم ما لم يكن الله سبحانه بعلمه انما وقلها
 عقوبة وجرم ما هي التي ارادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب لكن سلكت
 في طلبه طريقا متعورة وصعدت في الكشف عنه الى عتمة كؤود لا يرجع من سلكها
 سائلا فضلا عن ان يظفر فيها بطوب صحيح ومع هذا اصلوا اصولا متوهها حقا فدفعوها
 آيات قرآنية وأحاديث صحيحة تبوية واعتلوا في ذلك الدفع بشبهة واهية وحالات مختلفة
 وهؤلاء طائفتان الطائفة الاولى هي الطائفة التي غلت في التنزيه فوصلت الى حد
 يقشع عنه الله الجلود يضطرب له القلب من تعظيم الصفات النابتة بالكاتب السنة ثبوتا
 أوضح من شمس النهار وأظهر من فلق الصباح وظنوا هذا من صنعهم موافقا للحق
 مطابقا لما يريد الله سبحانه فضاوا الطريق المستقيمة وأضلوا من رام سلكها والطائفة
 الاخرى هي الطائفة التي غلت في اثبات القدرة غلوا بلغ الى حد انه لا تأثير لغيره والاعتبار
 بما سواها وأفضى ذلك الى الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لبعثة الرسل وانزال
 الكتب كسبر فائدة ولا يعود ذلك على عبادة بمعايدة وجاءت ايات ويلات للآيات المبينات
 ومحاولات ليلج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الاولى في الضلال والاضلال مع ان كلا
 المقصدين صحيح وجه كل منهما صحيح لولا ما شابه من الغلو القبيح وطائفة توسطت
 ورامت الجمع بين الضب والنون وظنت انها قد وفتت بمكان بين الاقراط والتفريط ثم

فقال هو سماكم المسلمين من قبل
 أي من قبل هذا القرآن وفي هذا
 روى النسائي عند تفسير هذه
 الآية أسانا هشام بن عمار حدثنا

أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث مجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها
وتجول على الأخرى وتصلو بمناظرت به مما وافق مذهب السبىه وكل حزب بما لديهم
فرسون وعند الله تلتى الخصوم ومع هذا فهم متفقون فيما بينهم على أن طريق السلف
أسلم ولكن زعموا أن طريق الخلف أعلم فكان غاية ما ظفروا به من هذه الأعلية بطريق
الخلف أن تبقى محقة وهم وأد كما هو في آخر أمرهم دين المجازم وقالوا هنيئاً للعامة قد بر
هذه الأعلية التي كان حاصلها أن يمتن ظفر لاهل الجهل البسيط ويتنقأ في
عدادهم ولكن تدين بدينهم ويمشى على طريقهم فان هذا ينادى بأعلى صوت ويدل
بأوضح دلالة على أن هذه الأعلية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير فهاضك بعلم يقر
صاحبه على نفسه أن الجهل خير منه ويتنقأ عند البلوغ إلى غايته والوصول إلى نهايته
أن يكون جاهلاً به عا طاعته في هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين ففلا علوا
على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بآدى بدء وسلوا من تبعاعها وأراحوا أنفسهم
من تعبها وقالوا كما قال القائل

أرى الأمر يفضى إلى آخر * فصر آخره أولاً

وربحوا الخلو من هذا النقي والسلامة من هذه التهمة للعامة فإن العاقل لا يتنقأ رتبة
مثل رتبته أو دنس ولا يمتن لمن هو مثله أو دنس بل لا يكون ذلك إلا من رتبته أرفع من رتبته
ومكانة أعلى من مكانة فيا لله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه وأفضل
مقداراً بالنسبة إليه وحل سمع السامعون بمثل هذه الغريبة أو نقل الناقلون ما يمشيها أو
يشابهها وإذا كان هذا حال هذه الطائفة التي قد عرفنا أنهم أخف الطوائف تكلفاً وأقلها
تبعه فهاضك بمصادرهم الطوائف التي أرادوا بالمظاهر التي تظاهرت به كإداس السلام وأهله والسعي في
التشكيك فيه بإيراد الشبه وتقرير الأمور المفضية إلى القدح في الدين وتفتة أهله عنه
وعند هذا تعلم أن خبر الأمور والمصالحات على الهدي وشرا الأمور والمخدرات البدائع وإن
الحق الذي لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
وقد كانوا رجعهم الله تعالى وأرشدنا إلى الاقتداء بهم والاحتداء بهم يديهم عيون آيات
الصفات على ظاهرها ولا يتكفون علم إلا يعلمون ولا يحرفون ولا يولون وهذا المعلوم من
أقوالهم وأفعالهم والمقرر من مذهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه
مجادل وإن نزع من بينهم نازع أو نعيم في عصرهم ناجم أو ضحو للناس أمره وينو الهمة أنه
على ضلالة وصرحو بالحق المجمع والمخالف وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما
ظهر عبد الجوى وأصحابه وقالوا إن الأمر أتق قسراً وأمنه يتواضعاته وبطلان
مقاتله للناس فخذروا الأمن ختم الله على قلبه وجعل على بصره عشاوة وهكذا كان من
بعدهم وضع الناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها كما فعله التابعون رجعهم
الله بالبعد عن درهم ومن قال بقوله واتحل فحلته الباطل ثم ما زالوا هكذا لا يستطيع
المبتدع في الصفات أن يتظاهر يديعته بل يسكتون بها كما يسكتون الزنادقة بكفرهم وهكذا

محمد بن شعيب أسأنا معاوية
ابن سلام أن أخاه زيد بن سلام
أخبره عن أبي سلام أنه أخبره قال
أخبرني الحرث الأشعري عن رسول

سائر المتبذعين في الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة ولكنا نقصر
هنا على الكلام في هذه المسئلة التي ورد السؤال عنها وهي مسئلة الصفات وما كان من
المتكلمين فيها بغير الحق المتكلمين علم ما لم يأذن الله بان يعلموه بيان ان امرار آيات
الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعهم وان كل
من أراد من نزاع المتكلمين وشذاذ المخرفين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المروعي ذلك
الظاهر قاموا عليه وحذروا الناس منه وبينوا لهم أنه على خلاف ما عليه أهل الاسلام
فصار المبتدعون في الصفات القائلون بأقوال تخالف ما عليه السواد الأعظم من الصحابة
والتابعين وتابعهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الامور ولا يتخذ عن خراف اقوال البهيم
الاخذوع وهم مع ذلك على تخوف من أهل الاسلام وترقب لنزول مكروه بهم من جهة
الدين من العلماء الهادين والرؤساء والسلطين حتى يتجنبوا نجم الحنة وبرق بأرق الشر
من جهة الدولة ومن لهم في الامر والنهي والاصدار والارادة أعظم صولة وذلك في الدولة
المامونية بسبب قاضيهما أحمد بن أبي دؤاد فعند ذلك اطلع المتكلمون في ذلك الزوايا
رؤسهم وانطلقوا ما كان قد خرس من أسنتهم وأعلنوا مذاهبهم الزائغة وبدعهم المضلة
ودعوا الناس اليها وجادلوا عنها وناضلوا المخالفين لها حتى اخطط المعروف بالمنكروا وشبهه
على العامة الحق بالباطل والسنة بالدعة ولما كان الله سبحانه قد تكفل بالظاهر اديسه على
الدين كله وحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل
عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم فكان لهم ولله
الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهورة في نصر الدين وهتك المتبذعين وهذا الكلام
القليل الذي ذكرناه تعرف أن مذهب السلف من الصحابة والتابعين وتابعهم هو امرار
أدلت الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيئ منها ولا جبر ولا
تشبيه ولا تعطيل بفضي اليه كثير من التأويل وكافوا اداسائل عن شيئين من الصفات
تأولوا عليه الدليل وأمسكوا عن القول والقليل وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك
ولا نتكاف ولا نتكلم عما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بما جاوزته فان أراد السائل أن ينظر منهم
بزيادة على الظاهر ربحه عن الخوض فيما لا يعنيه وهو عن طلب ما لا يمكن الوصول
اليه الا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين
وكان في هذه القرون الفاضلة الكملة في الصفات متعددة والطريقة لهم جميعا متفقة
وكان اشتغالهم بعمادهم الله بالاستغال به وكلفهم القيام بقرائته من الايمان بالله واقام
الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد وانفاق الاموال في أنواع البر وطلب العلم
النافع وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه والمحافظة على موجبات القوز بالجنة
والنجاة من النار والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاختذ على يد التظام بحسب
الاستطاعة وبما تبلغ اليه القدرة ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكن لهم الله يعلمه ولا تعبد لهم
بالوقوف على حقيقته فكان الدين انذاك صافيا عن كدر البدع خالصا عن شوب قدر

الله صلى الله عليه وسلم قال من
دعا بدعوى الجاهلية فانه من يثي
جهنم قال رجل يا رسول الله وان
صام وصلى قال نعم وان صام وصلى

التمهيد فعلى هذا اللفظ كان الخبايا والتابعون وتابعوهم وبه ندى رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم اهتدوا وباقعاله وأقواله اقتدوا نحن قال انهم تلبسوا بشئ من هذه
 المذاهب الناشئة في الصفات وغيرها فقد أعظم عليهم القزينة وليس عقبول في ذلك فإن
 نقول لأتمة المطلعين على أحوالهم العارفين بها إلا تخذين لها عن الصفات الاثبات ترد
 عليهم وعليهم وتذفع في وجهه يعلم ذلك كل من له علم ويعرفه كل عارف فاشديدك على هذا
 واعلم أنه مذهب خبر القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك
 التمهيدات في الصفات وأرج نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصططحوها
 عليها وجعلوها أصلا بذاته كآب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فإن وافقاها فقد
 وافقا الأصول المقررة في زعمهم وان خالفاها فقد خالفا الأصول المقررة في زعمهم ويجعلون
 الموافق لها من قسم المقبول والمحكم والمخالف لها من قسم المردود والمشابه ولو جئت
 بألف آية واضحة الدلالة تطاعة المعنى أو أثبت خديت مما ثبت في الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا
 اليه زعمهم ولا عدوه شيئا ومن كان منكرا لهذا فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم
 الكلام فإنه سيقف على الحقيقة ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها ومن العجب العجيب
 والنبأ الغريب أن تلك العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام التي جعلها من
 بعدهم أصولا لاستندلها الأحمق بالدعوى على العقل والقرينة على القطر وكل فرد من
 أفرادها تنازع في عقولهم وتخالفت فيه إدراكهم فهذا يقول بحكم العقل في هذا
 كذا وهذا يقول بحكم العقل في هذا كذا ثم يأتي بعدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من
 يقلده ويتقدي به أصلا يرجع إليه ومعبدا للكلام الله وكلام رسوله بقبل منهم ما وافقه
 ويرد ما خالفه فيألهو ياللمسلمين والعلما الذين من هذه القوافر الموحشة التي لم يصب
 الاسلام وأهل بنائها وأعرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع انهم بعد أن جعلوا هذه
 التعقيلات التي تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم في معقولاتها أصولا تزد إليها أدلة
 الكتاب والسنة جعلوها أيضا معيار الصفات الرب سبحانه فاتهمله هذا من صفات الله
 قال به جرما وماتعقل خصمه منها قطع به فأنتم والله تعالى الشئ وتبعضه استدلالا بنا
 حكمت به في صفات الله عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ولم يلتفتوا إلى ما وصف الله به
 نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بل إن وجدوا ذلك موافقا لما تعقلوه
 جعلوه مؤيدا له ومقربا وقالوا قد ورد دليل السمع مطا بالدليل العقل وإن وجدوه مخالفا
 لما تعقلوه جعلوه واردا على خلاف الأصل ومتشابه أو غير معقول المعنى ولا يظهر الدلالة
 ثم قابلهم المخالف لهم بتقيض قولهم فافتري على عقله بأنه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه
 وجعل ذلك أصلا بذاته أدلة الكتاب والسنة وجعل التشابه عند أولئك محكما عنده
 والمخالف لدليل العقل عندهم موافقا له فكان حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من
 صفات الله ما لا يعلمه وكفاله بهذا وليس بعده شئ وعنده يتعثر القلم حيا من الله عز وجل
 ويرى ما استبعد هذا استبعدوا استكبره مستكبروا وقال إن في كلامي هذا مباهة وتمويل
 وتشنيعا وتطويلا وإن الأمر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل الذي ذكرت

فادعوا بدعوة الله إلى ما يحب
 المسلمين المؤمنين عباد الله وقد قدمنا
 هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله
 يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي

وغرته مثل هذه الثمرة التي أشرفت إليها فأقول خذ حذرك البلى ودع تفصيلها واستمع
ما يصح منكم ولولا هذا الإلحاح منكم ما سمعته ولا جرى القلم عنه هذا أبو علي وهو رأس
من رؤسهم وركن من أركانهم واسطوانة من أساطينهم قد حكى عنه الكبار منهم
وأخر من حكى ذلك عنه صاحب نرح القلايد يقول والله لا يعلم الله من نفسه إلا ما يعلم
هو فخذ هذا التصريح حيث لم يكف بذلك التلويح وانظر هذه الجرا على الله التي
ليس بعدها جراحة في الآم أبي علي الويل أين هو يمثل هذا التهنق ويدخل نفسه في هذا
المضييق وهل سمع السامعون بين أجز من هذه العين الملعونة أو نقل الناقلون كلمة تقارب
معنى هذه الكلمة المقتونة أو بلغ مقتضى ما بلغ إليه هذا الخيال الغفور أو وصل من
يفجر في إيمان إلى ما يقارب هذا القصور وكل عاقل يعلم أن أحدنا لو حلف أن ابنه أو أباؤه
لا يعلم من نفسه إلا ما يعلمه هو لكان كاذبا في عينه فاجر افهم لأن كل فرد من أفراد الناس
يفتوى على صفات وغرائز لا يجب أن يطالع عليها غيره ويكره أن يقف على شيء منها سواء
ومن ذا الذي يدري بما يحول في خاطر غيره ويستكن في ضميره ومن ادعى علم ذلك ولله
يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه إلا ما يعلمه
هذا المدعى فهو إما نصاب العقل بهذا بما لا يدري ويتكلم بما لا يفهم وكذب شديد
الكذب العظيم الإقترافان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه فهو الذي يحول بين المرء وقلبه
ويعلم ما توسوس به نفسه وما يسر عباده وما يعنون وما ينظرون وما يمكنون كما أخبرنا
بذلك في كتابه العزيز في غير موضع فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما لا يعلمه
الإله سبحانه من عباده فاطنك بمن جاوز هذا وتعداه وأقسم بالله أن الله لا يعلم من نفسه
إلا ما يعلمه هو ولا يصح أنما أن نحمله على اختلاف العقل فلو كان مجنوناً لم يكن رأساً
يقندي يقول جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده ويتلون كلامه في الذفات ويحكون
عنه في مقامات الاختلاف ولعل أتباع هذا ومن يقندي عذبه لو قال لهم قائل أو ورد
عليهم سمعوا رد قول الله عز وجل ولا يحيطون به علماً وقوله ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما
شاء وقال لهم هذا إذ دعا قائلهم ويدل على أن عينه هذه فاجرة معترة ألقاها هذا أو نحوه
مما يدل دلالة وبمقدم مفاد من المتشابه الواردة على خلاف دليل العقل المدفوع بالاصول
المقررة وبالجمل فاطالة نزول الكلام في مثل هذا المقام اضاعة للآوقات واشتغال
بمحكاية الحرافات الميكات لا المنهج محكات وليس مقصودنا ههنا إلا رشاد السائل إلى أن
المذهب الحق في الصفات هو أمرها على ظاهرها من دون تأويل ولا تحريف ولا تكلف
ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وإن ذلك هو مذهب السلف الصالح الصحابة
والتابعين وتابعيهم فإن قلت وماذا أتريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكثر زها فان
أهل المذاهب الإسلامية يتنزهون عن ذلك ويتجاشون عنه ولا يصدق بمعناه في جسد
مبدولة إلا في طائفة من طوائف اليكافار وهم المنكرون للصانع قلت يا هذا إن كنت ممن
له الميام يعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الإسلام فإنه لا محالة قد رأيت
ما يقوله كثير منهم ويدكرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم إن الله سبحانه وتعالى

خلقكم والذين من قبلكم لعلكم
تتقون من سورة البقرة ولهذا قال
ليكون الرسول شهيديا عليكم
وتكفونوا شهداء على الناس أي

وقد قدس لاهو وجسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجة فأنشدك الله أي
عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النبي وأي مبلغ في الدلالة على هذا النبي تقوم مقام هذه
المبلغ فكان هؤلاء في فرارهم من شبه التشبيه إلى هذا التعطيل كما قال القائل
مكنت كالساعي إلى متعب * موائل من سبل الراعد

أو كالسجير من الرضاء بالنار والهارب من لسعة الزنبور إلى لدغة الحية ومن قرصة
النملة إلى قضة الاسد وقد كان يعني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلمين كلتيهما من
كتاب الله تعالى وصفهم ما نفسه وأنزلهم على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخملا ولا
يحيطون به علما وليس كذلك شي فإن هاتين الكلمتين قد اشتقنا على فصل الخطاب
وتضعف ما يعني أولى الالباب السالكين في ذلك الشعب والشعب الصاعد في
متوعدات هاتيك العقاب فالكلمة الأولى متهمادلت دلالة بيته على ان كل ما تكلم به
البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعوى التحقيق فهو مشوب بشبهة
من شعب الجهل محل مخلوط بحلوه هي مناقية العلم بما يشبهه فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم
لا يحيطون به علما فنزعم ان ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على
الاحاطة وقد نفتحت عن كل فرد لان هذه القضية هي في قوة لا يحيط به فرد من الافراد علما
فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل امامن كل وجه أو من بعض الوجوه وما
صدر عن جهل فهو مضاف إلى جهل ولا سيما اذا كن في ذات الله وصفاته فان ذلك من
الخطاير بالبين ما لم يكن في غيره من المسائل وهذا يعلمه كل ذي علم ويعرفه كل عارف ولم يحظ
بقائده هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من غيراتها الاممرون للمصافات على ظاهرها
المرحون أنفسهم عن التكلمات والتعصفات والتأويلات والتعريضات وهم السلف
الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بعدم الاحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله
وقالوا الله أعلم بكيفية ذاته وما هي صفاته بل العلم كله وقالوا كما قال من قال من اشتغل
بطلب هذا الحال فلم ينظر بغير القيل والقال

العلم الرحمن جل جلاله * وسواه في جهلانه يتغمغ

ما للتراب وللعلوم وانما * يسعى ليعلم الله لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلمين بانهم لم يستقدم تكلفه وعدم وقوعه بما تقع به السلف
الصالح الا بمجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلمين فقال

وقد طفت في تلك المعاهد كلها * وسرحت طرفي بين تلك العالم

فلم أرا الا واضعا كف حائر * على ذقن أو قارعا س نادم

وهذا أنا أخبرك عن نفسي وأوضح لك ما وقعت فيه في أمسي فاني في أيام الطلب
وعقبوان الشباب شغلت بهذا العلم الذي سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة
علم أصول الدين وأكبت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ومرت الرجوع بقائده
والعود بعائته فلم أظفر من ذلك بغير الحيرة وكان ذلك من الاسباب التي حبت
إلى مذهب السلف على اني كنت من قبل ذلك عليه ولكن أردت أن أرد انهم بصيرة وبه

اتجاجعنا كم هكذا أمة وسطا عدلا
خيارا مشهودا بعد التكم عند
جميع الامم لتكونوا يوم القيامة
شهداء على الناس لان جميع الامم

شغافا وقت عند النظر في تلك المذاهب

وعناية ما حصلته من مباحثي * ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف ما بين الطرفين حيرة * فاعلم من لم يلق غير التحير
على اني قد خضت منه غماره * وما قنعت نفسي بدون التجهر

وأما الكلمة الثانية وهي ليس كذلك شيء فيها استفادني المماثلة في كل شيء في دفع هذه
الأيض في وجه المجردة ويعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع والبصير وعند ذكر
السمع والبصر واليد والاستواء وتعود ذلك مما اشتمل عليه القرآن والسنة فتقرر بذلك
الانبات لتلك الصفات لاعلى وجه المماثلة والمساوية للمخلوقات فيندفع به جاني الافراط
والتقريط وهما المبالغة في الانبات المقضى الى التجسيم والمبالغة في النقي المقضية الى
التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو الطرفين حقيقة مذهب السلف الصالح وهو قولهم
بأنبات ما أثبت لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو فانه القائل ليس كذلك شيء وهو
السميع البصير ومن بجله الصفات التي أمرها السلف على ظاهرها وأجرها على ما جاء به
القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التي ذكرها السائل فانهم
يقولون نحن نثبت ما أثبت الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها الا هو وفي
كيفية لا يدري بها سواه ولا تكلف أنفسنا غير هذا فلا نسكت له شيء لافي ذاته ولا في صفاته
ولا يحيط عباد به علما وهكذا يقولون في مسئلة الجهة التي ذكرها السائل وأشار الى بعض
ما فيه لبس عليها والادلة في ذلك طويلة كثيرة في الكتاب والسنة وقد جع أهل العلم منها
لا سيما أهل الحديث مباحث طويلة لها بدكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقعت من
ذلك على مؤلف بسيط في مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي استوفى فيه كل ما فيه
دلالة على الجهة من كتاب أو سنة أو قول صاحب والمسئلة أوضع من أن تلبس على
عارف أو بين من أن يحتاج فيها الى التطويل ولكن الما وقعت في تلك القلائل والزلازل
الكامنة بين بعض الطوائف الاسلامية كثر الكلام فيها وفي مسئلة الاستواء وطال
خصوصا بين الجانبين وغيرهم من أهل المذاهب فلهي في ذلك تلك الفتن الكبرى والملاحم
العظمى وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر والحق هو ما عرفناك من مذهب السلف الصالح
فلاستواء على العرش والكون في تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم في مواضع كثيرة
حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير حديث
بل هذا مما يجده كل فرد من افراد المسلمين في نفسه ويحسه في فطرته ويتجده اليه طبيعته
كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه والحق اليه ووجه أدعيته الى جنبه الرفيع وعز
المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يرمي الى السماء بطرفه ويستوى في ذلك عند عروض
اسباب الدعاء وحدثت بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات التزجاج وظهور ودواعي
الالتماع عالم الناس وجواهرهم والمأشى على طريقة السلف والمقتدى بها ل التأويل القائمين
بان الاستواء هو الاستيلاء كما قاله جمهور المتأولين أو الاقبال كما قاله أحد بن يحيى ثعلب
والزجاج والفراء وغيرهم أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون فالسلامة والنجاة في
أمر ذلك على الظاهر والأدعان بالاستواء والكون على مناطق به الكتاب والسنة من

معرفة يومئذ بسبب ادتها وفضلها
على كل أمة سواها فلها هذا القبول
شهادتهم عليهم يوم القيامة أن

دون تكليف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا فضول في شيء من المقال فن جاوز هذا المقدار
بافراط أو قفر يط فهو غير معتد بالسلف ولا واقف في طريق الحياة ولا معتصم عن الخطأ
ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكما نقول هكذا في الاستواء والكون في تلك
الجهة فكذلك نقول في مثل قوله سبحانه وهو معكم أيما كنتم وقوله ما يكون من نجوى
ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم وفي نحو ان الله مع الصابرين ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون الى ما يشابه ذلك وما يناله ويقاربه ويضارعه فيقول في مثل هذه
الآيات هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ولا تكلف بناو بل ذلك كما يتكلف غيرنا
بان المراد من ذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فان هذه شعبة من شعب التأويل
تختلف مذاهب السلف وتباين ما كان عليه العناية والتابعون والتابعون هم
واذا انتهيت الى السلا * معة في سد الفلا تحاوز
وهذا الحق ليس به خفاء * فدعني من نبات الطريق

وقد هلك المتطعون ولا يهلك على الله الا هلك وعلى نفسه ما اقرضتني وفي هذه الجملة
وان كانت قليلة ما يغني من يسخ يد يسد ويحصر عليه عن تطويل المقال وتكثير ذنوبه
وتوسيع دائرة ذروعه وأصوله والمهمدي من هذه الله والله أعلم انتهى (الرجن) خبر مبتدأ
محذوف أي هو الرجن أو بدل من الضمير في استوى وقري بالجر على انه نعت للغي أو
للموصول وقيل أو مبتدأ وخبره (فاسأل به خبيراً) على رأى الاخفش والضهير الجزر يعود
الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش والمعنى فاسأل بتفاصيل
ما ذكر ارجالنا من هذه الامور عليها وقال الزجاج والافشس الباهية عن أي فاسأل
عنه كقوله سأل سائل بعذاب واقع والمراد بالخبر الله سبحانه لانه لا يعلم تفاصيل تلك
المخاوف الا هو وقيل جبريل عليه السلام والاولى وما قيل ان التقدير ان شككت
فيه فاسأل به خبيراً على ان الخطاب له صلى الله عليه وآله وسلم والمراد غيره فهو معزول من
السادد وقيل فاسأل به من وجده في الكتب المتقدمة ليصدق فيه وقيل الضهير للرجن
أي ان أنكره والاطلاق عليه سبحانه فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا حجة
ما يردفه في كتبهم وانتصاب خبيراً على المفعولية أو على الحال المؤكدة واستضعف الحالية
أو البقاء وقال ابن جرير المعنى فاسأل حال كونه خبيراً وعلى هذا البناء في هذا وقيل قوله
به يجرى مجرى القسم كقوله واتقوا الله الذي تسالون به والوجه الاول أقرب هذه الوجوه
ثم أخبر سبحانه عنهم بانهم جهلوا معنى الرجن فقال (واذا قيل لهم اسجدوا للارض قالوا
وما الرجن) قال المنسرون انهم قالوا ما نعرف الرجن الارجن البامة يعنون بمسألة قال
الزجاج الرجن اسم من أسماء الله فلما سمعوه أنكره واقضوا وما الرجن (أنسجد)
الاستفهام لانكار رأى لانسجد (لما تأمرنا) أي للرجن الذي تأمرنا بالسجود له ومن قرأ
بالتحفة فالعنى أنسجد لما تأمرنا محمد بالسجود له قبل هذه السجدة من عزائم السجود
فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند سماعها وقرأتها (وزادهم) الامر بالسجود
(فقورا) عن الدين وبعد اعتمه وقيل زادهم ذكر الرجن تباعداً من الايمان كذا قال
مقاتل والاول اولى ثم ذكر سبحانه ما لو تنكروا فيه لعرفوا وجوب السجود للرجن فقال

الرسول بلغتهم رسالة ربهم والرسول
شهد على هذه الامة أنه بلغها
ذلك وقد تقدم الكلام على هذا

(تبارك الذي جعل في السماء بروج) المراد به بروج النجوم السبعة السيارة أي منازلهم ومجالها الاثنا عشر التي تسمى فيها وقال الحسن وقتادة ومجاهد هي النجوم الكبار سميت بروجها والاول اولي وأصل البروج القصور والعالية لانها الكواكب كالمنازل الرقيقة لمن يسكنها واشتقاق البروج من التبرج وهو الظهور وقال الزجاج ان البرج كل من تنفع فلا حاجة الى التشبيه أو النقل قال ابن عباس في الآية هي هذه الاثنا عشر برجاً ولها الجمل ويسمى بالكيش ثم الثور ثم الجوزاء ثم السرطان ثم الاسد ويسمى بالبيت ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب ثم القوس ثم الجدى ثم الدلو ويسمى بالدالي ثم الحوت وقد نظمها بعضهم في قوله

جمل الثور جوزة السرطان * ورى البيت سنبل الميزان

ورى عقرب بقوس جدى * نزع الدلو بركة الحيتان

وهي منازل الكواكب السيارة السبعة المخرج قوله الجمل والعقرب والزهرة ولها الثور والميزان وعطارد وله الجوزاء والسنبلة والقمر وله السرطان والشمس ولها الاسد والمشتري وله القوس والحوت وزحل وله الجدى والدلو قاله الخليل وقد نظم بعضهم هذه السبعة بقوله

زحل شمرى مريخه من شمس * فتزاهرت لعطارد الاقمار

فزحل نجم في السماء السابعة والمشتري نجم في السماء السادسة والمريخ نجم في السماء الخامسة والشمس في الرابعة والزهرة في الثالثة وعطارد في الثانية والقمر في الاولى والحاصل ان خمسة من الكواكب السبعة أخذت عشرة بروج كل واحد أخذ اثنين وان اثنين من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما مأخوذوا من البروج المذكورة (وجعل فيها سراجاً) أي شمساً ومنه قوله وجعل الشمس سراجاً وقرئ سراجاً بالجمع أي النجوم العظام الواقعة درج الاولى أبو عبيد وقال الزجاج في تأويل الثانية أراد الشمس والكواكب (وقرأ نبرا) أي ينير الارض اذا طلع وقرئ في بعض النسخ واسكان الميم وهي قراءة ضعيفة شاذة وخص القمر بالذ كر لنوع فضيلة عند العرب لانها تبنى السنة على الشهور القمرية (وهو الذي جعل الليل والنهار خليفة) قال أبو عبيد الخليفة كل شيء بعينه الليل خليفة للنهار والنهار خليفة لليل لان أحدهما يخلف الآخر ويأتي بعده ومنه خليفة النبات وهو ورق ينخرج بعد الورق الاول في الصيف قال الفراء يقول يذهب هذا ويحيى هذا وقال مجاهد وابن عباس خليفة من الخلف هذا أبيض وهذا أسود والاول أقوى وقيل يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان وقيل هو من باب حذف المضاف أي جعل الليل والنهار ذوى خليفة أي اختلاف قال ابن عباس وعمر الحسن يقول من فاته شيء من الخير بالليل أن يعمله أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل وعن الحسن ان عمر أطل صلاة الضحى فقبل له صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه فقال انه بقي على من وردى شيء فاحببت أن أمته أو قال أقضيته وتلا هذه الآية (لمن اراد أن يذكرك) مشدداً من التذكرك الله وقرئ مخففاً من التذكرك والمعنى أن المتذكر

عند قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطاً تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً

المعتبر اذا نظر في اختلاف الليل والنهار علم انه لا يفي انتفاعهما من حال الى حال من تأكل
وقيل المعنى يند كرفيع علم ان الله لم يجعلهما كذلك عبيد عبيد في مصنوعات الله وشكره
سبحانه على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم قال القراء يند كرو يند كرو يند كرو يند كرو يند كرو
قال الله تعالى واذا كروا ما فيه وفي حرف عبد الله يند كروا ما فيه (أو أروا ما كروا) أي أراد
أن يشكر الله على ما أودع في الليل والنهار من النعم العظيمة والالطاف العظيمة وأودع
للتقسيم والتنويع وهي منافع خلقه فيكون الجمع (وعبد الرحمن الذين يشنون على الأرض
هونا) هذا كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف صالحة عباد الله سبحانه وأحوالهم
المتنوعة والآخر به بعد بيان حال المنافقين قبل هذه الاضافة للتخصيص والتشريف
والتفضيل والافاضة لكونهم عباد الله وعونه مصدر وهو الكينة والتواضع والوقار وقد
ذهب جماعة من المفسرين الى ان اليون متعلق بيشون أي مشاهونا قال ابن عطية
ويشبه أن يتأول هذا على ان يكون اخلاق ذلك المشايخ هونا نسبة المشايخ وأما أن
يكون المراد صنعة المشي وحده فباطل لأنه يرب ما شوهوا زوربا وذهب أطلس وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتكلم في مشيبه كتمان شي في صلب قال ابن
عباس في الآية هم المؤمنون الذين يشنون على الأرض هونا أي بالتواضع والعفاف
والتواضع وقال أيضا هونا أي على الوجه والمعنى يشنون بالكينة والوقار وتواضعين
غير أشربين ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء محكمات محجبات وقار وعفة ولذا كره بعض
العلماء الركوب في الاسواق لقوله ويشي في الاسواق (وإذا خطبهم الجاهلون قالوا
سلاما) ذكر سبحانه أنهم يتحملون ما يرد عليهم من اذى أهل الجليل والسفه فلا يجبهون مع
من يجبه ولا ينافهون أهل السفه قال النحاس ليس هذا السلام من التسليم إنما هو
من التسلم تقول العرب سلاما أي تسلما من أي براعة منك يعني قالوا السلاما وهدا
على قول سيبويه أو مقول به أي قالوا هذا اللفظ ورجعه ابن عطية وقال يجاهد معني
سلاما إذا أي يقولون للجاهل كلاما يدفعه برفق ولين قال سيبويه لم يؤمر المسلمون
بومئذ أن يسلموا على المشركين لكنه على معنى قوله تسلموا بكم ومنازكة لا خير ولا شر
بيننا وبينكم قال المبرد كل ينبغي ان يقال لم يؤمر المسلمون بومئذ يجربهم ثم أمر وأبحر بهم
وقال محمد بن يزيد المبرد خطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة قال النحاس ولا تعلم سيبويه
كلاما في معنى النسخ والنسخ الا في هذه الآية لأنه قال في آخر كلامه فسختها آية
السف وأقول هكذا يكون كلام الرجل اذا تكلم في غير علمه وشي في غير طرقتة ولم
يؤمر المسلمون بالسلام على المشركين ولا نهوا عنه بل أمر وأباح الصغ والمهجر الجليل فلا
حاجة الى دعوى النسخ وفي الخطيب عن أبي العالية نسخها آية القتال ولا حاجة الى ادعاء
النسخ بها ولا غيرها لأن الاغضاء عن السفها وتركه المبالاة منسحق في الادب والمرواة
والسرعة وأسلم للعرض والورع وقال ابن العربي لم يؤمر المسلمون بومئذ أن يسلموا
على المشركين ولا نهوا عن ذلك بل أمر وأباح الصغ والمهجر الجليل وقد كان عليه الصلاة
والسلام يقف على أيديهم ويحييهم ويدانهم ولا يدايهم قال النضر بن شميل حدثني

وذكرنا حديث نوح وأمتجما
أغنى عن اعادته وقوله فاجبر الصلاة
وأوالزكاة أي فاجبروا هذه النعمة

الخليل قال أتيت أباي بيعة الاعرابي وكان من أعلم من رأيت فآذاه على سطح قسنا فرد
 علينا السلام وقال لنا استروا قبينا متحيرين ولم يندم ما قال فقلنا اعرابي الى جنبه
 أمر كمن ترتفعوا قال الخليل هو من قول الله ثم استوى الى السماء فصعدنا اليه فقال
 هل لكم في خير فطير ولبن حبيب فقلنا الساعة قارقاه فقال سلاما فلم يندم ما قال فقال الاعرابي
 انه سالككم متشارك لا خبير فقيموا ولا شر قال الخليل هو من قول الله عز وجل واذا خاطبهم
 الجاهلون قالوا سلاما قال الحسن هذا وصف نهارهم ثم وصف ليهم بقوله (والذين يبيتون
 لربهم سجدا) على وجوههم (وقياما) على أقدامهم بيان لخالهم في معاملة الخلق بعد بيان
 حالهم في معاملة الخلق وتخصيص اليقظة لان العبادة بالليل أحض وأبعد عن الرياء
 وتأخير القيام لفائدة الصلاة واليقظة هي أن يدرك الليل نمت أم لم تنم قال الزجاج من أدركه
 الليل فمديبات نام أو لم ينم كما يقال بات فلان قلنا قال النبي والظاهر أنه وصفهم بأحياء
 الليل أو أكثره (والذين يبولون ربنا صرف عنا عذاب جهنم ان عذابا كان غراما) أي
 لزوما كيا في حق الكفار ولزوما بعد ما طلاق الى الجنة في حق عصاة المؤمنين أي هم مع
 طاعتهم وحسن معاملتهم لخالقهم وخلقه لا يأمنون مكر الله بل هم مشفقون وجلون
 خائفون من عذابه والغرام الشر اللازم الدائم قاله ابن زيد كأورد من فروع الله صلى الله
 عليه وآله وسلم ومنه سمي القريم ملازمته ويقال فلان مغرم بكذا أي ملازم له ولعل به
 هذا معناه في كلام العرب كما ذكره ابن الاعرابي وابن عرفة وغيرهما وقال الزجاج الغرام
 أشد العذاب وقال أبو عبيدة هو الهلاك الدائم (انها ساءت) تعليل لما قبلها أي بنيت
 جهنم وأخرت أصحابها وأدخلها (مستقرة ومقاما) المراد ما جهنم فلذلك جازت أن يث
 فعله قيل هما مترادفان وانما عطف أحدهما على الآخر لاختلاف لفظهما وقيل بل هما
 مختلفان معنى فالاستقرار للعصاة فانهم يخرجون والمقام للكفار فانهم يتحدون والخصوص
 بالنهم محذوف أي هي ويجوز أن يكون هذا من كلام الله سبحانه ويجوز أن يكون حكاية
 أسلاكهم ثم وصفهم سبحانه بالتوسط في الانفاق فقال (والذين اذا أنفقوا) على عيالهم
 (لم يسرفوا ولم يقتروا) يفتح التثنية وضم النونية من قتر بقتر كقعد بقعد وقري بفتح التثنية
 وكسر التاء وهي لغة معروفة حسنة وقري بضم التثنية وكسر القوقية قال أبو عبيدة يقال
 قتر الرجل على عياله يكثر ولا يكثر قترا وأقتر بقتر اقتارا ومعنى الجميع التضيق في الانفاق قال
 النحاس من أحسن ما قيل في معنى الآية أن من أنفق في غير طاعة الله فهو الاسراف ومن
 أمسك عن طاعة الله فهو الاقتار ومن أنفق في طاعة الله فهو القوام وقال ابراهيم الخفي
 هو الذي لا يجتمع ولا يعرى ولا ينفق نفقة تقول الناس قد أسرف وقال يزيد بن حبيب
 أولئك أصحاب محمد كانوا لا يكون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا
 يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقومهم على عبادة الله ومن اللباس ما يستر
 عورتهم ويقيم الحار والبرد وقال أبو عبيدة لم يزيدوا على المعروف ولم يبخاوا كقولهم ولا
 تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط قال ابن عباس هم المؤمنون لا يسرفون
 فينفقة وفي معصية الله ولا يقترون فيمنعوا حق الله قال عمر بن الخطاب كفى سرفا

العظيمة بالقيام بشكرها فأدوا حق
 الله عليكم في أداء ما افترض وطاعة
 ما أوجب وترك ما حرم ومن أهم

أن لا يستهي شيأ الاشتهاء أو كراهة وقيل الاسراف بجملة الخلفى الانفاق حتى يدخل في
 حد التبذير والافتقار التقصير عما لابد منه (وكان بين ذلك قولما) بفتح القاف وقرئ بكسر
 فقليل هما معني وقيل القوام بالكسر ما يدوم عليه الشيء ويستقر والفتح العدل والاستقامة
 قاله ثعلب وقيل بالفتح العدل بين الشئين وبالكسر ما يقام به الشئ لا يفضل عنه ولا ينقص
 وقيل بالكسر السداد والمبلغ واسم كان مقدراً فيها وخبرها قولما قاله الفراء أى كان
 انفاقهم قصد اوسطا بين الاسراف والافتقار وحسنه بين السبطين وروى عن الفراء قول
 آخر وهو أن اسم كان بين ذلك وقبى بين على الفتح لانها من الظروف المتوحشة وقال النحاس
 ما أدري ما وجه هذا الآن بينما اذا كانت في موضع رفع رفعت (والذين لا يدعون مع الله الها
 آخر) لما فرغ من ذكر آياتهم بالطاعات شرع في بيان اجتنابهم للمعاصي والمعنى لا يدعون
 معهم باس الا رباب ولا يشركون به شيأ بل يوحده ويخلصون له العبادة والدعوة وقد
 أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 أى الذنب اكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ان تقتل ولداً خشيته أن
 يطعم معك قلت ثم أى قال ان ترى بجليه جارية فآثرل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون
 مع الله الآيات وأخرج الشيخان وغيرهما أنبأ عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك قد
 قتلوا كافراً وورثوا كافراً ثم واثموا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ان الذى تقول
 وتدعوا اليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملناه كفارة فنزلت والذى لا يدعون الآيات ونزلت
 قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم الآيات (ولا يقتلون النفس التى حرم الله) قتلها
 بسبب من الاسباب (الاباحق) أى بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها أى بما يحق أن
 تقتل به النفس من كفر بعد ايمان أو زنا بعد احصان أو قتل نفس بغير نفس (ولا تزنون)
 أى لا يستحلون الفروج المحرمة بغير نكاح ولا ملاءمة (ومن يفعل ذلك) أى شيأ مما ذكر
 (يلقى ألاماً) هو فى كلام العرب العقاب قال الفراء أتمه الله نوبته ألاماً أى جازاه جزاء
 الاثم فهو مأثوم أى مجزى جزاء الاثم وقال عبد الله بن عمرو عن مسروق بن عمار أن ألاماً
 فى جهنم جعله الله عقاباً للكفرة وقال السدى جبل فيها وقرئ يلقى بضم الياء وثبتت
 القاف قال أبو مسلم الاثم والاثم واحد والمراد هنا جزاء الاثم فاطلاق اسم الشئ على
 جزائه وقرأ الحسن اياماً جمع يوم يعنى شداً والعرب تعبر عن ذلك بالايام ومأثراً هذه
 القراءة تصح عنه (بضاعف) وقرئ بضعف بالثاء يدوكل من الفراء تزيىجى مع جزم
 الفعل ورفعها فقرأت أن أربع وكلها سبعة وقرئ بضعف بضم النون وكسر العين المشددة
 والحزم (له العذاب يوم القيامة) سبب المضاعفة ان المشرئ اذا ارتكب المعاصي
 مع الشرك بضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويخذل) وقرئ بالفوقية
 خطاباً للكافر وقرئ يخذل بضم الياء وفتح اللام قال أبو على القاسمى وهى غلط من جهة
 الرواية وضمير (قبحه) راجع الى العذاب المضاعف وقرئ فيها بالاشباع مبالغته في
 الوعيد والعرب تمد للمبالغة مع أن الاصل فى هاء الكتابة الاشباع (مهاناً) ذليلاً حقيراً
 جامعاً للعذاب الجسدى والروحانى قال ابن عباس قرأنا هاهنا على عهد رسول الله صلى الله

ذلك أقام الصلاة وابتداء الزكاة وهو
 الاحسان الى خلق الله بما أوجب
 للعبادة على النفس من اخراج جزء

عليه وآله وسلم سمن ثم نزلت (الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا) فصار آت رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم فرح بشئ قط فرحهم وأفرجه ما فاحتسالك فتحا بينا قيل
والاستثناء متصل من الضمير المستتر في يلق أي الامن تاب فلا يلق أي ما بل يراد في
الاصكرام بتبديل سميّا حسنات وقيل منقطع قال أبو حيان لا يظهر الاتصال لان
المستثنى منه محكوم عليه بأنه يضاعف له العذاب فيصير التقدير الامن تاب وآمن وعمل
صالحا فلا يضاعف له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب الغير المضعف
قال والأولى عندي أن يكون منقطعاً أي لكن من تاب قال القرطبي لأخلاف بين
العلماء أن الاستثناء عام في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين وقد تقدم
بيان في المسألة والاشارة بقوله (فأولئك يبدل الله سميّا حسنات) الى المذكورين
سابقا ومعنى تبديلها حسنات أنه يجمعونهم سوابق المعاصي بالآية وبثبت لهم مكانها
لواجب الطاعات قال النحاس من أحسن ما قيل في ذلك أنه يكتب موضع كافر مؤمن
وموضع عاص مطيع قال الحسن قوم به ولون هذا التبديل في الآخرة وليس كذلك إنما
التبديل في الدنيا يبدل الله لهم إيماناً مكان الشرك وإخلاصاً مكان الشك وإحساناً مكان
الفسور وقتل المشرك مكان المؤمن قال الزجاج ليس يجعل مكان السيئة الحسنه ولكن
يجعل مكان السيئة التوبة والحسنة مع التوبة وقيل إن السيئات تبدل الحسنات وبه
قال جماعة من الصحابة ومن بعدهم وقيل تبدل ملكة المعصية ودواعيها في النفس
بملكه الطاعة بانزيل الأولى وبأى بالثانية مكانها وقيل التبديل عبارة عن الفران
أي بغير الله لهم تلك السيئات لانه يبدلها حسنات قلت ولا يعنى كرم الله تعالى إذا
صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ
وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقال ابن عباس أبدلهم الله بالكفر
الاسلام وبالمعصية الطاعة وبالنكار المعروف بالجهالة العلم وعنه قال هم المؤمنون
كانوا من قبل إيمانهم على السيئات فرغب الله بهم عن ذلك فحولهم الى الحسنات فابدلهم
مكان السيئات الحسنات وأخرج أحمد وهناد والترمذي وابن جرير والبيهقي عن أبي
ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا
عليه صغارتوه فيعرض عليه صغارتها ويخفى عنه كبارها فيقال علمت كذا وكذا
وهو يقول ليس بشكر وهو مشفق من الكبار أن يخفى فيقال اعطوه بكل سيئة عملها حسنة
والاحاديث في تكفير السيئات وتبديلها بالحسنات كثيرة (وكان الله غفورا رحيما)
مقررة لما قبله من التبديل وتكفير السيئات بالحسنات أي لم يزل متصف بذلك (ومن
تاب) عن المعاصي بتركها والتسليم عليها (وعمل صالحا) يتلاقى به ما فرط (فانه
يتوب) يرجع (الى الله تائباً) رجوعاً صحيحاً مريضاً قوياً عند الله ما حيا العقاب محصلاً
للثواب وأمثاباً الى الله الذي يحب التائبين ويحسن اليهم وأفانه يرجع الى الله وإلى ثوابه
مرجعاً حسناً وهذا تعميم بعد تخصيص قال القفال يحتمل أن تكون الآية الأولى
فمن تاب من المشركين ولهذا قال الامن تاب وآمن ثم عطف عليه ومن تاب من المسلمين

نزل من ماله في السنة للضعفاء
والخارجين كما تقدم بيانه وتفصيله
في آية الزكاة من سورة التوبة

وأصبح توبته عمل صالحا فله حكم التائبين أيضا وقيل أي من تاب بلسانه ولم يحقق
 التوبة بفعله فليست تلك التوبة نافعة بل من تاب وعمل صالحا حقق توبته بالأعمال
 الصالحة فهو الذي تاب الى الله متابا أي تاب حق التوبة وهي النصوح ولذلك أكد
 بالمصدر ومعنى الآية من أراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فالخبر في معنى الامر
 كذا قيل للاتباع الشرط والجزاء فانه لا يقال من تاب فانه يتوب وقيل المعنى من تاب
 من الشرك وأدى الفرائض عن لم يقتل ولم يرت فانه يعود الى الله بعد الموت حسنا يفضل
 على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الاولى رجوع عن الشرك والثانية رجوع الى الله العزاء
 والمكافاة الاول أولى ثم وصف سبحانه هؤلاء التائبين العاملين للصالحات فقال (والذين
 لا يشهدون الزور) أي لا يقيمون الشهادة الكاذبة أو لا يحضرون الزور وهو الكذب
 والباطل ولا يشاهدونه والى الثاني ذهب جمهور المفسرين قال الزجاج الزور في اللغة
 الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله قال الواحدي أكثر المفسرين على أن الزور ههنا
 بمعنى الشرك والحاصل ان يشهدون ان كان من الشهادة في الكلام مضاف مخدوف أي
 لا يشهدون شهادة الزور وان كان من الشهود والحضور كما ذهب اليه الجمهور فقد اختلفوا
 في معناه فقال قتادة لا يساعدون اهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية
 لا يحضرون الله والقرآن وقال ابن جرير الكذب وعن مجاهد أيضا وقيل ينفرون
 عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يقربونها تنزهها عن مخالطة الشر وأهله
 وقيل أعياد المشركين وقيل الزواح والاولى عدم التخصيص بنوع دون نوع من أنواع
 الزور بل المراد الذين لا يحضرون ما يصدق عليه اسم الزور كإثامها كان وعن
 ابن عباس قال ان الزور كان صفة بالمدينة يلعبون حوله كل سبعة أيام (وإذا همروا بالغز)
 على سبيل الاتفاق من غير قصد (مروا كراما) أي معرضين عنه غير ملتفتين اليه مكرمين
 أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الانغماس عن القواحش والصفح عن
 الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به قال ابن عباس كان أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وآله وسلم إذا همروا به يعني الصتم المذكور مروا كراما لا ينظرون اليه كقوله
 وإذا همروا للغوا عرضوا عنه وقال الباقر إذا ذكروا الفروج كشوا عنها وقيل الستم
 والاذي واللغو كل ساقط من قول أو فعل قال الحسن اللغو المعاصي كلها وقيل المراد
 مروا بذوي اللغو يقال فلان يكرم عما يشينه أي يتزهو بكرم نفسه عن الدخول في اللغو
 والاختلاط باهله (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) أي بالقرآن أو بنفسه من موعظة
 وعبرة (لم يتخروا) أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها حال كونهم (صما وعيانا) ولكنهم أكبوا
 عليها سامعين بصيرين بآذان واعية وعيون راعية واتفقوا بها قال ابن قتيبة المعنى
 لم يتغافلوا عنها كأنهم سمع لم يسمعوا وعي لم يبصروها قال ابن جرير ليس ثم خور بل كما
 يقال قعد يكي وان كان غير قاعد قال ابن عطية كان المشفع للذ كرفاع فإذا أعرض
 عنه كان ذلك خروا وهو السقوط على غير نظام قبل المعنى إذا تليت عليهم آيات الله وحلت
 قلوبهم ففروا سجدا وبكوا ولم يتخروا عليها صما وعيانا قال القراء أي لم يقعدوا على حالهم

وقوله واعتصموا بالله أي اعتصموا
 بالله واستعينوا به وبكوا عليه
 وتأيدوا به هومولا كم أي حافظكم

الاول كان لم يسمعوا قال في الكشف ليس ينبغي للثغور وانما هو اثبات له ونفى للصم
والعمي وأراد أن النبي متوجه الى القيد لا الى المقيد (والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا) من ابتدائية أو بانية قاله الرخصي (وذرنا) قري بالجمع وبالأفراد وهما
سبعينان والذرية تقع على الجمع كما في قوله ذرية ضعافا وتقع على الفرد كما في قوله ذرية طيبة
(قرة عين) يقال قربت عينه قرة قال الزجاج يقال أقر الله عينك أي صادف قوادك
ما تحبه وقال المفصل في قرة العين ثلاثة أقوال أحدها بردها اليها لئلا يلدل السرور
والضحك كان حره دليل الحزن والغم والثاني فومها لانه يكون مع فراغ الخاطر وذهاب
الحزن والثالث حصول الرضا قال ابن عباس يعنون من يعمل بالطاعة فتقر به أعيننا في
الدينا والآخرة فإنه ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله
عز وجل فيطمع أن يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك (واجعلنا للمتقين
اماما) أي قدوة يقتدى بنافي الخمر وإقامة مراسم الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل
الصالح وانما قال اماما ولم يقل أئمة لأنه أراد به الجنس كقوله ثم يخرجكم طفلا قال القراء
قال اماما ولم يقل أئمة قاله للثنين ان رسول رب العالمين يعني أنه من الواحد الذي أريد به
الجمع وقال الاخفش الامام جمع أم من أم يؤم جمع على فعال نحو صاحب وصحاب وقائم
وقيام وقيل ان اماما مصدر يقال أم فلان فلانا اماما مثل الصيام والقيام وقيل ارادوا
اجعل كل واحد منا اماما وقيل ارادوا اجعلنا اماما واحدا لاتحاد كلمتنا واتفاق
طريقتنا وقيل انه من الكلام المقالوب وان المعنى واجعل المتقين لنا اماما وبه قال مجاهد
وقيل ان هذا الدعاء صادر عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعاء
واجعلني للصديق اماما ولكن احكيت عبارات القوم بصيغة المتكلم مع الغير لقصد اليجاز
كقوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فاني هذا ابقاء اماما على حاله قال
القفال وعندى ان الامام اذا ذهب به مذهب الاسم وحده قيل اجعلنا حجة للمتقين
ومثله البيه يقال هؤلاء بيته فلان قال الحفناوى ولفظ امام يستوى فيه الجمع وغيره
فالمطابقة حاصله قال النيسابورى قيل في الآية دلالة على أن الرئاسة الدينية مما يجب أن
تطلب ويرغب فيها والا قرب انهم سألوا الله أن يبلغهم في الطاعة المبلغ الذي يشار اليه
و يقتدى بهم وقال ابن عباس في الآية أئمة هدى يمدى بنا ولا تجعلنا أئمة ضلالة لانه قال
لاهل السعادة وجعلناهم أئمة يمدون بأمرنا ولاهل الشقاوة وجعلناهم أئمة يدعون الى
النار (أو أولئك) إشارة الى المتصفين بتلك الصفات المفصلة في حيز الموصلات الثمانية من
حيث انصافهم بها وفيه دلائل على انهم مقفون بذلك لكل تميز ومتنظمون في سلك الامور
المشاهدة وهو مبتدأ وشبهه ما بعدهما بالجهة مستأنفة وقيل غير ذلك (يجزون الغرفة) أي
الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها كما ان الغرفة أعلى مساكن الدنيا وهي في
الاصل كل بناء مرتفع والجمع غرف وقال الضحاك الغرفة الجنة أي يجزون الجنة ووجد
الغرفة لئلا تلحقها على الجنس دليل قوله وهم في الغرفات آمنون وعن سهل بن سعد عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال الغرفة من ياقوتة حمراء وزر برجلة خضراء ودرية بيضاء

وناصرهم ومنظرهم على أعدائهم
فمن الولي ونعم النصير يعني نعم
الولي ونعم الناصر من الأعداء قال
وهيب بن الورد يقول الله تعالى

ليس فيها قسم ولا وصم أخرجه الحكميم القزويني (عاصبروا) أي بسبب صبرهم على مشاق
التكليفات والطاعات ورفض الأهواء والشهوات وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها
تحية وسلاما) بضم الياء مشددا واختاره أبو عبيد الله يعطون أقوله ولقد همص نصرته
وسرور وقرئ يلقون بفتح الياء تخفيفا واختاره القزويني معناه يجحدون ويصدقون قال لان
العرب تقول فلان يلقى بالسلام والتحية والخبر وقلبا يقولون يلقى والمعنى انه يحيى بعضهم
بعضا ويرسل اليهم الرب سبحانه بالسلام وقيل التحية البقاء الدائم والملك العظيم وقيل هي
معنى السلام وقيل ان الملائكة تحييهم وتعلم عليهم وانما ظهر ان هذه التحية والسلام هي
من الله سبحانه لهم ومن ذلك قوله سبحانه تحييتهم يوم يلقونه سلام وقيل معنى التحية الدعاء
لهم بطول الحياة والتعمير ومعنى السلام الدعاء لهم بالسلامة من الآفات وقيل المراد
بالتحية اكرام الله تعالى لهم بالهدايا والنفخ وبالسلم سلامه عليهم بالقول (خالد بن) أي
مقيمين (فيها) من غير موت ولا خروج (حسن) الغرفة (مستقرا) أي موضع قرار
يستقر فيه (ومقاما) يقيمون فيه وهذا في مقابل ما تقدم من قوله سمعتم مستقرا ومقاما
(قل ما يدعوكم بهي) (بين سبحانه انه غني عن طاعة الكل وانما كلفهم ليفتقروا بالتكليف
بقال ما عبادت بفلان أي ما باليت بولاه عندي تدروا أصل بعيا من العبد وهو النقل قال
الخليل ما عبا بفلان أي ما أصنع به كانه يستقله ويستحقه ويدعي أن وجوده وعنده
سوا. وكذا قال أبو عبيدة قال الزجاج ما يعبا بكم رب يري دأى وزن يكون لكم عنده
أو ما يصنع بكم أو يعبا بكم والعبد الثقيل وما استغفاهمية أو نافية وصرح القزويني بانها
استغفاهمية قال ابن السجري وحقيقة القول عندي أن موضع مناصب والتقدير أي
عباء بكم أي أي مبالاة بآل بكم وأي اعتماد بكم (ولادعاؤكم) أي لولا
دعائكم لم تعبدوه وعلى هذا فالمصدر الذي هو الدعاء مضاف الى مفعوله وهو اختيار
القزويني وفاعل محذوف وجواب لولا محذوف تقديره لولا دعائكم لم يعبا بكم ويؤيد هذا
قوله وما خفت الجن والانس الا ليعبدون والخطاب لجميع الناس وعن ابن عباس في
الآية قال يقول لولا ايمانكم فاخبر الله سبحانه انه لا حاجة له بهم اذ لم يخلقهم مؤمنين
ولو كانت له بهم حاجة لحب اليهم الايمان فحاجبه الى المؤمنين وقيل ان المصدر مضاف
الى الفاعل أي لولا استغاثتكم الي في الشدائد وقيل المعنى ما يعبا بكم أي بعبادة بكم
لولا دعائكم الا الهة معه ومن قال ان الدعاء مضاف الى الفاعل القسبي والفارسي قال
والاصل لولا دعائكم آلهة من دونه وجواب لولا محذوف أي لولا دعائكم لم يعبد بكم قال
أبو السعدي امر رسوله بان يبين للناس أن الفاعل من تلك النعماء الخليلية التي يتنافس
فيها المتنافسون انما بالوهاب اعلم من محاسنهم ولولا هالم يعبد بكم أصلا يعني انما كثرت
بالولئك وعبادتهم وأعلى ذكرهم لاجل عبادتهم وحدها لا المعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكثر
بهم البتة ولم يعبد بكم ولم يكونوا عند شيأ يبالي به فانه الزمخشرى ثم خص الكفار منهم
فقال (فقد كذبتم) وقرأ ابن الزبير فقد كذب الكافرون وبه قرأ ابن عباس وابن مسعود
انما حكاه ابن جني وفي هذه القراءة دليل بين على أن الخطاب لجميع الناس ويكون معنى فقد

ابن آدم اذ كرفي اذا غضبت اذكر لك
اغضبت فلا تخمض فيمن أحق
صبر وارض بصبري
فان نصبري لك خير من نصرتك
لنفسك رواه ابن أبي حاتم والله أعلم

كذبتم على الاول (١) فقد كذبتم مادعين اليه وعلى الوجه الثاني فقد كذبتم بالوحيد
قال سبحانه (فسيقولون لا يكون لزاما) أي يكون جزاء التكليف لازما لكم ووجهه والمفسر ين على
أن المراد بالزام هنا ما لزم المشركين يوم يدرويه قال ابن مسعود وقالت طائفة هو عذاب
الآخرة قال أبو عبيد لا ما يقبل اليه من المؤمنين وقال الزجاج يكون تكذيبكم لزاما
يلزمكم فلا تعطون التوبة ووجهه والقراء على كسرة اللام من لزاما قال ابن جرير
لزاما عذابا دائما وحلا كما تنبأ يلحق بعضكم بعضا وقرأ أبو السمال
لزاما بفتح اللام قال أبو جعفر يكون مصدر لزم والكسر
أولى قال ابن عباس لزاما ما توارى قبل وبالأوفى
الصحاح عنه قال خمس قدم مضمين أي
خمس علامات الدلائل على قيام
الساعة الدخان والقسم
والزوم والبطشة
واللزام
(١)

* (آخر تفسير سورة الحج وقته
الجد والمئة) *
(١) المراد بالوجه الأول ان يكون
الخطاب عاما والمراد بالثاني أن
يكون الخطاب للكفار اه منه

ولما اطلع على هذا التفسير الجليل وحظي من غنية انسه بالخط الجزيل الامام العلامة
والواحد التكلامه رأس المفسرين ونبراس المحدثين ورئيس الموحدين المنبعين
مولانا الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد مفتي السادة الختابة في الحرم الشريف المكي
أعلى الله تعالى مقامه وأنتخب في الدارين مرماه انبعثت خواطره لمدهحه فكتب
مقرظا الهامنه

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

أحمد من أطلع من شام من خواص أحبابه على لطائف كلامه وأمرار كآبه ورفع عنهم
الحجاب فادهشهم لذيل الخطاب فهم في رياض يرتعون ولبديع معانيه يسمعون وله
يعون وأصلى وأسلم على الرحمة المرسله والبركة الشاملة المنزلة من جعل الله السعادة
الدينية والآخرية في اتباعه والحق لا يخرج عنه وعن أصحابه وأتباعه وعلى آله
وأصحابه وأنصاره وأحزابه (وبعد) فإن أرفع العلوم قدرا وأعلاها جلالة ونخرا
وأعظمها نوراً في الدجنة وأكرمها هادياً إلى الجنة وأعظمها حصناً من الفتنة وإبركها
شافياً من المحنة فهم كآب الله العظيم على ما فهمه رسوله النبي الكريم وأصحابه ذور
القدر الفخيم عليه وعليهم أفضل الصلاة وأكمل التسليم وكان من وفق لذلك منذ كان
صنيا فحقيقه واجتهد إلى أن ارتقي سكا ناعلياً الامام الكامل والهمام العالم العامل
زينة العلماء والملاوك ومداد الغنى والفقير الصعلوك ناصر السنة السنية وقامع البدعة
الذنية سلاله السلسلة النبوية وطرار العصابة المصطفوية وفرع الدوحة العلووية
(نواب والجاه أمير الملك سيد محمد صديق حسن خان بهادر) ففهم الله سبحانه من الذهن
السليم والفهم المستقيم والذكا الذي يضي في الليل البهيم والضبط والتحرير والبحث

والتقرير والتحقيق والتدقيق والتسديد والتوفيق ومسامحة العلوم فليس غير هاله
برفق في شدة الاتباع للسنة النبوية ومنزلة المثابرة على الاستمرار المصطفوية مع
الحفظ الباهر والخلق الطاهر والادب الزاهر وكمال الباطن والظاهر والارادة امن غير
جميع العلوم والتسلع من المنطوق والمفهوم والاحتواء على زيد المعقول والمنقول
والاخذ بأزمة القسوع والاصول ما لم تزه مجموعا في شخص في زمانا بل منذ ازمان
فسيحان من أوجد ممة رد في هذا الاوان

ليس على الله بمستكر * أن يجمع العالم في واحد

* لكل زمان واحد يقتدي به * وهذا زمان أنت لاشك واحده

هذامع ما جمع الله له من الديانة والامانة والعفة والزاهة والصيانة والاعراض عن
زخارف الدنيا مع اقبالها عليه واحتقارها اياها مع تراسمها على قدميه والاستغفار بنشر
العلوم مع الملك واهتمامه بنفع الامة المحمديّة في البر والفاث

فلا هو في شغل الرعايا بقصر * ولا هو في شغل العلم بقاء

فأبدع في هذا التفسير الجليل الذي لم يوجد ولا ظن بوجوده من قبل وسمه بفتح البيان
في مقاصد القرآن وانتهى فيه لباب التأويل وكشف فيه عن اسرار التنزيل واعتد
الاستمرار الواردة وترك اضعاف الاقاويل فليقدأ وحده الله سبحانه خادما لكتاب في هذا
الجيل والسنة نعمة المخصوص بالجيل فهو احق بان يسمى بمجدد الالف الثاني لما
حواه من حفظ الاستمرار النبوية بالالفاظ والمعاني وما منحه الله من فهم الكتاب العزيز
والسبع الثاني فهذا التفسير اعدل شاهد صادق ومن لم يسلم فهو مكابر مشاقق فان هذا
المؤلف من نعم الله سبحانه على هذه الامة المحمديّة في هذا الزمن الذي اندرست فيه السنة
النبوية ودرثت فيه الاستمرار المصطفوية فلا ترى فيه الا رسوما على الجهل والابتداع
مبناها وتليسات بالباطل والزيف للنظاومعناها وخرسا عن انكار المنكر والامر
بالعروف وعواند بخلاف الشريعة فعلها لهم ما لوف فآله يديم عز هذا الهمام ويعلى
مجده وينشر في الخافقين ارشاده ونفعه وهدايته وسعده ويدبر على السنة العالم عربا
وعجمه اشكره وحده والمجد لله وحده وصلى الله وسلم عن من لا نبى بعده وآله وصحبه
ومن تبع عهده

كتبه بينانه وأنشأه بجنانه الشقيق الحقيق القاصر المتعدي محمد بن

عبد الله ابن حميد خادما الاقتناء الحنبلي في الحرم الشريف

بجلا بخللا وجلا مر تبجلا خامس عشر ذى

الحجة الحرام ختام العام الحادى

والتسعين بعد المائتين

والالف أحسن

الله ختامها

آمين

